

نَهْائِيَةُ الْاَدَبِ

في

فَنُوهُ الْاَدَبِ

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء السابع عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراقات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والاعمال القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاسوس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطل بالعناصر - ١١٨-٩٠
القاهرة

فهرست

السفر السابع عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري

- غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بذلك من أنواع
التي لم تذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات ... ١
أول لواء عقده صلى الله عليه وسلم ... ٢
سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن ربيع ... ٢
سرية سعد بن أبي وقاص إلى الحرار ... ٣
غزوة الأيواء ... ٤
غزوة بواط ... ٤
غزوة بدر الأولى ... ٥
غزوة ذي العشيرة ... ٥
سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة ... ٦
غزوة بدر الكبرى ... ١٠
رؤيا عائكة بنت عبد المطلب وخروج قريش إلى بدر ... ١١
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين إلى بدر ... ١٥
قتال الملائكة مع المسلمين ... ٢٦

صفحة	ورود الخبر بمصائب أهل بدر حل من بمكة من كفار فريش ، وهلاك
٣١	أبي لهب بن عبد المطلب
	تسمية من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار مع رسول الله صلى الله
٣٣	عليه وسلم
٤٤	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة بدر
٤٤	تسمية من قتل من المشركين في غزوة بدر
٥١	تسمية من أضر من المشركين في غزوة بدر
	خبر أسارى بدر ، وما كان من فدايتهم ، ومن من عليه رسول الله
٥٤	صلى الله عليه وسلم وأطلقه منهم ، ومن أسلم بسبب ذلك
٥٦	خبر أبي سفيان في أسر ابنه عمرو وإطلاقه
	خبر أبي العاص بن الربيع في فداائه ، وإرساله زينب بنت رسول الله
٥٧	صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك
٦١	خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة
	من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر وأطلقه
٦١	بغير فداء
٦٢	خبر عمير بن وهب وإسلامه ، وإطلاق ولده وهب بن عمير
	سرية عمير بن عدى بن نحرشة انخطى إلى عصاة بنت مروان من
٦٥	بنى أمية بن زيد
٦٦	سرية سالم بن عمير التميمي إلى أبي عفاك اليهودي
٦٧	غزوة بني قتيقاع
٧٠	غزوة السويق
٧١	غزوة قرقرة الكدر

صفحة	
٧٢	مقتل كعب بن الأشرف اليهودى
٧٧	غزوة غطفان إلى نجد
٧٩	غزوة بنى سليم ببحران
٨٠	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
٨١	غزوة أحد
١٠٠	خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه
١٠٤	تسمية من استشهد من المسلمين يوم أحد
١٠٨	تسمية من قتل من المشركين يوم أحد
	ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن في غزوة أحد،
١١١	وما ورد في تفسير ذلك
١٢٦	غزوة حمراء الأسد
١٢٧	سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومى
١٢٨	سرية عبد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلى
١٣٠	سرية المنذر بن عمرو الساعدى إلى بئر معونة
١٣٣	سرية مرثد بن أبى مرثد الثنوى إلى الرجيع
١٣٧	غزوة بنى النضير
١٤٠	ما أنزل الله عز وجل في بنى النضير
١٤٨	قصة برصيعما
١٥٤	غزوة بدر الموعد
١٥٨	غزوة ذات الرقاع، وخبر صلاة الخوف
	خبر غوث بن الحارث المخاربى لما أراد أن يقتلك برسول الله
١٥٩	صلى الله عليه وسلم

- صفحة
 ١٦٠ خبر جابر بن عبد الله في جملة ، واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه
 ١٦٢ غزوة دومة الجندل
 ١٦٤ غزوة بني المصطلق ، وهي غزوة المريسيع
 ١٦٦ غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب
 تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ، ومن قتل من
 ١٧٨ المشركين
 ما أُرسل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن في غزوة الخندق .
 ١٧٩ وما ورد في تفسير ذلك
 ١٨٦ غزوة بني قريظة
 نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسؤال
 الأوس فيهم وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى
 ١٩٠ وقتلهم
 ١٩٧ سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري بحير
 ٢٠٠ سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء
 ٢٠٠ غزوة بني لحيان
 ٢٠١ غزوة النجابة وهي غزوة ذي قرد
 ٢٠٣ سرية عكاشة بن محسن الأسدي إلى النمر
 ٢٠٤ سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بن ذي القصة
 ٢٠٤ سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة
 ٢٠٥ سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالحموم
 ٢٠٦ سرية زيد بن حارثة إلى العيص

صفحة	
٢٠٦	سرية زيد بن حارثة إلى الطرف
٢٠٧	سرية زيد بن حارثة إلى حصمى
٢٠٨	سرية زيد بن حارثة إلى وادى القري
٢٠٩	سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل
٢٠٩	سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر فهدك
٢١٠	سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة
٢١١	سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودى بخير
٢١٣	سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرينين
	سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن
٢١٤	حرب بمكة
٢١٧	غزوة الحديبية
٢١٨	تجمع قريش للحرب
	بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعى إلى قريش
٢٢٦	بمكة
٢٢٧	بيعة الرضوان
٢٢٩	ذكر هذنة قريش ، وما وقع فيها من الشروط
٢٣٤	رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وتزول سورة الفتح
٢٤٥	خبر أبي بصير بن أسيد بن جارية
٢٤٨	غزوة خيبر
٢٥٥	خبر بني سهم حين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٥٧	فتح الوطيط والسلام من حصون خيبر

٢٥٩	تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر سنة
٢٦١	قسم غنائم خيبر قسم غنائم خيبر
٢٦٣	تسمية من قسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتيبة التي
٢٦٤	خرجت الخمس ، وما أعطاهم منها خرجت الخمس ، وما أعطاهم منها
٢٦٦	خبر الجهاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة عن رسول الله
٢٦٦	صل الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله صل الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله
٢٦٨	انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القرى ،
٢٦٨	ونومهم عن صلاة الصبح ونومهم عن صلاة الصبح
٢٧٠	سرية عمر بن الخطاب إلى تربة سرية عمر بن الخطاب إلى تربة
٢٧١	سرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب بجند سرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب بجند
٢٧٢	سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فذك سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فذك
٢٧٢	سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة
٢٧٣	سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار
٢٧٤	سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم
٢٧٤	سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بالكديد سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بالكديد
٢٧٦	سريته إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فذك سريته إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فذك
٢٧٦	سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالموت سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالموت
٢٧٧	سرية كعب بن عمير النخاري إلى ذات أطلاح سرية كعب بن عمير النخاري إلى ذات أطلاح
٢٧٧	سرية مؤتة سرية مؤتة
٢٨٣	تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة
٢٨٣	سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل

صفحة	
٢٨٤	سرية ابي عبيدة بن الجراح ، وهى سرية الخطب
٢٨٥	سرية ابي قتادة بن ربيى الأنصارى إلى خضرة
٢٨٦	سريته إلى بطن لضم
٢٨٧	غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح
	خبر حاطب بن أبى بلتعنة فى كتابه إلى أهل مكة ، وإعلام الله تعالى
	نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك وأخذه الكتاب ، وما أنزل الله
٢٩١	عز وجل فى ذلك من القرآن
٢٩٦	خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة
	خبر أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة مع
٢٩٧	رسول الله صلى الله عليه وسلم
	عجىء العباس بأبى سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه
٢٩٩	وسلم ، وإسلام أبى سفيان ، وخبر الفتح
	دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة صلحا ، ودخول
٣٠٢	خالد بن الوليد ومن معه من القبايل عنوة
٣٠٤	شعر ضرار بن الخطاب يوم الفتح
	من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم فتح مكة وسبب
٣٠٧	ذلك ، ومن قتل منهم ، ومن نجا بإسلامه
	إسلام أبى علقمة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
٣١٠	ابن مرة بن كعب
٣١١	إسلام عبد الله بن الزبير وشعره فى ذلك
	دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطوافه بالبيت ، ودخوله
٣١٢	الكعبة ، وما فعل بالأصنام

سنة	
٣١٤	سرية خالد بن الوليد إلى الحزرى وهدمها
٣١٥	سرية عمرو بن العاص إلى سواع وكبره
٣١٥	سرية سعد بن زيد الأشملى إلى مناة
	سرية خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة،
٣١٦	وهو يوم النقيصاء
٣١٧	خبر عبد الله بن علقمة مع حيشة وقتله
٣٢٣	غزوة حنين إلى هوارن وتقيف
٣٣٥	سرية الطفيل بن عمرو الدوسى إلى ذى الكففين
٣٣٥	غزوة الخائف
	مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجمرات، وقسم مغانم حنين،
٣٣٩	وما أعطاه المؤلفة
	قدوم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم
٣٤١	وردة السبايا إليهم
	تسمية من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها عند
٣٤٥	قسم مغانم حنين
	مقالة الأنصار في أمر قسم التى، وما أجابهم به رسول الله صلى الله
٣٤٦	عليه وسلم
	اسحلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة،
٣٤٨	ووجوه إلى المدينة
٣٤٨	سرية عيينة بن حصن الغزارى إلى بنى تميم
٣٤٩	خبر الوليد بن عقبة بن أبى معيط مع بنى المصطلق
٣٥٠	سرية قطبة بن عامر بن حديفة إلى ختم

من نهاية الأرب

(ك)

صفحة	
٣٥٠	سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب
٣٥١	سرية علقمة بن مجمر المدجلي إلى الحيشة
٣٥٢	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفليس
٣٥٢	سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناح
٣٥٢	غزوة تبوك
٣٥٦	سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك
٣٥٨	خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر وما قاله لأصحابه ...
	أخبار المنافقين ، وما تكلموا به في غزوة تبوك ، وما أنزل الله
٣٥٩	عز وجل فيهم من القرآن
٣٦١	خبر الثلاثة الذين خلفوا ، وما أنزل فيهم وفي المعدرين من الأعراب
٣٦٨	سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن
٣٧٠	سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشراة
٣٧١	حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره
٣٧٣	خطبته في حجة الوداع
٣٧٥	عمرة القضاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق والإعانة

ذكرُ غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم

١
١٥

وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تُذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات
كانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي حضرها بنفسه سبعا
وعشرين غزاةً ، كلها بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهي :

غزوة الأبواء ، وهي غزوة ودّان ، ثم غزوة بواط ، ثم غزوة بدر الأولى ،
ثم غزوة ذي الشَّيْبَةِ ، ثم غزوة بدر الكبرى ، ثم غزوة بنى قينقاع ، ثم غزوة السيوق ،
ثم غزوة قرقرة الكلد ، وهي غزوة بنى سُلَيم ، ثم غزوة غطفان إلى نجد ،
وهي غزوة ذي أَمْر ، ثم غزوة بنى سُلَيم بِحُرَّان ، ثم غزوة أُحُد ، ثم غزوة حَمْرَاء^(١)
الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة بدر الموحدة ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع ، ثم غزوة
دومة الجندل ، ثم غزوة بنى المصطلق بالمُرَيْسِج ، ثم غزوة الخندق ، وهي
غزوة الأحزاب ، ثم غزوة بنى قُرَيْظَةَ ، ثم غزوة بنى الحِمْيَر ، ثم غزوة الغابة ،
وهي غزوة ذي قَرْد ، ثم غزوة الحُدَيْبِيَّة ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة الفتح ، ثم
غزوة حُنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك ، ومنهم من عدَّ عمرة القضا ،
مع الغزوات ، وكانت بعد خيبر وقبل الفتح .

(١) ذو أَمْر : موضع بناحية النخيل بجند من ديار غطفان .

(٢) غزوة بدر الموحدة : هي بدر الآخرة ، وصحبت بذلك الواقعة عليها مع أبي سفيان يوم أُحُد .

قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الفزوات في تسع ، وهي : بدر
 الجُبَرى ، وأُحُدٌ ، والخندق ، وقُرَيْظَة ، والمصطَلِق ، وخيبر ، والفُتَح ، وحُنين ،
 والطائف ، وقيل : إنه قاتل في بنى النضير . والنبابة .
 وسراياه صلى الله عليه وسلم نحو من ستين سرية .^(١)

ذكر أول لواء عقده صلى الله عليه وسلم

كان أولُ لواء عقده رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِمَهْ حمزة بن عبد المطلب
 في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرة لواء أبيض ، حملة أبو مرثد
 تَاجِزُ بنُ الحَصِينِ القَنَوِي ، حليف حمزة ، وبعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 في ثلاثين رجلا من المهاجرين يَتَرَضُّ لِيَمِيرَ قُرَيْشٌ قد جاءت من الشام تريد مكة ،
 وفيها أبو جهل بن هشام في ثلثائة رجل ، فلبثوا سيف البحر من ناحية البيص ،
 فالتقوا ، وصَفَوْا للقتال ، فَنَشَى بجسدي بن عمرو الجهني ، وكان موادعا للفرقيين
 جميعا ، إلى هؤلاء مرة ، وإلى هؤلاء مرة ، حتى هُجِرَ بينهم .

ذكر سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رابغ

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال على رأس ثمانية أشهر من مهاجرة
 في ستين رجلا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وعقد له لواء أبيض ،

٢
١٥

(١) جرت عادة المحدثين وأهل السير أن يسوا كل من حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنصفه غزوة ،
 وما لم يحضره ، بل أرسل بضاً من أصحابه إلى العدة ، سرية وبعثاً . راجع كتاب المغازي من كتاب المروءات
 الدنية ، ج ١ صفحة ٤٦٧ .

(٢) البرهنا : الإبل التي تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها .

(٣) سيف البحر : ساحله . (٤) البيص : موضع ب ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق
 قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام .

حمله يستطع بن أمانة بن المطلب بن عبد مناف . حكاة محمد بن سعد .
قال ابن إسحاق: أو ثمانين رجلا من المهاجرين، فسار حتى بلغ ماء بالجهاز بأسفل ثنية
المرّة، فلقى به جمعا عظيما من قريش .

قال الشيخ شرف الدين الديبالي رحمه الله: فلقى أبا سفيان بن حرب، وهو
في مائتين، على ماء يقال له أحياء، من بطن رابع على عشرة أميال من الجحفة، فكان
بينهم الزمى ولم يسئلوا السيوف ولم يصطلقوا للقتال، وكان سعد بن أبي وقاص أول
من رمى بسهم في سبيل الله، ثم أنصرف الفريقان على حاميتهم، وكان على القوم
عكرمة بن أبي جهل . وقال أبو محمد بن هشام: كان عليهم مكرز بن حفص
ابن الأخيف .

قال ابن إسحاق: وفز من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراقي
حليف بني زهرة، وعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بْنِ جَابِرِ الْمَازِنِيِّ حليف بني نوفل بن
عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما جاما مع القوم ليتوصلا بهم .
وقدم ابن إسحاق هذه السرية على سرية حمزة .

ذكر سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار^(١٣)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من
مهاجرة في عشرين رجلا من المهاجرين، وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو
البهراقي، وساروا يترضون ليعير قريش، وعهد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الأن يحاور الخرار .

قال سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكانا نكئن النهار ونسير الليل، حتى صبحناها
صبح نحس، فنجد العير قد صرت بالأمس .

(١) حاميتهم : وجههم . (٢) الضمير في هم يسود على الكفار . يريد : أنهما جملا
خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين . (٣) الخرار : موضع بالجواز .

ذكر غزوة الأَبواء^(١) وهي غزوة وَدَّان^(٢)

وبينهما ستة أميال

- وهذه الغزوة أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وكانت في صفر على رأس آتني عشر شهرا من مُهاجره ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيض ، واستخلف على المدينة سعد بن عُبادة ، وخرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاري حتى بلغ الأَبواء يعترض لعير فريش ، فلم يلق كيذا .

وفي هذه الغزاة وادع نخش بن عمرو الضمري ، وكان سيدهم في زمانه ، على ألا يفزرو بنى صفرة ولا يفزروه ، ولا يكتروا عليه جمعا ، ولا يعينوا عدوا ، وكتب بينه وبينهم كتابا .

- وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

ذكر غزوة بَوَاط

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مُهاجره وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص ، وكان أبيض ، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ . [وقال ابن هشام : استعمل عليها السائب بن عثمان بن مظعون .

- (١) الأَبواء : قرية من أعمال القرع من المدينة بينها وبين الجحفا على المدينة ثلاثة وعشرون ميلا .
(٢) ودان : قرية جامعة من نواحي القرع على طريق الحاج .
(٣) زيد في أ : « لطلب كذابين جابر القهري » .
(٤) كتاب في ح : « على بن أبي طالب رضي الله عنه » .
(٥) في أ : « زيد بن حارثة » .

ونخرج في مائتين من أصحابه يعترض ليعرق قريش ، فيها أُمّية بن خلف الجُحفي ومائة رجل من قريش وألف وخمسمائة بعر ، فيبلغ بواطاً ، وهي من جبال جهينة من ناحية رَضَوَى ، وهي قريب من ذى خُشْب مما يلي طريق الشام ، وبين بواط والمدينة نحو من أربعة بُرْد ، فلم يلق كيدا ، فرجع صلى الله عليه وسلم .^(١)

ذكر غزوة بدر الأولى^(٢)

غزاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره ، لطلب كُرْز بن جابر الفهري ، وحمل لواءه على بن أبي طالب ، وكان أبيض ، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة ، وكان كرز قد أغار على سرح^(٣) المدينة فاستاقه ، وكان يرعى بالجناء ، فطلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر ، وفاته كرز فلم يلحقه ، فرجع إلى المدينة .

ذكر غزوة ذى العشيرة

العشيرة ، بالشين المعجمة ، وقيل بالسين المهملة ، وقيل : العشيرة بالالف . غزاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة ، على رأس ستة عشر شهرا من مهاجره ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، وكان أبيض ، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي .

(١) اضطرب النص هنا في نسخة أ .

(٢) هذه الغزوة ساقطة من أ . وقد سماها ابن هشام أيضاً بغزوة سفوان : وذكرها بعد غزوة

العشيرة . راجع صفحة ٤٧٨ ح أ من المواهب اللدنية .

(٣) السرح : الإبل والمواشي التي تسرح للرعى بالنداء .

وخرج في خمسين ومائة ، ويقال في مائتين من المهاجرين من أنتدب ، ولم يكره أحدا على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بيما يعقوبونها ، وخرج يعترض لعير قریش حين ابتدأت إلى الشام ، فبلغ ذا العشرة ، وهى لى مذبج بناحية يَبْسَع ، فوجد العير التى خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهى العير التى خرج أيضا يُرْبِدُهَا حين رجعت من الشام ، فكانت فيها وقعة بدر الكبرى .

وفى هذه الفزاة وادّع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مذبج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَة . وفيها كُتِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه أبا تراب ، وقيل فى غيرها .

ذكر سرية عبد الله بن جحش الأسدى إلى نخلة

١٠ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مهاجرة فى آخر عشر رجلا من المهاجرين . كل اثنين يعقبان بيما .

قال ابن إسحاق . وكسب [لا] رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه حتى يدرى موسى ، ثم يشر به . ويمسى لها أمره به . ولا يستكره أحدا من أصحابه .

١٥ (١) يعقبونها : يتأخرون وكونها

(٢) قال السبيل : فى الروى ج ٢ ص ٨٨ د إن أصح الأقوال . ذكرت على باب تراب . رواه البخارى فى جامعه وهو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد فى المسجد كتابا به رب حة محل تحت التراب عن جنبه وقول : ثم أبا تراب . وكان قد خرج إلى المسجد من ثيابها لقاط .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام

قال : وكان معه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعُكاشة بن محصن ، وعتبة ابن غزوان بن جابر ، وسعد بن أبي وقاص ، ونامر بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله التيمي ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث ، وسهيل بن بهضاء . هؤلاء الذين علمهم آبن إسحاق ؛ وكان معهم المقداد بن عمرو ، حكاه محمد بن سعد .

قال آبن إسحاق : فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكلاب فإذا فيه :
 " إذا نظرت في كتابي هذا فأبيض حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم " . فلما نظر عبد الله في الكلاب قال : سمعُ وطاعة . ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم : قد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فاما أنا فإيض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعضوا كلهم ، وسلك على المجاز حتى إذا كان بمسند فوق الفرع يقال له بجران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيرهما ، فتخلفا في طلبه ، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، ففترت به حير لقريش تحمل زيبيا وأدما وتجارة من تجارة قريش — قال آبن سعد : ونحروا — وفيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم ، وكان عُكاشة حلق رأسه ليطمئن القوم ، فأمنوا . وقال لهم عثمان : لا بأس عليكم منهم . قال : ففترحوهم ركائبهم ، وصنعوا طعاما . قال : فتشاور القوم فيهم ، وذلك آخر يوم من شهر رجب ، فقالوا : والله لن

(٢) انظر شرح المواب ١ : ٤٧٩ .

(١) الأدم : الجلد .

(٣) في طبقات آبن سعد ج ٢ ص ٥ : « وقالوا هم عمار » .

تركتهم في هذه الليلة ليدخل الحرم فليمتنع منكم به ، وإن قتلتمهم لقتلتمهم في الشهر الحرام . فتردد القوم وهاؤا الإقدام عليهم ، ثم تبعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ؛ فخرج واقد بن عبد الله يقدم المسلمين ، فرمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأثر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم . وأقبل عبد الله وأصحابه بالير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما قدموا عليه قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . ووقف اليمير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا ؛ فأسقط في يد القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعقبتهم المسلمون فماتوا .

- ١٠ وقالت قريش : قد استحل عجد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا الرجال ؛ وأكثر الناس في ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، وإخراجكم منه وأثم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ؛ أي قد كانوا يفتنون المسلمين في دينهم حتى يردوهم إلى الكفر بعد إيمانهم ، فذاك أكبر عند الله من القتل

(١) في سيرة ابن هشام : « ص ٢٥٤ : « وأطت القدم قول »

(٢) أسقط في يد القوم : « زلوا واضطروا ونقموا ونجروا »

(٣) في ج : « وأخذوا الأموال »

قال: فلما نزلت الآيات قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين،
وبعثت إليه قريش في فدائهما، فقال: لا . حتى يقدم صاحبانا، يعني سعد
ابن أبي وقاص، وعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما تقتل
صاحبيكم . فقدم سعد وعُتْبَةُ، فأفادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤
١٥

فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان فليحق بمكة، فكان بها حتى
مات كافراً .

قال: فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه طمعوا في الأجر،
فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة تُعطى فيها أجر المجاهدين؟ فانزل الله
تعالى فيهم: ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾، قال: وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بفعل
أربعة أحصاه لمن أفاده، ومُحَسَّه إلى الله ورسوله .

قال ابن هشام: وهى أول غنيمة غنمها المسلمون، وعمرو بن الحضرمي
أول من قتل المسلمون، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون . وفي هذه السيرة
سمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين .

١٥

وقال عبد الله بن جحش في هذه الواقعة، ويقال إنها لأبي بكر الصديق
رضي الله عنه؛ والذي صححه ابن هشام أنها لعبد الله بن جحش، أبياناً يخاطب
بها قريشاً:

تَمْدُون قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ رَى الرَّشْدُ رَاشِدُ
صُدُودَكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ وَكُفْرُ بِهِ وَاللَّهُ رَأٍ وَشَاهِدُ

٢٠

وَإِخْرَاجَكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ لَسْتُ أَرَى قَهْرَ فِي الْبَيْتِ سَاجِدٌ
فَمَاذَا وَإِنْ عَصَيْتُمْونا بِقَتْلِهِ وَأَرْجَفَ بِالإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَادٌ
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَأَقْدُ
دَعَا وَابْنُ عَمِيدِ اللَّهِ عَثَاثُ بَيْنَا يُنَازَعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَيْدِ عَانِدٌ^(١)

• ذكر غزوة بدر الكبرى^(٢)، ويقال فيها بدر القتال، وما يتصل بها

كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بإقبال
أبي سفيان بن حرب من الشام في السير إلى قريش، وهي التي خرج إليها
في غزوة ذي النضير، وكان فيها أموال قريش وتجاراتهم، وفيها منهم ثلاثون
أو أربعون، منهم حمزة بن نوفل، وعمرو بن العاص بن وائل، فندب رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فانخرجوا
إليها لعل الله ينفلحكموها، فانتدب الناس، تخفف بعضهم وقُتل بعض.

وكان أبو سفيان حين دنا من الجحاز يتحسس الأخبار، ويسأل من لقي من الرِّبَّانِ^(٣)
عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محوفا على ما معه، فأخبره بعض الرِّبَّانِ: أن

(١) القيد: شرك يقطع من الجهد. وفي شرح المراهب ١: ٤٨١: «عائد».

(٢) وتسمى هذه الغزوة أيضا غزوة بدر النطس، والثانية، وبدر القرطان. وبدر: قرية بين مكة
والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة؛ وتيل ماء مشهور أسفل وادي الصقراء، ويقال: إنه ينسب
إلى بدر بن نخلة وقيل بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع قسب إليه. وراجع شرح المراهب

المدنية ج ١ ص ٤٨٩، ومعجم البلدان مادة «بدر».

(٣) التحسس: أن تسمع الأخبار بنفسك.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه لتقصده، فحذر عند ذلك، واستأجر
ضمضم بن عمرو الغفاري؛ فبعثه إلى مكة، وأمره أن يستنفر قريشا إلى أموالهم،
ويخبرهم أن عبدا قد مَرَضَ لما في أصحابه؛ فأسرع ضمضم إلى مكة .

ذكر رؤيا عائكة بنت عبد المطلب

ونحروج قريشا إلى بدر

قال محمد بن إسحاق رحمه الله بسنده إلى عبد الله بن عباس، وعُروة بن الزبير
رضي الله عنهم .

قالا : ورات عائكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا
أفزعها، فبعثت إلى أخيها العباس، فقالت له : والله لقد رأيت رؤيا أفزعني
وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر أو مصيبة، فآتكم غني بما أحدثك به، قال :
وما رأيت ؟ قالت : رأيت راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح^(١)، ثم صرخ
بأعلى صوته : ألا أنفروا يا آل عُتْر ! لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا،
ثم دخل المسجد والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة،
ثم صرخ بمنظها : ألا أنفروا يا آل عُتْر ! لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بعيره على

(١) الأبطح : سهل واسع فيه دقاق الحصى .

(٢) في اللسان : غدر سئول عن غادر بالانفة، ويقال للغدر : غدر، والأخفى غدار، وهما
مختصان بالنداء في الثالب، وقد ضبط السيل بضم النين والهاء . (راجع ج ٢ صفحة ٦١ من
الروض الأثف) .

رأس أبي قُيسٍ فصرحَ بملها ، ثم أخذَ حِمْزَةَ فارسلها مكةَ فلا دارَ منها إلا دخلتها منها فُلقةً ؛ قال العباس : والله إن هذه لرؤيا ! وأنتِ فاكتمينا .

ثم خرج العباس فلقى الوليدَ بن عُتبَةَ بن ربيعة ، وكان صديقاً له ؛ فذكرها له وأستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عُتبَةَ ؛ ففشا الحديث حتى تحدّث به قريش .

- قال العباس : فسدّوت لأطوفَ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة ، فلما رأى أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغتَ من طوافك فأْتِ إلينا ، فلما فرغتُ أقبلتُ حتى جلست معهم ؛ فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ، متى حدّثَ فيكم هذه النبية ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التي رأت عاتكة ، فقلت : وما رأت ؟ فقال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن يتبنّا رجالكم حتى تنبأ نساؤكم ! فقد زعمت عاتكة أن رؤياها أنه قال : اغفروا في ثلاث ، فسترخص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب ؛ قال العباس : فواحه ما كان مني إليه كبيرٌ إلا أتني بمحدّث ذلك ، وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً ، قال : ثم نفزقنا .

فلما أمسيت لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أفررتَ لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم تكن

(١) أبو قيس : جبل مشرف على مكة (٢) في سيرة ابن هشام : «فارسلها فأقبلت هوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارضت فابق بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منها فُلقة» .

وفى ح : «ولا دار» . (٣) وفي رواية : «رأيت» .

عندك غيرة لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد واثقه فقلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وأيم الله لا تمرضن له ، فإن عاد لا كفيئتكته .

قال : فحدثت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديدٌ مُغَضَّبٌ أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه ، قد دخلت المسجد فرأيتُه ، فواجهتني لأُمشي نحوه أنمرض له ليعود لبعض ما قال ، فأوقع به ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت في نفسي : ما له لئنه الله ! أكل هذا فرق مني إن أشاتم ! وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ بطن الوادي واقفا على بعيره ، قد جدع بعيره وحول رحله ، وشق قيصره وهو يقول : يا معشر قریش ، اللطيمة^(١) اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها عهد في أصحابه ، لا أرى أن تذركوها ، الفوت الفوت ! قال العباس : فستغنى عنه ، وشغله عني ما جاء من الأمر .

فجهز الناس سريعا وقالوا : أبطن عهد وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي ؟ كلا ! والله ليعلمن غير ذلك ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث رجلا مكانه ، وأوعيت قریش فلم يتخلف من أشرافها أحد ، إلا أن أبا لب بن عبد المطلب تخلف ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، أستأجره بأربعة آلاف درهم كانت لأبي لب عليه ، فخرج عنه .

وروى أبو الترج على بن الحسين الأصفهاني في كتابه المترجم بالأغاني بسند يرضه إلى مصعب بن عبد الله قال :

(١) في السيرة ج ٢ ص ٢٠٦ والطبري ج ٤ ص ١٢٩٤ : « غير » . (٢) يشتد : يبدو .

(٣) جدع بعيره : قطع أذنيه أو أذنيه . (٤) اللطيمة : الإبل التي تحمل اللبن والبر .

(٥) يقال : أوعيت القوم : إذا خرجوا كلهم إلى النزول . (٦) راجع الأغاني ج ٤ ص ١٧٤ طبع دار الكتب المصرية) ، والنص فيه يختلف عن رواية المؤلف هنا .

قَامَ أَبُو لُبِّ الْعَاصِي بْنِ هِشَامٍ فِي عَشْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ فَقَمَرَهُ ، ثُمَّ فِي عَشْرَةٍ
 فَقَمَرَهُ ، [ثُمَّ فِي عَشْرَةٍ فَقَمَرَهُ ^(١)] ، إِلَى أَنْ خَلَعَهُ مِنْ مَالِهِ فَلَمْ يُبْقِ لَهُ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ :
 إِنِّي أَرَى الْقِدَاحَ قَدْ حَاقَتْكَ يَا بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَهَلَمْ أَقَامَرَكَ يَا بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ،
 فَأَيْتَابُ غُلَبٍ كَانَ عَبْدًا لَصَاحِبِهِ . قَالَ : أَقْبَلُ ، فَعَمِلَ . فَقَمَرَهُ أَبُو لُبِّ ، فَكَّرَهُ
 أَنْ يَسْتَرْقَهُ فَنَفَضَ بَنُو عَزْرُومَ ، فَشَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ : أَقْدُوهُ مِنِّي بِمِثْرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ .
 فَقَالُوا : لَا وَاقِهِ وَلَا يَوْبَرَةَ . فَاسْتَرْقَهُ ، فَكَانَ يَرَى لَهُ إِبِلَهُ إِلَى أَنْ نَزَحَ الْمُشْرِكُونَ
 إِلَى بَدْرٍ . قَالَ : وَقَالَ غَيْرُ مُصِيبٍ : فَاسْتَرْقَهُ وَأَحْبَبْتَهُ قَبْلًا يَعْمَلُ [الْحَدِيدُ ^(٢)] . فَلَمَّا
 نَزَحَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى بَدْرٍ أَخْرَجَهُ أَبُو لُبِّ عَنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ عَلِيلًا ، عَلَى أَنَّهُ إِنْ عَادَ
 أَعْتَقَهُ ، فَقَبِلَ الْعَاصِي .

١٠. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ أَبِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ قَدْ أَجْمَعَ الْقُودَ [وَكَانَ شَيْخًا جَلِيلًا
 جَسِيًّا قَبِيلًا] فَأَنَاءَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ قَوْمِهِ بِبَحْمَرَةَ ^(٣) ،
 فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، أَسْتَجِيرُ ، فَأَمَّا أَنْتَ مِنَ النِّسَاءِ . فَقَالَ :
 قَبَّلَكَ اللَّهُ وَقَبَّحَ مَا جِئْتَ بِهِ . ثُمَّ تَجَهَّزَ وَنَزَحَ مَعَ النَّاسِ .

١٥. قَالَ : وَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ جِهَازِهِمْ ، وَاجْتَمَعُوا الْمَسِيرَ ، ذَكَرُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
 بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِلَابَةَ مِنَ الْحَرْبِ ، فَقَالُوا : إِنَّا نَحْشَى أَنْ يَأْتُونَا مِنْ خَلْفَانَا .
 فَكَادُوا يَنْتُونُ ، فَتَبَدَّى لَهُمْ الْإِبِلُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةِ بْنِ مَالِكِ الْمُذَلِّجِيِّ ، وَكَانَ مِنْ
 أَسْرَافِ كِلَابَةَ ، فَقَالَ : أَنَا جَارُكُمْ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِلَابَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا
 تَكْرَهُونَهُ فَخَرَّجُوا سَرَاعًا .

هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ قُرَيْشٍ .

٢٠. (١) قرء : غلبه في القامرة . (٢) زيادة عن ح . (٣) القين : الحداد .
 (٤) زيادة عن ح . (٥) زيادة من سيرة ابن هشام .
 (٦) في السيرة : « بحمرة يحملها ، فيها نار وجر » .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن معه من المسلمين إلى بدر

٦
١٥

قال محمد بن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان .

وقال محمد بن سعد : خرج يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا من هجره ، واستعمل على المدينة عمرو بن أم مكتوم ، وأسمه عبد الله ، ليصلي بالناس ، ثم رَدَّ أَبَا بَابَةَ مِنَ الرُّوحَاءِ ^(١) واستعمله على المدينة ، وخرج صلى الله عليه وسلم في ثلثمائة رجل وخمسة عشر رجلا ، كان من المهاجرين منهم أربعة وسبعون ، وسائرهم من الأنصار بعد أن رَدَّ من أصحابه من استصفرهم ، ولم يكن غزوا بالأنصار قبلها .

قال محمد بن سعد : وتخلَّف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية لعلَّة ، ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ييهمهم وأجورهم ؛ ثلاثة من المهاجرين : وهم عثمان بن عفان ، خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمرائه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مريضة ، فأقام عليها حتى ماتت ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد ، بهنما يتحسَّسان خبر السير ، وخمسة من الأنصار ، وهم : أبو بَابَةَ بن عبد المنذر ، خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدي ، خلفه على أهل العالية ، والحارث بن حاطب ، رده من الرُّوحَاءِ إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث بن الصَّمة ، وختوات بن جُبَيْر ، كُسرا للرُّوحَاءِ .

(١) الرُّوحَاءُ : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينة .

وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً يتقبونها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه، ومرثد ابن أبي مرثد الغنوى يتقبون بعيراً .

قال محمد بن سعد يرفعه إلى ابن مسعود قال : كُنّا يوم بدر كلّ ثلاثة على بعير، وكان أبو لبابة، وعلى، زبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان إذا كانت عُقبَةُ النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له : اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك ، فيقول : ” ما أنتم بأقوى على المشي منى ، وما أنا أغنى عن الأجر منكم “ .

قال ابن إسحاق : وكان حزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو كبشة ، وأنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، يتقبون بعيراً .

قال ابن سعد : وكانت الخليل فرسين : فرس للقداد بن عمرو ، وفرس لمرثد ابن أبي مرثد الغنوى . قال ابن إسحاق : وفرس للزبير بن العوام .

قال : ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء إلى مُصَعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أبيض ، قال : وكانت أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، أحدهما مع علي بن أبي طالب ، والأخرى مع الأنصار .

قال ابن سعد : وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن مُعاذ ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبي صغصمة أخا بني مازن بن النجار . قال : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قريبا من الصَّفراء بَعَثَ بُشَيْسَ بْنَ عَمْرٍو، وَعِدِيَّ بْنَ أَبِي الزَّغْيَاءِ الْجُهَيْنِيِّ إِلَى بَدْرٍ يَتَحَسَّانَ لَهُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ وَغَيْرِهِ .

ثم أَرْتَحِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَفْرَانَ — وَإِدْيَسَارَ الصَّفراء — وَأَتَاهُ الْخَبِيرُ بِسِيرِ قُرَيْشٍ لِيَمْنُوا بِغَيْرِهِمْ ، فَأَسْتَشَارَ النَّاسَ وَأَخْبِرَهُمْ ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ فَقَالَ وَأَحْسَنَ ، ثُمَّ قَامَ الْمُقْسِدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضُ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ! فَتَجَنَّ مَعَكَ فَوَاقَهُ لَا تَقُولُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، وَلَكِنْ قُولَ : أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ سِرَّتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْفِتْنَةَ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ .

ثم قَالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ — وَإِنَّمَا يَرِيدُ الْأَنْصَارُ لِأَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ — فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَجَلٌ ، قَالَ : فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدًا وَمَوَاقِفًا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فَأَمَضَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بَنُو هَذَا الْبَحْرِ نَفَضْتَهُ نَخْفَضُهُ مَعَكَ ، مَا تَخْتَلَفُ مِنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بَنُو عَدُوِّنَا غَدًا ، إِنَّا لَصَبُورٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُقٌ فِي الْقِيَامِ ،

(١) الصَّفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع في طريق الحاج ، وبينه وبين بَدْرٍ مرحلة . وقيل : قرية فوق بَيْعِ عَمَالٍ عَلَى الْمَدِينَةِ .

(٢) بَرَكُ الْفِتْنَةِ (بَكْرُ الْفِتْنَةِ الْمُجْمَعَةِ ، وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : بِالضَّمِّ ، وَالْكَسْرِ أَشِيرُ) : مَوْضِعٌ فِي أَقْصَى أَرْضِ حِمْيَرَ ، وَقِيلَ : مَوْضِعٌ فِي أَقْصَى إِثْنِينَ . وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : مَوْضِعٌ بِالْحَبَشَةِ .

لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فيسربنا على بركة الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : ” سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم “ .

- ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم من ذفران^(١) حتى نزل قريبا من بدر ، فركب هو وأبو بكر الصديق حتى وقفا على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن عهد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أو ذاك بذلك ؟ قال نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن عمار وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن صدق^(٢) الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للكان الذي تركه به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه — وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للكان الذي به قريش — ثم قال : من أنتم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ويقال : إن الشيخ سفيان الثوري^(٣) قال : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له عليه الخبر ، فأصابوا رواية لقريش فيها أسلم ، غلام بني الحجاج ، وغيره أبو تيسار ، غلام بني المصاح ، فأنوا بهما ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قريش ، فقالا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهما : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري .

(١) ذفران (بفتح أوله وكسر ثانيه ثم را، مهلة وآتوه نون) : واد قرب وادي الصفراء .

(٢) في أ : « فأنهم اليوم » .

(٣) الرواية : الإبل التي يسبق عليها الماء .

قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : تسعا ، ويوما عشرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القسوم ما بين السمائة والألف ، ثم قال لها : فَنَ فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطليحة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وتبیه ومُنْبه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت أفلاذ كيدها .

قال : وبلغ أبا سفيان الخبر بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ماء بدر ، فرجع إلى أصحابه مريضا وصرف وجهه عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدرا يساره ، وأطلق . وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جهنم بن الصلت بن عكرمة ابن عبد المطلب رؤيا فقال : إني فيما يرى النائم ، أو إني لبين النائم واليقظان . إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعيره ، ثم قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف : وفلان وفلان ، فعدد رجالا ممن كان قُتل يوم بدر من أشرف قريش ، ورأيت ضرب في كبة بعيره ، ثم أرسله في المسكر ، فما بقي خيابة من أخية المسكر إلا أصابه نضج من دمه .

قال : فبلغت أبا جهل بن هشام فقال : وهذا أيضا نبئ آخر من بني عبد المطلب ! سيملم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

(١) ساحل بها : أى أخذ بها جهة الساحل .

(٢) الجحفة : قرية على ثلاث أرباع مراحل من مكة .

(٣) ذ ١ : « ولى » . (٤) النضج : الرض .

قال: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيرَه أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنوا غيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجّها الله فأرجعوا؛ فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرِد بدوا، وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب يمتنع لهم فيه سوق في كل عام، فنقم عليه ثلاثاً، فتنحَرَ الجُزور، ونُطِم الطعام، ونُسِق الخمر، وتمزقَ علينا القيان، وتسمعُ بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابونا أبداً بعدها، فامضوا.

فمضت قريش حتى نزلوا المدوة القصوى من الوادي، والقلب بيدر في المدوة الدنيا، قال: وبنت الله السماء، وكان الوادي دهباً، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ما لَبَد لهم الأرض، ولم يمتنعهم من المسير.

وقال ابن سعد: كان المسلمون يومئذ يَمِيدُونَ من الناس ونزلوا على كَثِيبٍ بَهِيلٍ، فطُغرت السماءُ نصارٍ مثلَ الصفا يسعون عليه سبياً. وأزل الله تعالى: ﴿إِذْ يَنْشَأُكُمُ النَّعَاسُ أَمَّةً مِنْهُ وَبَيِّنَلُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ وَيُدْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَعْرِفَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَثَبَّتْ بِهِ الْأَقْدَامُ﴾.

قال ابن إسحاق: وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء

- (١) القيان: الجوارى.
- (٢) المدوة القصوى: أى جانب الوادي القريب من مكة.
- (٣) القلب: جمع قلب، وهو البئر.
- (٤) المدوة الدنيا: أى بالجانب الأدنى من المدينة.
- (٥) الدهس: كل مكان سهل ليس برمل ولا تراب.
- (٦) كَثِيبٌ أَهْلٌ: أى رمل ساقط.
- (٧) الصفا: الهضبة الصلبة.
- (٨) في قراءة ابن كثير وأبى عمرو.

$\frac{A}{10}$

من ماء بدر نزل به ، فأتاه الحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْجَنْحُوعُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
هَذَا الْمَنْزِلُ مَنْزِلُ أَتْرَكَكَ اللَّهُ ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ ، وَلَا نَتَأَخَّرَعَهُ ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ
وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلِ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ
وَالْمَكِيدَةُ » . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فَإِنْ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى تَأْتِيَ
أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ فَتَنْزِلَهُ ، ثُمَّ نَسْجُرْ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ ، ثُمَّ نَبْقِي عَلَيْهِ حَوْضًا
فَنَمْلَأُهُ مَاءً ، ثُمَّ نَقَاتِلُ الْقَوْمَ فَنَشْرِبُ وَلَا يَشْرِبُونَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ » ، فَانْهَضَ بِالنَّاسِ وَمَارَحُوا [إِذَا] أُنِيَ أَدْنَى
مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ ، نَزَلَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْقَلْبِ فَتَوَرَّتْ ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي
نَزَلَ عَلَيْهِ ، فَمَلَأَ مَاءً ، ثُمَّ قَذَفُوا فِيهِ الْآتِيَةَ .

فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، نَبَيْتِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ ، وَتَكُونُ عِنْدَكَ
رَكَاتِكَ ، ثُمَّ نَلَقَى عَدُوَّنَا ، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوَّنَا كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا ،
وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى جَلَسْتَ عَلَى رَكَاتِكَ ، فَلِيَقِفَتْ بَيْنَ وَرَاءِنَا مَنْ قَوْمُنَا ، فَقَدْ
تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنْ نَلَقَى حَرِيًّا مَا تَخَلَّفُوا
عَنْكَ ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ يُنَاجِحُونَكَ وَيَجَاهِدُونَ مَعَكَ ، فَأَنَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ خَيْرًا ، ثُمَّ بَنَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشًا ، فَكَانَ فِيهِ .

قَالَ : وَارْتَحَلْتُ قَرِيضَ حِينَ أَصْبَحْتُ فَأَقْبَلْتُ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيضٌ قَدْ أَقْبَلْتُ بِجَمَلَاتِهَا وَغَرَفَهَا ،
تُحَاذِلُكَ وَتَكْذِبُ رَسُولُكَ ، اللَّهُمَّ فَانْصُرْكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمُ الْغَدَاءَ » .

(١) تصور القلب : تدقها . (٢) عن سيرة ابن هشام . (٣) للعريش : شبه
الخميرة يستظل بها . (٤) التمسك : الكبر والإعجاب . (٥) تحاذك : تعادلك .
(٦) أحْنِهِمْ : أَيْ أَهْلِكْهُمْ .

قال ابن سعد : كانت قريش تسمة ونحسين ، وخيلهم مائة فرس ، وكان لهم ثلاثة ألوية ، لواء مع أبي عَزْرَز بن عُمَيْر ، ولواء مع النَضْر بن الحارث ، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة .

- قال ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار وغيره ، عن أشياخ من الأنصار ، قال : لما أطمأن القوم بمنوا عُمر بن وهب الجُمَحِي فقالوا : أحرر لنا أصحابَ عَد ،
- بِفَالٍ بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصونه ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ، القوم كثيرٌ أو مدد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيْتُ شيئا ، ولكني رأيْتُ يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يترَب تحمل الموتَ النافع ، قوم ليس معهم [منعة] ولا ملجأ إلا سيوفهم ، أما ترونهم تُرَصا لا يتكلمون ، يتأملون ١٠ تملُظ الأناعي ، وإني ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتى يُقتل رجلٌ منكم ، فإذا أصابوا منكم أصدادهم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ؟ فرؤوا رأيكم .

- فلما سمع حَكِيم بن حِزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عُبَيْة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها ، والمطاعُ فيها ، هل لك ألا تزال تُذكرُ منها بغير ١٥ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حَكِيم ؟ قال : ترجعُ بالناس وتحملُ أمرَ حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلتُ ، على عَقْلِهِ ، فأتى ابنَ الحنفلية ، يسئُ أبا جهل بن هشام ، قال : فأنيته فقلتُ : يا أبا الحكم ، قد أرسلني إليك عُبَيْة

(١) الحذر : التقدير بالحذر واللعن . (٢) البلايا : جمع بلية ، وهي النافة تربط على غير الموت

فلا تلف ولا تسق حتى تموت . وكان بعض العرب ممن يقر باليث يقول : إن صاحبا يحشر عليا .

(٣) النواضح : الإبل التي يسقى عليها الماء . (٤) النافع : الثابت البالغ في الإفا .

(٥) ساقطة من أ . (٦) عقه : دبه .

بكنا وكنا ، فقال : انتفع والله بحره حين رأى عدا وأصحابه ، كلا والله لا ترجع
حتى يحكم الله بيننا وبين عدا ، ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك
يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت تأرك بعينك ، فقم فأشدد خُفرك ، ومقتل
أخيك . فقام عامر فأكتشف ثم صرخ : ^(٢) واغتره ! واغتره ! فغيت الحرب
وحقبت أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر . قال : فخرج الأسود بن
عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلا شرسا سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن
من حوضهم أو لأهديمته ، أو أمتن دونه ، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب ،
فلما ألتقيا ضربه حمزة فأطعن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على
ظهره ، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يربيه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله .
ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شعبة بن ربيعة ، وأبنته الوليد بن
عتبة ، حتى إذا برز من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار ،
وهم : عوف ومعوذ أبنا الحارث ، وعبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟
فقالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى منادهم :
يا عدا ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا ، فأخرج لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٥ (١) يقال : « انتفع بحره » لبيان أذى ملا أخوف جوفه . والسر : الرثة .
(٢) أشدد خفرك : أى اطلب من فريش الوفاء بخفركم لك ، أى عدا ، لأنه كان حليفاً لهم
وجاراً .

(٣) اكتشف : نرى من ثيابه . وفي الطبقات : « فكشف عامر وحنا على است التراب » .

(٤) كذا في ج وفي نظم المراجع . وفي أ : « العرب » .

(٥) حقب : اشتد .

(٦) استوسقوا : اجتمعوا .

(٧) أطن : أطار .

- عنه حمزة بن عبد المطلب، وعلى بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، فلما دثوا منهم قالوا: من أتم؟ فسمي كل رجل منهم نفسه، قالوا: ثم اكفاه كرام، فبارز عبيدة — وكان أسن القوم — عتبة، وبارز حمزه شيبه، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة وعلي^(١) فلما لم يمهلا مبارزتهما أن قتلاهما، وأختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلامهما أثبت صاحبه، وكر حمزة وعلي^(٢) بأسافهما على عتبة قذفا عليه، واحتملا صاحبهما لحازاه إلى أصحابه.

قال محمد بن سعد: وفي عبيدة وعتبة نزل قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾. قال: ثم زحف الناس ودنا بعضهم من بعض.

٩
١٤

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة.

١٠

وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف، ورجع إلى العريش، فدخله هو وأبو بكر الصديق ليس معه غيره فيه، وهو صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول: اللهم إني تهلك هذه العصابة اليوم لا أتعبد، وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجزك ما وعدك. وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة ثم آتبه، فقال: أنشأ يا أبا بكر، أناك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده، على ثيابه النقع.

١٥

(١) أثبت صاحبه: برحه براحه لم يتم معها.

(٢) ذفا عليه: أسرما فته.

(٣) حازاه: سارا جهن رفق. وفي أ: «جازاه».

(٤) يناشد ربه: يسأله ويرغب إليه.

(٥) خفق: قام توماسيرا.

(٦) النقع: الثياب.

٢٠

قال ابن إسحاق: **سُويح** مِهْجَ مولى عمر بن الخطاب بِسْمِ قُتَيْل، وكان أول قَيْل قُتِل من المسلمين، ثم رُبى حارثة بن سُرَاقَة، أحدُ بنى عَدِي بن النَجَّار، وهو يَشْرُبُ في الخوض بِسْمِ، فأصاب نَحْرَهُ، فَقُتِلَ.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يُحَرِّضُهُمْ، وقال: «والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يقاتلُهُم اليومَ رجلٌ يَفْتُلُ صابراً عَتِيباً مُقْبِلاً غير مُدْبِرٍ، إلا أدخله الله الجنة» ، فقال مُهَيْزِرُ الحُصَامِ أخو بنى سَلَمَةَ، وفي يده تمراتٌ يَأْكُلُهُنَّ: يَخُفُّ^(١)! أفسا بِنِي وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قَذَفَ التمرات من يده، وأخذ سَيْفَهُ وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

وقال عَوْفُ بن الحارث — وهو ابنُ عَفْرَاء — يا رسول الله: ما يُضِيكُ الرَّبُّ^(٢) من عبده؟ قال: تَحْمُسُهُ يَدُهُ في الدَّوْ حَايِرَا. فَتَرَجَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ رِيحَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

قال: ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفَنَةً من الحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَ بِهَا قُرَيْشًا، ثم قال: شَاهَتْ^(٣) الْوُجُوهُ، ثم فَتَحَهُمْ بِهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: شُدُّوا؛ فَكَانَتِ الْمُهْزِيْمَةُ عَلَى قُرَيْشٍ، فَقَتَلَ اللهُ مِنْ صُنَادِيْدِ قُرَيْشٍ مَنْ قَتَلَ، وَأَسْرَمَ مَنْ أَسْرَمَ.

قال محمد بن سعد: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿سَيَزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، قلت: وأى جمع يُزِمُ وَمَنْ يَفْلِبُ؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَيْبُ في الدرع وثبًا وهو يقول: ﴿سَيَزِمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، فعلمت أن الله تعالى سَيَزِمُهُمْ.

(١) يَخُفُّ: (بَكَسْرُ الْغَاوِ وَإِسْكَانُهَا) : كَلِمَةٌ تُقَالُ فِي مَوْضِعِ الْإِعْجَابِ.

(٢) يَضِيكُ الرَّبُّ: أَيُ رِضِيهِ غَايَةُ الرِّضَا. (٣) شَاهَتْ: فَجِثَ.

قال : ولما وضع القوم أيديهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 [في العريش] ^(١) وسعد بن معاذ قائم على باب العريش ، متوَّخ السيف ، في نفر من
 الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّة العدو ، فرأى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه سعد بن معاذ الكَرَامَةَ لما يصنع الناس
 فقال له : لَكَأَنِّي بك يا سعدُ تترك ما يصنع القوم ، قال : آجِل : والله يا رسول الله ،
 • كانت أوَّل وقعة أوقفها الله بأهل الشرك ، فكان الإنحناخ في القتل أحبُّ إلى
 من استبقاء الرجال .

وفي هذا اليوم أنزل الله تعالى الملائكة فقاتلوا مع المسامين .

قال محمد بن سعد : لما صَفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وعبَّاهم
 للحرب ، جاءت ريح لم يَر مثُلها شدة ثم ذهبت ، بغضت ريح أخرى ثم ذهبت ،
 ١٠ بغضت ريح أخرى ، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة
 عن يمينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثالثة إسماعيل في ألف من الملائكة
 عن يساره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت سبعا الملائكة يومئذ عمائم
 ١٥ قد أدرخوا بين أكفانهم : خُضْر وصُفْر وحمَر من نور ، والصُّبوف في نواصي
 خيلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إنَّ الملائكة قد سوَّمت
 فسوِّموا . فأعلنوا بالصوف في مَنَافِقهم ^(٢) وفلاَّئيمهم .
 قال : وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بلق .

وقال ابن إسحاق : حدَّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدَّث عن ابن عباس

رضي الله عنهما قال : حدَّثني رجل من بني غِفَار قال :
 ٢٠

(١) زياد بن أبيه عن أبيه هشام . (٢) المنفر : هو ما يليه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه .

أقبلتُ أنا وأبن عمي حتى أصعدنا في جبلٍ شرفٍ [بنا] على بدرٍ [ونحن مشركان] ^(١٢)
 ننظرُ الواقعةَ على من تكونُ الدائرةُ، نتهب مع من يتهب ، فيبنا نحن في الجبل
 إذ دنت منا صحابةٌ ، فسمنا فيها حَمَمَةَ الخيل ، فسمت قاتلاً يقول : أَقْدِمُ ^(١٣)
 حَيْرِزَم . قال : فأتانا ابنُ عمي فأنكشف قناعُ قلبه ، فأت مكانه . وأما أنا فكنت
 أن أهلك ، ثم تماسكت .

وروى ابن إسحاق عن أبي أسيد مالك بن ربيعة — وكان شهيداً بدرًا —
 قال — بعد أن ذهب بصره — : لو كنتُ اليوم بيدر ومعي بصري لأرىكم ^(١٤)
 الشعبَ الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أتمارى .

وجن أبي داود المازني ، قال : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر
 لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قتله غيري .

١٠
١٥

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : كانت سماء الملائكة يوم بدر
 عمامهم بيضاً قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حُتَيْنِ عمامهم حمراء ، وفي حديث آخر عن
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كانت سماء الملائكة يوم بدر عمامهم بيضاً قد
 أروحوها على ظهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لم تُقاتل الملائكة في يوم سوى يوم
 بدر ، وكانوا فيها سواه من الأيام عدداً ومداً لا يضر بون .

١٥

(١) زيادة عن به . (٢) زيادة عن الطبري ، وابن هشام .

(٣) في المروءات الدينية ، والروض الأنف : « الدبرة » ، وصنها : المزة .

(٤) أقدم . كما صوّبه صاحب اللسان : كلمة تزجربها الخيل . وحيزوم : اسم فارس جبريل .

عليه السلام . ويقال فيه : « حيزون » .

٢٠

(٥) الشعب : الطريق في الجبل . (٦) أتمارى : أشك .

قال : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو [يقاتل و] يقول :

ما تنقسم الحرب الموان مني • بازل عامين حديث سني^(١)

• لنيل هذا ولدتي أمي •

- قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أمر أن يلتصق
أبو جهل بن هشام في القتلى ، فبرز به عبد الله بن مسعود ، قال : فوجدته بأثر
رمق ففرقه ، فوضعت رجل على عنقه ، فقال لي : لقد آرتقيت يا رويي الغنم
صرتي صعبا ، ثم قال : أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ فقلت : لله ولرسوله ، ثم احتزمت
رأسه ، ثم جئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا
رأس عدو الله أبي جهل ، فقال : آله الذي لا إله غيره ؟ قلت : نعم والله الذي
لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ومن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : لما أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالقتل أن يطرحوا في القليب ، طرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفع
في درعه فسلأها فذهبوا ليحركوه قرايل ، فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب
والجسارة ، قالت : ولما ألقوا في القليب ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فإني قد وجدت ما وعدني »

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام . (٢) الحرب الموان : هي التي توتل فيها مرة . البازل :

أصله في الجبر ، يقال : بمر بازل ، إذا استكمل السنة الثامنة ، وطمح في التاسعة ، والكلام هنا على التشبيه ،
يريد أن يقول : أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة . (٣) « آله الذي لا إله إلا هو » : كانت

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالغفض عند سيويه لأن الاصطفاة عرض من الخافض عنه .

راجع الروض الألف ٢ ص ٧٢ . (٤) ترايل : تفرق لجه .

ربى حقا « قالت : فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتتكلّم قوماً موتى ؟ فقال لهم : « لقد علموا أنّ ما وعدهم ربهم حق » . وعن أنس رضى الله عنه نحوه ، إلا أنّ فيه : فقال المسلمون : يا رسول الله ، أتتادى قوماً قد جيفوا ^(١) ؟ قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يُجيبوني » .

قال ابن إسحاق : وكان الفتيّة الذين قُتلوا بدير — فترل فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ — الحارث بن زَمْعَةَ بن الأسود ، وأبو قيس بن النكاكة ابن المضيرة ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ، والماص ابن منبه .

وذلك أنهم كانوا أسلموا بمكة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حبسهم آباءهم وحشائهم بمكة وقتلهم فأقتنوا ، ثم خرجوا مع قومهم إلى بدر ، فأصيبوا كلّهم .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في السكركم جمع الناس بجمع ، وأختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو : والله لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم ، وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدو : ما أنتم بأحقّ منا ، لقد رأينا أن قتل العدو إذ منحنا الله

(١) جيفوا : صاروا جيفا .

(٢) الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى « وما أنت بأسمع من في القبور » ، تجده واضحا في الروض الأثف ، ج ٢ ص ٧٤ ، وفي شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٥٢٢ .

أَتَكْفَهُمْ، ولقد رأينا أنت تأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، وليكنّا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو فقمنا دونه، فما أتم أحق به منا .
فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا لَوْلَاكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُبُلِ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ ، نزلت السورة مجملتها في غزوة بدر .

- قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين والتفلس^(١)، وجعل على النفل عبد الله بن كعب المازني ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضيق الصفراء، نزل على كتيب بين المضيق وبين النازية ، يقال له : سِير ، إلى سِرْحَة [به] وهو من المدينة على ثلاث ليال ، فقسم هناك النفل الذي أذاه الله على المسلمين على السواء .

- ١٠ قال ابن سعد : وتنقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيته ذا الفقار ، وكان لمنبه بن الججاج ، فكان صفيه يومئذ ؛ وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمه مع المسلمين ، وفيه جمل أبي جهل بن هشام ، وكان مَهْرِيًّا^(٢) ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة ، وبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية .

- ١٥ قال ابن سعد يرثه إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة، كما خرج طالوت ،

(١) النفل : التهمة . (٢) في الأصل : « المضيقين » وما أثبتناه عن ابن هشام .

(٣) النازية : عين على طريق الآخذ من مكة إلى المدينة ، قرب الصفراء .

(٤) السرحة : الشجرة الطليعة . (٥) تكة من ابن هشام .

٢٠ (٦) مهري : نسبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان باليمن .

فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا ، فقال : " اللهم انهم حُفَاءٌ فَاتَّحِلْهُمْ ، اللهم انهم عُرَاءٌ فَأَكْسُهُمْ ، اللهم انهم جِنَاحٌ فَاشِيْمُهُمْ " .

ففتح الله يوم بدر فَاَقْلَبُوا حِينَ أَهْلَبُوا ، وما فيهم رجل إلا وقد رجح بجمل أو جملين ، فَأَكْتَسَوْا وَشِيمُوا .

وقال يرفعه إلى عِكْرَمَةَ قَالَ : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من أهل بدر : عليك بالعير ليس دونها شيء ، فأداه العباس : إنه لا يصلح ذلك لك ، قال : لِمَ ؟ قال : لأن الله تعالى وَعَدَكَ إِحْدَى الطائفتين ، فقد أعطاك ما وعدك .

ذِكْرُ ورود الخبر بمصّاب أهل بدر على مَنْ بِمَكَّةَ من كفار قريش .
وهلاك أبي لهب بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : كان أول من قدم مكة بمصّاب قريش الحَيَّان بن عبد الله الخُزَاعِيّ ، فقالوا له : ما ورامك ؟ قال : قُتِلَ عُتْبَةُ بن ربيعة ، وَشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وَأُمِيَّةُ بن خلف ، وَزَمْعَةُ بن الأسود ، وَنُبَيْهٌ وَنُبَيْهَةُ ابْنَا الجَحَاج ، وأبو الْبَخَرِيِّ ، وجعل يستد أشراف قريش ، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد في الجحجر : والله إن يَمِيقَ هذا فاسأله عنى ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالس في الجحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قَتَلَا .

وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد داخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أم الفضل ، وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه [وكان

- ذامال كثير متفرق في قومه^(١). وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاص
ابن هشام بن المغيرة [وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً^(٢)،
فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة
وعزا، وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أمتح الأعداح في حجة زمزم، فوالله
إني لبالس فيها أمتح أقداسي وعندي أم الفضل جالسة، وقد سرتنا ما جاءنا من
الخبر إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر، حتى جلس على طنب الحجرة^(٣)، وكان ظهري
إلى ظهره، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب. فقال أبو لهب: هلم إلي. فيندك لعمري الخبر. قال: بلخس
إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أمي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال:
واقه ما هو إلا أن لقينا التميم ففتحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاموا، ويأسرونا
كيف شاموا، وأيم الله مع ذلك ما ملئت الناس، لقينا رجالاً يضاً، على خيل بلقي
بين السماء والأرض، واه ما يلقى شيئاً ولا يقوم لها شيء^(٤).

- قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة [بيدي^(٥)] ثم قلت: تلك واه الملائكة.
قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فتاورته فأحتملي^(٦)،
فضرب بي الأرض، ثم بك على صدري، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل
إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربت به ضربة ففقت رأسه شجة منكبة، وقالت:
١٥

(١) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٢) طنب الحجرة : طرفها . والمطلب أيضاً : جبل طويل يشد به مرادق البعث .

(٣) كذا في ج . وفي أ : « الناس » .

(٤) ساقطة من أ .

(٥) ثورته : واهجه .

(٦) كذا في أ . وفي ج : « ففقت في رأسه » . وفي النسخة : « ففقت في رأسه » .

أستضعفه أن غاب عنه سيده ؟ فقام موليًّا ذليلاً ، فوافقه ما حاش إلا سبع ليال
(١) حتى رماه الله بالعدسة فقتلته .

وقالت قريش في قتل بدر سرائي كثيرة ذكرها ابن هشام وغيره ، تركها إرادتها
رغبة في الاختصار ، ولأنه ليس تحت ذلك كبير فائدة فيما نحن بصدده ، إلا أنها
تشهد بقتل من قُتل ممن نذكره إن شاء الله تعالى .

ذِكْرُ تسمية من شهد بدرا من المهاجرين والأنصار

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت جميع من شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين
ومن ضرب له فيها بسهمه وأجره ثلثائة رجل وأربعة عشر رجلاً ، من المهاجرين
ثلاثة وثلاثون (٢) ، ومن الأنس أحد وستون ، ومن الخزرج مائة وسبعون .

فأما من شهد بدرا من المهاجرين ، ومن ضرب له بسهمه وأجره ،
فشهدا من بنى هاشم بن عبد مناف اثنا عشر رجلاً ، وهم : سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وحبيزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد
ابن حارثة ، وأمنة الحبشي ، وأبو كعبشة الفارسي ، موالى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وأبو مرتد نخز بن حصين ، وأبنة مرتد ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ،
وعبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه : الطفيل ، والحصين ، وسطح ، وأسمه
عوف بن أمية بن عبد بن المطلب (٣) .

(١) العدسة : قرعة تامة كالطاعون . وكان العرب يشاحسون بها ، ويرون أنها شديدة العدوى .

(٢) في ١ : « ثلاثة وثلاثون » وهو خطأ .

(٣) كما في ٢ ، وهو يوافق ما في نسخة واحدة فقط . وفي ١ : « ابن عبد المطلب » .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم خمسة عشر رجلاً،
 وهم : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم موله . ومن حلفائهم من بنى أسد
 ابن خزيمه عبد الله بن جحش بن رثاب ، وعُكاشة بن محصن ، ونجاش بن وهب
 ابن ربيعة ، وأخوه عتبة ، ويزيد بن رقيش بن رثاب ، وأبو سنان بن محصن
 ابن حُرثان^(١) أخو عُكاشة ، وأبنة سنان ، ومُحرز بن نضلة بن عبد الله وربيعة بن
 أكرم بن ثعلبة بن عمرو . ومن حلفائهم بنى كبير بن غنم بن دودان بن أسد :
 ثقف بن عمرو ، وأخواه مالك ، ومُدلاج^(٢) ، وهم من بنى حجر آل بن سليم ،
 وأبو عثني ، حليف لهم .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف رجلان، وهما : عتبة بن غزوان، وخباب
 موله .

ومن بنى أسد بن عبد العزى ثلاثة نفر ، وهم : الزبير بن العوام
 وحاطب بن أبي بلتعة ، وسعد موله .

ومن بنى عبد الدار رجلان، وهما : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
 ابن عبد الدار، وسُوَيْبَط بن سعد بن حريملة، ويقال : ابن حرملة بن مالك بن
 عُمَيْلَةَ بن السَّبَّاق بن عبد الدار .

(١) هذه رواية ابن هشام . وفي الاستيعاب ، والإصابة ، وأسد الغابة : « رقيش بن رباب » .
 وفي الأصول : « قيس بن رثاب » .
 (٢) ق ١ : « محسن وحرثان » .
 (٣) كذا في نسخة ، وفي ١ « كثير » ، تحريف .
 (٤) كذا في الأصول : وفي رواية أخرى لابن هشام ، وفي الاستيعاب : « مدلاج » .

ومن بنى زُهرة بن كلاب وحلفائهم تسعة نفر ، وهم : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو وقاص مالك بن أهيب ، وأخوه محمد بن أبي وقاص . ومن حلفائهم : المقداد بن عمرو بن ثعلبة ، وعبد الله بن مسعود ابن الحارث ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو ، وذو الشَّيْلَيْن عُمر بن عبد عمرو بن نضلة ، وخبَّاب بن الأَرْت .

ومن بنى تميم بن مرة ومواليهم أربعة نفر ، وهم : أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومواليه ، بلال بن رباح ، وعامر بن فهيرة ، وصهيب بن سنان .

ومن بنى مخزوم خمسة نفر ، وهم : أبو سَلَمَةَ عبد الله بن عبد الأسد وثُمَّاس بن عثان بن النُريد ، وأسم شماس عثان ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وأبو الأرقم هو عبد مناف بن أسد ، وعمار بن ياسر ، ومعتب بن عوف بن عامر حليف لهم .

ومن بنى عدى بن كعب وحلفائهم اثنا عشر رجلاً ، وهم : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأخوه زيد ، ومهجع مولى عمر ، وعمر بن سُرَّاقَة بن الْمُحْتَمِر وأخوه عبد الله ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عُمَرَيْن ، حليف لهم ، [وعامر ابن البَكَيْر ، وأخواه خالد ، وإياس ، حلفاء بنى عدى] ، وخولّى بن أبي خولّى ، وأخوه مالك ، حليفان لهم — ومنهم من عدّ هلال بن أبي خولّى — وعامر بن أبي ربيعة ، حليف لهم] .

(١) في أسد الغابة : « وهيب » .

(٢) قال ابن هشام : إنما قيل له : « ذو الشَّيْلَيْن » لأنه كان أعسر .

(٣) ما بين المربعين ساقط من أ .

ومن بنى مجمع خمسة قصر ، وهم : عثمان بن مظعون ، وأبنة السائب وأخوه قُتَيْبَة ، وجد الله ، أبنا مظعون ، ومُتَمَر بن الحارث بن معمر .

ومن بنى سهم بن عمرو : خُتَيْس بن حُذَافَة بن قيس .

- ومن بنى عامر بن لؤي خمسة قصر ، وهم : [أبو سَعة ^(١) بن أبي رُم بن عبد المزني ، وعبد الله بن محمرة بن عبد المزني ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو .
- وكان قد خرج مع أبيه سُهَيْل ، فلما نزل الناس بدوا فز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدوا معه — ومُخَيْر بن عَوْف ، مولى سُهَيْل بن عمرو ، وسعد ابن خُوَلاء ، حليف لهم .

- ومن بنى الحارث بن فهر خمسة قصر ، وهم : أبو عُبَيْدة عامر بن عبد الله ابن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن ذُهَيْر ، وسُهَيْل بن ربيعة بن هلال ، وأخوه صفوان بن وهب ، وهما أبنا بيضاء ، وعمرو بن أبي شرح بن ربيعة .
- هؤلاء الذين شهدوا بدرا من المهاجرين .

- وأما من ضرب له سهمه وأجره ، قُتَيْبَة قصر ، وهم : عثمان بن عفان — وقد قُتِلَ من قبله — وطلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن مُهَيْل ، وكانا قد بشما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشام يَحْمِسَان له خبر البئر ، قداما بعد غزوة بدر ، فضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سهمهما ، قالا : يا رسول الله ، وأجرنا ، قال : وأجركما .

(١) ما بين المربعين ما قبل من ١ .

(٢) في الأصل : « وهب » . وما ذكرناه رواية أسد الغابة والإمامة والاحتجاب والسيرة .

- وأما من شهدها من الأوس ومن غلب وغُرب له فيها بسببه وأجره ،
 فهم أحد وستون رجلا ، شهدها منهم ستة وخمسون رجلا ، وهم : سعد بن معاذ
 ابن النعمان ، وأخوه عمرو بن معاذ ، والحارث بن أنس بن رافع ، وسعد بن زيد
 ابن مالك ، وسَلَمَةُ بن سَلَامَةَ بن وَقَش ، وعَبَاد بن بشر بن وَقَش ، وسَلَمَةُ بن
 ثابت بن وَقَش ، ورافع بن يزيد بن كُرْز ، والحارث بن نَزْمَةَ بن عَدَى ، حليف لهم ،
 ومحمد بن سَلَمَةَ بن خالد ، حليف لهم ، [وسَلَمَةُ بن أسلم بن حَرِيش ، حليف لهم] ،
 وأبو الهيثم بن التيهان ، وأخوه مُعَيْد بن التيهان — قال ابن هشام : ويقال :
 عَتِيق بن التيهان — وعَبْدُ اللَّهِ بن سُهَيْل ، وقَتَادَةُ بن النعمان بن زيد ، ومُعَيْد
 ابن أوس بن مالك — وعبيد هو الذي يقال له : مُقَرَّن ، لأنه قَرَنَ أربعة أسرى
 في يوم بدر ، وهو الذي أسر عَقِيل بن أبي طالب يومئذ ، [ونصر بن
 الحارث بن عبد بن رِزَاح بن كعب] ، ومُعَتَّب بن حبيد ، وعبد الله بن طارق
 حليف لهما من بِلَى ، ومسعود بن سعد بن طامر ، ويقال فيه : مسعود بن عبد
 سعد ، وأبو عَتَس بن جبر بن عمرو ، وأبو بَرْقَةَ بن نَيْسَار ، وأسمه هَانِي ، حليف
 لهم من بِلَى ، وطاسم بن ثابت بن قَيْس ، ومُعَتَّب بن قُشَيْر ، وأبو هَلِيل بن
 الأزعر بن زيد ، وعمرو بن مُعَيْد بن الأزعر ، وقيل فيه : ثُمَيْم بن
 مُعَيْد ، وسُهَيْل بن حُتَيْف بن واهب ، ومُيْثَر بن عبد المُنْظَر بن زَيْد ، وأخوه
- (١) في أ : « رافع » ، تصحيف . (٢) كذا في السيرة والاحتجاب والإصابة . وفي الأصول :
 « كُرْز » ، وفي رواية أخرى للاحتجاب : « رافع بن زيد » . (٣) ما بين المربعين ساقط من أ .
 (٤) في ب : « سهيل » ، والصواب ما أثبتناه . وانظر أسد الغابة . (٥) ما ذكرناه ، رواية
 الإصابة . وفي سيرة ابن هشام : « ومن بن عبد بن رزاح نصر بن الحارث » وفي الأصول : « ورزاح
 ابن كعب بن نصر بن الحارث » ولم يعرف هذا الاسم فيمن شهد بدرا . (٦) في أ : « عتيف » ،
 تصحيف . (٧) كذا في الإصابة والسيرة . وفي الأصول : « زبير » ، تصحيف .

- رفاعة ، وسعد بن عبيد بن النعمان ، وعويم بن ساعدة ، وواقع بن عنبدة ، وعبيد ابن أبي عبيد ، وثعلبة بن حاطب ، وأُنَيْس بن قنادة بن ربيعة . ومعن بن عدى ابن الجعد من حلفائهم ، وثابت بن ثعلبة ، وعبد الله بن سلمة ، وزيد بن أسلم بن ثعلبة ، وربيعة بن واقع بن زيد ، هؤلاء الخمسة من حلفائهم من بني ، وعبد الله ابن جبير بن النعمان [وعاصم بن قيس بن ثابت ، وأبو ضيَّاح ثابت بن النعمان وأخوه أبو حنيفة - ويقال : أبو حنيفة - وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان ، والحارث ابن النعمان] بن أمية ، ومُنذر بن محمد بن عتبة ، وأبو حُقَيْل بن عبد الله بن ثعلبة من حلفائهم ، وسعد بن خثيمة بن الحارث ، ومُنذر بن قدامة ، ومالك بن قدامة ابن حُرَيْفة ، والحارث بن حُرَيْفة ، ونعيم مولى بني ختم ، وجبير بن حنيفة بن الحارث ومالك بن ثعلبة ، حليف لبني معاوية من مَزِينة ، والنعمان بن عَصْر ، حليف لبني معاوية من بني . هؤلاء الذين شهدوها من الأوس .

- وأما من ضرب له بسهمه وأجره منهم نفمة نفر ، وهم : أبو لُبابة وآسمة بشير بن عبد الله ، والحارث بن حاطب ، وحاطب بن عمرو بن عبيد وعاصم بن عدى بن الجعد بن النعمان ، وخوات بن جبير بن النعمان .
- وأما من شهدوها من الخزرج ومواليهم وحلفائهم فثلاثة وسبعون رجلا :
- خازبة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير وعبد الله بن رواحة بن أمراء القيس ، وخالد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو

(١) ما بين المربعين ساقط من أ -

(٢) كذا في ج وهو يوافق ما في السيرة ، وفي أ : « جبير » .

(٣) في الأصول : « عيسر » وهو تحريف .

وبشير بن سعد بن ثعلبة ، وأخوه سمالك بن سعد ، وسبيع بن قيس بن عيشة بن
 أمية ، وأخوه عباد بن قيس ، وعبد الله بن عيس ، وزيد بن الحارث بن قيس
 وخبيب بن إساف بن عتبة ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة ، وأخوه حرث بن
 زيد ، وسفيان بن ثمر بن عمرو بن الحارث ، وتميم بن يعار بن قيس ، وعبد الله
 ابن عُمير بن عدى ، وزيد بن المزين بن قيس ، وعبد الله بن عُرْفطة بن عدى ،
 وعبد الله بن ربيع بن قيس ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي [بن] مالك ، وأوس
 ابن خولى بن عبد الله بن الحارث ، وزيد بن ودعة بن عمرو بن قيس بن جَزْء
 وعُقبه بن وهب بن كَلْدَة ، حليف لهم من بني عبد الله بن غطفان ، ورفاعة بن
 عمرو بن ثعلبة ، وعامر بن سلمة بن عامر ، حليف لهم من اليمن ، وأبو حمضة
 عباد بن قشير بن المقدّم ، وعامر بن البكير ، حليف لهم ، ونوفل بن عبد الله بن
 نَفْضَلَة ، وعُباد بن الصامت بن قيس بن أصرم ، وأخوه أوس بن الصامت
 والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد ، وهو الذي يقال له : قَوْلٌ ، وثابت بن هزال
 ابن عمرو بن قُريوش ، ويقال : قُريوس ، ومالك بن الدخشم بن مالك ، وربيعة

١٢
١٥

(١) في أ : « مال » .

(٢) قال ابن الأثير : « ويقال عائشة » . ١٥

(٣) في الأصول : « بشر » ، تصحيف .

(٤) في الأصل : « معاذ » وهو تصحيف .

(٥) كذا ضبطه الفارطى بضم الميم وفتح الزاى وتسكين الياء . راجع أسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ .

(٦) زيادة عن جميع المراجع . (٧) وفي رواية عن ابن إسحاق : « أبو نعيمة » .

(٨) قال في الاستيعاب : « إن النعمان هذا كان ذا عزم ومنعة ، فكان يقال لخائف إذا جاءه : ٢٠

« قورل حيث شئت فأنت آمن » . قتيل أبي غنم وبن سالم نذك : قوافله . وفي القاموس : القورل :

اسم رجل من الأصبار ، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو يستتر بقال له : « قورل في هذا

الجبل وقد أمنت » ، أى ارتقى .

ابن إياس، حليف ليني لَوْذَان من اليمن، والمُجَدَّر بن زياد بن عمرو، وأسم المجدَّر، عبد الله حليف لهم من بني ^(١)، وعُجَاد بن النخَشَاش بن عمرو، حليف، ونَجَاب بن ثعلبة بن تَزْمَة ويقال: بَنَات، وعبد الله بن ثعلبة بن تَزْمَة، وعُتْبَة بن ربيعة بن خالد بن معاوية، حليف لهم، وهو من بني سُلَيْم، وأبو دُجَانَة يَمَّاك بن نَرَشَة.

- قال ابن هشام: سَمَّاك بن أَوْس بن نَرَشَة، والمُنْدَر بن عَمْرُو بن خُنَيْس بن حَارِثَة. وأبو أُسَيْد مَالِك بن رِبْعَة، ومَالِك بن مَسْعُود الْيَدِي، وعبد ربه بن حَقّ ابن أَوْس بن وَقْش بن ثعلبة بن طَرِيف.

ومن حلفائهم من جهينة: كَسْب بن حَاز بن ثعلبة — ويقال: حَار، وهو من قُبَشَان — وَهْمَرَة، وَبَسَس، وَزِيَاد، بنو عمرو.

- ١٠. وعبد الله بن عامر من بني ^(٢). ونِشَاش بن الصَّعَة بن عمرو بن الجَمُوح، وتَمِيم مولى نِشَاش بن الصَّعَة، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح، ومُعَوِّذ بن عمرو بن الجَمُوح، وَخَلَاد بن عمرو بن الجَمُوح، وَعُفْة بن عامر بن ثَابِي، وَحَبِيب بن أَسُود، مولى لهم، وَثَابِت بن ثعلبة بن زَيْد بن الحَارِث، وَثعلبة الذي يقال له: الْخَذْع، وَعَمِير بن الحَارِث بن ثعلبة بن الحَارِث، وَبِشْر بن الْبَرَاء ابن مَعْرُور بن مَحْضَر، وَالطَّقِيل بن مَالِك بن النَّمَان، وَسَنَان بن صَبِيح بن مَحْضَر.
- ١٥. وعبد الله بن الْخَدَّج بن قَيْس بن مَحْضَر، وَخَارِجَة بن حُمَيْر، وعبد الله بن حَمِير، حليفان

(١) كذا في الأصول، وهو ما يوافق ما في سيرة ابن هشام وابن كثير وفي أسد الغابة: «ميادة».

وفي رواية: «الحساس». (٢) في الأصول: «تربة»، وهو تصحيف، صوابه من

القاموس والإصابة. (٣) كذا في الأصول، وفي أسد الغابة والإصابة: «الدين».

(٤) في ١: «ومن جهينة».

(٥) كذا في سيرة ابن هشام، والروض الأضيق، والإصابة، وأسد الغابة. وفي الأصل: «عمر».

لهم من أشجع من بني دُهمان، وجبار بن مَهر بن أمية بن خُتاس، ويزيد بن المنذر
 ابن سرح، وأخوه مَعْقِل بن المُنْزِر، وعبد الله بن النُعمان بن بلْدَمَة، ويقال :
 بلْدَمَة وبلْدَمَة، والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة، وسواد بن ذُرَيْق بن ثعلبة،
 ومُعبد بن قيس بن مَهر، وأخوه عبد الله بن قيس، وعبد الله بن عبد مناف بن
 النُعمان، والنُعمان بن قيسار مولى لبني النُعمان، وأبو المنذر بن يزيد بن عامر بن
 حديد، وسَلَم بن عمرو بن حديد، وقُطَيْب بن عامر بن حديد، وعُتْرَة مولى مسلم
 ابن عمرو، وعيسى بن عامر بن عدى، وثلْبة بن غنم بن عدى، وأبو اليسر،
 وهو كعب بن عمرو بن قباد بن عمرو، ومسلم بن قيس [بن أبي كعب، وعمرو بن
 طلق بن زيد بن أمية، ومعاذ بن جبل بن عمرو، وحارثة بن مالك بن غُصْب
 ابن جُشم، وقيس بن حِصْن بن خالد بن مُخَلَّد، ويقال: قيس] بن حِصْن، وأبو خالد،
 وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد، وجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مُخَلَّد، وأخوه
 حُقبَة بن عُمَان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد، وذُكْوَان بن [عبد] قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد، ومسمود
 ابن خَلْدَة بن عامر بن مُخَلَّد، وعَبَاد بن قيس بن عامر بن خالد، وأسمد بن مَزيد
 ابن الفاكِه بن زيد بن خَلْدَة، والفاكِه بن يَشر بن الفاكِه بن زيد، ومُعَاذ بن
 مَاعِص بن قيس بن خَلْدَة، وأخوه عَائِذ بن مَاعِص، ومسمود بن سعد بن قيس
 ابن خَلْدَة، ورفاعة بن رافع بن مالك بن المَجْلَان، وأخوه خَلَاد بن رافع، وعُبَيْد
 ابن زيد بن عامر، ويزيد بن لَيْبَد بن ثعلبة بن سنان، وفَرْوَة بن عيسر بن ودقة

(١) في الأصول : « عترة » . وما ذكره الصواب .

(٢) في الأصول : « سيل » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) زيادة عن الإصالة وأسد الناقة والانتساب .

(٥) قال ابن هشام : « ويقال : « ودقة » . وفي الانتساب ، وأسد الناقة : « وردة » .

- ابن عبيد، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان، ورجيلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة،
وعطية بن نورية بن عامر بن عطية، ورافع بن المعلل بن لؤذان، وأبو أيوب خالد
ابن زيد بن كليب بن ثعلبة^(١)، وثابت بن خالد بن النعمان، وعمارة بن حزم بن زيد
ابن لؤذان بن عمرو، وسراقة بن كعب بن عبد المزي بن غزيرة، وحارثة بن النعمان
ابن زيد بن عبيد، وسليم بن قيس بن قهدة^(٢)، وسهيل بن رافع بن أبي عمرو بن
• عاذ، وعدى بن أبي الزغباء، حليف لبني عاذ من جُهينة، ومسعود بن أوس
ابن زيد، وأبو حزيمة بن أوس بن زيد، ورافع بن الحارث بن سواد بن زيد،
وعوف، ومعوذ، ومعاذ، بنو الحارث بن رفاع، وهم بنو عقراء بنت عبيد بن ثعلبة،
والنعمان بن عمرو بن رفاع بن سواد، ويقال: نُمَيان؛ وعامر بن مخلد بن الحارث
ابن سواد، وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحارث بن سواد، وعصيمة،
• حليف لبني سواد من أنصج، ووديعه بن عمرو، حليف لهم من جُهينة، وثابت بن
عمرو بن زيد بن عدى بن سواد — قال ابن هشام: وزعموا أن أبا الحمراء مولى
الحارث بن عقراء شهد بدرا — وثعلبة بن عمرو بن محصن بن عمرو بن عتيك،
والحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك، كُسر بالروحاء، فضرب له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسهمه، وأبي بن كعب بن قيس، وأنس بن مُعَاذ بن أنس بن قيس،
• وأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو شيخ أبي بن ثابت بن المنذر بن حرام.
قال ابن هشام: أبو شيخ [أبي بن ثابت]^(٣) أخو حسان بن ثابت، وأبو طلحة
زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، وحارثة بن سراقة بن الحارث بن عدى،

(١) في أ: «كأب» - (٢) كذا في الأصول، واسد الغابة والإمامة - وفي سيرة
ابن هشام: «قهد» - (٣) كذا في سيرة ابن هشام - وفي الأصول: «أبو شيخ بن
أبي نيت» - راجع الاستيعاب ص ٧١٥ - (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام -
(٥) كذا في سيرة ابن هشام، وفي الأصل: «أبو» -

وعمر بن نعلبة بن وهب بن عدي، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك،
وأبو سليط - وهو أسيمة بن عمرو - وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي،
وعامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك، وعمر بن عامر بن مالك بن عدي،
وسواد بن غزيرة بن أهيب، حليف لبني عدي بن النجار.

وأبو زيد قيس بن سكين بن قيس، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن ميس
ابن حرام، ويقال: أبو الأعور الحارث بن ظالم، وسلم بن ملحان، وأخوه حرام
- وأسم ملحان: مالك بن خالد بن زيد - وقيس بن أبي صعصعة - وأسم
أبي صعصعة: عمرو بن زيد بن عوف - وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف،
وعصيمة، حليف لبني مازن بن النجار من بني أسد بن خزيمه، وأبو داود عُمير
ابن عامر بن مالك بن خنساء، وسرافقة بن عمرو بن عطية بن خنساء، وقيس بن
مخلد بن نعلبة بن محضر بن حبيب، ومسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار،
وأخوه لأمه الضحاك، والنعمان، أبنا عبد عمرو، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن
حارثة، وسعد بن صهيل بن عبد الأشهل، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك،
وبجير بن أبي بجير، حليف لبني قيس بن مالك.

هؤلاء الذين عدهم محمد بن إسماعيل.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكرون في الخبزج من شهد بدرا عتيان
ابن مالك بن عمرو بن السجلان، ومثيل بن وبرة بن خالد بن العجلان، وعصمة بن
الحصين بن وبرة بن خالد بن العجلان، وهلال بن المعلل بن لؤذان بن حارثة.

(١) في ١: «عمر بن مالك»

(٢) في ١: «أبو زيد بن قيس»

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرَ

- كَانَ مِنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةَ نَفَرٍ، وَهُمْ : عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، قَتَلَهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، قَطَعَ وَجْهَهُ فَاتَ بِالصَّفْرَاءِ فِي قُفُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَحْمِيرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَهُوَ أَخُو سَعِيدٍ، وَذُو الثَّمَالَيْنِ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ نَضْلَةَ الْخُرَاسِيِّ، حَلِيفُ لَبْنَى زُهْرَةَ، وَعَاقِلُ بْنُ الْبَكْرِ، حَلِيفُ لَبْنَى عَدَى بْنِ كَعْبٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ، وَمِهْجَعٌ، مَوْلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، وَصَفْوَانُ بْنُ يَثْبَاءَ، مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ .
- وَمِنَ الْأَنْصَارِ ثَمَانِيَةٌ وَهُمْ : سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ، وَمُبَشَّرُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذَرِ بْنِ زُبَيْرٍ، وَيزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ، وَتَحْمِيرُ بْنُ الْحَمَامِ، وَرَافِعُ بْنُ الْمُعَلِّ، وَحَارِثَةُ بْنُ سُرَاقَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَعَوْفٌ، وَمُعَوَّذُ، ابْنَا الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرَ

- كَانَتْ عِدَّةُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزَاةِ بَدْرَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَمَوَالِيهِمْ وَحُلَفَائِهِمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَهُمْ : عُتْبَةُ ابْنُ أَبِي مُطَيْطٍ، قُتِلَ صَبْرًا بِحَرْقِ النَّظِيَّةِ^(١) عِنْدَ قُفُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ — حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ — : فَنِ

(١) ذَكَرَ الرَّائِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ رَدَّ عَمِيرًا هَذَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّهُ اسْتَصْفَرَهُ، فَبَكَى عَمِيرٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَاءَهُ أَذْنَهُ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَقَتَلَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً (رَاجِعِ الْمُنْتَزِعَ لِلرَّائِدِيِّ وَالرُّوُضَ الْأَخْضَرَ) .

(٢) يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا حَبَسَ عَلَى الْقَتْلِ حَتَّى يَمُوتَ : قَتَلَ صَبْرًا .

(٣) عَرَقَ النَّظِيَّةُ : بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ قَرِيبَ الزُّوْحَاءِ .

للقبيلة يا محمد ؟ قال : النار ! قتله عاصم بن ثابت بن الأفلح ، وحفظته بن
 أبي سفيان بن حرب ، قتله زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 ويقال : أشترك فيه حمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ،
 والحارث بن الحضرمي ، وعاصم بن الحضرمي ، حليفان لهم . قتل عامرا غمار
 ابن ياسر ، وقتل الحارث الثمالي بن عَصْر ، حليف الأوس ، وعُمَيْر بن أبي
 عمير ، وأبنته ، مَوْلَانِ لهم . قتل عَمِيرَا سالم مولى أبي حَذِيفَةَ ، وعُبَيْدَةَ بن معبد
 ابن العاص بن أمية بن عبد شمس ، قتله الزبير بن العوام ، والعاص بن سعيد بن العاص
 ابن أمية ، قتله عاصم بن ثابت بن الأفلح ، صبرا ، وقيل : قتله علي بن أبي طالب ،
 وعُتْبَةُ بن ربيعة بن عبد شمس ، اشترك فيه عُبَيْدَةُ بن الحارث ، وحمزة بن عبد المطلب
 وعلي بن أبي طالب ، وشَيْبَةُ بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله حمزة بن عبد المطلب ،
 والوليد بن عُتْبَةَ بن ربيعة ، قتله علي بن أبي طالب ، وعاصم بن عبد الله ، حليف
 لهم من بني أنمار ، قتله علي ، ووهب بن الحارث ، حليف لهم من بني أنمار ، وعاصم
 ابن زيد ، حليف لهم من اليمن .

١٦
١٥

ومن بني نوفل بن عبد مناف وجلان ، وهما : الحارث بن عامر
 ابن نوفل ، قتله خَيْبُ بن إِسَاف ، وطَلَيْمَةُ بن عَدِي بن نوفل ، قتله علي ، ويقال :
 حمزة ، وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل طَلَيْمَةَ بن عَدِي صبرا هو وعُتْبَةُ بن أبي مَيْمُون
 والنضر بن الحارث .

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ سَجَّةُ قُرَ : زَمَةُ بن الأسود
 ابن المطلب بن أسد ، قتله ثابت بن الحذع ، وقيل اشترك فيه حمزة وعلي ، مع

- ثابت، والحارث بن زمة، قتله عمار بن ياسر، وعُقيل بن الأسود بن المطلب قتله حمزة، وعلى، وأبو البختري - وهو العاص بن هشام - قال ابن هشام : العاص ابن هشام بن الحارث بن أسد ، قتله المجذّر البَلَوِيّ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتله ، لأنه كان أَكْفَ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كان بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ، وكان ممن قام في قَضِ الصّحيفة كما تخدم ، فلما لقيه المجذّر قال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك ، وكان مع أبي البختري زميل له قد خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُليحة - رجل من بني ليث - فقال أبو البختري . وزميل ، فقال المجذّر : لا والله ما نحن بشاركي زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك . فقال : لا والله إذا لأموئنا وهو جميعا ! لا نحدثُ عنى نساء ١٠ مكة أنى تركت زميل جرحا على الحياة ، وقال يرتجز .

لن يُسلمَ أبْنُ حُرّةٍ زَمِيلُهُ^(١) حتى يموتَ أو يرى سَبِيلَهُ

- ثم أقتلا ، فقتل المجذّر أبا البختري ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بئسك بالحق ، لقد جهدت عليه أن يستأير قاتلك به ، فأبى إلا أن يقاتلني ، فقاتلته فقتله . ونوفل بن خويلد بن أسد ، قتله علي بن أبي طالب ، ١٥ وعقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن ، وعمر ، مولى لهم .

ومن بني عبد الدار بن قصي أربعة قروهم : النضر بن الحارث

(١) في الأغاني ، والطبري : « أجمه » .

(٢) كما في « ، وفي السيرة . وفي ١ : « عهدت عليه أن يستأير » .

ابن علقمة بن كَلْدَة، قتله على صبرا بالصُّفراء، ولما بلغ أبنته قُتَيْلَة بنت النضر خبر مقتله كتبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرا .

يا راجا إن الأثيل مَظَنَة من صبح خامسة وأنت موفق^(١٣)
بلغ به ميتا بان تحية^(١٤) ما إن تزال بها التجائب تحفيق^(١٥)
مني إليه وعبرة مسفوحة^(١٦) جادت لمائجها وأخرى تحنق^(١٧)
هل يسمع النضر إن نأديته^(١٨) بل كيف يسمع ميت لا ينطق^(١٩)
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه^(٢٠) لله أرحامٌ هناك تسفق^(٢١)
فسرا بقاد إلى المنية متعبا^(٢٢) رسف المقيد وهو عان موق^(٢٣)
أحمد أو لست ضنة نجيبة^(٢٤) في قومها والفعل فحل مرق^(٢٥)
ما كان ضرك لو مننت وربما^(٢٦) من الفتي وهو المغيظ المحق^(٢٧)
النضر أقرب من قلت قرابة^(٢٨) وأحقهم إن كان عتق يمتق^(٢٩)
أو كنت قابل فدية فلينفق^(٣٠) بأعر ما ينلو به ما ينفق^(٣١)

(١) الصفراء : واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع ، وهو على مرحلة من بدر .

(٢) وفي الأغاني : « أخته » . (٣) الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر وروادي

الصفراء . ومنظة الشيء موضعته وما لقه الذي يظن كونه فيه .

(٤) في ١ : « به » . والتجائب : الإبل الكريمة التي يسابق عليها .

(٥) جادت لمائجها : تفتى أباهما لأنه هو الذي يستبكيها ويستزف دسها .

(٦) تنوشه : تناوله . (٧) في الأغاني ، وابن هشام : « صبرا بقاد » .

وسف المقيد : مشيه . والغانى : الأسير . (٨) المفن : الأصل . المرق : الكريم .

(٩) كذا في الأصول . وفي الأغاني ، ومعجم البلدان الرواية الآتية :

أو كنت قابل فدية فلتأين بأعر ما ينلو ليدك وينفق

وقد وردت هذه الأبيات في الأغاني (١٩١١) ، طبعة الدار ، وديوان الحماسة ٤٣٧ طبع أوربا ،

وسية : ابن هشام ، ومعجم البلدان « مادة الأثيل » مع اختلاف يسير في الترتيب والألفاظ .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بكى حتى أخضت لحيته وقال :
 " لو بطنى شعرها قبل أن أقتله لمفوت عنه " حكاه أبو عمر عن عبد الله
 ابن إدريس ، وحكاه الزبير بن بكار ، وقال : فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى دمت عيناه ، وقال لأبي بكر : " يا أبا بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتل
 أباه " وزيد بن مليس ، مولى عُمير بن هاشم ، قتل بلال بن رباح ، مولى أبي بكر ،
 ويقال : قتله المقداد بن عمرو . ونسيه بن زيد بن مليس ، وعبيد بن سَلِيط
 حليف لهم من قيس .

ومن بنى تيم بن مرة أربعة فرسوم : عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب
 ابن سعد بن تيم ، قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : قتله عبد الرحمن بن عوف .
 وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صُهيب بن سنان .
 ومالك بن عبيد الله بن عثمان ، أسرفات في الإِسار ، فمَد في القتل . وعمرو بن
 عبد الله بن جُدعان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة أربعة وعشرون رجلا : أبو جهل
 وأسمه عمرو بن هشام بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - ضربه معاذ
 ابن عمرو بن الجسوح قطع رجله ، وضرب أبيه [عِكْمَةً ^(١)] يد مَسَاذ فطرحها ، ثم
 ضربه معوذ بن عَفْرَاء حتى أُنِجته ، وتركه وبه رفق ، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود
 واحتار رأسه كما تهدم ، والعاص بن هشام بن المنيرة ، قتله عمر بن الخطاب ، وكان
 خال عمرو . ويزيد بن عبد الله ، حليف لهم من بنى تيم ، قتله عمار بن ياسر .

(١) النكبة من سيرة ابن هشام .

(٢) في - : « ذقت » .

وأبو مسافع الأشعري ، حليف لهم ، قتل أبو دُجانة الساعدي . وحملة بن عمرو حليف لهم ، قتلته خاروجة بن زيد ، ويقال : بل علي [بن أبي طالب ^(١)] . ومسعود ابن أبي أمية بن المغيرة ، قتلته علي بن أبي طالب . وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، قتلته حمزة [بن عبد المطلب ^(٢)] ويقال : علي ؛ وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، قتلته علي ، ويقال : عمار بن ياسر ، ورفاعة بن أبي رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، قتلته سعد بن الربيع ، والمنذر بن أبي رفاعه بن عابد ، قتلته معن بن عدى ، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه ، قتلته علي بن أبي طالب ، والسائب ابن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم علي ما حكاه ابن إسحاق .

وقال ابن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما : إن السائب هذا ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، وأعطاه يوم الحمرانة ^(٣) غنائم حنين ، فقد وقع فيه الخلاف . والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قتلته حمزة ، وحاجب ، ويقال : حاجز بن السائب بن عويم بن عمرو بن عاتق ، قتلته علي بن أبي طالب . وعويم بن السائب بن عويم ، قتلته النعمان ابن مالك القوقل مبارزة ، وعمرو بن سفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طي ، قتل عمرا يزيد بن زقيش ، وقتل جابرا أبو بردة بن نيار . وحذيفة ابن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتلته سعد بن أبي وقاص ، وهشام بن أبي حذيفة

(١) الزيادة من سيرة ابن هشام

(٢) هكذا في السيرة والاستيعاب . وفي الأصل : « عمرو » .

(٣) الحمرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب ، زلما النبي صلى الله عليه وسلم لما

قسم غنائم هوازن وهوزابيع من قزوة حنين . (معجم البلدان)

(٤) هكذا في ب ، وفي الطبري . وفي أ : « عبد الأسود » .

(٥) هكذا في ابن هشام . وفي الأصول : « حاجر » .

ابن المنيرة، قتلهُ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ . وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي رِقَاعَةَ ، قَتَلَهُ أَبُو أُسَيْدٍ مَالِكُ
ابن أبي ربيعة . وَالسَّائِبُ بْنُ أَبِي رِقَاعَةَ ، قَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ . وَعَائِذُ بْنُ
السَّائِبِ بْنِ عُوَيْرٍ ، أُسِرَ ثُمَّ انْقَضَى فَنَاتٌ فِي الطَّرِيقِ مِنْ جِرَاحَةٍ جَرَحَهُ إِيَّاهَا حَمْزَةُ
ابن عبد المطلب ، وَمُعْمِرٌ ، حَلِيفُ لَهْمٍ مِنْ طَيْئِ ، وَخِيارٌ ، حَلِيفُ لَهْمٍ مِنَ الْقَارَةِ .

- وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ بَنُ عَمْرٍو بْنِ هُصَيْصٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ سَبْعَةٌ نَفَرُوا مِنْهُمْ :
مُنَبِّهُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، قَتَلَهُ أَبُو الْيَسْرِ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ
وَأَبْنَاهُ الْعَاصُ بْنُ مُنَبِّهٍ ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ . وَنُيَيْمُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ،
وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، اشْتَرَكَ فِيهِ ، وَأَبُو الْعَاصِ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ سَعْدِ بْنِ
سَهْمٍ ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ . وَيُقَالُ : النَّمَانُ الْقِسْقُولِيُّ ، وَيُقَالُ : أَبُو دُجَانَةَ ، وَعَاصِمُ بْنُ
أَبِي عَوْفٍ بْنُ صُبَيْرَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، قَتَلَهُ أَبُو الْيَسْرِ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ .
وَالْحَارِثُ بْنُ مُنَبِّهٍ بْنُ الْحَجَّاجِ ، قَتَلَهُ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ ، وَعَامِرُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ بْنِ
صُبَيْرَةَ أَخُو عَاصِمٍ ، قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ ، وَيُقَالُ : أَبُو دُجَانَةَ .

- وَمِنْ بَنِي جُمَحٍ بَنُ عَمْرٍو بْنِ هُصَيْصٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ أَرْبَعَةٌ نَفَرُوا مِنْهُمْ : أُمَيَّةُ
ابن خلف بن وهب بن حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي مَازِنٍ
وَيُقَالُ : قَتَلَهُ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَخَبِيبُ بْنُ إِسَافٍ ، اشْتَرَكُوا فِيهِ .
وَابْنُهُ عَلِيٌّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، قَتَلَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ . وَأَوْسُ بْنُ مَعْيَرٍ بْنُ لَوْذَانَ بْنِ
سَعْدِ بْنِ جُمَحٍ ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَيُقَالُ : قَتَلَهُ الْحُصَيْنُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ
الْمَطْلَبِ وَعِثْمَانُ بْنُ مَطْلَعٍ ، اشْتَرَكَ فِيهِ ، وَسَبْعَةٌ مِنْ مَالِكٍ ، حَلِيفُ لَهْمٍ .

١٨
١٥

- (١) كَذَا فِي ابْنِ هِشَامٍ . وَفِي أ : « جَبَّار » ، وَفِي ح : « جَبَّار » .
(٢) قَتْلُهُ : قِتْلَةٌ تَأْتِي مِنْ عَضَلٍ وَالْبَيْتُ ابْنُ الْهَوْنِ بْنِ نَزِيحَةَ .
(٣) فِي الطَّبَرِيِّ وَالْهَيْمِيَّةِ : « صُبَيْرَةُ » بِالضَّادِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَهِيَ رَوَايَاتُ فِيهِ . وَفِي الْأَمَلِ : « صَبِير » .
وَفِي الْجُمْهُورِ : « عَوْفُ بْنُ هَيْرَةَ » . (٤) فِي رَوَايَةِ أُخْرَى لِلطَّبَرِيِّ : « حَبِيب » .

ومن بنى عامر بن لؤى من حلفائهم رجلاً، وهما : معاوية بن عامر
حليف لهم من عبد القيس، قتله عليّ، ويقال : عكاشة بن محصن . ومعبد بن
وهب، حليف لهم من بنى كلب، قتله خالد وإياس أبنا البكير، ويقال : أبو دجانة .
فجميع من أنضبط لنا بالأسماء ممن قُتل من المشركين يوم بدر ثمانية
وستون على الشك في السائب بن أبي السائب ، والذي ثبت في صحيح البخاري أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين في يوم بدر أربعين
ومائة ، سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

ذكر تسمية من أسير من المشركين في غزوة بدر

كانت عدة من أسير من المشركين في يوم بدر سبعين رجلاً مل ماورد في الصحيح
ودلت عليه الآية [في] قوله تعالى : (أُولَئِكَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا)
يعني يوم أحد ، وكان قد قُتل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً ، والذي
أنضبط لنا بالأسماء من أسرى بدر ستة وستون رجلاً .

من بنى عبد المطلب بن هاشم أربعة نفر، وهم : العباس بن عبد المطلب بن
هاشم ، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو الخزرجي ، وكان رجلاً
قصيراً ، والعباس رجلاً طويلاً ضخماً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد
أعانك عليه ملك كريم " . وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب ، أسره هبيل بن
أوس بن مالك الأوسى ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعُتبة ، حليف لهم
من بنى فهر ، قال : وكان العباس وعقيل نحرًا مكرهين .

ومن بنى المطلب بن عبد مناف خمسة قروهم : السائب بن عبيد بن عبد يزيد
ابن هاشم بن المطلب ، ونُعمان بن عمرو بن عتبة بن المطلب ، وعقيل بن عمرو
حليف لهم ، وأخوه تميم بن عمرو ، وابنه عمرو بن تميم .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر وهم : عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والحارث بن أبي وبرة - ويقال : وبرة بن أبي عمرو - ابن أمية ، وأبو العاص بن قُوفل بن عبد شمس ، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص . ومن حلفائهم : أبو ريشة بن أبي عمرو ، وعمرو بن الأزرق ، وعُقبه بن عبد الحارث بن الحضرمي ، وأبو العريض يسار ، مولى العاص بن أمية .

ومن بنى قُوفل بن عبد مناف أربعة نفر ، وهم : عدي بن الحيار بن نوفل وعثمان بن عبد شمس ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ، وأبو ثور ، حليف لهم وتبهان ، مولى لهم .

ومن بنى عبد الدار بن قصي ثلاثة نفر وهم : أبو عزيز بن حمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأسود بن عامر حليف لهم ، وعقيل ، حليف لهم من اليمن .

١٩
١٥

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي أربعة نفر وهم : السائب بن أبي حبيش ابن المطلب بن أسد ، والحواريث بن عباد بن عثمان بن أسد . قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد ، وعبد الله بن حُجيد بن زهير بن الحارث ، وسالم بن شُمَاخ ، حليف لهم .

ومن بنى تميم بن مرة رجلان وهما : مسافع بن عياض بن محضر بن عامر ابن كعب بن سعد بن تميم ، وجابر بن الزبير ، حليف لهم .

ومن بنى غزوم بن يقظة بن مرة عشرة نفر وهم : خالد بن هشام بن المنسية ابن عبد الله بن عمر بن غزوم ، أسره - بن غزيرة ، وأمية بن أبي حذيفة .

٢٠

ابن المُغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثان بن عبد الله بن المغيرة، وصيحي
ابن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(١)، وأبو المنذر بن أبي رفاعة
ابن عابد، وأبو عطاء عبد الله بن السائب بن عابد، وقيس بن السائب، والمطلب
ابن حنطب بن الحارث بن صيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأعم، حليف لهم
من خزاعة، ويقال: عَقِيلٌ. وزعموا أنه أول من قرئ منهزماً، وهو الذي يقول:
ولسنا على الأدب لتدعى كلومنا^(٢) ولكن على أعقابنا نخطو الدما

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خمسة نفر وهم: أبو وداعة
ابن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وهو أول أسير أُقْدِيَ من أسرى بدر،
افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة، وقرة بن قيس بن عدى بن حذافة بن صعيد
ابن سهم، وحنظلة بن قيس بن حذافة بن صعيد بن سهم، والمجاشع بن الحارث^(٣)
ابن قيس بن عدى بن صعيد بن سهم، وأسلم، مولى ثنية بن المجاج^(٤).

ومن بنى جمع بن عمرو بن هصيص بن كعب أحد عشر نفرًا وهم: عبد الله بن
أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمع [وأخوه عمرو بن أبي، وأبو عزة عمرو
ابن عبد الله بن عثان بن وهب بن حذافة بن جمع] والفاكية، مولى أمية بن خلف
وهوب بن ثعلبة بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمع، وربيعة بن

(١) في أ: « عمرو » . (٢) في أ: « منين » . (٣) الكرم: الجراحات .
(٤) قال السهيلي في الروض الأنف صفحة ١٠٧: « وأحسب ذكر المجاج في هذا الوضع
وهما، فإنه من مهاجرة الحبشة وقدم المدينة بعد أحد، فكيف يند في أسرى المشركين يوم بدر » .
(٥) كما في أ، ب. وفي الروض الأنف: « ولم يوافق الروايات ولا غيره ابن إسحاق على قوله:
سعيد بن سهم » . وقالوا: إنما هو سعد » .

(٦) ما بين الموضعين ساقط من أ .

فَزَاجُ بْنُ الْعَنْسِ بْنِ أَهْبَانَ بْنِ وَهَبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جَعْفَرٍ، وَأَبُو رُحْمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَلِيفَ لَهُمْ، وَمَوْلَانِ لَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، أَحَدُهُمَا : نِسْطَاسٌ، وَأَبُو رَافِعٍ، غَلَامُ أُمَيَّةِ ابْنِ خَلْفٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَلِيفَ لَهُمْ ذَهَبَ عَنِ اسْمِهِ .

وَمِنْ بَنِي حَامِرٍ ابْنُ لُؤَيٍّ نَحْمَةَ قُرُومٍ : سُبَيْلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ ابْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِصْلٍ بْنِ حَامِرٍ، أَمْرُهُ مَالِكُ بْنُ الدُّخْنَمِ أَخُو عِزِّى سَالِمِ ابْنِ عَوْفٍ، وَعَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَشْنُوهِ ابْنِ وَقْدَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ، وَحَبِيبُ بْنُ جَابِرٍ، وَالسَّائِبُ ابْنُ مَالِكٍ .

وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ أَرْبَعَةُ قُرُومٍ : الطُّفَيْلُ بْنُ أَبِي قُتَيْبٍ، وَغُبَّةُ بْنُ عَمْرِو ابْنِ جَدْدَمٍ، وَشَافِعٍ، وَشَفِيعٍ، حَلِيفَانِ لَهُمَا مِنَ الْيَمَنِ .

١٠

ذَكَرَ خُبْرَ الْأَسَارَى بِدَرٍّ وَمَا كَانَ مِنْ فِدَائِهِمْ، وَمَنْ مَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَأَطْلَقَهُ مِنْهُمْ)، وَمَنْ أَسْلَمَ بِسَبَبِ ذَلِكَ

قَالَ : لَمَّا قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزَاةِ بَدْرٍ وَمَعَهُ الْأَسَارَى سَمِعَ الْعَبَّاسَ وَهُوَ يَتَنَوَّهٌ، قَدْ آتَاهُ الْوَثَاقُ، فَعَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ لِنَازِكٍ، فَاسْتَأْذَنَهُ أَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَيَأْتِي أَنْ يَنْقُصُوا عَنْ الْعَبَّاسِ وَثَاقَهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ بِجَمِيعِ الْأَسْرَى فَنِعْمَ وَإِلَّا فَلَا » . أَوْ كَمَا قَالَ : فَتَقْصُوا عَنْ جَمِيعِ الْأَسْرَى .

١٠

وَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَتَرَى الْأَسَارَى بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَقَالَ : « اسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا » . ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمْرِ الْأَسَارَى

فقال : إن شئتم تقتلوه ، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء ، (واستشهد قايلاً منكم سبعون . قال : فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، بخاءوا— أو من جاء منهم) — فقال : ” هذا جبريل يخبركم بين أن تقدموهم فتقتلوه ، وبين أن تقدموهم ويستشهد قايلاً منكم بسقتهم “ . فقالوا : بل تقدموهم ويدخل قايلاً منكم الجنة سبعون . فنادوهم . رواه محمد بن سعد .

وروى ابن قتيبة عن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : ” أفد نفسك وابني أخوك : عقیل بن أبي طالب ، وتوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وحليفك ، فإنك ذو مال “ . فقال : يا رسول الله ، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تقول حقاً فانه يجزيك به ، وأما ظاهر [أمرك] فقد كان علينا “ . قال : فإنه ليس لي مال . قال : ” فأين المال الذي وضعت عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معك أحد ؟ ثم قلت : إن أصبحت في سفرى هذا فلفضل كذا ، ولعبد الله كذا “ . قال : والذي يمك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيرها ، وإني لأعلم أنك رسول الله . فصدى نفسه بمائة أوقية ، وكل واحد بأربعين أوقية ، وقال : ” تركني أسأل الناس في كفى “ . قال : « وأسلم العباس ، وأمر عقیلاً فأسلم » .

وروى محمد بن سعد قال : لما أمر نوفل بن الحارث بيدر قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أفد نفسك “ . قال : ما لي شيء أفدى به . قال . ” أفد نفسك

(١) ما بين المربعين ساقط من أ

(٢) ز ياده من ب

برماحك التي بجمدة^(١) . فقال : والله ما علم أحد أن لي بجمدة رماحا غيري بعد الله ،
أشهد أنك رسول الله . قدى نفسه بها ، وكانت ألف ربح . وقيل : كان إسلام
نوفل وهجرته أيام الخندق .

قال ابن إسحاق : وكانت قريش حين ورد عليهم الخبر بمصرع أصحاب بدر
نأحوا على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ عدا وأصحابه فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا
في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يارب^(٢) عليكم عهد وأصحابه في الفداء . فقال المطلب
ابن أبي وداعة : صدقتم ، لا تسجلوا ، وأنسل من الليل فقدم المدينة ، فآخذ أياه
بأربعة آلاف درهم ، وانطلق به .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى ، فكان أعلى ما قدى به أسير أربعة آلاف
درهم فادونها إلى ألف درهم .

وقال محمد بن سعد في طبقاته : كان فداء أسارى يوم بدر أربعة آلاف إلى
مادون ذلك ، فمن لم يجد عنده شيئا أعطى عشرة من غلمان المدينة ، فعلتهم
الكثابة ، فإذا حذقوا فهو فداؤه . وكانت أهل مكة يكتبون ، وأهل المدينة
لا يكتبون . [قال] : فكان زيد بن ثابت ممن علم^(٣) .

ذكر خبر أبي سفيان في أمر أبيه عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه

قال محمد بن إسحاق : وكان عمرو بن أبي سفيان في الأسارى ، فقبل
لأبي سفيان : أفد ابنك عمرا ، فقال : أجمع على دى ومال ! قتلوا حنظلة ، وأفدى
عمرا ! دعوه في أيديهم يسكوه مابدا لهم . فلم يزل كذلك حتى قدم سعد بن النعمان

(١) تستأنوا بهم : تظفروا بهم ، أى تؤخروا فدائهم . (٢) لا يارب : لا يشهد .

(٣) في الأصول : « شى » . (٤) زيادة عن به .

ابن آكل، أخو بني عمرو بن عوف معتمرا، وكان شيخا مسلما، في غَمٍّ له بالبيع^(١)،
وقد كانت قريش عهدوا أنهم لا يعرضون لحاج أو معتمر إلا بخير، فعدا عليه^(٢)
أبو سفيان بمكة فحبسه بأبيه عمرو، ثم قال أبو سفيان :

أرھط ابن آكل أجيبوا دُعَاءَهُ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا^(٣)
فَلَنْتُ بَنِي عَمْرٍو لِنَأْمِ أَذْلَةٍ إِذَا لَمْ يَفُكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَلَا^(٤)

قال : فثنى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه
خبره، وسأله أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان ففُتِّحُوا به صاحبهم، ففعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثوا به إلى أبي سفيان، فغلى سبيل سعد
ابن النعمان .

ذكر خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه
وإرساله زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة
وإسلامه بعد ذلك، ورد زينب عليه بغير نكاح جديد

قال ابن إسحاق : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى
ابن عبد شمس، حَقَّقَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجُ أخته زينب . أسره
نِعْرَاشُ بْنُ الصَّعْمَةِ ، أحد بني حَرَامِ .

(١) البيع : مكان مقبرة أهل المدينة .

(٢) في ١ : « وكانت » .

(٣) تَفَاقَدْتُمْ : يدعرون أنهم بأن يفقد بعضهم بعضا .

(٤) الكَلَا : القيد .

(٥) في ١ : « وإرساله إلى زينب » .

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد أخت خديجة ، فسالت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه زينب ، فزوجه بها ، وذلك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان معها وهو على شركه وهي مسلمة .

- ٥ فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم^(١) بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص [بمال ، وبعثت فيه قبلاة لما كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص] فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقعة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها [مالها] فافعلوا » . قالوا : نعم يا رسول الله . فاطلقوه وردوها عليها التي بعثت به ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه أن ينقل حبيل زينب ، ولم يظهر ذلك ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلا من الأنصار ، فقال : « كوننا بطن يابج^(٢) حتى تمز بكا زينب ، فتصعباها حتى تأتيا بي بها » . فخرجا وذلك بعد بدر بشهر ، فلما قدم أبو العاص مكة أسرها بالحق بأبيها ، فتجهزت لذلك ، وقدم لها حوها كاتبة^(٣) بن الربيع أخو زوجها بعيرا فركبته ، وأخذ قوسه وكاتته ، ثم خرج بها نهرا يقود بها ، وهي في هودج لها ، وتحملت بذلك رجال قريش ، فخرجوا في طلبها ، حتى أدركوها بذى طوى ، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد المزی الفهري ، فروعها بالرح وهي في هودجها ، وكانت حاملا فطرحته ، فثر حوها كاتته ثم قال : والله لا يدنو مني
- ١٠

(١) ما بين التوسمين زيادة من ج .

(٢) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٣) يابجج : موضع على ثمانية أميال من مكة .

(٤) ذر طوى : واد عند مكة .

رجل إلا وضعت فيه سهما، فَتَكَرَّرَ^(١) الناس عنه، ثم جاء أبو سفيان بن حرب في جَلَّةٍ [من] فريش فقال : أيها الرجل، كُفَّ عَنَّا نَبْلَكَ حَتَّى نَكَلِّكَ . فَكَفَّ، فَأَقْبَلَ أبو سفيان حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فقال : إِنَّكَ لَمْ تُصِيبْ، خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رِمَوسِ الناسِ عَلَانِيَةً، وَقَدْ عَرَفْتَ مَصِيبَتَنَا وَنَكِبَتَنَا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ، فَيُظَنُّ الناسُ إِذَا خَرَجْتَ لَهُ بَيْتُهُ عَلَانِيَةً عَلَى رِمَوسِ الناسِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرُنَا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى ذُلِّ أَصَابِنَا عَنْ مَصِيبَتِنَا الَّتِي كَانَتْ، وَأَنَّ ذَلِكَ مَتَا ضَعْفٍ وَوَهْنٍ، وَلَمَعَرَى مَالَنَا بِمَحَبَسِهَا عَنْ أَيِّهَا مِنْ حَاجَةٍ، وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثُورَةٍ، وَلَكِنْ أَرْجِعْ بِالْمَرْأَةِ حَتَّى إِذَا هَدَأَتْ الْأَصْوَاتُ وَتَحَدَّثَ الناسُ أَنَّ قَدْ رَدَدْنَاهَا فَصَلُّهَا سِرًّا وَأَلْحِقْهَا بِأَيِّهَا . قَالَ : فَفَعَلَ .

فَأَقَامَتْ يَالَى حَتَّى إِذَا هَدَأَتْ الْأَصْوَاتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلًا حَتَّى أَسْلَمَهَا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ، فَقَدَمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ بِالْمَدِينَةِ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْإِسْلَامَ، حَتَّى إِذَا كَانَ قُبِيلَ الْفَتْحِ خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ — وَكَانَ وَجَلًا مَأْمُونًا — بِمَالٍ لَهُ وَأَمْوَالِ رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ وَأَقْبَلَ قَافِلًا لِقَبِيلِهِ سَرِيَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصَابُوا مَامِعَهُ وَأَعْجَزَهُمْ هَارِبًا، فَلَمَّا قَدِمَتْ السَّرِيَّةُ بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَالِهِ أَقْبَلَ أَبُو الْعَاصِ تَحْتَ اللَّيْلِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَيْنَبِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَجَارَ بِهَا، فَأَجَارَتْهُ، وَجَاءَ فِي طَلَبِ مَالِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ وَكَبَّرَ وَكَبَّرَ الناسُ مَعَهُ خَرَجَتْ زَيْنَبُ مِنْ صُفَّةِ النِّسَاءِ [وَقَالَتْ] : أَيُّهَا الناسُ، إِنِّي قَدْ أَبْجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ ابْنَ الرِّبِيعِ . فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى الناسِ فَقَالَ : ” أَيُّهَا الناسُ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ ؟ “ قَالُوا : نَعَمْ، قَالَ : « أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِ

(٢) زيادة عن ج .

(٤) كذا في أ، وفي ج : « صرخت » .

(١) تكرر : ربيع .

(٣) الثَّورَةُ : الثَّامِرُ .

ما علمت بشيء حتى سمعتُ ما سمعتم، إنه يُغيّر على المسلمين أدنانهم». ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على أبيته وقال: «أى بُنية، أكرمي مثواه، ولا يخلص إليك فإنك لا تحلين له».

- قال: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو قيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به». قالوا: يا رسول الله، بل نرده عليه، فردوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالدهن، ويأتي الرجل بالشنة والإداوة، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ، حتى ردوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئا، ثم احتمل إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، بخزائنك خيرا، فقد وجدناك وقيا كريما، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، ما منعتني من الإسلام عنده إلا تخوف أن يظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أذاها الله إليكم وفرتُ منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب على النكاح الأول، ولم يحدث شيئا.

- (١) الشنة: السقاء الببال. (٢) الإداوة: إياه صغير من جده. (٣) الشظاظ: خشبة عفاة تدخل في مرورق الجوالقين، والجمع أشظقة. (٤) قال في الروض الأنف ٢: ٨٣: «وذكر عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ردّ زينب على أبي العاص على النكاح الأول، لم يحدث شيئا بعد ست سنين. ويطارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم ردها عليه بنكاح جديد. وهذا الحديث هو الذي عليه العمل، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسناده عند أهل الحديث، ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء، فإعلمت، لأن الإسلام قد كان فرق بينهما، قال الله تعالى: «ولا من حل ولم يامحولهن» ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس: سئى ردها عليه على النكاح الأول أي على مثل النكاح الأول في الصداق والحياة، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره».

نرجع إلى قصة أخبار أسارى بدر :

ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة

قد تقدم أنه كان من أسرى بدر، وكان الذي أسره عبد الله بن جحش
ويقال : أسره سليل بن قيس المازني الأنصاري، يقدم في فدائه أخواه : خالد
وهشام، فتمتع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم . فجعل خالد
يريد الأبلغ ذلك، فقال هشام لخالد : إنه ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذا
وكذا لفعلت . ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش :
لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه الوليد — وكانت دوماً فضفاضة وسيفاً وبئضة —
فأبى ذلك خالد وأطاع هشام لأنه أخوه لأبويه، فأقيمت الشكة بمائة دينار،
فطاعها وسلمها إلى عبد الله، فلما أئدى أسلم، قيل له : هلا أسلمت قبل
أن تُتدى وأنت مع المسلمين ؟ قال : كرهت أن تظنوا أنني جزمت من الإسمار .
فحبسوه بمكة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له فيمن دعا له من
مستضعفى المؤمنين، ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد حُجرة
القيضة . ^(١) حكاه ابن عبد البر .

ذكر من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أسارى بدر وأطلقه بغير فداء

قال ابن إسحاق : وكان من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء :
أبو العاص بن الربيع هذا الذي تقدم خبره . والمطلب بن حنطب بن الحارث

(١) هي عمرة القضاء، ويقال لها عمرة القصاص، سميت بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم ناضى

فرشاً عليها . (انظر الرضى الأتف ٢ : ٢٥٤) . (٢) قد أ : « حلب » .

ابن عُبَيْد الخَزَوِيُّ، وكان لبعض بنى الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله، فلحق بقومه، وصيغى بن أبي رفاعة الخَزَوِيُّ، ترك في يد أصحابه فلم يأت أحد في فدائه، فأخذوا عليه العهد ليعتق إليهم بفسدائه وخلّوا سبيله، فلم يَفِ لهم بشيء، وأبو عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حذافة بن جُمَيْع كان محتاجا ذا بنات فقال: يا رسول الله، لقد عرفتَ مالى من مال، وإني لندو حاجة وذو عيال، فامنن عليّ، فنن عليّ وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحدا؛ فقال أبو عَزَّة في ذلك:

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا فإني حقٌّ والمليك حميدٌ
وَأَنْتَ أَمْرٌ تُدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى عليك من الله العظيم شهيدٌ
وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوِّتَ فِيْنَا مَبَاءَةٌ لها درجاتٌ سهلةٌ وصُعودٌ^(١)
فإني مَنْ حَارَبْتَهُ لِحَارَبٍ شقيٌّ ومن سالمته لسعيدٌ
ولكن إذا دُكِّرْتُ بَدْرًا وَأَهْلَهُ تأزب ما بي حَسْرَةٌ وقُعودٌ^(٢)
ومنها وهب بن عُمَيْر الجَحْفِيُّ، ولإطلاقه سبب ذكره.

ذكر خبر عُمَيْر بن وهب وإسلامه، وإطلاق ولده وهب بن عُمَيْر

قال ابن إسحق في سبب إطلاق وهب بن عُمَيْر: إن أباه عُمَيْر بن وهب بن خلف بن حذافة بن جُمَيْع بن عمرو بن هُصَيْيص بن كعب بن جَسْفَان بن أُمَيَّة في الحِمْيَر بعد مُصَاب أهل بدر يسير — قال: وكان عُمَيْر بن وهب شيطاناً من شياطين قريش. ممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويلقون منه عتاء وهو بمكة — فذكر أصحاب القليب ومُصَابهم. فقال صفوان: والله إن

(١) بُوِّتَ فينا مَبَاءَةٌ: نزلت فينا منزلة.

(٢) تَأْزَب: رجع. (٣) القليب: البئر القديمة التي لا يعلو لها حامر.

٢٣
١٥

في الجيش بدم خير، فقال عمر : صدقت والله ، أما والله لولا دين على ليس له
[عندى] قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى مجد حتى أقتله ،
فإن لى قبلهم علة ؛ ابنى أسير فى أيديهم . فاعتنمها صفوان فقال : على دينك ،
أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا لا يسئنى شئ . ويعجز عنهم ؛
قال له عمر : فاكتم على شأنى وشأنك ؛ قال : أفعل .

ثم أمر عمر بسيفه فشحذ له ، ثم سَمَّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ،
و يذكرون ما أكرمهم الله به ، إذ نظر إلى عمر حين أُلخ على باب المسجد متوشحاً
السيف ، فقال عمر : هذا الكلب عدو الله عمر بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهذا
الذى حرس بيننا وحَرَّنا للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمر بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه ، قال :
فادخله على ، فأقبل عمر حتى أخذ بحيلة سيفه فى عنقه فليبه بها ، وقال لرجال ممن
كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ،
واحذروا عليه هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه
وسلم . فلما رآه قال : أرسله ياعمرب ، ادنُ يا عمر ؛ فدنا ثم قال : انعموا صباحا
... وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد
أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمر ، بالسلام تحية أهل الجنة ؛ قال : أما والله
إن كنت يا عماد بها لحيت عهد ؛ قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير

(١) زيادة من السيرة . (٢) الضيعة : الهلاك .

(٣) هكذا فى « ، وفى السيرة . وفى أ : « لا يشئى » .

(٤) شوش : أفسد . (٥) المزور : تحدير العبد بخيما .

- الذى فى أيديكم فأحسبوا فيه؛ قال : فما بال سيف فى عنقك ؟ قال : قبّحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئا ! قال : صدقتى ، ما الذى جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك ؛ قال : بل قصدت أنت وصفوان بن أمية فى الجحرف فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت : لولا دين على وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمدا ، فتحمّل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلى له ، والله سائل بينك وبين ذلك .
- قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كما يارسول الله نكّبتك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما يزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره ^(١) إلا أنا وصفوان فوافقه إلى لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذى هدانا للإسلام ، وساقى هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فقهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره " ، ففعلوا .

- ثم قال : يارسول الله ، إني كنت جاهدا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة ، فأدعهم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا أذيتهم فى دينهم كما كنت أؤذى أصحابك فى دينهم . قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلاحق بمكة .
- وكان صفوان بن أمية يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتاكم الآن فى أيام ، فتسيكم وقعة بدر ، وكان يسألهم الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف ألا يكله أبدا ، ولا ينفعه بنفع .

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذى من خالفه أذى شديدا ، فأسلم على يديه ناس كثير .

(١) فى ١ : « يصر » .

قال ابن إسحاق : وعُمير بن وهب أو الحارث بن هشام ، قد ذكر أن أحدهما ^(١١) [الذي] رأى إبليس حين نكس على عقيبه يوم بدر ، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله : (وَإِذْ زَيْنَ لُحْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَسَ عَلَى عَقِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) وكان إبليس قد تشبه لقريش بسُرَاقَة بن مالك بن جُهم وقال : أنا جارٌ لكم من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة ، كما قدمنا ذكر ذلك ، قال : وكانوا يرونه في كل منزل في صورة سُرَاقَة لا يَنكرونه . فلما ألتقى الجمعان يوم بدر ورأى إبليس الملائكة نَكَسَ على عقيبه وقال لهم ما قال .

وقد أخذت هذه الفزوة حقها من البسط والإطالة وإن كان ذلك على سبيل

الاختصار ، فلنذكر غيرها من الفزوات والسرايا . والله المستعان . ١٠

٢٤
١٥

ذكر سرية عمير بن عدي بن خرشة الخطمي

إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد ^(١٢)

قال محمد بن سعد : كانت سرية عمير بن عدي بن خرشة بن زيد من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي ، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتمرض عليه ، وتقول الشعر ، بغاها عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحوّلها قعر من ولدها نيام ، منهم من رضعه في صدرها ، ١٥

(١) زيادة من ج : (٢) في أ : « يزيد » . نسبنا إلى بني أمية بن زيد الأنصاري ؟

قيل لأنها حليفهم أو لمكون زوجها منهم . وانظر الأثر الثاني : ١ : ٥٤٦ .

(٣) كذا في المواهب اللدنية ، والطبقات ، وإنباع الأصنام . وفي أ : ج : « حصين » . ٢٠

بجسدها بيده - وكان ضرر البصر - ونحى الصبي عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أفضده من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: قُتِلَتْ بَنَتُ مَرْوَانَ؟ قال: نعم، فهل عليّ في ذلك شيء؟ قال: لَا يَنْتَلِحُ فِيهَا عِزَانٌ.

- قال محمد بن إسحاق: فرجع عمر بن عبد الله إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثيرٌ موجهٌ في شأن أبنه مَرْوَانَ، ولما يومئذ بنون خمسة رجال، فقال: يا بني خطمة، أنا قُتِلْتُ أبنه مَرْوَانَ، فَيَكُونُ بِي بَحِيمًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ^(١). قال: فذلك اليوم أَوَّلُ مَاعَزِ الْإِسْلَامِ فِي دَارِ بَنِي خَطْمَةَ، وكان مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِ، وعمر هو أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ. قال: وَأَسْلَمَ يَوْمَ قَتْلِهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ لَمَّا رَأَوْا مِنْ عَزِ الْإِسْلَامِ.

ذكر سرية سالم بن عُمير العَمَرِيّ إِلَى أَبِي غَفْكَ الْيَهُودِيّ

قال ابن سعد: كانت سرية سالم في شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة، وكان أبو غَفْكَ^(٢) من بني عمرو بن عوف شيخا كبيرا قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الشعر، فقال سالم

- (١) هذا مثل مشهور، أراد أن هذا القتل لا يكون له تغيير، ولا له نكير، أي لا يخطف فيه اثان. وانظر جميع الأمثال ٢: ١٤٨.
- (٢) حوهم: اضطرابهم وتغيرهم.
- (٣) تنظرون: تتفكرون، بعض آية من سورة هود ٥٥.
- (٤) في الأصول: «أبو غفل» . وتصويب من طبقات ابن سعد والمواهب اللدنية وسيرة ابن هشام. (٥) في طبقات ابن سعد: «وكان يهوديا وكان يحرض».

ابن عمير — وهو أحد البكّائين وقد شهد بدرا — : «لَمْ نَذَرُ أَنْ أَقْتُلَ أَبَا عَفْكَ
أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ؛ بَغَاءٌ وَقَدْ نَامَ أَبُو عَفْكَ بِالْفَنَاءِ فِي لَيْلَةِ صَاعِقَةٍ، فَوَضَعَ السَّيْفُ حُلَّ
كَبْدِهِ؛ ثُمَّ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ حَتَّى خَشَّ فِي الْفِرَاشِ، فَصَاحَ [عَدُوَّ اللَّهِ] ^(٢١)، فَتَارَ إِلَيْهِ نَاسٌ
مِنْهُمْ عَلَى قَوْلِهِ، فَأَدْخَلُوهُ مَنَازِلَهُ وَقَبَرُوهُ .

ذكر غزوة بني قينقاع (وهي بضم النون وقيل بكسرها ^(٢٢))

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم السبت النصف من شوال على
رأس عشرين شهرا من مهاجرة .

قال ابن سعد : وكانوا حلفاء عبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا أشجع يهود،
وكانوا صاعقة، فوادعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كانت وقعة بدر
أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد والملة، فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه
وسلم : ﴿وَمَا تَحْقُقَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ ^(٢٣) .

وقال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل في سبب غزوة بني قينقاع : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بهمهم يسوق بني قينقاع ^(٢٤) ثم قال : يا معشر يهود، احذروا من الله

(١) البكّاءون : سبحة قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ليحملهم، فلم يجد
ما يحملهم عليه، فحولوا وأصنعهم فقيض من المصحف، ففسوا البكّائين . راجع ج ٨ ص ٢٢٨
من القرطبي . (٢) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفي أ : « وصاح وصاح » . وفي ج :
« وصاح، فثار » .

(٣) زيد في المواهب اللدنية : « بالفتح أيضا ولكن الغم أخير » .

(٤) سورة الأنفال ٥٨ . (٥) بنو قينقاع : اسم لقب من اليهود الذين كانوا بالمدينة
أصنفت إليهم سوق كانت بها، فيقال : سوق بني قينقاع .

مثل ما نزل بقریش من النعمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتُم أُنَى نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، قالوا : يا محمد، لا يَتَوَكَّأُ أَنَّكَ لَقِيتَ قوما لا علم لهم بالحرب فاصبَت منهم فُرصة، إنا والله لن حاربناك لعلنا نَأْتِيَنَّ النَّاسَ .
 فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرُوبٌ وَمُخَشَّرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ بِلَسَّاتِ الْمَيَادِ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِةِ آلِ عَقْبَانَ فَتَقَاتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرُدُّهُمْ مُّثْلِيهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝١٥٠﴾ . حكاه ابن إسحاق بسند يرفعه إلى ابن عباس .

٢٥
١٥

وقال ابن هشام في سبب هذه الغزاة : إنا امرأة من العرب حَلَّتْ بِجَلِيبَ لَهَا، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبى ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت
 ١٠ أنكشفت سوءتها، فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فأغضبهم، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

• عُذْنَا إِلَى مَسَاقِ حَدِيثِ ابْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، وَحَمِلَ لَوَاءَهُ هِزْءُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ أَيْضُ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا ثَابِتَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذَرِ، ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِمْ فَحَاصَرَهُمْ حَسَنَ عَشْرَةِ لَيَالٍ إِلَى هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ غَدَرَ مِنَ الْيَهُودِ، وَحَارَبُوا وَتَحَصَّنُوا فِي حِصْنِهِمْ، فَحَاصَرَهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ، حَتَّى قَنَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّعْبَ، وَزَلُّوا عَلَى حَكَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْوَالَهُمْ، وَأَنَّ لَهُمُ النِّسَاءَ وَالذَّرِّيَّةَ، فَامْرَأَةٌ

(١) من سورة آل عمران آية ١٢ - ١٣ (٢) الجلب : ما جلب من غيل وإبل ومطاع . ٢٠

بهم فكتفوا، واستعمل كل تكافهم المنذر بن قدامة الساسي . فكلّم عبد الله بن أبي
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخّ عليه، فقال: خذهم، لنهم الله؛ وتركهم من
القتل، وأمر بهم أن يُخلوا من المدينة، وولى إخراجهم منها عبادة بن الصامت،
فَلَمَّعُوا بِأَذْيَمَاتٍ^(١)، لما كان أقلّ بقائهم فيها .

وقال ابن إسحاق في خبر عبد الله بن أبي بن سلول : إنه قام إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أمكنه الله من بني قينقاع، فقال : يا عبد، أحسن في موالى .
وكانوا حلفاء الخزرج ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عبد،
أحسن في موالى . قال : فأعرض عنه . قال : فادخل يده في جيب درع النبي^(٢)
صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلنى ، وغضب حتى
ظهر ذلك في وجهه ، ثم قال : ويحك ! أرسلنى ؛ قال : لا والله لا أرسلك حتى
تحسن في موالى ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع^(٣)، قد منعوني من الأحمر والأسود .
ثم صدمهم في قنّاء واحدة ، إني والله أمرؤ أخشى الدوائر . فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : هم لك .

وحكى أيضا قال : كان لبني قينقاع من عبادة بن الصامت من الحليف مثل
الذى لم من عبد الله بن أبي ، فمضى عبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرا
إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وقال : أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من
حلف هؤلاء الكفار ولايتهم . فأنزل الله تعالى فيه وفي عبد الله بن أبي :

(١) كذا في أ ، وفي ج : « لنهم ، وتركهم » .

(٢) أذيمات : يده في أطراف الشام يجاور أرض القنّاء .

(٣) في سيرة ابن هشام : « وكان يقال لما : ذات الفضول » .

(٤) الحاسر : الذى لا درع له . (٥) الدراع : الذى عليه الدرع ، وفي أ : « دراع » .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَآلِهَةٍ لَّا يَهْدِي الْقَوَمَ الظَّالِمِينَ . قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَمَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَأُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٢) وذلك لعبادة بن الصامت .

قال محمد بن سعد : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم [من سلاحهم] ثلاث فِئس، منها : الكُوم، كُثِرَتْ بأحد، والروحاء، والبيضاء، وأخذ درعين : الصُغْدِيَّة، وأخرى فضة؛ وأخذ ثلاثة أسياف : سيف قلبي^(٣)، وسيف يقال له : بئار؛ وسيف آخر؛ وثلاثة أرماح، ووجد في حصنهم سلاحا كثيرا وآلة الصباغة، فأخذ صلى الله عليه وسلم صفيه^(٤) والنخس^(٥)، وقض أربعة أحماس على أصحابه، وكان الذي تولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة .

ذكر غزوة السويق

قال محمد بن سعد : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرا من مهاجرة، وأستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرَّم الثمن حتى يثار من عهد وأصحابه .

٢٦
١٥

(١) من سورة المائدة آية ٥١ - ٥٥ . (٢) النكبة من الطبقات لابن سعد .

(٣) سيف قلبي : منسوب إلى القلعة، وهي موضع بالبادية تسب السيوف إليه .

(٤) الصفي من النخية : ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القصة .

(٥) يقال : قض الشيء، على القوم أى قسه وقزقه بينهم .

قال ابن إسحاق : نذر ألا يمس رأسه ماء من جنازة حتى ينزوا بها صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : نخرج في مائتي راكب ، وقيل : في أربعين راكبا ، فزبال المرض ، — بينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال — قتل رجلا من الأنصار ، وأجيرا له ، وحرقي أبا تارنا هناك وثقتا ، ورأى أن يمينه قد حلت ، ثم ولّى هاربا ، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم ، وجعل أبو سفيان [وأصحابه ^(١٢)] يتخفون للهرب فيلقون ^(١٣) جرب السويقي ^(١٤) وهي مائة أزوادهم ، فأخذها المسلمون ، فسميت غزوة السويقي ، ولم يلحقهم وانصرف . وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام .

قال محمد بن إسحاق : بلغ قرقرة الكدّر ثم انصرف واجبا ، فقال المسلمون حين رجع بهم : يا رسول الله ، أطلع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

ذكر غزوة قرقرة الكدّر ويقال قرارة الكدّر وهي غزوة بنى سليم

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للنصف من المحرم على رأس ثلاثة وخمسين شهرا من مهاجرة ، وهي ناحية معدن بنى سليم ، وبينه وبين المدينة ثمانية ثمانية برد ، وأستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وحمل لواءه علي بن أبي طالب ، وكان

- (١) قال السهيلي في الروض الأنف : « إن النسل من الجنازة كان مسولا به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل ، كما ينسبهم الخبج والنكاح » . (٢) ساقطة من أ .
(٣) كما في ج . وفي أ : « يتخفون الحرب » . (٤) السويقي : فتح أرشعير قبل ثم يطن . (٥) قرقرة الكدّر ، قال الواقدي : « بناحية المدن » ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . وقال غيره : « ما لبث سليم » . راجع سبعم البهتان مادة : « كدّر » .

قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بهذا الموضع جعاً من بني سليم وغطفان ، فسار إليهم فلم يجد في الحال أحداً ، ووجد رعاء منهم غلام يقال له : يسار ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظفروا بالتم فأتوا المدينة ، فاقسموا غنائمهم بصرار ، على ثلاثة أميال من المدينة ، وكانت التعم خمسائة بعير ، فأخرج خمسة وقسم أربعة أشخاص على المسلمين ، فأصاب كل رجل منهم بعيران ، وصار يسار في سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه حين رآه يصل . وكانت غيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة خمس عشرة ليلة .

ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهودي وخبر مريته

- قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل وأبو محمد عبد الملك بن هشام ومحمد بن سعد — دخل حديث بعضهم في حديث بعض — : كانت سرية قتل كعب بن الأشرف ١٠ لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أنه كان رجلاً شاعراً يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيهم ، وكان لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية يشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بخبر بدر ، قال كعب بن الأشرف ١٥ — وكان رجلاً من طيء ، ثم أخذ بنى تيهان ، وكانت أمه من بني النضير — : أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب

(١) رعاء : جمع راع .

- (٢) قال صاحب الأغاني (ج ١٩ ص ١٠٦ طبع بولاق) : « كعب بن الأشرف مخفف في نسب » فزع ابن حبيب أنه من طيء ، وأمّه من بني النضير ، وأن أباه توفى وهو صغير ، فغلبه أمّه إلى أنحواله فتشابه فيها وساد فكر أمره . وقيل : بل هو من بني النضير ، وكان شاعراً قارصاً ... الخ » . ٢٠

وملوك الناس ، والله لئن كلف محمد أصحاب هؤلاء القوم ليطعن الأرض خير من ظهرها .

فلما تبين الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة التميمي ، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشتد الأشعار ويبيح أصحاب القلب من قريش .

ثم رجع إلى المدينة فشبب بفساد المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت " ؛ وقال : " من لي بأبن الأشرف فقد آذاني " ؟ فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ؛ قال : " فأفضل إن قدرت على ذلك " . فرجع [محمد بن] مسلمة فكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يمسك ريقه ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : " لم تركت الطعام والشراب " ؟ فقال : يا رسول الله ؛ قلت لك قولاً لا أدرى هل أفي لك به أو لا ؟ قال : " إنما عليك الجهد " ؛ قال : يا رسول الله ؛ لا بد لنا من أن نقول ، قال : " قولوا ما بدا لكم ، فأتيت في حل من ذلك " . فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة ، وأبو نائلة سلكتان بن سلامة بن وقش — وكان أخا كعب من

٢٧
١٥

(١) راجع هذه الأَشْمار في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٥ — ٥٧ طبعة الحلبي بمصر .

(٢) يروى : أنه شبب بأُم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب . راجع الطبري

القسم الأول ٢ ، ص ١٣٦٩ .

(٣) قال السبيل في الروض الأنف ج ٢ ص ١٢٣ : « في هذه من الفقه وجوب غسل من سب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا مهة ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله ، فإنه لا يرى قتل الذين في مثل هذا » . (٤) زيادة عن ج .

(٥) حافظ من ج . (٦) زيد في المواهب اللدنية في هذا الموضوع : « قولاً غير مطابق

لواقع لتوصل به إلى التمكن من قتله » .

- الرضاعة - وعبد بن بشر بن وقش، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عيسى بن جبر،
أخو بني حارثة، فقدّموا إليه سِلْكَان بن سلامة، بغاه فقصّت معه ساعة، وتناشدا
شعرا، ثم قال أبو نائلة سِلْكَان: ويحك يا بن الأشرف! إني قد جئتُك لحاجة أريد
ذكرها لك، فاكتب عني؛ قال: أفعل، قال: قد كان قدومُ هذا الرجل علينا بلاء
من البلاء، عادتَا العرب وورثنا من قويس واحدة، وقُطِعت عنا السبيل حتى ضاع
العِيال، وجُهدت الأنفس، وأصبحنا قد جُهدنا وجُهدنا جبالنا، فقال كعب:
أنا آبن الأشرف، والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى
ما أقول، فقال له سِلْكَان: إنا نريد التّخّي منه، ومضى رجال من قويس على مثل
رأى، وقد أردتُ أن آتيك بهم، فنتاع منك طعاما ونمرا، ونزهك ما يكون لك
فيه نية ووفاء، فقال أترهنتني نساءكم؟ قال: كيف نزهك نساءنا وأنت أشب
أهل يَرْب وأعطهم، فقال: أترهنتني أبناءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا
وأن يُسرّ أبناؤنا، فيقال: هذا رهينة وسقي، وهذا رهينة وسقيين، ولكنا نزهك
سلاحنا وقد علمت حاجتنا إلى السلاح، فقال: نعم إن في الحلقة لوفاء، وإنما أراد
سِلْكَان ألا يُنكر السلاح إذا جاءوا بها، ثم رجع سِلْكَان إلى أصحابه، وأخبرهم الخبر
وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففعلوا.

- ومضى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع التّركد، ثم وجههم وقال:
انطلقوا على أسم الله، اللهم آمّنهم. ورجع صلى الله عليه وسلم إلى بيته، وتوجهوا،

(١) في الأصل: «جبر» بالحاء المهملة، وهو تصحيف. والتصويب عن الاستنباط، والطبري.
(٢) كما في اللغات، وسيرة ابن هشام. وفي الأصل: «وربونا».
(٣) الرسق: حل البير. (٤) يريد «بالحقة»: السلاح كله، وقيل: هي الدروع خاصة.
(٥) بجمع التّركد (بالعين المعجمة): هو عقبة أهل المدينة.

وكانت ليلة مقمرة، حتى أتوها إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهد بعريس، فوثب في ملحقته، فأخذت أمرأته بناحيتها وقالت : إنك أمرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا يزلون في هذه الساعة، قال : إنه أبو نائلة، لو وجدني نائما ما أيقظني، فقالت : والله إنني لأعرفُ في صوته الشر، فقال لها : لو يدعى الفتي لطننة لأجاب .

وفي حديث البخاري^(١) من رواية سُفيان عن عمرو بن جابر بن عبد الله قالت : اسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم، فقال : إنما هو أخى محمد بن مسلمة، ورضيى أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة وليل لأجاب، قالوا : ونزل إليهم فتحدثوا معه ساعة ثم قالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن تتأخى إلى شعب المعجوز فتحدثت به بقية ليلتنا . فقال : إن شئتم . فخرجوا يتأخسون، فمشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة [يده^(٢)] في فود رأس ابن الأشرف، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالكيلة طيبا أعطر قط من هذا ! فقال : بهذا عطر أم فلان، يريد أمرأته، ثم مشى قليلا وعاد لملتها حتى أطمأن، ثم عاد لملتها، فأخذ بفؤد رأسه وقال : اضربوا عدو الله. فضربوه، فأختلفت عليه أسيافهم فلم تُغن شيئا .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مَقولا في سبني حين رأيت أسيافا لم تغن، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، فوضعت في ثقتي^(٣)، ثم تحاملت عليه حتى أتتهى إلى عاتته . ثم حزوا رأسه وحلوه معهم، وأصعب الحارث بن أوس، بفجرح في رأسه أو رجله، أصابه بعض أسياف أصحابه

(١) في أ : « أبي سفيان » . (٢) شعب المعجوز : بشار المدينة . (٣) زيادة من ج .

(٤) المغول : شبه سيف قصير يشتل به الرجل تحت ثيابه . (٥) ثمة : ما بين السرة والعاة .

(٦) في الأصول : « غايه » ، وهو تصحيف . وانظر شرح المراهب ٢ : ١٥ .

قال محمد بن مسلمة : فرجنا حتى سَلَكْنَا على بنى أمية بن زيد، ثم على بنى قُرَيْظَةَ (١) ثم على بَنَاتٍ حتى اسْتَدْنَا في حَرَّةِ المُرَيْضِ (٢) ، وقد أَبْطَأَ علينا الحارث ، ونَزَفَ الدم فوقفنا له ساعة حتى أَنَاثَا فَأَحْمَلْنَاهُ وَجِثْنَا بِهِ .

- قال ابن سعد : فلما بلغوا بَقِيعَ الفَرَقْدِ كَبَرُوا ، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصل ، فلما سمع تكبيرهم كَبَر ، وعرف أن قد قتلوه ، ثم اتهموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أَفَلَحَتِ الوجوه » قالوا : وجهك يا رسول الله ؛ ورموا برأسه بين يديه ، فحمد الله على قتله .

- قال ابن إسحاق ، قال محمد بن مسلمة : وتَغَلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على جرح صاحبه فَبَرَأ ، فرجنا إلى أهلينا ، فأصبحتنا وقد خافت يهود لَوْقَتِنَا بِمَدَنَاهُ ، فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه .

١٠

وفي مقتل كعب بن الأشرف يقول عباد بن بشر :

صرختُ به فلم يعرض لصوتي • وأوفى طالعا من رأس جدير (٣)
فَعُدْتُ له فقال من المنادي • قتل أخوك عباد بن بشر
وهذي درعا رهنا نَفَذْهَا • لشهر إن وفي أو نعيف شهر

- (١) جاث : موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية . وفي رواية أخرى : « بنات » .

(٢) كما في أ ، هـ . وفي الطبري ، وابن هشام : « استدنا » ، أي ارتقمنا .

(٣) الخزرج : الأرض الصلبة النليقة التي ألبسها جارة سود نخرة . والمريض : ركاذي المدينة .

(٤) نزه الدم : خرجت كثيرا حتى ضفت .

(٥) في الطبقات : « زوجهك » .

٢٠

(٦) الجدر : الحائط . وفي المواهب اللدنية : « خدر » .

فقال معاشر سفيها وجاعوا • وما عدموا التقى من غير تقري
 فأقبل نحونا يهوى سريعا • وقال : أما لقد جئتم لأمر
 وفي أيماننا بيض جداد • مجزبة بها الكفار تقري^(٦)
 فعاثقه ابن مسلمة المردى • به الكفار كاللث الهزبر
 وشد بسيفه صلتا عليه • قطره أبو عبس بن جبر^(٧)
 فكان الله سادسا قائنا • بأتم نعمة وأعز نصير
 وجاء برأسه قمر كرام • هم ناهيك من صدق وير^(٨)

ذكر غزوة غطفان إلى نجد

(وهي غزوة ذي أسر^(٩) ناحية النخيل، وقصة دُعُوث بن الحارث^(١٠))

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول^(١١) على رأس خمسة
 وعشرين شهرا من مهاجرة، وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا

(١) في المواهب، والاستياب : « وقال لنا قد » .

(٢) في الاستياب : « جداد » مجردة .

(٣) قطره : أسال دمه .

(٤) في الاستياب : « ناهوك » .

(٥) سمى ابن إسحاق هذه الغزوة « غزوة ذات الرقاع » . وقال في سبب هذه التسمية : « وإنما

١١ قيل لما غزوة ذات الرقاع ، لأنهم دفعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ،
 يقال لها : ذات الرقاع » .

(٦) في سيرة ابن هشام : « غوث بن الحارث » . وفيه روايات أخرى . راجع المواهب اللدنية

ج ٢ صفحة ١٧

(٧) في طبقات ابن سعد أنها كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجرة .

من بنى ثعلبة ومحارب بذى أمر تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم . جمعهم رجل منهم يقال له : دُعُثُور بن الحارث من بنى محارب ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وخرج لالتقى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسين رجلا ، ومعهم أفراس ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان — رضى الله عنه — فأصابوا رجلا منهم بذى القصة ^(١) يقال له جَبَّار من بنى ثعلبة ، فأدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبرهم وقال : لن يلاقوك ، لو سميتم باسمي لم يهربوا في رموس الجبال ، وأنا سائر مكم . فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فأسلم وختمه إلى بلال ، ولم يلاق صلى الله عليه وسلم أحدا .

- ١٠ قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي ، رحمه الله : وهربت منه الأعراب فوق ذروة من الجبال ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا أمر وصكر به فأصابهم مطر كثير ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ، فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى ذى أمر بينه وبين أصحابه ، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها ، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت الأعراب لدُعُثُور ، وكان سيدها وأصحابها : قد أمكك عهد ، وقد آفرد من أصحابه ^(٢) حيث إن عوث بأصحابه لم يثبت حتى تقتله ؛ فاختار سيفا من سيوفهم صارما ، ثم أقبل مشتملا على السيف حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف مشهورا ، فقال : يا عهد ، من يمنعك مني اليوم ؟ قال : الله . ودفع جبريل في صدره فوق

(١) ذر القصة : موضع على أربة وعشرين ميلا من المدينة .

(٢) كذا في جـ . وفي أ : « بنجرهم » . (٣) عوث : قال : واغوثاه .

السيف من يده ، فآخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام على رأسه ، فقال : من يملك مني ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، لا أكثر عليك جمعا أبدا ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ، ثم أدبر ، ثم أقبل بوجهه ثم قال : والله لأنت خير مني . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بذلك منك . فأتى قومه ، فقالوا : أين ما كنت تقول وقد أمكك واليسيف في يدك ؟ قال : قد كانت والله ذلك رأيي ، ولكن نظرت إلى رجل أبيض طويل فذفع في صدري فوقت لظهري ، فسمعت أنه ملك ، وشهدت أن محمدا رسول الله ، والله لا أكثر عليه ، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام وزلت هذه الآية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُ إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) الآية . ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ولم يلق كيدا ، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة .

٢٩
١٥

ذكر غزوة بني سليم بجمرات^(٣)

غزاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لست خلون من جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجرة — وبجران من ناحية الفرع^(٤) ، وبين الفرع وبين المدينة ثمانية برد — وذلك أنه بلغه أن بها جمعا كثيرا من بني سليم ، فخرج في ثلثمائة رجل من أصحابه ، وأستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأخذ السير حتى ورد بجران فوجدهم قد تفرقوا في مياهم ، فرجع ولم يلق كيدا ، وكانت غيبته عشر ليال .

١٥

(١) أراد بجبريل . (٢) بعض آية من سورة المائدة .

(٣) بجران (بضم الباء) رضعها ، وسكون الحاء) : موضع بتاحية الفرع . وفي الأصل : « بجران » .

(٤) الفرع (بضمين أو ضم وسكون) : قرية من ناحية المدينة ، ويقال : هي أول قرية مارت

٢٠

إسماعيل وأمه الترمكة . (٥) أخذ : أسرع .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى القردة

(بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالقاف وكسر الراء المهملة)

بمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لملال بجنادي الآخرة، على رأس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة، وهي أول سرية خرج زيد فيها أميرا يمترض لمير قريش فيها صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، وعبد الله بن أبي ربيعة، ومعه مال كثير، وكان دليلهم فرات بن حبان العيلى، فخرج بهم على ذات عرق، طريق العراق.

قال ابن إسحاق: وفيها أبو سفيان بن حرب، وكان من حديثها أن قريشا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام حين وقعة بدر فكانوا يسلكون طريق العراق، فخرج منهم تجار، وفيهم أبو سفيان بن حرب معه فضة كثيرة، وهي أعظم تجارتهم.

قال ابن سعد: فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب، فأعرضوا لها، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم، وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلبها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي من أهل السرية، وأسير فرات بن حبان، فأسلم، فترك من القتل.

والقردة: من أرض نجد بين الريدة والعمرة.

(١) في ابن إسحاق: «حيث كان من وقعة بدر ما كان».

(٢) في ١: «من».

ذكر غزوة أحد

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا يوم السبت لسبع خلون من شوال . على رأس أسير وثلاثين شهرًا من مهاجرة صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت يوم السبت للنصف من شوال .

وذلك أن قريشًا لما أُصيب من أُصيب منهم يوم بدر . ورجع من نجا منهم إلى مكة : وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة . فمشت أشرف قريش إلى أبي سفيان ، فقالوا : نحن طيبو أنفس أن تجهزوا برشح هذه العير جيشًا إلى محمّد . فقال أبو سفيان : وأنا أول من أجاب إلى ذلك ، وبنو عبد مناف معي ، فابعوها فكانت ألف بعير ، والمالُ خمسين ألف دينار . فسلم إلى أهل العير رموس أموالهم وأخرجوا أربابهم ، وكانوا يرجعون في تجهزهم للدينار دينارًا .

قال ابن سعد وغيره : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاهُمْ كَقُرُونٍ قَدْ كَفَرُوا بِرُسُلِهِمْ فَنُصِرَهُمْ فَأَوْفُوا وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ . فمضوا على سبيل الله فسيئفوقوا ثم تكون عيرهم حمرة ثم يلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون^(٧) . وبنت قريش رسلهم إلى العرب بدعوتهم إلى نصيرهم فأوفوا^(٤) واللبوا^(٥) .

قال ابن سعد : وكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم يخبر قريش ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن الزبير بكاتب

كاتبه إلى الأندلس : « هذا نص » (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

- العباس . ولَوْجَفَ المُنَافِقِينَ واليهود بالمدينة ، ونَجِرت قريش من مكة بِمَحْدَعَا ^(١٢) وِجْدَهَا
 وأحَابِشَهَا ، ومن نَاسِهَا من كُتِلَتْ وأهل تِهَامَةٍ ، وكان عددهم ثَلَاثَةَ آلاف رجل ،
 فيهم سِبْجَةُ دَارِعَ ، ودمهم مائتا فرس وثَلَاثَةُ آلاف بَعِيرَ ، ونَجِجُوا معهم بِالظَّننِ ^(١٤)
 الخُفَيْضَةَ ، وَأَزَلَا بَنُزُوًا ، وكان معهم خَمْسَ عَشْرَةَ أَمْرَاءَ ، فَنَجَرَ أَبُو سَفْيَانَ ^(١٥)
 ابن حرب — وهو قائد الناس — معهم يَهْنَدُ بِنْتَ حَبِيبَةَ ، ونَجَرَ عِزْكَرَةَ بن ^(١٦)
 أَبِي جَهْلٍ بِأَمِّ حَكِيمِ بِنْتِ الْحَارِثِ بنِ هِشَامِ ، ونَجَرَ الْحَارِثَ بنَ هِشَامِ
 بِخَطِيبَةِ بِنْتِ الْوَلِيدِ بنِ الْمُنْثَرِ ، ونَجَرَ صَفْوَانَ بنَ أُمَيَّةَ بِنْتَ مَسْعُودِ بنِ عَمْرٍو ^(١٧)
 ابْنِ حَصِيصٍ الْخَفِيِّ ، وهى أم عبد الله بن صفوان ، ونَجَرَ عَمْرٍو بنَ الْعَبَّاسِ بِرَبِيعَةَ
 بِنْتِ عَمْرِو بنِ الْحِجَابِ ، وهى أم عبد الله بن عمرو ، ونَجَرَ طَلْحَةَ بنَ
 أَبِي طَلْحَةَ — عَبدَ اللَّهِ بنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بنِ عُمَانَ بنِ عَبْدِ الدَّارِ — بِسُلَافَةَ ^(١٨)
 بِنْتِ سَعْدِ بنِ شَيْبَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ ، ونَجِرت خُنَاسَ بِنْتَ مَالِكِ بنِ الْمُضَرِّبِ ^(١٩)

٣٠
١٥

- (١) أُرِيفَ الْقَوْمَ : اغتفوا أخبارا كاذبة يكون منها اضطراب في الناس .
 (٢) بِمَحْدَعَا وَجِدَهَا : بنسبها وظلمتها .
 (٣) أَحَابِشُ قُرَيْشٍ : قوم من بني المصطلق والحزن بن خزيمَةَ ، اجتمعوا وحاقوا قريشا عند
 حبشى ، وهو جبل بأفغل مكة ، فسبوا به .
 (٤) كَذَا فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَدٍّ ، وَسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ . وفي الأصول : « قارس » .
 (٥) الظَّننِ : جمع ظنية ، وهى المرأة مادامت في المروج .
 (٦) الْخَفِيزَةُ : الحمية والنضب .
 (٧) كَذَا فِي أ . وفي ب : « وهو قائد الناس معه يهتد » .
 (٨) فِي السِّيرَةِ وَالْمَوَاقِبِ الْقَدِيمَةِ : « بَرَزَةُ » .
 (٩) كَذَا فِي السِّيرَةِ ، وَالطَّبَرِيِّ . وفي الأصول : « سبيل » . وفي رواية الطبري : « سبيل » .
 (١٠) مَا ذَكَرَ رِوَايَةَ السِّيرَةِ وَالطَّبَرِيِّ . وفي الأصول : « النضر » .

مع أنها أبي عزيز بن حمير، ونرجت عمرة بنت طحمة إحدى نساء بني الحارث ابن عبد مائة .

قال محمد بن إسحاق : ودعا جبير بن مطعم فلاناً له حبشياً ، يقال له : وحشي ، يذف بحربة له قنف الحبشة ، فلما يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بنعي طعيمة بن عدى فانت عتيق .
فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مر بها ، قالت : وبها دثمة ، اشف واستشف ، وكان وحشي يكنى بأبي دثمة .

قال ابن سعد : وشاع خبرهم ومسيرهم في الناس حتى زلوا ذا الحليفة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنساً وموسياً ابني قضاة ، ليلة الخميس نكس مضين من شوال عشرين له ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ، وأنهم قد خلوا إليهم وخيلهم في الزرع الذي بالرئيس حتى تركوه ليس به خضراء ، ثم بعث الحباب ابن المنذر [بن الجموح فدخل فيهم] فحزروهم ، وجاءه بهمهم ، وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وسعد بن جادة ، في عدة ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرس المدينة حتى أصبحوا ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كأنه في درج حصينة ، وكان سيفه ذا الفقار قد أقصم من عند طنبه ، وكان بقرا تذبذب ، وكأنه مرْدِفُ كَبْشَا فأخبرها أمهاؤه وأولها ، فقال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، وأما أقصام مني

(١) كذا في الطبري ، والسير . وفي أ : « مع أبي أبي عزيز » وفي ب : « مع أبي أبي عزيز » .

(٢) في أ : ب : « أحد » .

(٣) وفيها : كلمة سناها الإضرء والتضيض . والدثمة : السواد . وفي الطبري « إيه أبا دثمة » .

وفي السير : « وفيها أبا دثمة » .

(٤) الرئيس : راد بالدينة . (٥) ساقطة من أ ، والحزر : العلة بالفلن والنخمين .

مصبية في نفسي، وأما البقر التي نذع فعلت و: «خبي»، وأما مُردف كَيْشًا، فكَيْش الكنية بقتله [١] إن شاء الله: فكان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة هذه الرقبا، فأحب أن يوافق على رأيه، فاستشار أصحابه في الخروج، فأشار عبد الله بن أبي بن سلول ألا يخرج، وكان ذلك، أي الأكابر من المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: امكثوا في المدينة، واجعلوا النساء والذراير في الأظلام. فقام فتيان أحدث لم يشهدوا بدرا، فطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج إلى عدوهم ورغبوا في الشهادة، وقالوا: اخرج بنا إلى عدونا لا يرؤنا [٢] جئت عنهم وضعتنا. فطلبوا على الأمر، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة بالناس ووعظهم وأمرهم بالجد والجهاد، وأخبرهم أن لهم النصر منصرفوا، وأمرهم بالتأهب لعدوهم، ففرح الناس بالشخص: ثم صلى بالناس المصرا، وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أبو بكر وعمر، فعماه وألبساه، وصف الناس له يفتخرون بخروجه، فقال لهم سعد ابن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج، والأمر يتزل عليه من النساء، فرقوا الأمر إليه. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس لأمنته، وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من آدم من حمائل سيفه، وأتم وتقلد السيف، وألقى الترس في ظهره، فندموا جميعا على ما صنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي

(١) سابقة من أ. (٢) كذا في أ. وفي ج: «على مثل رأيه».

(٣) الآحاد: الحصون المبنية بالحجارة. والبيوت المربعة المسطحة. (٤) حادثة من أ.

(٥) في المواهب: «الاجتهاد» مكان «الجهاد». (٦) العوالي: قرى بظاهر المدينة.

(٧) في الأصول: «لبساء» وهو تحريف (٨) صف: اصطف.

(٩) العلامة: الذرع أو السلاح كله. (١٠) في ج: «سيف».

لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . فانظروا
ما أمركم به فافعلوا وأمضوا على اسم الله ، فلكم النصر ما صبرتم . ثم دعا بثلاثة
أرماح ، فقذف ثلاثة ألوية ، فدفع لواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ، ويقال :
إلى مصعب بن عمير ، ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير . ودفع لواء الخزرج
إلى الحبيب بن المنذر ، ويقال : إلى سعد بن عباد ، واستخلف على المدينة
عنه الله بن أم مكتوم . ثم ركب فرسه وتكب القوس وأخذ قناة بيده ، والمسلمون
عندهم السلاح قد أظهروا الدروع ، فيهم مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه يدوان ،
سعد بن معاذ ، وسعد بن عباد ، كل منهما دارع ، والناس عن يمينه وشماله ، فضى
سهمين . ثم ألقوا السهمين ، وهما أطمان ، كان يهودي ويهودية يقومان عليهما يتعدان ،
ثم أتى السهمين ، وهما في طرف المدينة — التفت فنظر إلى كتيبة خشنة
تسارجل . فقال : ما هذه ؟ قالوا : حلفاء ابن أبي من يهود . فقال صلى الله
عليه وسلم : لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك . وعرض من عرض
مسيحين ، فرد من رده وأجاز من أجاز .

قال سعد بن إسماعيل : أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعة بن جندب
بن عبد الله ، ورافع بن خديج أحد بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان

١٠ . السهمين : السهمين . (٢) في : « كانا » .

١١ . السهمين : السهمين . « كان شيخ وشيعة » . وفي الضمير : « كان يهودي ويهودية أعميان » .
١٢ . السهمين : السهمين .

١٣ . السهمين : السهمين .

١٤ . « لا تستنصروا » وما ذكر رواية ابن سعد .

١٥ . « نزل » وهو محرف

قد وردهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا وإمام . فأجازه ، فقيل له : إن سمرة
بصرى وإماما ، فأجازه . ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ،
وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وعمر بن حزم ،
ولبيد بن ربيعة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة ، ورد عرابة
ابن لؤس وهو القى يقول فيه الشايع^(١) .

إذا ما راية رنفت لجيد • تلقاها عرابة باليمن

قال ابن سعد : وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشيخين ، وكان نازلا
في بني النجار ، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا ،
يُطْفِئُونَ بالسكرك ، وأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في السحر ، ودليله أبو خيثمة^(٢) ،
فاتمى إلى أحد ، فكانت الصلاة ، وهو يرى المشركين ، فأمر بلالا فأذن وأقام ،
فصلى أصحابه الصبح صفوفا .

قال ابن إسحاق : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشوط بين المدينة^(٣)
وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أبي بلثه الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ،
ما ندرى علام قتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل
التفاح ، وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حزام ، أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم ،

(١) خرج الشايع يريد المدينة فلقبه عرابة بن الأوس ، فسأله عما أقدمه المدينة ، فقال : أردت أن
أنازلهم . وكان معه بيران فأوفرها له عرابة تمرا وبرا ، وكساه وأكرمه ، فخرج عن المدينة وأتبعه
بالقصيدة التي منها هذا البيت . (٢) كذا في الأصول ، وهو يوافق ما في المواهب ، وفي ابن
سعد : « أبو حنة » ، ونسأله صاحب المواهب .

(٣) الشوط ، قال في سيم البلدان : « اسم حائط ، يعني بستانا بالمدينة » .

أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَحْذَلُوا قَوْمَكُمْ وَنَيْبَكُمْ عِنْدَمَا حَضَرَ مَدُومٌ ، قَالُوا : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقَاتِلُونَ كَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ ، وَلَكِنْ لَأَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قَتَالٌ . قَالَ : فَلَمَّا اسْتَصَوَّوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الْإِنْصِرَافَ ضَمُّهُ ، قَالَ : أَبْعَدُكُمْ اللَّهُ أَعْدَاءَ اللَّهِ ، فَسَيُنْفِي اللَّهُ عَنْكُمْ نِيَّةَ صَلي الله عليه وسلم .

• قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : انْخَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَثْثَمَةَ ، وَبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبْعَانَةٍ وَمَعَهُ فَرَسُهُ وَفَرَسٌ لِأَبِي بَرْدَةَ بْنِ نِيَّارٍ . وَأَقْبَلَ يَصِفُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ الصَّفُوفَ عَلَى رَجْلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ دِرْعَانٌ وَمِقْفَرٌ وَبَيْضَةٌ ، وَجَمَلٌ لَهُ تَيْمَنَةٌ وَمُفْسِرَةٌ ، وَجَمَلٌ أَحَدًا وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْمَدِينَةَ ؛ وَجَمَلٌ عَيْنَيْنِ — جَلَلًا — عَنْ يَسَارِهِ ، وَجَمَلٌ عَلَيْهِ خَمْسِينَ مِنَ الزَّيْمَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ ، وَقَالَ : قَوْمُوا عَلَى مَصَافِكُمْ هَذِهِ فَاحُوا ظَهْرُونَا ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفَتَنَا ، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا ، فَلَا تَشْرَكُونَا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا تَقْتُلْ فَلَا تَنْصَرُونَا .

• وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ ، وَقَدْ صَفُّوا صَفُوفَهُمْ ، وَاسْتَعْمَلُوا عَلَى الْمَيْمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَلَهُمْ مَجْنِبَتَانِ مَائَتَا فَرَسٍ ، وَجَلُّوا عَلَى الْخَيْلِ صَفُّوَانِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَيُقَالُ : عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ . وَعَلَى الزَّيْمَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَيْبَعَةَ ، وَكَانُوا مَائَةَ رَاثٍ ، وَدَفَعُوا الْقَوَاءَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ — وَاسْمُ أَبِي طَلْحَةَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَثَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ — فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالْقُرْطُبِيُّ ، وَفِي الْمَوَاحِبِ الدِّينِيَّةِ . وَفِي السِّيرَةِ : « لَا تَحْذَلُوا » .

(٢) الْمُفْسِرُ : زَادَ مِنَ الْمَرْحِ يَلِيسُ تَحْتَ الْقَلْبِ ، أَوْ حَقٌّ يَتَنَحَّى بِهَا التَّسْلُحُ .

(٣) عَيْنَانِ : جَبَلٌ بَطْنُ السَّبْجَةِ مِنْ قِتَاةٍ عَلَى شَفْرِ الرَّادِي مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ .

(٤) فِي أ : « عَلَيْهِ » .

(٥) كَذَا فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ . وَفِي الْأَمْوَالِ : « هَذَا » .

(٦) الْمَجْنِبَتَانِ : الْمَيْسَرَةُ وَالْمَيْسِرَةُ .

قال الزبير : فجعل لأبني أحدًا إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع أحداً إلا ذق عيابه . فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلعا ضربتين : فصرب المشرك أبا جحانة ، فقتله ، بدركته ، وضربه أبو جحانة فقتله ، ثم رأيتهم يحمل السيف على فترق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدله حمز ، قال الزبير : فقلت : والله رسولوه أعلم .

قال أبو ذؤابة : رأيت عند الجسر س . س . ، فصالت له ، فلما حلت
به الشريف وأولادها ، قال : يا س . س . ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبصر به امرأة

فألوا: وكان من غير أن يخرج أبو عامر عبد عمرو بن صفين^(١٢) ابن مالك بن النضر بن حذافه بن زيد، وكان قد خرج إلى مكة فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم معه نحو من الأوس، وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان. فلما التقى الناس كان أول من اتهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة: فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر. قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق - وكان في الجاهلية يُسمى الزاهد، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق، كما قدمنا من خبره - فلما سمع منهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدى شر. ثم قتلهم قتالا شديدا، ثم راحتهم بالحجارة فراضوه، حتى ولو راح أصحابه هاربين.

(١) نقت: أجمع . (٢) نذرة: الترمي المصروع من الخلد .

(۲) بحث نام : بیوقوفہ نصیب : ای محزونہ علی اختار و مصیبتہم .

(٤) كذا في نسخة، وطبري، التواتر. مة. وفي أ: «عبد بن حرب عمير»

وَقِيحٌ : «ع بن عمرو» . (٥) راضٍ : راضٍ : راضٍ .

قال : وكان أبو سفيان قد قال لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحترضهم بذلك على القتال : يا بنى عبد الدار ، إنكم قد ولّيتُم لواء يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبيل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإذا أن تكفونوا لواءنا ، وإنا أن نكفوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نُسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

قال : ولما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذت الدفوف بضرب بها خلف الرجال ويحترضهم ، فقالت هند فيما تقول :

وَيْهًا بِنَى عَبْدِ الدَّارِ • وَيَهًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ
• ضَرْبًا بِكُلِّ بَسَارٍ •

وقالت أيضا :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ • نَمْشِي عَلَى التَّارِقِ ^(٥١)
إِنْ تَقْبَلُوا نُسَاتِقَ • أَوْ تَدِيرُوا نُفَارِقَ
• فَرَاقٌ غَيْرُ وَاقِعٍ •

(١) في السيرة ، والطبري : « لواءة » .

(٢) كما في ج . وفي أ : « لواء » . (٣) بشار : غاطع .

(٤) في حاشي ج ما يأتي : « قولها : بنات طارق » . تريد السجم ؛ أي نحن شريقات رفيقات كالسجم . وقيل : انشعر هند بنت طارق بن يمامة الإيادية ، قاله في حرب الفرس لإياد ، فتمثلت به هذه . وقال لسان العرب : إن ابن بريق قال : إن هذا بنت عتبة هي هند بنت يمامة بن دباح بن طارق الإيادي . وذكر الأبيات برواية أخرى ، وهي تخالف رواية المؤلف ورواي الطبري وابن إسحاق . وراجع لسان العرب مادة (ضرق) .

(٥) انشمارق : جمع تمرقة ، وهي الوسادة الصغيرة والطنفسة فوق الرجل .

(٦) الواثق : المحب .

قال : وكان شعار المسلمين يوم أحد . أَيْتْ ، أَيْتْ . ودنا القوم بعضهم من بعض ، والزماة يرشقون خيل المشركين بالنبل ، فتولى هوارب ، فبرز طلحة ابن أبي طلحة ، صاحب لواء المشركين ، وقال : مَنْ يُبَارِزُ ؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، فالتقيا بين الصَّفَيْنِ ، فبَدَرَ علي بضربة على رأسه حتى فلق هامته ، فوقع وهو كئِش الكتيبة ، فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكَبُرَ ، وكَبُرَ المسلمون ، وشقوا على كُتَّابِ المشركين يضربونهم حتى تنفست صغفونهم ، ثم حمل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة ، وجعل يرتجز وهو أمام النسوة :

إِنِّي عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقٌّ • أَنْ يُخَضِّبُوا الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقَا^(١)

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب ، فضربه بالسيف على كاحله فقطع يده وكشفه حتى انتهى إلى مؤترِّره ، وبدأ يحمره ، ثم رجع حمزة وهو يقول : أنا ابن ساقى الجميع . فحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة ، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرتَه ، فأدْلَعَ لِسَانَهُ إِدْلَاعَ الْكَلْبِ ، فقتله . ثم حمله سُفَاعٌ بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتله . ثم حمله يَكْلَابُ بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله الزبير بن العوام . ثم حمله الجُلَّاسُ بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله . ثم حمله أَوْطَاةُ بن شَرَحْبِيلَ ، فقتله علي بن أبي طالب .

(١) في الأصول : « فَيُولُوا » والتصويب من الطبقات .

(٢) « النَّفْسُ : التَّحْرِيكُ وَالْإِضْطِرَابُ » .

(٣) الصَّعْدَةُ : التَّنَائُفُ الَّتِي تَبْتَغِي مَسْتَقْبَلَهُ . وفي الطبقات : « أَنْ تُخَضَّبَ » .

(٤) السَّحْرَةُ : الزَّجْجُ .

(٥) أدْلَعَ : أُنْزَجَ .

ثم حمله شريح بن قسط^(١) ، فقتل . ثم حملة صواب غلامهم^(٢) ، وهو حبشي ، فقاتل
يوياحى فقتلته يده ، فاعتق اللواء حتى قتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل
تدرت . وخيف في قتله ، فقتل : قتله سعد بن أبي وقاص ، وقيل : علي بن
أبي طالب ، وقيل : قتله قزمان على الأصح .

٥ قول : فله قتل أصحاب اللواء صار بني . حتى أخذته غمرة بمت علقمة
أحرنية مدفعته نفر يش . فلانوا به . ثم انكشف المشركون وانهموا لا يلبون على
شيء . وسدوهم يدعون يولي . وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيه حيث
شأوا حتى أجهضوهم عن العسكر ، ووقعوا ينهبون العسكر ، وأخذون ما فيه
من الغنائم .

١٠ قول بن جحاق بسند يرفعه إلى الزبير بن العوام ، أنه قال : والله بعد رأيي
أنظرني خديم هند وصواحيها مشمرات هوارب ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير .

فول بن سعد : وتكلم الزمعة الذين على الجبل واختلفوا بينهم ، وثبت أميرهم
عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة . وقال : لا أجاوز أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، ووعظ أصحابه وذكركم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا :
لم يرد رسول الله هذا ، قد انهزم المشركون ، فما مقامنا هنا ؟ فانطلقوا يتبعون العسكر
يتنبهون معهم ، وتركوا الجبل . فنظر خالد بن الوليد إلى خلوة الجبل وقلعة أهله ،

(١) كذا في الأصول . وفي طبقات ابن سعد ، والروايات المأثورة : « قارط » وفي رواية ابن هشام :

« قسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار » .

(٢) كذا في ج . وفي أ : « غلامهم حبشي » . وفي رواية ابن هشام : « غلام لبني أبي طلحة » .

٢٠ (٣) لأنرايه : اجتماعه حوله .

(٤) أجهضوهم : أوجم .

- فَكَرَّ بِالْجَلِيلِ ، وَتَبِعَهُ عِزَّةٌ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَحَمَلُوا عَلَى الْمَسَامِينِ ، وَاسْتَدَارَتْ رِجَاهُمْ ، وَحَالَتِ الرِّيحُ فَصَارَتْ دُبُورًا ، وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَبَاً ، وَنَادَى إِلْيَاسُ - لَعْنَةُ اللَّهِ - : إِنْ هَذَا قَدْ قُتِلَ . وَاخْتَلَطَ الْمَسَامِينُ فَصَارُوا يَتَنَاقَلُونَ عَلَى غَيْرِ شِعَارٍ ، وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، مَا يَشْعُرُونَ بِهِ مِنَ الْعَجَلَةِ وَالذَّهْشِ ، وَقُتِلَ مُصْعَبُ ابْنِ عَمِيرٍ . فَأَخَذَ اللُّوَاءُ مَلَكًا فِي صُورَةِ مُصْعَبٍ ، وَحَضَرَتْ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ تَتَنَاقَلُونَ وَنَدَى الْمُشْرِكُونَ بِشِعَارِهِمْ : يَا لَلْعَزَى يَا جَبِيلَ . فَقُتِلَ مِنْ أَكْرَمِهِ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ مِنَ الْمَسَامِينِ ، حَتَّى خَلَصَ الْعَدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَثَبَتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَهْلِكَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا ، سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ : أَبُو أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَسَبْعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ . وَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَتْ سَيْفُهَا ، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ . ثُمَّ ذُبَ بِأَحْجَارَةٍ . وَكُثِرَتْ يَوْمَئِذٍ رِبَاعِيَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكُتِبَتْ شَفَتُهُ ، وَنُجِّحَ فِي وَجْهِهِ ، وَجَرِحَ فِي وَجْتِهِ ، وَكُثِرَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَعَلَ يَمْسَحُهُ وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ؟ فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(٨) .

(١) فِي طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ : « حَمَلُوا عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الزُّبُرَةِ قَتْلَهُمْ ، وَنَقَلَ أَمِيرَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ أَرْجِيرٌ ، وَانْتَقَضَتْ صَفُوفُ الْمَسَامِينِ » .

(٢) فِي ١ : « يَقْتَبُونَ » (٣) نَعَزَى وَهَيْلٌ : صَيَانٌ تَقْرِيشٌ .

(٤) فِي ١ : « مَعَ » . (٥) كَذًا فِي يَدٍ . وَفِي ١ : « مَعَ » .

(٦) السِّبَّةُ : طَرَفُ الْفَتَوسِ . (٧) الزُّبُرَةُ : الْأَسْرَاقُ بَيْنَ النَّبِيِّ .

(٨) آيَةُ ١٢٨ مِنْ سُورَةِ آدِ عَمْرَانَ .

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بعينه إلى أبي سعيد الخدري : أن
عبد بن أبي وقاص رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رايته
التي السفل ، وجرح شقه السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الأهمري تخيه في جبهته ،
وأن ابن قيسه جريح وجعه ، فدخل حلفان من حلق المنفر في وجته ، ووقع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليضع فيها المسلمين ،
فأخذ على بن أبي طالب بيده ، ورضه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومضى
مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري ، أقدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
[ثم] [لؤي] ، فقال صلى الله عليه وسلم : من من دمه دمي لم تمسه النار .

- قال ابن السكيت بسند يرفعه إلى محمود بن عمرو : لما غشي القوم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : من رجل يشتري لنا نفسه ؟ فقام زيد بن السكن
[في خمسة من الأصغر ، وبعضهم يهول : إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن] .
فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا يقتلون دونه ، حتى كان
آخرهم زياد أو عمارة ، فقاتل حتى أجمته الجراحة . ثم قامت فئة المسلمين
فاجتمعهم عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه مني . فأدنوه منه ،
فوسده قدمه ، فمات ، وخذه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- قال : وقالت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يومئذ ، فحدثت وقد
سظت من خبرها ، فقالت : خرجت أقل النهار أنظر ما يصنع الناس ، ومضى سقاء
فيه ماء ، فأتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدولة والرجح السامين ، فلما
انهزم المسلمون انخرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أباشر القتال وأنبأ
عنه بالسيف ، حتى خلصت الجراحة إلى . وكان على طاقها جرح أجوف له غود ،

قيل لها : من أصابك بهذا ؟ فقالت : ابن قميصة ، ^(١) أقساه الله ، لما ولي الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على عهد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعتزمت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

٣٤
١٥

قال ابن إسحاق : وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه ، بقع النبل في ظهره وهو متخني عليه ، حتى كثُر فيه النبل . وروى سعد ابن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فلقد رأيته يناولني النبل ويقول : إرم فذاك أبي وأمي ، حتى إنه ليناولني السهم ماله من نعل ، فيقول : إرم به . قال : وأصبحت يومئذ مع قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجهه ، فرتعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما . قال : واتبى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب ، وطلعة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار ، قد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يعلحكم ؟ فقالوا : قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل . قال أنس بن مالك : لقد وجدنا به سبعين ضربة ، وأصيب عبد الرحمن بن عوف في فمه فهُمِمَ ، وجرح عشرين بجراحة أو أكثر ، فأصابه بعضها في رجله فصرخ .

١٠

١٥

(١) كما في ج . د : « آية » ، بحريف . (٢) أقاه : أنه .

(٣) كما في سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « ولقد على ذلك ضربه ضربات » وفيها تقديم وتأخير رسوايه عن الطبقات .

(٤) في أ : « حتى ألقوا » .

٢٠

- قل بن يمحوف : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ،
وقول الناس : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم - كعب بن مالك ، قل كعب :
عرفت عينه تهران تحت المغفر ، فذابت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين - أبشروا ،
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذرتني : أن أجيئت : قل : فلما عرف
نسيمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا [به] وبهض بهم نحو الشعب - معه
٥
السكران وعمر وعمر - وطئوه بن عبيدة ، ورؤيت من الغمام - والحارث بن النعمان -
ورخص من ناسين - فمما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه
الرسول بن - وهو يقول : أين محمد ؟ لا تحوت بنت - ع - فقال القوم :
رسول الله - يعطف عليه رجال منا - قال رسول الله : دعوه - فلما دعا تناول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن النعمان - قل : فلما أخذها
١٠
سعى من تنافسة تطاربا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها - ثم
استقبله فطعن بها طعنة في عنقه تذاذاد^(١) منها عن فرسه مرارا ، وكان أبي بن خلف
قبل ذلك يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : إن عندى العود - فرسا - أعلقه
كل يوم فرقا من ذرة أفتلك^(٢) عليه - فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل
أنا أفتلك إن شاء الله - فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير ،
١٥
فاحتقن الله فيه ، فقال : قتلتني والله محمد ، قالوا : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك

(١) تهران : تصيوان - وفي ج : « تهران من تحت المغفر » .

(٢) سجد : معند .

(٣) تطاربا عنه : يطأه - وفي هامش ج : « شعرا - : دباب له دمع » .

(٤) تذاذاد : تدرج .

(٥) أدرك : مكأن باليدية يصيبه شراب .

باس، قال : إنه قد قال لي بمكة : أنا أقتلك، [والله] لو بصق علي لقتني . فأت

عده الله بسيرف^(١٢) وهم قافلون إلى مكة، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت :

لقد وِثِرَ الضَّلالةَ عن أبيه • أُنْبِئَ يومَ بارزه الرسولُ

أُنْبِئْتَ إليه بحملِ رِمٍّ عَظُمَ • وتُوعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ^(١٣)

وقد قَتَلْتَ بنو النَجَّارِ مِنْكُمْ • أُمِيَّةٌ إِذْ يُنَوِّثُ : يَا عَقِيلُ^(١٤)

وَتَبَّ ابْنُ رَيْمَةَ إِذْ أَطْلَمَا • أبا جهل ، لأتتهما الهولُ^(١٥)

وأُنْظِتْ حَارِثَ لَمَّا شَفَلْنَا • بأسرِ القومِ ، أَسْرَتُهُ قَلِيلُ

وقال حسان أيضا فيه :

الْأَمَنُ مُبْلَغٌ عَنِّي أَيْبًا • فَقَدْ أَقْبَيْتَ فِي مُحَقِّ السَّعِيرِ^(١٦)

تَمَنَّى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ • وَتَحْصَمُ أَنْ قَدَرْتُ مَعَ التَّنْذِيرِ

تَمَنَّىكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ • وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ

فَقَدْ لَاقَيْتَ طَمَعَنَةً ذِي حِفَافٍ • كَرِيمَ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي بَحُورِ^(١٧)

له فضلٌ على الأحياء طُرًّا • إِذَا نَابَتْ مُلَسَّاتُ الْأُمُورِ

٣٥
١٥

قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قم الشعب خرج على بن

أبي طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ^(١٨) من الماء ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليشرب منه ، فوجد له ريحاً ، فمافه وغسل عن وجهه الدم .

(١) ساقطة من أ ، وفي ابن هشام : «عرواه» . (٢) سرف : موضع على ستة أميال من

مكة ، وقيل سبة ، وقيل غير ذلك ؛ تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته بنت الحارث .

(٣) الرم : البالي . (٤) يتوث : يقول : واغوا .

(٥) تب : هلك . والهول : القصد . وفي المواهب اللدنية : «وأعما» .

(٦) السحق : الجذوؤا . (٧) الحفاظ : القرب عن المحارم .

(٨) الدرة : الررس إذا كان من جلود ليس فيه خشب .

قال : وبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب، معه أولئك القوم من أصحابه، إذ علت عالية من قريش الجبل، وكان على تلك الجبل خالد بن الوليد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم [إنه] لا يبقى لهم أن يعلونا ! فقاتل عشرين الخطاب ودهط من المهاجرين حتى أبطوهم من الجبل . ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محبرة من الجبل ليعاوها ، وقد كان بدن وظاهر بين درعين ، فلم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها .
 قال ابن هشام : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التي أحابتها ، وصلى المسلمون خلفه قعودا .

قال ابن إسحاق : ولما أراد القوم الانصراف أشرف أبو سفيان على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : أُنْصِتْ^(١) قَعَال ، إن الحرب بحال ، يوم بيوم بدر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فاجبه ، فقل : الله أمل وأجل ، لا سواء ، قتلاتنا في الجنة ، وقاتلكم في النار ، فقال له أبو سفيان : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : إيتني فانظر ما شأني ، فأتاه ، فقال له أبو سفيان :

(١) صافقة من أ .

(٢) بدن : ضف . ظاهري : طابق .
 (٣) كذا في البصرة . وفي الأصول : « عليه » .

(٤) أنصت فقال : كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عد إلى مهيمن ، فكذب على أحدهما « نعم » ، وعلى الآخر « لا » ، ثم يتقدم إلى الضم ويحيل سماعه ، فإن خرج سهم « نعم » أقدم ، وإن خرج سهم « لا » انتح ، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استقى هبل ، فخرج له سهم الإتمام ، فذلك قوله لم يرضى الله عنه : أنصت فقال ، أي أجابت بنم ضجاف ضها ، ولا تذكرها بسوء ، حتى أتممت . هذا ما ذكره صاحب اللسان ، وهناك أقوال أخرى يجدها في ج ٢ صفحة ٥٧ من المواهب اللدنية .

(٥) لا سواء : لأنهم سواء أي لا استوى .

أَشَدُّكَ اللَّهُ يَا عَمْرُ، أَتَلْنَا عَمَّا؟ قَالَ عَمْرُ: اللَّهُمَّ لَا، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ
• الْآنَ، قَالَ: أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قَيْسَةَ وَأَبْرَ - لِقَوْلِ ابْنِ قَيْسَةَ لَمْ:
إِنِّي قَتَلْتُ عَمَّا - قَالَ: وَاسْمُ ابْنِ قَيْسَةَ عَبْدُ اللَّهِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: وَأَشْرَفُ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ: أَفَى الْقَوْمِ عَمَّا؟
فَقَالَ: لَا تَجِيبُوهُ، قَالَ: أَفَى الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي حُثَّافَةَ؟ قَالَ: لَا تَجِيبُوهُ، قَالَ:
أَفَى الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنْ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَا جَاوِبُوا. فَلَمْ
يَمْلِكْ عَمْرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهِ - نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَبْدُ اللَّهِ، أَتَبْقَى اللَّهُ لَكَ
مَا يُخْزِيكَ. قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: أَعْلَى هَبْلٍ^(١)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
أَجِيبُوهُ، فَقَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ:
لَا الْمَزْيَ وَلَا عَزَى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَجِيبُوهُ، قَالُوا:
• مَا نَقُولُ؟ قَالَ قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: يَوْمَ يَوْمٍ بَدْرُ،
وَالْحَرْبُ بِجَهَالٍ، وَتَجِدُونَ مَثَلَهُ لَمْ أَمْرٍ [بِهَا] وَلَمْ تَسُوْنِي^(٢).

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: ثُمَّ نَادَى أَبُو سَفْيَانَ عِنْدَ انْصِرَافِهِ: إِنْ مَوْعِدَكُمْ بَدْرُ الْعَامِ الْغَائِلِ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: قُلْ لَهُ: نَعَمْ هُوَ يَنْتَظِرُ
وَيَنْتَظِرُ مَوْعِدَ - ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ:
• أَمْرُجْ فِي آثَارِ الْقَوْمِ، فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُونَ، وَمَاذَا يَرِيدُونَ، فَإِنْ كَانُوا قَدْ جَنَبُوا^(٣)
الْخَيْلَ وَاسْتَطَلُّوا الْإِبِلَ فَلْيَنْهَ يَرِيدُونَ مَكَّةَ، وَإِنْ رَكِبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَهَمَّ

(١) هبل: اسم صنم كان في الكعبة.

(٢) المزى: اسم صنم كان قريش.

(٣) التزادة من البخاري. وقال: دخلت بقرية في مكة. والله أعلم بما من أمر الله.

يريدون المدينة ، والذي قضى بيده لئن أرادوها لأسيرين إليهم فيها . ثم لأنأجرهم^(١) . قال علي : فخرجت في آثارهم فראبتهم قد جئوا الخيل وامتطوا الإبل ، وتوجهوا إلى مكة .

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ،

وما فعلته هند بنت عتبة ، وما قالته من الشعر ، وما أجيبت به

كان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، قد قتل من ذكرنا من المشركين آفأ، وصربه سياب بن عبد المزى النُبشاشي ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلى يآين^(٢) مقطعة البُصور — وكانت أمه أم أئمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، وكانت خاتمة بمكة — فلما التقيا ضربه حمزة فقتله . فقال وحشي غلام

جبير بن مطعم : والله إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه هذا ما يقوم له شيء ، فوافقه إني لأشأأ أريده ، وأستر منه بشجرة أو بحجر ليدنوني ، إذ تقدمني إليه سياب ، فلما رآه حمزة قال له ما قال ، فضر به حمزة فقتله ، فهزئت حريقى حتى إذا رضيت منها دفنتها عليه ، فوقست في ثقبه^(٣) ، حتى خرجت من بين رجله ،

وذهب لبنوه نحوى فُلب^(٤) ، فتركته وإياها حتى مات ، ثم أنيته فأخذت حريقى ، ثم رجعت إلى المسكر فعمدت فيه ، فلم يكن لي بغيره حاجة ، إنما قتله لأتقى .

قال ابن إسحق : ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها بمثل بالقتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجتمعن الآذات والأكف ، حتى

(١) المناجزة في القتال : المبارزة والمقاتلة ، وهو أن يبينز أئسا سان يئرسا حتى يقتل كل واحد

منها صاحبه أو يقتل أحدهما . (٢) ق أ : ذكر مقتل .

(٣) البصر : لغة في البئر . (٤) التة : أسفل البطن .

(٥) يئو : يئض بجهد ومشقة . (٦) يجتمعن : يقطن .

اتخذت هند من آذان الرجال وآتهم قلائد وخدمًا ^(١) ، وأعطت قلائدها وخدمها
وقرطها وحشياً . وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تسطع أن تُسيفها ، فلفظها ،
ثم علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها ، ثم قالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر • والحرب بعد الحرب ذاتُ سر
ما كان عن عتبة لي من صبر • ولا أبى وعمه وبسرى
شفيتُ نفسى وقصبتُ وترى ^(٢) • شفيت وحشئ غليل صدرى
فشكر وحشئ على محمى • حتى ترم أعظمى في قبرى ^(٣)
فاجابها هند بنت أناة بن عباد بن المطلب ^(٤) فقالت :

تخريت في بدر وبعد بدر • يا بنت وقاع عظيم الكفر
صببك الله غداة الفجر • بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى • حمزة لئى وعلى صقرى ^(٥)
إذ رام شيب وأبوك غدرى • فغضب منه ضواحى النحر ^(٦)
• ونذول سوء فشر نذر •

وقالت هند غير ذلك من الشعر وأجبت به • وترك ذلك اختصاراً .

(١) خدما : خلاخيل -

(٢) الوتر : الثأر - وفي السيرة ، والمواهب اللدنية ، وأسد الغابة : « غدرى » .

(٣) ترم : تلى (٤) كذا في ابن هشام ، والمواهب ، والإصابة ، وأسد الغابة .

وفي الأصول : « ابر عبد المطلب » .

(٥) وقاع : يداب الناس . (٦) يفرى : يقطع .

(٧) شيب : ربه شيبة - ضواحى النحر : ما ظهر من الصدر .

قال ابن إسحاق: وصّر الحليس بن زبّان أخو بني الحارث بن عبد مائة، وهو يومئذ سيد الأحابيش بأبي سفيان، وهو يضرب في شِدْق حمزة بُزْج الرمح، ويقول: دُقْ عَقْق^(٢). فقال الحليس: يا بني كُتَّان، هذا سيد قريش يصنع بأبن عمه ما ترَوْن لحساً؛ قال: ويحك! اكْتُمَهَا عَنِّي، فإنها كانت زلة. قال ولما فرغ الناس لقتالهم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بلمس حمزة، فوجده بطن الودى قد يقر بطنه عن كبده، وجُدِع أنفه وأذناه. فقال حين رآه: لولا أن تحزن صَفِيَّة ويكون سنة من بعدى لتركك حتى تكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمتلن بثلاثين رجلاً منهم. فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرن الله بهم يوماً من الدهر لئمتلن بهم مثله لم يُمتلأ أحد من العرب. فأَنْزَلَ اللهُ تعالى قوله: ﴿وَلَنْ عَاقِبَتُهُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر. ونهى عن المثل^(٥).

(١) كما في سيرة ابن هشام، وبتصاري. وفي الأصل: «الحليس بن زبّان». وقال ابن إسحاق: ١٥
«الحليس بن عقيقة بن أروأبن زبّان» (٢٤٣: ٢).

(٢) عقق، أى باعق. (٣) لحا، أى ميتا. (٤) آية ٢٦ — ٢٨ سورة النحل.

(٥) المثل: التنكيل. فإن قيل: لقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرينيين، قلنا:

في ذلك جوابان، أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً. وثانيهما: أن ذلك كان قبل تحريم المثل. وراجع

الروض الأثف ج ٢ ص ١٤٢.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال: لن
أصاب بمثلك أبدا! ما وقفت موقفا قط أعظم إلى من هذا! ثم قال: جاءني جبريل
عليه السلام فأخبر أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع:
حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. قال ابن إسحاق: يرفعه إلى ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فُسجى بِرَدِّهِ،
ثم صلى عليه وكَبَّرَ سبع تكبيرات، ثم أُنِيَ بِالْقَتْلِ يُوضَعُونَ إلى حمزة، فصلى عليهم
وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة. قالت: وأقبلت ضفية بنت
عبد المطلب لتتظر إلى أخيها حمزة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير
ابن العوام: ألقها فارجمها لا ترى ما بأخيها. فقال [لها]: يا أباها: إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مُثِّلَ
بأخي، وذلك في الله عز وجل، فما أرضاني أنا بما كان من ذلك إلا أحسن وأصبر
إن شاء الله تعالى. فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره
بذلك قال: خل سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، وصَلَّتْ عليه، واسترجعت،
واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن. قال: واحتمل ناس
[من المسلمين] قتلاهم إلى المدينة، فدفنهم بها. ثم نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك، وقال: ادفنهم حيث صرعو.

٣٧
١٥

(١) يحيى: غلط. (٢) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الجباز ولا الأوزاعي لوجهين:
أحدهما — ضعف إسناده هذا الحديث. وثانيهما — أنه حديث لم يصحبه السمل، ولا يروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شيء من مثاليه إلا هذه الرواية. راجع الرض الألف
ج ٢ ص ١٤٢. (٣) سابقة من أ. (٤) في ابن هشام: «فأرضانا». (٥)
في أ: «أمير». (٦) سابقة من أ. (٧) سابقة من أ.

ذكر [تسمية^(١)] من استشهد من المسلمين يوم أحد

قال ابن إسحاق : استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون رجلا ، كان منهم
 من المهاجرين من بنى هاشم : حمزة بن عبد المطلب ، رضى الله عنه ، وقد تقدم
 خبر مقتله . ومن بنى أمية : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيم^(٢)
 قتل أبو الحكم بن الأخنس بن شريق . ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب
 ابن عمير ، قتل عبد الله بن قننة الليثي . ومن بنى غزوم بن يقظة : شماس بن عثمان
 قتل [أبي] بن خلف .

لم يذكر ابن إسحاق غير هؤلاء الأربعة .

وقال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ابنا الحبيب ،
 من بنى سعد بن ليث ، ووهب بن قايوس المزني ، وابن أخيه الحارث بن عتبة
 ابن قايوس . وزاد الطبري سمدا مولى حبة ، ولم يذكر الأربعة الذين ذكرهم ابن
 سعد ، بل عد المهاجرين خمسة .

واستشهد من الأنصار ، من بنى عبد الأشهل اثنا عشر رجلا ، وهم :
 عمرو بن مَعَاذ بن أَنَسْلان أخو سعد ، والحارث بن أنس بن رافع^(٣) ، ومُحَاوَرَة بن
 زَيْد بن السَّكَن ، وسَلَمَة بن ثابت بن وقش ، وأخوه عمرو بن ثابت ، وأبوهما
 ثابت ، وِرْقَاطَة [بن] وقش^(٤) ، وإِسْمَاعِيل أبو حَذِيْفَة بن إِيْمَان ، وأسمه حُسَيْل بن

(١) ساقطة من ١ . (٢) في الأصول : « خزيم » بحريف .

(٣) كما في الفروع الأضخ ، وابن هشام ، وأسد النجابة ، والاستيعاب ، والطبقات .

في الأصول : « الحكم » . (٤) ساقطة من ١ .

(٥) كما في الإنباء وأسد النجابة والاستيعاب . وفي الأصل : « الربيع » .

(٦) ساقطة من ١ .

جابر، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه^(١)، فتصدق ابنه حذيفة يديه على المسلمين، وصيى^(٢) بن قتيلى، [وخبا ابن قتيلى] ، وعبد بن سهل، والحارث بن أوس بن معاذ .

ومن أهل رايح ثلاثة نفر . وهم : إياس بن أوس بن عتيك، وعبيد بن التيهان، ويقال : عتيك بن التيهان . وحبيب بن زيد بن تيم . ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع . ومن بنى عمرو بن عوف، رجلان، وهما : أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحنظلة بن أبي عامر بن صيى بن التيهان، وهو غسيل الملائكة، وكان قد ألتقى هو وأبو سفيان، فلما استملاه حنظلة رآه شذاد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم لتغسله الملائكة . فسالوا أهله : ما شأنه ؟ فسلت صاحبه فقالت : نخرج وهو جنب حين سمع المأفأة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسله الملائكة . وقال شذاد بن الأسود حين قتل حنظلة :

لأحميت صاحبى ونفى • بطلعة مثل شعاع الشمس

ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قنادة . ومن بنى ثعلبة بن عمرو ابن عوف ورجلان، وهما : أبو حية بن عمرو بن ثابت، وعبد الله بن جبير

(١) يديه . يدفع يديه .

(٢) ما قسط من أ . وجا . في الإجابة ، وأسد النابة ، والاسنياب : « غيابة أو حجاب » .

(٣) رايح : أطم من أطام اللهية .

(٤) ق أ : « بن زيد » .

(٥) في الأصول : « عبد زيد » . وما ذكرناه رواية ابن هشام ، والإجابة ، وأسد النابة .

(٦) كذا في الأصول، ورواه صاحب أسد الغابة بإياه والياء .

ابن النعمان ، وهو أمير الرماة . ومن بنى السلم بن امرئ القيس بن ملك :
 خَيْشَمَةُ أبو سعد بن خيشمة . ومن حلفائهم من بنى النعمان : عبد الله بن
 سلمة . ومن بنى معاوية بن مالك رجلاً ، وهما : سُبَيْع بن حاطب بن
 الحارث ، ويقال : سُوَيْيِقُ بن الحارث^(١) . ومالك بن ثُمَيْلَة ، حليف لم من مَرْيَنَة .
 ومن بنى التجار ثم من بنى سواد بن مالك نعمة نفر ، وهم : عمرو بن قيس بن
 زيد بن سواد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن
 مُخَلَّد ، ومالك بن إياس . ومن بنى مبذول رجلاً ، وهما : أبو هُبَيْرَة بن الحارث
 ابن علقمة ، وعمرو بن مُطَرَف بن علقمة . ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار
 رجلاً ، وهما : أَوْس بن ثابت بن المنذر ، وهو أخو حسان ، وإياس بن عدى .
 ومن بنى عدى بن النجار رجل واحد ، وهو : انس بن النضر بن قُتَيْبَة بن زيد
 ابن حرام بن جندب بن عامر بن عدى بن النجار ، وقد تقدّم خبره . ومن بنى
 مازن بن النجار رجلاً ، وهما : قيس بن مُخَلَّد ، وكَيْسَان بن عبد لم . ومن بنى
 دينار بن النجار رجلاً ، وهما : سُليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو . ومن
 بنى الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر ، وهم : خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد
 ابن الربيع بن عمرو بن أبي زهير — حكى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد : من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع ،
 أتى الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظرك
 يا رسول الله ما فعل ، فنظر فوجده جريحاً في القتل وبه رمق ، قال الأنصاري :

٢٨
١٥

- (١) كذا في ابن هشام والاستيعاب وأسد الغابة . وذكر في الإجابة : أن سوبيقاً هذا هو سبيع
 الذي تقدم ذكره . وفي الأصل : « سويق » وهو تحريف .
 (٢) كذا في ج . وفي أ : « ومن بنى النجار من بنى سويد » .
 (٣) في الاستيعاب : « مطرف أو مطروف » .
 (٤) الرق : بقية الروح .

فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت
 أم في الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى
 السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً
 عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم :
 إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلب إلى نبيكم وفيكم من عُنِيَ ^(١) تطريف . قال الأنصارى :
 ثم لم أريج حتى مات ؛ فبحثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .
 وأوس بن الأرقم بن زيد . ومن بنى الأجر ، وهم بنو خُدرة ، ثلاثة نفر ،
 وهم : مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد [بن] الأجر ، وهو أبو أبي سعيد
 الخُدري ، وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأجر ، وعُتبة بن ربيع
 ابن رافع بن معاوية . ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلان ، وهما :
 ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد ، وثقيف بن فروة بن البدى . ومن بنى طريف ،
 رَهط سعد بن عبادة رجلان ، وهما : عبد الله بن عمرو بن وهب ، وضمرة
 حليف لهم من جُهينة . ومن بنى عوف بن الخزرج خمسة نفر ، وهم : نوفل
 ابن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة ، ونُهَـان بن مالك بن ثعلبة ، والمجدّر
 ابن زياد ، حليف لهم من بلي ، وعبادة بن الحُـساس . ومن بنى الحُبلى ، رفاعة

(١) تطرف : تطلق أحد جفنيا على الآخر .

(٢) الزيادة من ابن هشام ، وفي أسد النابة والاستيابة : « عبيد بن الأجر » .

(٣) كذا في الأصول . وفي رواية للإصابة . وفي ابن هشام : « قف » . وفي الإصابة ،
 وأسـد النابة ، والاستيابة : « ثقب أو ثقيب » . وفي القاموس : « ثقف ، ثقب » .

(٤) في ١ ، ب : « يعمر بن مالك بن ثعلبة » . ولم نعرف في المراجع التي بأيدينا على هذا الاسم
 من استشهد من المسلمين يوم أحد . وما ذكرناه رواية ابن هشام ، وأسـد النابة ، والإصابة ،
 والاستيابة .

ابن عمرو . ومن بني سُلَيْمَةَ^(١) ثم من بني حرام أربعة نفر ، وهم : عداقة بن عمرو
ابن حرم . وعمرو بن الجحوح . يزيد بن حرام ، وخَلَاد بن عمرو بن الجحوح ،
وأبو أيمن مؤد عمرو بن الجحوح . ومن بني سُرَاد بن غَم ثلاثة نفر ، وهم :
سُليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عترة ، وسهل بن قيس بن أبي كعب بن
الفين . ومن بني ذُرَيْق [بن عامر] رجلان ، وهما : ذُكْوَان بن عبيد قيس ،
وعُبَيْد بن المعلل بن لَوْذَان . ومن بني خَطْمَة من الأوس : الحارث بن عدي بن
تَرْشَة بن أمية . ومن بني سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ

قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا : من بني عبد الدار بن قصي
أحد عشر رجلاً - وهم أصحاب اللواء - طلحة بن أبي طلحة ، قتله علي بن أبي طالب ،
وأبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص ، ويقال : علي . وعثمان بن
أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة^(٧) بن أبي طلحة ، قتله عاصم
ابن ثابت بسهم ، والجُلَاس بن طلحة ، قتله عاصم أيضاً كما تقدم ، وكَلَّاب بن طلحة
والحارث بن طلحة ، قتلهما قُرْظَان حليف لبني ظَفَر ، وأَرْطَاة بن عبد بن شَرْحِيل
ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله حمزة ، ويقال : قتله علي ، وأبو زيد
ابن عمير بن هاشم ، قتله قُرْظَان ، وصَوَّاب غلام لم يَحْشَى ، قتله قُرْظَان ، والقاسط

(١) ق ١ : « سفة » . (٢) ق ١ : « أبي بن » .

(٣) ق الأصول : « سبل » . والتصويب من سيرة ابن هشام ، والاحتياط ، وأسد الغابة .

(٤) زيادة من سيرة ابن هشام . (٥) ق الأصول : « عامر بن ذكوان » . والتصويب

من سيرة ابن هشام ، والاحتياط ، وأسد الغابة والإمامية .

(٦) ق ١ : « سلة » . (٧) ق ١ : « تفع » .

(٨) كذا في الأصول . وفي ابن هشام : « أبو يزيد » .

ابن شُرَيْح بن هاشم ، قتله قزمان . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : عبد الله
ابن حُمد بن زُهَيْر بن الحارث بن أسد : قتله علي بن أبي طالب . ومن بنى زُهيرة
ابن كلاب رجلان ، وهما : أبو الحكم بن الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب
التخفي ، حليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب ، وسَبَّاح بن عبد العزى — واسم
عبد العزى عمرو بن فضلة بن غُبْشان — حليف لهم من خزاعة ، قتله حنزة كما تقدم .
ومن بنى مخزوم أربعة نفر ، وهم : هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قزمان ، والوليد
ابن العاص بن المغيرة ، قتله قزمان أيضا ، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ،
قتله علي بن أبي طالب ، وخالد بن الأعلم حليف لهم ، قتله قزمان . ومن بنى
بُجَع رجلان ، وهما : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ،
وهو أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيا . وكان قد أسرى يوم بدر ،
فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلقه كما ذكرنا ، فقال : لا أكثر عليك جماء ؛
فلم يف ، ونرج يوم أحد مع المشركين قاسر ، ولم يؤسر يومئذ غيره ، فقال : من
علي يا محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ،
لا ترجع إلى مكة تمسح عارضيك ، تقول : صخرت عدا مرتين ، ثم أمر عاصم بن ثابت
ابن الأفلح فضرب عنقه — وأبي بن خلف بن حذافة بن جمح ، قتله رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده كما تقدم . ومن بنى عامر بن لؤي رجلان ، وهما : عبيدة بن جابر
وتسبية بن مالك بن المنضرب ، قتلهما قزمان ، ويقال : قتل عبيدة بن جابر
عبد الله بن مسعود .

(١) في الطبقات : « صخرت بمحمد » .

(٢) كما في سير ابن هشام . وفي الأصول : « سب » .

(٣) في الأصول : « قتل عبيدة بن جابر » . وفي سير ابن هشام : « قتل عبيدة بن جابر » .

قال محمد بن سعد في طبقاته : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من أحد ، فصل المغرب بالمدينة ، وتيمت عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون بما نبيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن ينالوا مثا مثل هذا اليوم حتى نعلم الركن . قال : وبكت الأنصار على قتلاهم ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء فبكى ، وقال : لكن حمزة لا بواكى له ، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتخزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين ، فقال : ارجعن رحمكن الله ، فقد آسيتن بأفسكن ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم [يومئذ] عن النوح .

وروى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعرها لما قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأنشدها إليه صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ، رضى الله عنها .

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانت فاطمة - رضى الله عنها - تغسل جرحه ، وعلى يسكب الماء عليها بالحن ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد ألام إلا كثرة ، عمدت إلى قطعة من حصير فأحرقتها ، والبصقت ذلك على الجرح فاستمكت الدم ، فبكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلا تلك

اللييلة ، ثم أصبح نخرج في طلب العدو إلى حراء الأسد ، على ما ذكره ابن
شاه الله .

ولنصل غزوة أحد بتفسير ما أنزل الله تعالى فيها من القرآن .

ذكر ما أنزل^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من القرآن في غزوة أحد ، وما ورد في تفسير ذلك

قال محمد بن إسحاق ، رحمه الله : وكان مما أنزل الله تعالى في غزوة أحد من
القرآن سبعون آية من سورة آل عمران ، أول ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَدَوْتَ
مِنْ أَهْلِكَ تَبَوَّأَ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

قال أبو إسحاق أحد بن محمد بن إبراهيم التلي النيسابوري - رحمه الله - في تفسير
الترجم بالكشف والبيان عن تفسير القرآن : إن المشركين أقاموا بأحد يوم الأربعاء
والخميس والجمعة ، وذكر نحو ما قلناه من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
السبت للنصف من شوال ، وأنه صلى الله عليه وسلم جعل يصف أصحابه للقتال كما
يقوم القسح ، إذا رأى صدرا خارجا قال : تأخر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ
قَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الآية ، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا
وَاللَّهُ وَلِيُّكُمْ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ فشلا ، أى نجبا وتضعفا وتقصفا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما بنو سلمة بن الخزرج ، وبنو حارثة بن الأوس ،

(١) في أ : « ما نزل » .

(٢) تبوؤ المؤمنين : اتخذ لهم مقاعد ومنازل .

(٣) في أ : « ابن إسحاق » . وهو ترجم .

(٤) زيادة عن نسخة .

- ثم جاء حتى أصبح، وحدث أن عبده بن [أبي بن سلول] لما انخزل بثلاث الناس
 كقدماء وقل هو ومن وبعه من أصحابه : ﴿ وَنَعْلُمُ قَوْلًا لَا تَبْعَاكُمْ ﴾ هم بنو سبيلة
 وبنو حارثة ، لا تصرف معه : فمضوا مع الله تعالى فلم ينصرفوا ، ومضوا مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرهم الله تعالى عظيم نعمته ، فقال : ﴿ وَاللَّهِ
 وَلِيًّا ﴾ أي نصيرهما وحافظهما : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ثم ذكرهم الله
 ميتة عليهم إذ نصروهم بيدر ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَيْدَرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ إلى قوله :
 ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْغَزِيرِ الْحَكِيمِ ﴾ قوله : ﴿ لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُنَّهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَآئِينَ ﴾ . « لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا » أي يهلك طائفة « أَوْ يَكْبِتُنَّهُمْ »
 أي يهزمهم « فَيَنْقَلِبُوا حَآئِينَ » أي لم يبالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر بكم .
 ١٠ قوله سائر : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُصَدِّقَهُمْ فَاتَّبِعُوا
 ظُلُمَاتٍ ۚ »

- اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية ، فقال عبد الله بن مسعود : أراد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد ،
 وكان عثمان بن عفان منهم ، فنهاه الله تعالى عن ذلك ، وتاب عليهم ، وأنزل هذه
 الآية . وقال عكرمة ، وقتادة ، وميقات : أدى رسول من هذيل يقال له : عبد الله
 ١٥ ابن قيس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فدعا عليه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، فكان حظه أن سلب الله عليه نيسا فنطحه حتى قله ، ونج عتبة بن
 أبي وقاص رأسه وكسر ربايعته صلى الله عليه وسلم : فدعا عليه وقال : اللهم

- (١) في الأصل : « ابن سلام » . وهو خطأ ، إذ لم يأت انخزل بثلاث الناس هو عبد الله بن أبي
 ٢٠ ابن سلول ، وهو الذي قدم ذكره ، وأما عبده بن سلام فهو يرى من ذلك . راجع تاريخه في الاستبصار
 ج ١ ص ٣٩٥ . (٢) في ج : « همت » . (٣) في ١ : « نصرت الله » .

لَا يَحِلُّ عَلَيْهِ الْحَوْلُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرًا^(٢١) [قَالَ : فَمَا حَالُ الْحَوْلِ حَتَّى مَاتَ كَافِرًا]
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ . وَقَالَ الرِّبِيعُ وَالْكَلْبِيُّ : نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدَ ، وَقَدْ سُجَّ فِي وَجْهِهِ وَأُصِيبَتْ رِجْلُهُ ،
فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَلْعَنَ الْمُشْرِكِينَ وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى
هَذِهِ الْآيَةَ ، لَعَلَّهُ فِيهِمْ أَنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ سَيُؤْمِنُونَ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قِبَلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ قِيلَ : أَمْثَالُ . وَقِيلَ : أُمَمٌ .
وَالسُّنَّةُ الْأُمَمَةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا عَيْنَ النَّاسِ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِهِمْ = وَلَا رَأَوْا مِثْلَهُمْ فِي سَالِفِ السُّنَنِ
وَقِيلَ : أَهْلُ سُنَنِ ، وَقِيلَ : أَهْلُ شُرَائِعٍ ، قَالَ : مَعْنَى الْآيَةِ : قَدْ مَضَتْ وَسَقَلَتْ
مَتَى فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الْمَكْذُوبَةِ الْكَافِرَةِ سُنَنٌ بِإِمَائِهِمْ وَاسْتِدْرَاجِ إِيَّاهُمْ
حَتَّى بَلَغَ الْكَذِبُ فِيهِمْ أَجْلَ الَّذِي أَجَلَتْ — لِإِدَالَةِ أَنْبِيَائِهِ — وَأَهْلَكْتَهُمْ .
﴿ فَيَعْرِوْا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ أَيِ مِنْهُمْ ، فَأَنَا أُمَهُلَهُمْ
وَأَسْتَدْرِجُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْكَذِبُ أَجْلَ الَّذِي أَجَلَتْ فِي نُصْرَةِ النَّبِيِّ وَأَوْلِيَائِهِ
وَهَلَاكَ أَعْدَائِهِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا وَلَا تَحْزَنْوْا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ قَالَ :
هَذِهِ الْآيَةُ تَحْزِيَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ
مِنَ الْقَتْلِ وَالْجُرْحِ يَوْمَ أُحُدَ ، وَحُتِّ مِنْهُ إِيَّاهُمْ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ ، وَنَهْيُهُ عَنِ السَّجْزِ

(١) كَذَا فِي ١ ، ج ٢ . وَفِي الْكُتُبِ وَالْبَيَانِ : « لَا يَحْسُلُ » . (٢) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ
لَمْ يَذْكُرْ فِي ١ . (٣) سَافَةٌ مِنْ ج ٢ . (٤) الْإِدَالَةُ : التَّلْبِيقُ وَالنُّصْرَةُ ؛ أَيِ غَلَبَةُ أَنْبِيَائِهِ
وَتَفْزِيزُهُمْ ، كَمَا سَيُوضَّحُ بَعْدَ فِي تَفْصِيلِ قِيَةِ الْآيَةِ . وَفِي ١ : « لَا ذَا لَةً » . وَفِي الْكُتُبِ وَالْبَيَانِ لِقَوْلِهِ :
« لَا ذَا لَةً » وَهِيَ مَحْزَنَةٌ . (٥) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَافَةٌ مِنْ ج ٢ .

والفضل . فقال تعالى : "وَلَا يَهْنُوا" أى لا تضعفوا ولا تهبوا من جهاد أعدائكم
 [بما نالكم يوم أحد من القتل والفرح . "وَلَا تَحْزَنُوا" على ظهور أعدائكم]
 ولا على ما أصابكم من الهزيمة والعصية "وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ" أى لكم تكون العاقبة
 بالنصر والظفر "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" .

- فوله تعالى : (وَإِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ) أى جرح يوم أحد
 نند مس القوم جرح مثله يوم بدر . (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) يعنى إنما كانت هذه
 المداولة ليرى الله الذين آمنوا - يعنى منكم - ممن نلتقى ، فيميز بعضهم من بعض .
 وقيل المعنى "ويلعلم الله الذين آمنوا" بأفعالهم موجود كما عليها منهم قبل أن كلّفهم .
 "وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ" يكرم أقواما بالشهادة ، وذلك أن المسلمين قالوا : إرنا يوما
 ١٠ كيوم بدر تقاتل فيه المشركين وتلتمس الشهادة . فلقوا المشركين يوم أحد ،
 فاتخذ الله منهم شهداء .

٤١
١٥

- فوله تعالى : (وَلِيَسْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحْثَقَ الْكَافِرِينَ) يعنى يطهر الذين
 آمنوا من ذنوبهم ويحق الكافرين . يعنهم ويهلكهم وينقصهم . ثم عزاهم الله تعالى
 ١٥ فقال : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَلَكَّوْا أَجْنَةً وَلَمْ يَلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَسْلَمْ
 الْغَابِرِينَ) .

فوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
 أَلَمْ يَأْتِهِمْ مِنْ آيَاتِهِمْ وَمَنْ يَتَغَلَّبْ عَلَى عَقِيْبِهِ فَلَنْ يضرَّ الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)

وذلك أنه لما قتل عبد الله بن قنثة مُصعب بن عُمر، وصرخ صارخ — يقال: هو إبليس، لعنه الله — إلا إن محمداً قد قُتل. وانهم الناس، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي قنثة فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان. وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم. وقال أناس من أهل التفاق: إن كان عهد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأول. فقال أنس بن النضر: يا قوم، إن كان قد قُتل عهد فإن ربَّ عهد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقالوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه، ثم قال: اللهم إني أعوذ إليك مما قال هؤلاء — يعني المسلمين — وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء — يعني المنافقين — ثم قاتل حتى قُتل. ثم إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انطلق إلى الصحرة، وهو يدعو الناس، فأنحدر إليه طائفة من أصحابه، فلامهم صلى الله عليه وسلم على الفرار، فقالوا: يا نبي الله، فديناك بأبائنا وأمهاتنا أانا الخبر بأنك قُلت فُرِعت قلوبنا قولينا مدبرين. فأنزل الله تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَمْ عَلَىٰ غُرَاشٍ أَوْ قُتِلَ أَفَلَيْكُمُ عَلَىٰ آعَابِكُمْ» أي رجستم إلى دينكم الأول الكفر «وَمَنْ يَتَقَلَّبْ عَلَىٰ عَقِيْبِهِ» فيرتد عن دينه «قُلْنَا يَضْرُ اللَّهُ شَيْئًا» بارتداده، وإنما يضر نفسه «وَيَسْجِزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» أي المؤمنين.

قوله تعالى: «وَكَايَنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» قيل: الرِّبِّيُّونَ الأتلف والربة الواحدة عشرة آلاف. وقيل: الرِّبِّيُّونَ العلماء والفقهاء. وقيل: الأتباع

(١) كذا في الأصول وابن هشام، والذي في المواهب المندنية عن ابن إسحق: «وألقوا بأيديهم».

(٢) في ج: «يقول». (٣) في ١: «خزعت». (٤) كذا في لسان العرب.

في الأسر: «الربة». ولم نذكر في المراجع التي بأيدينا على هذا التفسير بهذا المعنى. وفي القرطبي

(٤: ٢٥٠) عن أبيان بن ثعلب: «الربة عشرة آلاف» وعليه قريون جمع ربة.

وقيل : الربانيون الولاء ، والربيون الرعية . وقيل : الربيون الذين يعبدون الرب تعالى . قال : ومعنى الآية ، فما ضَعُفُوا عن الجهاد " لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " لما نالهم من الإحراج وقتل الأصحاب ، وما عجزوا بقتل نبيهم ^(١) " وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا " قال قتادة والربيع : بنى وما أرتدوا عن بصيرتهم ودينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله تعالى . قال السدي : وما ذُلُّوا . وقال عطاه : وما نضرتوا . وقال مقاتل : وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ، ولكنهم صبروا على أمر ربهم ، وطاعة نبيهم ، وجهاد عدوهم " وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ "

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُكُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَخْفِرْنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَبُذِّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [قال : معنى الآية ، " قولكم " عند قتل نبيهم " إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَخْفِرْنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا " بنى خطايانا " وَبُذِّتْ أَقْدَامُنَا " لئلا نزول " وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ "] .

قوله تعالى : ﴿ فَسَأَلْتَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ بنى النصر والغبطة ﴿ وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ الجنة ^(٢) ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال علي ، رضي الله عنه : بنى المنافقين في قولهم للؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا إلى إخوانكم ، وأدخلوا في دينكم . ﴿ يَرْدُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ أى ترجعوا على أول أمركم الشرك ﴿ فَتَقَلِّبُوا خَايِرِينَ ﴾ أى تصيروا مغبوتين ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ أى ناصرهم وحافظكم على دينكم ﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ .

(١) وفي نصير الطبري عن قتادة والربيع : « نصرتهم » .

(٢) ما بين القوسين مائل من أ . (٣) في أ : « بالغة » .

قوله تعالى : ﴿سَلِّقْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قال السدّي : لما ارعقل
أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق
ثم إنهم ندموا ، وقالوا : ينس ما صنعنا ، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد
تركاهم ، ارجعوا فاستأصلوهم ، فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم
الرعب ، حتى رجعوا عما هموا به ، فأزل الله تعالى : ﴿سَلِّقْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الرُّعْبَ﴾ بمعنى الخوف ﴿يَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ﴾ أى حجة وبيان
وعذرا وبرهانا ، ثم أخبر الله تعالى عن مصيرهم ، فقال : ﴿وَمَا أَوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ﴾ أى مقام الكافرين .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي : لما
رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى المدينة ، وقد أصابهم ما أصابهم
بأُحُد ، قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر ؟ [فأنزل الله
تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ أى الذى وعد بالنصر] والظفر ، وهو قوله تعالى :
﴿يَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا﴾ الآية . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [للزّماة] :
﴿لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ فَلَنْ تَزَالَ غَالِبِينَ مَا بَيْنَ مَكَانِكُمْ﴾ وقوله [تعالى] : ﴿إِذْ تُخْسِئُهُمْ
بِأَذْنِهِ﴾ أى هتلونهم قتلا ذريعا شديدا ، وذلك عند هزيمتهم كما تقدم . قوله :
﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِنْتُمْ وَمَتَّاعُكُمْ فِي الْأُمَمِ وَعَصِيَّتُمْ﴾ « فُتِنْتُمْ » : أى جنبتم . نسفتم
« وَمَتَّاعُكُمْ » : أى اختفتم . وهو ما وقع بين الزّماة ، وزول أكثرهم لتحصيل الفتيمة
كما تقدم ، فكانت الهزيمة بسبب ذلك . قوله : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا يُحْيُونَ﴾

(٢) ساقطة من ج .

(١) ساقطة في أ .

(٤) ساقطة في أ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٥) زيادة للإيضاح .

- وهو تظفر والنيمة . قوله : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ ^(١) يعنى الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ يعنى الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير أمير الرماة حتى قتلوا . قوله : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾ أى ردكم عنهم بالهزيمة ﴿ لِيَبْلِغَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ أى فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة ﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .
- قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَضِعُّدُونَ ﴾ يعنى ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هادين
- ﴿ وَلَا تَلَوُّونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ . ثم رجع إلى الخطاب ، فقال : ﴿ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَنْحَاكُمْ ﴾ قال يقال : أصعدت إذا مضيت جبال وجهك ، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره ، والإصعاد : السير في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب ، والصعود : الارتفاع على الجبال وغيرها . وقال المبرد : أصعد إذا أبعث في الذهاب .
- قال الشاعر :

- ١٠
 ألا أيهذا السائل أين أصعدت * فإن لها في أهل يثرب موعدا
 وقال الفراء : الإصعاد الابتداء في كل سفر ، والانحدار الرجوع منه . وقوله :
 ” وَلَا تَلَوُّونَ عَلَى أَحَدٍ “ يعنى ولا تعرجون ولا تقيمون على أحد منكم ، ولا يلتفت
 بعضكم إلى بعض هربا وفرارا ، قال الكلبي : ” على أحد “ يعنى محدا صلى الله عليه وسلم .
- ١١
 ﴿ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَنْحَاكُمْ ﴾ يعنى فى أنحركم ومن ورائكم : إلى عباد الله ، إلى
 عباد الله ، فانا رسول الله ، من يكره فله الجنة . ﴿ فَأَتَابَكُمْ ﴾ أى بخازاكم جعل الإجابة
 بمعنى العقاب ، كقوله : ” فَيَشْرَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ “ ، معنى الآية : أى جعل مكان الثواب
 الذى كنتم ترجون ﴿ غَمًّا يَمُّ ﴾ قال الحسن : يعنى بغم المشركين يوم بدر . وقال
 غيره : غمًا على غم . وقيل : غما متصلا بغم ، فالغم الأول ما فاتهم من النعمة

(١) زيد في أ في هذا الموضع : « ومنكم من يريد الآخرة » .
 (٢) هذا البيت من قصيدة لأعشى قيس . وفي ديوانه : « أين يمست » .
 (٣) في أ : « على ما فاتهم » .

والطفر، والنم الثاني ما نالهم من القتل والمزينة . وقيل : النم الأول ما أصابهم من القتل والجراح ، والنم الثاني ما سموا أن عبا صلى الله عليه وسلم قد قتل ، فأناسهم النم الأول . وقيل : غير هذه الأقوال . والله أعلم . قوله تعالى : (لِكَلَّا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) أى من الفتح والغنيمة (وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) من القتل والمزينة ، هذا أناسكم ذلك النم ، وممكم ما أتم فيه عما كان قد أصابكم قبل . وقيل : المفضل : « لا » صلة . معناه : لى تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم فى خلافكم إياه ، وترككم المركز (وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) .

قوله : (ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِ الْأَمْرِ نَسْأَ يَنْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْلِغَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُخَصِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَلِلَّهِ عِلْمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ) .

روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا أرسل الله تعالى علينا القوم ، والله أنى لأسمع قول مُعْتَبِ بن قُشَيْرٍ والنماس يشان ما أسمه إلا كالحلم يقول : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلنا ههنا ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . أنهم يومئذ بنعاس يشاهم بد خوف ، وإنما ينبغي من يأمن والخائف لا يشام . وعن أنس عن أبي طلحة قال : رفعت رأسى

يوم أحد ما أرى أحدا من القوم إلا وهو يمد تحت حِجَّته من الناس . قال
 أبو طلحة : وكنت ممن ألقى الله تعالى عليه الناس يومئذ ، فكان السيف يسقط
 من يدي فأخذه ، ثم يسقط السوط من يدي فأخذه من النوم . « وَطَائِفَةٌ » يعنى
 المنافقين [معتب بن قشير وأصحابه] « قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ » أى حملتهم على المم
 « يَطْنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ » أى لا يتصرعوا ، وقيل : ظنوا أن محمدا صلى الله عليه
 وسلم قد قتل . « ظَنُّوا الْجَاهِلِيَّةَ » أى كلن أهل الجاهلية والشرك « يَقُولُونَ هَلْ لَنَا
 أى ما لنا ، لفظه استفهام ومعناه يتحد « مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ » يعنى التصرف « قُلْ
 إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ » وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض : لو كانت لنا عقول
 لم نخرج مع محمدا إلى قاتل أهل مكة ، ولم يُقتل رؤساؤنا . فذلك قوله تعالى : « يُخْفُونَ
 فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا »
 فقال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - قل لهم : « لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ » أى لخرج
 « الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ » أى مصارعهم « وَلِيَذِلَّ اللَّهُ » أى ليختبر
 الله « مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ » أى يخرج ويظهر « مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ » أى بما في القلوب من خير أو شر .

قوله تعالى : « إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ » أى انهزموا منكم يا معشر المؤمنين
 « يَوْمَ التَّنَائُفِ » جمع المسلمين وجمع المشركين « إِنَّمَا أَسْرَأْتُمْ الشَّيْطَانُ » أى

(١) الخفة : الدس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

(٢) ساقط من أ .

(٣) . بين التوسين ساقط من أ . وقال القرطبي : « وكانوا خرجوا طمعا في الغنيمة وغفوا

المؤمنين ، فذبحهم الناس ، وبعثوا يتأسفون على المحذور ، ويقولون الأتاريل » .

(٤) كذا في ج . وفى أ : « وشر » .

حملهم على الزلل . وقال النكبي : زين لهم أعمالهم ﴿ يَغِيضُ مَا كَسَبُوا ﴾ أى بشؤم ذنوبهم . قال المفسرون : بتركهم المركز . وقال الحسن : بما كسبوا قبولهم من إبليس ما وسوس إليهم من الهزيمة . ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ . قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، يعنى المتأففين عبد الله بن أبى وإسماعيل ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ فى التفاق ، وقيل : فى النسب . ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ساروا وسافروا فيها للتجارة أو غيرها فأتوا ﴿ أَوْ كَانُوا غُرًّا ﴾ غُرّة قتلوا ﴿ أَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ ﴾ يعنى قولهم وظنهم ﴿ حَسْرَةً ﴾ وحزناً ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ والحسرة : الاعتناء على فائت كان يُقدر بلوغه .

قال الشاعر :

فوا حسرتى لم أقض منك لُبّاً تى • ولم تختج بالحوار وبالقُرب ^(٢١)
ثم أخبر تعالى أن الموت والحياة إلى الله ، سبحانه ، لا يتقدمان لسفر ولا يتأخران لحضر فقال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَارُ وَيُحْيِي وَيَمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ . قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَخِفَّةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ أى فى العاقبة ﴿ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أى من الفنائم ﴿ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ ﴾ أى فى العاقبة .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ ﴾ أى سهلت لهم أخلاقك ، وكثرة احتياكك فلم تسرع إليهم فيما كان منهم يوم أحد ﴿ وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا ﴾ أى جانبا سبى الخلق قليل الاحتمال ﴿ غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾ قال النكبي : قَطًّا فى القول ، غليظ

(١) فى ١ ، ج : « والحسرة والاعتناء » وهو تحريف .

(٢) فى ١ : « يقدر على برهته » .

(٣) فى القرطبي : « لم أقض منها ... ولم أتمه »

القلب في الفعل ﴿لَا تَقْضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ﴾ أى لتزفوا عنك ، وأصل القَض الكسر ،
ومنا قولهم : لَا يَقْضُضُ اللهَ فَالَك . قال أهل الإشارة في هذه الآية : منه العطاء
ومنه الثناء . ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أى عفا أنوا يوم أحد ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ حتى أشفعك
فيهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أى استخرج آراءهم ، وأعلم ما عندهم ، وهو مأخوذ
من قول العرب : شُرْتُ الدابة وشَوْرْتُهَا إذا استخرجت جريها ، وطلبت خبرها ،
قال : ومعنى الآية وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد ، ويدل عليه قراءة
ابن عباس "وَشَاوِرْهُمْ فِي بَيْضِ الْأَمْرِ" . قال الكلبي : معنى فأظهمهم في لقاء العدو ،
ومكائنة الحرب عند الفزوة . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله :
"وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ" قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وقال مقاتل وقسادة
والربيع : كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم ، فأمر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم في الأمر ، فإن ذلك أعطف لهم عليه ، وأذهب
لأضغانهم ، وأطيب لأفئسهم ، فإذا شاورهم عليه السلام عرفوا إكرامه لهم . قال :
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أى لا على مشاورتهم . وقرأ جعفر الصادق ، وجابر
ابن زيد ، "فإذا عزمت" بضم التاء ، أى عزمت لك وفتكت وأرشدتك فتوكل على
الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ أى ينعكم ويعنكم من عدوكم ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾
مثل يوم بدر ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ أى يترككم ولا ينصركم ، والخذلان القعود
عن النصر ، والإسلام للهلكة والمكروه ، قال : وقرأ عبيد بن عمير "وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ"
بضم الياء وكسر الدال ، أى يحبطكم مخذولين ، ويحبطكم على الخذلان والتخاذل ،

(١) المعنى : أن الله تعالى هو الذى أعطى رسوله الرحمة ، وهو الذى مدحه بها . وفى تفسير الطبري :

« الباء » . (٢) الإسلام : من أسلمه إذا أقامه في الهلكة .

كما فعلتم بأحد (فَنَزَّ الذِّى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ) أى من بعد خذلانه (وَعَلَى اللَّهِ فَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

قوله تعالى : (أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مِصْيَةٌ) أى بأحد (قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا) بيدى ، وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين رجلا ، وقتل المسلمون منهم يوم بدو سبعين ، وأسروا سبعين (فَلَمْ أَتِ هَذَا) أى من أين لنا هذا القتل والمزينة ، ونحن مسلمون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، والروح يتزل عليه ، وهم مشركون ؟ وقد تقدم فى قصة أسارى بدر خبر التخيير قتلهم أو مفاداتهم ، ويقتل منهم مثلهم فى العام القابل ، واختبارهم الفداء ، وذلك قوله : (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) أى بأخذكم الفداء واختياركم القتل ، (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

قوله تعالى : (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) أى بأحد من القتل والجرح والمزينة والمصيبة (فَيَاذَنْ اللَّهَ) أى بقضائه وقدره وعلمه (وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ فَاغَقُوا) أى ليخبر ، وقيل : ليرى . وقيل : لتعلموا أتم أن الله قد علم نفاقهم ، وأنتم لم تكونوا تعلمون ذلك . (وَقِيلَ لَمْ تَمَالَوْا فَاغَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لأجل

دين الله وطاعته (أَوْ أَدْقُوا) أى عن أهلكم وبلدكم وحرمةكم ، وقيل : أى كثروا سواد المسلمين ورابطوا إن لم تمالوا ، ليكون ذلك دفا وقعا للعدو (قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَأَكْبَحْنَاكُمْ) وهو قول عبد الله بن أبي وأصحابه الذين أنصروا معه ، كما تقدم من خبرهم عند أتباع عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة لم ومناشدته لم فى الرجوع . قال الله تعالى : (هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ اقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ يَقُولَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) وذلك أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر ، فبين الله تعالى نفاقهم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ قيل : في النسب لا في الدين ،
 وهم شهداء أحد . ﴿ وَقَعَدُوا ﴾ يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا ﴾
 وأنصرفوا عن عهد ، وقعدوا في بيوتهم ﴿ مَا قُتِلُوا ﴾ قال تعالى : ﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد
 ﴿ قَادِرُونَ ﴾ أي فادعوا ﴿ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ ﴾ كُنْتُمْ صَادِقِينَ : أن الحذر يعني
 عن القدر .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَخَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا يُخْزَوْنَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم يوم أُحُد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتسرح من الجنة حيث شاءت ، وتأوى إلى فتاديل من ذهب تحت العرش ، فلما رأوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشرهم ، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة ، قالوا : ياليت قومنا يسمون ما نحن فيه من النعم ، وما صنع الله عز وجل بنا ، كي يرغبوا في الجهاد ولا يتكلموا عنه . فقال عز وجل : أنا أخبر عنكم ومبلغ إخوانكم . ففرحوا بذلك واستبشروا ، فأنزل الله تعالى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » الآيات ، [إلى] قوله « أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وقال قتادة والربيع : ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : ياليتنا نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا بأحد ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

٢٠

(٢) في ج : « قال الله » .

(١) في ج : « طير » .

(٤) في ج : « من أصحاب النبي » .

(٣) ساقطة من أ .

وعن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية، فقال: جعل الله تعالى أرواح شهداء أحد في أجواف طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوى إلى قتاديل معلقة بالعرش، فأطلع الله عز وجل إليهم أطلامة فقال: هل تشتهون شيئا فآزيدكموه؟ قالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؟ ثم أطلع إليهم الثانية، فقال: هل تشتهون من شيء فآزيدكموه؟ فقالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؟ ثم أطلع إليهم الثالثة، فقال: هل تشتهون من شيء فآزيدكموه؟ فقالوا: ليس فوق ما أعطيتنا شيء إلا أنا نحب أن تمسكنا أحياء، ونرجع إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك، فنقتل مرة أخرى فيك، قال: لا، قالوا: فنقرئ نبيتنا منا السلام، ونخبره بأن قد رضى عنا، ورضى عنا؟ فأنزل الله، عز وجل هذه الآية.

١٠

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قُتل أبي يوم أحد، وترك علي بنات، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أبشرك يا جابر؟ قلت: بلى يا رسول الله؟ قال: إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله تعالى وكله كفاحاً^(٢)، فقال: يا عبد الله سلى ما شئت، فقال: سألك أن تميدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً، فقال: يا عبد الله، إني قضيت ألا أعيد إلى الدنيا خليفة قبضتها، قال: يا رب، فمن يبلغ قومي ما أنا فيه من الكرامة؟ قال الله تعالى: أنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٥

وقد روى أن هذه الآية نزلت في أصحاب بدر معونة، وقيل: في شهداء بدر. والأحاديث الواردة والأخبار تدل على أنها في شهداء أحد، والله أعلم.

(١) في ج: «يا بني الله».

(٢) كفاحاً: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

٢٠

ذكر غزوة حمراء الأسد^(١)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند متصرفه من أحد، قال ابن سعد :
لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجرة . وقال ابن إسحاق :
كانت يوم الأحد لست عشرة خلت من شوال . وهذا الخلاف مرتب على ما تقدم
في غزوة أحد .

- قال ابن سعد وغيره : لما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد
مساء يوم السبت مات تلك الليلة على يابه ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون
يضاؤون بجراحاتهم ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوم الأحد أمر
بلالا أن ينادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ، ولا يخرج
معا إلا من شهد القتال بالأسس . فقال جابر بن عبد الله : إن أبى خلفني يوم أحد
على أخواتي ، فلم أشهد الحرب ، فأذن لي أسير معك ، فأذن له ، فلم يخرج معه
أحد ممن لم يشهد أحدا غيره . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوانه ، وهو معقود
لم يحل ، فدفعه إلى علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، ويقال : إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنه . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مجروح ، وحشد أهل^(٢)
الموالى حيث أتاهم الصريح ، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وخرج الناس
معه ، فبعت ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم ، فلحق اثنين منهم القوم
بحمراء الأسد - وهي من المدينة على عشرة أميال - وهم يأتون بالرجوع ،

(١) كذا ضبط في الأصل ، والقاموس ، والطبري ، وطبقات ابن سعد . وفي معجم البلدان :

« حمراء الأسد ... » بضم الهزء وسكون السين . (٢) في طبقات ابن سعد : « أن أسير » .

(٣) في ج : « وخرج صلى الله عليه وسلم » . (٤) حشد أهل الموالى : أجاؤا مسرعين .

رضفوان بن أمية ينههم عن ذلك، فبصرُوا بالرجلين، ففقطوا عليهما قتلوهما، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى عسكر بجمره الأسد، فدفن للرجلين في قبر واحد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نارة، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله تعالى مدوهم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وقد غاب خمس ليالٍ، وكان غداً يستغلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

وقال محمد بن إسحاق، ورفع الحديث إلى أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: إن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنا وأخ لي، فرجنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي: وأقال لي: أتفتوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ما لنا دابة تركبها، وما لنا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله وكنت أبسر جرحاً من أخى: فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

قال: وأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لَنِيَ وَالرُّسُولِ مِن بَعْدِ مَا آصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ هم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جمره الأسد، على ما بهم من ألم الجراح، إلى قوله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قطن — وهو جبل بناحية ذؤاد — به ماء لبنى [أسد بن] خزيمة^(٢) — في هلال المحرم على رأس نخبة وثلاثين شهراً من مهاجرة.

وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم، أن حُلَيْعة و سلمة ابني خُوَيْلِد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث أبا سلمة وعقده لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار، فأصابوا إبلا وشاء، ولم يلقوا كيدا، فانهدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة .

- ذكر سرية عبد الله بن أنيس إلى سُفْيَان بن خالد الهذلي
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة .
وذلك أنه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، أن سُفْيَان بن خالد بن بُيَيْع الهذلي^(٢١) ثم الحُثَيَّانِي — هكذا سماه محمد بن سعد في طبقاته .

- ١٠ وقال ابن إسحاق : خالد بن سُفْيَان بن بُيَيْع قد جمع الجموع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه عبد الله بن أنيس وحده فقتله وجاء برأسه . وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم . قاله ابن سعد .
وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال قال عبد الله بن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بلغني أن ابن سُفْيَان الهذلي جمع الناس ليفزوني وهو بخيلة أو بعثرة فإنه فاقتله . فقلت يا رسول الله أنته لي حتى أعرفه، قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه

(١) شاء : جمع شاة، والكيد : الحرب .

(٢) في أ : « خالد بُيَيْع » .

(٣) في ج : « إلى » .

(٤) في أ : « أما سُفْيَان » .

(٥) عرة : نزل في الواجب اللدنية : موضع قرب عرة، أو قرية يراى عرة .

أنا إذا رأيته وجدت له قسيرة . قال : فخرجت متوشحا بسيفي ، حتى دُفعت
 [إليه] وهو في ظن يرتاد لمن منزلا ، وذلك وقت العصر ، فلما رأيته وجدت له
 ما قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه
 مجاورة تستلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي ، فلما انتهيت
 إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك ويحك لهذا الرجل
 بفناءك لذلك . قال : أجل ، أنا في ذلك . قال : فخشيت منه شيئا حتى إذا أمكني
 حملت عليه بالسيف فقتلته ، ثم خرجت وتركته طعائنه منجيات عليه ، فلما قدمت
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أفلح الوجه ؟ قلت : قد قتلته ، قال صدقت .
 ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك . قال :
 فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي ، فقالوا : أفلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك ؟
 قال : فرجعت إليه فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني هذه العصا ؟ آية بني
 وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المختصرون يومئذ ، قال : فقرنها عبد الله
 ابن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فقصمت في كفيه .
 ثم دُفنا جميعا .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس في ذلك :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله * نواخُ تفرى كل جيب مُقَدِّد^(١)
 سَوَّلْتَهُ وَالظُّنُّ خَلَنِي وَخَلَفَهُ * بأبيض من ماء الحديد مُهَنَد^(٢)

(١) سافطة في أ : (٢) في أ : « مجادلة » .

(٣) المختصرون : المتوكلون على المختصر ، وهي المعنى ، واحدتها مختصرة .

(٤) الحوار : ولد الناقة إذا كان صغيرا . تفرى : تقطع .

(٥) أبيض : سيف . مهتد : مطبوع من حديد الهند .

- تَجْمُودٍ لِهَامِ الدَّارِ عَيْنَ حَكَاةِهِ • شِهَابٍ غَضِيٍّ مِنْ مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدٍ^(١)
 أَقُولُ لَهُ وَالسِّيفُ يَحْمِلُ رَأْسَهُ • أَنَا ابْنُ أَنَيْسٍ فَلَوْ سَافِرٌ قُدِّدَ^(٢)
 أَنَا ابْنُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأِ الدَّهْرَ قِدْرَهُ • رَجِبٌ فَنَاءِ الْبَدَا وَغَيْرُ مَزِيدٍ^(٣)
 قُلْتُ لَهُ خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَا جِدَ • حَنِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ^(٤)
 وَكُنْتُ إِذَا هُمْ النَّسَبُ بِكَافِرٍ • سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللَّسَانِ وَبِالْيَدِ •

ذِكْرُ سَرِيَةِ الْمُتَنَذِرِ بْنِ عَمْرِو السَّاعِدِيِّ إِلَى بَرٍّ مَعُونَةٍ

٤٧
١٥

- كَانَتْ فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِهِ •
 وَذَلِكَ أَنَّ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ بْنَ جَعْفَرٍ أَبُو بَرْلُو مَلَابِ الْأَسْتَةَ الْيَكْلَابِيَّ^(١) وَفَدَّ عَلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَهْدَى لَهُ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ
 فَلَمْ يُسَلِّمْ ، وَلَمْ يَبْعُدْ^(٢) ، وَقَالَ : لَوْ بَعَثْتَ مَعِيَ قَوْمًا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَى قَوْمِي لَرَجَوْتُ أَنْ
 يَجِئُوا دَعْوَتَكَ . قَالَ : أَخَافُ عَلَيْهِمْ أَهْلَ نَجْدٍ ؛ قَالَ : أَنَا لَمْ جَارٍ • فَبَعَثَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ شُبَّةَ يَسْمُونُ الْقُرَاةَ^(٣) ، وَأَمَرَ
 (١) مجرم : مَطْرُوض • الهام : الروس • الشباب : القطعة من الثَّار • النضى : شجر خشبه من
 أجود الوفود • (٢) القصد : الجبان القم القاعد عن المكلام • (٣) الخزد : الضيق البغيض •
 (٤) الحنيف : أبقى ما لم يدين للشرك إلى دين الإسلام •
 ملاسقة : زبد في أبد الأبيات : « والله وليّ المؤمنين وهو خير الناصرين » •
 (٥) الأسته : جمع سنان وهو نصل الرمح • وصي ملاعب الأسته لأن أضاءه قليلا أضيء كان يقال له :
 فارس قرزل ، أسله وفرق يوم سويان ، وهو يوم كان بين فارس وقهم ، فقال شاعر :
 فزوت وأسلت ابن أهلك عامرا • يلاعب أطراف الوشيع المزروع
 فسعى ملاعب الرياح ، وملاعب الأسته •

- (٦) في رواية أنه أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فرسين وراحطين ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا أقبل
 هبة مشرك • (٧) في رواية لابن هشام : « ولم يبعده عن الإسلام » • (٨) رواية ابن إسحاق
 أن يومئذ « والصبح ما دعا كآل السيل » ، وهي رواية الليثي وسلم • وشيبة : شاذ • (٩) سموا القرادة
 لأنهم كانوا أكثر قرادة من غيرهم • وفي شرح المصابيح : أنهم كانوا يسلمون بعض القبيل ، ويدرسون بعضه ،
 ويحفظون ، ويعلمون بعضه بشؤونهم طامعا لأهل الصفة والفقراء ، وبعضه يأتونه بالمسرة الشريفة •

عليهم المنذر بن عمرو ، فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونَة — وهي بين أرض بني عامر
وحرة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرة بني سليم أقرب — فلما
نزلوها سرحوا ظهرهم ، وقدموا حرام بن ملحان بكاتب رسول الله . صلى الله عليه وسلم ،
إلى عامر بن الطفيل ، فوثب على حرام فقتله ، واستصرخ عليهم بني عامر فأبوا ،
وقالوا : لا تُخَفِّر جوار أبي براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم ، عَصِيَّة وِرْعَلَا
وَذَكْوَان ، فنزروا معه . واستطاع المسلمون حراما ، فاقبلوا في أثره ، فقتلهم القوم
فأحاطوا بهم ، وكاثروهم فاقتلوا ، فقتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وفهم سليم بن ملحان ، والحكم بن كيسان .

قال ابن إسحاق : فقتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني دinar بن الجبار
فلأنهم تركوه ، وبه رمق بين القتل ، فهاش حتى قُتل يوم الحندق . قال : وكان
في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار — قال ابن هشام : هو
المنذر بن محمد بن عُبَيْدَة بن أُحَيْمَة بن الجُلَاح — فلم يندبهما بمصاب أصحابهما
إلا الطير تحوم على السكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لثانا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا
القوم في دماثهم ، وانخليل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاري لعمر بن أمية :
ما ترى ؟ قال : أرى أن تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخبر الخبر ، قال
الأنصاري : ما كنت لأرعب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، ثم
قاتل القوم حتى قُتل ، وأخذ عمرو بن أمية أسيرا ، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه
عامر بن الطفيل ، وجرأصيته ، واعتقه عن رقة زعم أنها كانت على أمه .

(١) لا تخفر : أى لا تنقض . (٢) كاثروهم : كثروا أكثر منهم .

(٣) فى ١ : « فلما » . (٤) فى ١ : « أخيره » .

نخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة أنبل رجلا من
بن عاصر حتى نزل معه ، وكان معهما عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوار لم يعلم به عمرو ، فأمهلها حتى إذا نأما عدا عليهما قتلها ، وهو يرى أنه
قد أصاب بهما كودة من بن عاصر فيا أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : وقدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأخبره بقتل أصحاب بئر معونة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أثبت من بينهم ! » ثم أخبره
بقتل الباقين ، فقال : « بئس ما صنعت ، قد كان لها مني أمان وجوار ، لأدينهما ! »
ويست بدينهما إلى قومهما ، وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة
الصبح يدعو على رجل وذئبان وعصبة وبني ليان .

وروى عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قرأنا بهم قرآنا زمانا ، ثم إن
ذلك رفع أنسى : « بلغوا عنا قومنا أنا نقتل ربنا فرضى عنا وأرضا » . وقال أنس
أبن مالك : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على أحد ما وجد على
أصحاب بئر معونة .

قال ابن سعد : وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في تلك الليلة التي وصل
إليه فيها خبر أصحاب بئر معونة مصاب خبيب بن صدق ومن معه ، فدعا رسول

(١) هي قرقرة الكدر ، قال الرازي : موضع بناحية المدن ، قريب من الأرضية ، بين وبين
المدية ثمانية برد . وقال غيره : ماء لقي سلم . (راجع صبر البلدان في كدر) .

(٢) قناة : واد يأكل من الطائف ويصب في الأرضية وقرقرة الكدر .

(٣) قال السلي : « ثبت هذا في الصحيح ، وليس عليه روث الإجماز ، فيقال : إنه لم يزل هذا

النظم ، ولكن ينظم بسبب كثرة القرآن » .

(٤) وجه : حزن .

الله صلى الله عليه وسلم حل قتلهم بعد الزكاة من الصبيح، فقال: « اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم ستين كسبي يوسف، اللهم عليك بنى ليان وعَصَل والقارة وزُعب ورعل وذَكْوَان وعُصَيَّة، فإتهم عصوا الله ورسوله » .

٤٨
١٥

ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع

كانت في صفر على رأس سنة وثلاثين شهرا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، رهط من عَصَل والقارة، وهم إلى الهون بن نُزَيْمة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاما، فابست معنا قرا [من أصحابك] يَفْقَهُونَا ويَقْرَءُونَ القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعت صلى الله عليه وسلم معهم عاصم بن ثابت بن أبي الأظح، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخبيب بن عدي، وزيد بن النُّشَّة، وخالد بن البَكْرِ الليثي، وعبد الله بن طارق، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله لأخته . وأمر عليهم عاصما، وقيل: مرثدا، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع — وهو ماء مُسَدِّلٌ بناحية الجحاز — غدروا [بهم] واستصرخوا عليهم هذيلًا، فلم يرج القوم، وهم في رحالم

(١) قال في المواهب اللدنية: « ذكر صاحب شرف المصطفى أنه صلى الله عليه وسلم لما أصوب أهل يرموسة جاءت الحمى إليه، فقال لها: اذهبي إلى رعل وذكوان وعصية، صحت الله ورسوله، فأتتهم، فظلت منهم سبعة ريل، بكل ريل من المسلمين عشرة » .

(٢) حاشية في ١ . (٣) ضبط في المواهب اللدنية: يفتح الهمزة وكسر التاء مع فتح النون المشددة: وزاد البرهان: وقد تسكن التاء . وضبطه صاحب القاموس، بكسر التاء مع فتح النون المخففة .

(٤) كذا في الطبري، والإصابة، وأسد النباة والاستيعاب . وفي الأصل: « أبي بكر » . وفي الطبقات: « أبي البكر » . ووجهنا ما ذكرناه لأن المؤلف ذكره في موضع آخر من هذه الفقرة موافقا لما أئبناه . (٥) هو عبد الله بن طارق كافي الطبقات . (٦) حاشية في آخره .

- إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غَشَّوهم ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا ، فقالوا :
 إنا ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، ولكم عهد الله
 وميثاقه ألا قتلكم . فأما مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وحاصم بن ثابت ،
 ومعتب بن عبيد ، فقالوا : والله لا قبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا . وقاتلوا
 حتى قُتلوا ، وضى الله عنهم . وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق ،
 فرغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليعومهم بها ،
 حتى إذا كانوا بمر الظهران اترع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه
 واستأخضته القوم ، فرموه بالمجاعة حتى قتلوه في قُبْر هناك . وأما خبيب بن عدي
 وزيد بن الدثنة فقد موما بها مكة ، فأباعوهما من قريش بأسيرين من هُذيل كانا
 بمكة ، فابتاع خبيبا بغير بن أبي إهاب التميمي ، حليف بني نوفل ، لعقبه بن الحارث
 ابن عامر بن نوفل ليقبله بأبيه . وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية ،
 ليقبله بأبيه أمية بن خلف ، وبشئ مع مولى له يقال له : نسطاس ، إلى التميم ،
 فأخرجوه من الحرم ليقبله ، واجتمع لذلك رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن
 حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقبل : أأنشدك الله يا زيد ، أتحب أن عهدا
 عندنا الآن مكانك فنضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن عهدا

(١) مر الظهران : الظهران ، وأد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مر ، تضاف إلى هذا
 الوادي ، فيقال : مر الظهران . (سمي البلدان) (٢) القرآن : الحبل الذي يشده الأسيران .
 (٣) أباعوهما : عرضوهما للبيع . (٤) كذا في الأصل ، وفي رواية للإصابة في الحديث عن
 مارية مولاته . وفي ضيق ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، والمواهب اللدنية ، والإصابة ، وأسد الغابة ،
 والطبری : « هجر » .

(٥) التميم : موضع بمكة في الحبل . وهو بين مكة ومصر على فرسخين من مكة .
 (٦) في ج : « الآن عندنا » .

الآن في مكانه الذي هوفيه تصبيه شوكة تؤذيه، وأنى جالس في أهل. فقال أوسفيان :
 ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد عدا، ثم قتله نسطاس .
 وأما خبيب بن عدي فروى عن ^(١) ماوية مولاة جبر بن أبي إهاب ، وكانت قد
 أسلمت ، قالت : كان خبيب قد حبس في بيتي ، فلقد اطلمت عليه يوما وإن
 في يده ليقطعا من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنبا
 يؤكل ، قالت : وقال لي حين حضره القتل : اجثي إلى بحديدة أظهر بها للقتل ؛
 فأعطيت غلاما من الحى الموصى ، فقلت له : ادخل بها على هذا الرجل ؛ قالت :
 فوالله ما هو إلا أن قد وثى الغلام بها إليه ، فقلت : ما صنعت ! أصاب والله الرجل
 ثاره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده
 ثم قال : لعمرك ، ما خافت أملك غدقنى حتى يبتكك بهذه الحديدة ! ثم خلى سبيله .
 ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به التثعم ليصلبوه قال : إن
 رأيتم أن تدعونى حتى أركع ^(٢) ركعتين فافعلوا . قالوا : دونك فاركع ركعتين . [فركع ^(٣)
 ركعتين] أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى
 إنما طوئت جزما من القتل لاستكثرت من الصلاة . فكان خبيب أول من سقى
 هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبته ، فلما أرقوه ، قال :

(١) كذا في الأصول . وفي روايات كثيرة : « مارية » .

(٢) في ١ : « قتل » . (٣) في ١ : « سبيلها » .

(٤) في ١ : « أصل » . (٥) ما بين القوسين ما خط من ١ .

اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الفداء ما يُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تقادر منهم أحدا^(٢٢) . ثم قتلوه ، رحمه الله ورضى عنه .

قال ابن هشام^(٢٣) : أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

وروى ابن إسحاق أنه قال حين صلب^(٢٤) :

- لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا • قباثلهم واستجمعوا كل مجمع^(٢٥)
- وقد قزبوا أبنائهم ونسائهم • وقربت من جذع طويل مُمنع^(٢٦)
- وكلهم يُبدي العداوة جاهدا • علّ لآني في وثاق بمضج^(٢٧)
- إلى الله أشكو غربي بعد كربتي • وما جمع الأحزاب لي عند مضري
- فذا المرش صبرني على ما أصابني • فقد بضموا الحى وقد ضلّ مطمعي^(٢٨)

٤٩
١٥

- ١٠ (١) أحصهم عددا : أى أهلكهم واسأصهم بحيث لا يبق من عددهم أحد .
- (٢) بددا : قال ابن الأثير : يروى بكسر الهمزة ، جمع بدّة ، وهى المصيبة والصيب ، أى اقتلهم حصصا مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه . ويرى بالقنخ ، أى نفرقين فى القتل واحدا بعد واحد من التبتيد . وفى الأصول : « بددا » . وهو تحريف .
- (٣) قال فى الروض الأصف : « فإن قيل : هل أجبت فيهم دعوة خبيب ؟ . قلنا : أمات منهم من حسن فى علم الله أن يموت كافرا ، ومن أسلم منهم فلم يمت خبيب بدعاؤه ، ومن قتل منهم بعد هذه الدعوة فإنما قتلوا بددا » غير مصكرين ولا مختنئين ، فنقلت الدعوة على صورتها ، وفيمن أراد خبيب رحمه الله .

(٤) فى أ : « قال هشام » .

(٥) قال ابن هشام : « بض أهل العلم بالشرى كرها له » .

- ٢٠ (٦) ألبوا : جموا وحضروا .

(٧) فى ابن هشام : « جموا » . وقد ذكر هذا البيت بعد البيت الذى يليه .

(٨) ويرى البيت :

وكلهم يبدي العداوة جاهد • علّ لآني فى وثاق مضج

(٩) بضوا : قتلوا . وفى سيرة ابن هشام : « يأس مطمعي » .

وفلك في ذات الإله وإن يشأ • يسأرك على أوصال شلو^(١) تمزع
وقد عثرنوا بالكفر والموت^(٢) دونه • وقد ذرقت عيناى من غير مدغم^(٣)
وما بي حذار الموت ، إني لميت • ولكن حذارى حرثاير تلغس^(٤)
فلست بمبيد للمدق تحشما • ولا جزأ إني إلى الله مريجي
ولست أبالي حين أقتل مسلما • على أى حال كان في الله مضجعي
وفي رواية ابن شهاب :

• على أى جنب كان في الله مصرعى •

قالوا : وصلب بالتعميم ، وكان الذى تولى صلبه عقبة بن الحارث ، وأبو هيرة العدوى^(٥) .

ذكر غزوة بنى النضير

غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ، سنة أربع ، على رأس
سبعة وثلاثين شهرا من هجره •

وكان سبب هذه الغزوة على ما حكاه محمد بن سعد ، ومحمد بن إسحاق ،
وعبد الملك بن هشام ، دخل حديث بعضهم في بعض ، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، نرحل إلى بنى النضير يستعينهم في دية اليكلايين أو العاصرين اللذين قتلهما
عمرو بن أمية الضمري ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، نمنك بما أحببت • وكان

(١) أوصال : أعضاء • شلو : جسد •

(٢) ذكر هذا البيت في سيرة ابن هشام ، وفي المواهب اللدنية كما يأتي :

وقد خيروني الكفر والموت دونه • وقد هملت عيناى من غير مجزع

(٣) كذا في الأصول ، وعليه نهي تلغس يحذف إحدى التائين أى تشل ، يقال : تلغس بالثوب

إذا اشتل به • وفي ابن هشام والمواهب : « هم فارلق » • والهم : الملقب ، وسه الجهم •

(٤) راجع شعر حصان بن ثابت في بكاء عيب ص ١٨٦ ج ٣ من سيرة ابن هشام طبع الجلي •

- رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، وهو في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، رضوان الله عليهم ، تغللا بعض بنى النضير إلى بعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فن رجل يملو هذا البيت ، فيلق عليه حفرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جمحاش^(١) .
- ابن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ؟ فقال سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، والله ليخبرن بما همتم به ، وإنه لتقض للمهد الذي بيلنا وبينه . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انخبر من السباه بما أراد القوم ، فنهض مسرعا كأنه يريد الحاجة فتوجه إلى المدينة ، فلما أبطل على أصحابه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسأله عنه صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيته قد دخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتوه ، فقالوا : يا رسول الله ، قت ولم نسمع .
- ١٠ قال : هممت يهود بالفدر فأخبرني الله بذلك ففقت . ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم محمد بن مسلمة : « أن اخرجوا من بلدى فلا تسأكنوني بها ، وقد هممت بما هممت به من الفدر ، وقد أجتكم عشرا [أى من الأيام]^(٢) فن ربي بعد ذلك ضربت عيقه . » فتكثروا أياما يجهزون ، وأرسلوا إلى ظهر لهم بنى الحديرو^(٣) وتكاثروا إبلا من ناس من أشجع ، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي : أن أقيموا في حصونكم ، ولا تخرجوا من دياركم ، فإن مى ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من عند آخرهم ، وتمدكم قريظة وحلفائكم من غطفان . ووافقه على ذلك وديسة بن مالك بن أبي قرقل ، وسويد ودعيس ، وقالوا

(١) في أ : « دخل » وهو تحريف . (٢) ضبط بكسر الهمزة وتثنية الحاء في الطبرى ، وطيفات

ابن سعد ، وابن هشام ، وضبط في المواهب الأدبية بفتح الهمزة وتشديد الحاء . (٣) في أ : « فرأوا » .

(٤) هذا التفسير غير موجود في ج . (٥) فدر جدر : سرح على ستة أيام من المدينة بناحية قباء .

(٦) كذا في الأصل ، وفي المواهب والروض الأنت في الطبرى : « وديسة ومالك بن أبي قرقل » .

٥٠
١٥

لهم : إن قوتكم نصرناكم ، وإن أخرجتم نخرجنا معكم ، فطمع حُيَّ بن أخطب فيما قال ابن أبي ، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر المسلمون تكبيره ، وقال : حاربت يهود . واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وسار في أصحابه ، وعلى بن أبي طالب يحمل لواءه ، فصل المصر بفناء بنى النضير ، فلما رأوه تحصنوا بمحصونهم ، وقلعوا عليها منهم النبل والحجارة ، وأعتزلتهم قريظة فلم تُمنهم ، وخذلم عبد الله بن أبي ومن واقفه فلم ينصروهم ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ست ليل ، ثم أمر بقطع التخييل وتحريقها ، فتادوه : يا عهد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتبنيه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ! وكان الله عز وجل أمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم بذلك ، فخذف الله في قلوبهم الرعب ، وقالوا : نخرج من بلادك . فقال : لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا منها ، ولكم دِماؤكم وما حلت الإبل إلا الحلقة^(١) . فزلوا على ذلك .

وكانت مدة حصرهم خمسة عشر يوما ، وولى إخراجهم محمد بن مسلمة ، فحملوا النساء والصبيان وحملوا على مجعانة بئر ، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٢) يابه ، فيضمه على ظهر بئره فينطلق به ، فخرجوا إلى خير ، ومنهم من سار إلى الشام ، وكان من أشرافهم ممن سار إلى خير سلام بن أبي الحقيق ، وكانه بن الربيع ابن أبي الحقيق ، وحُيَّ بن أخطب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء في قومهم بمنزلة بنى المغيرة في قريش . وحزن المنافقون [عليهم] حزنا شديدا ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال والحلقة ، فوجد من الحلقة خمسين

(١) الحلقة : المروج ، وقيل السلاح كذا ، وهو المراد هنا .

(٢) النجاف : التبة .

١٠٠. وحمين بيضة ، وثلاثة سيف وأربعين سيفاً ، وكانت بنو النضير صفياء^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، خالصة له حسناً لنوابه^(٢) ، لم يتجسها ولم يُسهم منها لأحد ، إلا أنه أعطى ناساً من أصحابه ، ووسع في الناس ، فكان ممن أعطاه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من المهاجرين أبو بكر^(٣) [الصدِّيق] رضى الله عنه ، أعطاه بئر حجر ، وعمر بن الخطاب بئر جرم ، وعبد الرحمن بن عوف سائلة ، وصُيب بن سنان الصراطة^(٤) ، والزيبر بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البؤيلة^(٥) ، وسهل بن حنيف وأبو دُجانة مالا ، يقال له : مال ابن ترسة . حكاه محمد بن سعد في طبقاته .
- قال : ولما أبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، قال : امضوا فإن هذا أول الحشر وإننا على الآخر .

١٠١. وأزل الله عز وجل في بنى النضير سورة « الحشر » بكلمها .
- يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أُنْزَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ .

١٠٢. (١) صفياء : أى غثارة . (٢) حسبا : وقفا . (٣) سائلة في ١ .
- (٤) كذا في ١ ، والطبقات . وفي ج : « حرم » .
- (٥) كذا في ج . وفي ١ : « المراه » . وفي الطبقات : « الصراطة » .
- (٦) البؤيلة : مكان معروف بين المدينة وبين تيماء من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب . ويقال لها أيضا : « البؤيرة » . شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٩٩
٢٠٠. وقال صاحب سيم البلدان ، في « النضير » : « لم أر أحدا من أهل البؤيرة ذكر أسماء منازل بنى النضير فبحث فوجدت منازلهم التي غزاها النبي صلى الله عليه وسلم فيها تسمى وادي بطمان والبؤيرة »

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، رحمه الله :
 « أهل الكتاب » بنو النضير ^(١) « مِنْ دِيَارِهِم » التي كانت يثرب « لِأَوَّلِ الْحَشْرِ »
 قال الزهرى : كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد
 كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا، قال : وكانوا أول حشر
 في الدنيا حشر إلى الشام . وقال الكلبي : إنما قال : « لِأَوَّلِ الْحَشْرِ » لأنهم أول
 من حُشِر من أهل الكتاب، ونفوا من الحجاز، وقال مرة الحمداني : كان هذا أول
 الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خير وجميع جزيرة العرب إلى أذربعات
 وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وعلى يديه . وقال قتادة :
 كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني : نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب،
 تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تحلف .
 « مَا ظَنَنْتُمْ » أي المؤمنون « أَنْ يُخْرِجُوا » من المدينة « وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَا يَنْتَهُمُ حُصُونُهُمْ
 مِنْ اللَّهِ » حيث دزبوا وحصنوها « فَأَتَاهُمُ اللَّهُ » أى أمر الله وعذابه « [مِنْ]
 حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ » قيل : بقتل سيدهم كعب بن الأشرف .
 « يُخْرِجُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ » قال ابن إسحاق : وذلك لمدهم بيوتهم عن نجف
 أبوابهم . وقال ابن زيد : كانوا يقتلون العمدة، وينقضون السقوف ويتقبون
 الجدران ويقلعون الخشب ^(٢)، حتى الأوتاد، يخرجونها لتلا يسكنها المسلمون حسدا
 منهم وبغضا . وقال ابن عباس : كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها
 لتنتفع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله يتقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التي

(١) السبط : ولد الولد . والسبط من اليهود كاتبة من العرب .

(٢) كذا في الأصول، ولعل صواب العبارة كذا في القرطبي : « وكان أول حشر حشروا في الدنيا

إلى الشام » - (٣) كذا في الأصول، ومعجم البلدان . وفي القاموس : « أريحا » كزبيح . وكزبيلا .

(٤) ساقطة من أ . (٥) في أ : « الأخشاب » . (٦) في أ : « دابم » .

بعدها ، فتحصنون فيها ويكسرون ما يلهم منها ، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم وقال قتادة : كان المسلمون يحربون ما يلهم من ظاهرها ، وتخربها اليهود من باطنها ، فذلك قوله عز وجل : **”يُحْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ“** .

- ٥ . ثم قال تعالى : **”وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ“** الآية . **”الْجَلَآءُ“** عن الوطن **”لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا“** بالقتل وبالسبي ^(١) كما فعل بني قريظة **”وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ“** . **”ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ“** وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .
- قوله تعالى : **”مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاقِسِينَ“** قال ابن إسحاق : اللينة : ما خالف السجوة من النخل . وقال ابن هشام : ما لم تكن بريئة ^(٢) ولا عجوة . وقال عكرمة وزيد بن رومان وقاتدة : النخل كله لينة ما خلا السجوة . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، اللينة : النخلة والشجرة . وقال سفيان : هي كرام النخل . وقيل : هي النخلة القريبة من الأرض . وقال مقاتل : هو ضرب من النخل ، يقال لثمرها : اللون ، وهو شديد الصفرة ، يرى نواه من خارج ، يئيب فيه الضرس ، وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم ، وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف ^(٣) ، وأحب إليهم من وصيف ، فلما رأوا ذلك يقطع شق عليهم . قال : وجمع اللينة لين ^(٤) . وقيل : لِيَان ^(٥) .

(١) في ج : « والسي » .

(٢) « شاقوا الله » : أى طأطأه وضايقوا أمره .

(٣) البرية : واحدة البرى ، وهو ضرب من الثمر أصفر طعمه ، وهو أجود الثمر .

(٤) كذا في الأصول . وفي المصاحب الحديثة ، والقرطبي « ثمرها » .

(٥) الوصيف : العبد والخادم .

(٦) في الأصل : « لِيَان » . وفي لسان العرب : جمع اللينة ، لن لون وليان .

قال الثعلبي : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير، وعحصنوا في حصونهم ، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها ، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا : يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح ، أفنّ الصلاح قطع النخيل، وعقر الشجر ؟ وهل وجدت فيها زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم ، وخشوا أن يكون ذلك فسادا ، واختلف المسلمون في ذلك ، قال بعضهم : لا تقطعوا ، فإنه مما آفاه الله علينا . وقال بعضهم : بل نقتطعها . فأنزل الله تعالى الآية بتصديق من نهي عن قطعه ، وتحليل من قطع من الإثم ، وأخبر أن قطعه وتركه بإذنه تعالى .

وفي قطع نخيل بنى النضير يقول حسان بن ثابت :

وهان على سرّاء بنى لؤي • حريقاً بالبؤيرة مستطير

وقوله تعالى : « وَلِيُخْزِيَ الْقَاسِقِينَ » أى وليذل اليهود ويمزجهم ويظلمهم .

قوله تعالى : « وَمَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْخَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » « آفَاةَ اللَّهِ » أى ردّ على رسوله ورجع إليه ، ومنه في الظل [منهم] أى من بنى النضير من الأموال « فَمَا أَوْخَفْتُمْ » أَوْخَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ « وهى الإبل ، يقول : لم تقطعوا إليها شقة ، ولم تتألوا فيها مشقة ، ولم تكلفوا مؤنة ، ولم تلقوا حربا . وإنما كانت بالمدينة فشوا إليها مشيا ، ولم يركبوا خيلا ولا إبل إلا البنى

(١) في ١ : « يكن » .

(٢) ساقطة من ١ ، ج .

(٣) أَوْخَفْتُمْ : أسرتم .

(٤) المؤنة : التوت .

- صلى الله عليه وسلم ، فإنه ركب حلا فافتتحها صلما ، وأجلاهم عنها وخزن أموالهم فقال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم القسمة ، فأنزل الله عز وجل الآية ، بفعل أموال بنى النضير خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة ، وهم : أبو دُجَانَه بن حَرْشَة ، ونهشل بن حُنيف ، والحارث بن الصَّمة . قال : ولم يُسلم من بنى النضير إلا رجلان ، أحدهما سفيان ابن عمير بن وهب ، والثاني معد بن وهب ، أساما على أموالها فأحرزاها . روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إن أموال بنى النضير مما آفاه الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينفق على أهله منه نفقة سنته ، وما يبق جملة في الكراع والسلاح عُدَّة في سبيل الله .

- قوله تعالى : ﴿ مَا آفَاهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَبِهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَنْبِئِ السَّبِيلَ كَى لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : القرى هى قرىظة والنضير ، وهما بالمدينة ، وفدك ، وهى من المدينة على ثلاثة أميال ، وخيبر ، وقرى عُرَينة ويُنبع جملها الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، يحكم فيها ما أراد ، فاحتواها كلها ، فقال ناس : هلا قسمها ؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية . قال : و«القرى» قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب . وقوله : « كَى لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » أى بين

(١) كذا فى جـ . وقد أ : « ما لم يرجف » .

(٢) الكراع : أى جماعة الخيل .

الرؤساء والأغنياء والأقوياء، فيظفروا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس رُبْعَهَا لنفسه ، وهو المِرباع ، ثم يصطفي منها أيضا بمِرباع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم :

لَكَ الْمِربَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا • وَحَكُّكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُضُولُ^(١)

فجعل الله تعالى [هذا] رسوله عليه السلام يقسمه في المواضع التي أمر بها .

وقوله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » أي ما أعطاكم من الثمن والغنيمة « وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ » من النلول وغيره « فَاتَمُوا » .

قوله تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ) يعني كل لا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم ولكن يكون (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) أي في إيمانهم . قال قتادة : هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حبا لله ورسوله ، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شديدة ، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها .

وعن سعيد بن جبير، وسعيد بن جندب بن أبي نجي ، قال : كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والمبد والناقة ، يبيع طيبا ويفزوا ، ففسبهم الله تعالى إلى أنهم فقراء ، وجعل لهم مهن في الزكاة .

(١) النشطة : ما يفتنه التزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصده . الفضول : ما فضل

من التناهم حين تقسم . وفي أ : « البسطة » .

(٢) زيادة عن القرطبي ينطلي المعنى .

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ قال: قوله «تَبَوَّءُوا» توطئوا «الدَّارَ» اتخذوا المدينة دار الإيمان والمهجرة، وهم الأنصار، أسلموا في ديارهم وأبنتوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم، فأحسن الله الثناء عليهم. وقوله: «مَنْ قَبْلِهِمْ» أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً» أي حرازة وغيظا وحسدا «مِمَّا أُوتُوا» أي مما أحل للمهاجرين من الفداء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قسم أموال بن الحضير بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا الثلاثة الذين ذكرناهم، فطابت أنفس الأنصار بذلك «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم «وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموا ديارهم وأموالهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النصير للأنصار: «إن شئتم قسمتم المهاجرين من أموالكم ودياركم وقشاركونهم في هذه النعمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم عليكم شيء من النعمة» فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالنعمة ولم نشاركهم فيها. فأنزل الله عز وجل: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» والشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل.

(١) في أ: «المهاجرين» وهو خطأ.

(٢) في ب: «من أموالنا وديارنا».

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ قال ابن أبي ليلى : الناس على ثلاث منازل : الفقراء المهاجرون ، والذين يتوهموا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم ، فاجهد ألا تكون خارجا من هذه المنازل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أمر الله عز وجل بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يعلم أنهم سيفتنون . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أصرمت بالاستغفار لأصحاب محمد عليه السلام فسبجتمهم ، سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلين آخرها أولا » .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَأْفَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ . لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ نزلت هذه الآيات في شأن عبد الله بن أبي ومن وافقه في إرسالم لبني النضير وقعودهم عنهم ، كما تقدم أنفا ، وقوله : « لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ » يقول : يرهبونكم أشد من رهبتكم الله تعالى . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » .

قوله تعالى : ﴿ لَا يَقَاتِلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدْرِ بِأَسْمِهِمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أعلم الله تعالى المؤمنين أن اليهود لا يبرزون لهم بالقتال ، ولا يقاتلونهم إلا في قري محصنة ، أو من

(١) في أ ، ج : « نفور » وهو خطأ . (٢) في الأصل : « جدار » . وهي قراءة

ابن عباس ، ومجاهد ، وابن كثير ، وابن محيىن ، وأبو عمرو .

- وراء جدار « باسمهم بينهم شديد »^١ يعنى بعضهم فقط على بعض ، وبعضهم مدلول بعض ، وعداوتهم بعضهم بعضا شديدة . وقيل : باسمهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد ، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله . « تَحْسَبُهُمْ جِيمًا وَقُلُوبُهُمْ شَقَى » قال قتادة : أهل الباطل مختلفة [أهواؤهم ، مختلفة شهاداتهم ، مختلفة] أعمالهم ، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق . وقال مجاهد : أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود . « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ » .

- قوله تعالى : ﴿ كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوهَا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعنى مثل هؤلاء اليهود « كَتَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » وهم مشركو مكة « ذَاتُوهَا وَبَالَ أَمْرِهِمْ » يوم بدر . قال مجاهد وقال ابن عباس : يعنى بنى قينقاع ، وقيل : مثل قريظة كَتَلَ بنى النضير . ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود في تخاذلهم فقال تعالى : ﴿ كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّ بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهى قصة برصيصا العابد مع الشيطان .

ذكر قصة برصيصا

- روى أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبى بسند يرفعه إلى ابن عباس ، رضى الله عنهما ، فى قوله تعالى : « كَتَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ » الآية . قال :
كان راهب فى القنطرة يقال له برصيصا ، قد تعبد فى صومعة له سبعين سنة ،
بعض الله فيها طرفه عين ، وإن إبليس أمياه فى أمره الخيل ، فلم يستطع له بشئ ،
فجمع ذات يوم مرادة الشياطين ، فقال : ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا ؟
فقال الأبيض ، وهو صاحب الأنبياء ، وهو الذى تصدى لرسول الله صلى الله عليه

١ : « تَحْسَبُهُمْ جِيمًا » . (٢) فى ١ : « تعبد الله » .

وسلم ، ونجاه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه الوحى ، فجاه جبريل حتى دخل بينهما ، فدفعه بيده دفعة هينة ، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند . فقال الأبيض لإبليس : أنا أكفيك . فانطلق قترين بزينة الرهبان ، وحلق وسط رأسه ، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا ، فناداه ، فلم يجبه برصيصا ، وكان لا يفتل عن صلاته إلا في عشرة أيام^(١) ، ولا يفطر إلا في عشرة أيام ، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر ، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته ، فلما أنفتل برصيصا اطلع من صومعته . فرأى الأبيض قائما متصبيا يصلى في هيئة حسنة من هيئة الرهبان . فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لم ي عنه فلم يجبه . فقال له : إنك ناديتنى وكنت مشغولا عنك ، فحاجتك ؟ قال : حاجتى أنى أحببت أن أكون معك فأناؤب بك ، وأقتبس من علمك ، وجمتمع على العبادة . فتدعوى وأدعوا لك ، قال : إنى لفى شغل عنك ، فإن كنت مؤمنا فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للؤمنين والمؤمنات نصيبا إن أمنتجاب لى . ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض ، فأقبل الأبيض يصلى ، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوما بعدها ، فلما انفتل رآه قائما يصلى ، فلما رأى برصيصا شدة اجتباذه ، وكثرة نصرته واتباعه إلى الله عز وجل كلمه ، وقال له : حاجتك ؟ قال : حاجتى أن تذن لى فأرتفع إليك . فأذن له ، فارتفع فى صومعته ، فأقام الأبيض معه حولا يتعبد ، لا يفطر إلا فى كل أربعين يوما [ولا يفتل عن صلاته إلا فى كل أربعين يوما^(٢)] مرة ، ورجعا مد إلى الثمانين ، فلما رأى برصيصا اجتباذه تقاصرت إليه نفسه^(٣) ، وأعجبه شأنه ، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا : إنى منطلق ، فإن لى صاحب

(١) فى ج : « فى كل عشرة أيام » . (٢) كذا فى الأصل . وفى القبطى : « ما حاجتك ؟ » .

(٣) ما بين القوسين لم يذكر فى المصنف . (٤) تقاصرت نفسه : تقصّلت .

- غيرك، ظننت أنك أشد اجتهدا عما أرى، وكان يلفنا عنك غير الذي رأيت . قال :
- فدخل على برصيصا امر عظيم ، وكره مفارقتها للذي رأى من شدة اجتهداه ، فلما ودعه قال له الأبيض : إن عندي دعوات أعلمكمها تدعوهم ، فمن خيرك مما أنت فيه ، يشفى الله بها السقم ، ويقاق بها المبتل والمجنون ، قال برصيصا : إني أكره هذه الملتزمة ، لأن لي في قسي شغلا ، وإني أخاف إن علم بهذا الناس شغلوني عن العبادة ، فلم يزل به الأبيض حتى علمه . ثم انطلق حتى أتى إليس فقال : قد واه أهلكك الرجل . قال : فانطلق الأبيض فتمرض لرجل نخفقه ، ثم جاءه في صورة رجل متطلب ، فقال لأهله : إن بصاحبكم جنونا فأعالجهم ؟ فقالوا : نعم ؛ فقال لهم : إني لا أقوى على جنته ، ولكنني سأرشدكم إلى من يدعو الله فيقاف ؛ فقالوا له : دلنا . قال : انطلقوا إلى برصيصا ، فإن عنده اسم الله الذي إذا دعى به أجاب . قال : فانطلقوا إليه فسألوه ذلك ، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان . وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذي فعل بالرجل ، ثم يرشدهم إلى برصيصا فيدعوهم فيمافون . قال : فانطلق الأبيض فتمرض لجارية من بنات الملوك بين ثلاثة إخوة ، وكان أبوهم ملكا فاستخلف أخاه ، وكان عمها ملك بني إسرائيل ، فعذبا وختقها ، ثم جاء إليهم في صورة رجل متطلب ، فقال لهم : أعالجهما ؟ قالوا : نعم . فصالجهما فقال : إن الذي عرض لها ماود لا يطلق ، ولكن سأرشدكم إلى رجل تتقون به تدعون له عنده ، فإذا جاء شيطانها دعا لها ، حتى تعاملوا أنها قد صوفيت وتردونها^(١) صحيحة ، قد ذهب عنها شيطانها ؛ قالوا : ومن هو ؟ قال : برصيصا ؛ قالوا : وكيف لنا أن يقبلها منا ويحبينا إلى هذا ؟ هو أعظم شأنا من ذلك . قال : انطلقوا واقتنوا بصومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه ، ولكن
- (١) كذا في الأصل ، ولعل صواب العبارة : «تردونها صحيحة وقد ذهب عنها شيطانها» بتأخير الواو .

هذه الصومعة التي تجنون لثيقة صومته ، فإن قبلها وإلا تضعونها في صومعتها ، ثم قولوا له : هي أمانة عندك ، فاحتسب فيها . قال : فانطلقوا إليه فسالوه ذلك ، فأبى عليهم ، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض ، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الجارية في صومعتها ، وقالوا له : يا برصيصا ، هذه أختنا قد عرض لها عدو من أعداء الله ، فهي أمانة عندك فاحتسب فيها . ثم انصرفوا ، فلما اقتتل برصيصا عن صلاته عاين تلك الجارية وما بها من الجمال ، فأسقط في يده ، ودخل عليه أمر عظيم ، قال : بغاهما الشيطان فغتها ، فلما رأى برصيصا ذلك اغتفل عن صلاته ، فدعا بتلك الدعوات ، فذهب عنها الشيطان ، ثم أقبل على صلاته ، ثم جاءها الشيطان فغتها ، وكان يكشف عن نفسها ويتمرض [بها] لبرصيصا ، وجاءه الشيطان ، فقال : ويحك ! واقمها فلن تجد مثلها ، فستتوب بعد ، فتدرك ما تريد من الأمر الذي تريد ، فلم يزل به حتى واقمها ، فاقترشها ، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حلت وظهر حملها ، فقال له الشيطان : ويحك ! قد اقتضحت ، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب ؟ فإن سألوك قتل : جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه . قال : ففعل . فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل ، بغاه الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف إزارها ، فسقى طرف إزارها خارجا في التراب ، ثم رجع برصيصا إلى صومته وأقبل على صلاته ، بغاه إخوانها يتعاهدون اختهم ، وكانوا يميثون في بعض الأيام يسألون عنها ، ويطلبون إلى برصيصا ويوصونه بها ، فقالوا : يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : جاء شيطانها فذهب بها ولم أطلقه . قال : فصنّقه وآتصرفوا . فلما أمسوا وهم مكرويون ، جاء الشيطان إلى كبيرهم

(١) كذا في الأصل . روض الجزء هنا جائز على ضعف . (٢) أسقط في يده : تخير .

(٣) الزيادة من تصحيف القريظي (١٨ : ٢٨) .

- في المنام ، فقال له : ويحك ! إن برصيصا فصل بأختك كذا وكذا ، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا . فقال الأخ : هذا حلم وهو من عمل الشيطان ، برصيصا خير من ذلك . قال : فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر ، فأنطلق إلى الأوسط بمثل ذلك ، فقال الأوسط مثلما قال الأكبر ، فلم يخبر به أحدا ، فأنطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لإخوته : والله لقد رأيت كذا وكذا . فقال الأوسط : وأنا والله لقد رأيت مثله . وقال الأكبر : وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا ، فأنطلقوا بنا إلى برصيصا : فاتوه ، فقالوا : يا برصيصا ، ما فعلت أختنا ؟ قال : أليس قد أعلمتكم بحال شيطانها ! فكانكم اتهمتموني . فقالوا : لا والله لا تهلك . فاستحيوا منه وأنصرفوا عنه ، بهائم الشيطان فقال ، ويحك ! إنها المدفونة في موضع كذا ، وإن طرف إزارها خارج من التراب . قال : فأنطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في نومهم ، قال : فاشوا في أموالهم ، ومواليهم مهمم الفؤس والمسأى ، فهدموا مسومته وأنزلوه ثم كنفوه وأنطلقوا به إلى الملك ، فآثر على نفسه ، وذلك أن الشيطان أئاد فقال : تقتلها ثم تكابر ، يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة : اعترف . فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة ، فلما صلب أنه الأبيض عياها ، وذلك أن إبليس لعنه الله ، قال للإبيض : وما يبنى عنك ما صنعت ؟ إن قتل فهو كفارة لما كان منه . فقال الإبيض : أنا أكفيكم . فأناه فقال : يا برصيصا ، أنصرفني ؟ قال : لا . قال : أنا صاحبك الذي طلبك الدعوات فاستجيب لك . ويحك ! أما انتفيت الله في أمانة خنت أهلها ، وأنتك أعبدتني إسرائيل ! أما استحييت ! أما راقبت الله في دينك ! فلم يزل يصبره ويوجهه ، ثم قال له في آخر ذلك : ألم يكفك

٥٥
١٥

ما صنعت حتى أقورت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس ! فإن مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك بعدك . قال : فكيف أصنع ؟ قال : طيعني في خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه ، وأخذ بأعينهم ، وأخرجك من مكائك . قال : وماهي ؟ قال : تسجد لي . قال : أفعل . فسجد له ، فقال : يا برصيصا ، هذا الذي أردت منك ، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك ، إلى يرى منك ، إلى أخاف الله رب العالمين .

يقول الله تعالى : ﴿ تَكَالَفَ حَاقِبَتُهُمَا ﴾ يعني الشيطان وذلك الإنسان .
﴿ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فضرب الله هذا المثل لليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يحل بنى النضير من المدينة ، فدنس المنافقون إليهم فقالوا : لا تخرجوا هذا إلى ما دماكم ولا تخرجوا من دياركم ، فإن قاتلكم كما معكم ، وإن أخرجتم نخرجنا معكم . قال : فاطاعوهم ، فدنزبوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم وجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فتابوه الحرب ، يرجون نصر المنافقين ، فغذلوهم وتبرأ منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرْقِسْ مَا قَدَّمْتُ لِلْيَدِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ قوله : « اتَّقُوا اللَّهَ » أى في أداء فرائضه واجتناب معاصيه « وَلْتَنْتَرْقِسْ مَا قَدَّمْتُ لِلْيَدِ » يعنى يوم القيامة .

قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(١)
 « نَسُوا اللَّهَ » أى نسوا حق الله وتركوا أوامره « فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ » [يعنى حظ
 أنفسهم] أن يقدموا لها خيرا « أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ
 وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ » .

- فقد أثبتنا - أكرمك الله - على تفسيرنا أنزل من القرآن في شأن بنى النضير
- مما يتعلق بشرح أخبارهم خاصة على حكم الاختصار ، ولم نتعرض إلى ما سوى ذلك من التفسير .

ذكر غزوة بدر الموعد

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لئلا ذى القعدة ، على رأس خمسة
 وأربعين شهرا من هجرته صلى الله عليه وسلم . حكاه محمد بن سعد .
 وقال محمد بن إسحاق : كانت في شعبان . وجعلها بعد غزوة ذات الرقاع ،
 فتكون على رأس اثنين وأربعين شهرا من الهجرة ، والأشبه ما قاله ابن سعد ، لأن
 المياد كان على رأس الحصول من غزوة أحد ، وغزوة أحد كانت في شوال على
 ما اتفقا عليه ، ولم يختلفا في الشهر وإنما في أيام ذكرناها هناك .

- ١٥ قال محمد بن سعد : لما دعا الموعد كره أبو سفيان الخروج ، وقدم نعيم بن
 مسعود الأشجعي مكة ، فقال له أبو سفيان : إني قد واعدت عدا وأصحابه أن تلقى
 ببدر ، وقد جاء ذلك الوقت ، وهذا عام جذب ، وإنما يصلحنا عام خصب غيذاق ،
 وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج فيجترئ علينا ، فنجعل لك عشرين فريضة^(٢) يضمها^(٣)

٥٦
١٥

- (١) ما بين التوسين ماقط من أ - (٢) في ج : « إلى » . (٣) غيذاق : خصب .
- ٢ - (٤) الفريضة : البجر المأخوذ في الزكاة ، مسمى فريضة لأنه فرض واجب على رب المال ، ثم اتسع
 فيه حتى سمي البجر فريضة في غير الزكاة . (٥) في أ : « يضمها » .

أليك سبيل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتدخل أصحاب عبد . قال : نعم .
فخلوه على بئر ، فأسرع السير حتى قدم المدينة ، فأخبرهم بجمع أبي سفيان ^(١) .
وما معه من العدة والسلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي
بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد .

وامتخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وسار بالمسلمين وهم ألف وخمسمائة ،
واخليل عشرة أفراس ، وحمل لواءه على بن أبي طالب ، وخرج المسلمون ببضائع
وتجارهم لهم ، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً مجتمع فيه العرب ، وسوقاً تقوم للال
ذى القعدة إلى ثمان تخلو منه ، ثم يتفرق الناس إلى بلادهم .

فاتته رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى بدر ليلة للال ذى القعدة ،
وقامت السوق صبيحة الملال فأقاموا بها ثمانية أيام ، وباعوا ما خرجوا به من
التجارات ، فربحوا للدرهم درهمًا ، وانصرفوا ، وقد سمع الناس بمسيرهم ، وخرج
أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش ، وهم ألفان ومهمهم خمسون فرسًا حتى
اتوها إلى بجة ^(٢) — وهي من الظهران — ومنهم من يقول : بلغوا صفان ^(٣) . ثم
قال : ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام خصب قليل ، نرى فيه الشجر ونشرب
اللبن ، وعامكم هذا عام جذب ، وإنى راجع فأرجعوا . فسمى أهل مكة هذا
البعث جيش السوق ، يقولون : خرجوا يشربون السوق . قال : وقدم معبد
أبن أبي معبد انزعاعى مكة بغير مسير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه ،
فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان : قد نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجتمعوا
علينا وروا أن قد أخفناهم .

(١) ساقطة في أ . (٢) كما في الأصل . وفي المواهب : « بجة : ناحية الظهران » . وفي معجم
البدان : « وقال الأعمى : وكانت بجة بمن الظهران » . (٣) صفان : موضع على مرحلتين من مكة .

وقال عبد الله بن رواحة :

- وعدنا أبا سفيان وعداً فلم نجد ^(١) • ليعاده صدقاً وما كان وانياً
 • فأقسم لو وافيننا فلقيننا • لأبّت ذمياً وافقذت الموالياً ^(٢)
 • تركناه أوصال عتبة وابنه • وعمرنا أبا جهل تركاه ثاويًا ^(٣)
 • عصمت رسول الله أف لدينكم • وأمركم النبي الذي كان غاويًا
 • فإني وإن صغتموني لقاتل • فدى لرسول الله أهلي وماليًا
 • أظننا لم نعدله فينا بنيره • شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديًا
 • وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ورجعوا إلى المدينة .

- وأنزل الله عز وجل في شأن هذه الفزوة قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَاقْتُلُوا يَنْعِمَ مِنْ اللَّهِ وَفَضِيلٌ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ .

- قال السدي : لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للسير إلى بدر
 • ليعاد أبي سفيان أتاهم المنافقون فقالوا : نحن أصحابكم الذين نهبناكم عن الخروج
 • إليهم فمعيثونا، وقد أتوكم في دياركم [فقاتلوكم] وظفروا، فإن أئتمموهم في ديارهم
 • لا يرجع منكم أحد . فقالوا : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » . فالتاس في هذه الآية أولئك
 • المنافقون . وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة، فسألهم
 • أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان، فقالوا : قد جمعوا لكم جموعاً

(٢) الموالى : جمع مولى، وهو القريب

(١) في سيرة ابن هشام : « بدرا - »

والجار والمخلف . (٣) ثاويًا : ضيًّا . (٤) اليئ : المنكر . (٥) ساقطة في أ .

كثيرة فآخشوهم ؛ فقالوا : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » . فأنزل الله عز وجل « الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ إِنَّا نَاسٌ » . يعنى إنا سفيان وأصحابه « قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ » . غافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم ^(١) « فزادهم إِيْمَانًا » . يعنى تصديقا و يقينا و جرأة وقوة . وقوله : « فَاتَّقُوا » . فانصرفوا ورجعوا « بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ » . أى بعافية لم يلقوا بها عدوا ، و برأت جراحتهم « وَفَضِّلَ » . أى ربح و تجارة ، وهو ما أصابوا من السوق فربحوا « لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ » . لم يصيبهم قتل ولا جرح ولم ينلهم أذى ولا مكروه « وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ » . فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا : هل يكون هذا غزا ؟ فاعطاهم الله تعالى ثواب الفوز ورضى عنهم . « وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » .
^(٢) [ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ)] يعنى ذلك الذى قل لكم : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ؛ من فعل الشيطان ألقى فى أفواههم لترهبوهم وتجنبوا عنهم « يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ » . أى يخوفكم بأوليائه ، يعنى يخوف المؤمنين بالكافرين ، قال السدى : يعظم أوليائه فى صدوركم لتخافوهم . وقرأ عبد الله بن مسعود « يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ » . قال : وكان أبى بن كعب ^(٣) [يَقْرَأُ] « يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَاءِهِ » « فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي » فى ترك أمرى « إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ » مصدقين بوعدى فإنى متكفل لكم بالنصر والظفر .

٥٧
١٥

(١) فى ج : « فزادهم ذلك إِيْمَانًا » . (٢) فى أ : « وم » .

(٣) فى أ : « لا يُلْجِمُ » . (٤) فى أ : « رسول الله » .

(٥) سابقة من أ . (٦) فى أ : « يخوفكم » .

(٧) سابقة من أ .

ذكر غزوة ذات الرقاع ^(١)، وخبر صلاة الخوف

وقصة غوث بن الحارث الحارثي، وخبر جابر بن عبد الله

واختلف في تسمية ذات الرقاع، فقيل: جبل فيه بقع حمراء وبيضاء وسود.

وقيل: لأنهم رجعوا راياتهم. وقيل: ذات الرقاع، شجرة بذلك الموضع. وفي صحيح

البخاري أنهم ثبتت أقدامهم ^(٢)، فلقوا عليها الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع.

• والله أعلم.

قال محمد بن سعد: كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهرا من مهاجرة

صلى الله عليه وسلم. وقال ابن إسحاق: كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة

بني النضير في جمادى الأولى، فتكون على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة،

واستعمل على المدينة أبا ذر الثفاري، ويقال: عثمان بن عفان. ولم يقل ابن سعد ^(٣) غير عثمان رضي الله عنه.

وذلك أن قادمًا قدم المدينة يجلب، فأخبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،

أن أنصارا وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربع مائة، ويقال: سبعمائة من أصحابه،

فرضي حتى أتى محالهم بذات الرقاع — وهو جبل فيه بقع فيها حمرة وسواد

وبياض — فلم يحصد في محالهم أحدا إلا نسوة، فاخذهن وفيهن جارية وضيفة،

وهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، وحضرت الصلاة، تغاف المسامون أن

يغيروا عليهم، ففصل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف.

(١) غزوة ذات الرقاع: هي غزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة، وغزوة بني أنصار، وغزوة صلاة

الخوف، لوقوعها فيها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من الأمور العجيبة.

(٢) ثبتت أقدامهم: وقت جنودها من المشي.

(٣) ١: أ « عن » (٤) الجلب: ما جلب من خيل وإبل وسباع.

روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ، ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو ، بلغوا فصل بهم ركعتين آخرين ، ثم سلم . وروى عنه أيضا من طريق آخر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ، ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا رفعهم سجد الآخرون بأنفسهم سجدتين ، وركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين . هكذا روى عن جابر في صلاة الخوف بذات الرقاع .

وروى ابن هشام أيضا بسنده إلى عبد الله بن عمر ، رضى الله عنهما ، في صلاة الخوف ، ولم يذكر ذات الرقاع ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يل عودهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يل العدو ، ويتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم ، ثم تصل كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

ذكر خبر غورث بن الحارث المحاربي

لما أراد أن يفك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه فغناه الله منه وأمكن نبيه صلى الله عليه وسلم من عذقه وعنقه .

وكان من خبر غورث بن الحارث أنه قال لقومه من غطفان وعارب : ألا أئنس لكم هذا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أئنس به . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الكوفة ، ووافقه على ذلك صاحب شرح المواهب اللدنية . ووقع منه التحنيط بالكاف بدل اللام . وحكى الخطابي : غورث بالصغير .

(١١) الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه نخوة يَحِيلُ تحتها، فأتاه فاخترط سيفه، ثم قال : من يملك مني ؟ فقال : الله . فأرعدت يد غورث ، وسقط سيفه ، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه ، فصفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فوجع إلى قومه وقال : جئتمكم من عند خير الناس . ومن رواية الخطابي : أن غورث ابن الحارث المخاربي أراد أن يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه ، متضيقاً سيفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اكفني بما شئت » . فأنكب غورث من وجهه من زُلَّةٍ زُلَّهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ونذر سيفه من يده ، وقيل : فيه نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴾ الآية . وقيل : نزلت في غير هذه القصة .

ذكر خبر جابر بن عبد الله في جملة . واستغفار النبي

صلى الله عليه وسلم لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المصلي عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نَحْلٍ على جبل لي ضعيف ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعلت الرقاع تمضي ، وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مالك يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله ، أبطأ على جملي هذا ، قال : « أنخه » ، فأنخته ، وأباح رسول الله صلى الله

(١١) اخترط السيف : استله من غمده . (٢) متضيقاً : مضطرباً . (٣) في هامش : الزلقة : وجع الظهر . وفي لسان العرب : بدل : روى الله فلاناً بالزلقة ، يضم الزاي وتشديد اللام وفتحها ، وهو وجع يأخذ في الظهر لا يحرك الإنسان من شدته ، و يروى تخفيف اللام . وفي الأصل : « زلقة » وهي رواية خطأ ما صاحب اللسان . (٤) نذر : سقط . (٥) نحل : موضع تبعد من أرض

عليه وسلم ، ثم قال : أعطني هذه العصا من يدك ، أو أقطع لي عصا من شجرة ؛ قال : فقصت . فآخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخسه بها فتخصات^(١) ، ثم قال : اركب . فركبت ، فخرج — والذي بعثه بالحق — يوافق ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتدري جملك هذا يا جابر ؟ » قلت : يا رسول الله ، بل أحبه لك ؛ قال : « لا ، ولكن بعني » ؛ قال : قلت : فسمنيه ؛ قال : « قد أخذته بدرهم » ؛ قلت : لا ، إذا تقيي^(٢) يا رسول الله ! قال : « بدرهمين » ؛ قلت : لا . فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الأوقية^(٣) ؛ قلت : فقد رضيت ؟ قال : « نعم » ؛ قلت : هو لك ؛ قال : « أخذته » . ثم قال : « يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ » قلت : نعم يا رسول الله ؛ قال : « أتيت أم بركا ؟ » قلت : بل نثيا ؛ قال : « أفلا جارية تلاعها وتلاعك ؟ » قلت : يا رسول الله ، إن أبي أصيب يوم أحد ، وترك بنات له سبعا ، فتكحت امرأة جامعة ، تجمع رموسين وتقوم طمين ؛ قال : « أصبت إن شاء الله ، أما إننا لو جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذلك ، وسمعت بنا ، ففقت غارقها » . قلت : يا رسول الله مالنا من غارق ؛ قال : « إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كئيبا » . فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذلك ، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت :

(١) يوافق ناقته : أى يارها في السير ويأشها . (٢) قى : « قنى » وهو محريف .

وفي الروض الأنف : « تقيي » . (٣) قى : « يضع » . (٤) كذا في أ ، ب .

وفي ابن هشام : « أقعد رضيت يا رسول الله ؟ » . (٥) قى : « قد » . (٦) صرار : برغل ثلاثة

أميال من المدينة كما سيأتى في المؤلف . (٧) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنها .

- فدونك، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذتُ برأس الجمل، فأقبلتُ به حتى أخته على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، [ثم جلستُ في المسجد قريبا منه، ونرج رسول الله صلى الله عليه وسلم] فرأى الجمل، فقال : « ماهذا ؟ قالوا : هذا جمل جاء به جابر » قال : « قاتل جابر ؟ فُدعيتُ له ، فقال : « يابن أمي خذ برأس جملك فهو لك » ودعا بلالا فقال له : « اذهب بجابر فأعطه أوقية » . قال :
- فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئا يسيرا . قال : فواقه مازال يثني عندي ونرى مكانه من بيتنا حتى أصلب أسس فيما أصيب لنا ، يعني يوم الحزوة ^(٢١) .

- وقال محمد بن سعد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جابرا عن دين أبيه فأخبره، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة خمسا وعشرين مرة . قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعا لى سُرَاقَة بشيرا إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين ، وقدم صرارا يوم الأحد لخمس بقين من المحرم -- وصرار على ثلاثة أميال من المدينة، وهي بُرجاهلية على طريق العراق -- وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة .

٥٩
١٥

ذكر غزوة دومة الجندل

- وهي بضم الدال ، سميت بدُومى بن إسماعيل لأنه كان تلمبا ، وهي غير دومة التي بفتح الدال

- (١) ما بين القومين ساقط من أ . (٢) يشير إلى وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد ابن معاوية على يد مسلم بن عقبة المري . راجع الروض الأثرف ج ٢ ص ١٨٤ (٣) كذا في ابن سعد والمواهب، والإصابة، وأسد القناية . وفي القاموس وابن هشام والطبري « جليل » . راجع الاختلاف في هذا الاسم في الإصابة وأسد القناية . وفي الأصول : « جوال » . وهو محريف .
- (٤) كذا في الأصول ، والمواهب الدنيية . وفي مسند البهتان : « سميت بدوم بن إسماعيل » وقال الزجاني : دومان بن إسماعيل . وقيل : كان لإسماعيل ولد اسمه دما ، ولعله منزه . وقال ابن الكلبي : دومان بن إسماعيل .

- غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجره، وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بدومة الجندل جمعا كثيرا، وأنهم يظلمون من صرّ بهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة — وهي طَرَف من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أوست عشرة ليلة — فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، واستخلف على المدينة صِباع بن عُرْفُطَةَ النِفَارِي، وخرج خمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليل من بني عُذرة، يقال له : مذكور، فلما دنا منهم إذاهم مغربون، وإذا آثار النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم وروعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب . وجاء الخبر أهل دومة الجندل، ففتقروا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم، فلم يجد بها أحدا، فأقام بها أياما، وبث سرايا وفرقها، فرجعت ولم تصب منهم أحدا (٢٣) وأخذ منهم رجل واحد، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَمَمهم، فعرض عليه الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لعشرين بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يلق كيدا .
- وفي هذه الفزوة وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عَيْنَةَ بنِ حِصْن أن يرعى يتغلبين وما والاها إلى المراض (٢٤) والمراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة على طريق الزينة .

(١) في : ١ « أنه » . (٢) المراد بالنعم هنا الإبل . (٣) كذا في الأصول . وفي رواية الواهب الدنية : « ولم يصب منهم أحد » . (٤) كذا في الطبري ، وطيفات ابن سعد . ومعهم البلدان ، والقاموس . وفي الأصل : « بتلطين » وهو تحريف « وتلطين من المراض على سبلين » . (٥) زيد في ابن سعد في هذا الموضع ما يأتي : « وكان هناك قد أخصب ، وبلاد عينة قد أجديت » .

ذكر غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المُرَيْسِع^(١)

غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة خمس من الهجرة . حكاه محمد بن سعد .

- وقال ابن إسحاق : كانت في شعبان سنة ست ، وجعلها بعد غزوة ذي قرد .
- وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، ودعاهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتجهزوا للسير ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحَصْبِيب الأسدي للوقوف على حقيقة الخبر ، فأتاهم وكلم الحارث ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ، فندب صلى الله عليه وسلم الناس ، فأسرعوا في الخروج ، وقادوا الخيول ، وهي ثلاثون فرسا ، عشرة منها للمهاجرين وعشرون للأَنْصَار ، وخرج معه خلق كثير من المنافقين ، لم يجتمعوا في غزاة قط مثلها ، واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة . وقال ابن هشام : استعمل عليها أبا ذر الغفاري . قال : ويقال : بُعِثَ بن عبد الله الليثي . قال ابن سعد : وكان معه صلى الله عليه وسلم فرسان : لَزَاز ، والقُطَيب ، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان ، فبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه سير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتفرق عنه من كان معه من العرب وخافوا خوفا شديدا ، واتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المُرَيْسِع — وهو ماء لبني المصطلق بينه وبين القُرْع نحو من يوم ، وبين القُرْع والمدينة ثمانية بُرْد — قتل به وضرب قُبْتِه ، ومعه صلى الله عليه وسلم من نسائه أُنْهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ الله عَنْهُنَّ عَائِشَةُ ، وأم سُلَيْمَة ، وتجهزوا للقتال ، وصَفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر
- (١) المصطلق : لقب جذية بن سعد بن عمرو ، لقب بذلك لحسن صوته ، وكان أزل من غنى من نزاعة .

الصدّيق رضى الله عنه ، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، قتراموا بالنبل ساعة ،
ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه لحملوا حملة رجل واحد ، فما أفلت
من القوم إنسان ، قتل منهم عشرة ، وأسر سائرهم ، وسُيِّت النساء والذراري ،
وغنمت النعم والشاء ، ولم يستشهد من المسلمين إلّا رجل واحد ، وأمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالأسارى فكُتِفُوا ، واستعمل عليهم بُريدة بن الحُصيب ، وأمر بجمع
الغنائم بجمعت ، واستعمل عليها سُقران مولاة ، وقسم السبي والنعم والشاء ، فُصِّدَت
الجزور بعشر من النعم ، وبيعت الرثمة فيمن يريد ، قال : وكانت الإبل ألقى بغير
والشاء خمسة آلاف شاة ، والسبي مائتي أهل بيت ، وصارت جويرة بنت الحارث
ابن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له ، فكتابها على تسع أواق
من ذهب ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها ، فأدى عنها ، وتزوجها
على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار أزواجه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : وكان من السبي من منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير فداء ، ومنهم من أُفدى ، فاقصدت المرأة والذرية بست فرائض ، وقدموا
المدينة بيمض السبي ، فقدم عليهم أهلهم فاقتدوهم ، فلم تبق امرأة من بنى المصطلق
إلّا رجعت إلى قومها . وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور أمت
أيت ، وغاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوما ،
وقدم المدينة للال رمضان .

(١) الرّة : ردى المتاع ، وأسقاط اليث من الخلقان . (٢) في الطبقات : « يريد » .

(٣) في أ : « التي تثير » وهو تحريف . (٤) في أ : « لها » .

(٥) في ج : « فاداعا » . (٦) كذا في ابن سعد . وفي الأصول : « فاقتدت » .

وفي هذه الغزاة تكلم جده الله بن أبي بن سلول المنافق بما تكلم به من قوله :
 ﴿ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنَّا الْأَقْلَ ﴾ . ووقع حديث الإفك ، وقد
 قدسنا ذكر ذلك كله في حوادث الستين بعد الهجرة ، في حوادث السنة الخامسة .

ذكر غزوة الخندق ، وهي غزوة الأحزاب

- ز : في القعدة سنة خمس من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ابن سعد . وقال ابن إسحاق : كانت في شوال .

قال محمد بن سعد ومحمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام ، رحمهم الله تعالى ،
 دخل حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : لما أجل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بني النضير وساروا إلى خيبر ، خرج نفر من أشراقتهم ووجوههم ، منهم
 ١٠ - بن أبي الحقيق ، وحي بن أخطب ، وكان بن الربيع بن أبي الحقيق ،
 وهبة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني
 وائل ، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا
 مكة على قريش ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إنا
 ستكون معكم عليه حتى ننتأصله ، فقالت قريش لم : يا معشر يهود ، إنكم أهل
 الكتاب الأول والسلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن وعهد ، أفديننا خير أم دينه ؟
 ١٥ - فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . فهم الذين أزل الله تعالى
 عليهم ^(١) وذهبوا إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالبحيث والطاغوت
 . سبب . سبب . كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين كتب لهم

(١) في ١ : « ابن أبي سلول » . (٢) في ١ : « لنا » . (٣) في ١ : « ديننا » .

الله وَمَنْ يَلْعَنُ اللَّهَ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا . أَمْ لَمْ يَصِيبَ مِنَ الْمَلَكِ قَدْ لَا يُؤْتُونَ
الْأَنْسَ قَبِيرًا . أَمْ يَتَسَدُّونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ
وَكَفَى بِمُجْهَمٍ سَعِيرًا ۝ قَالُوا : فَلَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ [ذَلِكَ] تَقْرِيشَ سَرْتِهِمْ وَنِشْطُوا لِمَا
دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَجْتَمَعُوا لِذَلِكَ ، ثُمَّ خَرَجَ
أُولَئِكَ الْغَرَفُ مِنْ يَهُودِ حَتَّى جَاعُوا غَطَفَانَ وَسُلْيَا ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَطْلَبُوهُمْ أَنْ قَرِيشًا قَدْ بَايَسُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَجَابُوهُمْ وَاجْتَمَعُوا
مَعَهُمْ ، فَتَجَهَّزَتْ قَرِيشٌ وَجَعُوا أَحَابِيشَهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ
آلَافٍ ، وَعَقَدُوا الْوَأْدَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، وَحَمَلَهُ عِثَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ،
وَقَادُوا مَعَهُمْ ثَلَاثِينَ فَرَسًا ، وَكَانَ مَعَهُمْ أَلْفٌ وَخَمْسَمِائَةِ بَعِيرٍ ، وَخَرَجُوا يَقُودُهُمْ
أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَوَاتَقَهُمْ بَنُو سُلَيْمٍ بِمَزَّةَ الظُّهْرَانِ ، وَهُمْ سَبْجَمَلَةٌ ، يَقُودُهُمْ
سَفْيَانُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ ، حَلِيفُ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ ، وَهُوَ أَبُو أَبِي الْأَعْوَرِ السَّاسِيُّ الَّذِي
كَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ بِصَقِّينَ ، وَخَرَجَتْ بَنُو أَسَدٍ يَقُودُهُمْ طَلْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدِ الْأَسَدِيِّ ،
وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ وَقُرَاةٌ ، مَعَهُمَا أَلْفٌ بَعِيرٍ ، يَقُودُهُمْ عَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ
ابْنِ بَدْرِ ، وَخَرَجَتْ بَنُو مِرَّةٍ وَهُمْ أَرْبَعُونَ يَقُودُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ
الْتَزَى ، وَخَرَجَتْ أَشْجَعٌ وَهُمْ أَرْبَعُونَ يَقُودُهُمْ سَعْرُ بْنُ رُخَيْلَةَ بْنِ ثَوْرَةَ بْنِ طَرِيفٍ ،
وَخَرَجَ مَعَهُمْ خَيْرُهُمْ .

(١) ساقطة من أ . (٢) في أ : « فاعلوم » . (٣) في أ : « فأجابوا » .

(٤) عينة هذا هو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم : « الأحنط الملاح » . لأنه كان يقبضه عشرة آلاف

فأنة ، وقال فيه أيضا : « إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره » . وفي رواية : « إن أداريه لأنى

أعنى أن يفسد على خلقا كثيرا » . ومنى عينة لشر كان بينه ، وراحم حذيفة . راجع المواهب

٢٠ ص ١٢٥ . (٥) في الطبعات ، وشرح المواهب : « مسعود » وقد ذكر الطبرى الوجهين .

- فكان جميع من وافق الخندق عشرة آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثة عساكر ، ومرجع أمرهم إلى أبي سفيان بن حرب ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قصوكم من مكة نذب الناس ، وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في أمرهم ، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق ، فأعجب ذلك المسلمين ، وعسكر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سفح سلج ، وجعل سلما خلف ظهره ، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ضرب الخندق على المدينة ، وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين في الأجر ، فعملوا وجدوا في الغمل ودأبوا^(١) ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في ذلك العمل رجال من المنافقين ، وجعلوا يوزون بالضعف من العمل ، ويسألون إلى أهلهم بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نأته النأية من الحاجة ، ذكرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى عمله في الخندق ، فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لَنْ نَشْتِ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَفَافَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ثم قال تعالى في المنافقين : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذَأَ فَيَحْذَرُ الَّذِينَ

(١) فضولهم : تحديقهم . (٢) في الأصول : « نذر » وهو تحريف .

(٣) سلج : جبل بسوق المدينة . (٤) كذا في ب . و . ق : « ودأبوا في العمل » .

(٥) يوردون بالضعف من العمل : أى يتقنون مقصودهم من خذلان المسلمين بإظهار الضعف . في الحواشي : « بالضعف عن العمل » .

(٦) في حاشي ب : « القواذ : الاستأذان بالشيء عند الحرب » .

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَانِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَمُونَ إِلَيْهِ فَيُنبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

قال : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه . روى محمد بن سعد [بسند]^(١) يرفعه إلى سهل بن سعد قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا عيش إلا عيش الآخرة ، فأغفر للأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ » . وعن البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأخزاب ينقل معنا التراب ، وقد وارى التراب بياض بطنه ، وهو يقول :

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأَوَّلَى لَقَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا * إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَيْنَا
[أَيْنَا] يرفع بها صوته صلى الله عليه وسلم .

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق معجزات تذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لمعجزاته ، ومنها ما يتعين ذكرها هنا ، وهو ما حكاه محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال :

(١) ساقطة من أ . (٢) في أ : « فقال رسول الله » .

(٣) كذا في ج ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « والمهاجرين » . وهذا القول من كلام عبد الله ابن رواحة ، تمثل به عليه الصلاة والسلام . راجع الروايات المختلفة في صيفه ، وفي كونه شعرا أدبيا شرف في ج ٢ ص ١٢٧ من المواهب . (٤) كذا في ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف . وفي الأصول : « اللهم » . والشعر لعبد الله بن رواحة ، ارتجز به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) في الأصول : « قد » . وما أتيناه رواية ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف . وفي هذه الآيات روايات كثيرة تجدها في ج ٢ ص ١٢٨ من المواهب اللدنية .

(٦) زيادة عن طبقات ابن سعد . وفي المواهب : أنه كان يمد صوته بالهفظة الأخيرة لا بالجمع .

اشتدت على الناس في بعض الخندق كُذِّية^(١٢)، فشقوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بقاء من ماء فقل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكذبة، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لآهات حتى عادت كالكتيب^(٢١)، لا ترة فأسا ولا مسعاة .

٦٢
١٥

- قالوا : وفرغوا من حفر الخندق في ستة أيام ، وكانوا يعملون فيه نهارا وينصرفون ليلا ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان في الآطام ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ثمان ماضين من ذى القعدة ، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة ، وعمل لواء الأنصار سعد بن عبادة . وأقبلت فريش ومن شابعها وتابعها ، وأجتمع إليها بعد فراغ الخندق ، فصار الخندق بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم ، وظهور المسلمين إلى سلم ، وخرج حُيَ ابن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب^(٢٢) عقد بني قريظة ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده ، فأغلق كعب دون حُيَ باب حصنه ، وأبى أن يفتح له ، فتداه حُيَ : ويحك يا كعب ! افتح لي . قال : ويحك ! إنك أمرؤ مشبوم ، وإني قد عاهدت محمدا فليست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . فعادوه مرارا ، وهو يأبى عليه حتى [قال له حُيَ] : والله إن أغلقت دوني إلا عن جِيشيتك أن آكل معك .

(١) الكذبة : الحجر الصلص الفخم ، والثني الصلب بين الجارة والطين ، والأرض النليظة .

(٢) ذ : أ : « عاد » . (٣) ذ : أ : « صاحب » . (٤) ما بين القوسين ساقط من أ :

(٥) ذ : أ : « إن » . (٦) الجشينة : واحدة الجشيش ، وغر أن تطن الحنطة طنا

جليلا ، ثم تصب به القدر ويلق عليها لحم أو تمر فيقطع ، ويقال لها : دشينة .

(٧) كذا وردت هذه العبارة في أ ، ح ، وفي المواهب : « والله إن أغلقت دوني إلا تحرقوا على

جشيتك أن آكل معك منها » .

- (١) فاحفظه ذلك، ففتح له، فقال : ويحك يا كعب ! جئتكم بمن الدهر ويحير طامم،
 جئتكم بقرش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسبال ، [ومن دونه]
 غطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب قمى على جانب أحد ، وقد
 عاهدوني وعاهدوني على ألا يرجعوا حتى نستأصل هذا ومن معه . فقال له كعب :
 جئتني والله بذل الدهر ، ويجهام قد هراق مائه ، يهدد ويرق ، ليس فيه شيء ،
 ويحك يا سحى ! فدمعنى وما أنا عليه ، فإني لم أر من عهد إلا صدقا ووقاء . فلم
 يزل به حتى سمح له ، أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قرش
 وغطفان ولم يصيبوا هذا أدخل منك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فقبض
 كعب بن أسد عهده ، وبرئ عما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين وضح ذلك عنده
 كبرا ، وقال : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » قال : ونجّم النفاق وقبّل الناس ،
 وعظم البلاء ، وأشدت الخوف ، وخيف على الذراري والنساء ، وكانوا كما قال الله
 تعالى : (إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ قَوْمِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
 الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثمانمائة يحرسون المدينة
 ويظهرون الكبر ، وفلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة ، وكان

(١) اسفه : أخذه . (٢) طام : مرتفع ؛ يريد كثرة الرجال .

(٣) القصوب من المواهب ، وفي الأصول : « من رومة » وهو تحريف . (٤) ذ :
 « في قمى » وهو تحريف . (٥) الجهام : السحاب لا ماء فيه . (٦) كذا وردت
 هذه العبارة في الأصل . وفي المواهب : « وأعطاه عهدا على أنه إن رجعت قرش وغطفان ولم يصيبوا
 هذا أن أدخل منك في حصنك ، يصيبني ما أصابك » . (٧) كذا في الطبري ، وابن هشام .
 وفي الأصل : « وادد » .

- عباد بن بشر على حرص قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وجاء العدو لا يزالون يقتبون خندقهم ويحرسونه ، والمشركون يقاتلون بينهم ، فيخدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوما ، ويخدو خالد بن الوليد يوما ، [ويخدو عمرو بن العاص يوما] ، ويخدو هيرة بن أبي وهب يوما ، ويخدو ضرار بن الخطاب الفهري يوما ، فلا يزالون يحلون خيلهم ، ويجمعون مرة ويفرقون أخرى ، ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدمون رماثهم فيرمون ، فرمى جبان بن العريقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكتفه ^(٢١) ، فقال : خذها وأنا ابن العريقة . ويقال : رماه أبو أسامة الجشمي .
- ١٠ قال ابن هشام : ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المزني ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، بجرى [بينه و ^(٢٢)] بينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله ، أمر تحببه فنصنعه ، أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيء نصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبكم من كل جانب ، فأردت أن أكرم عنكم من شوكتهم إلى أمري ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد
- ٢٠ (١) ما بين القوسين ما نقل من أ . (٢) الأكل : عرق في وسط الدراع يكثر تضده . (٣) ساقطة من أ . (٤) كالبرك أي اشتدوا عليكم .

٦٣
١٥

تُخَاحِنُ وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبده ولا نعرفه، وهم لا يعلمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قراءاً^(١) أو يميناً،^(٢) أخيراً أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأمرنا بك وبه، نعطيهم أموالنا ! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمعا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا .

قال ابن سعد : ثم اجتمع رؤسائهم أن يبدؤا يوماً ، ففدؤا جميعاً ومعهم رؤساء مائر الأحزاب، وطلبوا مَضِيْقاً من الخندق يقتحمون خيلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا : إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ فقبل لهم : إن معه رجلاً فارسياً، فهو أشار عليه بذلك؛ قالوا : فإن هناك إذاً ، فصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون ، فمبرمته عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب، وهُبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد ود [فجعل عمرو بن عبد ود^(٤) يدعو إلى البراز، ويقول :

ولقد يمحُتُ من الدنيا * * * لجمعهم هل من مُبارزٍ

وكان ابن تميم سنة ، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقال له : يا عمرو، إنك قد كنت طاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خَتَيْنِ^(٥) إلا أخذتها منه؛ قال له : أجل . قال له : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام؛ قال : لا حاجة لي بذلك؛ قال : فإني أدعوك إلى القتال؛ قال : يابن

(١) القراء : ما يقدّم للضيف من الطعام . (٢) في أ : « غين » .

(٣) كذا في أ - ج - وفي ابن سعد : « يقتحمون منه خيلهم » .

(٤) ما بين القوسين ساقط من أ . (٥) ساقطة من ج -

أخى ، فوافق ما أحب أن أقتلك ؛ فقال له عليّ : ولكنني والله أحب أن أقتلك ؛
فخى عمرو عند ذلك ، فافتحم عن فرسه فقربه وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليّ
فتنازلاً وتجاولاً ، فقتله عليّ رضي الله عنه ، ونجرت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت
من الخندق . وألقى عكرمة بن أبي جهل يومئذ رعه وهو منهزم عن عمرو . فقال
حسان بن ثابت :

فر وألقى لنا رعه • لملك عكرم لم تقمّل
ووليت تعدو كعدو الطفيل^(١) • سيم ما إن تجور عن المعدل^(٢)
ولم تلق ظهره مستانسا • كأن قفالك قفا فرمل^(٣)

- قال ابن سعد : وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقّه
بأثنين ، ثم أتعدهوا أن يقدوا من الغد ، فباتوا يعبثون أصحابهم ، وفرقوا كتابهم ، ونحووا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد ، فقاتلهم يومهم
ذاك إلى هوى من الليل ، ما يقدرون أن يزولوا من موضعهم ، ولم يصل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ظهرا ولا عصرا ولا مغربا ولا عشاء حتى كشفهم
الله تعالى ، فرجعوا متفرقين إلى منازلهم وعسكرهم ، وانصرف المسلمون إلى قبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من
المسلمين ، وكرّ خالد بن الوليد في خيل من المشركين يطلبون غرة من المسلمين فتلوشوم
ساعة ومع المشركين وحشي ، ففرّق الطفيل بن النعمان بمزراقه فقتله وأتكشفوا ، وصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبة فامر بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى ، ثم بعد

(١) الطفيل : ذكر النمام . (٢) كذا في ابن هشام . وفي ج : « وما إن تجور » .

(٣) في هامش ج : « الفريل : صغير الضباع » . (٤) في أ : « إلى أن يندوا » .

(٥) كذا في ج . وفي أ : « فياتون » . (٦) هوى من الليل : ساعة ، أو نحو ذلك أو ربه .

ذلك لكل صلاة إقامة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما قلته من الصلوات، وقال :
« شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر - ملائكة أجوافهم وقبورهم ناراً » .
ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جديماً حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل
طمعاً في الفزة ، قال : وحُصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بضع عشرة
ليلة . وقال ابن إسحاق : أقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيْف بن ثعلبة بن هلال بن حلاوة بن الأشجع^(١)
ابن رَيْث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى
قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فُرِنِي بما شئت ؛ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد ، نخُذُ عَنَّا^(٢) إن استطعت ، فإن الحرب
خدمة » . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال :
يا بني قريظة ، قد صرقتم وذي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ؛ قالوا : صدقت ،
لست عندنا بجهنم ، فقال : إن قريشا وغطفان ليسوا كأتم ، البلد بلكم ، به أموالكم
وأبناؤكم ونسأؤكم ، لا تهدرون حل أن تجلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان
قد جاءوا لحرب عهد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم
بنيره ، فليسوا كأتم ، فإن راوا^(٣) نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم
وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم^(٤) ، ولا طلاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاطلوا مع القوم
حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم^(٥) ، ليكونوا بأيديكم هبة لكم على أن قاتلوا معهم
عهدا حتى تنجزوه ؛ قالوا : لقد أشرت علينا بالرأى . ثم خرج حتى أتى قريشا ،

(١) هكذا في الأصول ، وفي أسد الغابة ، والإصابة . وفي ابن هشام : « خلاوة » . وجاءت الروايات

في الطبري . (٢) نخُذ عَنَّا أى ادخل بين القوم حتى يتخذ بعضهم بعضا . (٣) نهزة :

انتهاز الشيء ، وهو اختلاسه . (٤) فى أ : « ببلادكم » . (٥) فى ج : « رهنا » .

- فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتكم وذى لكم وفراق محمدًا ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت منه على- حقا أن أبلغكموه نصحا لكم ، فآفتموا عني ؛ قالوا : نفعل ؛ فإهو ؟ قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فبأ بينهم وبين عهد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرزىك أن نأخذ [لك] من القيلتين : قريش وغطفان ، رجالا من أشرفهم ، ونعطيكهم فنضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : نعم ، فإن بشت إليكم يهود يئتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى آتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أهلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلى- ، ولا أراكم تهيمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بئهم ؛ قال : فآفتموا عني ؛ قالوا : نفعل . ثم قال لهم مثلما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم . فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورعوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل ، فى نمر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسا بدار مقام ، قد هلك الخلف والحافر ، فآعدوا للقتال حتى نناجز عهدا ، ونفرغ فبأ بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئا ، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثا فآصابه ما لم ينجف عليكم ، ولستا مع ذلك بالذى تقاتل معكم عهدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز عهدا ، فإنا نخشى إن ضرسكم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشتمروا إلى بلادكم وتركونا ، والرجل فى بلادنا ، ولا طاقه لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش

(١) ساقطة من أ . (٢) حذفت نون الرفع هنا وهو جائز على لغة .

(٣) ضرسكم أى نالت منكم كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه .

(٤) تنشتمروا : أى تقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .

وعُظفان : والله إن الذي حدثكم نُصيب بن مسعود لحق ، فأسلوا إلى بني قريظة :
 إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فخرجوا
 فقاتلوا ؛ فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نُصيب
 ابن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقتلوا ، فإن رأوا فرصةً أتهزوها ، وإن
 كان غير ذلك أَسَمَرُوا إلى بلادهم وغلوا بينكم وبين الرجل . فأسلوا إلى قريش
 وعُظفان : إنا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطونا رهنا . فأبوا عليهم ، وقال أبو سفيان :
 ألا أراي أستمع بإخوة القردة والخنازير ! فوقع الاختلاف والخللان بينهم ،
 وبعث الله عز وجل عليهم ريحا في ليلة شاتية شديدة البرد ، فكفأت القعود
 وطرحت الأبنية .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع بينهم من الاختلاف أرسل
 حذيفة بن اليمان إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا . قال حذيفة : دعاني رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون
 ولا تُحدث شيئا . فذهبتُ فدخلتُ فيهم ، والريح وجنود الله فعل بهم ما فعل ،
 لأهز لهم قدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ، لينظر
 أمرؤ من جلسيهِ ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فتلت :
 من أنت ؟ فقال : فلان ابن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله
 ما أصبَحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكُراع^(١) والخُف ، وأخلفنا بنو قريظة ، وبلغنا
 عنهم الذي نكره ، ولقيتُنا من شدة الريح ماترون ، فأرتحلوا فأتى صرَّحيل . ثم قام
 إلى بحسله وهو معقول بفلس عليه ، ثم ضربه قَوْش به على ثلاث ، فما أطلق
 عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألا أحدث شيئا

(١) الكراع : الخيل .

حتى آتبه ، ثم لو شئت ، لقتله بهم . قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر . وسمعت غطفان ما فعلت قريش ، فانتقموا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح . وكان شعار المسلمين في غزوة الخندق (حمّ لا ينصرون) .

ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه : لن تغزواكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزوم^(٢١) . فكان كذلك .

قال ابن سعد : وكانت مدة الحصار خمس عشرة ليلة ، وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس . وقد ذكرنا ما قاله غيره في ذلك .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ومن قُتل من المشركين

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني عبد الأشهل ، قتله خالد بن الوليد ؛ وعبد الله بن سهل الأشهل^(٢٢) ، وثعلبة بن عتبة بن عدى ، قتله هيرة بن أبي وهب ؛ وكعب بن زيد

(١) « لو » ساقطة من ج وإين مقام ؛ وما أتبعناه من أ .

(٢) حذف المؤلف نون الرفع من الفعل ، وهو جازم على لغة . وقال الدمامي : إنه شاذ . وقال في المسح : لا يخاس عليه في الاختيار .

(٣) كما في أسد الغابة ، والاستيعاب ؛ والطبقات وفي كلا الأصلين : « سيل » .

(١) من بنى دينار، قتلته ضرار بن الخطاب. وسعد بن معاذ مات من جراحة بعد بنى قريظة، والطفيل بن النعمان بن جشم وقتل من المشركين أربعة نفر وهم: عثمان بن أمية بن مثنى بن عبيد بن السباق من بنى عبد الدار بن قصي، ونوفل بن عبد الله بن المضيرة، وعمرو بن عبد ود، ويقال: وابنه حسيل بن عمرو، قتلها علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الخندق والأحزاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ قال أبو إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله: قوله: «إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» يعني الأحزاب: قريش وعطفان ويهود قريظة والتضير. «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا» قال: وهي الصبا، قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقى بنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال: إن الحزوة لا تسرى بالليل، وكانت الريح التي أرسلت

(١) روى حبان بن العروة سعد بن معاذ يوم الخندق بهم قطع أكله، فحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتفخت يده ونزف الدم، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج قسي حتى تفرق بيني وبين قريظة. فاستسك عرقه، فاقطر قطرة حتى نزل بنو قريظة على حكمة، وكان حكمة فيهم أن يقتل رجالهم ونفس أموالهم ونفس نساءهم وذريتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصبت حكم الله فيهم. فلما فرغ من قطع عرقه فات رحمه الله.

(٢) الصبا: هي الريح الشرقية، ويقال لها: القبول، لأنها تقابل الشمال، والشمال: الريح الغيم التي لا غير نيا. (٣) كذا في الأصلين. وفي المواهب ج ٢ ص ١٤٦: «إن الحرائر لا نهب بالليل». وفي القرطبي ج ١٤ ص ١٤٤: «إن محو لا تسرى بليل» ومحو من أسماء الشمال؛ لأنها تحو السحاب وتذهب به.

عليهم الصبا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكْتُ حَادٍ بِالْدُّبُورِ» . قوله : « وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا » هي الملائكة ، ولم تقاتل يومئذ ، قال المفسرون : بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحا باردة ، وبعث الملائكة فقلعت الأوتاد ، وقطعت أطناب القساطيط ، وأطفا فتيران ، وأكفأت القدور ، وجالت الخليل بعضها في بعض ، وأرسل الله عليهم الرعب ، وكثر تكثير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول : يا بني فلان ، هلم [إلى] ، فلما اجتمعوا عنده قال : النجاء النجاء ، أتيتهم . لما بعث الله عليهم من الرعب ، فانهزموا من غير قتال^(١) .

- قوله تعالى : (إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) قال : قوله : « إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ »
 ١٠ يعني من فوق الوادي من قبل المشرق ، عليهم مالك بن عوف النصرى ، وعيينة ابن حصن الفسزاري في ألف من غطفان ، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد ، وحسي بن أخطب في يهود بني قريظة . « وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ » يعني من بطن الوادي من قبل المغرب ، وهو أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه ،
 ١٥ وأبو الأعور السلمي من قبل الخندق . وقال ابن إسحاق : الذين جاءوا من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان . « وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ » أي مالت وغمضت « وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ » زالت عن أماكنها حتى بلغت الخلق من الفزع . « وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا » قال : أما المتناقضون فظنوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه سيُخلون ويُستأصلون ، وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق ، وأنه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون .
 ٢٠

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كَيْفَ أَبْلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَلًا شَدِيدًا﴾ قال: أى أَخْبِرُوا
وَعُصُوا ، لِيُعرفَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْمُنَافِقِ « وَزُلْزِلُوا » : حُرِّكُوا وَخَوْفُوا « زِلْزَالًا »
تَحْرِيكًا - شَدِيدًا .

قوله تعالى : (وَإِذْ يَسْأَلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) قال : بنى معتب بن قشير وأصحابه « وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ » أى شَكَّ وَضَعُفَ اعْتِقَادٍ . وقد قلنا فى أخبار المنافقين ما نكلم به
معتب بن قشير فى هذه المنزلة .

قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّا
إِلَّا فَرَارًا) . « قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ » أى من المنافقين ، ومم أوس بن قيس
وأصحابه ، قال مقاتل : هم بنو سالم . قال ابن عباس رضى الله عنهما : قالت
اليهود لعبد الله بن أبى وأصحابه من المنافقين : ما الذى يجعلكم على قتل أنفسكم بيد
أبى سفيان وأصحابه ! فارجعوا إلى المدينة . « وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ »
فى الرجوع إلى منازلهم بالمدينة ، وهم بنو حارثة بن الحارث « يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا
عَوْرَةٌ » أى خالية ضائعة ، وهى مما على المدق ، وإنا نخشى عليها المدق والمراق ،
قال : وقرا ابن عباس وأبو رجاء الطاردي « عَوْرَةٌ » بكسر الواو ، يعنى قصبة
الجدردان فيها خلل وفُرْجَةٌ . وأخبر تعالى أنها ليست بعورة ، إن يريدون إلا الفرار .
قوله تعالى : (وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّوْا
بِهَا إِلَّا يَسِيرًا) قال : لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم
المدينة « مِنْ أَقْطَارِهَا » جوانبها ونواحيها « ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ » الشرك « لَأَتَوْهَا »
أى يلجأوها وفسلواها ورجعوا عن الإسلام وكفروا « وَمَا تَلَبَّوْا » وما أحسبوا
١٠
١٥
٢٠
﴿ (١) «لَأَتَوْهَا» من غير مد قراءة فاع ، وعليها ضمير الخوف (أى يلجأوها) .

عن الفتنة « أَلَا يَسِيرًا » ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال : هذا قول أكثر المفسرين .

وقال الحسن والفراء : وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى هلكوا .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْآذِبَارَ وَكَانَ عَهْدُ

اللهِ مَسْئُولًا ﴾ قال : « عَاهَدُوا اللَّهَ » أى من قبل غزوة الخندق « لَا يُولُونَ »

عدوهم « الْآذِبَارَ » قال يزيد بن رومان : هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفسلوا

مع بنى سلمة ، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يسودوا لملئها ، فذكر الله لهم الذى أعطوه من أنفسهم .

وقال قتادة : هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ، ورأوا ما أعطى الله تعالى

أهل بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : لئن شهدنا الله قتالا لقاتلن . فساق الله تعالى ذلك إليهم فى ناحية المدينة .

وقال مقاتل والكلبي : هم السبعون رجلا الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليلة العقبة وقالوا له : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ؛ فقال النبي صلى الله

عليه وسلم : « اشترط لى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسي أن تمنعوني

مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم » . قالوا : فإذا فعلنا ذلك

فإلنا يا رسول الله ؟ قال : « لكم النصر فى الدنيا والآخرة » . قالوا : قد فعلنا .

فذلك عهدهم ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ أى عنه .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا

لَا تُنْمَوْنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال : أى الذى كتب عليكم ^(١) « وَإِذَا لَا تُنْمَوْنَ إِلَّا قَلِيلًا »

إلى آجالكم ، والدنيا كلها قليل .

(١) فى ١ : « قل » . (٢) كذا فى كلا الأملين . وفى الكشف والبيان ما يأتى :

« قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل » الذى كتب عليكم .

قوله تعالى : (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً) أى نصره (وَلَا يَجِدُونَ لَمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا) .

قوله تعالى : (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا) قال : « الْمُؤْمِنِينَ » المتبطين منكم للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا » ودعوا عما فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك « وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ » الحرب « إِلَّا قَلِيلًا » دفا وتمذبرا .
قال قتادة : هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم : ما عهد وأصحابه إلا أكلة^(١) رأس ، ولو كانوا لما لأتتهمهم أبو سفيان وأصحابه ، دعوا هذا الرجل فإنه هالك . وقال مقاتل : نزلت في المنافقين ، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا : ما الذى يملككم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه ! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا ، وإنا لنشفق عليكم ، أتم إخواننا وجيراننا ، هلم^(٢) إلينا . فأقبل عبد الله بن أبى وأصحابه على المؤمنين بمؤقونهم^(٣) ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه ، وقالوا : ما ترجون من عهد ؟ فواجه ما يرفدنا^(٤) بخير ، وما عنده خير : ما هو إلا [أَنْ] يقتلنا هاهنا ، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا . يعنى اليهود ، فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا واحسابا .

وقال ابن زيد : لما كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد أخاه ، بين يديه شواء ورغيف ونبيذ ، فقال : أنت هاهنا فى الشواء والرغيف والنبيذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف ! فقال : هلم إلى هذا ، والذى يحلف به لا يستقبلها عهد أبدا ، فقال : كذبت والذى

(١) أكلة رأس : أى تم قليل يشبههم رأس واحد . شرح القاموس (مادة أكل) .

(٢) يرفدنا : يميننا . (٣) تكلة من الكثف والليان . (٤) فى ١ : « يزد » .

يُخاف به — وكان أخاه من أبيه وأمه — أما والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم
 أني قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية .

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ آتِنَا جَاءَ الْخَوْفُ فَأَتَدَارَأْتُمْ يَتَنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
 الَّذِي يَتَنَقَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَقَوْكُمْ بِالْمَنَةِ حِدَادٍ أَتَمَّةً عَلَى
 أَنْفُسِكُمْ لَا تُمْنُوا فَاحْطِ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ مَلِ اللَّهِ سِيرًا ۝ قَالَ: «أَتَمَّة»

س . «عَيْتُمْ» بالخبر والشفقة في سبيل الله ، وصفهم الله تعالى بالجبن والبخل
 : ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ آتِنَا جَاءَ الْخَوْفُ فَأَتَدَارَأْتُمْ يَتَنظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ» في رمسهم من الخوف
 والجبن ، أى كدوران [آمين] الذى يَتَنَقَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ « فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ

- ١٠ : أَنْفُسِكُمْ » أى عضوكم ورموكم بالسنة حداد ذرية ، وأصل الساق : الضرب
 : «فإذا ذَهَبَ» أى بطلوا السهم فيكم وقت قسم الغنمة ، يقولون : «أعطونا
 أظفر» فإذا قد شهدنا معكم القتال ، ولستم بأحق بالغنمة منا ، وأما عند الغنمة
 فاشترى قمر وأسوا ، فاشتمه ، وأما عند الباس فاجبن قوم وأخذله الحق . «أَتَمَّةً عَلَى
 أَنْفُسِكُمْ» أى الغنمة «أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا» .

- ١٥ قوله تعالى: ﴿يَتَحَسَّبُونَ الْأَعْرَابَ لَمْ يَنْهَبُوا﴾ أى هؤلاء يحسبون الجماعات
 لم ينسرفوا عن العلم ، وقد انصرفوا جُبنا منهم وقرقا ﴿وَأَنْ يَأْتِ الْأَعْرَابُ﴾
 أى يرجعوا إلى مكة ثانية (يؤدوا) من الخوف والجبن (لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ)
 : «يَتَحَسَّبُونَ» (فِي الْأَعْرَابِ) أى معهم (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ)
 : «سأله» منهم بعضا عن أخباركم ، وما آل إليه أمركم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا
 إِلَّا تَارَةً وَاحِدَةً» أى رياء من غير حجة ، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا .

(١) سابقة من ١ . (٢) كذا في الكشف والبيان : وأتى في الأصول «ذرة» و«ترصيف» .

ثم قال تعالى مشيراً إلى المؤمنين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا . وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ قال . قوله : « أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » أى سَنَةٌ صَالِحَةٌ ، [أَنْ] تَنْصَرُوهُ وَتُؤَاوِرُوهُ ، وَلَا تَخْلَقُوا حَتَّى ، وَلَا تَرْغَبُوا بِأَحْسَمٍ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ مَكَانٍ نَصَرَهُ كَمَا فَعَلَ هُوَ ، إِذْ كُفِرَتْ رَابِعِيَّةٌ وَجُرُحٌ ، وَخِيلَ عَلَيْهِ حِزَّةٌ ، وَأُودِيَ بِضُرُوبِ الْأَذَى ، فَوَاسَاكُمْ مَعَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، فَانْقَلَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا كَذَلِكَ ، وَاسْتَوَا بِسَنَتِهِ ^(١) وَلَمَّا كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » أى فى الرِّخَاءِ وَالْبَلَاءِ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ » الآية ، قَالَ : وَوَعَدَهُ أَيَّامُ قَوْلِهِ : « أَمَّ حَيْثُمُ أَنْفٌ تَدْنُو لَهَا الْجَنَّةُ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ » .

٦٨
١٥

قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَلَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْطَرُ وَمَا بَدَلُوا نَبْدِيلًا﴾ قال : قوله : « صَدَقُوا » أى وفوا به . « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ » يعنى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد . والنجب : النذر ، والنجب أيضاً : الموت ، قال ذو الرقة :
عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّوت بعدما قَضَى نَجْبَهُ فى مِلَقَى الْقَوْمِ هَوْبِ ^(٢)

(١) زيادة من الكشف والبيان .

(٢) فى ١ : « استنوا » ، وهو تحريف .

(٣) حاشية من ١ . قال ابن هشام : « هو يرب من بنى الحارث بن كعب » . أراد : يرب

أى مات ، قال مقاتل : قضى نحبه ، أى أجله ، فقتل على الوفاء ، يعنى حزة وأصحابه الذين استشهدوا بأحد ، رضوان الله عليهم . وقيل : قضى نحبه ، أى بذل جهده فى الوفاء بهده ، من قول العرب : تحب فلان فى سيره يومه وليته ، إذا مده فلم يزل ، قال جرير :

بِطُفْقَةِ جَالِدِنا الْمُلُوكَ وَخَيْلِنا عِشَّةَ بُسْطَامٍ بَرَّينَ عَلَى نَحْبِ^(١)

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْتَظِرُ » قال ابن إسحاق : ينظر ما وعد الله به من نصره ، والتهادة على [ما] مضى عليه أصحابه . « وما بدلوا تبديلا » أى ما شكوا وما تردوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره .

ثم قال تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُضِلُّهُمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ يعنى قريشا وطفان ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ أى بالملائكة والرمح ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ ، وبيده الفضل والمنة .

ذكر غزوة بنى قريظة

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة خمس من هجره .

وقال ابن إسحاق : فى سؤال منها .

قال محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد ، دخل حديث بعضهما فى بعض ، قالوا : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون ،

(١) طخفة بكسر الطاء وضحا : جبل أحمر طويل حذاء آبار ومنيل ، قال صاحب اللسان :

« ريفال : حرين على قدر » . (٢) لم تذكر فى به .

ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل^(٢) — عليه السلام — النبي صلى الله عليه وسلم معتمراً بهامة من إستبرق، على بقلة عليها رسالة عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت إلا من طلب القوم: إن الله عز وجل يأمرك يا محمد^(٣) بالمسير إلى بني قريظة، فإني عائد إليهم فززل بهم. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن في الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ألا تصلوا^(٤) المصر إلا في بني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً، فأعطاه لواءه، وقدمه إلى بني قريظة، فسار^(٥) [على] حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة فييحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا طيك ألا تدنو من هؤلاء الأخابت؟ قال: أظنك سمعت منهم لى أذى؟ قال: نعم. يا رسول الله؟ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال لهم: يا إخوان القردة، هل أنزلكم الله وأنزل بكم نعمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً. ثم نزل صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار^(٦) بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أناء، ويقال: بئر أنى؟ وتلاحق به الناس، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة^(٧) لم يصلوا المصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الاعتبار بالهامة: هو أن يلقها الرجل على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه. (٢) الرحالة: سرج من جلود لا غشب فيها تحمّل للركض الشديد. (٣) في به: «بالسير». (٤) سابقة من أ. (٥) كذا ضبط في سيرة ابن هشام، وفي شرح المواهب اللدنية أنوال في ضبطه (انظر المواهب ٢: ١٥٤). (٦) في أ: «عشاء».

وسلم . لا يصلّين أحد المصرا إلا بنى قريظة . فشغلهم ما لم يكن منه بدٌ في حربهم وأبوا أن يصلّوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأتوا بنى قريظة ، فصلوا المصرا بها بعد المشاء الآخرة ، وتخوف ناس فوت الصلاة فصلّوا ، فلما عتف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الفريقين ، ولا عليهم الله تعالى في كتابه .

- قال : وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف وانحلل ستة وثلاثون فرسا ، لحاصرم خمسة عشر يوما . قاله ابن سعد .

٦٩
١٥

- وقال ابن إسحاق : نحسا وعشرين ليلة أشد حصار حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب . وكان حُيَّ بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وطفان وفاء لكعب بن أسد ، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لم :
١٠ يا معشر يهود ، قد نزل بكم ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلا لا ثلاثا ، نفذوا أيها شتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ^(١) [و] نصتقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي تجددونه في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبناكم ونسائكم ، قالوا : لا تضارح حكم النوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال : فإذا أبيتم هذه فهل تغتفل أبناءنا ونساءنا ، ثم تُخرج إلى عهد وأصحابه رجالا
١٠ مصلين السيوف ، لم تترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبينه ، فإن نزلك نزلك ولم تترك وراءنا سلا تحشى عليه ، وإن تظهر ظمري لتجدت النساء والأبناء ، قالوا : قتل هؤلاء المساكين ! فاخير العيش بدمهم ^(٢) ؟ قال : فإذا أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون عهد وأصحابه قد آمنوا فيها ، فأزولوا لنا نصيب من عهد وأصحابه غيرة ، قالوا : نخسد طينا سبتنا ، ونحدث فيه ما لم يحدث

(٢) في ١ : « خير في العيش » .

(١) سابقة من ١ .

من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يتخف عليك من المسخ؛ قال : ما بات
 منكم رجل منذ ولدته أنه ليلة [واحدة ^(١)] من الدهر حازما . ثم بعثوا إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن آتت إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا؛ فأرسله
 إليهم، فلما رآوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يكون في وجهه،
 فرق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة، أترى أن نزل على حكم جد؟ قال : نعم . وأشار
 بيده إلى خلفه، أي إنه الذئب، قال أبو لبابة : فوالله ما زلت قدماى من مكانهما
 حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله . ثم أطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال :
 لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي . قال : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خبره وكان قد استبطأه قال : أما لو كان جاءني لاستغفرت له، فاما إذ قد فعل ما فعل
 فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه . فأنزل الله تعالى فيه : « وَأَرْوَوْ
 اعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَسِيئًا عَسَى أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ » . قالت أم سلمة رضي الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من السحر وهو بضحك، فقلت : مم تضحك أضحك الله منك يا رسول الله ؟ .
 قال : تيب على أبي لبابة . قالت : فقلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال :
 بلى، إن شئت . فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب علي بن الحجاب،
 فقالت : يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه
 فقال : لا والله، حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده؛ فلما مر عليه خارجا
 إلى صلاة الصبح أطلقه .

(١) ساعة من أ . (٢) اختار بنو قريظة أبا لبابة لأن ماله وولده وعماله فيهم .
 (٣) جهش : فرغ وأسرع . (٤) كذا في الأصول . وق ابن هشام والمواعظ الدينية
 والعلوية : « ما زالت » .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً في الجُدْع ستَّ ليالٍ ، ثانيه امرأته في كلِّ وقت صلاة ، فقلته للصلاة ، ثم تعود فتربطه .

- هذا ما كان من أمر أبي لبابة ؛ وأما يهود فإن ثعلبة بن سَعْيَةَ ، وأُسَيْدَ بْنَ سَعْيَةَ ، وأُسْدَ بْنَ عُبَيْدٍ ، وهم نفر من هَذَلٍ ، قال ابن إسحاق : ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج تلك الليلة عمرو بن سَعْدَى القرظيُّ - فرَّ بمحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سَعْدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمي عثرات الكرام ؛ ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه ، فلم يُدْرَ أين توجه من الأرض إلى آخر الدهر ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ذاك رجل نجَّاه الله بوفائه ؛ ومنهم من يزعم أنه أوثق . والله أعلم .

- ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وسؤال الأوس فيهم ، وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم
بحكم الله تعالى وقتلهم

قال : ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثب الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم مواليتنا دون الخزرج ، وقد فعلت

(١) كذا في ابن هشام ، والمواهب اللدنية ، والاستيعاب ، والبلدري . وفي الأصول : « أسعد » .

(٢) كذا في الأصول : وفي بعض نسخ ابن هشام : « إنالة عثرات الكرام » .

في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت . يعنون بنى قيتاق لما أطلقهم صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي سلول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا مشتر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فذاك سعد بن معاذ . وكان سعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها : رقيقة ، كانت تداوى الجرحى محتسبة ، فأناه قومه فحملوه على حمار ، ووطئوا له بوسادة من آدم ، ثم أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون له : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولّاك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكتروا عليه قال : لقد أتى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه [من قومه ^(١)] إلى دار بنى عبد الأشهل ، فتبى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يعزل إليهم سعد ، لكلمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قوموا إلى سيدكم » . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ والأنصار يقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولّاك أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، إن الحكم فيهم لمّا حكمت ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وعلى من ها هنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال سعد : فإنّي أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسّم الأموال ، وتبني القراري والنساء . فقال

(١) في ١ : « أطلقهم رسول الله » . (٢) في ١ : « أي سلول » . (٣) في ١ : « عليك »

(٤) ساقطة من ١ . (٥) القراري : الأرواد الذين لم يفتروا الحبل .

له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.^(١١)
 أى من فوق سبع سموات، ويقال: إن اليهود سألوا أن يقرئوا كل حكم سعد بن معاذ.
 والله تعالى أعلم .

- قال : ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الخميس لسبع
 خلون من ذى الحجة، وأمر بهم فأدخِلُوا المدينة، فحصبهم في دار بفت الحارث
 امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة،
 فغفر بها خنذق، وجلس هو وأصحابه وبث إليهم فأخرجوا إليه أرسالا،^(١٢)
 فغضبت أعناقهم، وفيهم حُيى بن أخطب، وكعب بن أسد، واختلف في عددهم
 فقيل : كانوا ستمائة أو سبعمائة . وقيل : بين الثمانمائة والتسعمائة؛ قال : وقالوا
 لكعب بن أسد، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا :
 يا كعب، ما زراه يُصنع بنا ؟ قال : أى كل موطن لا تمقلون ؟ ألا ترون الداعي
 لا يترع، وأنه من تُهب [به] منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! قال : وأبى حُيى
 ابن أخطب، وطلبه حلة [له] ففأحياه قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة،^(١٣)
 ثم أُسْلِمَ لها، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال : أما والله ما كنت نفسي في عداوتك، ولكن من يتخذ الله يُخذل، ثم أُقبل

(١١) سبعة أرقعة : قال ابن دريد : أرقعة : (جمع رقيم) يتذكر العدد على معنى السقف، إذ الساء
 مؤث سمعى بقياسه سبع أرقعة بتأنيث العدد . وسُميت الساء رقيما لأن بعضها كان يرفع بعضا . وبعضهم
 يجعل الرقيم الساء الدنيا لاغير، وكأنها رقت بالنجم .

(١٢) فى أ : « فأدخلهم » . (١٣) أرسالا : أنواجا وفرقا .

(١٤) ساقطة من أ . (١٥) ساقطة من أ . (١٦) ففأحياه : أى بلون الورد حين تم
 أن يفتح . وفى الأصل : « ففأحياه » وهو تعريف .

على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كُتبت على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جَبَل بن جَوَال التميمي :
 اممرك ما لام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يَحْلِلُ الله يُنْزِلُ
 لجَاهِد حتى أبلغ النفس عُدَّهَا * وقَفِّلُ^(١) بني المَرْكَلُ مُقَلِّلُ

• وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :
 لم يُقْتَل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعدى تَحْتَت معى ،
 وتضحك ظهرا وبطنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق ،
 إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قلت لها : ويحك !
 مالك ؟ قالت : أُقْتِل ، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثه ، قالت : فانطلق
 بها ، فضربت^(٢) عنقها ، فكانت عائشة تقول : والله ما أنسى عجباً منها ، طيب نفسها ،
 وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل . قال الواقدي : واسم تلك المرأة : بُنَانَةُ^(٣)
 امرأة الحكم القرظي ، وكانت قتلت خلاد بن سويد ، طرحت عليه رسي ، فضرب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقها بخلاد بن سويد . قال : وكان علي بن أبي طالب
 والزيبر بن العوام رضى الله عنهما يضربان أعتاق بني قريظة ، ورسول الله صلى الله
 عليه وسلم جالس هناك .

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري ، أن الزبير بن باطا القرظي ، وكان يكنى
 أبا عبد الرحمن — وكان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية [يوم يَحات^(٤)]
 أخذه بقر ناصيته ثم خلى سبيله — بغائه ثابت يوم قريظة ، وهو شيخ كبير فقال :

(١) قتل : محرك . (٢) في أ : « ضرب » .

(٣) كذلك في الطبري ، والاسيوطي ، وأسد الغابة . وفي الأصول : « رماة » .

(٤) ساقط من أ . (٥) في أ : « يَحات » .

- يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال : وهل يجهل مثل مثلك ؟ قال : إني قد
 آن أن أبجزيك بيدك عندي ؟ قال : إن الكريم يحسرى الكريم ، ثم أتى ثابت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد كانت للزبير عندي يد ،
 وله على منة ، وقد أحبيت أن أبجزيه بها ، فهب لي دمه ؟ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : هو لك ؟ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي
 نملك ؟ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ فأتى ثابت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أهله وولده ؟ قال : هم لك . فأتاه فقال :
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك وولده ، فهم لك ؟ قال :
 أهل بيت بالجزاز لا مال لهم ، فما يقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ماله ؟ فقال : هو لك ؟ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قد أعطاني ماله فهو لك ؟ قال : أي ثابت ، ما فعل الذي كأن وجهه
 مرة صينية يقرأى فيه مذارى الحلى^(١) ، كعب بن أسد ؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل
 سيد الحاضر والبادى حبي بن أخطب ؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل مُقدستنا إذا
 شدتنا ، وحاميتنا إذا كرونا ، عزال بن سموم^(٢) ؟ قال : قتل ؛ قال : فما فعل
 الجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة ، وبنى عمرو بن قريظة ؟ قال : ذهبوا وقتلوا ؛
 قال : فإني أسألك بيدى عندك يا ثابت إلا ألحقنى بالقصوم ، فوالله ما في العيش

(١) في سيرة ابن هشام : « بها » .

(٢) كذا في ج ، وطبري . وفي أ ، وفي طاش ج : « فدرنا » وفي ابن هشام : « فدرنا » .

(٣) كذا في إسناع الأنساع ، وفي سيرة ابن هشام . وفي الأصل : « سموم » . وقد ذكر طبري

بروايات مختلفة ، وأصح القسم الأزل ٣ ، ٤ ، ص ١٤٩٦ .

(٤) كذا في ج ، وسيرة ابن هشام . وفي أ : « يدك عنى » .

بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصارقه قبله^(١) دلو ناضح حتى ألقى الأجرة . فقدمه ثابت فضرب عنقه . فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأجرة » قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا .

وفي هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس :

وَقَتَّ ذِقْتِي أَتَى كُورِيٌّ وَأَنْخَى * صَبُورًا إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ^(٢)
وَكَانَ زَيْرٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مِنَّةً * عَلَى فَلَا شُدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ^(٣)
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكُهُ * وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْجُرُنَا بِحِرَا لَنَا يَمْجُرُ

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أتيت منهم ؛ فسأته سلمى بنت قيس بن المنذر أخت سليط بن قيس — وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قد صلت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء على رفاة بن سمول القرظي^(٤) ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفها ، فقالت : يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاة بن سمول ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل . فوجه لها ، فاستجيبته .

قال : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفائهم فجمعت ، فأصطفى لنفسه ربيعة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء عمرو بن قريظة ، ثم أخرج الخمس م

(١) قبله دلو ، أي بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليعبأ في الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكره إلا عن استحجال وصرعة . وذكر أبو عبيد الحديث فقال : « قال الزبير : يا ثابت ، ألقني بهم ، طست صابرا عنهم إفراغة دلو » .

(٢) في أ : « نادوا » .

(٣) هكذا في جـ . وفي أ : « كوعاه » .

المتاع والسي، ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين، وكانت السُّهُمان على ثلاثة آلاف وأثنين وسبعين سهماً، للفرس سهُمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى نَجْمَةَ بنِ جَزْءِ الزُّبَيْدِي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستق منه، ويهب، ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرِّثَّة، وهى السَّقَط من متاع البيت .

وقال محمد بن إصحاق : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصارى - أحد بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فأبتاع له بهم خيلاً وسلاحاً .

وأشَّهَد يوم بنى قريظة من المسلمين : خَلَاد بنُ سُويد بن ثعلبة بن عمرو الأنصارى الخزرجى، طُرحت عليه رَحَى فشَدَّخَتْهُ شَدْحاً شَدِيداً، ومات أبو سنان ابنِ عِصْن بنِ حُرثان، أخو بنى أسد بن خزيمة .

وأَنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ في شأن بنى قريظة قولَه تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفَّاءِ مِنْ صَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ دَبِيرًا ﴾ قال : قوله : « الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ » يعنى قريظة ظاهرُوا قريشاً وغطفان مِنْ صَاصِيهِمْ « أى حصونهم ومعاقلهم ، واحدها صِصِيَّة » وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ رُعباً فَرِيقًا تَقْتُلُونَ « وهم الرجال » وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا « وهم النساء والذراري » وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها « قال يزيد بن رومان [وابن]

(١) كان من مهاجرة الحبشة ، فاستلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأحماس .

(٢) سابقة من أ

زيد ومقاتل : يعنى خير . وقال قتادة : كنا نحدث أنها مكة . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : كل أرض تفتح إلى يوم القيامة . والله تعالى أعلم .

ذكر سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام

أبن أبي الحقيق النضرى بنخير

قال محمد بن سعد في طبقاته : كانت في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق : كانت هذه السرية بعد غزوة بنى قريظة . فنكون في ذى الحجة سنة خمس من الهجرة ، وهو الصحيح إن شاء الله ، ويدل عليه أن محمد بن سعد لما ذكر عبد الله بن عتيك في الطبقات قال في ترجمته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في ذى الحجة سنة خمس إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق بنخير .

قال محمد بن إسحاق : لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا . فتذاكروا : من رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ، فخرج إليه من الخزرج خمسة نفر ، وهم : عبد الله ابن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، وخزاعة بن أسود ، حليف لهم من أسلم .

قالوا : وكانت أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب ، وجعل لهم الجعل العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) كذا في الأصول ، وفي ابن هشام . وفي الطبقات : « الأسود بن زراعي » .

(٢) كذا في ج ، وطبقات ابن سعد . وفي أ : « قال » .

- فأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى قدموا خيبر فكنوا ، فلما هددت الرجل جاءوا إلى منزله فصعدوا درجة له . وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية ، فاستفتح وقال : جئت أبا رافع يهدي . ففتحت له امرأته ، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح ، فأشار إليها بالسيف فسكت ، فدخلوا عليه فقلّوه بأسياهم ، قال ابن أبيس : وكنت رجلاً أعشى لا أبصر ، ناكثاً يسبق على بطنه حتى سمعت خشه في الفراش ، وعرفت أنه [قد] قضى ، وجعل القوم يضربونه جميعاً ، ثم تزاول وصاحت امرأته ، فصاح أهل الدار . قال ابن إسحاق : وكان عبد الله بن [عتيك] سيئ البصر ، فوقع من الدرجة فوثقت يده وثثاً شديداً ، قال ابن هشام : ويقال : رجله ، قالوا : فعملناه حتى أتينا منيراً من عيونهم — والمناهر ؛ واحدها منيرة ، وهو فضاء يكون بين أفنية القوم يلقون فيها كتائبهم — فدخلنا فيه .

- قال محمد بن سعد : وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران ، فلم يروهم ، فرجعوا ، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن الطلب . قال ابن إسحاق : قتلنا : فكيف لنا أن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ فقال رجل منا : أنا أذهب فأظفر لكم . فاطلاق حتى دخل في الناس ، فوجده ورجاله من يهود حوله ، وامرأته في يدها مصباح تنظر في وجهه وتحذّمه وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت [نفسي] وقلت : ابن عتيك بهذه البلاد !

(١) كما في ج . و : « قلّوه بأسياهم وهو تصحيف » . (٢) سابقة من أ .

(٣) في الأصول : « عبد الله بن أبيس » . والتصويب من ابن هشام ، وأسد الناجية ، والمحارب الدنية ، والطبري .

(٤) الوث : : مدح يعقوب الم ولا يبلغ النظم خيراً ، وقيل : هو توجع في العظم من غير كسر .

(٥) تكة من ابن هشام .

ثم أقبلت تنظر في وجهه وتقول^(١) : فاطمة وإله يهود . قال : فما سمعت كلمة كانت
الله في نفسى منها ، وجاء فأخبرهم بالخبر ، قالوا : فاحتلنا صاحبنا ، وقدمنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ،
كلنا يدعيه ، فقال : هاتوا أسيافكم . فجئناه بها ، فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله
ابن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

٧٣
١٥

قال الشيخ شرف الدين [عبد المؤمن]^(٢) بن خلف الدمياطى رحمه الله في سيرته :
وفي حديث آخر أن الذى قتله عبد الله بن عتيك وحده ، قال : وهو الصواب .
والله أعلم .

وقال حسان بن ثابت الأنصارى في قتل سلام بن أبى الحقيق و
الأشرف :

هـ ذر عصاية لاقيتهم يابن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحاً كأنيد في عربين مغرور^(٣)
حتى أتوكم في حمل دياركم فسقوكم حنفاً بيض دُفِف^(٤)
مستعصرين لنصر دين نبيهم^(٥) مستعصرين لكل أمر مجيف^(٦)

(١) في ج : « ثم قالت » . (٢) فاطمة مات

(٣) تكة من ج .

(٤) في رواية : « بالبيض الزقاق » بنى السيوف . مرحاً : نشاطاً . عربين مغرور : قال أبو ذؤ
الخشنى في شرح البقرة ج ٢ ص ٣٢٦ : « العرب : غابة الأسد . ومغرور ملف الأصنان » .

(٥) دُفِف : مريّة القتل .

(٦) في ديوان حسان : « مستعصرين » .

(٧) ومجيب : ذاهب بالنفوس والأموال .

١٥

٢٠

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القُرطاء ، وهم بنو قُرط

وَقَرِيْط من بني ~~مك~~كلاب

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لئسرا خلود من المحرم ، على رأس تسعة
ونخسين شهرا من مهاجرة في ثلاثين راكبا إلى القُرطاء^(١) ، وهم يتزلون بناحية ضريبة^(٢)
وبين ضريبة والمدينة سبع ليال ، فقتل قفرا منهم ، وهرب سائرهم ، واستنق نَمًا
وشاء ، ولم يمرض للظمن ، وانحدر إلى المدينة ، فخمس رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما جاء به ، وقَصَّ ما بقى على أصحابه ، فصدلوا الجزور بعشرين من الغنم ، وكانت
الغنم مائة ونخسين بعيرا ، والغنم ثلاثة آلاف شاة . وغاب صبح عشرة ليلة ، وقدم
لليلة بقيت من المحرم .

ذكر غزوة بني لُحَيان بناحية عُسْفان^(٣)

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من
مهاجرة على ما أورده محمد بن سعد . وقال محمد بن إسحاق : في جمادى الأولى
سنة ست .

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه
أصحاب الرجيع - وجدا شديدا ، فأظهر أنه يريد الشام .

قال ابن سعد : وعسكر لفترة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل ، معهم
عشرون فرسا ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم أسرع المسير حتى
اتهم إلى بطن غُرَّان ، وبينها وبين عُسْفان خمسة أميال ، حيث كان مصاب

(١) كذا ضبطه صاحب المصاحف القديمة ، وأظهره ٢ : ١٧٣

(٢) ضريبة : قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة ، وهي إلى مكة أقرب .

(٣) عسفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة .

أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت [بهم]^(١١) بنو لحيان، فهربوا في رموس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوما أو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، فلم يقدرُوا على أحد، ثم خرج حتى أتى صفان، ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وهو يقول: "آيئون تائيون عابدون، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وَعَاء السفر وكتابة المقلب وسوء المنظر في الأهل والمال". وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قرد^(١٢)

وهي على بريد من المدينة في طريق الشام

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجرة.

قالوا: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لَفْحَةً^(١٤) ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عُبَيْنة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارسا فأستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر.

وقال محمد بن إسحاق: وكان فيهم رجل من غفار وامرأة [له]، فقتلوا الرجل وحملوا المرأة [في اللقاح]^(١٥). وجاء الصريح، فنودى: الفرَجَ الفرَجَ! فنودى:

(١) ساقطة من أ.

(٢) ذ أ: « فهربت ».

(٣) قرد: يفتح القاف والراء، وحكى الضم فيها، وحكى ضم أوله وفتح ثانيه.

(٤) الفحة: الناقة ذات اللبن الثرية المهد بالولادة.

(٥) زيادة عن ابن هشام.

- «يا خيل الله اركبي» ؛ وكان أول مانودي بها ؛ وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فخرج غداة الأربعاء ، فكان أول من أقدم المقداد بن عمرو ، وعليه الدرع والمِنْفَر
 شاهرا سيفه ، ففقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء في رمحه ، وقال : امض
 حتى تلحقك الخيول ، وأنا على أثرك . واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
 على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وخلف سعد بن عبادَةَ في ثَلَاثَةِ من قومه
 يحرسون المدينة . قال المقداد : فخرجت فأدركت أنريات الصدوق ، وقد قُتِلَ
 أبو قتادة الحارث بن رِيْمٍ حبيب بن عِينَةَ بنِ حِصْنٍ ، وغشاه برده ، فلما أقبل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ، فرأوا حبيبا مسجى يردد أبي قتادة [فاسترجع^(١٦)
 الناس ، وقالوا : قُتِلَ أبو قتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس
 بأبي قتادة] ، ولكنه قُتِلَ لأبي قتادة وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .
 وقال ابن سعد : إن الذي قُتِلَ حبيبا هو المقداد بن عمرو ، قتله وقتل قِرْقَرَةَ بن^(١٧)
 مالك بن حذيفة بن بدر ؛ وإن أبا قتادة قُتِلَ مسعدة ، فأعطاه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فرسه وسلاحه ، وأدرك عكاشة بن محصن أبا راء وابنه عمرو بن أوبار ،^(١٨)
 وهما على بعير واحد ، فقتلهما . واستشهد من المسلمين يومئذ عُمَيْرُ بن نضلة ، قتله
 مسعدة ، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجله ، فجعل يُراميهم بالنبل^(١٩)
 ويقول :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يسوم الرضع^(٢٠)

- (١) سجي : سخط . (٢) ما بين القوسين ساقط من أ . (٣) كذا في ابن سعد ،
 والمواهب اللدنية ، واللبى . وفي الأصل : «قرة» . (٤) في ابن سعد : «أثار» . ضم
 الهزلة . (٥) كان شجاعا وأبا يسحق القوس ، وما كذب قط . (٦) يوم الرضع : يعني يوم
 حلاك الكمام ، من قولهم : قُتِلَ راضع ، أي رضع القوم في جِذْنِ أمه . وقيل : سنة اليوم يعرف من ارتضعه
 الحرب من صفته وتدريب بها ، ويعرف غيره . راجع المواهب ج ٢ : ص ١٨٢ .

حتى انتهى إلى ذى قرد — وهى ناحية خير مما إلى المستناخ — قال سلمة : فلفقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وانليول عشاء ، فقلت : يا رسول الله ، إن القوم عطاش ، فلو بعثنى فى مائة رجل استنقذت ما فى أيديهم من السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ملكت فاصبح »^(١) ، ثم قال : « إنهم الآن ليقرون فى غطفان »^(٢) . وذهب الصريح إلى بنى عمرو بن عوف ، بغات الأمداد . فلم تزل النبل تاتى والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد ، فاستنقذوا عشر لسان ، وأقلت القوم بما بقى ، وهى عشرة ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد صلاة الخوف ، وأقام يوما وليلة يتحسس الخبر ، وقسم فى كل مائة من أصحابه جزورا يغرونها ، وكانوا خمسمائة ، وقيل : سبعمائة .

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدى إلى الغمر

غمر مرزوق ، وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من قيد^(٤)

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن إلى الغمر فى أربعين رجلا ، فخرج سرىما ، فنبذ به القوم فهربوا ، فقتلوا طيما بلادهم ، ووجدوا دارهم خلوا ، فبعث عكاشة شجاع بن وهب طليعة ، فرأى أثر النعم ، فتبعهم فاصابوا ربيعة

(١) السرح : المال السام المرسل فى المعركة . (٢) ملكت فاصبح ، أى قدرت عليهم فافترقوا وأحس المفرو . (٣) ليقرون : يفتح الزاء وضما من القرى ، وهى الغياقة . وقيل : معنى ضم الزاء أنهم يجمعون الماء ، واللين . (المواهب ٢ : ١٨٣) . (٤) فى الأصول ، وكذا فى المواهب : « غمر مرزوق » . وما أثبتناه من الطبقات وفى معجم البلدان : عمرة ، قد جاء فيه ما نضمه : « وقال ابن القتيبة : عمرة من أعمال المدينة على طريق نجد ، أغزاهما النبي صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن » .

(٥) نذر : علم . (٦) أى أصحاب ديارهم غائبين . (٧) ربيعة : طليعة .

لهم ، فآمنوه ، فدلّم على نَمّ لِنِي عَمّ له ، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير ، وأرسلوا الرجل ، وحدّروا النَمَّ ^(١) إلى المدينة ، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا .

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى بنى ثعلبة بذى القَصَّة

- قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إلى بنى ثعلبة ، وهم بذى القَصَّة في شهر ربيع الآخر سنة ست من هجره ، وبين ذى القَصَّة وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا ، طريق الرَبَذَة ، بعثه في عشرة نفر فوردوا عليهم [ليلًا] فأحلق به القوم وهم مائة رجل ، فستروا ساعة من الليل ، ثم حلت الأعراب عليهم بالراح فقتلوه ، ووقع محمد بن مسلمة جريحا ، يُضرب كعبه فلا يتحرك ، وجردوه من الثياب ، ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمّله حتى ورد به المدينة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبَيْدَةَ بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا ، ووجدوا نَمّا وشاء ، فساقه ورجع .

ذكر سرية أبي عُبَيْدَةَ بن الجراح إلى ذى القَصَّة

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة ست من هجره في أربعين رجلا من المسلمين ، وسبب ذلك أن بلاد بنى ثعلبة وأُعمار أجذبت ، ووقعت صحابة بالمرض إلى تَلَمِين ، والمراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، فسارت بنو محارب وثعلبة وأُعمار إلى تلك الصحابة ، واجتمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو رعى بهيغا — موضع على سبعة أميال من المدينة — فبعث رسول الله

٧٥
١٥

(١) حدروا : ساقوا . وقا : « قدروا » . وهو تحريف .

(٢) ساقه من أ

صلى الله عليه وسلم أباً عبدة ومن معه حين صلوا المغرب ، فشنوا إليهم حتى وأقوا
 ذا القصة مع عناية الصباح — وهى موضع فى طريق العراق — فأغاروا عليهم
 فأعجزوهم هرباً فى الجبال ، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم فتركه ، وأخذ منها من نعمهم
 فاستاقه وزيته من متاعهم . وقدم المدينة بذلك ، فغمسه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقسم ما بقى عليهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فى شهر ربيع الآخر
 سنة ست من الهجرة إلى بنى سليم ، فسار هو ومن معه حتى ورد الجموم — ناحية
 بطن نخل عن يسارها ، وبطن نخل من المدينة على أربعة برد — فأصابوا عليه
 امرأة من مُزينة يقال لها : حليلة ؛ فدلّتهم على محلة من محال بنى سليم ، فأصابوا
 فيها نساء وشاء وأسرى ، فكان فيهم زوج حليلة المُزينة ، فلما قفل زيد بن حارثة
 مع أصحاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزينة فقمها وزوجها ، فقال بلال
 بن الحارث المزنى فى ذلك :

لعمرك ما أخنى المسؤل ولا وث^(١) حليلة حتى ركبها معاً

- (١) عناية الصباح : يقال : لقيه فى عناية الصباح ، أى فى ظله قبل أن آتبه .
 (٢) هذا ما ذكره المؤلف : وفى معجم البلدان ما يأتى : « قال السكونى : ذو القصة : موضع بين
 زبالة والشقوق ، دون الشقوق بميلين ، فيه قُبْلٌ للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال ، وإلى هذا
 الموضع كانت غزاة أبي عبدة بن الجراح ، أرسله إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
 (٣) الرثة : السقط من متاع البيت .
 (٤) أخنى : أفضى . وفى أ : « أخنى » .
 (٥) فى أ : « دنت » .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العيص لغير قریش

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة ست من هجرته في سبعين ومائة راكب إلى العيص - وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذى المروة ليلة - وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن عيرا لقریش قد أقبلت من الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فاخذوها وما فيها، وأخذ يومئذ فِضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته، وتادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر: إني قد أجرت أبا العاص. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما علمت بشئ من هذا] قد أجرتنا من أجرت. ورد عليه ما أخذ له ^(١) كما تقدم ^(٢).

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطرف إلى بني ثعلبة

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الآخرة سنة ست من هجرته إلى الطرف - وهو ماء قريب من المراض، دون النخيل، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، طريق البقرة على الحجة - فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب ثماناً وشاء: وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال، وكان شعارهم «أيت أيت».

(١) ما بين القوسين مأخوذ من (١)

(٢) في (٢): «ما أخذ» - وفي اللغات: «ما أخذته».

ذكر سيرة زيد بن حارثة إلى حسنى . وهى وراء وادى القرى

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حسنى
 فى جمادى الآخرة أيضا ، وذلك أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر
 صاحب الروم حين بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابيه ، وقد أجازته
 وكساه ، و دحية تجارة له ، حتى إذا كان بواد يقال له : شتار أو شتان ، أغار عليه
 الهنيد بن عارض ، وقيل : [ابن عوص ؛ وأبنة عارض بن الهنيد ، وقيل :] عوص
 ابن الهنيد ، الضليعان فى ناس من جذام بحسمى ، فقطعوا عليه الطريق وأخذوا
 ما معه ، فلم يتركوا عليه إلا شمل ثوب ، فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب — [رهط
 رفاعه بن زيد ممن كان أسلم وأجاب — فنظروا إلى الهنيد وابنه ، وفيهم من بنى الضبيب]
 النعمان بن أبي جمال حتى لقوهم فاقتتلوا ، وانتهى يومئذ قزة بن أشقر الضفاري
 ثم الضليعي ، فقال : أنا ابن ثبي ، ورمى النعمان بسهم فأصاب ركبته ، وقال : خذها
 وأنا ابن ثبي ، ولثني أمه ، ثم استنقذوا لدحية متاعه ، وقدم دحية على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه
 دحية ، فكان زيد يسير الليل ويكن النهار ومعه دليسل من بنى عذرة ، فأقبل بهم
 حتى هم بهم مع الصبح على القوم ، فأغاروا عليهم ، فقتلوا فيهم فأوجعوا ، وقتلوا الهنيد

٧٦
١٥

١٠

١٥

(١) أجازته : أعطاه جائزة . وذلك لأنه تارب الإسلام ولم يسل خوقا على ملكه .

(٢) كذا فى مصم البلدان والطبرى . وفى الأصل : « شيار » .

(٣) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٤) الضليع : بطن من جذام .

(٥) شمل ثوب : أى الخلق من الثياب .

(٦) ما بين القوسين ساقط من أ .

(٧) فى أ : « الضفدى » .

٢٠

- وابنه ، وأغاروا على ماشيتهم ونعيمهم ونساءهم ، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومن القساة والصبيان مائة ، فرحل رفاعه ^(١) بن زيد الجذاعي في تقرر من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفع إليه كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليأل قدم عليه فأسلم ، وقال : يا رسول الله ، لا تحزم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما .
١. قتال : كيف أصبح بالقتل ؟ فقال أبو يزيد بن عمرو : يا رسول الله ، أطلق لنا من كلنا حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو يزيد ، فبعت معهم عليا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخل بينهم وبين حرمهم وأموالهم ، فتوجه على رضى الله عنه ، فلقى رافع بن مكيث الجهني بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القسوم ، فردها على عليهم ، ولقي زيدا بالفحلثين ^(٢) — وهي بين المدينة وذى المروة — فأبلغه [أمر ^(٣)] رسول الله صلى الله عليه وسلم .
١٠. فرد عليهم كل ما كان أخذ منهم .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى ^(٥)

- قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة إلى وادى القرى أميرا في شهر رجب سنة ست من الهجرة . ولم يذكر غير ذلك .
- ١٥.

(١) قدم رفاعه هذا على النبي صلى الله عليه وسلم في هذة الحديبية في جماعة من قومه فأسلوا ، وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب له كتابا إلى قومه فأسلوا . وهذا نص الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعه بن زيد . إنى بعته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعهم إلى الله وإلى رسوله . فمن أقبل فحق حرب الله وحرب رسوله ، ومن أدرأه أمان شهرين . » راجع شرح المراهب القدية ج ٢ ص ١٩٢ .

٢٠. (٢) كذا في الطبقات ، وصح البلدان . وفي الأصل : « بالفحلثين » وهو تحريف .
(٣) ساقطة من أ . (٤) في أ : « فبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٥) وادى القرى : واد بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة .

ذكر سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل^(١)

قال محمد بن سعد رحمه الله : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في شعبان سنة ست من هجره ، فأقعد بين يديه وعمه بيده وقال : اغز بسم الله ، وقاتل في سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغل^(٢) ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا . وبثته إلى كلب بدومة الجندل ، وقال : إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم . فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل ، فكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم الأصبح بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانيا وهو رأسهم ، وأسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية ، وتزوج عبد الرحمن ثُمَاضِر بنت الأصبح وقدّم بها المدينة ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بقَدك

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعبان سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بقَدك في مائة رجل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهودَ خيبر ، فسار على رضي الله عنه بمن معه ، فكان يسير الليل ويكن النهار حتى انتهى

(١) دومة الجندل : حصن وقرى من طرف الشام ، بينها وبين دمشق خمس ألال ، ومن المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة .

(٢) في طبقات ابن سعد : « اغز باسم الله وفي سبيل الله » .

(٣) غل : خان كأغل .

(٤) في ١ : « إلى دومة الجندل » .

(٥) كذا في ١ . وفي ج : « نعت » .

- إلى المَنَح - وهو ماء بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال - فوجدوا به رجلاً فسالوه عن القوم فقال : أخبركم على أن تؤمنوني؟ فأتوه فدلّم، فأعاروا عليهم فأخذوا تحمّانة بغير وألقى شاء، وهربت بنو سعد بالظنن ورأسهم وبربّ عليهم، فغزل عليّ رضي الله عنه صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَوْحاً تَدْعِي الحَفِيدَةَ ، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه ، وقدم المدينة ولم يلق كيدا .

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى وقتل أم قرفة

- كانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان دون وادى القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر ، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم ، ثم استقبل زيد بن حارثة . وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . حكاه محمد بن سعد في طبقاته .

- وقال محمد بن إسحاق : إن الذي أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادى القرى ، فإنه أصيب بها ناس من أصحابه ، وأرث زيد من بين القتل ، ولعل هذه السرية هي التي كانت في شهر رجب من السنة .

(١) في الأصول : « الفتح » ، وسواه من الطبقات ، وانظر معجم البلدان

(٢) الصفح : ما يختاره الرئيس لنفسه قبل القصة .

(٣) في هامش ج : « الحفدة : السرية » .

(٤) في هامش ج : « استبل ، أى عرفى » - وفى أ : « استقبل » .

(٥) أرث : حل من الحركة وثبات ، أى جري مجاربه ومنه .

قال ابن سعد: ففرج زيد بن حارثة بمن معه فكنوا النهار وساروا الليل، وتُدرت^(١) بهم بنو بدر، ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بدر، فكان الذي أخذ الجارية سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبها صلى الله عليه وسلم لحزن بن أبي وهب، قال: وعهد قيس ابن الحُسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فربط بين رجلها حبلا، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا قطعماها^(٢)، وقتل الثمان وعبد الله ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، ففرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه عُرَيبَانَا يحِثُوهُ حتى اعتقه وقبله، وسأله فأخبره بما ظفَره الله به.

ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر^(٣)
كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق كما ذكرنا أُمرت يهود عليها أسير بن رزام، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجهه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر من المسلمين في شهر رمضان سرا

(١) درت بهم: علوا بهم فخرهم.

(٢) الحاضر، أي بين حضرة تلك من فرارة.

(٣) في شرح المراهب الدنية ج ٢ ص ١٩٧ ما يأتي: «ذكر الدولابي: أن زيداً إنما قتلها كذلك لبها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيل: ولأنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها، وولد ولدها وقالت: اعزها المدينة، واقطعوا هذا».

(٤) في رواية أخرى: «يسير» بضم الياء وفتح السين.

(٥) في الأصول: «زارم»، والتصويب من المراهب وابن هشام.

- سأل عن خبره ^(١١) وغيرته ، فأخبر بذلك ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، فانتدب له ثلاثون رجلا ، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أسير فقالوا له : نحن آمنون حتى نمرض عليك ما جئنا له ؛ قال : نعم ، ولى منكم مثل ذلك ؛ قالوا : نعم ؛ فقالوا له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستملك على خير ويحسن إليك . فقطع أسير في ذلك ، ففرج ونخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود ، مع كل رجل رديف ^(١٢) من المسلمين ، حتى إذا كانوا بقرقرة ^(١٣) نيسار ندم أسير ، قال عبد الله ابن أنيس — وكان في السرية : فاهوى بيده إلى سيفي ، ففطنت له ودفعت بعيري فقلت : غدرا أي عدو الله ! فعل ذلك مرتين ، فزلت فسبق القوم حتى انغردت إلى أسير فضر به بالسيف ، فأنذرت ^(١٤) عامة نغذه وساقه ، وسقط عن بعيره وبيده ١٠ محرش من شوحط ^(١٥) ، فضر بي به فشجني مأمومة ^(١٦) ، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدا ، ولم يصب من المسلمين أحد ، ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لحشداه الحديث ، فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين . وتقل صلى الله عليه وسلم على شجعة عبد الله بن أنيس فلم تقع ولم تؤذه .

- ١٥ (١) غرة : فقله .
 (٢) الرديف : الذي يركب خلف الزاك .
 (٣) قرقرة نيسار : موضع على ستة أميال من غير .
 (٤) أنذرت : فطمت .
 (٥) المحرش والمحرش : صا موعة الرأس كالصربان .
 (٦) شوحط : من شجر الجبال تنخذ منه القسي .
 (٧) شجعة مأمومة : بلغت أم الرأس .

ذكر سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العرنيين

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا : قدم نفر من عرينة ثمانية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا واستوْشوا المدينة، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه، وكانت تسمى بنى الجندر — ناحية قُباء قريباً من غير، على ستة أميال من المدينة — فكانوا فيها حتى صحواً وسمنوا، فصدوا على اللقاح فاستاقوها، فأدركهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر، فقال لهم ، فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فبعث في أثرهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفهري ، فأدركهم فاحاطوا بهم وأسروهم وريطوهم وأردفهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة، فخرجوا بهم نحوه، فلقوه بالغابة مجتمع السيول، فأمر بهم ففُطمت أيديهم وأرجلهم - وَجُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ وَصُلِبُوا هُنَاكَ - وأنزل الله تعالى على رسوله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ . فلم يسمل بعد ذلك عينا ، وكانت اللقاح خمس عشرة لُقعة غزارا فردوها إلى المدينة ، ففقد منها لُقعة تدعى الحناء، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقيل : نحروها .

(١) استوْشوا : استنحوا . وفي أ : « استوا » .

(٢) في أ : « وكسروهم » .

(٣) ضبطت في القاموس بضم الزاي ، وفي سجع البلدان بفتحها

ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم

إلى أبي سفيان بن حرب بمكة

- قال محمد بن سعد في طبقاته : وذلك أنت أبا سفيان بن حرب قال لنفسه من قريش : ألا أحد يفرج هذا فإنه يمسي في الأسواق؟ فأناه رجل [من الأعراب] فقال : قد وجدت أجمع الرجال قلبا ، وأشد بطشا ، وأسرع شدا ، فإن أنت تقويتني خرجت إليه حتى أعتاله ، ومعى خنجر مثل خافية النسر ؛ قال : أنت صاحبنا ؛ فأعطاه بيرا وفضة ، وقال : اطير أمرك ؛ فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحزوة صبح سادسة ، ثم أقبل فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دُل عليه ، فعقل راحلته ، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد الأشهل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن هذا يريد غدرا" . فذهب ليخبرني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحذبه أسيد بن الحضير بداخله إزاره ، فإذا بالخنجر ، فسقط في يده ، وقال : دمي دمي ! وأخذ أسيد بلبته فذهته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أصدقني ، ما أنت؟" قال : وأنا آمن؟ قاله : نعم ، فأخبره بجمعه ، فخلّى عنه صلى الله عليه وسلم .

- (١) ينتر ، أي يأتيه على غفلة . وفي الأصول : « ينز » ، وموايه من المواهب فيما نقله من الطبقات . (٢) كذا في ٥ . وفي ١ : « فيشي » . (٣) ساقطة من ١ . (٤) كذا في الأصل ، والطبقات . وفي المواهب : « أشدهم ، وأسرهم » . (٥) خافية للنسر : ريشة صغيرة في جناح النسر دون الشرر يشأت التي في مقدم الجناح . (٦) بداخله إزاره ؛ أي طرفه وحاشيته من داخل . (٧) سقط في يده : أي قدم . (٨) ذهته : أي خفه أشد الخلق . وفي ١ ، و ٥ ، والطبقات : « ذهته » بإبدال المهملة . وفي هامش ٥ : « ذهته : إذا خفه أشد الخلق » وهو محرف . والصواب « ذهته » بإبدال المعجمة في الجميع .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، وسامة بن أسلم ابن أبي حريش^(١) إلى أبي سفيان بن حرب، وقال: إن أصبنا منه غيرة فاقفاه؛ فدخل مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا، فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، وأخبر قريشا بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكا في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخبر؛ فخشده أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسامة، فلقى عمرو عبيد الله ابن مالك بن عبد الله التيمي^(٢) وقتل آخر من بني الدليل، فسمه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حيا ولست أدين دين المسلمين

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحصسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآء [فقدّم به المدينة] فجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله يضعده

هكذا حكى محمد بن سعد .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري، ومعه جبار بن صخر الأنصاري، وذلك بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه، قال: فخرجنا حتى قدما مكة، وحسبا بجليهما يشعب من شعاب^(٣) يابج، ثم دخلنا مكة ليلا، فقال جبار بن صخر لعمرو: لو أنا طفتنا بالبيت وصلينا ركعتين؛ قال عمرو: فطفتنا وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لننشى بمكة إذ نظر إلى رجل فعرفني، فقال: عمرو بن أمية، والله إن قديمها إلا لشر؛ فقلت لصاحبي: التجاه؛ فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يسوا منا، فدخلنا كهفا

(١) كما في الأصول، وفي ابن هشام: «ابن حريش» .

(٢) كما في الأصول . وفي المواب، والطبقات: «عبد الله» .

(٣) ساقط من أ . (٤) مكة من به . (٥) يابج: اسم موضع بمكة .

- في الجبل فبتنا ، وقد رَحِمْنَا دوتنا حجارة ، فلما أصبحتا غدا رجل من قريش
 يقود فرسالة ، ففشيْنَا ونحن في الغار ، فقلت : إن رأنا صاحب بنا فتؤخذ فنقتل ؛
 قال : نخرجت إليه فضربته على يديه بخنجر كنت قد أعدته لأبي سفيان ،
 فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، ورجعت فدخلت مكاني ، وجاءه الناس يشتدون
 وهو بأخر رمق ، فقالوا : مَنْ ضربك ؟ قال : عمرو بن أمية . ومات لوقته ، ولم
 يدل علينا ، فاحتلموه ، فقلت لصاحبي لما أمسنا : النجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة
 نريد المدينة ، فررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة حبيب ، فقال أحدهم : والله ما رأيت
 كالليلة أشبه بعشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو ؛ قال : فلما
 حاذى عمرو الخشب شذ عليها واحتلمها ، وخرجنا شذا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جُرُفا
 بمهبط مسيل يأبج ، فرمى بالخشب في الحُرف ، ففیه الله عنهم ، فلم يقدرُوا عليه . قال
 عمرو : وقلت لصاحبي : النجاء ، حتى أتى بئرك فتقعد عليه ، فإني سأشعل عند
 القوم ؛ قال : ومضيت حتى خرجت على صَحَّان^(٢٠) ، ثم أويت إلى جبل فدخلت
 كهفا ، فبينما أنا فيه إذ دخل علي شيخ من بني الدَّيْل أعور ، في غُنيمة له ؛ فقال :
 مَنِ الرجل ؟ قلت : من بني بكر ، فَرَسَ^(٢١) أنت ؟ قال : من بني بكر ؛ فقلت :
 مرحبا ؛ فاضطجع ، ثم رفع عقيرته فقال :

١٥

ولست بمسلم ما دمت حيًّا * ولست أدِينُ دينَ المسلمينَا

(١) رزم الحجارة : جعل بضعا على بعض .

(٢) كذا في الأصل - وفي ابن هشام : « نديه » .

(٣) صحَّان : اسم جبل قرب مكة .

٢٠

(٤) كذا في ج . « قلت : من بكر . قال : فمن أنت من بني بكر ؟ » .

فقلت في نفسي : ستعلم ، فأملهته حتى إذا نام أخذت قومي فجعلت يديها في عينه الصبيحة ، ثم تعاملت عليها حتى بلغت العظم ، ثم خرجت حتى جثت العرج ، ثم سلكت ركوبة ،^(٣) حتى إذا هبطت النقيع إذا رجلا من قريش من المشركين ، كانت قريش يبتهما عينا إلى المدينة يحسسان ، فقلت : استأسرا ، فأبيا ، فرميت أحدهما بسهم فقتلته ، ثم استأسر الآخر فأوثقته رباطا ، وقدمت به المدينة .
ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السرية ، في أي شراكات ، فاذكروه .

ذكر غزوة الحُدَيْبِيَّة وما وقع فيها من بيعة الرضوان ومهادنة قريش وغير ذلك

كانت غزوة الحُدَيْبِيَّة في ذي الحِجَّة سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن سعد : استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى العمرة ، فأسرعو وتجهئوا ، وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين ، وركب راحلته القَصْو ،^(١) وخرج ، وذلك يوم الاثنين لحلال ذي القعدة ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم . وقال ابن إسحاق : استعمل على المدينة ثُمَيْلَةُ بن

(١) سية القوس : ما عطف من طرفها .

(٢) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أو واد بالجواز .

(٣) ركوبة : ثنية بين مكة والمدينة عد العرج .

(٤) النقيع : موضع ببلاد مَرْبِعة على لبتين من المدينة .

(٥) الحُدَيْبِيَّة : بئرسمى المكان بها ، وقيل : شجرة حذاء هي المكان بها . وقيل : قرية منسقة

قرية من مكة .

(٦) القصواء : لقب ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

عبد الله الليثي . قال ابن سعد : ولم يُخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه
 بسلاح إلا سلاح المسافر، السيف في القُرب، وساق بُدْناء^(١١) وساق أصحابه بدْناء، فصل
 الظهر بذى الحليفة : ثم دعا باليدن التي ساق بخلَّت^(١٢)، ثم أشعرها في الشقِّ الأيمن^(١٣)
 وقُدَّها، وأشعر أصحابه أيضا، وهي مَوَّجَّات إلى القبلة، وهي سبعون بدْنَةً، فيها
 جل أبي جهل الذي غنمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، وأحرم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولَّي، وقَدَّم عبَّاد بن بشر أمامه طليعة في عشرين فارسا من خيل
 المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه صلى الله عليه وسلم من
 المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح، وقيل : ألف وستمائة ؛ ويقال : ألف
 وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا ؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها،
 وبلغ المشركين خروجهم، فأجمع رأيهم على صدّه عن المسجد الحرام، وعسكروا يتلذح^(١٤)
 وقَدَّموا مائتي فارس إلى كُراع النعم^(١٥)، عليهم خالد بن الوليد، ويقال : عكرمة
 ابن أبي جهل .

قال محمد بن إسحاق : قال الزهري : لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعبقان لقيه بشر بن سفيان الكعبي — قال ابن هشام : ويقال : بُسر — فقال :

٨٠
١٥

- ١٥ (١) حذف المؤنث المفعول هنا، والتقدير ولم يخرج معه أحدا .
 (٢) البدن : جمع بدنة، وهي الثاقة أو البقرة تحريمكة .
 (٣) خلَّت : ألقت ما تصاد به .
 (٤) أشعرها : أعلمها . وذلك بأن ضرب صفحة السام اليمن بحديدة طلعها بدنها إشعارا بأنها
 هدى . (٥) قُدَّها : علق في عنقها شيئا ليُعلم أنها هدى .
 ٢٠ (٦) بدح : واد قيل مكة من جهة القرب .
 (٧) كراع النعم : موضع بين مكة والمدينة .

يا رسول الله ، هذه قریش قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم المَوَدَّ^(١) المطافيل ،
قد لبسوا جلود النور ، وقد زلوا بذى طوى ، يماهدون الله ألا ندخلها عليهم أبداً ،
وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كُرَاع الفيم . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : " يا ويح قریش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى
وبين سائر العرب ؟ فإن هم أصحابى كان ذلك الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله
عليهم دخلوا فى الإسلام وأقرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قریش ؟
والله لأزال أجهاد على الذى بعثى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٢) .
قال محمد بن سعد : ودنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم
فى خيله ، فأقام بإزائه وصف أصحابه ، وحانت صلاة الظهر ، فصل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف ، فلما أسى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه :
تيامنوا فى هذا الموضع المفضل^(٣) - - موضع منعطف فى الوادى - فإن عيون قریش
بتر الظهران وبضجنان . فسار حتى دنا من الحديدية ، وهى طرف الحرم على تسعة
أميال من مكة ، فوقفت بدا راحلته على ثنية تهبط على غائط القوم ، فبركت .

- ١٥ (١) المود المطافيل : النسوق التى وضعت أولادها حديثاً . يريد أنهم خرجوا معهم النساء .
والصبيان . وفى حاشى ج ما يأتى : « حاشية : المود : نتاج الالة القريب المهدي بالولادة .
والمطافيل : كل ما يقع أمه من سائر الحيوان » .
(٢) السالفة : ضمة المتى ، وكفى باتفرادها عن الموت .
(٣) فى حاشية ج : « الفصل : جمع غسلة ، وهى شجرة إذا أكل منها البعير سلحه » .
٢٠ وفى معجم البلدان : « الفصل : موضع باليادية كثير الفياض » . وفى ابن سبط وإنتاج الأصماع :
« فى هذا الفصل » بالصاد المهملة . والصل : الرمل الكثير الموج .
(٤) فى ابن سبط : « فرقت » .

- وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان بتدبير الأخطاط ^(١) قريبا من عسفان أتاه عنده الخواص ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمع لك الأحابيش ، وهم مقاتلون وصائدون عن البيت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي ، أترون أن نبيل علي خذاري هؤلاء الذين علونهم فنصيبهم ؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن يجبنوا [تكن] عفا قطعها الله ، أو ترون أن تؤم البيت فن صدنا عنه قاتلناه ؟ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، إنا لم نأت لقتال أحد ، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فروحوا إذا ، فراحوا ، حتى إذا كان بسفان لقيه بشر بن سفيان الكمي ، وذكر من قوله ومن جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدمناه إلى قوله : أو تنفرد هذه السالفة . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله . فخرج بهم على طريق وعمر حزن بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند متقطع الوادي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا ،

١٥

(١) تدبير الأخطاط : موضع تلقاء الحديبية .

(٢) الأحابيش : هم بنو المون بن خزيمه ، وبنو الحارث بن عبد ماة وبنو المصطلق من خزاعة كانوا يتحالفون مع قريش ، قيل : تحت جبل يقال له : الحبش أسفل مكة . وقيل : سموا بذلك لتبشيم أي تبهمهم .

(٣) كذا في ب . وفي أ : « أماونهم » .

٢٠

(٤) كذا وردت هذه العبارة في أ ، وب . وفي تفسير الكشف والبيان : « فإن قعدوا قعدوا موتورين ، وإن نجحوا عفا قطعها الله » . والتصويب من شرح المصاب : ٢ : ٢١٩ .

فقال : والله إنها لخطئة ^(١) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقبلوها ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : اسلكوا ذات النبين ، في طريق يخرجهم على ثنية المسار ^(٢) على مهبط من أسفل مكة ، فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأته خيل قريش قرة الجيش ^(٣) ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، وكفوا راجعين إلى قريش يندرونهم ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المزار بركت به ناقته ، فقال الناس : حل حل ^(٤) ؛ فقال : ما حل ؛ قالوا : حلأت القصواء ^(٥) ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « ما خلأت وما ذاك لما مجئني ، ولكن حبسها حابس الفيل » ، ثم قال : والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش إلى خطئة يظلمون بها حرمان الله ، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ^(٦) ؛ ثم قال للناس : « انزلوا » فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء ، إنا يتبرضه الناس تبرضا ، فلم يثبت الناس أن نزحوه ، فشكا الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم العطش ، فترع سحما من كئانته وأعطاه رجلا من أصحابه ، يقال له : ناجية بن عُمير بن يعمر بن دارم ، وهو سائق بَدَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترل في تلك البئر فغرز في جوفها

(١) الخطئة : يشير إلى قول الله تعالى لبني إسرائيل : « ردقوا حقة » ومعناه : اذهبوا معنا ذنوبنا .

(٢) في الأصل : « المزار » وهو تحريف .

(٣) قرة الجيش : غباره . وفي أ : « قرة الجيش » .

(٤) حل حل : كلمة تعال لثافة إذا تركت السير . وقال الخطابي : حل واحدة بالسكون ، وإن أعدتها نونت الأولى وسكنت الثانية . وحكى غيره : السكون فهما والتثنية كثيره في فتح فحج . لكن

الرواية بالسكون فهما . راجع شرح الموابب القدية ج ٢ ص ٢٢١ .

(٥) في هامش ج : « انخلأ : حران الإبل » .

(٦) حابس الفيل : أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها .

(٧) يتبرضه الناس : أي يأخذونه قليلا قليلا .

بِجَاشِ الْمَاءِ بِالرِّى ، حَتَّى صَدُرُوا عَنْهُ ؛ وَيُقَالُ : إِنْ جَارِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ أَقْبَلَتْ
بِدُلُومِهَا ، وَنَاجِيَةً فِي الْقَلْبِ يَمِجُّ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَتْ :

يَا أَيُّهَا الْمَائِجُ دَلَّوْنِي دُونَكَ • إِنْ رَأَيْتِ النَّاسَ يَمُجُّونَكَ

يَكُونُونَ خَيْرًا وَيُحْدُونَكَ • أَرْجُوكِ الْخَيْرَ كَمَا يَرْجُونَكَ

فَقَالَتْ نَاجِيَةً :

قَدْ عَلِمْتُ جَارِيَةً يَمَانِيَةً • أَيْ أَنَا الْمَائِجُ وَأَسْمَى نَاجِيَةً

وَطَنِيَّةٌ ذَاتُ رَشَاشٍ وَاهِيَةٍ • طَعَمْتُهَا تَحْتَ صَدُورِ الْعَادِيَةِ •

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : نَاجِيَةٌ بِنُجْدِ بْنِ جَنْدَبٍ بْنِ عُثْمَانَ الْأَسْلَمِيِّ ؛ قَالَ : وَزَعَمَ بَعْضُ

أَهْلِ السُّلَمِ أَنَّ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ كَانَ يَقُولُ : أَنَا الَّذِي نَزَلَتْ بِسْمِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • قَالَ عَبْدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَالتَّمْلِي : رَوَى عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ حُرَّةَ بْنِ الزُّبَيْرِ

عَنِ الْمُسَوِّدِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ : فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ يُبَدِّلُ بَيْنَ وَرَقَاءِ الْخُزَاعِيِّ فِي نَقْرِ مَنْ قَوْمِهِ ، وَكَانَتْ خِزَاعَةُ عَمِيَّةَ نَصِيحٍ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ ، فَقَالَ : إِنْ تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤْيٍ وَعَامِرَ

ابْنَ لُؤْيٍ قَدْ نَزَلَا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيثِ ، مَعَهُمُ الْعُودُ الْمُطَافِيلُ ، وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ

عَنِ الْبَيْتِ • فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنْ جِئْنَا

مُعْتَمِرِينَ ، وَإِنْ قَرِيشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ ، وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْنَاكُمْ مَدَّةَ

(١) جَاشَ : قَارَ (٢) صَدُرُوا : رَجَعُوا •

(٣) الْمِجَّ : أَنْ تَدْخُلَ الْبَرَقُفْلَا الدَّلُوقَةَ مَائِيًا •

(٤) الْعَادِيَةُ : الْقَوْمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَيْ يَسْرِعُونَ الدَّو •

(٥) عَمِيَّةُ نَصِيحٌ ، أَيْ أَنَّهُمْ مَوْضِعُ نَصِيحٍ •

(٦) أَعْدَادٌ : جَمْعُ عَدَّةٍ ، وَهِيَ الْمَاءُ الَّذِي لَا انْقِطَاعَ لَهُ • وَيُقَالُ أَيْضًا عَلَى الْكَثَرَةِ فِي الشَّيْءِ •

(٧) مَادَدْنَاكُمْ مَدَّةً : جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ مَدَّةَ تَرْكِ الْحَرْبِ فِيهَا •

ويخلوا بني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيها دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد بجوا، فوالله لأقاتلهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفى، أو ليُنْفَذَتْ الله أمره. قال بُدَيْل : سنبليهم ما نقول - فانطلق حتى أتى قريشاً فقال : إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا في أن نتحدثنا عنه بشئ؛ وقال ذوو الرأي منهم : هات كما سمعته يقول؛ قال : سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهم : إنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت. فاتهموه وجبهوه وقالوا : إنا كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً، ولا يحدث بذلك عنا العرب؛ ثم بثوا إليه مَكْرَز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر ابن لؤى، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : هذا رجل فادر. وفي رواية : «فاجر». فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بثوا إليه الخليل بن علقمة أو ابن زبآن، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا من قوم يتألهون، فابستوا الهدى في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى في قلائده، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً

- (١) جوا : استراحوا . (٢) جيهوه : قهوه بما يكره .
- (٣) كذا في يد - وفي أ : « ولا تحدث بذلك العرب عنا » .
- (٤) كذا في ابن هشام ، والطبرى . وفي الأصل : « ابن ريان » .
- (٥) في حاشية ج : « ذقنه : الثعب ؛ قال رؤبة : ضحك واستزأن من تألمى » .
- (٦) في أ : « سال » - (٧) أوباره : جمع ويز وهو صوف الأبل . وفي أ : « أوتاره » .
- (٨) محل الهدى : الموضع أو الوقت الذى يحل فيه تحركه .

- لما رأى ، فقال لهم ذلك ؛ فقالوا له : يا حُلَيْس ، إنما أنت أعرابي لا علم لك ؛ فقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاهدناكم ، أبصّد عن بيت الله من جاءه معظماً له ؟ والذي نفس الحُلَيْس بيده لَنُحِلَّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لَنُفَرِّقَ بالأحباش قرة رجل واحد ؛ فقالوا له : مَهْ ، كف عنا يا حُلَيْس ، ودعنا حتى نأخذ لأتسنا ما نرضى به ؛ قال : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي ، فقال لهم : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يليق منكم من يشتموه إلى عهد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرّقت أنكم والد واني ولد — وكان عروة لِسُبيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذي نابكم ، بغفمت من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . نفرج حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس بين يديه ١٠ ثم قال : يا عهد ، أجمعت أو شأب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ يا عهد ، أرايت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإنها قريش قد نرجت منها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النور ، يهادون الله لا تدخلها عليهم عنة [أبدا] وإني لأرى وجوها وأوشاباً من الناس خليقاً ١٥ أن يفزوا ويدعوك ، وإيم الله ، لكانى هؤلاء قد انكشفوا فدا عنك . وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال لعروة : امصص بظُر اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ — واللوات طاغية قيف التي كانوا

٨٢
١٥

(١) في حاشية : « أوشاب : أى أخلاط من الناس . وأوشاب : مثل أو باش . »

(٢) بيضتك : أصلك وعشيرتك . (٣) ساقطة من أ .

(٤) في الأصول : « خفا » ، والتصويب من المواهب . ٢٠

(٥) أقام أبو بكر رضي الله عنه عبود عروة ، وهو صهبة اللات مقام أمه ، لأن عادة العرب الشتم بذلك بلفظ الأم ، فأبدله المديق باللوات ، فزله منزلة امرأة تخفوا لعبوده . وفي أ : « بضر اللات » .

يسيدونها — فقال : من هذا يا عهد ؟ قال : هذا ابن أبي خُفَّاة ، قال : أما والله لولا
 يد^(١) كانت لك عندي لكافأئك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحية
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفُف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قبل ألا تصل إليك ؛ قال : فيقول عروة : ويحك ! ما أفظك وما أغلظك ! قال :
 فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : من هذا يا عهد ؟ قال : « هذا
 ابن أخيك المغيرة بن شعبة » قال : أي عُذْر ، وهل غسّلت سواك إلا بالأمس ؟ —
 وكان المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من^(٢) ثقيف ،
 صحبهم قتلهم وأخذ أموالهم . ثم جاء فأسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « أما الإسلام فقد قبلناه ، وأما المال فإنه مال عُذْر ، ولا حاجة لنا فيه » . قال : ولما
 قتلهم المغيرة تباعح الحيّان من ثقيف : رهط القتل ورهط المغيرة ، فودى عروة
 المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر ، فلذلك قال للمغيرة ما قال —
 قال : ثم كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بنحو ما كلم به أصحابه ، فقام
 من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ
 إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يمسق بَصَاقًا إلا ابتدروه . ولا يسقط من شعره
 شيء إلا أخذوه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّثون^(٣) النظر إليه تعظيما

(١) كان عروة قد تحمل بدة فاعانه فيها أبريكير عشر فلائس ، وكان غيره يمينه بالائتين والثلاث .

(٢) في - : « ما أظك وأغلظك » .

(٣) كما في - : « بني مالك من ثقيف » .

(٤) يحدّثون : يحدثون .

له . فرجع إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، والله لقد وفدتُ على الملوك ، وفدت على قيصر في ملكه ، وكسرى في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب عدي ، والله إن تخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلّك بها وجهه وجلّده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا نوضاً كادوا يقتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا عنده خفّضوا أصواتهم ، وما يُحدثون النظر إليه تعظيماً له ، ولقد رأيت قوما لا يُسامونه لشيء أبداً ، فرأوا رأيكم . وفي رواية قال : وإنه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها .

- قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير يقال له : الثعلب ، ليبلغ أشرافهم ما قد جاء له ، فعقروا الجمل وأرادوا قتل خراش ، فنتشه الأحابيش ، فغلّوا سبيله . قال :
- وبعث قريش أربعين رجلاً منهم أبو حمسين ، وأمرهم أن يطبقوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا وأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعا عنهم ، وخلّ سبيلهم ، وكانوا رموا في السكرك بالجماعة والنبل . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبحثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش مدلوقي إياها ، وظففتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبثه إلى أبي سفيان ابن حرب وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا .

البيت ومعظم الحرمته . نخرج حتى أتى مكة ، فلقبه آبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها ، فغمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما فرغ عثمان من الرسالة قال له : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قُتل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تبرح حتى نناجز القوم " . ودعا الناس إلى البيعة .

ذكر بيعة الرضوان

٨٣
١٥

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، قال النملبي^(١) : وكانت سُمرة . قال : وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن عثمان بن عفان قُتل قال : " لا تبرح حتى نناجز القوم " ؛ ودعا الناس إلى البيعة ، قال : فكان الناس يقولون : بأيّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت . وقال عبد الله ابن مقفل : كنت قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم ويدي غصن من السُمرة أذب عنه وهو يبايع الناس ، فلم يبايعهم على الموت وإنما يبايعهم على ألا يفزوا . قال جابر بن عبد الله : فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس أخو بني سلمة ، لكأنى أنظر إليه لاصفا بإبط ناقته ، مستترا بها عن الناس .

وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بني أسد يقال له : [أبو] سنان ابن وهب . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكروا من أمر عثمان باطل . واختلف في عدد أهل بيعة الرضوان ، وهو مئتي على الاختلاف في عدد

(١) السمرة : شجرة الطلح . (٢) ساسة من ٤٠ وفي اسمه خلاف ، وانظر أمه الثانية ٥ : ٢٣١

- أصحاب عمرة المدينة كما تقدم ، لم يختلف منهم إلا الجَدَّ بن قيس ، قالوا :
ولما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بايع لثمان ، فضرب بإحدى يديه
على الأخرى . روى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ،
فسأله عن عثمان رضى الله عنه ، أكان شهيد بدرًا ؟ قال : لا ؛ قال : أكان شهيد
بيعة الرضوان ؟ قال : لا ؛ قال : فكان من الذين تولوا يوم أُتني الجحمان ؟ قال :
نعم . قال : فانطلق الرجل ؛ فقيل لعبد الله بن عمر : إن هذا يرى أنك قد عبته ،
قال : على " به " فأنى به فقال : أما بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب
له بسهمه [وأجره ^(١)] ؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يد عثمان ، وأما الذين تولوا يوم أُتني
الجحمان فقد عفا الله عنهم ، فاجتهد على جهلك ^(٢) .

- وأنزل الله عز وجل في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة
قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) . قال
الكوفي : معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة . وقال ابن كيسان :
قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم . ثم قال تعالى : (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ حَبَّةٍ مِنْ زَيْتٍ) وهو الجنة . وقوله
تعالى في السورة أيضا : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الصدق والوفاء (فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) .
قيل : فتح خير ؛ روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : " لا يدخل النار أحد من بايع تحت الشجرة " .

(١) ساقط من ١ .

(٢) اجتهد جهلك ، أى الخ غايبك .

ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط

قال : ثم بعث قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو
أخا بني عامر بن لؤي ، فقالوا : إيتِ عدا فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن
يرجع عنا عامه هذا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : " قد سهل أمركم ، القوم مأثون إليكم بأرحامهم ، ومائلوكم الصلح ، فاعتنوا
المهدي وأظهروا التلية ، لعل ذلك يلين قلوبهم " . فلبسوا من نواصي العسكر حتى
ارتجت أصواتهم بالتلية ، قال : وانهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتكلم فاطال ، وتراجعا ، ثم جرى الصلح بينهما ، فلما التأم الأمر
ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ؟ قال :
بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال :
بلى ، قال : فلعلهم نعطى الذينة ^(١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : أيها الرجل ، إنه رسول الله ،
وليس نمعي رأيه ، فاستمسك بنفره حتى تموت ، فوالله إنه لعل الحق ؟ قال عمر :
أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت نطوف به ؟ قال : بلى ، فأخبرك أنك تأتيه ^(٢)
العام ؟ قال : لا ، قال : فإني آتيه ومطوف به . قال : ثم جاء عمر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : ألسنت رسول الله ؟ قال : " بلى " ، قال : ألسنا على الحق

(١) الذينة : الخصلة الخسيفة .

(٢) كذا في ١ ، ٢ ، وفي الكشف والبيان : « وليس يصح ديه » .

(٣) فاستمسك بنفره : أى تمسك بأمره فلا تخلفه ، كالتى تمسك بركاب الزاكب . وللفرق للإبل
بمزة الركاب للفرس .

(٤) كذا في ١ ، ٢ ، وفي ٣ : « أنه يأتيه » .

- وعدونا على الباطل؟ قال : "بلى" ، قال : فلم تعطى الدنيا في ديننا إذا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري" . وفي رواية قال : "إني عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ولن يضيعني" . قال عمر : أليسَ تحدثنا أنا سنأتي البيت فنعطوك به ؟ قال : "بلى ، هل أخبرتك أنك تأتيه العام؟" قال عمر : لا ؛ قال : "فإنك آتيه ومطوف به" . قال عمر : وافته ماشككت منذ أسلمت ^(١) إلّا يومئذ ، فإزلت أصوم وأنصتق وأصلّ وأعنتق من انذى صنعت [يومئذ] ^(٢) غشافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت خيرا . قالوا : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : "اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم" ، فقال سهيل : أما الرحمن فلا أدري ما هو ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم [كما كنت تكتب ، قال المسامون : لا والله لا تكتبها إلّا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اكتب : باسمك اللهم"] فكتبها ، ثم قال : "اكتب : هذا ما صالح عليه عهد رسول الله سهيل بن عمرو" . فقال سهيل : وافته لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وافقه إني رسول الله وإن كنت كذبتوني" ، ثم قال لعلي : "أعز رسول الله" . فقال : والله لا أعصوك أبدا . فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس يحسن يكتب فحماه ؛ ثم قال : "اكتب : هذا ما قاضي عليه عهد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن

(١) ساقطة من أ .

(٢) في أ : « قال » .

(٣) ما بين القلانتين ساقطة من أ .

بعض ، وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب عهد حابا أو معتمرا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله ، ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو الشام ، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ، وعلى أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش بنير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا عن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه . فاشتد ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من جاءهم منا فابعده الله ، ومن جاءنا منهم وردناه إليهم فإن علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجا" . وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلل^(١) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد عهد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتوالت حُرَامة فقالوا : نحن في عقد عهد وعهده . وتوالت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وعلى أن تخلوا بيننا وبين الليث [فنتطوف به .] " فقال سهيل : والله لا نتحدث العرب أنك أخذتنا ضُفطة^(٢) ، ولكن لك ذلك من العام المقبل ، فكتب : وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك ، فأقت بها ثلاثا ، ولا تدخلها بالسلح إلا السيوف في القرب ، وسلاح الزاكب ، وعلى أن هذا الهدى حيثما حبستاه محله ، لا تقدمه علينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نحن نسوقه وأنتم تردون وجوهه" ! قال : فيينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرُسف في قيوده ،

(١) حبة مكفوفة ، أى أمورا مطلوبة في صدور سليمة ، إشارة إلى ترك المواظبة بما تقدم بينهم

من أسباب الحرب وغيرها . (٢) لا إسلال ولا إغلل ، أى لا سرقة ولا غيبة .

(٣) ساقطة من أ . (٤) الضفطة : الإكراه والشدة .

- وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بثيابه ، وقال : يا عدو ، قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، وهذا أول من أقامك عليه أن تردّه إلينا ، ثم جعل يجزّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أُرِّدْ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ليُفتنوني عن ديني ؟ ألا ترون ما قد لفتت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا جندل ، احْتَسِبْ ، فإن الله جاعل لك ولن مملك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عاهدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلماً ، وأعطيناهم على ذلك عهداً ، وإنا لا ننّدر" . قال : فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنا دم أحدهم دم كلب - ويدنى قائم السيف منه - قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضرب الرجل بأبيه .

- قال : وكانت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما به ، قالوا : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب ، وفرغت القضية أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبا بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ^(١) أخا بني عبد الأشهل ، ومُصَكَّرَ بن حَفْص بن الأخيف ، وهو مشرك ، وعلي بن أبي طالب ، وكان هو كاتب الصحيفة . قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ذ : محمود بن أبي مسلمة .

وسلم من قضيته سار مع الهدى ، وسار الناس ، فلما كان الهدى دون الجبال التي
تطلع على وادى التنية عرض له المشركون ، فودّوا وجوهه ، فوقف النبي صلى الله
عليه وسلم حيث حبسوه ، وهى الحديبية ، وقال لأصحابه : " قوموا فانحروا ،
ثم اقلقوا " . قال : فوافقه ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات ؛ فلما
لم يبق منهم أحد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سامة ، فذكر لها
ما نقي من الناس ؛ فقالت له أم سامة رضى الله عنها : يا نبي الله ، اخرج ولا تكلم
منهم أحدا كلمة حتى تحمر بدنك ، وتدعو خلقك فيحلفك . فقام صلى الله عليه
وسلم فخرج فلم يكلم أحدا منهم كلمة حتى تحمر بدنته ودعا خلقه لحلقه ، وكان الذى
حلقه ذلك اليوم نحرش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس ذلك قاموا
فانحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما . قال عبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : حلق رجال يوم الحديبية وقصر
آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يرحم الله المحلقين " . قالوا :
يا رسول الله ، والمقصرين ؟ قال : " يرحم الله المحلقين " ؛ قالوا : يا رسول الله ،
والمقصرين ؟ قال : " يرحم الله المحلقين " ؛ قالوا : يا رسول الله ، والمقصرين ؟
[قال : " يرحم الله المقصرين "] قالوا : يا رسول الله ، فلم ظاهرت الترس على
المحلقين دون المقصرين ؟ قال : " لأنهم لم يشكوا " . قال ابن عمر : وذلك أنه تربص
قوم قالوا : لعلنا نطوف بالبيت .

(١) ق ١ : « بعضهم » .

(٢) ما بين اللامين ساقط من أ .

ذكر رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

وتزول سورة الفتح

قال الزهري : وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قائلًا حتى كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ .

- روى قتادة عن أنس قال : لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حبل بيننا وبين نُسُكًا، ففتح بين الحزن والكآبة، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ الآية كلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد أنزلت على آية هي أحب إلي من الدنيا كلها" . وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير معه ليلا ، فسأله ^(١) [عمر] عن شيء فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، قال عمر رضى الله عنه : فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس ، وخشيت أن يكون نزل في قرآن ، فبحث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ، فقال : " لقد أنزلت على الليلة آية لي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس " . ثم قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ . وقد اختلف في الفتح ، ما هو ؟ فقال قتادة عن أنس : فتح مكة ، وقال مجاهد والموقي : فتح خيبر ، وقال آخرون : فتح الحديبية ، ويدل عليه ما روى عن جُمُع بن جارية الأنصاري ، — وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن — قال : شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزؤون ^(٢) الأباغر ، فقال بعض الناس لبعض : ما بال الناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فخرجنا نُوَجِف ^(٣) ، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ساقطة من أ . (٢) في القرطبي ج ١٦ ص ٢٥٩ : سورة ٥ .

(٣) يهزؤون الأباغر : يمشطونها بالجداء . لنصف وتشرح في سيرها .

(٤) الإيجاف : سرعة السير .

٨٦
١٥

واقفا على راحته عند كُرَاعِ الْقَعِيمِ^(١) ، فلما اجتمع إليه الناس قرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ فقال عمر : أوفتح هو يا رسول الله ؟ قال : «نعم» ، والذي نفسى بيده إنه لفتح . وقال الشعبي رحمه الله : فتح الحديدية ، غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأطعموا نخل خير ، وبلغ الهدى محله ، وظهرت الروم على فارس ، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس . وقال مقاتل بن حيان : يسرنا لك يسرا بينا . وقال مقاتل بن سليمان : لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا آذِرِي مَا يَفْعَلُ فِي وَلَا يَكُمُ ﴾ فرح بذلك المشركون والمنافقون وقالوا : كيف نقيم رجلا لا يدري ما يفعل به وبأصحابه ، ما أمرنا وأمره إلا واحد ، فأنزل الله عز وجل بعد ما رجع من الحديدية : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ أى قضينا لك قضاء بينا ﴿ لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ فنسخت هذه الآية تلك . قال سفيان الثوري : ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ ما عملت في الجاهلية ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ كل شيء لم يعمل به . وقال عطاء بن أبى سلمي الخراساني : ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ يعنى ذنب أبويك آدم وحواء يبرئك ﴿ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ذنوب أمك بدعوتك . وقال الزبائدي : أى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه . ﴿ وَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ﴾ أى بالنبوة والحكمة ﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ أى ويثبتك عليه ، وقيل : يهدي بك ، ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ غالباً ، وقيل : معزاً .

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، قال الثعلبي : أى الرحمة والطمأنينة . قال ابن عباس رضى الله عنهما : بعث الله عز وجل نبيه عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدقوه زادهم

(١) كراع القعيم : موضع بباحة الجاز بين مكة والمدنة . (٢) ١ : « الخ » .

الصلاة، [فلما صدَّقوه زادهم الزكاة] . فلما صدَّقوه زادهم الصيام ، فلما صدَّقوه زادهم الحج ، ثم زادهم الجهاد ، ثم أكل منهم دينهم ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ أى تصديقاً بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان . وقال الضحاك : يقينا مع يقينهم . وقال الكلبي : هذا فى أمره الحديبية . وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ على الناس قوله : ﴿ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ قالوا : ههنا مرثنا يارسول الله ، قد دين الله ما يفعل بك ، فما يفعل بنا ؟ فأزل الله تعالى : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُوزًا عَظِيمًا ﴾ ثم قال تعالى ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السُّوءِ ﴾ إن لم ينصر عهد المؤمنين ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ ﴾ بالذلل والعذاب ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَسْبُحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ثم ذكر الله تعالى قصة البعثة ، وقد تقدمت .

ثم قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَقُولُونَ بَالَيْسَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : يعنى أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والدليل ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد السير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استغفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ، ليخرجوا معه حذرا من قريش

أن يعرضوا له بحرب أو يصذوه عن البيت ، وأكرم هو صلى الله عليه وسلم بالعمرة وساق معه الهدى ، يعلم الناس أنه لا يريد حربا ، فتناقل عنه كثير من الأعراب وقالوا : نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فقتلهم ؟ فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل ، فأنزل الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ ، الآية . أى إذا انصرفتم إليهم فماتت بهم على التخلف عنك ﴿ شَقَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ ثم كذبهم في اعتذارهم واستغفارهم ، وأخبر عن أسرارهم وإخمارهم ، فقال : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَّ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ وذلك أنهم قالوا : إن عمدا وأصحابه أكلت رأس ، فلا يرجعون ، فإن تذهبون ؟ انتظروا ما يكون من أمرهم . ﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ أى هالكين فاسدين ، لا تصلحون لشي من الخير . قل تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَاتِمِ لِنَأْخُذَهَا ذُرُونَا تَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْدُودُنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قال : ﴿ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ أى عن الحديبية ﴿ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَاتِمِ ﴾ يعنى غنائم خيبر ﴿ ذُرُونَا تَتَّبِعْكُمْ ﴾ أى إلى خيبر ، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ معناه يريدون أن يغيروا وعد الله الذى وعد أهل الحديبية ، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضا عن غنائم أهل مكة ، إذ انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئا . وقال ابن زيد :

٨٧
١٥

هو قوله عز وجل : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِتَخْرُجَ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ قال : والأول أصوب ، لأن قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا ﴾ نزلت في غزوة تبوك . قال : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ أى من قبل مرجعنا إليكم : إن غنيمة خير لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب : ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْصُدُونَنَا ﴾ أى أن نصيب معكم من الغنائم .

قوله تعالى : ﴿ قُلِ لِلْمُحْطَفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ ، قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن أبي ليلى وبجاهد : هم فارس . وقال كعب الأحبار : الروم . وقال الحسن : فارس والروم . وقال عكرمة : هوازن . وقال سعيد بن جبير : هوازن وتقيف . وقال قتادة : هوازن وغطفان يوم حنين . وقال الزهري ومقاتل : بنو حنيفة أهل البجامة أصحاب منبلة الكتاب . وقال رافع بن خديج : والله لقد تكافروا هذه الآية فيما مضى : ﴿ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله عنه إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ يُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما نزلت هذه الآية قال أهل الزماعة : فكيف بنا يا رسول الله؟ فأزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ يعنى عن التخلف عن الجهاد والقعود عن الفزوة . ﴿ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ يعنى فى ذلك : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم برضاه عن أهل بيعة الرضوان ، فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ، وقد تقدم ذكر ذلك آنفا . ثم قال تعالى : ﴿ وَذَكَرَ اللَّهُ مَغَافِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ . وهى الفتوح التى تفتح لم إلى يوم القيامة ﴿ فَجَبَلْ لَكُمْ هَٰذِهِ ﴾ . يعنى خيبر . وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر . ثم قال تعالى : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ قال : معناه ووعدهم الله فتح بلدة أنشأ لم تقدرها عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم . واختلفوا فيها ، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبى لى والحسن ومقاتل : هى فارس والروم ، وقال الضحاك وابن زيد وابن إسحاق : هى خيبر ، وعددها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها . وهى رواية عطية وبازان عن ابن عباس . وقال قتادة : هى مكة . وقال مجاهد : ما فتحوا حتى اليوم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأُدْبَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ، قال : يعنى أسدا وغطفان وأهل خيبر . وقال قتادة : يعنى كفار قريش ، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْفِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ، واختلفوا فى هؤلاء ، فقال أنس : إن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل النعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم ، فأخذهم

(١) فى - : « أسماء أى ربيعة » .

(٢) النعيم : موضع بمكة فى الحل بين مكة ومكة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم سائما فأعتقهم ، فأزله الله عن وجل الآية . وقال
عكرمة عن ابن عباس : إن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خنسين ،
وأمرهم أن يطيفوا بمسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد قدما ذكرهم .

وقال عبد الله بن مغفل : كما مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة ،
وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة ، فرفعه عن ظهره ، وعلى بن أبي طالب
رضي الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو ، فخرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح ، فتأروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخذ الله بأبصارهم ، فقمنا إليهم فأخذناهم ، نخل عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأزله الله عن وجل الآية . وقيل : غير ذلك . والله تعالى أعلم .

- ١٠ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدِينِ مَكْرُهُمْ أَن يَبْلُغَ عِلَّةٌ ﴾ الآية . وهي قصة الحديبية وقد تقدم شرحها . وقوله تعالى :
﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَّوُّوهُمْ تَقْصِيصُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ
يُغَيِّرُ عِلْمٌ يَدْخُلُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنْ شَاءَ لَوْ تَرَىٰ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابَ الْآلِيَاءِ ﴾ ،
قال : قوله : ﴿ أَن تَطَّوُّوهُمْ ﴾ أى تقتلوهم ﴿ تَقْصِيصُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ يُغَيِّرُ عِلْمٌ ﴾ ، قال
ابن زيد : إثم . وقال ابن إسحاق : غُرْم الدية . وقيل : الكفارة . لأن الله عز وجل
١٥ إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجرا منها ولم يعلم قاتله
إيمانه الكفارة دون الدية . وقيل : هو أن المشركين يبيعونكم ويقولون : قتلوا
أهل دينهم . والمعزة للمشقة ، وأصلها من العز وهو الحرب . قال : فلولا ذلك لأذن
لكم في دخول مكة ، ولكنه حال بينكم وبين ذلك . ﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾

٢٠ (١) سلبا : قال ابن الأثير : « يروى بكسر السين وضحا ، وهما لثان الصلح » . وقال الخطابي :
« إنه لم يفتح السين واللام ، ريد الاستسلام والإذعان » .

أنى فى دين الإسلام « مَنْ يَشَاءُ » من أهل مكة قبل أن تدخلوها . قال : وقال بعض العلماء : قوله « لَمَذْبَنًا » جواب لكلامين أحدهما « وَلَوْ لَا رَجُلٌ » والثانى « لَو تَزِيلُوا » أى تَمْيزُوا . وقال قتادة فى قوله : « لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ » أى أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركى مكة . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : « لَو تَزِيلُوا لَمَذْبَنًا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » قال : « هم المشركون من أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان بعدهم فى عصره ، كان فى أصلاهم المؤمنون ، فلوتريل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا أليما » .

قوله تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) ، قال ابن إسحاق : يعنى سهيل بن عمرو حين حذى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم . وإن جذا رسول الله . (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ، قال : كلمة التقوى يعنى الإخلاص ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى قوله تعالى : « وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » : « لا إله إلا الله » . وهو قول ابن عباس وعمر بن الخطاب ومجاهد وقتادة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مصرف والربيع والسدى وابن زيد . وقال عطاء الخراسانى : هى لا إله إلا الله عهد رسول الله . وعن على رضى الله عنه قال : كلمة التقوى : لا إله إلا الله والله أكبر ، وهو قول ابن عمر . وقال عطاء بن أبى رباح : هى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وعن الزهري : كلمة التقوى هي
بسم الله الرحمن الرحيم .

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ
دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ، قال : الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه
يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام . قوله : « فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا » أى أن الصلاح
كان في الصلح . « فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا » قيل : صلح الحديبية .

ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أى أنك نبى صادق فيما نخبه .

- ثم وصف تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال تعالى : ﴿ وَحَمْدُ
رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشِدُّ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً مِنْهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا مُجْتَهِدِينَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّامُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي السُّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطَاةً فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوقِهِ يُنْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَصْفُيَهُمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مُتَّفِرَةً وَابْتِغَاءً عَظِيمًا ﴾ . قال العلبي رحمه الله تعالى : قوله : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ » ثم الكلام هاهنا ، معنى الكلام الأول ، ثم قال مبتدأ : « وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَشِدُّ عَلَى الْكُفَّارِ » أى غلاظ لا تأخذهم فيهم لافية . « وَرُكَّعًا مُجْتَهِدِينَ » أى متطافون
متوادلون بعضهم على بعض . « يَتَفَقَّهُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ » أى يأخذونهم جنته .
« وَرِضْوَانًا » رضى عنهم . « سِيَّامُهُمْ » علامتهم . « فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ »
واختلف العلماء في هذه السياة ، فقال قوم : هو نور ويباض في وجوههم يوم

القيامة ، يعرفون تلك العلامة أنهم سجدوا في الدنيا ، وهي رواية السوفي عن ابن عباس . وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس : استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا . وقال شهر بن حوشب : يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر . وقال آخرون : هو السمّ الحسن والخشوع والتواضع . وقال منصور : سألت مجاهدا عن قوله تعالى : « سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ » أهو الأثر يكون بين عيني الرجل ؟ قال : لا ، ربما يكون بين عيني الرجل مثل رُكبة البعير ، وهو أقسى قلبا من المجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع . وقال ابن جريج : هو الوقار والبهاء . وقال شمر بن عطية : هو التبيح وصفرة الوجه وأثر السهر . وقال الحسن : إذا رأيتهم حسبتهم مرضى ، وما هم بمرضى . وقال عكرمة وسعيد بن جبير : هو أثر التراب في جباههم . وقال عطية الخراساني : دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس . « ذَلِكَ مَثَلُهُمْ » أي ذلك الذي ذكرت « مَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي التَّوْرَةِ » قال : وما هنا تم الكلام . ثم قال : « وَمَثَلُهُمْ » صفتهم « فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطَاً » ؛ قال أنس : « شَطَاً » نباته . وقال ابن عباس : سنبله . وقال مجاهد والضحاك : ما يخرج تحت الحيلة ^(١) فينمو ويتم . وقال مقاتل : هو نبات واحد ، فإذا خرج ما بعده فقد شطاه . وقال السدي : هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى . وقال الفراء : الأشرطة : الزرع إذا نبت سبعا أو ثمانيا أو عشرا . وقال الأحفش : فراخه ، يقال : أشطأ الزرع فهو مشطأ إذا فوّخ ، قال الشاعر :

أحرج الشطء على وجه الثرى * ومن الأشجار أفنان الثمر

قن . وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، يعني أنهم

كانوا يكفون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون . قال قتادة : مثل أصحاب

(١) غنمة ، بالفتح والكسر : ما ينبت من الماء الصافي في الخوض .

- محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينتون نبات الزرع، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر. «فَأَزْرَهُ» قَوَاهُ وَأَعَانَهُ وَشَدَّ أَزْرَهُ. «فَأَسْتَظِلُّهُ»، فَظَلَّهُ وَفَوَّى. «فَأَسْتَوِي» تَمَّ وَتَلَحَّقَ نَبَاتُهُ وَقَامَ. «عَلَى سَوْقِهِ» أَصُولُهُ. «يُجِيبُ الزَّرْعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» يَبْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَعَلَ ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ. قَالَ التَّعْلِيُّ بِسَنَدٍ يَرْفَعُهُ إِلَى الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ عَنِ وَجَلٍ : «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وَالَّذِينَ مَعَهُ ، أَبُو بَكْرٍ. «أَشَدُّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ. «تَرَاهُمْ رُكَّامًا مُجْبَدًا» عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. «يَتَنَفَّحُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» طَلْعَةُ وَالزَّيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ. «سَيَّأَمُّ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»، قَالَ : هُمُ الْمُبَشَّرُونَ، أَوْلَمُ أَبُو بَكْرٍ وَأَحْرَمُ أَبُو عُبَيْدَةَ. «ذَلِكَ مَتْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَتْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ» قَالَ : نَسْتَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ كَنَثْلِ زَرْعٍ. قَالَ : الزَّرْعُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. «أَتَرَجَّ شَطَاءُ» أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ. «فَأَزْرَهُ» عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. «فَأَسْتَظِلُّهُ» عُثْمَانُ ، يَبْنِي اسْتَظْلَمَ عُثْمَانُ لِلْإِسْلَامِ. «فَأَسْتَوِي عَلَى سَوْقِهِ» عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، يَبْنِي اسْتَقَامَ الْإِسْلَامُ بِسَنَفِهِ. «يُجِيبُ الزَّرْعَ» قَالَ : الْمُؤْمِنُونَ. «لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» قَالَ : قَوْلُ عُمَرَ لِأَهْلِ مَكَّةَ : لَا نَعْبُدُ اللَّهَ سِرًّا بِسَدِّ الْيَوْمِ . رِضْوَانُ اللَّهِ طَائِفَةُ أَجْمَعِينَ .

ذَكَرُ خَيْرِ أَبِي بَصِيرٍ وَمَنْ لَحِقَ بِهِ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ

قَدْ اخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ ، فَقِيلَ : عُيَيْدُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :

عُتْبَةُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ . وَعَنْ أَبِي مَعْشَرٍ قَالَ : بِاسْمِهِ عُتْبَةُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَةَ بْنِ

٩٠
١٥

أسيد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن نيرة بن عوف بن قسي، وهو ثقيف ابن منبه بن بكر بن هوازن - حليف لبني زهرة - وخبره وإن لم يكن داخلا في جملة أنفوزات والسرايا فليس هو صافيا، وموجب إيرادنا إياه في هذا الموضع لتعلقه بنزوة الحديبية، ولأن رده كان من شروط الهدنة. ونحن نورده هاهنا على ما أورده الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - رحمه الله تعالى، في كتابه المترجم بدلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد ابن إسحاق رحمه الله تعالى، يدخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا :

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انفلت رجل من أهل الإسلام من ثقيف، يقال له : أبو بصير بن أسيد بن جارية الثقفى من المشركين، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما مهاجرا، وكان ممن حُسن بمكة، فكتب فيه أزهري بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبثا رجلا من بني عامر بن لؤى، ومعه مولى لهم، ويقال : كانا من بني منقذ، أحدهما مولى والآخرون من أنفسهم، اسمه جحش بن جابر، وكان ذا جلد ورأى في أنفس المشركين، وجعل لها الأخنس في طلب أبي بصير جُملا، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الفدر، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق إلى قومك ". فقال : يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يقتلونني في ديني ؟ قال : " انطلق، فإن الله سيجعل لك فرجا

- وغرجا^(١)، وذفعه إليهما، فغربا به، حتى إذا كانا بذى الحليفة^(٢) سلّ بجمش سيفه، ثم هزّه وقال: لأضربنّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال له أبو بصير: أو صارم سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولنه أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد، ويقال: بل تناول أبو بصير سيف بجمش بفيه، وهو قائم، فقطع به إساره، ثم ضربه به حتى برد؛ وطلب الآخر^(٣) فحزم مذعورا مستخفيا، حتى دخل المسجد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم حين رآه: "لقد رأى هذا ذُعرا"؛ فأقبل واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ويحك! مالك؟" فقال: قتل صاحبكم صاحبني. وجاء أبو بصير يتلوّه، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وَقَتَ ذِمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ، دفعتني إليهما فعرفت أنهنّ سيعذّبونني ويقتلوني عن ديني، فقتلت المنقذ، وأنفنتي هذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويلُ أمّه يسمر حرب لو كان معه رجال!"، وجاء أبو بصير بسلبه فقال: تحسّ يا رسول الله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني إن تحمسته لم أوفّ لهم بالقدي عاهدتهم عليه، ولكن شألك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت". فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قدموا مسلمين من مكة حيث قدم، ولم يظلمهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العيص وذى المروة من أرض جهينة، على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر، لا تمر

(١) ذى الحليفة: قرية بين المدينة ستة أميال أوسية، ومنها ينشأ أهل المدينة.

(٢) جز: عدا وأسرع.

(٣) سمر الحرب: موقعا، يقال: وجل سمر حرب إذا كان يؤرثها، أي يحمي به الحرب؛

يتجنب التي من شجاعتها وجرأتها وإقدامها.

بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وانفلت أبو جندل بن سُهَيْل بن عمرو - واسم أبي جندل العاص بن سُهَيْل على ما أورده الزبير بن بكار - في سبعين راجعا أساموا ، فلهحقوا بأبي بصير حين بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "وَيْلٌ أمةٍ يَسْعُرُ حربٌ لو كان معه رجال" ، ففقطموا مادة قريش من طريق الشام . وكان أبو بصير يصبى لأصحابه ، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم ، واجتمع إلى أبي جندل فاس من بنى غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس ، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل ، وهم مسلمون ، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير ، لا تمر بهم مير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وقال أبو جندل في ذلك :

أبلغ قريشاً عن أبي جندل * أنا بذى المروة بالساحل
في معشر تخفق رأياتهم * بالبيض فيها والقنا الذبيل^(١)
يآبون أنت تبقى لم رقة * من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لم عرجا * والحق لا يقلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه * أو يقبل المرء ولم يأتل^(٢)

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامهم إلا آواهم ، وقالوا : لا حاجة لنا بهم . قال البيهقي : وقالوا : من نرج منا إليك فأسكه غير حرج أنت فيه ، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره . فلما كان ذلك من أمرهم ، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع

(١) ف : أ : « سهل » تصحيف . (٢) ف : أ : « حتى » .

(٣) الذبيل : الدققة اللاسقة القشر - (٤) لم يأتل : لم يتصر .

(٥) ف : ب : « بأرحامها » .

أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لهم فيما أحبوا وكرهوا . وحكى البيهقي : أن هؤلاء هم الذين مر بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه ، فلما بلغهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا من أسروا من أصحاب أبي العاص ، وردوا إليهم جميع ما أخذوه حتى العقال ، وقد تقدم خبر أبي العاص ، وقيل : إنما أخذ في غير هذه السرية . والله أعلم .

- قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما أن يقدمأ عليه ، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهلهم ، ولا يسترضوا لأحد منهم من قریش وعيراتهم . فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي جندل وأبي بصير ، وأبو بصير قد أشرف على الموت ، فأتى وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجدا ، وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ناس من أصحابه ، ورجع سائرهم إلى أهلهم ، وأمنت عيرات قریش .

ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك

- قال محمد بن سعد : غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة سبع من هجرته . وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : في المحرم من السنة . وخير على ثمانية بُرد من المدينة .
قالوا : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لغزاة خيبر ، وأُجلب^(١) من حوله يريدون الغزاة معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يخرجن معنا

(١) يقال : أُجلب القوم إذا صاروا واخطلت أصواتهم .

إلا راغب في الجهاد، وشق ذلك على من بقى بالمدينة من اليهود، نفرج واستخلف على المدينة سباع بن عُرْقُطَةَ الغفاري، قاله ابن سعد والبيهقي . وقال ابن إسحاق : استخلف ثُمَيْلَةُ بن عبد الله اللثبي ، وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها .

قال ابن إسحاق : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر قال في مسيره لعامر بن الأكوع — وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، واسم الأكوع سنان — . « أنزل يا ابن الأكوع ، نغذ لنا من ههناك » ، فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

والله لولا الله ما اعتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بقوا علينا * وإن أرادوا فتنة أئينا

فانزلن سكينه علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا^(١)

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحمك ربك » . ومن رواية البيهقي : « غفر لك ربك » . قال : وما خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قط إلا استشهد . قال ابن إسحاق : فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وجبت والله يا رسول الله ، لو تمتعتنا بهامر ، فقتل يوم خيبر شهيدا ، رجع سيفه عليه وهو يقاتل ، فكلّمه كلّما شديدا فمات .

(١) ههناك : أي من أعبارك وأمورك وأشعارك .

(٢) ذكر هذا الرجز في شرح الزرقاني بأسلوب يختلف عما ذكر هنا في ألفاظه وأبيانه . وقيل عن كتاب الفتح : « أكثر هذا الرجز تقدم في الجهاد من البراء ، وأنه من شعرهيد الله بن ربيعة ، فيحمل أن يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا عليه ؛ بدليل ما وقع لكل منهما مما ليس عند الآخر ، واستان طاهر بعض ما سبقه إليه ابن ربيعة » . ج ٢ ص ٢٦٢ من شرح المعانيب الدينية .

قال : ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سلك على عصر^(١) فبني له فيه مسجدا ، ثم على الصبأ ، ثم أقبل بجيشه حتى نزل بوادي يقال له : الرجيع ، فقتل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين آبائهم ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير جمعوا ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا متقلبة^(٢) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حسا ، وظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خير .

قال : ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه : "يقفوا" فوقفوا ، ثم قال : "اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، أقدموها بسم الله" . قال : ولما نزل بساحتهم لم يحركوا تلك الليلة ، ولم ينصح لهم ديك حتى طلعت الشمس ، وأصبحوا وأفتدتهم تحف ، وفتحوا حصونهم ، وغدوا إلى أعمالهم معهم المساحي^(٣) ، والكرازين - وهي القنوس - والمكائيل - وهي الزناويل - فلما نظروا إلى

٩٢
١٥

(١) عصر : جبل بين المدينة ووادى الفرج ورواه بعضهم بالتحريك ، (وانظر يافوت) .

(٢) في ج : « فيها » .

(٣) الصبأ : موضع قرب خيبر .

(٤) المتقلة : المرحلة من مراحل السفر .

(٥) المساحي : جمع مسحة ، وهي الحجرة من الحديد .

- رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : «مجدوا الخيـس»^(١) — ينون الجيش — فبولوا هاربين إلى حصونهم ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الله أكبر ، خربت خير ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(٢) ، وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وفزق فيهم الرايات ، ولم تكن الرايات إلا يوم خير ، إنما كانت الأولوية^(٣) ، فكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء من برد لمائسة أم المؤمنين رضي الله عنها تدعى العُقاب ، ولواؤه أبيض ، ودفعه إلى علي بن أبي طالب ، وراية إلى الحُباب بن المنذر ، وراية إلى سعد بن عبادة ، وكان شعارهم : «بمنصور أيت»^(٤) ، وكانت حصون خير حصونا ذوات عدد ، منها النطاة ، وحصن الصعب ابن مُغاذ ، وحصن ناعم ، وحصن قلعة الزبير^(٥) ، هذه حصون النطاة . والشَّق وبه حصون منها : حصن أبي ، وحصن التزار . وحصون الكتيبة منها : القموص ، والوطيح ، وسُلام . وسنذكر إن شاء الله فتحها حصنا حصنا . قال : ونخرج مَرحب اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه وهو يقول :
- قد علمت خير أئى مَرحب * شاكى السلاح بطل مَجرب^(٦)
أطعن أحيانا وجينا أضرب * إذا الليوث أقبلت تُحرب^(٧)
* إن حمائى للحمى لا يُقرب .

- (١) سمي الجيش خيـسا لأنه نعمة أقسام : المقدمة ، والمساءة ، والمبسة ، والميسرة ، وانقلب .
(٢) قال في الصباح : «لواء الجيش طه : وهو دن الراية» .
(٣) في شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٧٣ ما يأتي : «مفاد صلف المصنف ما ذكر على النطاة — تبعا لغلطائى — أن النطاة اسم لحصن منار لما بعده ، والشاق جعل النطاة أصما لحصن ناعم والصعب والزبير ، فإن وقتت بينهما فقد قرب بعد النطاة : وحصونها ثلاثة» .
(٤) شاكى السلاح : يريد حادة السلاح .
(٥) تحرب : تقضب .

ثم يقول : هل من مبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنى كعبُ • مفرجُ القمى جرى صلبُ
إذ شبت الحربُ تليها الحربُ • معى حسامُ كالعقيقِ غضبُ
نظاكمُ حتى يُذال الصمبُ^(١) • تعطى الجزاءُ أو يئى^(٢) النهبُ^(٣)
• بكفٍّ ماضٍ ليس فيه عتبُ^(٤)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من لهذا ؟" فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله الموتور الثائر ، قتل أئبى بالأمس ، قال : "فقم إليه ، اللهم أعنه عليه" . ففرج إليه حتى دنا منه ، فحمل مرحب عليه فضربه ، فألقاه بالدرقة ، فاستكت سيفه ، وضربه محمد بن مسلمة فقتله . وقد روى أن الذى قتل مرحبا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونهض من نهض معه من الناس ، فلقوا أهل خير ، فأنكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يُحِبُّه أصحابه ويُحِبُّهُمْ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ، فأخذها عمر رضى الله عنه فقاتل قتالا شديدا أشد من القتال الأول ، ثم رجع ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال : "أما والله لأعطين الراية فدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يأخذها عتوة" . وفى رواية قال : "يفتح الله على

(١) قال أبو ذر الغفنى : «العقيق هنا جمع حقيقة ، ومعى شامع الطريق شبه السيف به»

شرح البصرة ٣٤٦ • غضب : فاطم • (٢) فى ابن هشام : «يذل» • (٣) الجزاء : جمع جزية • النهب : ما انتهب من الأموال • (٤) ليس فيه عتب : أى ليس فيه ما يلام عليه •

(هـ) الشقيقة : نوع من مصادع يمرض فى مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه •

يديه". فبات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يطاها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أين على بن أبي طالب؟" فقالوا : هو يا رسول الله يشتكى عينيه؛ قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه سلمة بن الأكوع فدعاه ، فجاء على بعيره حتى أتاه قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أرمد ، قد عصب عينيه شقة برد قطري^(١) ، قال سلمة : بغت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مالك؟" قال : رمدت؛ فقال : "أدن مني" فدنا منه فنض في عينيه ، ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع ، وما وجههما حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية وقال : "امض حتى يفتح الله عليك" قال : يا رسول الله ، أفأنتهم حتى يكونوا مثلاً؟ قال : "أفد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوافقه لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" روى هذا الحديث أبو نحوه أهل الصحة . ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال : فنهض على الراية وعليه حلة أرجوان حمراء ، وقد أخرج نعلها ، فأتى مدينة خيبر ، وخرج مرحب صاحب الحضر ، وعليه مئزر مصفر ، وهجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خير أتي مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيثاً أضرب * إذا الحروب أقبلت كتهب
كان حياى كالميتى لا يقرب *

(١) القطري : نوع من البرد ينسب إلى قرية يقال لها قطر ، وهي بين عمان والمغرب .

(٢) أفد على رسلك : أى امض على هينك .

(٣) النخل : هذب التظيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

فبرز له علي بن أبي طالب فقال :^(١)

أنا الذي تمتنى آئى حيدرته^(٢) • كلت غابات شديدة قسوره^(٣)
• أهلكم بالسيف بجل السندره^(٤) •

فاختلفا ضربتين ، فبدره علي رضي الله عنه فضربه ، فقتل الحمر والمفر وفاق

• رأسه ، حتى أخذ السيف في الأرض اس • ثم خرج بعد مرحب أخوه يامر ،
وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى يامر • شاكي السلاح بطل مغاور^(٥)
إذا الليوت أقبلت تبادر • إن حاي فيه موت حاضر

وهو يقول : هل من مبارز ؟ فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى زبار • قسرم لقوم غير فكيس فزار^(٦)
• أين حاة المجده ؟ أين الأخيار^(٧) ؟ • يامر ، لا يترك جمع الكفار
• بغمهم مثل السراب الخثار^(٨) •

فقال أمه صفية بنت عبد المطلب : أقتل ابني يا رسول الله ؟ قال : " بل ابنك

يقتله إن شاء الله " ثم التقيا ، فقتله الزبير • ومن رواية أخرى عن سلمة قال : فخرج

- (١) في ج : « على طيه السلام » • (٢) الحيدرة في الأصل : الأسد • وقال
ابن الأعرابي : « الحيدرة في الأسد حال الملك في الناس » • (٣) القسورة : الزيد يقتسر
غيره ، أى يظهروه • (٤) السخرة : مكال كبير • (٥) مغاور : مقاتل كثير
الضارات • (٦) القرم هنا : اليد • (٧) الكس : الضعيف •
(٨) هكذا في ج • وفي أ : « ابن حاة المجدين الأخيار » • وفي الطبري : « ابن حاة المجيد
وإبن الأخيار » • (٩) الخثار : الخلداع •

على رضى الله عنه يهرول هرولة وأنا تلخفه تتبع أثره، حتى ركز رايته في رُغم حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب ؛ فقال اليهودى : علوتم وما أنزل الله على موسى . وقال ابن إسحاق أيضا من رواية أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علي رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضر به رجل من يهود فطرح رأسه من يده ، فتناول علي بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقب ذلك الباب ، فما نغلبه .

قال محمد بن إسماعيل وأبو بكر البيهقي وغيرهما : إن بنى مهم من أسلم أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، جهدنا وما بأيدينا من شيء ؛ فلم يجهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ؛ فقال : " اللهم إني قد عرفت حالهم ، وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها غناء ، وأكثرها طعاما وودَّ^(١)كا " ، ففدنا الناس ، ففتح الله عليهم حصن الصمصم بن معاذ ، وما بجحير حصن كان أكثر منه طعاما وودَّكا . قال البيهقي : واقتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن ثام ، فانتقل من كان من يهود بحصن مصعب بن معاذ وحصن ثام إلى قلعة الزبير ، ويقال : حصن ثام أول ما اقتح من حصونهم ، وعنده قتل محمود بن مسامة ، ألقبت عليه رعى منه فوات . قال : وحصن

(١) في حاشية ١ : « أنا منهم » .

(٢) الرمث : القسم .

- الزير حصن منيع في رأس قلعة^(١)، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ثلاثة أيام، بغاه رجل من اليهود يقال له : غزال؛ فقال : يا أبا القاسم ، تترننى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة ، وتخرج إلى أهل الشَّق ؟ فإن أهل الشَّق قد هلكوا رجا منك ، فأنته رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله وماله ، فقال اليهودى : إنك لو أقت شهرًا ما بالوا ، لم دُبُول تحت الأرض ، يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعهم فيستمنون منك ، فإذا قطعت مشربهم عليهم أصحروا لك . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دُبُولم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشد قتال ، وقتل من المسلمين يومئذ قهر ، وأصيب من يهود في ذلك اليوم عشرة ، وأنتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان آخر حصون النطاة ؛ فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النطاة تحوّل إلى أهل الشَّق ، وبه حصون ، فكان أوّل حصن بدأ به صلى الله عليه وسلم حصن أُبَي ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلعة يقال لها سَمَوان ؛ فقاتل عليها أهل الحصن قتالًا شديدًا ، وخرج رجل من اليهود يقال له غزول ؛ فدعا إلى البراز ، فبرز له الحُباب بن المنذر ، فأخلفا ضربات ، ثم حل عليه الحجاب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع ، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن ، فتبعه الحجاب فقطع عُرْقُوِيَه ، فوقع ، فدُفِنَ عليه ، فخرج آخر فصاح : من يبارز ؟ فبرز له رجل

$$\frac{94}{10}$$

(١) في الأصلين : « في رأس قلعة » والتصويب من دلائل النبوة . وجاء في شرح المواهب اللدنية

ج ٢ ص ٢٧٤ في هذا الحصن : « وكان اسمه حصن قلعة ، لكونه كان على رأس جبل » .

(٢) دبول : جمع دبل ، وهو الجذول .

(٣) أصحروا : يبرروا في الصحراء .

(٤) دُفِنَ عليه : أجهز عليه .

من المسلمين من آل جمش ، تقتل الجمشي ، وقام مكانة يدعو إلى البراز ، فبرز له أبو دجانة ، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المنقر ، يختال في مشيته ، فيدريه أبو دجانة فضر به فقطع رجله ، ثم ذُقَّ عليه وأخذ سلبه ، درعه وسيفه : فغله رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأجمعوا عن البراز ، فكبر المسلمون ، ثم تعاملوا على الحصن فدخلوه ، يقدمهم أبو دجانة الأنصاري ، فوجدوا فيه أثانا ومتاعا وغنا وطعنا ، وهرب من كان فيه من المقاتلة ، وتحموا الجدر كأنهم الظبي إلى حصن التزار ، ففقوه وامتنعوا فيه ، وزحف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقاتلهم ، فكانوا أشد أهل الشق رميا بالنبل والمجارة ، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به ، فأخذ النبل بجمعها ، ثم أخذ كفا من حصباء ، لحصب به حصنهم فجف الحصن بهم ، ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون ، فأخذوا أهله أختا ، ثم تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكبيبة ، فافتح القموص ، حصن أبي الحقيق ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بصفيّة بنت حيّ بن أخطب .

قالوا : ولما أفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما أفتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، آتوا إلى حصنهم : الوطيط والسلايم ، وكان آخر حصون أهل خير أفتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم ، وأن يحقن دماهم . قال البيهقي : حصرهم أربعة عشر يوما وهم لا يظلمون من حصونهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب المتجنق عليهم ، فلما أيقنوا

- بالمملكة سألوا الصلح، وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزل فاكلت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم"، فقل كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم، ويخرجون من خير وأرضها بذرايرهم، ويحلون بين الله صلى الله عليه وسلم وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء
- ١٠ يضاء والكراع والحلقة^(١)، وعلى البر إلا نوبا على ظهر إنسان؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم تنوون شيئا" فصالحوه على ذلك. وكان عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق كثر بنى النضير، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فبجحد أن يكون يعلم مكانه، وقال: نقد في التفة والحروب؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان أكثر من ذلك"، ثم جاء رجل من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني رأيت كتابة يطيف بهذه الخربة كل غداة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانة: "أرأيت إن وجدناه عندك، أقتلك؟" قال: نعم؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحيرت، فأخرج منها بعض كتهم، ثم سأله عما يقي، فأبى أن يؤذيه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام به، فقال: "عذبه حتى تستأصل ماعنده"، فكان
- ١٥ ير يقدح بزبد في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسامة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسامة. ويقال: أن ذلك بعد فتح حصن القموص، وقبل فتح الوطيط والسلام.

(١). الصفراء والبيضاء هنا: الذهب والفضة. والكراع: الخيل. والحلقة هنا: السلاح كله.

قال محمد بن إسماعيل : ولما نزل أهل خيبر على الصلح سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ؛ ^(١) "عل أنا إذا شئنا [أن] نخرجكم أنرجناكم" ، قال : ولما سمع أهل فدك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفتح حصون خيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسألونه أن يُسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويغفلوا له الأموال ، ففعل ؛ وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك مُحَيِّصَة بن مسعود أخو بني حارثة ، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف كما عامل أهل خيبر ، فأجابهم إلى ذلك ؛ "عل أنا إذا شئنا أن نخرجكم أنرجناكم" ؛ فكانت خيبر فينا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يحلوا عليها بخيل ولا ركاب .

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه من أرض الحبشة ومن كان يقي بها من المسلمين ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه والتربه ، وقال : " ما أدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ! " .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر
قالوا : استشهد من المسلمين في غزوة خيبر تسعة عشر رجلا . من قرش وحلفائهم خمسة نفر ، وهم رفاعة بن مسروح ، من بني أمية بن عبد شمس ، ومن حلفائهم ربيعة بن أكرم بن نخيرة ، وقنف بن عمرو بن مُثَيِّط ، ومن حلفاء بني أسد

- ابن عبد العزى أبو عمير عبد الله بن الحبيب - ويقال ابن الحبيب - بن أقيب
 البتي، ومسعود بن ربيعة، حليف لبني زهرة، من القارة. ومن الأنصار أربعة عشر
 رجلا، وهم: بشر بن البراء بن معرور، مات من الشاة المسمومة، وفُضِّل بن النعمان،
 ومسعود بن سعد بن قيس، ومحمود بن مسلمة، وأبو ضيَّاح النعمان بن ثابت،
 والمبارث بن حاطب، ممن شهد بدرًا، وعُروة بن صرة بن سُرَاقَة، وأوس بن
 الفائد، وأُتَيْف بن حبيب، وثابت بن إثلة، وطلحة، ومبشر، وعُمارة بن عقبة،
 وعمار بن الأكوع الأسلمى، وكان قد برز له يهودى، فبرز إليه وهو يقول:
- قد علمت خيبر أنى عامرُ شاكى السلاح بطلُ مقامرُ

- واختلفا ضريبتين، فوقع سيف اليهودى فى ترس عامر، ووقع سيف عامر عليه،
 فأصاب ركة نفسه وساقه، فمات منها. قال مسلمة بن الأكوع: فموت على نفر
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: بطل عمل عامر، فأنيت
 نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاحب أبكى، فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل
 عامر؟ فقال: "ومن قال ذلك؟" قلت: بعض أصحابك، قال: "كذب من
 قاله، بل له أجره مرتين، إنه جاهد مجاهد".

- واستشهد الأسود الراعى - واسمه أسلم، وهو من أهل خير - وكان من حديثه
 حكاة محمد بن إسحاق وأبو بكر الليثي رحمهما الله: أنه أتى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خير، ومعه غم كان فيها أجيرا لرجل من

(١) فى أسد الغابة: «أوس بن الحناك، وقيل: ابن الفائد باللهال؛ وقيل: الفاكه».

(٢) كذا ضبط فى الإمامة: بكسر الهمزة وسكون اللام.

يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فقال : فإذا
 لي إن أنا شهدت وآمنت بالله ؟ قال : « تلك الجنة إن أنت مت على ذلك » ، فأسلم
 وقال : يا رسول الله ، إني كنت أجيأ لأصاحب هذه الغنم ، وهي أمانة عندي ،
 فكيف أصنع بها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجها من عسكرنا ،
 واحصب وجوها ، فإن الله سيؤدى عنك أمانتك ، وترجع إلى ربها » . ففعل
 الأسود وقال : ارجى إلى صاحبك ، فواقه لا أحملك ، فخرجت مجتمعة كأن
 سائما يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقال مع المسلمين ،
 فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأُتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فوضع خلفه ، وجمعى بشملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه ؟ قال : « إن ممه الآن
 زوجته من الحور العين » .

وقتل من يهود ثلاثة وأربعون ، منهم : الحارث أبو زئب ، ومزحَب ،
 وأسير ، وباسر ، وعامر ، وكان ابن أبي الحقيق ، وأخوه .

ذكر قسم غنائم خيبر

قال محمد بن سعد : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم بقمعت ،
 واستعمل عليها قروة بن عمرو البياضي ، وأمر بذلك بقرئ خمسة أجزاء ، وكتب
 في سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال ، فكان أول ما خرج سهم النبي صلى الله
 عليه وسلم ، وأمر ببيع الأريسة أحماس فيمن يزيد ، فباعها قروة ، وقسم ذلك بين

(١) حصه : راء بالحصا .

(٢) في ابن سعد : « ثلاثة وتسعون » .

أصحابه ؛ وكان الذى ولى إحصاء الناس زيد بن ثابت ، فأحصاهم ألفاً وأربعمائة رجل ، واخليل ماتى فرس ، فكانت السُّهُمان على ثمانية عشر سهماً ، لكل مائة سهم ، وكان الخمس الذى صار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى منه على ما أراه الله .

- وقال محمد بن إسحاق : كانت المقاسم على أموال خير ، على الشَّقِّ ونِظَاة والكُتَيْبَةِ ، فكانت الكتيبة خمسَ الله ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطُعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطُعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبين أهل فَدَك بالصلح ، منهم مُحِيصَةُ بن مسعود ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وسَقاً من شعير ، وثلاثين وسَقاً من تمر ، وكانت الشق ونِظَاة في سُهُمان المسلمين ؛ قال : وقسمت خير على أهل الحُدَيْبِيَّةِ ، من شهد منهم ومن غاب ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسهم من حضرها . وقال : وكان وادياها : وادى السُّرَرِ ووادى خاص ، وهما اللذان قسمت عليهما خير ، فكانت نِظَاة والشَّقِّ ثمانية عشر سهماً ، نِظَاة خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهماً ، فقسمت الشق ونِظَاة على ألف سهم وثمانمائة سهم ، فكان لكل سهم رأسٌ بجمع ١٥ إليه مائة رجل ؛ قال : ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة — وهو وادى خاص — بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها . وروى بشير بن يسار قال : لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خير أخذها عنوة ، فقسمها على ستة وثلاثين سهماً ، فأخذ لنفسه ولنوائيه وما يتزل به ثمانية عشر سهماً ، وقسم بين الناس ثمانية عشر سهماً . والله أعلم .
- ٢٠

وروى أبو داود في سننه بسنده إلى عُبَيْدِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ : " أَتَرْضَى أَنْ أَزُوجَكَ فُلَانَةً ؟ " قَالَ : نَعَمْ ، وَقَالَ لِلرَّأَةِ : " أَتَرْضِينَ أَنْ أَزُوجَكَ فُلَانًا ؟ " قَالَتْ : نَعَمْ . فَرُفِّعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَدَخَلَ بِهَا الرَّجُلُ ، وَلَمْ يَقْرُضْ لَهَا صَدَاقًا وَلَمْ يَعْطُهَا شَيْئًا ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْحَدِيثَ ، وَكَانَ مِنْ شَهِدِ الْحَدِيثِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّجَنِي فُلَانَةً ، وَلَمْ أَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا ، وَلَمْ أَعْطُهَا شَيْئًا ، وَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي أَعْطَيْتُهَا مِنْ صَدَاقِهَا سَهْمِي بِخَيْرٍ . فَأَخَذَتْ سَهْمًا فَبَاعَتْهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ .

ذكر تسمية من قسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الكُتَيْبَةِ الَّتِي نَحَرَجَتْ لِلْخَمْسِ وَمَا أُعْطَاهُمْ مِنْهَا

- ١٠ قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكُتَيْبَةِ — وهو وادي خاص — لِقَاطِمَةَ ابْنَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَائِيَّ وَسُقَى ، وَلِإِبْنِ أَبِي طَالِبٍ مِائَةَ وَسُقَى ، وَلِأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ مَائِيَّ وَسُقَى ، وَنَحْسِينَ وَسُقَى نَوَى ، وَلِمَائِسَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَائِيَّ وَسُقَى ، وَلِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِائَةَ وَسُقَى ، وَلِمَقِيلَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِائَةَ وَسُقَى ، وَأَرْبَعِينَ وَسُقَى ، وَلِإِبْنِي جَعْفَرٍ خَمْسِينَ وَسُقَى ، وَلِرَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِائَةَ وَسُقَى ، وَلِلصَّلْتِ بْنِ خُرْمَةَ وَابْنِهِ مِائَةَ وَسُقَى ، وَلِلصَّلْتِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ وَسُقَى . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ بْنِ تَرْجَمَةَ قَاسَمَ بْنِ خُرْمَةَ بْنِ الْمُطَّلَبِ : ^(١) أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَخِيهِ الصَّلْتِ مِائَةَ وَسُقَى مِنْ خَيْرٍ ، وَلِأَبِي ثَبَّاقَةَ خَمْسِينَ وَسُقَى ، وَلِرُكَّانَةَ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ خَمْسِينَ وَسُقَى ، وَلِإِبْنِ الْقَاسِمِ بْنِ خُرْمَةَ أَرْبَعِينَ وَسُقَى ، وَلِثَنَاتِ عَمِيدَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَابْنَةِ الْحَصِينِ بْنِ الْحَارِثِ مِائَةَ وَسُقَى ، وَلِإِبْنِي حَبِيدَ بْنِ عَبْدِ يَزِيدَ سِتِينَ وَسُقَى ، وَلِإِبْنِ

- أوس بن مخزومة ثلاثين وسقا ، ولِسَطْع بن أثانة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم
 ومِيتة أربعين وسقا ، ولنُعم بن هند ثلاثين وسقا ، ولُبْحينة بنت الحارث ثلاثين
 وسقا ، ولُعَيمِر بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب
 ثلاثين وسقا ، ولجُمانَة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولعبد الله بن الأرقم الزهري
 خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا ، ولحُتْة بنت جحش ثلاثين
 وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ، ولضُباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن
 أبي حُثَيْس ثلاثين وسقا ، ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبي نَضْرَة عشرين وسقا ،
 ولثُمَيْلة الكلبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنه تسعين وسقا ، لابنه منها
 أربعون وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولملُكُو بن عبدة ثلاثين
 وسقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعة وسق .

- وقال ابن إسحاق أيضا : وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه من فتح
 خير مائة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة
 وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللقدياد بن الأسود خمسة عشر
 وسقا ، ولأم ومِيتة خمسة أوسق .

- شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .

- قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل
 خير خارصاً بين المسلمين ويهود فيحرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال :
 إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .
 ولم يحرص عليهم عبد الله إلا عاماً واحداً ومات .

- (١) كما في ابن هشام .
 (٢) كما في الأصلين . وفي ابن هشام : « ولأم حكيم » .
 (٣) خارصاً : حازراً ومقدوراً .

- وروى أبو داود رحمه الله في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريج عن أبي الزبير عنه ، قال : حرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق ، وإن اليهود لما خيروهم ابن رواحة أخذوا التمر وطعيم عشرون ألف وسق ، ثم حرص عليهم بعده جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم ، حتى عدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أنى بنى حارثة ، فقتلوه ، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يمتاز منها تمرا ، فوجد في عين قد كسرت عنقه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بقتله ، وجاء أخوه عبد الرحمن بن سهل ، وابنا عمه حويصة وحبيصة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلم عبد الرحمن — وكان أصغرهم — وهو صاحب الدم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كبر كبر» فسكت ، وتكلم حويصة وحبيصة ، ثم تكلم بعدهما ، فذكروا قتل صاحبهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أَتَسْمُونَ قَاتِلَكُمْ ثُمَّ تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم؟» قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم ؛ قال : «أفيلقون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ، ثم يبرءون من دمه ؟» فقالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على يثم . قال : فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة . قال^(١) : واستقرت خيرة يهود على ما عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، ثم أقرها أبو بكر رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم على المعاملة ، ثم أقرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه صدرا من خلفائه ،
- (١) في ١ : «ونرس» . (٢) يمتاز : يجلب . (٣) ويرى : «الكبر الكبير» .
 ثم الكاف وسكون الياء ؛ أى قدسوا الأكرام . (٤) أى ابن جحش .

- ثم بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه :
 " لا يهتمن بجزيرة العرب دينان " ، ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت ،
 فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله قد أذن في إجلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال : " لا يهتمن بجزيرة العرب دينان " فمن كان عنده عهد من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به أخذه له ، ومن لم يكن
 له عهد منه فليجهز للجلاء . فأجل عمر بن الخطاب من لم يكن عنده عهد من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- هذا ما كان من أمر خير على سبيل الاختصار ، فلنذكر ما اتفق بعد فتح
 خيبر مما يتعين إلحاقه بهذه الفقرة لتعلقه بها ، فمن ذلك خبر الشاة التي سُم فيها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمنا ذكر ذلك في أخبار يهود ، وهو في الجزء
 الرابع عشر من هذه النسخة ^(١) ، ومنه خبر المجاج بن علاط .

ذكر خبر المجاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة

٩٨
١٥

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله

- فأولوا : وكان المجاج بن علاط السلمي ثم البهزي أسلم وشهد خير مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فتحت خيبر قال : يا رسول الله ، إن لي بمكة مالا عند
 صاحبتى أم شيبه بنت أبي طلحة ، ومال مفروق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله ،
 فأذن له ، فقال : إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول . قال : " قل " ، قال المجاج :
 نخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يستمعون
 الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغتهم أنه قد سار

٢٠ (١) من تحزية المؤلف .

(٢) في نسخ " الجوان " : « البيضاء » ، فية التسميمكة ، لما ذكر في كتاب البيرة .

إلى خير، وقد عرفوا أنها قرية الجحاز؛ ريفاً ومنعة ورجالا، فهم يحسبون
 الأخبار، ويسألون الرُكبان، فلما رأوا قالوا: الجحاج بن علاط عنده والله الخبر؛
 قال: ولم يكونوا قد علموا بإسلامي، فقالوا: أخبرنا يا أبا محمد، فإنه بلغنا أن
 الفاطم قد سار إلى خير، وهي بلد يهود وريف الجحاز؛ قال: قلت: قد بلغني ذلك
 وعندي من الخبر ما يسركم، فالتفتوا بيجتي^(١) ناقي يقولون: إيه يا جحاج! قال:
 قلت: هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط،
 وأسر محمد أسرا، وقالوا: لا تقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلوه بين أظهرهم
 بمن أصاب من رجالهم. فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: لقد جاءكم الخبر،
 وهذا محمد، إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني
 على جمع مالي بمكة على غُرماي، فإني أريد أن أقدم خير، فأصيب من قُلِّ محمد^(٢)
 وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هناك. قال: فقاموا بفهموا لي مالي كأحت^(٣)
 جمع سمعت به. قال: وجئت صاحبتى فقلت: مالي — وقد كان لي عندها مال
 موضوع — لعل الحق بخير، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار؛ قال:
 فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي
 وأنا في خيمة من خيم التجار، فقال: يا جحاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟
 قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم؛ قلت: فاستأمر
 عني حتى أفرغ. قال: فلما فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأُجمعتُ
 الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب
 ثلاثاً، ثم قل ما شئت. قال: أفضل؛ قلت: فإني والله تركت ابن أخيك

(١) انظروا بيجتي ناقي: أي مدوا إليا حلقتين بها. (٢) القل: القوم المنهزمون.

(٣) كأحت جمع: كاسرع جمع. وفي أ: «كأحب».

(٤) في ج: «نعيام».

- عروسا على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حيي بن أخطب - ولقد افتتح خير،
 وانتقل ما فيها، وصارت له ولائها به؛ قال : ما تقول يا حجاج ! قلت : إلى واهه،
 فآكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقا من أن أغلب عليه ، فلذا
 مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو واهه على ما تعجب . قال : وسرت حتى إذا كان
 اليوم الثالث لبس العباس حلة له ، وتخلق وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى
 الكعبة ، فطاف بها ، فلما رآه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا واهه التجلد لحز المصيبة ؛
 قال : كلا ، واهه الذي حلقتم به لقد افتتح محمد خير وترك عروسا على أبنسة
 ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها ، فأصبحت له ولائها به . قالوا : من جاءك بهذا
 الخبر ؟ قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما فأخذ ماله ،
 وانطلق ليحلق بمحمد وأصحابه فيكون معه ؛ قالوا : يا لعباد الله ! انقلت عدو الله ،
 أما واهه لو علمنا لكان لنا وله شان . ولم يلبثوا أن جامم الخبر بذلك .

ذكر انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير

إلى وادي القرى ، ونومهم عن صلاة الصبح

- قالوا : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير انصرف إلى وادي
 القرى ، فقتل به مع غروب الشمس ، ومعه غلام له يقال له : مِدْعَمٌ ، أهداه إليه
 رفاعة بن زيد الجُدَامي ، فيينا هو يضع رَحْل رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء
 سهم غُرب فقتله ، فقال الناس : هيتا له الجنة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 " كلا والذي نفس محمد بيده إنَّ شِمْلَه لَتَحترق عليه في النار " . كان قلها

(١) اختل : استخرج . (٢) تحلق : طل بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب .

(٣) سهم غُرب : لا يدري راميهِ .

(٤) الشِمة : كساء غليظ يتحف به .

من قومه المسلمين يوم خيبر ، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شراكين لتعلمين لى ، فقال : " بَقْدَ لك مثلهما من النار " .

قال أبو بكر أحمد البيهقي رحمه الله بسند يرفعه إلى أبي هريرة رضى الله عنه ، وساق نحو الحديث في قتل يذم ، ثم قال : وكانت يهود قد نوى إليها ناس من العرب ، فاستقبلونا بالزنى حيث نزلنا ، ولم تكن على تعبئة ، وهم يصيحون من أظلمهم ، فعبا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وصقهم للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد ، ورواية إلى الحباب بن المنذر ، ورواية إلى سهل بن حنيف ، ورواية إلى عباد بن بشر ، ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم ، وحققوا دماهم ، وحسابهم على الله . فبرز رجل منهم ، فبرز إليه الزبير ابن العوام فقتله ، ثم برز آخر ، فبرز إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله ثم برز آخر ، فبرز إليه أبو دجانة الأنصاري رضى الله عنه فقتله ، حتى قُتل منهم اثنا عشر رجلا ، كلما قُتل رجل منهم دعى من بقى إلى الإسلام . قال : ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلى بأصحابه ، ثم يعود فيدعهم إلى الله ورسوله ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم حتى أمسى ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عوة ، وغنم أموالهم ، وأصابوا أمانا ومتاعا كثيرا ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب على أصحابه ، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود ، وطاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما كان من أمر خير وقتلك ووادى القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ،

- وأقاموا بأيديهم أموالهم ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ؛ فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل : ” من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام “ ؟ وجاء في الحديث : ” من رجل يكلاً لنا الليل “ ؟ . فقال بلال : أنا يا رسول الله . فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصل ، فصل ما شاء الله أن يصل ، ثم استند إلى بعبه واستقبل الفجر برمقه فغلبته عينه فنام ، فلم يوقظهم إلا مسُّ الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه استيقاظا ، قال : ” ماذا صنعت بنا يا بلال “ ؟ فقال : يا رسول الله أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال : ” صدقت “ . ثم افتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم [بعبه] غير كثير ثم أناخ ، فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة^(١) ، فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : ” إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله عز وجل يقول : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)^(٢) “ . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استيقظ واستيقظ أصحابه أمرهم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى ، وقال : ” إن هذا واد به شيطان “ فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى ، ثم أمرهم أن يتزلوا وأن يتوضأوا... الحديث بنحو ما تقدم .

• ذكر سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تربة^(٣)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجرة في ثلاثين رجلا إلى تجز هوازن بتربة — وهى ناحية القبلاء على أربع ليال من مكة ، طريق صنعاء ونجران — فأتى الخبر هوازن فهربوا ، وجاء عمر محالهم فلم يبق بها أحدا . فانصرف راجعا إلى المدينة .

٢٠ (١) الكلمة عن ابن هشام . (٢) ف : ج : « الصلاة » . (٣) سورة طه آية ١٤ .
(٤) ف : أ : « قرية » . وهو تحريف . (٥) ف : أ : « محالها » .

ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجرة .

روى عن سلمة بن الأكوع قال : غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فسيئنا من المشركين قتلناهم ، وكان شعارنا :

أَمِيتْ أَمِيتْ . قال : قتلنا بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين . وعنه أيضا قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى فزارة . وهذا الذي صححه

مسلم . وعن إياس بن سلمة بن الأكوع قال : حدثني أبي قال : غزونا فزارة وعلينا أبو بكر رضي الله عنه ، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ، فلما كان

بينه وبين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فمرسنا ، ثم نكس القنطرة فورد الميلاء ، فقتل من قتل وسبي من سبي . ثم [قال سلمة : فرأيت عناقاً من الناس فيهم القناري ، غشيت

أن يسبقوني إلى الجبل ، فريت بهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا ، فجلت بهم أسوقهم ، وفيهم امرأة من بني فزارة ، معها ابنة لها من أحسن العرب ،

فسقنهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضي الله عنه ففتلني ابتها ، فقدمنا المدينة وما كشفت لما ثوبا ، فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق ، فقال :

” يا سلمة ، هب لي المرأة “ . فقلت : يا رسول الله ، قد أعجبني وما كشفت لها ثوبا ، ثم لقيني من الغد في السوق ، فقال : ” يا سلمة ، هب لي المرأة ، فه أبوك ! “ .

فقلت : هي لك يا رسول الله ، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ، ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة . روى هذا الحديث مسلم .

(١) عرسنا : تزنا في آخر الليل للاستراحة .

(٢) هنا يبايض بالأسلين والتكلمة من دلائل النبوة للبيهقي ، وطبقات ابن سعد ، وصحيح مسلم .

(٣) عناق : جماعة من الناس .

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى قَدَك

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من هجرته في ثلاثين رجلا إلى بني مُرة فهدك ، فخرج فلقي رعاء الشاء ، فسأل عن الناس فقبل : في نواديهم ، فاستاق النعم والشاء ، وانحدر إلى المدينة ، فخرج الصريح فآخبرهم فأدركهم الدم منهم سنة الليل ، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى قُتِلَ نبل أصحاب بشير . وأصبحوا ، فحمل المزيون عليهم فأصابوا أصحاب بشير ، وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه ، وقيل : قد مات . ورجعوا بتميمهم وشائهم ، وقدم عتبة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدم بعده بشير بن سعد .

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة

- ١٠ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة سبع من هجرته إلى بني عوال ، وبني عبد بن ثعلبة ، وهم بالميفة ، وهي وراء بطن نخل إلى الثقرة قليلا بناحية نجد ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد .

- بعثه في مائة وثلاثين رجلا ، ودليلهم يسار ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهجموا عليهم بجيما ، ووقعوا وسط محالهم ، فقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا نهما وشاء فغدروا إلى المدينة ، ولم يأصروا أحدا . وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال لا إله إلا الله ، وهو نيك بن مرداس بن ظالم من بني ذبيان بن بيش ، وقال ابن إسحاق : مرداس بن نيك ، حليف لهم من الحُرقة من جُهينة . وقتل أبو عمر بن عبد البراءة عامر بن الاضبط الأتيجي ، وأن رسول الله صلى الله

(١) في ج : « فأدركه » . (٢) الدم : العدد الكثير .

(٣) ارتث : صرع في الجنوب ويه رمق . (٤) في أ : « مراك » ؛ وهو مخريف .

عليه وسلم وداه . قال أسامة : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شَهِرَنا عليه السلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فلم تَرَعه عنه حتى قتلناه ، فلما قدسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ، فقال : " يا أسامة ، مَنْ لك بلا إله إلا الله ؟ " قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تمؤذاً من القتل ، قال : " فمن لك بما يا أسامة ؟ " قال : فوالذي بعثه بالحق إنه مازال يرددها عليّ حتى لَوِدِدْتُ أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وكنتُ أسلمْتُ يومئذ ، وأني لم أقتله . قال : قلت : أنظرني يا رسول الله ، إني أعاهد الله ألا أقتل رجلاً يقول : « لا إله إلا الله » أبداً . قال : " يقول بعدى يا أسامة " ، قلت : بحدك . وفي بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأُسامة حين قال : « يا رسول الله ، إنما قالها تمؤذاً من القتل » : " هَلْ شَقَقْتَ عن قلبه فتَسلَّم أصادقُ هو أم كاذبٌ ؟ ! " .

ذكر مَرِيَّةَ بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى يَمْنَى وَجَبَّارٍ^(١٢)

كانت هذه السرية في شوال سنة سبع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جعلاً من غطفان بالجَناب قد واعدهم حَبِيبَةَ بْنَ حِصْنٍ ليكون معهم ليُزحفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بِشِيرَ بْنَ سَعْدٍ فَعَقَدَ له لواءً ، وبِثَّ معه ثَلَاثَةَ رِجَالٍ ، فساروا حتى أتوا يَمْنَ وَجَبَّارَ ، وهو نحو الجَناب — والجَناب يمرض سلاح وخير ووادى القُرَى — فدَنُوا

(١) يمن : فتح الياء ، وقيل : بضمها ؛ وقيل : بهزة مفتوحة وسكون الميم ، (الزرقاني ٢ : ٣٠٢) . (٢) جبار : ضبطه الزرقاني بفتح الجيم ، وضبط في معجم البلدان بضمها . (٣) الجَناب : من أرض غطفان . (٤) سلاح : موضع أسفل خير .

من القوم فأصابوا لم تها كثيرا ، وتفرق الرعاء فحذروا الجمع ، ففزعوا ولحقوا
بنياء بلادهم ، وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتى أتى محالهم فلم يجد فيها أحدا ،
فخرج بالتم ، وأصاب منهم رجلين ، فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأسلما ، فأرسلهما صلى الله عليه وسلم .

ذكر سرية ابن أبي العوجاء السلي إلى بني سليم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة سبع من مهاجرة في خمسين
رجلا إلى بني سليم ، وذلك بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة
بعد عمرة القضاء ، فخرج إليهم وتقدمه عين لم كان معه ، فحذروهم ، فتنجموا ،
فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مبيتون له ، فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : لا حاجة لنا
إلى ما دعوتنا إليه . فزأوا ساعة بالنبل ، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحرقوا بهم
من كل ناحية ، فقاتل القوم قتالا شديدا حتى قُتل طائفتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء
جرحا مع القتل ، ثم غامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا المدينة
في أقل يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة .

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوخ بالكديد^(١)

كانت في صفر سنة ثمان من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى عن
جندب بن مكيك الجهني قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب
ابن عبد الله الليثي ، ثم أحد بنى كلب بن عوف في سرية ، فكنك فيهم ، وأمرهم
أن يشنوا الغارة على بني الملوخ بالكديد — وهم من بني ليث — قال : فخرجننا

(١) الكديد : سرج على اثنين وأربعين ميلا من مكة . ويوم الكديد من أيام العرب .

حتى إذا تكا بقديد لقينا الحارث بن البراء ، فاخذناه ، فقال : إنما جئت أريد
 الإسلام . قلنا : إن تكن مسلماً لم يضرك رباً لنا يوماً وليلة . قال : فشددناه
 وثاقاً ، وخلقنا عليه رويلاً منا أسود ، وسرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ،
 فكنا في ناحية الوادي ، وبمضى أصحابي ربيشة^(١) ، فخرجت حتى آتت تلاً مشرفاً
 على الحاضر ، فاستندت فيه ، فعلوت في رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إني
 لمنيطع على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لأمرأته : إني لأرى على التل
 سوداً ما رأيت في أول يومى ، فأنظري إلى أوعيتك ، هل تفقدين منها شيئاً ؟
 لا تكون الكلاب جرّت بعضها قل : فنظرت ، فقالت : لا والله ما أفقد شيئاً . قال :
 فتأوليني قوسى وسهمين . فتأولته ، فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ جني ، فأزعه فاضمه ،
 وثبت مكاني ، ثم أرسل الآخر فوضعه في منكبى ، فأزعه فاضمه ، وثبت مكاني ،
 فقال لأمرأته : لو كان ربيشة لقد تحرك ، لقد خالطه سهماً لا أباك ! فإذا
 أصبحت فأتنيهما فخذيهما لا تمضيهما الكلاب ؛ قال : نعم دخل ، وأمهلاه
 حتى أطمانوا وناموا . وكان وجه السحر - شتاً عليهم الفارة ، وأسفتنا النعم ، فخرج
 صريح القوم في قومهم ، فجاء ما لا قبل لنا به ، فخرجنا بها نحدّرها حتى مررنا
 بابن البراء فاحتملناه وأحتملنا صاحبنا ، وأدركنا القوم حتى نظروا إلينا ، ما بيننا
 وبينهم إلا الوادي - وادى قديد - فأرسل الله تعالى الوادى بالسيل من حيث
 شاء تبارك وتعالى من غير نهاية زأها ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوّة ،
 ولا يقدر على أن يحاوّزه . فلقد رأيتهم وقواً ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق تبعهم

(١) قديد بالتصغير : موضع بين مكة والحديّة .

(٢) ربيشة ، أى عيالهم .

(٣) الحاضر : الحى النظيم .

ما يستطيع رجلٌ منهم أن يُجيزَ لينا، ونحن نَحْدُوها سِرا حتى قُتِلنا، فلم يقدروا على طلبنا، قال : فقدمتا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن سعد : وكانوا بضعة عشر رجلا، وكان شمارهم يومئذ : أُمْتُ أُمِّتٍ !

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضا إلى مُصَاب

أصحاب بشير بن سعد بَعْدَكَ

كانت في صفر سنة ثمان من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هبّا الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وقال له :

” يَرْحَقُ تَنْتَهَى إِلَى مُصَاب أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، فَإِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ بِهِمْ فَلَا تَبْقِ فِيهِمْ “ ، وهبّا معه مائتي رجل ، وعقد له لواءه ، فقدم غالبُ بن عبد الله

- ١٠ من الكَئِيدِ ، وقد أظفره الله ، فدل رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : ” أَجْلِسْ “ . وبث غالبُ بن عبد الله في مائتي رجل ، فيهم أسامةُ بن زيد ، فسار حتى آتته إلى مُصَاب أصحاب بشير ، فاصابوا نَمًا ، وقتلوا قَتْلًا .

ذكر سرية شُجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالمعي

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في أربعة وعشرين رجلا إلى بَئَجٍ من هَوَازَنَ بالمعي ، من ناحية رُبْعَةٍ ، من وراء المَعِينِ ، وهي من المدينة على خمس ليالٍ ، وأمره أن يُغير عليهم ، فسار حتى مسبحهم وهي غَارُون ، فاصابوا نَمًا كثيرا وشاء ، فاستاقوا ذلك حتى قديموا المدينة ، وغابت هذه السرية خمس عشرة ليلة .

(١) المعى : ماء بين ذات عرق والذجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة .

(٢) دكة (بضم فسكون فتح) : موضع بالطائف .

(٣) يريد سعد بن سلم ، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد .

ذكر سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاق^(١)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى آتوها إلى ذات أطلاق، من أرض الشام، وهي من وراء وادي القرى، فوجدوا جمعاً كثيراً من جمعهم، فدعّوهم إلى الإسلام: فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجلٌ يرجع، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى مواضع أخرى، فتركهم.

ذكر سرية مؤتة

ومؤتة بأذى اللقاء بالقرب من الكرك^(٢).

كانت هذه السرية في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة. وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الفسائي، فقتله، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً غيره، فأشد ذلك عليه، وتندب الناس فأسرعوا وصكروا بالجرى^(٣)، وهم ثلاثة آلاف،

(١) في أ: «أطلاق»، وهو تحريف.

(٢) مؤتة كما وردت موهوبة بالأصلين، وروى فيها ضم الميم وسكون الواو بغير همز.

(٣) الكرك: قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي اللقاء. وفي ابن سعد: «واللقاء»

«دشق».

(٤) الجرف: بضم فكركون: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمير القوم زيد بن حارثة ، فإن قُتل بغيره بن أبي طالب ، فإن قُتل فمبذ الله بن راحة ، فإن قُتل فغير بض المسلمين بينهم وجلّا فيجعلوه عليهم " ، وعقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أبيض وسلّمه إلى زيد بن حارثة ، وأوصاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمير ، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام "إن أجابوا ، وإلا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوه " ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودّعهم وأنصرف عنهم ، فقال عبد الله بن راحة :

$$\frac{102}{10}$$

خلف السلام على امرئ ودّعته • في النخل خير مودّع وخيل (٢)

- فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردكم صالحين غانمين !
فقال آيين راحة :

لكنني أسأل الرحمن مفسرة • وضربة ذات قرع تقذف الزيدا (٣)
في آيات أخر (٤)

قال : فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف ، وقدم الطلائع أمامه ،

(١) هي ثنية مشرة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة ، قيل في سبب تسميتها بذلك : إنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة .

(٢) كذا في أ ، والذي في ب وابن هشام ج ٤ ص ١٦ « مشيع » .

(٣) ذات قرع ، أي راسية . وأراد بالزيد هنا زهرة الدم ، (الزرقاني ج ٢ ص ٢٢٣) ملخصاً .

(٤) الآيات في ابن هشام ٤ : ١٥ - ١٦

(٥) فصلوا : خرجوا .

وقد نزل المسلمون مَمان^(١١) من أرض الشام ، وبلغ الناس أن هِرَقْل قد نزل
 مَآب من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء ووائل ويكر ونحَم وجَذام والقيَن ،
 عليهم رجل من بَلَى ثم أحد إراشة ؛ يقال له : مالك بن زافلة ، فأقاموا ليلتين لينظروا
 في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنشجعهم عبد الله
 ابن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكهون لآتي نخرجكم تطلبون ، الشهادة ،
 وما تقايل الناس ببدد ولا قوة ولا كثرة ، ما تقايلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله
 به ، فانطلقوا فأتى إحدى الحسينين : إتما ظهور^(١٢) وإتما شهادة ، فقال الناس :
 قد والله صدق ابن رواحة ، قال : فعسى الناس حتى إذا كانوا يُنضم البلقاء لقيتهم
 بجموع هِرَقْل من الروم والمصر بقرية من قرى البلقاء يقال لها المشارف ،
 ثم دنا العدو ، وأحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤنة^(١٣) ، ووافاهم المشركون ، بغاه
 منهم ما لا قبيل لأحد به من العدد والسلاح والكراع^(١٤) والديباج والحريير والذهب

(١) مَمان ، ضبط الزرقاني بفتح الميم ، وضبط البكري بضمها : حسن كبير من أرض فلسطين ،
 على خمسة أيام من دمشق في طريق مكة .

(٢) مَآب ، بفتح ألهم وثانيه بضمه ألف وباء مصححة : موضع بالشام (البكري) .

(٣) كما ورد هذا الاسم بخزى المصححة في الأصلين وابن هشام ج ٤ ص ٢٢ ، والقي في الزرقاني
 ج ٤ ص ٢٤ : راحة ، بالراء المهملة .

(٤) الظهور هنا : التلعة .

(٥) الضموم : الحدود الخاصة بين أرض وأرض .

(٦) مؤنة : قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ؛ وقيل إنها من مشارف الشام (معجم البلدان) .

(٧) في الزرقاني ج ٢ ص ٣٧٤ : أن الكراع جماعة الخيل خاصة .

- فعباً المسلمون ، بغفلوا على ميّنتهم رجلا من بني عُذرة يقال له : قُطَيْبَةُ بْنُ قَسَادَةَ ،
وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له : عُبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ — ويقال : عُبَادَةُ —
ثم أَلْتَقَوْا وَقَاتَلُوا ، فَمَاتَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَضَى اللَّهُ عَنْهُ بِرَأْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ طَعْنًا بِالرَّمَا ح ، ثم أخذ الزَّيَّةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَمَاتَ عَنْ فَرَسٍ
لَهُ شَقْرَاءُ فَعَرَّقَهَا ^(١) ، فَكَانَتْ أَتَتْ فَرَسَ عُرْقِيَّتٍ فِي الْإِسْلَامِ ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ،
ضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ فَقَطَعَهُ نِصْفَيْنِ فُوجِدَ فِي أَحَدِ نِصْفَيْهِ بَضْعَةٌ وَتَنَوَّنَ جُرْحًا ،
وَوَحَدْنَا فَمَا قَبْلَ مِنْ مَدَنَةِ ثَمَنِينَ وَسَبْعِينَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ وَطَلْعَةً بِرُحْ .

- وَحَكَّى أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخَذَ اللَّوَاءَ
بِيَمِينِهِ فَقَطَعَتْ يَدَهُ ، فَأَخَذَهُ بِشَاهِهِ فَقَطَعَتْ ، فَأَحْتَضَتْهُ بِمُضْدِيهِ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ ابْنُ
ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، فَأَنَابَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ .

وقال محمد بن إسحاق : كان جعفر يقاتل وهو يقول :

باجْبِذَا الْجَنَّةَ وَأَقْرَبُهَا • طَيِّبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالزُّومُ رُومٌ قَدْ دَفَأَ عَذَابُهَا • كَافِرَةٌ بِمِيسَةٍ أَنْسَابُهَا
عَلَّ إِنِّ لَأَقْبِثُهَا ضِرَابُهَا

- قال : ولما قُتِلَ جَعْفَرُ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُوَاحَةَ الزَّيَّةَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا وَهُوَ عَلَى
فَرَسِهِ ، فَبَعَلَ يَسْتَرْزِلُ نَفْسَهُ وَيَرْقُدُ بِمَضِيقِ الْقَرَدِ ، ثُمَّ قَالَ :
أَفْسَمْتُ يَا هُنَّ لَتَنْزِلْنَ • لَتَنْزِلْنَ أَوْ لَتُصَكَّرِهِنَّ

(١) عرقها ، أى قطع عرقها ، وهو الوتر الذى بين مفصل الساق والقدم ، قال فى الروض :
« ولم يمس ذلك طيه أحد ، فدل على جوارحه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها السليين » .

وفى ابن هشام ج ٤ ص ٢٠ « عرقها » • (٢) فى ١ : « يديه » ؛ وهو مخرب •
(٣) فى ٢ « باليف » • (٤) يستزل نفسه ، أى يطلب ترويضاً عما أرادته ومعت به •

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ ^(١) • مَالِي أَرَاكَ تَكْرَمِينَ الْجَنَّةَ
 قد طال ما قد كنتِ مطمئنة • هل أنتِ إِلَّا تُطْفِئُ فِي شَتِّهِ ^(٢)
 وقال أيضا رضى الله عنه :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَسِلِ تَمَوَّقِي • هَذَا حِمَمُ الْمَوْتِ قَدْ صَالِيَتْ
 وما تَمَيَّنْتِ فَقَدْ أُعْطِيَتْ • إِنْ تَفْعَلِي فَيُطْلِمَا هُدَيْتِ
 وَإِنْ تَوَلَّيْتِ فَقَدْ شَقِيَتْ

١٠٤
١٥

يريد بقوله : « فَيُطْلِمَا » صاحبيه زيدا وجعفرًا ، ثم نزل • فَأَذَاهُ ابْنُ حُمٍّ لَهُ
 بِمَرِّ ^(٣) مِنْ حُمٍّ : فقال : شَدَّ بِهَذَا صُلْبَكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتَ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتَ ،
 فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَتَشَسَ ^(٤) مِنْهُ نَهْشَةً ، ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ مِنْ نَاحِيَةِ النَّاسِ ، فَقَالَ : وَأَنْتِ
 فِي الدُّنْيَا ! ثُمَّ أَتَقَاهُ مِنْ يَدِهِ ، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَتَقَدَّمَ ، فَتَنَاقَلَ حَتَّى قُتِلَ •

ثم أخذ الزاوية ثَامْتُ بْنُ أَرْفَمٍ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ النَّاسِ ، اصْطَلِحُوا هَلْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟
 فَقَالُوا : أَنْتَ ، قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ • فَأَصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَلَمَّا
 أَخَذَ الزَّاوِيَةَ دَافِعَ الْقَوْمَ وَجَانَتِي بِهِمْ ^(٥) ، ثُمَّ انْحَاذَ وَأَنْجِيزَ عَنْهُ ، وَانْكَشَفَ ، فَكَانَتْ

(١) أجلب الناس : اضططت أصواتهم ورجعوا • وفي السيل « جلب » بتشديد اللام ، وإزالة :
 صوت فيه ترجيع شبه البكاء •

(٢) النعمة : القليل من الماء الصافي • والثقة : القرية الخلق •

(٣) الرق : الظلم الذي طيه بعض القوم •

(٤) اتشس : أخذ منه بضمه يسيرًا (من أي قو) • وفي أ : « فأتشس منه نهشة » •

(٥) الحطمة : زحام الناس وحمل بعضهم بعضًا •

(٦) في الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٦ من ابن إسحاق : « المسلمين » •

(٧) جاني بهم : انحاز بهم ، من الحنى ، وهي الناحية • وفي ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٨ : « وجاني

بهم » بالعمية ، من المحاشاة ، وهي المهاجرة ، مغالبة من الخشية ، لأنه خشي على المسلمين قلة عددهم ،

وفي الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٧ : « بلقش خاله الناس ودافع وانحاز وانحزعه » •

الهنزية ، فيجهم المشركون ، قُتِلَ من قِبل من المسلمين ، ووُضِعَت الأرضُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم ، فلما أخذ خالد بن الوليد اللواء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(١) «الآن حيي الوطيس» .

قال محمد بن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتِلَ شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتِلَ شهيداً» ، ثم صمّت حتى تغيّرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله ابن رواحة بعض ما يكرهون ، فقال : «ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل به حتى قُتِلَ شهيداً» .

قال ابن إسحاق : وكان ثعلبة بن قنادة المذربي تلى على مالك بن زافلة فقتله وهو على أكمة ألف التي اجتمعت من العرب ، فقال في ذلك :

طمنت ابن زافلة بن الإراش • برح مضى فيه ثم انحطمت^(٢)
 ضربت على جيده ضربة • قال كما مأل غصن السلم^(٣)

قال : ولما سمع أهل المدينة بإقبال جيش مؤتة تلقّوهم بالحرف ، بفعل الناس يَحْتَوْنَ ووجوههم التراب ويقولون : يا فتزار ، فررم في سبيل الله ؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ليسوا يفتزار ، ولكنهم كثرار إن شاء الله» .

(١) حي الوطيس ، أي حي الضرب وجمعت الحرب واشتدت .

(٢) انحطمت : انكسر .

(٣) الجيـد : الفتى . والسلم بالتحريك : شجر الصماء ، الواحدة سلمة .

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة

أُسْتُشْهِدَ من قريش ومواليهم أربعة نفر، وهم : جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعوذ بن الأسود بن حارثة بن نضلة، ووهب بن سعد بن أبي سرح . وأُسْتُشْهِدَ من الأنصار : عبد الله بن رواحة، وعبد الله بن قيس، والحارث بن التيمان بن إساف، وسُرَاقَةُ بن عمرو وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن جاد، رضوان الله عليهم أجمعين .

ذكر مريّة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل^(١)

وهي وراء وادي القُرى ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة . وسبب بَيْتِ هذه السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من قُضَاعَةٍ قد تجمّعوا يريدون أن يذتوا إلى أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا عمرو بن الماص فعقد له لواءً أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سُرّة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرسا، وأمره أن يستعين بمن يتمر به من بني وعُذرة وبقين، فصار الليل وكُنَّ النهار، فلما قُرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبِت رافع بن مَكِيث الجُهني^(٢) .

- (١) اختطوا في ضبط هذه الكلمة اختلافا كثيرا، فهم من ضبطها بفتح السين الأول ومنهم من ضبطها بالنون، ومنهم من ضبطها بالفتح والنون . ارجع الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٢ .
 (٢) كذا في الأصلين وابن سعد ج ٢ القسم الأول ص ٩٥ ، وفي حيون الأثر (٢ : ١٥٧) : يريدون أن يذتوا إلى أطراف المدينة . (٣) مرارة القوم : أصحاب الشرف فيهم .
 (٤) لأن حمرا كان ذا رسم فيهم ، فإن جذته لأبيه كانت بلوية ، فأراد عليه السلام أن يتألفهم بسرو .
 (٥) كذا ضبط في الزرقاني ج ٢ ص ٣٢٣ .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَزَاحِ فِي مَاشِيْنٍ،
وَعَقْدَ لَهُ لُؤْلُؤًا، وَبَعَثَ مَعَهُ سَرَاتَةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَمَرَهُ
أَنْ يَلْحَقَ بِعُمَرُو، وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعًا وَلَا يَنْفَتِقَا، فَلَحَقَ بِعُمَرُو، فَأَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ
أَنْ يَوْمَ النَّاسِ، فَقَالَ عُمَرُو: إِنَّمَا قَدِمْتَ عَلَيَّ مَدِينًا، وَأَنَا الْأَمِيرُ، فَأَطَاعَ لَهُ بِذَلِكَ
أَبُو عُبَيْدَةَ^(١)، وَسَارَ حَتَّى وَطِئَ بِلَادَ بَيْلَ، وَدَوَّخَهَا حَتَّى أَتَى إِلَى أَصْحَى بِلَادِهِمْ وَبِلَادِ
عُدْرَةَ وَبَلْقَيْنَ، وَلَقِيَ فِي آخِرِ ذَلِكَ جَمْعًا، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْلُونَ، فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ
وَتَخَوُّقُوا، ثُمَّ قَتَلَ وَبَعَثَ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجِيَّ يَرِيدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ وَمَا كَانَ فِي خَزَائِنِهِمْ .

ذَكَرَ سَرِيَّةَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَزَاحِ، وَهِيَ سَرِيَّةُ الْخَلِيطِ^(٢)

١٠٥
١٥

١٠ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَزَاحِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ سَنَةِ ثَمَانٍ
مِنَ الْهِجْرَةِ فِي ثَلَاثَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ — إِلَى حِمٍّ مِنْ جُوهِيَّةَ بِالْقَبِيلَةِ مِمَّا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ
نَحْصُ لَيْلٍ، فَأَصَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ جُوعٌ شَدِيدٌ، فَأَكَلُوا الْخَلِيطَ، وَأَبْتَاعَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ
جَزُورًا وَنَحَرَهَا لَهُمْ .

١٥ رَوَى عَنْ جُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً^(٣)
إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ، عَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَزَاحِ، وَزَوَّدَهُمْ حِرَابًا مِنْ تَمْرٍ، فَجَلَّ يَفُوتُهُمْ
إِيَّاهُ حَتَّى صَابَرُوا إِلَى أَنْ يَمُتَهُ لَمْ يَمُتَا، ثُمَّ نَفِدَ التَّمْرُ حَتَّى كَانَ يُعْطَى كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ
كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةً، فَتَقَسَّمَهَا يَوْمًا بَيْنَنَا، فَتَقَسَّصْتُ تَمْرَةً مِنْ وَجَلٍ، قَالَ: فَوَجَدْنَا فَقَدْهَا ذَلِكَ

(١) زَادَ فِي ابْنِ سَعْدٍ ج ٧: ص ٩٥ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ قَوْلُهُ: «وَكَانَ عُمَرُو يَصِلُ بِالنَّاسِ» .

٢٠ (٢) الْخَلِيطُ (بِالضَّمِّ) : رَوْقُ الصَّوْدَاءِ، مِنَ الْفَلَحِ وَنَحْوِهِ مِنَ الشَّجَرِ، يَنْتَبِذُ بِالنَّاسِ فَيَنْتَابِرُ .

(٣) سَيْفُ الْبَحْرِ : سَاحِلُهُ .

اليوم ، فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابةً ^(١) من البحر فأسبنا من ثَمَها وودَّعَها ^(٢) ،
فألقنا عليها عشرين ليلةً حتى سبنا وأبطلنا ^(٣) ، وأخذَ أميرنا بصلبها من أضلاعها فوضعه
على طريقه ، ثم أمر بأجسم بغير معنا فحمل عليه أجسم رجلٍ منا ، فخرج من
تحتها وما مَسَّتْ رأسه ، فلما قدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ،
وسأناه عما صمنا في ذلك من أكلنا إياها ، فقال : ” رَزَقْنِي رَزَقَكُوه الله “ .
قال ابن سعد : وانصرفوا ولم يلقوا كيدا .

ذكر مَرِيَّةَ ابْنِ قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى خُضْرَةَ وَهِيَ أَرْضُ مُحَارِبٍ بَجْدٍ

قالوا : بَنَتْهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَمان سنة ثمانٍ من الهجرة
ومعه خمسة عشر رجلاً إلى قَطَفانَ ، وأمره أن يَسْتَنْ طَبعهم النارَ ، فسار الليلَ وَكَانَ
النهار ، فَهَجَمَ على حاضِرِهم عَظِيمٌ ، فأحاط به ، فَصَرَخَ رجلٌ منهم : يا خُضْرَةَ
وَقَاتِلْ مِنْهُمْ رجالاً ، فقتلوا من أشرفهم ، وأساقوا النَمَ ، فكانت الإبلُ مائِي بَعِيرٍ ،
والنَمُ أَتَى شاةً ، وسبوا سبيًا كثيرًا ، وجمعوا الثَنائِمَ ، فأنرجوا الخمسَ ، وقسموا
ما بقى من السرية ، فأصابَ كُلُّ رجلٍ منهم اثنا عشرَ بَعِيرًا ، وعُدلَ البَعِيرُ بِشَهرٍ من

(١) ذكر الزرقاني أنه نوع من السك يقال له البعير -

(٢) الدوك (بالتحريك) : الشم -

(٣) ابتلنا : حنَّت سالنا بعد الحزال وأقننا من ألم الجوع الذي كان آصابنا .

(٤) كذا في الأصلين . والقي في الزرقاني ج ٢ ص ٢٤٠ وابن سعد ج ٢ ص ٩٦ « قتلوا

من أشرف لهم » أي ظهور .

الغنم ، وصارت في سَمِّ أَبِي قَتَادَةَ جَارِيَةً وَضِيئَةً ، فَأَسْتَوَّجَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَّهَهَا لَهُ ، فَوَجَّهَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحُجَيْبِ بْنِ جَزْءٍ . وَغَاوَا فِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

ذِكْرُ سَرِيَّةِ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رَبِيعٍ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى بَطْنِ إِخْصَمَ

- كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

- قالوا : لَمَّا هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَزْوِ أَهْلِ مَكَّةَ بَشَّ ابْنُ قَتَادَةَ فِي ثَمَانِيَةِ نَفَرٍ سَرِيَّةً إِلَى بَطْنِ إِخْصَمَ - وَهِيَ فِي بَيْنِ ذِي خُشْبٍ وَذِي الْمَرْوَةِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةُ بَرَدٍ - لِيُظَنَّ ظَانٌّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَلِأَنَّ تَدْعَبَ بِذَلِكَ الْأَخْبَارَ ، وَكَانَ فِي السَّرِيَّةِ عِلْمٌ بِنُجَاتِمَةِ اللَّيْثِيِّ ،
- فَتَوَّعَّاهُ عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَخْصَمِيُّ ، فَسَلَّمَ بِحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ، فَأَسَكَ عَنْهُ الْقَوْمَ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ عِلْمٌ بِنُجَاتِمَةِ قَتَلَهُ لَشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُمَا ، وَسَلَبَهُ بِسِيْرِهِ وَمَنَاعَهُ ، فَلَبَّاهُ لَحِقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمِنَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ۖ ﴾ الْآيَةُ . فَضُؤُوا وَلَمْ يَلْقَوْا جَمَاعًا
- فَانْصَرَفُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ذِي خُشْبٍ ، فَلَبَّاهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَخَذُوا عَلَى بَيْنٍ حَتَّى لَقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّقْيَا .

(١) سورة النساء : ٩٤

(٢) بين ، يفتح فسكون : ناحية من أمراض المدينة على يريدها (ياقوت) .

ذَكَرْ غَزْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفَتْحِ وَالسَّبَبَ الَّذِي
أَوْجَبَ نَقْصَ الْمَهْدِ وَفُسْخَ الْمُدْنَةِ

كَانَتْ هَذِهِ الْغَزْوَةُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنْ مَهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَحُلَّ رَأْسَ اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ شَهْرًا مِنْ صَلَاحِ الْحُدَيْبِيَّةِ .

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ شَعْبَانُ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ كَثَبَتْ بَنُو قُحَاةٍ — وَهَمُّ مِنْ
بَنِي بَكْرِ — أَشْرَافَ قُرَيْشٍ أَنْ يَبِينُوهُمْ عَلَى نُزَاةٍ بِالزُّجَاجِ وَالسَّلَاحِ ، وَكَانَتْ نُزَاةٌ
قَدْ دَخَلَتْ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَهْدِهِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَا
ذَكَرْ ذَلِكَ ، وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرِ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهَا ، قَالُوا : فَلَمَّا سَالُوهُمْ ذَلِكَ
وَسَدَّوْهُمْ وَوَأَقَوْهُمْ بِالْوَيْتِ^(١) مَتَنَكِّرِينَ^(٢) فِيهِمْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَحُوَيْطِبَ بْنَ
عَبْدِ الْعَزَّى ، وَبَكْرَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيفِ ، فَبَيَّتُوا نُزَاةً لَيْلًا ، وَهَمُّ غَارُونَ^(٣) أَنْوَنَ
فَقَتَّلُوا مِنْهُمْ عَشْرِينَ رَجُلًا ، ثُمَّ نَدِمَتْ قُرَيْشٌ عَلَى مَا صَنَعَتْ ، وَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا نَقْصٌ
لِلْمُدْنَةِ وَالْمَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَجَّحَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ
الْحِزْرَاعِيَّ فِي أَرْبَعِينَ رَاكِبًا مِنْ نُزَاةٍ ، فَتَقَدَّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُخْبِرُونَهُ بِالَّذِي أَصَابَهُمْ وَيَسْتَنْصِرُونَهُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَدِمَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ،
فَوَقَفَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ ، فَقَالَ :
يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا • حِلْفَ آيِنَا وَأَيْبِهِ الْأَنْفَلَا^(٤)
قَدْ كُتِّمْتُ^(٥) وَلَدًا وَتَحَا وَالِدَا • ثُمَّتَ^(٦) أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَقْرِعْ يَدَا •

(١) الوَيْتُ : مَا قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ . (٢) غَارُونَ : غَافِقُونَ . (٣) نَاشِدُ : طَالِبُ .

(٤) وَالْخَلْفُ : بِكسر الخاء وسكون اللام : الْمَاصِرَةُ . (٥) الْوَلَدُ : بضم فسكون : لَهْفٌ فِي الْوَلَدِ :
بالتحريك . وَتَمَّتْ : حُرِفَ عَطْفُ أَدْخَلَ عَلَيْهِ تَاءُ التَّائِيثِ .

فَأَنْصَرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَبَدًا • وَأَدْعُ جِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا آتِدًا
 فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَسَّدَا • إِنَّ سِيمَ خُفَا وَجْهِهِ تَرَبَّدَا^(١)
 فِي قَيْلَى كَالْبَحْرِ يَجْرَى مُزِيدَا • إِنَّ قَرِينَا أَحْلَفُوكَ الْمُؤَبَّدَا
 وَقَضُوا بِطَلْعِكَ الْمُؤَكَّدَا • وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَائِهِ رُصْدًا^(٢)
 وَزَعَمُوا أَنِّي لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا • وَهَمَّ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَا
 هُمْ يَجُوسُنَا بِالْوَيْبِ مُجْدَا • وَقَتَلُوا رُحْمَنَا وَتُجْدَا^(٣)

يقول : قُتِلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا، وَيُرْوَى بِدَلِّ قَوْلِهِ : • قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا •
 • نَحْنُ وَلَدُنَاكَ فَكُنْتَ وَلَدًا •

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنصرت بن عمرو بن سالم " .
 ١٠ وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَمْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ، قَالَ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ
 يَمْزُجُ دَمَهُ وَيَقُولُ : " لَا أَنْصَرْتُ إِلَّا لِمَنْ أَنْصَرْتُ بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصَرْتَهُ نَفْسِي " .
 ثُمَّ عَرَضَ لَهُ سَهَابٌ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا السَّهَابَ لَيْسَتْ بَنِي بَنِي كَعْبٍ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدَّمَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ نَزَاعَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ مَا أَتَى مِنْهُمْ ، بِمُطَاهَرَةِ قَرِينِ بْنِ بَكْرٍ عَلَيْهِمُ

(١) في ج ، وفي ابن هشام ج ٤ ص ٣٦ « أعتدا » .

(٢) سيم خفا ، أى أول ذل . وتريد : تنقذ .

(٣) القيلق : السكر الكثير .

(٤) رصدا : ركم : جمع : رصدا : رصدا .

(٥) د .

ثم أنصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد رسل الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه :
 «كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم يشد العقدة وي زيد في المدة» ، ومضى بديل بن ورقاء
 وأصحابه حتى لقوا أبى سفيان بن حرب بعسفان ، قد بعثه قريش إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ليشد العقدة ، وي زيد في المدة ، فقال له أبى سفيان : من أين
 أقبلت يا بديل ؟ قال : قسيت في خراة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي ،
 قال : أو ما جئت هذا ؟ قال : لا ، وفارقه ، فقال أبى سفيان : لئن كان بديل جاء
 إلى يقرب لقد حلف النوى بها ، فأني مبرك راحته فأخذ من بعثها فقتله ، فرأى
 فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل هذا ، ثم خرج أبى سفيان حتى
 قدم على عبد صلى الله عليه وسلم ، فدخل على أخته أم حبيبة ، وذهب ليجلس على
 فراش النبي صلى الله عليه وسلم ، فطوته ، فقال : يا بنية ، ما أدري أوعيت بي من
 هذا الفراش ، أم وعيت به عني ، قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فقال : والله لقد أصابك بعدى يا بنية شر ، ثم خرج حتى أتى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فكلمه ، فلم يرد عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبي بكر وكله أن
 يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب
 فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله لو لم أحد
 إلا الله لجاهدكم به ، ثم دخل على علي بن أبي طالب . وقد استأذن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وعندها الحسن أبنا غلام يدب بين يديها ، فقال : يا علي .

(١) عصفان : على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم)

(٢) في ابن هشام : « يكلم له » .

- لَأَنْتَ أَمْسَ الْقَوْمَ بِي رَحْمًا ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا أُرْجِعُ^(١) كَمَا جِئْتُ خَائِبًا ،
فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، وَإِنَّهُ لَقَدْ
عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَمْرٍ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْلِفَهُ فِيهِ ، فَأَلْفَتَتْ إِلَى
فَاطِمَةَ فَقَالَ : يَا بِنْتَ عَمِّهِ ، هَلْ لَكَ أَنْ تَأْمُرِي بَنِيكَ هَذَا فَيُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ فَيَكُونَ
سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الْعَصْرِ ؟ قَالَتْ : وَإِنَّهُ مَا يُلَاحِظُ^(٢) ذَلِكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ،
وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنِّي أَرَى
الْأُمُورَ قَدْ أَشْتَدَّتْ عَلَى^(٣) ، فَانْصَحْنِي ، قَالَ : وَإِنَّهُ مَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُفْنِي عَنْكَ ، وَلَكِنَّكَ
سَيِّدُ بَنِي كَلْبَةَ . فَقَمِ فَأَجْرِ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ أَلْحَقِي بِأَرْضِكَ ، قَالَ : أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا
عَنِّي شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا أَظُنُّهُ ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُكَ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَهَاجَمَ أَبُو سُفْيَانَ
فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ ، ثُمَّ رَكِبَ بِمِيعَةٍ وَأَنْطَلَقَ ،
فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا : مَا وَرَأَاكَ ؟ قَالَ : جِئْتُ عِدًّا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَافَقَهُ
مَا رَدَّ عَلَى^(٤) شَيْئًا ، ثُمَّ جِئْتُ أَبْنَى لِحَافَةٍ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ أَبْنَى الْخَطَّابِ
فَوَجَدْتُهُ أَعْدَى الْعَدُوِّ ، ثُمَّ جِئْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ أَلَيْنَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَى^(٥) بَشِيءٍ
صَنَعْتُهُ ، فَوَافَقَهُ مَا أَدْرَى هَلْ يَفْنِي شَيْئًا أَمْ لَا ؟ قَالُوا : وَبِمَ أَمَرَكَ ؟ قَالَ : أَمَرَنِي
أَنْ أَجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَفَعَلْتُ ، قَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ عَمْدًا ؟ قَالَ : لَا ، هَالِكُوا :
وَيْلَكَ ، وَإِنَّ زَادَ الرَّجُلَ عَلَى أَنْ يُلَبَّ مِنْكَ ، فَمَا يَفْنِي عَنْكَ مَا فَعَلْتُ ، ثُمَّ تَهَيَّزْ^(٦)

(١) فِي كَلَامِ الْأَصْلَيْنِ : « فَلَا أُرْجِعُنَّ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ أَبِي هِشَامٍ .

(٢) كَلَامُهُ فِي أَبِي هِشَامٍ : « وَالَّذِي فِي يَدِي » : « آتَيْتُ » .

(٣) فِي أَبِي هِشَامٍ : « بِكَ » .

(٤) فِي أَبِي هِشَامٍ : « مَا نَفَعْتُ » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخفى مقصده، ثم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجلد والتبوء، وقال: "اللهم خذ البيوت والأخار عن قريش حتى نبثها في بلادها". والله المعين.

ذكر خبر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله تعالى نية صلى الله عليه وسلم بذلك، وأخذ الكتاب، وما أنزل الله عز وجل في ذلك من القرآن

قال: ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب ابن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يحبرهم بالنبي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في المسير إليهم، ثم أعطاه امرأة يقال إنها من مزةينة - وقيل: هي سارة مولاة لبعض بني عبدالمطلب - وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها ثم فلتت عليه قرونها وخرجت به، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على بن أبي طالب، والزيبر بن العوام رضى الله عنهما، وقال: أذكركا امرأة قد كتبت معها حاطب كتابا إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا في أمرهم، فخرجا فادركاها بالخليقة، خليفة بن أبي أحمد، فاستزلها وأتسا في رحلها فلم يجدا شيئا، فقال لها على: أحلف بالله لنخرجن لنا هذا الكتاب أولفتشك، فقالت: أعرض عني، فأعرض، فلتت قرونها فاستخرجت الكتاب ودفعته إليه، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا حاطبا فقال: "ما حملك على هذا؟" قال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله، ما غيرت

وما بقلْتُ ، ولكنني أمرؤ ليس لي في الصوم من أصل ولا عشيرة ، ولي بين أظهرهم ولَدٌ وأهل ، فصانعتهم عليهم ، قال عمر : يا رسول الله ، دعني أضرب عنقه ، فإن الرجل قد فأنق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أصحاب بدر يوم بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

هذه رواية محمد بن إسحاق :

- وقال الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم التلمی : إن المرأة سارة مولاة عمرو بن صفية بن حاتم بن جند مناف ، وإنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسلي جئت » قالت : لا . قال : « أمهارة جئت » قالت : لا ، قال : « فما حاجتك » قالت : كنت كثيرة الشيرة والأصل والموالي ، وقد ذهبت موالئ ، وأحسجت حاجة شديدة ، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتعملوني . قال لها : « فإني أنت من شباب أهل مكة » ، وكانت مثنية نائمة ، قالت : ما طلب متى شيء بعد وقعة بدر : فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بن عبد المطلب وبن المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها فقة ، فأناها حاطب بن أبي بلتعة حليف بن أسد بن عبد المزی ، فكتب معها إلى أهل مكة كتابا ، وأعطاهما عشرة دنانير .

- قال التلمی : هذه رواية زاذان عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : وقال مقاتل بن حیان : أعطاهما عشرة دراهم وكساهما بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب في الكتاب : « من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة ، إن

رسول الله يريدكم ، فخذوا حذرکم . فخرجت سارة ، ونزل جبريل ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، وعمر ، والزبير ، وطلحة ، وعمارا ، والمقداد بن الأسود ، وأبا سريته ، وكانوا كلهم فرسانا ، وقال لهم : ^(١) «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإنا بها طليعة معها حاطب من حاطب بن أبي بقة إلى المشركين ، فخذوه منها ، وغلوا سيبلها ، وإن لم تدفعه إليكم فأضربوا عنقه » فخرجوا حتى أدرکوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لها : أين الكتاب ؟ خلفت بالله ما معها كتاب سمعنا نسمعه ، ونقشوا مناعها فلم يجدوا معها كتابا ، فهما بالرجوع ، فقال علي رضي الله عنه : والله ما كذبنا ولا كذبتا ، وسئل سيفه ، وقال لها : أنجس الكتاب وإلا والله لأجرؤنك ، ولأضربن عنقك ، فلما رأت الحد أنرجته من ذوائها قد خبأته في شعرها ، نظروا سيبلها ، ولم يمتزوا لها معها ، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى حاطب فأناه ، فقال له : «هل تعرف الكتاب ؟ » قال : نعم ، قال : «ما حلك على ما صنعت ؟ » فقال : يا رسول الله ، ما كفرنا منذ أسلمت ، ولا غشيت منذ نصحتك ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع حشيره ، وكنت غريبا فيهم ، وكان أهل بين ظهرانيهم ، غشيت على أهل ، فأردت أن أغتد عندهم يدا ، وقد علمت أن الله يُزيل بهم بأسه ، وإن كاذبي لا يفتي عنهم شيئا ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدّره ، فقام

عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطلع على أهل بدر يوم بدر قال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم بدر » .

- وَأَنزَلَ اللَّهُ حَزَنًا فِي شَانِ حَاطِبٍ وَمَكَاتِهِ الْمَشْرِكِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُوثُونَ أَلَيْسُوا بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ۖ ﴾ ، قال : أى من مكة لأن آمنتم بالله وبكم ، قال : فى الكلام تهديد وتأخير ، ونظم الآية :
- ﴿ لَا تَتَّبِعُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُوثُونَ أَلَيْسُوا بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ۖ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَاجْتَنَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أُنْتُمُ بِهِمْ قَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالْإِسْوَةِ وُودُوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ قال : يتنفذوك يروكم ويظهروا ، ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أى بالقتل ، ﴿ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالْإِسْوَةِ ﴾ أى بالسم ، ﴿ وُودُوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ فلا تناصرهم فإنهم لا يناصرونكم ولا يؤادونكم .

- قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِفَصْلِ بَيْنَكُمْ وَاللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ قال : معنى الآية : لا تدعونكم قرابتكم ولا أولادكم التى بمكة إلى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وترك مناصبتهم وموالاة أعدائهم ، ومظاهرتهم ، فإن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التى عصيت الله لأجلهم

(١) سورة النحمة الآيات ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦

(٢) كما فى كلا المصنفين - راقى فى القرطبي : « يتنفذوك يظهروا بكم ويبتغوا منكم » .

(يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ) فَيُدْخِلُ أَهْلَ طَاعَتِهِ وَالْإِيمَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ وَالْكَفْرِ فِي النَّارِ .

قوله تعالى : (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) الآية ، ثم قال تعالى :

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَهْلَ اللَّهِ هُوَ فِيهِمْ) قال : قوله : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ) يعني في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء ، قال : فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون

أقرباهم من المشركين في الله ، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء ، فلم الله تعالى شدة وحيد المؤمنين بذلك ، فأُتِلَ : (هَتَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ خَفِيرٌ رَحِيمٌ) ، قال : ففعل الله عز وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركي مكة ، فصاروا للمؤمنين أولياء وإخوانا ، وخالطوهم وخالجهم .

قوله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) معناه : أن تدلوا فيهم بالإحسان والبر ، وأختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية ، فقال ابن عباس : نزلت في خزاعة ، منهم هلال بن عويمر ، ونزيمية ، وسرافة بن مالك ابن جشم ، وبنو مذحج ، وكانوا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا .

وقال عبد الله بن الزبير : نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهم ، وذلك
 أن أمها قتيبة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بنى مالك بن حسل قدمت عليها
 المدينة بهدايا وهي مشركة ، فقالت أسماء : لا أقبل منك هدية ، ولا تدخل على
 بيتي حتى أستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسالت لها عائشة رضى الله
 عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ، فأمرها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلاً ، وقبّل هديتها ، وتحسن إليها ، وتكرمها .
 وقال مرة المصنف وعطية القوي : نزلت في قوم من بنى هاشم ، منهم العباس .
 ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ
 وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١) قال : وهم
 مشركو مكة . ففرجع إلى أخبار غزوة الفتح .

ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة
 إلى مكة ، ومن جاءه في طريقه قبل دخوله مكة

قال : ولما تيسر رسول الله صلى الله عليه وسلم للفرقة بث إلى من حوله
 من العرب فخلّبهم ، وهم أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأصح ، وسليم ، فمنهم
 من وافاه بالمدينة ، ومنهم من لحقه في الطريق ، وكان المسلمون في غزوة الفتح
 عشرة آلاف ، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن
 أم مكتوم ، قاله محمد بن سعد .

وقال محمد بن إسحاق ، وأبو بكر أحمد البيهقي : استخلف على المدينة أبو رهم
 كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف التفاري ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من المدينة يوم الأربعاء لثلاث ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر ، فلما انتهى

إلى الصلصل^(١١) قَدَّم أمامه الزبير بن العوام في مائة من المسلمين ، وصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس حتى إذا كانت بالكديد بين عُنْفَانٍ^(١٢) وَأُخْ^(١٣) أَفْطَر . ونادى مناديه : من أحب أن يُفْطِرَ فليُفْطِرْ ، ومن أحب أن يصوم فليصم . قال ابن سعد : فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقَدِيدِ عَقْدِ الْأُولَى^(١٤) والرايات ودفعها إلى القبائل .

قال محمد بن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل مَرَّ الظُّهْرَانِ^(١٥) وهو في عشرة آلاف من المسلمين ، فسيَّمت^(١٦) سَلَمٌ ، وبعضهم يقول : أَلْقَتْ مَرْيَتَهُ ، وفي كلِّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب معه المهاجرون والأنصار . قال : ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق لقيه عَمَّه العباس بن عبد المطلب . قال ابن هشام : لقيه بالبحفة^(١٧) مهاجراً بيماله ، وكان قبل ذلك بمكة على سبائته ، وقد قدما أنه أسلم عند أنصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر . قال : ولقيه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، لقيه به يَفِيْقُ الْعُقَابَ^(١٨) بين مكة والمدينة ، والتمسا الدخول عليه ، وكانت أم سلمة رضي الله عنها فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، أين عمك ، وأين عمتك وصهرك .

فقال : " لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهنتك عِرْضِي ، وأما ابن عمتي وصهرتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال " ، فلما خرج الخبر بذلك إليهما ومع أبي سفيان بقي له

١١٠
١٥

- (١) الصلصل : موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها . (٢) الكديد كأكبر : موضع على آئين داربين ميلا من مكة . (٣) عُنْفَان ، بضم أوله وسكون ثانيه : قرية جاسية على ثلاث مراحل من مكة . (٤) أُخْج بالضم : بلد من أعراض المدينة . (٥) قديد بالصير : موضع قرب مكة . (٦) مَرَّ الظُّهْرَانِ : موضع على مرحلة من مكة . (٧) سبَّمت : أى بنت سبابة ، وأقمت : كانت أقما . (٨) البهفة : موضع على أربع مراحل من مكة . (٩) نَقِ الْعُقَاب : موضع قرب البهفة .

قال : والله لأذنن لي أو لأخذن بيد بني هذا ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رَق لها ، ثم أذن لها فدخلت عليه ، فأسلمها ، وأنشد أبو سفيان بن الحارث يعتذر عما كان قد مضى من فعله ، فقال :

- لعمرك إني يوم أحمل راية • لنقلب خيلُ الآلات خيلَ محمد
لكالمُدْلَجِ الحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ • فهذا أواني حين أهدى وأحتدى
هداني هادٍ غيرُ نفسي ودلّني • على الحقِّ مَنْ طرَدْتُ كُلَّ مطرَدٍ^(١)
أصد وأناى جاهداً عن محمد • وأدعى وإن لم أنسب من محمد
مُ مَّ ما مُ مَّ من لم يقل بهوائهم • وإن كان ذارأي يلم ويقتد^(٢)
أريد لأرضيهم ولست بلائط • مع القوم ما لم أهد في كلِّ مقعد^(٣)
فقل لتقيف : لا أريد قتالها • وقل لتقيف تلك : فغري أوعدي
فأكنت في الجيش الذي نال عامراً • وما كان من جرأ لسان ولا يدي^(٤)
قبائل جاءت من بلاد بعيدة • نزاع جاءت من سهام وسرد^(٥)
قال : ولما بلغ إنشاده قوله : « من طرَدْتُ كلَّ مطرَد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال : « أنت طرَدْتَنِي كلَّ مطرَد » .

قال : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظَّهْرَانِ نزهاً عيشياً ، وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف ناره ، وقد عميت الأخبارُ عن قريش فلا يأتيهم خبر

(١) رواية البيت كافٍ ابن هشام ٤ : ٤٤ ، والديلة ٤ : ٢٨٧

هداني هادٍ غير نفسي ودلّني • مع الله من طردت كل مطرد

(٢) في ج : « يلام ويقتد » . (٣) لائط : ملحق . (٤) النزاع : الفراء .

(٥) سهام كسحاب ، وسرد يضم أنه وسكون ثانيه ودال مهملة مضمومة ، ويروي بضم أنه فتح الدال الأولى : موضان من أرض مكّ .

من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس بن عبد المطلب : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عتوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلك قريش إلى آخر الدهر .

قال العباس : بطلست على بنلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك^(١) ، فقلت : لعل أجد بعض الخطابة أو صاحب دين ، أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عتوة .

ذكر محبي العباس بأبي سفيان بن حرب إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وإسلام أبي سفيان ، وخبر الفتح

قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : وكان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء قد خرجوا في تلك الليالي يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يحدون خبراً أو يسمعون به ، فوافقه إني لأسير على بنلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل ابن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالأليلة نيراً قط ولا عسكرياً ، فيقول له بديل : هذه والله خراقة قد حسنتها^(٢) الحرب ، فيقول أبو سفيان : خراقة أذل وأقل أن تكون هذه نيراتها وعسكريها ، قال العباس : فمررت صوته ، فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي ، فقال : يا أبا الفضل ، قلت : نعم ، قال : مالك فذاك أبي وأمي ! قلت : ويحك يا أبا سفيان ! هذا رسول الله في الناس ، واصباح قريش والله !

(١) الأراك : واد قرب مكة .

(٢) حسنتها بالمهملة : اشتدت عليها ، وفي ج ، وابن هشام : « حسنتها » بالمعجمة ، أى أحرقها .

قال : يا الحيلة فذاك أبي وأمي ! ، قال : قلت : والله لئن ظفرك ليضربن عقتك ، فأركب في عَجْز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك ؛ قال : فركب خفي ، ورجع صاحبا ؛ قال : بغتُ به : كلنا مررتُ بنا من غير أن المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررتُ بشار عمر

ابن الخطاب .

- قال ابن سعد : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عمر تلك الليلة على الحرس ؛ قال البساس : فقال عمر : من هذا ؟ وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عَجْز الدابة قال : أبو سفيان عدواؤه ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عَهْد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضتُ البغلة فسبقتُ ، فأقتحمتُ عن البغلة ، ودخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن منه بغير عَقْد ولا عهد ، فدعني أضرب عقه . قال البساس ، قلت : يا رسول الله ، قد أجزته ، ثم جلستُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذتُ برأسه وقلتُ : والله لا يتاجبه الليلة رجلٌ دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه قلتُ : مهلا يا عمر ، فوافقه
- ١٠ أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلتُ هذا ، ولكنتُ قد عرفتُ أنه من رجال بني عبد مناف ؛ فقال عمر : مهلا يا عباس ، فوافقه لإسلامك يوم أسلمتُ
- ١٥ كُنتُ أحبُّ إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامك كان أحبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^{٢٥} اذهب به يا عباس إلى رحلك ،
- ٢٠ فإذا أصبحتُ فاقني به ^{٣٥} ؛ قال : فذهبتُ به إلى رحلي ، فبات عندي ، فلما أصبح فذوتُ

به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 " ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله " ، قال : بلى أنت
 وأنى ! ما أحطت وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غير
 لقد أغنى شيئا بعد ، قال : " ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أن
 رسول الله " ؟ قال : بلى أنت وأنى ! ما أحطت وأكرمك وأوصلك ! أما والله هذا
 فإن في النفس منها حتى الآن شيئا ، فيقال له القباس : ويحك ! أسلم وأشهد أن لا إله
 إلا الله ، وأن محمدا رسول الله قبل أن تُضرب عنقك ؟ قال : فنشهد شهادة الحق ،
 فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فأجعل له شيئا .
 قال : " نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أضاف عليه بابه فهو آمن ،
 ومن دخل المسجد فهو آمن " ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : " يا عباس ، احبسني بمضيقي الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله
 فيراها " . قال : فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن أحبسه ، قال : ومررت القبايل على راياتها كلما مررت قبيلة قال : يا عباس ،
 من هذه ؟ فاقول : سليم ، فيقول : مالى ولمسلم ، ثم تمر القبييلة ، فيقول : من هذه ؟
 فاقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى مررت القبايل ، فاستمر قبيلة إلا
 سألني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ! حتى مر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في كتيبه الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار - وإنما سميت بالخضراء
 لكثرة الحديد وظهوره فيها - وهم لا يرى منهم إلا الحنق من الحديد ، فقال :
 سبحان الله يا عباس ! من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ألم يأن : ألم يمن .

(٢) خطم الجبل : أغرة النادره .

في المهاجرين والأنصار، فقال : ما لأحد بهؤلاء من قيل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك العداة عظيما . قلت : ويحك ! إنها النبوة ، قال : نعم ، إنَّما ، ثم قلت : النجاء إلى قومك ، فسار حتى إذا جامع صرخ بأعلى صوته : يا مشر قريش ، هذا عهد قد جاءكم فيها لا قبل لكم به ، فن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه ، فقالت : ^(١١) **أَتَمَلُّوا لِمَلِيَّتِ الدِّيمِ الْأَحْمَسِ** ، قُبِحَ من طليعة قوم ! قال : ويلكم ! لا تترنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فن دخل داري فهو آمن ، قالوا : فانتك الله ! وما تنق عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فنفذوا الناس إلى دورهم وإلى المسجد . والله يؤيد بنصره من يشاء .

١٠

ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة

شرفها الله تعالى صلحا ، ودخول خالد بن الوليد

ومن معه من القبائل عنوة

قال : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى^(١٢) ، وقف على راحلته متعجرا بشفة يرد جيرة حمراء ، وإنه ليضع رأسه تواضعا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إنَّ عَثُونَه ليكاد يمس ويبسط الرجل ، ثم فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش من ذي طوى ، وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ مع سعد بن عبادة رضى الله عنه ، فأمر رسول الله صلى الله

١١٢
١٥

(١) النبأ : السرعة . (٢) الحيت في الأصل : زق السن . والدهم : الكثير الودك .

والأحس : الذي لاخير معه ، من قولهم : عام أحس إذا لم يكن فيه مطر . (٣) ذوطوى : منطقة الطاء : موضع قرب مكة . (٤) الاعتبار : التعميم بغير ذواية . والحيرة : ضرب من ثياب اليمن .

٢٠

عليه وسلم الزبير بن العوام ، وكان على المحبة اليسرى أن يدخل في بعض الناس من كذا^(١) ، وأمر سعد بن عباد أن يدخل ببعض الناس من كذا^(٢) ، فلما وجه سعدُ للدخول قال : اليوم يوم المَلَحمة ، اليوم مُسْتَحَل الحرمة ، وفي رواية مُسْتَحَل الكعبة ، فسمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عباد ، ما تأمن أن يكون له في قريش صَوْلَةٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : "أدركه نغمة الرأية منه ، فأدخل أنت بها" . حكاها ابن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : إنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الرأية من سعد ودفعها لابنه قيس بن سعد .

وذكر يحيى بن سعيد الأُموي في السير : أذ سعد بن عباد لما أخذ الرأية مرة على أبي سفيان ، فقال سعد إذ نظر إليه . اليوم يوم المَلَحمة ، اليوم مُسْتَحَل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كنية الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه : يا رسول الله ، أمرت بقتل قومك ؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا ، وقال : اليوم يوم المَلَحمة ، اليوم مُسْتَحَل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا ، وإني أُنشدك الله في قومك ، فانت أبرت الناس وأوصلهم وأرحمهم .

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ، والله ما تأمن سمعا أن تكون منه في قريش صَوْلَةٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا سفيان ، اليوم يوم المَرَحمة ، اليوم أعز الله فيه قريشا" . وقال ضرار بن الخطاب الفهري يومئذ :

(١) كذا كقري : جبل بأسفل مكة .

(٢) كذا . كعبه : جبل بأعلى مكة .

يا نبي الهدى إليك لحاً خف^(١) قريش ولات حين لعل
حين ضاقت عليهم سعة الأرزاق • وضاعوا إلى السماء
والتفت حلفتنا البطان على القوم • ثم وقودوا بالصيْل الملاء^(٢)
إلى سعد يريد قاصمة الظلم • ير بأهل الحجون والبطماء
تزدحم لو يستطيع من الفير • خط زمانا بالفتن والمؤامرات^(٣)
وغير الصدر لاجهم بشي • غير سفك الدماء وحك النساء
قد تظن على البطاح وجاءت • عنه هند بالسوء المؤامرات
إذ ينادى بذل حتى قريش • وآبن حرب بدا من الشهادة
ظن أحم اللواء ونادى • بإحاة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من هم الحزب • رجع والأوس انجم الحياه
لتسكون بالبطاح قريش • ففقه القناع في أكف الإماء^(٤)
فأخيه فإنه أسد الأسد • يد لدى القاب والنع في الدماء
لهم طريق يريد لنا الأمر • مر سكونا كالحية الصماء^(٥)

قال : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة فزع اللواء من

يده، وجعله بيد قيس أبيه، وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج

(١) « لحاً » مهووز، وزكه هنا الوزن .

(٢) التفت لحفنا البطان : مثل في ذراع الأمر . البطان : حرام يحمل تحت ظل الجير . والميل :

الهداية عند بدء .

(٣) السر واللواء : كوكبان .

(٤) الفقه (بكر العام) : ضرب من الكأنة، وهي البيضاء الرغوة، يشبه بها الرجل القليل . وقفة

القناع : مثل يضرب في القل، لأن الفقه أرقأ الكأنة .

(٥) الحية الصماء : التي لاتنف منها الرقة، وهي أعين الحيات، أضرها .

عنه إذ صار إلى أبيه ، وأبى سعد أن يُسلم اللواء إلا بأمانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهامته ، فصرفها سعد ، فدفع اللواء إلى أبيه قيس .

قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، وكان على المحجبة اليمنى ، أن يدخل ببعض الناس من الألبط أسفل مكة ، وكان معه : أسلم ، وسليم ، وغفار ، ومزينة ، وجُهينة ، وقبائل من العرب ، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذخر^(١) ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هناك قبة ، ونهى عن القتال ، وعبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأماكن التي أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يدخلوا منها ، لم يلقوا كيذا ، إلا خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو جمعوا جمعا من قريش ، ووقفوا بالتحسدة ليقاتلوا خالد بن الوليد ، ويمنعوه من الدخول ، وشهروا السلاح ورموا بالنبل ، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم ، فقتل أربعة وعشرون رجلا من قريش ، وأربعة نفر من هذيل ، وانهمزوا أقبح هزيمة ، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية أذخر رأى البارقة فقال : « ألم أنه عن القتال ؟ » فقيل : يا رسول الله ، إن خالد بن الوليد قاتل قاتل ، فقال : « قضاء الله خير » ، وقتل من المسلمين رجلا كانا سلكا طريقا غير طريق خالد فقُتِلَا ، وهما كثرز بن جابر البهري ، وحبيش بن خالد الخزاعي . قاله محمد بن سعد .

١١٣
١٥

(١) أذخر : ثنية بين مكة والمدينة «البرق ج ١ : ١٢٨» .

(٢) التحسدة : جبل بمكة له يوم معروف . (٣) البارقة : السيوف .

(٤) في ابن سعد «خالد الأشقر الخزاعي» ، وفي ابن هشام : «خبيس» .

وقال ابن إسحاق: قتل من المشركين يومئذ اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلاً، وقال:
وقد كان حِمْيَر بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُبَدِّعُ سلاحاً ويُصَلِّحُ منه قبل دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال:
لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقسم لمحمد وأصحابه شيء؟ قال: والله إنني
لأرجو أن أُخَيِّدَكَ بعضهم، ثم قال:

إِنْ يُقْبَلُوا الْيَوْمَ فَالْيَوْمَ • هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ^(١)
• وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَةِ^(٢) •

ثم شهد يوم الخندق، فلما أنهزم القوم دخل على امرأته وقال: أغلقى على بابي؟
قالت: فأين الذي كنت تقول؟ فقال:

إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ • إِذْ فُتِرَ صَفْوَانٌ وَفُتِرَ عِزَّةٌ
وَأَبُو يَزِيدَ قَائِمٌ كَالْمَوْتَمَةِ^(٣) • وَأَسْتَقْبَلْتَهُمُ بِالسُّيُوفِ الْمَسِينَةِ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجُمَةٍ • ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً^(٤)
لَهُمْ نَبِيٌّ خَلَقْنَا وَهُمْ هَمَّةٌ • لَا تَطُوقُ فِي الْيَوْمِ أَدْنَى كَلِمَةٍ^(٥)
قال ابن هشام: ويروى للرباعى المثل.

- (١) الآية: جميع أداة الحرب.
(٢) كذا في ج. وابن هشام ج ٤: ٥٠، والقي في «الفتحة». وذو غرارين: ذو حذنين.
(٣) المَوْتَمَةُ: التكلية.
(٤) الغممة: أصوات غير مفهومة.
(٥) النبيت: زئير الأسد، والمهمة: تردد الزئير في الصدر.

وكان ممن فز يومئذ هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهو زوج أم هانئ بنت أبي طالب أخت عليّ لأبويه، فأسلمت، وهرب هبرة إلى نجران، وقال معتذرا من فراره :

لممرك ما وليت ظهري عدا • وأصحابه جُنبا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد • لسيفي غناء إن ضربت ولا تنيل
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي • رجعت لعمود كالحيز إلى الشبل

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحُنين والطائف : شعار المهاجرين : يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج : يا بني عبد الله، وشعار الأوس : يا بني عبيد الله، وكان الفتح يوم الجمعة لعشر يمين من رمضان .

ذكر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم يوم فتح مكة وسبب ذلك، ومن قتل منهم، ومن نجا بإسلامه
فالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بقتل ستة نفر وأربع نسوة، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وهم : عكرمة بن أبي جهل، وهيار ابن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صُبابة^(١) اللثي، والحويرث ابن بُقيظ بن وهب، وعبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي، وهند بنت عتبة، وسارة مولاة عمرو بن هشام، وقرنق، وقرينة .

فانما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب إلى اليمن ، وأسلمت أمرأته أُم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنته ، ففرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه .

- حكى الزبير بن بكار قال : لما أسلم عكرمة قال : يا رسول الله ، علمني خير شيء تعلمه أقوله ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله " ، فقال عكرمة : أنا أشهد بهذا ، وأشهد بذلك من حضرتي ، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي ، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عكرمة : والله لا أدع حقاً كنت أنفقت في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضيعتها في سبيل الله ، ولا قتالا فأنفقت إلا فأنفقت ضيعته ، ثم أجتهد في الجهاد والعبادة حتى أستشهد رحمه الله في خلافة عمر بن الخطاب بالشام ، وقيل : استشهد في آخر خلافة أبي بكر ، قيل : في يوم اليرموك . وقيل : في يوم مرج الصفر ، وقيل : أجنادين ^(١) . والله أعلم .

- وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فإنه كان قد أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فارتد ورجع إلى قريش ، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو أخوه من الرضاعة ، فنتبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأمن له بعد أن أطمأن الناس ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلاً ، ثم قال : " نعم " ، فلما انصرف عنه عثمان قال لمن حوله من أصحابه : " لقد صمت ليقوم إليه بمضكم فيضرب عنقه " ،

(١) مرج الصفر : موضع بالشام كانت به وقعة للمسلمين مع الروم ، وهو بالقرب من غوطة دمشق .
(٢) أجنادين : موضع بالشام كانت به وقعة مشهورة بين المسلمين والروم .

فقال رجل من الأنصار : فهَلَّا أومات إلى يا رسول الله ؟ فقال : " إن النبي لا يَقْتُل بالإشارة " ، ثم أسلم عبد الله بن سعد بعد ذلك .

وأما مِقْنِسُ بْنُ صُبَاةٍ ، فإن أخاه هشام بن صبابه كان قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق بالمُرَيْسِج ، فأصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من المدوّ ، فقتله خطأ ، فقدم مِقْنِسُ هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، وأظهر الإسلام ، وقال : يا رسول الله ، جئتُك مسلماً ، وجئتُك أطلب ديةً أُنحى ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه ، فأقام غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ، فنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله لذلك ، فقتله ثميلة بن عديده ، رجل من قومه .

وأما الحويرث بن نُقيذ فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لأنه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان العباس بن عبد المطلب حمل بقرتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وأمّ كلثوم من مكة يريد بهما المدينة ، فرمى بهما الحويرث إلى الأرض .

وأما عبد الله بن خَطَل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان مسلماً ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه وهو مسلم ، فقتل موقلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً ، فنام وأستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فقتله ثم أرتد ، وكانت قرنتي وقريسة قَيْنَاءَ قَتَيْنَاءَ بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل ابن خَطَل

سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برزة الأسلمي، اشتراكاً في دمه، وقتلت إحدى قتيته وهربت الأخرى، حتى آستؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنها .

وهند بنت عتبة أسلمت . ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء ، ومن الشرط فيها ألا يسرقن ولا يزني ، قالت : وهل تزي الحرة أو تسرق يا رسول الله ؟ فلما قال : " ولا تقتلن أولادكن " ، قالت : قد ربيناهم صفراء ، وقتلتهم أنت بيدركاء ، أو نحو هذا من القول ، وشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زوجها أبا سفيان صحيح لا يعطيا من الطعام ما يكفيها وولدها ، فقال : " خذي من ماله المعروف ما يكفيك أنت وولدك " .

وأما سارة فأستؤمن لها ، فأمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما هبار فإنه هرب فلم يوجد ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه .

ذكر إسلام أبي لحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن

كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب

روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذي طوى قال أبو لحافة لأبنة له

من أجبر ولده : أي بُنية ، اظهري بي على جبل أبي قبيس — قالت : وكان قد

كُف بصره — فأشرقت به عليه فقال لها : أي بُنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى

سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجالاً يسرى بين يدي ذلك

السواد مقبلاً ومدبراً ، قال : أي بُنية ، ذلك الوازع ، — يعني الذي يأمر الخيل

ويتقدم إليها — ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : قد والله إذا دفعت

الخيل ، فاسرعى بي إلى بيتي ، قالت : فأتحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل

إلى بيته ؛ قالت : وفي عتق الجارية طَوَّقَ من وَرِقٍ ، فظفأها رجل فاقطعه من
عقها ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه
يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «هَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ
حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟» قال أبو بكر : يا رسول الله ، هو أَحَقُّ أَنْ يَمْنَى إِلَيْكَ مِنْ
أَنْ تَمْنَى إِلَيْهِ أَنْتَ ، فَاجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : «أَسْلَمَ» ،
قَالَتْ : فَاسْلَمْ ؛ قَالَتْ : فَدَخَلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَكَأَنَّ رَأْسَهُ تَغَامَةُ ^(٢) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «تَغَيَّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ» ، ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَخَذَّ بِيَدِ اخْتِهِ فَقَالَ :
أَتَشَدُّ اللَّهُ وَالْإِسْلَامَ طَوَّقَ أَخْتِي ؛ فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ ؛ قَالَتْ : فَقَالَ : أَيْ أَخْتِي ،
إِحْتَسِبِي طَوَّقَكَ ، فَوَافَقَ إِنْ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ الْيَوْمَ لَقِيل .

١٠ . وأسلم عبد الله بْنُ الزَّيْتَرِيِّ عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان ممن يؤذى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الْأَذَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَاسْلَمْ وَأَعْتَدَ إِلَى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبل مَذْرَهُ ، وكان شاعرا مجيدا ، فقال يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَلَهُ فِي مَدْحِهِ أَشْعَارُ كَثِيرَةٌ يَنْسَخُ بِهَا مَا قَدْ مَضَى
فِي كُفْرِهِ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

١٥ . مَنَعَ الرَّفَادُ بِلَابِلٌ وَهَمُومٌ * وَاللَّيْلُ مُتَلِجٌ الرُّوَّاقَ هِيمٌ ^(٣)
مِمَّا إِنَّا نِي أَنْتَ أَحَدٌ لَامِنِي * فِيهِ فِتْ كَانِي مَحْمُومٌ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا * عَيْرَانَهُ سُرْحَ الْبِدِينِ غَشُومٌ ^(٤)

(١) الرِّق : القفصة ؛ وقيل : القهْبُ والقَفْصَةُ (السان) . (٢) التَّغَامَةُ : نبت أبيض
الزهر والتمر ؛ يشبه ياض الشَّيْبِ بِهِ . (٣) اللَّيْلُ : اللواسيس المخططة ، ومتلج : مضطرب
يركب بضه بعضا . ورواق الليل : مقدّمه وجانبه . والهيْم : الذي لا ضياء فيه .
٢٠ . (٤) البُرْءَانَةُ مِنَ الْإِبِلِ : السَّريَّةُ فِي نَشَاطٍ . وسرْحُ الْبِدِينِ : مَرِيضَتُهَا . وغشوم : لا يتنبه عن
مرادها شيء .

إني لمُتَذَكِّرٌ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِي • أُسَدِّتْ إِذَا نَا فِي الضَّلَالِ مُقَسِّمٌ
 أَيَّامَ نَامُرِي بِأَغْوَى خُطْبِي • سَهْمٌ، وَنَامُرِي بِهَا مَغْزُومٌ
 وَأَمَدَ أَسْبَابِ الرَّدَى وَيُقَوِّدُنِي • أَمْرُ النُّوَاةِ، وَأَمْرُهُمْ مَشُومٌ
 فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ • قَلْبِي وَغَطُّ هَذِهِ مَحْرُومٌ
 مَضَتْ الْعِدَاةُ وَأَقْضَتْ أَسْبَابُهَا • وَأَنْتَ أَوَّاصُ بَيْنَنَا وَحُلُومٌ
 فَأَغْفِرْ قَدِّي لَكَ وَالَّذِي كَلَّاهَا • وَأَرْحَمِ فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومٌ
 وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْمَلِكِ عَلَامَةٌ • نُورٌ أَغْرَى وَخَاتَمٌ مَغْنُومٌ
 أَعْطَاكَ بَعْدَ عَجَبَةٍ بِرَحْمَتِهِ • شَرَفًا وَبِرَهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمٌ

ذكر دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد، وطوافه بالبيت
 ودخوله الكعبة، وما فعل بالأصنام

١٠

قال : ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأطمانا الناس ، خرج
 حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحته يستلم الزكن بمحجتي في يده ، فلما قضى
 طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد
 فيها حمامة من عيدين ، فكسرها بيده وطرحها ، ثم وقف على باب الكعبة فقال :
 " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده
 ألا تكل ما ترون أو ديم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سيادة البيت وسقاية
 الحاج ، ألا وتقبل الخطأ شبه العمد بالسوط والمصا ، ففيه الدية مغلفة ، مائة من
 الإبل ، أربعمون منها في بطونها أولادها ، يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب
 عنكم نخوة الجاهلية وتعلّمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب " ، ثم تلا قوله

١٥

$$\frac{116}{10}$$

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾^(١) ثم قال : " يا معشر قريش ، ما ترون أتى فاعل فيكم ؟ " قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : " انزعبوا فاتم الطلقاء " ، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، إجمع لنا الحجابة مع السقاية ، فقال : " ابن عثمان بن طلحة ؟ " فدعى له ، فقال : " هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء " ، حكاه محمد بن إسحاق .

وقال محمد بن سعد : دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح وقال : " خذوها يا بنى أبي طلحة تالدة خالدة ، لا يترعها منكم إلا ظالم " ، ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب .

قال عبد الملك بن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا في يده الأزرار يستقيم بها ، فقال : " فاطمهم الله ، جعلوا شيخنا يستقيم بالأزرار ، ما شأن إبراهيم والأزرار ، ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) " ثم أمر بتلك الصور كلها فقطعت .

قال : ودخل الكعبة ومعه بلال بن رباح ، فأمره أن يؤذن ، فأذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس فيناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد : أكرم الله أسيدا ألا يكون مع هذا فيسمع ما يبغيظه ، فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه محق لأتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا

لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى؛ ففرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال: "قد علمت ألقى قلم"، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد
 أنك رسول الله، والله ما أطلع على هذا أحد كان معنا فقول: أخبرك.

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما: إن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح على راحته، فطاف عليها وحول البيت
 أصنام مشدودة بالزصاص، فغسل النبي صلى الله عليه وسلم يديه بفضيب في يده
 إلى الأصنام ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً^(١))، فما أشار
 صلى الله عليه وسلم إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا إقفاه إلا وقع لوجهه؛
 حتى ما بقى منها صنم إلا وقع.

- ١٠ قال محمد بن سعد: كان حول الكعبة ثمانية وستون صنماً، وكان أعظمها
 هبل، وساق الحديث نحو ما تقدم، فقال تميم بن أمد الخزاعي في ذلك:
 وفي الأصنام معتبر وعلم • لمن يرجو الثواب أو العقاب

- قال: ولما كان من القدر يوم الفتح خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعد الظهر فقال: "إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي
 حرام إلى يوم القيامة، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، ثم رجعت لحرمتها بالأمر،
 فليتبع شاهدكم غائبكم، ولا يحمل لنا من غائبها شيء"، وأقام رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين ركعتين، وبث السرايا، ثم خرج
 إلى حنين.

ذكر سيرة خالد بن الوليد إلى العزى وهدمها

- ٢٠ قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها،
 وذلك بعد الفتح، خمس ليالٍ يقين من شهر رمضان سنة ثمان، فخرج في ثلاثين فارساً

من أصحابه حتى آتوها إليها فهدمها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: "هل رأيت شيئا؟" قال: لا، قال: "فإنك لم تهديها، فارجع إليها فأهدمها"؛ فرجع خالد وهو متعيط، بفرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عربية سوداء نائرة الرأس بفعل السادن يصيح بها، فضر بها خالد فجرحها آثمين، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، قال: "نعم، تلك العزى، وقد يشت أن تعبد ببلادكم أبدا"، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شيان من بني سليم.

ذكر مربة عمرو بن العاص إلى سواع وكسره

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بعد الفتح أيضا إلى سواع، وهو صنم هذيل لهدمه؛ قال عمرو: فأتيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لم؟ قال: تمتع؛ قلت: حتى الآن أنت في الباطل ويمك! وهل يسمع أويصر؟ قال: قد نوت منه فكسره، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئا؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ذكر مربة سعد بن زيد الأشملي إلى مناة

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان أيضا إلى مناة — وكانت بالمثل للأوس والخزرج وعسان — لهدمها، فخرج في عشرين فارسا حتى أتته إليها وعليها سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة؛ قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عربية سوداء نائرة الرأس تدعو بالويل

(١) نائرة الرأس: منشرة شعر الرأس.

(٢) المثل: جبل هبط منه إلى هدي من ناحية البحر.

وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا ؛ فَقَالَ السَّادَنُ : مَنْأَةُ دُونَكَ بِمَعْضِ غَضَبَانِكَ ؛ وَيَضْرِبُهَا
سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ فَيَقْتُلُهَا ، وَيَقْبِلُ إِلَى الصَّنَمِ مَعَهُ أَصْحَابُهُ ، وَلَمْ يَجِدُوا فِي حِرَازَتِهَا شَيْئًا ،
وَأَنْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ ذَلِكَ لَسِتِ بَقِيَّةٍ
مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر

أَبْنُ عَبْدِ مَنْأَةَ بْنِ كَثَّانَةَ ، وَهُوَ يَوْمُ الْغَمِيصَاءِ

قَالُوا : لِمَا رَجَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنَ هَدَمِ الْعَزَى ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَقِيمٌ بِمَكَّةَ ، بَشَّةٌ فِي شَوَّالٍ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ بْنِ عَامِرٍ ، وَكَانُوا أَسْفَلَ مَكَّةَ عَلَى لَبْلَةٍ مِنْهَا
بُنَاحِيَّةٌ يَتَلَمَّعُ ، دَاعِيًا إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يَبْعَثْ مَقَاتِلًا ، فَخَرَجَ فِي ثَلَاثَةِ وَتَمْسِينٍ رَجُلًا
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَبَنِي سُلَيْمٍ ، فَأَتَتْهُمُ إِلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟
قَالُوا : مُسْلِمُونَ ، قَدْ صَلَّيْنَا وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ ، وَبَنَيْنَا الْمَسَاجِدَ فِي سَاحَاتِنَا ، وَأَدَّأْنَا
فِيهَا ؛ قَالَ : فَمَا بِالْسَّلَاحِ عَلَيْكُمْ ؟ فَقَالُوا : إِنَّا بَيْنُنَا وَبَيْنَ بَعْضِ الْعَرَبِ عَدَاوَةٌ ،
نَخْشَى أَنْ تَكُونُوا هُمْ : فَأَخَذْنَا السَّلَاحَ ؛ قَالَ : فَضَمُّوا السَّلَاحَ ؛ قَالَ :
فَوَضَعُوهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : اسْتَأْمِرُوا ؛ فَأَسْتَأْمَرَ الْقَوْمُ ، فَأَمَرَ بَعْضَهُمْ فَكَتَفَ بَعْضًا
وَنَزَقَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ نَادَى خَالِدُ : مَنْ كَانَ مَعَهُ أَسِيرٌ فَلْيُدْأِهِ ؛
أَيُّ فُلَيْحٍ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ .

فَاقَامَ بَنُو سُلَيْمٍ فَقَتَلُوا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَارْشَلُوا
أَسَارَهُمْ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ خَالِدٌ ، فَقَالَ : ” اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ
مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ “ ؛ وَبَشَّ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَوْلَهُ لَمْ يَقْتُلْهُمْ رَمَا ذَهَبَ مِنْهُمْ .

١١٨
١٥

وقد حكى أبو الفرج على بن الحسين الأصمغاني ، خبر هذه السرية في قصة عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وخبر مقتلَه ، ودَكَرَ خبرَه مع حُيَيشَة ، فروى بسند رصه إلى ابن دأب قال : كان من حديث عبد الله بن علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ ذاك بَقَعَة : دون المختلِم ، لتورر جارة لها ، وكانت لها بنت يقال لها : حُيَيشَة إحدى بنات عامر بن عبد مناة ، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقع في نفسه ، فأنصرف وترك أمه عند جارتها ، فبقيت عندها يومين ، ثم أتاها ليرجمها إلى منزله ، فوجد حُيَيشَة قد نُيِّنَتْ لأمرٍ كان في الحى ، فازداد بها عجباً ، وأنصرف بأته في فداة تَطِر ، فثنى معها وجعل يقول :

فَا أَدْرِى بَسْلَى إِنِّى لِأَدْرِى • أَصَوَّبُ الْقَطْرَ أَحْسَنُّ أَمْ حُيَيشُ
حُيَيشَة وَالَّذِى خَلَقَ الْمَهْدَايَا • وَمَا لَئِنْ عِنْدَهَا لِلصَّبِّ عِيشُ^(١)

١٠

قال : فسمعت ذلك حُيَيشَة ، فتناظلت عنه ، وكهنت قوله ، ثم منى ملياً فإذا هو بظلي على دبوة من الأرض ، فقال :

يَا أَمَتَا خَبَرِىْ غَيْرَ كَاذِبَةٍ • وَمَا يَرِيدُ مَسْئُولُ الْحَقِّ بِالْكَذِبِ
أَنْتَ أَحْسَنُ أَمْ ظُلِّىْ بِرَابِيعَةٍ • لِأَبْلِ حُيَيشَة فِي عَيْنِ وَفَى أَرْبَى

قال : فزجره أمه ، وقالت : ما أنت وهذا ، أنا من وُجِّتِكَ بنت عمك ، فهى أجمل من تلك ، وأنت امرأة عمه فأخبرتها خبره وقالت : زَيْنَى أَبْنِكَ لَهُ ، ففعلت وأدخلتها عليه ، فلما رآها أطرق ، فقالت له أمه : أيهما الآن أحسن ؟ فقال :

١٥

(١) الخبر في الأغاني ٧ : ٢٨٠ (طبع دار الكتب المصرية)

(٢) رواية الأغاني : • وما عن بعدها للصَّبِّ عِيشُ •

إذا غَبْتُ عَنِّي حُبَيْشَةَ مَرَّةً • من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا
 كأن الحشا حراً السعير يحشهُ^(١) • وقود النضى فالتلب مضطرباً بحرا
 قال : وجعل يرسل الجارية وترأسه ، حتى علقته كما علقها ، وكثر قوله الشعر
 فيها ، فن ذلك قوله^(٢) :

- حُبَيْشَةُ هل جدى وَجَدَكَ جامعٌ • بشلِكُم شَمَلٌ وأهليكم أهلي؟
 وهل أنا ملتف بشوبك مَرَّةً • بصحراء بين الأيكين إلى النخل؟
 ومرثشف من ريق نسرِك مَرَّةً • كرايح ومِسِكٍ خالطاً عسل النحل

فلما بلغ أهلها خبره ، حجبوها عنه مدة ، وهو يزيد غراماً بها ، ويكثر قوله الشعر
 فيها ، فأتوها فقالوا لها : عليه السَّرحة ، فإذا أتاك فقولى له : تشدتك الله إن
 أحببني فما على الأرض شيء أبغض إلى منك ، ونحن قريب نسمع ما تقولين ؛
 فواعدته ، وجلسوا قريباً يسمعون ، وجلست عند السرحة ، وأقبل عبد الله
 لموعدها ، فلما دنا منها دمعَتْ عَيْنُهَا ، وألثقت حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم
 قريب ، فرجع ، وبلغه ما أمروها به أن تقول ، فأنشأ يقول :

- فلو قلت ما قالوا لَوَدِدْتُ جَوَى جَوَى^(٣) • على أنه لم يسق يستر ولا صبر
 ولم يك حبي من نوال يذلتُه • فيُسَلِّني منك التجلّد والمجبر^(٤)
 وما أنس الأشياء لم أنس دمعها • ونظرتها حتى يُسَيِّئَ القسبر

(١) حش النار : أوقدها . (٢) في الأغاني خلاف في رواية بعض الأبيات .

(٣) رواية الأغاني :

• لو قلت ما قالوا لودت جوى بك •

(٤) رواية الأغاني :

• فيسليني عن التجهيم والمجبر •

قال : وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد إلى
بنى عامر ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا وإلا قاتلهم ، فصبَّحهم
خالد بالقميصاء وقد علوا به وخافوه ، وكانوا قد قتلوا الفاكه بن الوليد وعمه
الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ، فلما صبحهم خالد ومعه بنو سليم وهم يطلبونهم بمالك
أبن خالد بن حضرمي الشريد ، وإخوته كُرْز وعمسرو والحارث ، وكانوا قتلوهم
في موطن واحد . فلما صبحهم خالد وراوا معه بنى سليم زادهم ذلك نُفُورا ،
فقال لهم خالد : أسلموا ، فقالوا : نحن مسلمون ، قال : فآلفوا سلاحكم وأزولوا ،
قالوا : لا والله ، فقال لهم حُذَيْمُ بْنُ^(١) الحارث أحد بنى أقرم : يا قوم ، لا تَقُومُوا
سِلَاحَكُمْ ، فوافقه ما بعد ووضِعَ السلاحُ إِلَّا القتل ، قالوا : والله لا يُبْقَى سِلَاحُنَا
ولا نَتْرَل ، فإِنا نحن لك ولا لمن مَلَكَ بَأْمَنِينَ ، قال خالد : فلا أمان لكم ، فترت
فرقةٌ منهم فأسروهم ، وتفرَّقَ بَقِيَّةُ القوم فرقتين ، فأصعدت فرقة وسغلت أخرى .
قال ابن دأب : فأخبرني من لا أتهم عن عبيد الله بن أبي حذَرْدِ الأسلمي
قال : كنت يومئذ في جُند خالد ، فبعثنا في إِثْرِ طُعْنٍ مُصْعَدَةٍ يسوق بها فتيه ، فقال :
أدركوا أولئك ، فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم ، فمَضَوْا ، ووقف لنا غلام على
الطريق ، فلما آتينا إليه جعل يقاتلنا ويرتجز ويقول :

أَرْحِينَ أَطْرَافَ الدُّيُولِ وَأَرْحِينَ^(٢) * مَشَى حَيَّاتٍ كَأَنَّ لَمْ يَفْرَعْنَ
* إِنْ يُنْعَ الْيَوْمَ نِسَاءَ مُثْمَنَ *

فقاتلنا طويلا ، فقتلناه ومضينا ، حتى لحقنا الظنن ، فخرج إلينا غلام كأنه
الأول ، فجعل يقاتلنا ويقول :

(١) ما في الأصلين بواطن ما في الإمامة ، وفي ابن هشام : «جهم» . وفي الأغانى «جذبة» .
(٢) في الأغانى : * بين أطراف الديول واربين *
ورواية ابن هشام : * رغبين أذبال المروط واربين *

أَقْسِمُ مَا لَيْتَ خَائِدٌ ذُو لَيْدَةٍ ^(١) • يَرْزِمُ^(٢) يَنْ أَيْسَكَةَ وَوَهْدَةَ
بَعْرِيسَ ثِيَابَ الرِّجَالِ وَحَدَّةَ • بِأَصْدَقِ الْفِدَاءَةِ مَنَى نَجْدَةَ

فقاتلناه حتى قتناه ، وأدركنا الظُّننَ ، وإذا فبين غلام وضى ؛ به صُفْرَةٌ في لَوْنِهِ
كالْمَهْوُوكِ ، فربطناه بِجَبَلٍ ، وقدمناه لِنَقْلِهِ ، فقال : هل لكم في خير ؟ قلنا :
ما هو ؟ قال : تدركون بي الظنن أسفل الوادي ثم تهتلونني ؛ قلنا : نعم ؛ فخرج
حتى نمارض الظنن بأسفل الوادي ، فلما كان بحيث يسمعون الصوت ، نادى
بأعلى صوته : إِيَّاسَى حَيْشَ ، عند فقد المِيشَ ، فأقبلت إليه جارية بِرِضَاءٍ حَسَنٍ ؛
فقال : وَأَنْتِ فَأَسْلَمِ عَلَى كَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَشِدَّةِ الْبَلَاءِ ؛ قال : سلام عليك دهرًا ،
وإن بقيت عصراء ؛ فقالت : وَأَنْتِ سَلَامٌ عَلَيْكِ عَصْرَاءَ ، وَشَفْعًا وَوَتْرًا ، وَثَلَاثَةً تَتَرَى ؛
فقال :

إِنِّي يَقْنُونِي بِأَحْبَشٍ قَلَمٌ يَدْعُ • هَوَاكِ لَمْ يَنْ سَوَى قُلَّةِ الصَّادِرِ
فَأَنْتِ أَتَى أَخْلَيْتَ لَمْ يَنْ دِي • وَعَظْمِي وَأَسْبَلَتِ الدَّمُوعُ عَلَى نَحْرِي
فقال له :

وَنَحْنُ بِكِتَابِ مَنْ فَرَاكَ مَرَّةَ • وَأُخْرَى وَأَسْبَاكَ فِي الْمَسِيرِ وَالْبَعِيرِ
وَأَنْتِ فَلَا تَبْعُدُ فِيمَنْ قَى الْمَسْوَى • جَمِيلُ الْعَفَافِ وَالْمَوْقَةِ فِي مَسَرِّ
فقال لها :

أَرَيْتَ إِنْ طَالَبْتُمْ فَوْجِدَتَكُمْ • بِحَزْمَةٍ أَوْ أَدْرَكْتُمْ بِالْخَسَوَانِي ^(٣)
أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يَتَوَلَّ حَاشِقُ • تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ ^(٤)

(١) في الأصل : « ذورده » . وما أشتبهه من ابن هشام والأغاني . (٢) في الأغاني « يزاره » .

(٣) في الأغاني والمواهب (٣ : ٥) : « بحيلة » . (٤) انشراح : موضع بهيمة .

(٥) الردائق : جمع ودقة . وهي شدة الحر في الظهيرة .

فقلت : بلى والله ، فقال :

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ نَحْنُ جَبْرَةٌ * أَتَيْتِي بُوذَ قَبِيلِ إِحْدَى الصَّمَاثِيقِ
أَتَيْتِي بُوذَ قَبِيلِ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى * وَيَتَأَى الْخَلِيطُ بِالْحَيْبِ الْمَفَارِقِ

قال ابن أبي حذَرْد : فَقَدِمْنَا فَضْرَبْنَا عُنُقَهُ ، فَأَقْتَحَمْتُ الْجَارِيَةَ مِنْ خُدْرِهَا
حَتَّى أَهَوْتُ نَحْوَهُ ، فَأَلْتَقَمْتُ فَاهُ ، فَتَرَعْنَا مِنْهَا رَأْسَهُ ، وَإِنْهَا لَتَتَّبِعُ نَفْسَهَا حَتَّى
مَاتَتْ مَكَاتَهَا ، وَأَقْلَمْتُ مِنَ الْقُوَّةِ غِلَامٌ مِنْ بَنِي أَقْرَمَ يَقَالُ لَهُ السَّمِيدَعُ حَتَّى أَقْتَحَمْتُ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرْتُ مَا صَنَعْتُ خَالَهُ وَشَكَاهُ . قَالَ ابْنُ دُأَبَ :
فَأَخْبَرَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " هَلْ أَتَكَرَّعَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ مَا صَنَعْتُ " ؟ قَالَ : نَعَمْ ، رَجُلٌ أَصْفَرُ رُبْعَةً - وَرَجُلٌ طَوِيلٌ أَحْمَرُ ؛ فَقَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَا وَاللَّهِ مَا رَسُولُ اللَّهِ أَعْرَفَهُمَا ، أَنَا الْأَوَّلُ فَهُوَ آخِي ، وَأَنَا الْآخِرُ
فَهُوَ أَوَّلُ حَذِيفَةٍ . وَكَانَ خَالِدٌ قَدْ أَمَرَ كُلَّ مَنْ أَمَرَ أُسَيْرًا أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَأَطَاعَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَسَالِمُ بْنُ أَبِي حَذِيفَةَ أُسَيْرَيْنِ كَانَا مَعَهُمَا ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ حُنَيْنٍ ، وَبِثَّ مَعَهُ بِزِيلٍ وَوَرِقٍ ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَدِينَهُمْ ، فَوَدَّاهُمْ . وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ : فَقَالَ :
قَدْ بَثُّ عَلَيْهِمْ فَقَتَلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا هَذَا بِمَا أَصِيبَ مِنْكُمْ مِنَ الْقَتْلِ
وَأَجْرِي ، وَتَحْمِلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عِلِمَ وَمَا لَمْ يَعْلَمْ ؟ ، فَنَاقُوا :
نَعَمْ . قَالَ : فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِمْ ، وَجَعَلْتُ أَدْيِيَهُمْ حَتَّى إِنِّي لَأَدِي مِثْلَ الْكَلْبِ .

(١) الصفايق : الملقوب ، واحداً صفيقة . وفي الأغانى : « البواقي » .

(٢) في الأغانى : « لكسح بنفسها » .

(٣) الربة من الرجال : القى بين الطويل والقصير .

(٤) الميغ : الإناة . الذي يلغ فيه الكلب .

وفضلتُ فضلةً فدفعتمُ إليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أَقْبِلُوهَا “ ؟
قلت : نعم ، قال : ” فوالذي أنا عبده لذاك أحبُّ إليَّ من حمر النعم “ .

وروى أبو الفرج أيضًا بسند ^(١١) رفعه إلى عمر بن شبة ، قال : قالوا : يُروى
أن خالدًا أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فسئل عن غزاته بنى جذيمة ، فقال :
إن أذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحدثُ ، فقال : ” تحدثُ “ ، فقال :

لقيناهم بالقميصاء بمد وجه الصبح ، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمس يغيب ،
ففتحنا الله عز وجل أكتافهم ، فاتبعناهم نطلبهم ، فإذا غلام له ذوائب مل فرس
في أنريات الناس ، فيؤات له الرمح ^(١٢) فوضعتُه بين كتيفيه . فقال : لا إله ، فقبضتُ
الرمح ، فقال : إلا الآلات أحسنت أو أساءت ، فهشمتُه هشمةً أرديته بها ،

ثم أخذته أسيرًا ، فشددته وثاقًا ، ثم كلمته فلم يكلمني ، واستخبرته فلم يخبرني ؛
فلما كان ببعض الطريق رأى نسوةً من بنى جذيمة يسوقهنَّ المسلمون ، فقال :
يا خالد ، فقلت : ما تشاء ؟ فقال : هل أنت وافق على هذه النسوة ؟ فأبيتُ ، فألقى ^(١٣)
على أصحابي ، ففعلت ، وفيهنَّ جارية تدعى حبيشة ، فقال : لها : ناوليني يدك ،
فناولته يدها في ثوبها ، فقال : اسألي حبيش ، قبل نفاذ العيش . فقالت : حيث
عشرا ، وتما ترقى ، وثمانيا أخرى ، فقال :

أريتكم إذ طالبنكم فوجدتكم * بخيلة أو أدركتكم بالحواسني
ألم يك حقًا أن ينول طاشق * تكلف إدلاج السرى والودائقي

(١) الأغانى ٧ : ٨٩

(٢) يزأله الرمح : سقده .

(٣) كذا في جرد الأغانى ، وفي أ : « أفت » .

(٤) آل على أصحابي ، أى حقوا .

(٥) هي نحلة الجانية ، وفي الأغانى : « حلية » ، وعلية موضع بنباة .

فقلت : بلى ، فقال :

فقد قلت إذ أهل وأهلك جيرة * أنبئني بؤد قبل إحدى الصفائقي
أنبئني بؤد قبل أن تسحط التوى * وينأى الأمير بالحبيب المفارق
فإني لا ضيعة سر أمانة * ولا راق عيني بعد عينك رائق^(١)
قال خالد : فعاظني ما رأيت من غزله وشعره في حاله تلك ، فقدمته فضربت
عنقه ، فأقبلت الجارية تسمى حتى أخذت برأسه فوضعت في حجرها ، وجعلت
ترشقه وتقول :

لا تبعدن يا عمرو حياً ومالكاً * ولا يبعدن المدح مثلك من مثلي^(٢)
ولا تبعدن يا عمرو حياً ومالكاً * فقد عشت محموداً لنا ماجد الفعل
فمن ليراد الخليل تُسَجَّر بالْقَفَا * وللتحر يوماً عند ققرة البزل^(٣)
فا زالت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت ، وإن رأسه لفي حجرها ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد وقفت لي يا خالد وإن سبعين ملكاً لمطيفون
بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتله " . والله أعلم .

ذكر غزوة حنين ، وهي إلى هوازن وتقيف

غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان من هجرته . وذلك أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة ، مشى أشراف هوازن وتقيف بعضها
إلى بعض ، وحشدوا وأوعبوا وبقوا ، وجمع أمرهم مالك بن عوف النضري ، وهو
يومئذ ابن ثلاثين سنة ، وأمرهم بقاء معهم بأموالهم ونسبهم وأبنائهم حتى
نزلوا بأوطاس ، وجعلت الأمداد تأتيهم .

(١) في هذا البيت إقراء . (٢) كذا في الأصلين ، وفي الأمازي :
فحق بمجن المدح مثلك من مثلي * .

(٣) تسجير : تظن . البزل : جمع بازل ، وهو البير في السنة الخامسة ، والقرقرة : دعا . الإبل ؛
وهي أيضاً عذير الحمل . (٤) أوطاس : واد في بلاد هوازن .

قال محمد بن إسحاق : اجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، ونصر ، وجشم كلها ، وسعد بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل . قال : ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب ، ولم يشهدا منهم أحدا له اسم ؛ قال : وفي بني جشم دريد بن الصمة ، وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفة بالحرب . قال : وفي ثقيف سبدان لهم في الأخلاف : قارب بن الأسود^(١) ، وأبى مسعود بن معتب ، وفي بني مالك ذو النخار^(٢) سبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه .
وقال أبو يحيى أحمد بن محمد بن إبراهيم التلعلي : كان على ثقيف كاتبة بن سبد بانييل بن عمرو بن غمير الثقيفي . قال : وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف .

- ١٠ قال ابن إسحاق : وجمع أمر الناس بن مالك بن عوف . قال : ولما نزل مالك بن نويرة . اجتمع إليه الناس وفيه ذريد بن الصمة ، والصمة : معاوية الأصميرين بكر بن علفة . وقيل : علفة بن حنثة بن غيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن في بني علفة . ولما نزل ذو النخار^(٢) سبيع بن مالك بن دريد قال : يا بني واد أنت ؟ قالوا : نويرة . قال : نعم نحن الحلي . لا حزن صرنا ، ولا سهل نهضنا . ثم قال : ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الخير . وبكاء الصمير . ويغار النساء ؟ قالوا : ساق .
١١ مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبائهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لي أسمع رغاء البعير ، ونهاق الخير ، وبكاء الصمير ، ويغار

(١) في ابن هشام ٤ : ٨٠ « وأخوه أحر بن الحارث » .

(٢) الحزن : مأخوذ من الأرض . والضرر : الضرب من الحارة . والذهبي : المكان السهل .

(٣) يذو النساء : صوت .

الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقايل عنهم ، قال : فَأَقْصَصْ بِهِ . — أى صاح — ثم قال : راعى ضأنٍ والله ! وهل يرد المنهزم شئ ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلِكَ ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منهم أحد ، قال : غاب الحد . والحد ؟ ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددتُ أنكم فعلتم . فقلت : فن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر . وعوف بن عامر ، قال : ذاك أخذَ عان من عامر لا ينفعان ولا يضُرَّان ، يا مالك : إياك لم تصنع بتقديم البيضة . بيضة هوازن إلى نخود الخيل شيئاً . فدفعهم إلى متقع بلادهم . وعُليا قومهم . ثم ألقى صباءً على مُتُون الخيل ، فإن كانت لك خيول بك من ورائك ، وإن كانت عليك . — لك ذلك ، قد أحرزت أهلك ومالك ، قال : لا والله ، لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لأتكنن على هدى السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدريد بن الصَّحَّة فيها ذكر ورأى ، قالوا : أطلعناك ، فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يُقْنَى .

يَالْتَنِي فِيهَا جَدْعٌ * أَحَبَّ فِيهَا وَاضِعٌ
أَقْوَدُ وَطْعَاءُ الزَّمْعِ * كَأَنَّهَا شاةٌ صَدْعٌ

(١) الجذع بالفتح بك : الشاب الحدث .

(٢) بيضة هوازن : أهلهم ومجتمعهم . (٣) في الاملين : « التبا » تحريف . صو من ابن هشام . والصباء في الأصل : جمع صابن ، وهو من خوج من دين إلى دين . وكان المشركون يسمون المسلمين بهذا . وفي اللسان في حديث هوازن : « وألو الصبي » (بضم الصاد وتشديد اليا . المفتوحة) أى القدر يشتهون الحرب ويميلون إليها . (٤) احبب بالرفع . صريان من السير . والوطعاء : الغزاة . شعر . والزعم : الشعر الذى فوق حريط قيد الدابة ، يربد فرسا صفحتها حكما ، والمراد بالكاة للرجل . وصدع : أى دغل بين الوطيس ليس بالعظيم ولا بالحقير (أخضر) .

ثم قال مالك بن عوف للناس : إذا رايجوهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد ، قال : وبعت مالك بن عوف عُيوناً من رجاله ، فأتوه وقد تغزقت أوصالهم من الزغب ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً يعضا ، على خيل يلقي ، فوافه ما تماسكا أن أصابنا ما ترى ، فلم يرده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

٥

قال ابن إسحاق : ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم بعث إليهم عبد الله بن أبي سُدْر الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم ، ففعل ، ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى هوازن لقتالهم ، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : ” أعمرنا سلاحك نلقى به عدونا “ ، فقال : أغضبنا يا عجمي ، فقال : ” بل عارية مضمونة حتى تؤدبها إليك “ ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في اثني عشر ألفاً من المسلمين : عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة ، وألقان من أهل مكة .

١٥

قال الثعلبي : قال مقاتل : كانوا أحد عشر ألفاً وحماية .

وقال الكلبي : كانوا عشرة آلاف ، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” لن نُغلب اليوم من قلة “ ، حكاه ابن إسحاق . وقال محمد بن سعد : قال ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه . قال الثعلبي :

٢٠

ويقال : بل قال ذلك رجل من المسلمين يقال له : سلمة بن سلامة .

قال ابن سعد : وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المشركين كثير، منهم صفوان بن أمية .

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان لكفار قريش ومن سواهم من العرب سِدْرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضْرَاءُ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلُّ سَنَةٍ يَمْلَقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا، قَالَ :

١٢٢
١٥

فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عَظِيمَةً، فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَابَاتِ الطَّرِيقِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ، قَلَمٌ وَالَّذِي نَفْسُ عِدِّي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١) إِنَّهَا السَّنَنُ، لَتَرَكِبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، "

١٠

قَالُوا : وَأَتَتْهُ رُسُلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنينٍ مَسَاءَ لَيْلَةِ الثَّلَاثَةِ لَمْ يَسْرِ خُلُونٌ مِنْ شَوَالٍ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ عَمَدَ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ إِلَى أَصْحَابِهِ فَمَبَاهِمُ فِي وَادِي حُنينٍ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ حَمَلَةً وَاحِدَةً، وَعَبَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فِي السَّحَرِ : وَصَفَهُمْ صُفُوفًا،

١٥

وَوَضَعَ الْأَثْوِيَةَ وَالزَّايَاتِ فِي أَهْلِهَا مَعَ الْمُهَاجِرِينَ : لَوَاءَ يَحْمِلُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَرَايَةَ يَحْمِلُهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَرَايَةَ يَحْمِلُهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَلَوَاءَ الْخَزْرَجِ يَحْمِلُهُ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ — وَيُقَالُ : سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ — وَلَوَاءَ الْأَوْسِ مَعَ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، وَفِي كُلِّ بَطْنٍ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ لَوَاءٌ وَرَايَةَ يَحْمِلُهَا رَجُلٌ مِنْهُمْ مَسْمُومٌ، وَكَذَلِكَ قِبَائِلُ الْعَرَبِ فِيهَا الْأَثْوِيَةُ وَالزَّايَاتِ يَحْمِلُهَا قَوْمٌ مِنْهُمْ مَسْمُومُونَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) السدرة : شجرة النبق .

(٢) الأعراف : ١٣٨

- وسلم قد قدم مُسَلِّماً من يوم خرج من مكة، وأستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدمة حتى قَدِمَ الحِمْيَرَانَةَ. قال : وأتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي حنين على تعبته ، وركب بغلته البيضاء « دُلُكُلٌ » ، وليس درعين والمِغْفَرُ والبيضة ، فَأَسْتَقْبَلَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ شَيْءٍ لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ مِنَ السَّوَادِ وَالكَثْرَةِ ، وَذَلِكَ فِي غَبَشِ الصَّحْجِ (١) وَنَحَرَجْتَ الْكَتَّابَ مِنْ مَضِيقِ الْوَادِي وَسَعَتِهِ ، فَحَمَلُوا حِمْلَةً ، وَأَنْكَشَفْتَ الْخَيْلَ خَيْلَ بَنِي سَلِيمَ مَوْلِيَّةً ، وَتَبِعَهُمُ النَّاسُ مِنْهَزِمِينَ ، وَأَتَحَاذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ أَيْمَنِ ، وَجَمَلٌ يَقُولُ : يَا أَنْصَارَ اللَّهِ وَأَنْصَارَ رَسُولِهِ ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَثَبْتُ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَأَبُو سَفْيَانَ ، وَأَسْمَةُ الْمَغيرةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأَخُوهُ ربيعةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَيُّمُنُ بْنُ أُمِّ أَيْمُنٍ بْنِ عُبَيْدٍ فِي أَنْاسٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ .

- قال الكلبي : كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثائة من المسلمين ، وأنهم سائر الناس عنه ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للعباس : نَادِ ، يَامَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، يَا أَصْحَابَ السُّمُرَةِ ، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، فَنَادَى - وَكَانَ صَيْتًا - فَأَقْبَلُوا كَأَنَّهُمْ الْإِبِلُ إِذَا حَنَّتْ عَلَى أَوْلَادِهَا يَقُولُونَ : يَا بُنَيَّ يَا بُنَيَّ ! فَحَمَلُوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَى قَتْلِهِمْ فَقَالَ : « الْآنَ حَيَّ الْوَطِيسُ » (٢)

أَنَا النَّسَبِيُّ لَا كَذِبٌ * أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .

- (١) غَبَشِ الصَّحْجِ : غلبة آخر الليل ، وفي ابن هشام : « حماية الصَّحْجِ » .
(٢) السُّمُرَةُ : شجرة الطلح ، وهي التي كانت منها بيعة الرضوان عام الحديبية .
(٣) الوطيس : النور يحترقه . وقيل : هو حجارة توقد العرب تحتها النار ويشتون فيها اللحم ، وقيل غير ذلك .

ثم قال للعباس بن عبد المطلب : فاولئ حَصِيَّاتٍ ، فتاوله حَصِيَّاتٍ من الأرض ، ثم قال : "شاهت الوجوه" ورمى بها وجوه المشركين ، وقال : "انهزموا ورب الكعبة" وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وانهزموا لا يُلَوِّى أحد منهم على أحد .

قال محمد بن إسحاق : لما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفَاءِ مَكَّةَ الهزيمة ، تكلم رجال بما في أنفسهم من الضيق ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزرار لمعه في مكانته ،

وصرخ جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية : ألا يَطْلُ السَّحَرُ اليوم ! فقال له صفوان : أَسَكَتَ فَضَّ الله فاك ! فوالله لأن يَرَبِّى رجل من قريش أحب إلى من أن يَرَبِّى رجل من هوازن ، وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة : اليوم أَدْرَاكَ

تأرى من عهد - وكان أبوه قتل يوم أُحُد - اليوم أقتل عِدا . قال : فبادرت لأقتله ، فأقبل شيء حتى غَشَى فؤادى . فلم أطلق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع منى .

وفي رواية أخرى ، قال شبيب بن عثمان : استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان ، وعثمان بن طلحة ، فاطلَعَ الله رسوله على ما في نفسى ، فالتفت إلى وضرب في صدرى وقال : "أعْيذك بالله

يا شبيب" ، فأرعدت فرائعى ، فنظرت إليه وهو أحب إلى من سمعى وبصرى فقلت : أشهد أنك رسول الله ، وأن الله أطلعك على ما في نفسى .

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذٌ بِمَحْكَةٍ بفلته البيضاء وقد شَجَرَتْهَا بها ، وكنت أَمْرًا جَسِيًا شديد الصوت ،

(١) يرمى : يكون رِبَا لى ، أى مالكا على .

(٢) الحكمة بحركة : ما أساط بحكى الفرس من كلامه .

(٣) شَجَرَتْهَا بها ، أى وضعتها في شجرها ، وهو مجتمع الخمين .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : " [أين] أيها الناس " ، فلم أر الناس يأتون على شيء ، فقال : " يا عباس ، اصبر ، يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّعة " قال : فاجابوا ليكَ ليكَ ، قال : فيذهب الرجل ليثي بغيره فلا يقدر على ذلك ، ويأخذ ذِرْعَه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وتره ويقتحم عن بغيره ويخل سبيله ، فيؤتم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فأقتلوا ؛ فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ، فنظر إلى مجتهد القوم ، فقال : " الآن حمى الرطيس " .

قال جابر بن عبد الله : فوافقه ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وألقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أم سلمة ابنة ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة ، وهي حازمة وسطها يرد لها ، وإنها لحامِل بعبدة الله بن أبي طلحة ، وممها بجل أبي طلحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أم سلمة ؟ " قالت : نعم ، بأبي وأمي يا رسول الله ! أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أو يكنى الله يا أم سلمة ؟ " قال : وممها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يا أم سلمة ؟ قالت : خنجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به .

(١) الزيادة عن ابن هشام .

(٢) مجتهد القوم : مكان جلادهم بالسيف .

(٣) سجطة : شقة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار أنه حدث عن جبير بن مطعم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتلون مثل الجاد الأسود أفبل من السماء حتى سقط بيضا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبثوث قد ملا الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ولم تكن إلا هزيمة القوم .

• قال ابن إسحاق : ولما أنهزم المشركون أتوا الطائف ومعهما مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة^(١)، وتبعته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من الناس، ولم تقع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن ربيعة بن أهبان - وهو ابن الدغنة - دريد بن الصمة وهو في شجاره أي هودج، فاخذ يخطم بجله وهو يظن أنه امرأة، فاناخ به، فإذا هو شيخ كبير والفسلام لا يعرفه، فقال له دريد : ما تريد بي ؟ قال : أقتلك، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السلمي، ثم ضرب به بسيفه فلم يثن فيه شيئا، فقال : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرجل في الشجار، ثم أضرب به، وأرفع عن العظام، وأخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أنبت أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب والله يوم قد منعت فيه نسائك فقتله . ولما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهاتك ثلاثا .

قال ابن هشام : ويقال إن الذي قتل دريد بن الصمة هو عبد الله بن قتيبة ابن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة قال : وبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبيل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك بعض من أنهزم، فأتاهوه القتال، فقتل منهم أبو عامر تسعة مبارزة وهو يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام

(١) الجاد : الكساء، وجهه يحد بضمين . (٢) يريد نخلة الجانية .

ويقول : اللهم أشهد ، ثم برز له العاشر مُعلِّماً صفراء ، فضرب أبا عامر فقتله . وأستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعري ، فقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وقتل قاتل أبي عامر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أغفر لأبي عامر وأجعل له من أعل امتي في الجنة " ، ودعا لأبي موسى .

وقد آين هشام في خبر أبي عامر : إنه قتل تسعة مبارزة يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول : اللهم أشهد عليه ، فيقتله أبو عامر ، ويبقى العاشر ، يحمل كل منهما على صاحبه ، فدعاه أبو عامر إلى الإسلام وقال : اللهم أشهد عليه ، فقال الرجل : اتهم لا تشهد علي ، فكف عنه أبو عامر . فأُغت ، ثم أسلم بعدُ فحسن إسلامه ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : " هذا خير يد أبي عامر " ، ورعى أبنا عامر أخوان : العلاء وأوى ابنه أخاثر من بني جشم آين معاوية ، فأصاب أحدهما قبه . والآخر ركبته ، فقتلاه ، وولى الناس أبو موسى يحمل عليهما فقتلها .

وقال أبو الفرج الأصفهاني : إن الذي رمى أبا عامر فاضل ركبته هو سامة
 (١)
 ابن دريد بن الصمة . وإليه أرجع فقال :

۱۵ إِنَّ تَسْأَلُوا عَنِّي فَأَيُّ سَأَلَةٍ • إِنَّ سَمَادِيرَ بَلَمَن نَّوَسَمَةٍ
• أَضْرَبُ بِالسِّفِ رَعَوَسَ الْمُتَسَلِّمَةِ •

قال : وخرج مالك بن عوف عند المزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أحراكم ، فوقف حتى مضى من لحق بهم من منهزة الناس .

(١) في كلا الأصلين: «ريد» .

(٢) مصادر : امرأة دويش من القصة .

٢٤
١٥

قال ابن هشام : وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على النخبة ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا نرى قوماً واضعى رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة وأدغم فقال : هؤلاء بنو سليم . ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا ملكوا بطن الوادي ، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضى رماحهم أغفلاً على خيلهم . فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أتوها إلى أصل الثنية ملكوا طريق بني سليم . ثم طلع فارس فلما رأى لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارساً طويل الباذ وضعا رمحاً على مئيقه ، عاصباً رأسه بلاء حراء . فقال : هذا لزيير بن العوام ، وأخلف ثلاث بخلطكم . فأتواهم ، فلما أنبى زيير بن أصل الثنية : أبصر تقوم قصيد لمي ، ثم ينزل يدهم حتى أراحهم عنها .

قالوا : ولما هم يقوم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل من فدى فيه . حتى المدين عليهم ، فقتلوا بدرية والمدينة . ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بأمرأة قد قتلها خالد بن الوليد ، فقل : « ما هذا » ؟ قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ، فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من أمة : « أدرك خالد بن الوليد فقل له : إن رسول الله يهلك أن تقتل وليداً أو امرأة » ؛ وأمر الله تعالى في يوم حنين قوله تعالى : « لقد نصرتم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين : إذ نجبتكم كنزكم فلم ينن عنكم شيئا ووضعت فيكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سبحانه على رسوله وعلى المؤمنين وألزم حدوداً لم تعرفوا والذين كفروا وذلك حراء الكافرين »

(١) البواذ : جمع الباد ، وهو باطن الفهد .

(٢) الأعداء : جمع عدل ، وهو الذي لا لاء له . يريد أنهم لم يعلوا أنفسهم بشيء . يعرفون .

(٣) سورة النوبة ٢٥ - ٢٦

قال التلميذ : قال سعيد بن جبير : أمد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بخمسة آلاف من الملائكة ^(١) مُسَوِّمين .

وقال الحسن ومجاهد : كانوا ثمانية آلاف .

- وقال الحسن : كانوا مئة عشر ألفاً ، قال سعيد بن جبير : حدثني رجل كان
في المشركين يوم حُنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يقفوا لنا حَلَبَةً شاة ، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم ، حتى إذا أتينا إلى
صاحب البغلة الثَّنباء — يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم — تَلَفْنَا رجال يبيض
الثياب بحسان الوجوه ، فقالوا لنا : شامت الوجوه ، ارجعوا ، فرجعنا ، وركبوا
أَكافنا ، فكانت إياها . يعني الملائكة .

- ١٠ . قال : وفي الخبر ان رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال للؤمنين بعد القتال :
أين الخليل البلق ، والرجال عليهم ثياب بيض ؟ ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة ،
وما كان قتلنا إلا بأيديهم ، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : " تلك
الملائكة " .

- وقال محمد بن سعد : كان سِما الملائكة يوم حنين عمامهم حمر قد أرخوها
بين أكفهم .

- ١٥ . قال ابن إسحاق : وأشهد من المسلمين يوم حُنين من بني هاشم أئمن بن
عُبَيْد ، ومن بني أسد يزيد بن زعمة بن الأسود ، ومن الأنصار سرافة بن الحارث
ابن عدي ، ومن الأشعرين أبو هاجر .

- وقال ابن سعد : ووقم بن سببه بن زيد بن لؤذان ، واستحر القتلى في بني نصر
٢٠ . ابن معاوية ، ثم في بني رثاب ، فقال عبد الله بن قيس ، وكان مسلماً . هلك

(١) مَسَوِّمين ، أي مصلين .

بنو رثاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أجبر مصيبتهم " . قال :
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال فُجِّمَتْ ، وحُدِّرت إلى
الجعرانة ، وعليها مسعود بن عمرو النِفَارِيُّ ، فوقف بها بالجعرانة حتى أنصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف وهم في حفاظهم يستظلون
بها من الشمس ، ثم قسمها صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، على ما نذكره إن شاء
الله تعالى .

ذكر سرية الطفيل بن عمرو الدؤسي إلى ذى الكففين

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمانٍ عند منصرفه من غزوة
حُنينٍ ، وتوجَّه إلى الطائف ليهدم ذا الكففين صنم عمرو بن حممة الدؤسي ، وأمره
أن يستمد قومه ويأتيه بالطائف ، فخرج سرى ما إلى قومه ، فهدم ذا الكففين وجعل
يُحْسِنُ النار في وجهه ويقول :

١٢٥
١٥

يا ذا الكففين لست من عبادك * ميلادنا أقدم من ميلادك
* إني حَشَشْتُ النَّارَ في فؤادك *^(١)

وأخبر معه من قومه أربعة أربعة مراعا ، فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالطائف بعد مقدِّمه بأربعة أيام ، وقدم الطفيل معه بدبايةً ومجنَّبِيْقٍ .

ذكر غزوة الطائف

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمانٍ من مهاجره ، وذلك
أنه لما أنهزمت هوازن وقيف يوم حُنينٍ ، وجمعت السبايا والفنائم ، سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حنين يريد الطائف ، وقدم خالد بن الوليد على مقدَّمته ،
(١) حش النار : أرقدها . (٢) البدابة : آلة الله في الحروب يدخل في جوفها الرجال
ثم تدفع في أصل الحصن فيقتبونه وهم في جوفها .

وقد كانت ثقيف رؤوا حصنهم ، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة ، فلما أنهزموا من أطلس : دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتجهزوا للقتال ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلك على نخلة اليمانية . ثم على قرن ، ثم على الملح ، ثم على بحيرة الرعاء من لية ، فأبقي بها مسجداً يُصلّى فيه .

- ١٠ قول ابن إسحاق : وأقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بحيرة الرعاء حين نزلها بدم ، وهو أول دم أُقيده به في الإسلام رجل من بني أسد قتل رجلاً من هذيل فقتل به ، قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلية بمحصن مالك ابن عوف : فهديهم ، ثم سلك في طريق يقال لها : الضبيقة ، فسأل عن اسمها . فقال : " ما اسم هذه الطريق ؟ " فقالوا : الضبيقة ، فقال : " بل هي اليسرى " ، ثم خرج منها على نجيب حتى نزل تحت مئذنة يقال لها : الصادرة ، قريباً من مئذنة رجل من ثقيف ، وأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول : " إنا أن نخرج وإنا أن نخرب منك حائط " ، فوعد أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه ، ثم مضى حتى نزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك ، فقدموا المسلمين بالليل رمياً سائداً حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة . وقتل منهم اثناً عشر رجلاً .

- ١٥ قول ابن إسحاق : ^(٣) وهم سعيد بن سعيد بن العاص . وعمر فطمة بن جناب ، حليف لهم من أسد بن العوث . وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذؤيبى فاندمل جرحه ، ثم انتفض بعد ذلك ، فمات من في خلافة أبيه .

ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة .

- ٢٠ (١) هذه أسماء راضع بالطائف . (٢) نجيب : (فتح تم كسر) : واد بالطائف (ياقوت) . (٣) في ابن هشام : من قرين ثم من بني أمية بن عبد شمس سعيد . . . (٤) في ابن هشام : ومن بني مخزوم عبد الله . . . (٥) يقال : انتفض الجرح إذا فسد .

ومن بنى كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لم .

ومن بنى سعد بن ليث جليعة بن عبد الله .

ومن الأنصار ثابت بن الجندع ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة ،

والمزذر بن عبد الله ، ورقم بن ثابت بن ثعلبة الأوسى .

قال : فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم ،

وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب ، فضرب لهما قبتين .

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يوماً ، ويقال : نعمة عشر يوماً ،

ونصب عليهم المنجنيق ، ورعى عليهم به ، وأهل الطائف أول من رمى بالمنجنيق

في الإسلام .

قال ابن إسحاق : ^(١) حتى إذا كان يوم الشدة دخل نفر من المسلمين تحت

دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخربوه ، فأرسلت عليهم قتيق يكلك الحديد

محمأة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرميتهم قتيق بالنبل ، قتل منهم رجال ، فأمر

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناقهم وتحريرها ، فقطع المسلمون قطعاً

ذريماً ، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

”إني أدعها لله وللرحم“ ، وتادى متادى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”أيما عهد

نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر“ ، فخرج منهم بضعة عشر رجلاً منهم : أبو بكرؓ ،

فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين

يؤمونه ، فشق ذلك على أهل الطائف ، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم

في فتح الطائف ، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي ، فقال : ”ما ترى ؟“ قال :

”نعلب في حجر ، إن أقت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك .

(١) سى يوم الشدة لما شلخ فيه من الناس . وشلخ : كسر كل شيء أجوف ، (المواهب

قال محمد بن إسحاق : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : " يا أبا بكر ؛ إني رأيت أني أهديت لي قبةً معلومةٌ زُبدًا ، فقرها ديكٌ فهُرَّاقٌ ما فيها " ؛ فقال أبو بكر : ما أظن أن تُدرك منهم يومك هذا ما تريد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وأنا لا أرى ذلك " .

١٢٦
١٥

- قال : ثم إن خويلدة بنت حكيم بن أمية السُلَبيَّة ، وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله ، [أعطني]^(١) إن فتح الله عليك الطائف حُلِّيَّ بادية بنت غيلان ابن سلمة ، أو حُلِّيَّ الفارعة بنت عَقِيل ، وكأنا من أحلى نساء قريش . قال : فذكري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : " وإن كان لم يؤذن لي في تحييف يا خويلدة ؟ " فخرجت خويلدة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ما حديث حَدَّثْتَنِيهِ خويلدة فرعمت أنك قد قلته ؟ ؛ قال : " قد قلته " . قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ؟ قال : " لا " ، قال : أفلا أُؤْذَنُ بالرحيل ؟ قال : " بلى " ، قال : فأذن عمر في الناس بالرحيل ؛ فضجَّ الناس من ذلك ، وقالوا : نرحل ولم تفتح علينا الطائف ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فأعدوا على القتال " ؛ فعدوا ، فأصابَت المسلمين جراحات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنا قاتلون إن شاء الله " ؛ فسمروا بذلك وأذعنوا ، وجملوا يرتحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، وقال لهم : " قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده " ؛ فلما ارتحلوا واستقلوا قال : " قولوا آيئون ثابتون عابدون ، لربنا حامدون " ؛ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أَدْعُ على تحييف ؛ فقال : " اللهم أهد قبيفا وأت بهم " .

(١) الفتحة عن ابن هشام ج ٤ : ١٢٧

ذكر مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجحرانة

وقسم مغانم حنين ، وما أعطاه المؤلفنة

قال ابن إسحاق : ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف
رجع إلى الجحرانة فأنهى إليها ليلة الخميس لثلاث خلون من ذي القعدة ، فأقام
بها ثلاثة عشر يوما ، وقسم التي .

قال محمد بن سعد : كان السبي ستة آلاف ، والإبل أربعة وعشرين ألف
بعير ، وأنعم أكثر من أربعين ألف شاة ، والوَرِق أربعة آلاف أوقية ،^(١)
فأستأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي أن يقدم عليه وفدهم ، وبدأ بالأول
فقسمها ، وأعطى المؤلفنة قلوبهم أول الناس .

١٠ قالوا : فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال :
وأبى يزيد ؟ قال : " أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل " ، قال : وأبى معاوية ؟
فأعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل ، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ،
ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها ، وأعطى النضير بن الحارث بن علقمة بن كلفة
مائة من الإبل ، وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مائة من الإبل ، وأعطى السلاء
١٥ ابن جارية الثقفي خمسين بعيرا ، وأعطى حرملة بن نوفل خمسين بعيرا ، وأعطى
الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيد بن ربوع خمسين من الإبل ،
وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل ،
وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل ، وأعطى سبيل بن عمرو مائة من الإبل ،
وأعطى حريط بن عبد المزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو العامري

نحسين من الإبل ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل ، وأعطى عيينة
ابن حصن مائة من الإبل ، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل ، وأعطى
العباس بن مرداس أربعين من الإبل ، وقيل : أربعة ، فقال في ذلك :

كانت نهباً ثلاثيتها * يكررى على المهر في الأجرع^(١)

• وإيقا على القوم أن يرقدوا * إذا جمع الناس لم أجمع

فأصبح نهي ونهب العبيد * يد بين عيينة والأقرع^(٢)

وقد كنت في الحرب ذاتدرا * فلم أعط شيئا ولم أمنع^(٣)

إلا أفاضل أعطيتها * عديد قوائمها الأربع^(٤)

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في التجميع^(٥)

وما كنت دون أمرئ منهما • ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقطعوا عنى لسانه » ، فأعطوه حتى رضى ،
قيل : أعطاه مائة من الإبل •

قال ابن سعد : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله من الخمس ،

١٢٧
١٥

وهو أثبت الأفاويل عندنا ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت

بإحصاء الناس والفتانم ، ثم قضها على الناس ، فكانت سهامهم لكل رجل أربع

من الإبل ، وأربعون شاة ، فإن كان فارسا أخذ اثني عشر من الإبل ، أو عشرين

ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس الزائد •

(١) التاب : جمع نيب ، وهو ما يئب ويئتم . والأجرع : المكان السيل •

(٢) العيد : اسم فرس عباس بن مرداس • (٣) ذا تدرا ، أى زاد دفع من قوى •

(٤) الأفاضل : الصغار من الإبل ، الواحدة أفيال • (٥) في رواية ابن هشام « شينى » •

يعنى آباء مرداس • ويروى : « شينى » بتشديد الياء يعنى آباء وجده •

(٦) يقال : فض الشيء على القوم : إذا خزه وقسه •

ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإسلامهم ورد السبايا إليهم

قال : وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا ، ورأسهم زهير بن صرد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاة ، فسأله أن يمتن عليهم بالسبي .

قال ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو : إن وفد هوازن وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أساموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يتخف عليك ، فآمنن علينا .

قال : وقام رجل من هوازن ، أحد بني سعد بن بكر يقال له : زهير ، يُكنى بأبي صرد ، فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر عماتك^(١) وخالاتك وحواصنك اللاتي كنن معك يكفلنك ، ولو أنا ملحننا^(٢) لحارث بن أبي شمر أو اللتمان بن المنسذر ثم نزل منا مثل الذي نزلت به ، رجونا عطفه وعائذته علينا ، وأنت خير المكفولين .

وحكى أبو عمر بن عبد البر أن أبا صرد زهير بن صرد أنشد عند ذلك :
أمنن علينا رسول الله في كريم * فإنيك المرأة ترجوه وننظفر^(٣)
أمنن على بيضة قد عاقها قدر * ممزق شملها ، في دهرها غير^(٤)
يا خير طفيل ومولود ومتجيب * في المالمين إذا ما حصل البشر
إن لم تداركهم قهلا تنشرها * يا أرحم الناس جلا حين يُختبر

(١) الحظائر : جمع حظيرة وهي الزوب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها .

(٢) يقال : ملحننا لقلان أي أرضناه ، وانظر اللسان (ملح) . (٣) في الاستعجاب :

« وكثير » . (٤) البيضة هنا : مجتمع الناس .

- فَأَمَّنْ عَلَى نَفْسِهِ قَدْ كُنْتَ تَرْضَاهَا • إِذْ قُفُوكَ يَمْلُؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا دِرُّرٌ
 إِذْ كُنْتَ طِفْلاً صَغِيراً كُنْتَ تَرْضَاهَا • وَإِذْ يَرْسُوكَ مَا تَأْتِي وَمَا تَذُرُّ
 لَا تَجْعَلُنَا كَنَ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ^(١) • وَأَسْتَبِقِي مِنَّا فَإِنَّا مَعْتَرِ زُهْرُ
 يَا خَيْرَ مَنْ مَرَّحْتُ كُنْتُ الْبَيَادِبِ • عِنْدَ الْهَيَاجِ إِذَا مَا اسْتَوْقَدَ الشَّرُّ
 إِنَّا لِلشُّكْرِ آلاءٌ وَإِنَّا كَيْفَرْتُ • وَعِنْدَنَا بِمَدِّ هَذَا الْيَوْمِ مَدَنُورٌ
 إِنَّا تَوَقَّلْنَا عَضْوَاكَ مِنْكَ تَلْبِسُهُ • هَيْدَى الْبَرِيَّةِ إِذْ تَعْفُو وَتَنْصُرُ
 فَأَغْفِرْ عَفَاكَ عَمَّا أَنْتَ وَاجِبُهُ • يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ يُهْدَى لَكَ الْقَلْبُورُ

- قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ
 إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ " ؟ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَيْرَتُنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا ، فَرَدَّ
 إِلَيْنَا أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا ، فَقَالَ لَهُمْ : " أَتَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِابْنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ
 فَهُوَ لَكُمْ ، وَإِنَّا أَنَا صِلْتُ الظُّهْرَ فَقَوْمُوا فَقُولُوا : إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى
 الْمُسْلِمِينَ ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا ، فَسَأَعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ
 لَكُمْ " . ففعلوا ما أمرهم به ، فقال : " أَتَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِابْنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَهُوَ لَكُمْ " ،
 وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَتْ
 الْأَنْصَارُ يَشْتَلِ ذَلِكَ ، فَقَالَ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ : أَتَمَّا أَنَا وَبَنُو تَيْمِ فُلَا : وَقُلْ
 عَيْتَةُ بْنُ حِصْنٍ : أَتَمَّا أَنَا وَبَنُو قَرَارَةَ فُلَا ، وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْثَدٍ : أَتَمَّا أَنَا وَبَنُو
 سُلَيْمِ فُلَا . فَقَالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ : بَلَى ، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 قَالَ : يَقُولُ عَبَّاسُ لِبَنِي سُلَيْمٍ : وَهَتَمُونِي ^(٢) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) يُقَالُ : شَالَتْ نَفْسُهُ إِذَا مَا تَوَقَّعَهَا ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا جَبِيَّةٌ ، وَالْعَامَّةُ : الْجَنَافَةُ

وَقَطَّرَ الْبَدَنَ (شَوْل) .

(٢) وَهَتَمُونِي : أَضْعَفُونِي .

”إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ جَاءُوا مُسْلِمِينَ، وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَأْنِيتُ بِسَيِّمِهِمْ، وَخَيْرَتِهِمْ فَلَمْ يَمْدِلُوا بِالْأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ شَيْئًا، فَمَنْ كَانَ عَنْدهُ مِنْهُمْ شَيْءٌ نَطَابَتْ فَمُسُهُ أَنْ يَرُدَّهُ فَنَسَبِيلَ ذَلِكَ، وَمَنْ أَبِي فَلْيَرُدِّ عَلَيْهِمْ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ قَرْضًا عَلَيْنَا، فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ مَا يُبْنَى اللَّهُ عَلَيْنَا“ قالوا : رَضِينَا وَسَلَمْنَا ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ خِیرَ عَيْنَةٍ بِنِ حِصْنٍ ، فَانَّهُ أَبِي أَنْ يَرُدَّ عَجُوزًا صَارَتْ فِي يَدِهِ مِنْهُمْ ، ثُمَّ رَدَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ .

وقد حكى محمد بن إسماعيل سببَ تَمَسُّكِ عَيْنَةٍ بِهَا وَرَدَّهَا ، قَالَ : فَقَالَ حِينَ أَخَذَهَا : أَرَى عَجُوزًا إِنِّي لِأَحْسِبُ لَهَا فِي الْحَيِّ نِسْبًا ، وَعَسَى أَنْ يَعْظُمَ فِدَاؤُهَا ؛ فَلَمَّا رَدَّ النَّاسَ السَّيِّئَاتِ بَسَتْ فَرَائِضُ أَبِي أَنْ يَرُدَّهَا ، فَقَالَ لَهُ زَهِيرٌ بِنِ صُرْدٍ : خُذْهَا عَنْكَ ، فَوَاقَهُ مَا فَوْهَا بِيَّارِدٍ ، وَلَا تُدْبِهَا بِنَاهِدٍ ، وَلَا يَطْنُهَا بِوَالِدٍ ، وَلَا زَوْجُهَا بِوَاِجِدٍ وَلَا دُرَّهَا بِمَا كَدَّ^(١) فَرَدَّهَا بَسَتْ فَرَائِضُ حِينَ قَالَ لَهُ زَهِيرٌ مَا قَالَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَسَا السَّيِّ قُبُطِيَّةً قُبُطِيَّةً ، وَالْقَبَاطِي : ثِيَابٌ بَيْضٌ تُتَخَذُ مِنَ الْكَتَّانِ بِمِصْرَ .

وحكى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة عينة بن حِصْنٍ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ وَفَدُ هَوَازِنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّيِّ ، كَانَ عَيْنَةُ قَدْ أَخَذَ رَأْسًا مِنْهُمْ ، فَظَنَرَ إِلَى عَجُوزٍ كَبِيرَةٍ فَقَالَ : هَذِهِ أُمُّ الْحَيِّ ، لَسَلَهُمْ أَنْ يُقْلُوا بِفِدَائِهَا ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهَا فِي الْحَيِّ نِسْبٌ . بِغَاءِ أَبْنَاهَا إِلَى عَيْنَةٍ فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي مَانَةٍ مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالَ : لَا ، فَرَجَعَ عَنْهُ ، فَفَرَّكَ سَاعَةً ، وَجَمَلَتِ الْعَجُوزُ نَقُولَ لَأَبْنَاهَا : مَا إِرْبُكَ فِي- بَعْدَ مَانَةٍ نَاقَةٍ ، أَتَرَكَهَا أَمْرَعُ مَا يَتَرَكُنِي بِغَيْرِ فِدَاءٍ ؟

- فلما جمعها عينة قال : ما رأيت كاليوم خدعة ، والله ما أنا من هذه إلا في غروري ، ولا جرم والله لأجدة أترك مني ، قال : ثم مرة به أبها فقال له عينة : هل لك فيما دعوتني إليه ؟ قال : لا أزيدك على حسين ، فقال عينة : لا أفضل ، ثم لبث ساعة ، فمرة به وهو مريض عنه ، فقال له عينة : هل لك في الذي بذلت لي ؟ قال له الفقي : لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة ، قال عينة : والله لا أفضل ، فلما تخوف عينة أن يتفرق الناس ويرتحلوا قال : هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت ؟ فقال الفقي : هل لك إلى عشر فرائض ؟ قال : لا أفضل ، فلما رحل الناس ناداه عينة : هل لك من دعوتني إليه إن شئت ؟ قال الفقي : أؤسئها وأحدثك ، قال : لا والله ما لي حاجة بمحمد ، فأقبل عينة على نفسه لا تأمها ويقول : ما رأيت كاليوم أمراً أنكد ، قال الفقي : أنت صنعت هذا بنفسك ، عمدت إلى عبور كبيرة ، والله ما نديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها بواجد ، فأخذتها من بين من ترى ، فقال له عينة : خذها لا بارك الله لك فيها ، قال : فيقول الفقي : يا عينة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي فأعطاهم من بينهم الكسوة . فهل أنت كاسيها ثوباً ؟ قال : لا ، والله ما لها ذاك عندى ، قال : لا أفضل ، فما فارقته حتى أخذ منه ثوب ثوب . ثم ولّى الفقي وهو يقول : إنك لغير بصير بالقرص . قال : وكاف رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبي قُبْطِيَّةً قُبْطِيَّةً ، وأصباطي : ثياب يرضى تتخذ من النكّان بصر .
- قال محمد بن إسحاق : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد هوازن عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطلاق مع ثقيف ، فقال : "أخبروا مالكا إن هو أتى مسلماً وددتُ إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل" . فأخبر بذلك :

فخرج من الطائف فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرانة أو بمكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم لحسن إسلامه. وقال حين أسلم منشداً:

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بِمِثْلِهِ • في الناس كلَّهمُ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِمُزِيلِ إِذَا أُجْتَدِيَ • وَسَتَى تَسْأَلُ بِحَبْرِكَ عَمَّا فِي غِيْدِ
وَإِذَا الْكَتِيْبَةُ عَرَّدَتْ أَنْبَاهَا • بِالسَّمْعِ وَضَرْبِ كُلِّ مَهْنَدٍ
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ • وَسَطَ الْحَيَاةِ خَادِرٌ فِي مَرَّصِدٍ^(١)

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه، وتلك القبائل: ثُمَّالة، وسبلة، ونهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم، فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو الثقفي في ذلك:

هابت الأعداءُ جَانِبَنَا • ثُمَّ تَفَزَّؤْنَا بَنُو سَلَيْمَةٍ
وَأَنَا مَا لَكَ بِهِمْ • نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحَرَمَةِ
وَأَتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا • وَلَقَدْ نَحْنُ أَوْلَى نَقَمَةٍ

ذكر تسمية من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قريش وغيرها عند قسم مقام حنين

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجُرانة من غنائم حنين: أبو سفيان ابن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، وطليق بن سفيان أمية، وخالد بن أسيد

(١) اعيان: الثياور عند اشتداد الحرب. والخاد: الأسد في عرينه، وهو حينئذ أشد ما يكون بأساً حوله على أشباله، يصفه بالهرة. والمرصد: المكان يرقب منه، يصفه بالبقعة.

- (١١) ابن أبي العيص، وشيبة بن عثمان بن أبي طلعة، وأبو السائب بن بعلك بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة، وأبو جهم بن حذيفة بن غانم، والدويان، وصفوان بن أمية بن خلف الجهمي، وأحبة بن أمية بن خلف، وعُمير بن وهب بن خلف، وعدى بن قيس ابن حذافة السهمي، وحويطب بن عبد المزي، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل ابن معاوية بن عروة بن محضر الدبلي، وعلقمة بن علاثة بن عوف، وليسد بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرملة بن هوذة ابن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن ربوع، وهب بن مرداس السلمي، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الغزالي، والأقرع بن حابس بن عقيل المجاشعي.

ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم النبي، وما أجابهم به

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضاهم به

- قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال :
 لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش
 وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجدوا في أنفسهم حتى كثرت
 بهم الغالة، حتى قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة
 فقال: يا رسول الله، إن هذا الخي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما
 صنعت في هذا آلهي الذي أصبت به قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما

في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار منها شيء . قال : " فإن أنت من ذلك يا سعد ؟ " قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي ، قال : " فأجمع لي قومك في هذه الحظيرة " ، فخرج سعد بجمعهم فيها ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : " يا معشر الأنصار ، ما قاله بلغني عنكم ، وجمدة وجدتموها في أنفسكم ؟ ألم أنكم ضللاً فهداكم الله ، وظالة فأنشاكم الله ، وأعداء فأنف الله بين قلوبكم " قالوا : بلى ، الله ورسوله أمين وأفضل ثم قال : " ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟ " قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ ، قال : " والله لو شقمت لقتلهم ولصدقتهم : أتينا مكدباً فصدقتكم . وغدولاً فنصرتكم ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وأوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من ألعنة الدنيا تألفت بها قوماً ليسواوا . ووكلكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحالك ؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار ، ولو سلكت الناس شيعاً وسلكت الأنصار شيعاً اسلكت شيعب الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار " قال : فيكي اليوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : ربنا برسول الله صلى الله عليه وسلم قمنا وحفظنا ، ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجمرانة معتمراً ، وذلك ليلة الأربعاء لتنتى عشرة ليلة مضت من ذى القعدة ، فأحرم بعمرة ، ودخل مكة ، فطاف وسعى وحلق رأسه ، ورجع إلى الجمرانة من ليلته .

(١) اللعنة : جرعة من الماء ؛ يريد الشئ . اليسير .

(٢) شئ يذبحها بدموعهم .

(٣) لثعب بكسر الشين : الطريق بين جبلين .

ذكر استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد

على مكة ورجوعه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته استخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن .

قال ابن هشام : لما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام نطلب الناس فقال : أيها الناس ، أجمع الله كيد من جاع على درهم ، قد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

قال : وجع عتاب بالناس في سنة ثمان على ما كانت العرب تمج عليه .

قال ابن سعد : ولما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سلك في وادي الحمرانه ، حتى خرج على سيف^(١) ، ثم أخذ الطريق إلى مَرَّة الظَّهْران^(٢) ، ثم إلى المدينة ، فقدمها صلى الله عليه وسلم في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة . وقال ابن هشام : لست بقين من ذي القعدة . والله أعلم .

ذكر مريّة عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة تسع من هجرته إلى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري ، وكان يسير الليل ويكنن النهار ، فهجم عليهم في صحراء — وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم ، وقد

(١) صرف : موضع على ستة أميال من مكة (ياقوت) .

(٢) مَرَّة الظَّهْران : موضع على مرحلة من مكة .

حلوا وسرحوا ما يشيئهم ، فلما رأوا الجمع ولوا - وأخذ منهم أحد عشر رجلا ،
ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا ، فجلسهم إلى المدينة ، فأمر
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لخصوا في دار رملة بنت الحارث ، فقدم فيهم
عدة من رؤسائهم : عطاريد بن حاجب ، والزبير بن بدر ، وقيس بن عاصم ،
وذياب بن الحارث بن مجاشع ، والأقرع بن حابس ، وقيس بن الحارث ، ونعيم .
ابن سعد ، وعمر بن الأهم ، وربيعة بن رقيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن مبد ،
ووردان بن محرز ، ومالك بن عمرو ، وفراس بن حابس ، وكان من شأنهم وكلام
خطيبهم وشاعرهم ما نذكر ذلك في أخبارهم في وفادات العرب إن شاء الله تعالى ،
وذلك في السفر السادس عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة ^(١) .

قال : ورد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبي . ١٠

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يومئذ من بني النضير : عبيد الله وأخوان له .
بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلة بن دارم . وكان ممن سبي يومئذ أسماء
بنت مالك ، وكأس بنت أوى ، ونجوة بنت نهد ، وجميلة بنت قيس ، وعمرة
بنت مطر .

ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط مع بني المصطلق ١٥

قال محمد بن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة
ابن أبي معيط إلى المصطلق من نخاعة يصدقهم ، وكانوا قد أسلموا وبنا المساجد ،
فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزور والغنم فرحوا به ،
فلما رأهم وقى راجعا إلى المدينة ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه

بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث إليهم من يفزهم ، وبلغ ذلك القوم ، فقدم الركب الذين لقوا الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر على وجهه ، فقول في ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي جَاءَكُمْ نَذِيرٌ بَيْنَا فَتِينَا أَلَّا تَصِيبُوا قَوْمًا بَظَالَةٍ فَنُصْحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۖ ﴾ ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ، ويعلمهم شرائع الإسلام ، وبفرثهم القرآن ، ففعل ، وأقام عندهم عشرة ثم أنصرف إلى المدينة .

١٣١
١٥

ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر سنة تسع من هجرته إلى حمى من خثعم بناحية تبالة في عشرين رجلا ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبصرة يتقبونها ، فاخذوا رجلا ، فسألوه فاستجهم عليهم ، وجعل يصيح بال حاضر ويحذرهم ، فضربوا عنقه ، ثم امهلوا حتى قام الحاضر ، فشنوا عليهم الغارة ، فأقتلوا قتلا شديدا ، وساق المسامون النعم والثاء والنساء إلى المدينة ، وجاء سيل فحال بينهم وبين قطبة ، فأسجدون إليه سجلا ، وكانت سباهم بمد الخمس لكل رجل أربعة أبعرة ، والبعير يعدل بعشرة من النعم .

ذكر سرية الضحّاك بن صفيان الكلبي إلى بني كلاب

كانت في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة .

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى القرطاء^(٢) عليهم الضحّاك ابن صفيان بن عوف الكلبي ، ومعه الأصيد بن سلمة بن قرط ، فلقّوهم بالزرج^(٣) ،

(١) سورة المجرات : ٦ (٢) القرطاء : بطن من بني بكر ورامهم عبيد بن كلاب .

(٣) زرج لارة : موضع بحد .

زُجْ لَأَوَّةٌ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا، فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزِمُوا، فَلَحِقَ الْأَصِيدُ أَبَاهُ سَلَمَةَ،
وَسَلَمَةُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ فِي غَدِيرِ الزُّجْجِ، فَدَعَا أَبَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ، فَسَبَّهَ
وَسَبَّ دِينَهُ، فَضَرَبَ الْأَصِيدُ عُزْرُقَةَ فَرَسَ أَبِيهِ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَرَسُ عَلَى عُزْرُقِيهِ
أَرْتَكَ سَلَمَةَ رَحْمَةً فِي الْمَاءِ، ثُمَّ اسْتَمْسَكَ بِهِ، حَتَّى جَاءَهُ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ، وَلَمْ يَقْتُلْهُ
أَبْنُهُ، وَفِي هَذِهِ السَّرِيَّةِ وَفِي الضَّحَاكِ بْنِ سَفْيَانَ يَقُولُ عِيَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ :

إِنَّ الَّذِينَ وَقَوْا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ * جَيْشٌ بَشَتَ عَلَيْهِمُ الضَّحَاكَا
أَمْرُهُ دَرَبَ اللَّسَانِ كَأَنَّهُ * لَمَّا تَكَفَّهَ الْعَدُوُّ يَرَاكَ
طَوْرًا يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً * يَفْزِي الْجَنَاحُ صَارِيًا بَتَاكَ^(٢)

ذِكْرُ سَرِيَّةِ عُلُقَمَةَ بْنِ مُجَزَّزٍ الْمُدَلِّجِيِّ إِلَى الْحَبَشَةِ

كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْمِجْرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ نَاسًا مِنَ الْحَبَشَةِ تَرَاوَعُوا أَهْلَ جُدَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
عُلُقَمَةَ بْنَ مُجَزَّزٍ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ، فَأَتَتْهُ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ وَقَدْ خَاضَ إِلَيْهِمْ، فَهَرَبُوا
مِنْهُ، فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِهِمْ، فَأَذْنَلَهُمْ، وَفِيهِمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ
خُدَافَةَ السُّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ عُلُقَمَةُ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ، فَتَرَلُّوا بَعْضُ
الطَّرِيقِ وَوَقَدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُمْ : عَزِمْتُ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَوَائِمْتُ فِي هَذِهِ
النَّارِ، فَقَامَ بَعْضُ الْقَوْمِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ وَاشَبُّوا فِيهَا، فَقَالَ : اجْلِسُوا، إِنَّمَا كُنْتُ
أَضْحَكُ مَعَكُمْ، فَذَكَّرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : «مَنْ أَمَرَ كَمْ
بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تَطِيعُوهُ» .

(١) دُرَيْنُ هِشَامٍ : ٤ : ١٠٣ « رَجُلٌ بِهِ ذُوبُ السَّلَاحِ »

(٢) ابْنُكَ وَالْمُتَّكُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ -

(٣) أَيْ أَرَادُوا الرِّجْعَ قَبْلَ بَقِيَّةِ الْجَيْشِ .

- ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلس صنم طيِّنة
 بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع في خمسين
 ومائة رجل من الأنصار إلى الفُلس (صنم طيِّنة) ليهدمه — (والفُلس يضم الفاء
 وسكون اللام) — بنهم على مائة بصير وخمسين فرسا، ومعه راية سوداء ولواءٌ
 أبيض، فشَتُوا الفارة على حمة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفُلس وخربوه وملأوا
 أيديهم من السبي والنِّم والشاة، وفي السبي أخت عدى بن حاتم، وهرب
 عدى إلى الشام؛ وكان من خبره ما نذكره إن شاء الله في أخبار الرنود. قال :
 ووجدوا في حِزَانَةِ الفُلس ثلاثة أسياف : رَسُوب، والمِخْدَم، واليَمَان، وثلاثة
 أدرع، فلما نزلوا رَكَكْتُ أَقْسَمُوا الفَنَانِم، وعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صَفِيهِ : رَسُوب، والمِخْدَم، ثم صار له بعدُ السيف الآخر، وعزل الخُمُس وعزل
 آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قَدِمَ بهم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٣٢
١٥

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجَنَاب

- بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع من هجرته
 إلى الجَنَاب، أَرْضُ عُذْرَةَ وَبَلِيَّة، ولم يذكر أبْنُ سعد من خبره غير ذلك .

١٥ ذكر غَزْوَةِ تَبُوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جمعت
 جموعا كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رَزَقَ أصحابه لِسَنَةِ، وأجلبت معه الحُجَم،

(١) رَكَكْتُ (بالفتح) : حَمَلْتُ من محالٍ سحر أحد جبل طيِّنة . .

٢٠ (٢) السَفِيَّةُ : هُتَا : ما يأخذه الرئيس لنفسه من النوى قبل القسمة .

وَجُذَامَ ، وَحَامِلَةَ ، وَغَنَانَ ، وَقَدَّمُوا مَقْدَمَاتِهِمْ إِلَى الْبَقَاءِ ، فَغَدِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ ، وَأَعْلَمَهُمُ الْمَكَانَ الَّذِي يَرِيدُ لِيَأْتَهُبُوا لَذَلِكَ ، وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى قِبَاثِلِ الْعَرَبِ يَسْتَفْرِغُهُمْ ، وَذَلِكَ فِي جَرَشْدِيدَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَحَمَلُوا صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً ، وَقَفُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

قال ابن هشام : أنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أرض عن عثمان فإني عنه راض " .

وجاء البكاعون وهم سبعة : سالم بن حمير ، وهريم بن عبد الله أخو بني واقف ، وعلبة بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الساساني ، وعمر بن عنة ، وسلمة بن محضر ، واليرباض بن سارية الخزاعي .

قال : وفي بعض الرواة من يقول : إن فيهم عبد الله بن مغفل المُرزقي ، ومغفل ابن يسار ، وبعضهم يقول : البكاعون بنو مقرن السبعة ، وهم من مزينة ، فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحيلونه ، فقال : " لا أجد ما أحللكم عليه " ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ، فعذرهم الله تعالى .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي ، يثبّطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة ، فأقتحم الضحّاك بن خليفة من ظهر البيت ، فأكسرت رجله ، وأقتحم أصحابه فأفتوا ، فقال الضحّاك في ذلك :

كادت وبيت الله نار محمد * يشيط بها الضحّاك وابن أبيرق

فَقَلَّتْ وَقَدْ طَبَقْتُ كَيْسَ سَوِيلِم * أَنُوْءَ عَلَى رَجُلٍ كَسِيرًا وَمِرْثِيٍّ^(١)
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُوذُ لِمِثْلِهَا * أَخَافُ، وَمَنْ تَسْتَمَلُّ بِهِ النَّارُ يُحْرِقُ

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف من غير
عِلَّةٍ، فأذن لهم، وهم بضمة وثمانون رجلاً .

- وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، فَأَعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَذَرِهِمْ،
وهم أثنان وثمانون رجلاً؛ ذكر أنهم نفر من بني غِفَارٍ، وكان عبد الله بن أبي بن
سَلُولٍ قد عسكر على ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ في حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس
عسكره بأقل المسكرين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره
أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فصلى بالناس، وأستخلف على المدينة محمد بن
سَامَةَ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عبد الله بن أبي، ومن كان
معه، وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا أرتياب، منهم كعب بن مالك،
وهلال بن أمية، ومُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وأبو خيثمة مالك بن قيس السَّامِيُّ، وأبو ذر
الغِفَارِيُّ؛ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ بطن من الأنصار والقبائل من
العرب أن يتخذوا لواءً أو راية، ومضى صلى الله عليه وسلم لوجهه يسير بأصحابه
حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس، والخيول عشرة آلاف فرس، فأقام بها
عشرين ليلة يصلي ركعتين ركعتين، ولحقه بها أبو خيثمة وأبو ذر .

قال محمد بن إسحاق في سبب مسير أبي خيثمة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم: إنه جاء يوماً إلى أهله بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً في يوم

(١) طَبَقْتُ : علوت . والكبس بكسر الكاف : البيت الصغير .

حاز ، فوجد أمرأين له في عريشين لها في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء ، وهيات طعاما ، فلما دخل قام على باب العريش ، فنظر إلى أمرأتيه وما صنعنا له ، فقال : رسول الله في الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيا ، وأمرأة حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالتصريف ؟ ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة متكأ حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيتا لي زادا ، ففعلتا ، ثم قدمنا نحنه فأرتمه ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

قال : ولم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس : هذا راكب على الطريق مقيم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كن أبا خيثمة " ، قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة ؛ فلما أتاه أخ أقبيل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : " أولئ لك يا أبا خيثمة " ؛ ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال : خيرا ودعا له .

وأما أبو ذر يغفاري : فإنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق ، وكان بعيره قد أبطأ عليه ، فحمل متاعه على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعت وحده " فكان كذلك .

قال : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك وهرقل يومئذ يحمص ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر .

(١) العريش : شبه بالخيمة . والحائط هنا : البستان

(٢) الضح بكسر الصاد وتشديد الحاء : الشمس .

(٣) الضح : الحريص على ، وأرتمه : شد عليه الزل .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى أكيدير بن عبد الملك

- قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقبولك خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً سرية إلى أكيدير بن عبد الملك بدعوة الجندل، وأكيدير من كِنْدَةَ، قد ملكهم، وكان نصرانياً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد: "إنك ستجده يصيد البقر". ففرج خالد في شهر رجب ستة تسع من الهجرة حتى كان من حصن أكيدير بمنظر العين في ليلة مقمرة وصافحة، وهو على سطح له، ومعه أمراته، فبانت البقر فتحق قرونها باب القصر، فقالت له امرأته: ما رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فزل فامر بفرسه فأسرج له، وركب وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له: حسان، ونخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشدت عليه، فاستأمر أكيدير، وأمتنع أخوه حسان، وقايل حتى قُتِل، وكان عليه قباء من ديباج نحوَّس بالذهب^(١)، فاستلبه خالد، وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناذيل سعيد بن مُعَاذٍ في الجنة أحسن من هذا". قال: ولما أسر أكيدير وقيل حسان، هرب من كان معهما، فدخل الحصن، وأجار خالد أكيدير من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له ثومة الجندل، ففعل، وصالحه على ألفي بئر، وثمانمائة فرس، وأربعمائة درع وأربعمائة ربح، فزل للبي صلى الله عليه وسلم صفيّاً خالصاً، ثم أخرج الخنفس، وقسم

(١) الخنويس بالذهب: أن يجعل الشيء صفاً من الذهب على قدر عرض خوص النخل

ما بقي بين أصحابه ، ثم خرج خالدٌ بأكيكر وبأخيه مُصَاد - وكان في الحصن - وبما
صالحه عليه قاتلا إلى المدينة ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكيكر ،
فأهدى له هدية ، وصالحه على الجزية ، وحقن دمه ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى
قريته ، فقال يُعَيْر بن بَيَّرة :

تبارك سائقُ البَقَرَاتِ إِنِّي • رَأَيْتُ اللهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ

فَنِيكَ حَائِلًا عَنِ ذِي تَبْرُوكٍ • فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجِهَادِ

١٣٤
١٥

قال محمد بن إسحاق : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أَنَاهُ يُحَنَّةُ
ابن رُوْبَةَ صاحبُ ^(١)أَيْلَةٍ ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ،
وَأَنَاهُ أَهْلُ جَرَبَاءَ وَأَذْرَجَ ، فاعطوه الجزية ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لِيُحَنَّةَ كِتَابًا ، وهو : ” بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ
رَسُولِهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُوْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةٍ ، سَفَنُهُمْ وَسِيَارَتُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، لَمْ
يُذِمَّهُ اللَّهُ وَنَبِيُّهُ ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ ،
فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحْمِلُ مَالَهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ
أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحْمِلُ أَنْ يَجْتَمِعُوا مَاءَ يَرِدُونَهُ ، وَلَا طَرِيقًا يَرِدُونَهُ مِنْ
بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ “ .

قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل على حرسه بنبوك عبادة
ابن بشر ، ثم أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلْقَ كَيْدًا •

(١) أَيْلَة : مدينة على ساحل بحر القلزم على الشام .

(٢) جَرَبَاءَ : موضع من أعمال عمان بالبحاء من أرض الشام (باقوت) .

(٣) أَذْرَجَ : بلد من أعمال التراء من نواحي البلقاء (باقوت) .

وقدِم المدينة في شهر رمضان من السنة، وجاء من كان قد تخلف عنه ،
 فلقوا له ، فمذُومهم ، واستغفروهم ، وأرجأ أمرَ كعب بن مالك بما جِئ به حتى نزلت
 توبتهم ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في آخر هذه الفقرة .

قال : وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون : قد أقطع الجهاد ،
 فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فنهاهم ، وقال : " لا تزال عصابةٌ من
 أمتي يُمَاهِدون على الحق حتى يخرج الدجال " .

وكان في غزوة تبوك وقائع غير ما قدمناه ، قد رأينا إيرادها في هذا الموضع .
 منها خبر مرور رسول الله بالبحر .

ومنها ما أنزل في أمر المنافقين .

ومنها خبر الثلاثة الذين خَلَفُوا ، وما أنزل من توبتهم .

ذكر خبر مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبحر

وما قاله لأصحابه

قال: محمد بن إسحاق : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره إلى تبوك
 بالبحر من مَدِين ، نزلها ، وأستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . " لا تشربوا من مائها شيئاً ، ولا تَتَوَضَّأُ منه للصلاة ، وما كان من
 عَجْرٍ عَجَّتْهُمُوهُ فاعلقوه للإبل ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحد منكم لليلة
 ألا ومعه صاحب له " ، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 ألا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، ونرج الآخر في طلب بعيره له ،
 فأما الذي ذهب لحاجته فإنه حُقِّق على مَدْعِيهِ^(١) ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره

فَأَحْمَلْتُهُ الرِّيحَ حَتَّى طَرَحْتُهُ بِجَبَلٍ طَيِّبٍ ، وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : « أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبُهُ » ! ثُمَّ دَعَا لِلَّذِي أُصِيبَ فَشَفَّيْهِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَإِنْ طَلَبْنَا أَهْدَيْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ .

قال ابن هشام : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحر تحيى ثوبه على وجهه ، وأستحى راحلته ، ثم قال : « لَا تَدْخُلُوا بَيْوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ بِأَكُونِ خَوْفًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ » .

قال ابن إسحاق : لما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا ، فأرسل الله تعالى ممحاة فامطرت حتى آرتوى الناس وأحتملوا حاجتهم من الماء .

وفي هذه الغزوة ضلّت فاقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال زيد بن أسيد (١) ما قال ، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ، فأخبر بشأنها ، ووُجِدَتْ كما وَصَفَ صلى الله عليه وسلم على ما قدّمنا ذلك في أخبار المنافقين .

ذَكَرَ أَخْبَارَ الْمُنَافِقِينَ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ

وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ

كان ممن أنزل الله عز وجل فيه من القرآن ما أنزل في غزوة تبوك الحمد ابن قيس ، وهو الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أئذن لي ولا تخفني ، وقد قدّم خبره مع أخبار المنافقين .

(١) عبارة الزرقاني ج ٣ : ٨٧ : « ثم دعا للذي خفق على مذبحه » .

(٢) سحر : خلى ثوبه وضعت على وجهه فقال : على وجهه .

(٣) ر يقال فيه الصوت (بالشد) ، والخبر في ابن هشام ٤ : ١٦٦ .

وقال قوم منهم: لا تتفروا في الحزماذة في الجهاد؛ فأنزل الله عز وجل فيهم :
 ﴿وَقَالُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي الْحَرْقِ قُلَّ نَارِ جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ . فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
 وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، وقال رطل من المنافقين : منهم وديعة
 ابن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة يقال له :
 عُثَيْبُ بْنُ حَمِيرٍ - وقيل : عُثَيْبُ^(٢) - وضربهما بعضهم لبعض : اتحسبون جلاذ بني الأصفر
 كقتال العرب بعضهم بعضا، والله لكانكم غدا بهم مقزين في الجبال، يقولون ذلك
 إرجافا وترهيبا للؤمنين .

فقال عُثَيْبُ : والله لو ددت أن ألقني على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة،
 وأنا تنفليت أو يترل فينا قرآن لمفالكهم هذه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما بن
 ١٠ يا امرئ^٣ أديك القوم فإنهم قد أحرقوا، فأسلمهما عما قالوا، فإن أنكروا قتل لهم : بلى
 قد قتلتم كما وكذا^٤، فأطلق إليهم حمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يستفدون إليه، فقال وديعة بن ثابت : يا رسول الله، إنما كنا نحوض ونلعب .
 وقال عُثَيْبُ : يا رسول الله، قد بى أسمى وأسم أبى، فأنزل الله تعالى قوله :
 ﴿وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُ نَحْوِ نَحْوِ قُلِّ أَبَاهُ وَأَبَاهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ
 ١٥ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَتَّبِعُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ فَغَدَّ
 طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾^(٥) . فكان عُثَيْبُ بْنُ حَمِيرٍ مِمَّنْ عَفِيَ عَنْهُ، قسمي
 عبد الرحمن، وسأل الله أن يحتل شيئا لا يسلم مكانه، فقتل يوم الجمامة، ولم يوجد
 له أثر . والله الموفق للصواب .

(١) سورة النور ٨١ - ٨٢

(٢) كما خط هذا الاسم بالبارقة في تصحيح المتن لابن جرير والإكمال لابن ماكولا .

(٣) سورة النور ٦٥ - ٦٦

ذكر خبر الثلاثة الذين خُلفوا ، وما أُنزلَ فيهم

وفي المُعذِّرين من الأعراب

- والثلاثة الذين خُلفوا لم يخلفوا عن شك ولا فاق ، وهم : كعب بن مالك ،
 ومُرة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وكان من خبرهم ما حدَّثنا به الشيخان
 المعمران المسندان شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحى - البخاري ،
 وست الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجي
 التَّوَجَّيَّة البُيْشَقِيَّان قراءة عليهما ، وأنا أسمع في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة
 وسبعمائة بالمدرسة المنصورية بالقاهرة المعزية ، قالوا : حدَّثنا الشيخ سراج الدين
 أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي ، قال : حدَّثنا أبو الوقت
 عبد الأول بن عيسى بن شعيب السَّجَزِيَّ قراءة عليه ونحن نسمع ، قال : حدَّثنا
 الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي ، قال : أخبرنا أبو محمد
 عبد الله بن أحمد بن حنويه السَّرخْسي ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف
 ابن مطر القُرَبي ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ،
 قال : حدَّثنا يحيى بن بكير ، قال : حدَّثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ،
 عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أنَّ عبد الله بن كعب بن مالك ،
 — وكان قائد كعب من بني حنيفة عَمِي — قال : سمعتُ كعب بن مالك يحدث حين
 تخلف عن قصة نبوك قال كعب : لم تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في غزوة غزاها إلا في غزوة نبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يأتني
 أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش ، حتى جمع
 الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلة النقية حين توافقتا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت
بدر أذكر في الناس منها .

١٣٦
١٥

كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك
الغزاة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ،
ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا وزي بشيرها ، حتى كانت تلك
الغزوة ، غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا
ومغازا وعمدا كثيرا ، بخلا للساين أمرهم لينأهوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه
الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب
حافظ — يريد الديوان .

١. قل كعب : فما رجل يريد أن يتقيب إلا ظن أنه سيخفى به ذلك ، ما لم ينزل
فيه وحى الله عز وجل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت
النار والظلال ، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطَفِقت
أعدو لكي اتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئا ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه ،
فلم يزل يتنادى بي حتى شتمَّ بالناس الحدة . فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئا ، فقلت : اتجهز بعدد بيوم أو يومين ،
ثم ألتحق بهم ، فعدوت بعد أن فصلوا لا اتجهز ، ورجعت فلم أقض شيئا ثم عدوت ،
ثم رجعت ، ولم أقض شيئا ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفترط الغزو ، وهممت
أن أرتحل فأدركهم ، وليتني فعلت ، فلم يقدر لي ذلك ، فكنت إذا خرجت
في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفت فيهم أحزني أني لا أرى
إلا رجلا مغموصا عليه بالفتاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضملاء ، ولم يذكرني

(١) أي قات وسبق .

(٢) شغوما : سطونا عليه في دية ، منها بالمعنى . وفي ابن هشام ١ : ٦ « في الناق » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نبوك ، فقال وهو جالس في القوم بنبوك :
 "ما فعل كعب" ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه برّدها ونظره^(١)
 في عطفه . فقال معاذ بن جبل : بش ما قلت ! والله يا رسول الله ، ما تلمت
 عليه إلّا خيرا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرنى همى ، وطيفت
 أنذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا ، وأستعنت على ذلك بكل ذى
 رأي من أهلى ، فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أطل قافلا راح عى
 أنبطل ، وعرفت أنى لم أخرج منه أبدا بشىء فيه كذب ، فأجعت صدقه ،
 وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ،
 فركع فيه ركعتين ، ثم يجلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون
 إليه ويخلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فقبل منهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم علايتهم وبأيمانهم وأستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، بفتته ، فلما
 سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : "نمال" ، بفتت أمشى حتى جلست بين
 يديه ، فقال لى : "ما خلقت ؟ ألم تكن قد آبتعت ظهرك" ؟ فقالت : بلى والله ،
 بى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بغدر ، ولقد
 أُعطيت جدلا ، ولكفى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى^(٢)
 به عنى لبوشكنى الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد لى فيه^(٣)
 لى لأرجو فيه عقبي الله ، لا والله ما كان لى من عذر ، والله ما كنت قط أقوى

(١) كفى هنا عن إعجابه بنفسه وزهوه وتكبره . (٢) أطل : قرب وأشرف .

(٣) أعطيت جدلا ، أى نصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما يجب إل بى يقبل ولا يرد .

(٤) تجد : تغضب .

ولا إيسرَ مني حين تحققت عنك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضى الله فيك " ، فقامت وثارت رجال من بني سلمة فأتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون آخذت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما آخذت إليه المتخفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فواقه ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قال لا مثل ما قلت ، قليل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ قالوا : سُراة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الوافقي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة ؛ فضيت حين ذكروهما لي .

- ١٠ . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا — أيها الثلاثة — من بين من تحلف عنه ، فأجبتنا الناس وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرض ، فما هي بالتي أعيرف ، فليتنا حل ذلك نحسين ليله .

- فأما صاحبنا فاستكاثا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ، فلا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برّد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه فأمارقه النظر ، فإذا أقبلت عليّ صلاتي أقبل إليّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عتي ، وأحب الناس إليّ ، فسلمت عليه ، فواقه ما ردّ عليّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تلمني أحب الله ورسوله ؟

فمَلَكْتَ ، فمَدَّتْ لَهُ فَنَشَدَتْهُ ، فَسَكَتَ ، فَمَدَّتْ لَهُ فَنَشَدَتْهُ ، فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ ، فَنَاضَتْ مَيْتَاهُ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسُوْرَتِ الْجِدَارُ .

قال : فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا تَبَعَنِي مِنْ أُنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ عَنْ قَدِيمِ
بِالْعُلَامِ يَلِيْعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ ، فَطَفِقَ النَّاسُ
يَسِيرُونَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفْعٌ إِلَى كِتَابٍ مِنْ مَلِكِ عَسَّانَ ، فَإِذَا فِيهِ : « أَمَا بَعْدُ ،
فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَعْمَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانَ وَلَا مَقْبِيْعَةٍ ، فَأَلْحَقْ بِنَا
نُؤَايِكَ » . فَقُلْتُ لِمَا قَرَأْتُهَا : وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ ، فَتَيْمَمْتُ بِهَا التَّوَنُّورَ ، فَسَجَرْتُهُ
بِهَا ، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَسْتَرِلَ أَمْرَأَتَكَ .
فَقُلْتُ : أَسَلِّقُهَا ؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ أَسْتَرِلْهَا وَلَا تَهْرَبْهَا ، وَأَرْسَلُ إِلَى
صَاحِبِهَا مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ لِأَمْرَأَتِي : الْحَقُّ بِأَهْلِكَ فَكُونِي عَنْهُمْ حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ
فِي هَذَا الْأَمْرِ .

قال كعب : فَجَاءَتِ أَمْرَأَةُ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَالِّعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ
أَخْدُمَهُ ؟ فَقَالَ : « لَا ، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ » . قَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ ،
وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مَذْكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا . فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِ :
لَوْ أَسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَمْرَأَتِكَ ، كَمَا أُذِنَ لِأَمْرَأَةِ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ
أَنْ تَخْدُمَهُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا يَدْرِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَسْتَأْذَنَتْهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ ! فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَصْرَ

(١) تَيْمَمْتُ : تَوَخَّيْتُ وَقَصَدْتُ .

(٢) سَجَرْتُهُ بِهَا : أَوْقَعْتُهَا بِالصَّغِيْفَةِ .

- ليالي حتى تكملت نحسون ليلة من حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا؛ فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهور بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكرتها ، قد ضاقت علي نفسي ، وضافت علي الأرض بمزجيت ، سمعت صوت صارخ أوقى على جبل سلع بأعلى صوته :
- يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ،
- وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قيل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم فأوقى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاني الذي سمعت صوته يبشرني ، نزع ثوبي فكسوته إياهما بشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وأطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقاني الناس فوجا فوجا ينتهون بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك .

- قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صاحني وهناني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة .

- قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور : " أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك " ، قال : قلت : أمين عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال :

(١) أوقى : سرف .

(٢) في ابن هشام : « وذهب نحو صاحبي مبشرون » .

” لا، بل من عند الله“ ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله، إن من توبى أن أغلغ من مالى صدقة إلى الله وإلى رسول الله ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك “ ، قلت : فإني أملك مسمى الذى يغير، وقلت : يا رسول الله ، إن الله إننا نجاني بالصدق ، وإن من توبى ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني ، ما تصدعت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقى ، فانزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

١٣٨
١٥

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فانزل الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْتَهَبْتُمْ إِلَيْهِمْ

(١) في كلا الأملين : روت « و ما أتباعه عن ابن عباس .

(٢) سورة التوبة ١١٧ - ١١٩

لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ لِيَنُصِرُوا رِجْسَ وَمَا وَهُمْ بِجَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.
يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ^(١).

قال كعب : وكنا نخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا^(٢) فبايعهم وأستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال : (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) .
وليس الذي ذكره الله مما خلفنا تخلفنا عن الفزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجأؤه أمرنا عن حلف له وأخذر إليه فقبل منه .
انتهت غزوة تبوك ، فلذلك ما سواها من السرايا .

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المذنان بفتح

- بته رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في شهر ربيع الأول سنة عشر من
١٠ مهاجرة ، ولم يذكر من خبر هذه السرية غير هذا فنذكره .

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن

- يقال : بته رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين : إحداها في شهر رمضان
سنة عشر من مهاجرة صلى الله عليه وسلم ، وعقد له لواء ، وعمه بيده ، وقال :
١٥ « إِيضًا لَا تَلْفِتْ ، فَإِنَّا نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِمْ فَلَا تَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَقَاتِلُوكَ » ، فخرج
في ثمانية فارس ، وكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد ، وهي بلاد مذحج ،
ففرق أصحابه ، فأثوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاة وغير ذلك ، وجعل
على الغنائم بريدة بن الحَصِيب الأسلمي ، فجمع إليه ما أصابوا ، ثم لقي جمعهم

(١) سورة النور ٩٥ - ٩٦

٢٠ (٢) عبارة ابن هشام ١٨١ : ٤ « حين حلفوا له فغفر لهم » .

فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم على رضى الله عنه أصحابه فقتل منهم عشرين رجلا، ففرضوا وأنهمزوا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وباعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومتنا، وهذه صدقاتنا نخذ منها حق الله، وجمع على الثنائيم نفخسها، وقسم على أصحابه بقية الغنم، ثم قتل، فوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين قيدها للحج ستة عشر. حكاها ابن سعد^(١).

وقال محمد بن إسحاق، لما رجع على بن أبي طالب رضى الله عنه من اليمن إلى مكة، دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدتها قد حلت فقال: مالك يا بنت رسول الله؟ قالت: امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخل بؤرة خللنا، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلق فطلف بالبيت وحل كما حل أصحابك" قال: يا رسول الله، إني أهلت بما أهلت؛ قال: "فارجع فأحل كما حل أصحابك" قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرمت: اللهم إني أهلت بما أهلت به نيك وعبدك ورسولك عهد، قال: "نهل معك من هدى؟" قال: لا؛ فأنشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى.

قال: ولما أقبل على من اليمن تمبل إلى رسول الله، وأستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه، فيمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم ثلثة من البر الثنى كان مع على، فلما دنا جيشه خرج ليقام، فإذا عليهم الحل؛ قال:

(١) انهم الأول من الجزء الثاني: ١٢٢

(٢) يعني أنه أنكر عليها ما فعلت.

ويك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا إذا قدموا في الناس ؛ قال :
 انزعها ويك ! قبل أن تنهي بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأترع الحلال
 من الناس فردّها في البرّ ، فأشكى الناس علياً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خطيباً ، فقال : « أيها الناس ، لا تشكروا علياً ، فوالله إنه لأعشن في ذات الله »
 أو « في سبيل الله »^(١).

ذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض

الشرارة ناحية البلقاء^(٢)

وهذه السرية هي آخر سرية جهّزها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات قبل
 إتمامها ، وكانت لأربع ليل بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وكان فيها أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن
 أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وسلم بن أسلم بن حريش ، فتكلم
 قوم وقالوا : نستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ، فنضب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فخرج وقد عصب على رأسه عصاة وعليه قطيفة ،
 فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، فما مقالة
 بلشني من بعضكم في تأميري أسامة ؟ ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم
 في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله إن كان للإمارة خليفاً ، وإذ أبته من بعده
 خليق للإمارة وإن كان يئس أحب الناس إلى ، وإنهما لخييلان لكل خير ،
 فأستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم » ، ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت
 لعشر خلون من شهر ربيع الأول ، وخرج الناس إلى الحُرُف ، فتوفي رسول الله صلى

(١) في ابن هشام ٤ : ٢٥٠ : « في سبيل الله من أن يشكى » .

(٢) الشرارة : شرارة النام ، وهي أرض مصرية ، روى الكهف والريث . (ياقوت) .

- الله عليه وسلم قبل خروج هذه السرية ، فلما ولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه .
كان أقول ما بدأ به بحث أسامة .
هذا ما أمكن إirاده من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراياه .
فلنذكر حجه وعمره صلى الله عليه وسلم .

ذكر حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره

- قالوا : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة مجتنباً ، ولم يبع بعد
الهجرة إلا حجة الوداع ، وهي في السنة العاشرة ، وكانت فريضة الحج نزلت
في السنة السادسة من الهجرة ، وفتحت مكة في سنة ثمان ، فاستخلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عتاب بن أسيد ، فحج بالناس تلك السنة ، وفي السنة التاسعة حج أبو بكر
الصديق رضوان الله عليه بالناس كما قلنا ذكر ذلك في مواضعه ، فلما كان
في السنة العاشرة أذن في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج ، فقدم المدينة
بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل مثل
عمله ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة مقسلاً متهماً متجربلاً متجرباً
في نوبين محاربين : إزاراً ورداء ، وذلك يوم السبت نلتس ليلتين من ذى القعدة
سنة عشر من مهاجرة ، واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي — ويقال : سباع
ابن مرقطة الغفاري — قالوا : وصل الظهر بذى الحليفة وكعبين ، وأخرج معه نسائه
كلهن في المواذج ، وأشعر هديه وقلده ، ثم ركب ناقته ، فلما استوى عليها باليداء
أحرم من يومه ، وكان على هديه تاجية بن جندب ، وقيل : إنه أهل بالحج مفرداً ،
وقيل : قرنه بعمرة ، ومضى صلى الله عليه وسلم يسير للمنازل ويؤتم أصحابه في الصلاة
في مساجد له قد بناها الناس ، فكان يوم الاثنين بمصر الظهوان ، فغربت له الشمس
بسيرف ، ثم أصبح فأغسل ودخل مكة نهاراً وهو على راحته القصواء ، وكان تحته

- صل الله عليه وسلم رجل رث عليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم ، وقال : " اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا شئمة " ، فدخل من أعلى مكة من كداء حتى انتهى إلى باب بني شمية ، فلما رأى البيت رفع يديه فقال : " اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيلاً وتكراً ومهابة ، وزد من شرفه وعظمه ممن حجه وأحضره تشريفاً وتكراً ومهابة وتعظيلاً وكراماً " ، ثم بدأ نطاف بالبيت ، ^(١) ودل ثلاثة أشواط من الحجر إلى الحجر ، وهو مضطجع ^(٢) بردائه ، ثم صلى خلف المقام ركعتين ، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من قوره ذلك ، وكان قد اضطرب بالأبطح ، فرجع إلى منزله ، فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب بمكة بعد الظهر ، ثم خرج يوم التروية إلى منى ، فبات بها ، ثم فدا إلى عرفات ، فوقف بالمضاب منها ، وقال : " كل عرفة [موقف] ^(٣) إلا بطن عرفة " ، فوقف على راحلته يدعو ، فلما غربت الشمس دفع لجل يسير السق حتى جاء المزدلفة ، ^(٤) فقل قرباً من الغار ، فصل المغرب والشاء بأذان وإقامتين ، ثم بات بها ، فلما برق النجر صلى الصبح ، ثم ركب راحلته ، فوقف على قزح ^(٥) وقال : " كل المزدلفة موقف ^(٦) إلا بطن محسر " ، ثم دفع قبل طلوع الشمس ، فلما بلغ إلى محسر أوضع ، ولم يزل يلبي حتى رأى بحيرة العتبة ، ثم نحر المزدى وحلق رأسه ، وأخذ من شاربيه وعطريته ، وقلم أنفاره ، وأمر بشعره وأنفاره أن تدفن ، ثم أصاب الطيب ، ^(٧) وليس القميص ، وفدى سنديه بنى : إنها أيام أكل وشرب وباعة ، وجعل يرى الجمار في كل يوم عند زوال الشمس ، ثم خطب الفد من يوم النحر بعد الظهر

(١) دل : مزل . (٢) اضجع بردائه : أدخل تحت إبطه الأيمن ورد طرفه على يساره

وأبقى منكبه الأيمن وضل الأيسر . (٣) الزيادة من أين سجد ٢ = ١٢٥

(٤) السق بالهمزة : ضرب من السير . (٥) قزح كسر : جبل بالمزدلفة . ٢٠

(٦) بطن محسر : واد بالمزدلفة . (٧) من الفرض محرمة ، وهو أهون من الغراب .

على ناقته القمضاء، ثم صدر يوم الصدر الآخر، وقال : "إنما من ثلاث يقيمون المهاجر بعد الصدر"، يبنى بمكة، ثم ودع البيت، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

ذكر الخطبة التي خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته التي بين فيها ما بين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :

"أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدرى لعل لا ألقاكم بعد ملي هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وكُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وإنكم ستقرون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بُنِيتُ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمه عليها، وإن كل ربا موضوع، وإن لكم رموس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وإن كل دم في الجاهلية موضوع، وأن أول دماءكم أضغ دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — وكان مسترضعا في بني لث، فقتله هذيل — فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية ."

"أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بآرضكم هذه أبدا، ولكنه إن طلع فيا سوي ذلك قد رضى به، مما تخفرون من أعمالكم، فأحذروه على دينكم ."

"أيها الناس، إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطوا جدّة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويمزوا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن مدة الشهر عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاثة متواليّة، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ."

” اما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقاً ، وعلين عليكم حقاً ، طيبن أن لا يوطئن قُرُشكم أحداً تَكْرَهُونه ، وطيبن ألا يأتين بفاحشة مبيّنة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أتبين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عَوَان ، لا يمكن لأفمن شيئاً ، وإنكم إنما اخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمات الله ، فأعفلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغتُ ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه “ .

” أيها الناس ، اسمعوا قولي وأعفلوا ، فتلين أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغتُ “ ، قال الناس : اللهم نعم ، قال : ” اللهم أشهد “ .

وقال ابن إسحاق أيضاً : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو برفة ربيعة بن أمية بن خلف . قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” قل يا أيها الناس إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : هل تدرّون أي شهر هذا؟ فيقوله لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول لهم : ” إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تَقْتُوا ربكم كحرمة شهركم هذا “ ، ثم يقول : ” قل يا أيها الناس ، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول هل تدرّون أي بلد هذا؟ “ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون : البلد الحرام ، قال : فيقول : ” قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تَقْتُوا ربكم كحرمة بلدكم هذا “ ، ثم يقول : ” قل يا أيها الناس ، إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول هل تدرّون أي يوم هذا؟ “

فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : " قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا " .

وعن عمرو بن خارجة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنا لنأمنها ليقع على رأسي ، فسمعت وهو يقول : " أيها الناس ؛ إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا تموز وصية لوارث ، والولد للفراس ، والظاهر المجتر ، ومن آذني إلى غير أبيه ، أو تولى غير ماله فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا " .

وأما عمره صلى الله عليه وسلم

فقد روى حكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : أحترم النبي صلى الله عليه وسلم أربع عمر : عمرة الحديبية ، وهي عمرة الحصر ، وعمرة القضاء من قابل ، وعمرة الجمرانة ، والرابعة التي مع حجته .

وعن قتادة ، قلت لأبي مالك : كم أحترم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعا ، عدا منها عمرته مع حجته ، وقد قدمنا ذكر عمرة الحديبية مع الغزوات ، وذكرنا عمرة الجمرانة عند ذكرنا لقسم مفاتم حنين ، وعمرته مع حجته قد اختلف فيها .

وأما عمرة القضاء

فقد أوردها بعض أهل السير في الغزوات ، وترجم عليها : « عمرة القضية » ، وحجة من أوردها في الغزوات أنه صلى الله عليه وسلم خرج معه السلاح ، ولم يخرج به

(١) لم يجل : روى بلقاء أي زيده .

صلى الله عليه وسلم لقصد الفزاة ، وإنما خرج به احتياطاً . وكان من خبر هذه
 العمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استهل حلال ذى القعدة سنة سبع
 من مهاجرة أمر أصحابه أن يمتروا قضاء لعمرتهم التي صدّهم المشركون عنها
 بالحديبية ، والأحلاف أحد من شهد الحديبية ، فلم يحلف منها إلا من مات
 أو قتل بغيره ، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من المسلمين عماراً
 ممن لم يشهد الحديبية ، فكانوا في عمرة القضية ألفين ، واستخلف رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا ذر الغفاري ، حكاه ابن سعد - وقال ابن إسحاق :
 عوف بن الأضبط الدبلي - وساق صلى الله عليه وسلم ستين بدنة ، وجعل كل
 هدية ناجية بن جندب الأسلمي .

$$\frac{١٤٢}{١٥}$$

- ١٠ قال ابن سعد : وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والبيض والدروع
 والرماح ، وقاد مائة فرس ، فلما آتتهى إلى دى الحليفة ، قدم الخيل أمامه ، عليها
 محمد بن مسلمة ، وقدم السلاح ، وأستعمل عليه بشير بن سعد ، وأحرم صلى الله
 عليه وسلم من باب المسجد ، ولبي والمسلمون معه بليون . ومضى محمد بن مسلمة
 في الخيل إلى مر الظهران فوجد بها قريشاً ، فسألوه ، فقال : هذا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله ، فأتوا قريشاً بالخبر ،
 ١٥ ففزعوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمز الظهران ، وقدم السلاح إلى بطن
 يأجج حيث [ينظر] إلى أنصاب الحرم ، وخلف عليه أوس بن خولى الأنصاري
 في مائتي رجل ، وخرجت قريش من مكة إلى دوس الجبال ، فقدم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه ، فخُبس بذي طوى ، وخرج على راحلته التضواء

والمسلمون متوثقون السيوف ، يحقدون به صلى الله عليه وسلم يلقون ، فدخل على
الثنية التي تطل على النجف ، وعبد الله بن رواحة أخذ بزمام راحته وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سيدي • خلوا فكل الخير في رسولي

يا رب إني مؤمن بقوله • أعرف حق الله في قبولي

نحن قتلناكم على تأويله • كما قتلناكم على تقيده

ضربا يزيل الهام عن مقبله • ويُدخل الخليل عن خليله

قال ابن هشام : قوله « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر
في غير هذا اليوم .

قال ابن سعد : ولما أرتجز ابن رواحة قال له عمر بن الخطاب : إياها^(٢)

يا ابن رواحة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر ، إني أسمع » ، فأسكت عمر ،

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياها^(٣) يا ابن رواحة ! » ، قل لا إله إلا الله وحده ، نصر

جسده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده » ، فقال لها ابن رواحة . ولم يزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن فمَجَّجَتْهُ مَضْطَبْعًا بثوبه ، وطاف

على راحته ، والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بقبابهم ، ثم طاف بين الصفا

والمروة على راحته ، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدى عند المروة

قال : « هذا المنحَر ، وكلُّ حِجَاجٍ مَكَّةَ مَنْحَرٌ » ، ففُتِحَ عند المروة ، وخلق هناك ، وكذلك

فعل المسلمون ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم

يبطن بإحج فيقيموا على السلاح ، ويأتي الآخرون فيقضوا نُسكهم ؛ ففعلوا ، وأقام

رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا . وتزوج ميمونة بنت الحارث الحلائية ، فلما

كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سُبَيْل بن عمرو وهو يطلب بن عبد المزي

(١) ذ . : « ضربناكم » . (٢) إياها : كلمة سزاغة واستغراق .

فقالا: قد آتقضى أجلك، فأنخرج عتاء، فأمر أبا رافع فتأدى بالرحيل وقال: لا يُسَيِّنَ بها أحد من المسلمين، وأنخرج عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بَيرف وتنامَّ الناسُ إليه، وأقام أبو رافع بمكة حتى أمسى، فحمل إليه ميمونة، فَبَنَى عليها صلى الله عليه وسلم بَيرف، ثم أدبج فصار حتى قدم المدينة، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .



كل الجزء السابع عشر من كتاب "نهاية الأوب في فنون الأدب" للنويري رحمه الله . ويليه الجزء الثامن عشر وأوله : (وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

[صورة ما جاء في آخر هذا الجزء بنسخة ١]

« كل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » للإمام
النويري رحمه الله ، وكان الفراغ منه يوم الاثنين المبارك سلخ جمادى الأولى من شهر
سنة سبع وستين وتسعمائة ، وذلك على يد كاتبه نور الدين بن شرف الدين الماملي
بلدا ، الشافعي مذهبا ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عيوبه ، ولمن يدعو له بالمغفرة
والرحمة ولوالديه . آمين » .

[صورة ما جاء في آخر هذا الجزء أيضا بنسخة ج]

« كل الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » على
يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكري التيمي
القرشي المعروف بالنويري عفا الله عنهم ، ووافق الفراغ من كتابته في يوم الاثنين
المبارك لسبع خلون من شهر رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وصبعائة أحسن الله
نقضها بالقاهرة المعزية . يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السادس عشر :
ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فهرس المراجع

- الاستنباب لابن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨
أسد الغابة في معرفة الصحابة ، الروية - ١٢٨٠
الإمامة في تمييز الصحابة ، الشرفية بمصر ١٣٢٥
الأغانى ، طبع بولاق ١٢٨٥
الأغانى ، طبع دار الكتب المصرية .
الإكمال لابن ماكولا ، مخطوطة دار الكتب ١٧ مطبع حديث
إنتاج الأنعام القرينى ، طبع لجنة التأليف والترجمة ١٩٤١
البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة بمصر ١٣٥١
تاريخ ابن الأثير ، لندن ١٨٩٥
تاريخ الطبرى - لندن ١٨٨٩ م .
تفسير الطبرى ، بولاق ١٣٣٠
تفسير القرطبي ، طبع دار الكتب المصرية .
دلائل النبوة للبيهقي ، مخطوطة دار الكتب رقم ٢١٢ حديث
ديوان الأعشى ، بياض ١٩٢٧ .
ديوان حسان بن ثابت ، الرحمانية ١٣٤٧
- ديوان الحامسة ، طبع بن ١٨٣٨ م .
الروض الأثف للسبيل ، الجالية ١٣٢٢
السيرة النبوية لابن هشام ، طبع الحلبي ١٣٥٥
شرح السيرة لأبي ذر الغفري ، هندية بمصر ١٣٢٩
شرح المواهب اللدنية لزرقاني ، بولاق ١٢٧٨
صحيح البخارى ، بولاق ١٢٩٦
صحيح مسلم ، بولاق ١٢٩٠
طبقات ابن سعد ، لندن ١٣٢٢
الكشف والبيان للعلوي ، مخطوطة دار الكتب برفى
٢٥٦ ٧٩٧ تفسير .
ميون الأثر ، القدس ١٣٥٦
ميمم البدان ، جونين ١٨٩٩ م .
ميمم ما أتمم البكرى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
١٩٤٥ م .
منازل الوراقى ، كسكا ١٨٥٥ م .

استدراك

ورد في صفحة ٥٣ سطر ٦ البيت الآتي كما في الأصلين :

ولسنا على الأدبار تدعى كلومنا ولكن على أعقابنا تقطر الدما
وصوابه هكذا :

فلسنا على الأعقاب تدعى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
وهو المخلصين بن الحمام المزي من قصيدة له أولها :

تأخرت أمتي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أقدمها

يقول : نحن لا نولي فتجرح في ظهورنا تقطر دماؤنا على أعقابنا ؛ ولكن نستقبل

السيوف بوجوهنا ؛ فإن إصابتنا بجراح قطرت دماؤنا على أقدامنا . انظر لسان

العرب (مادة دى) ، والجماسة للتبريزي ص ٩٣ ، والشعر والشعراء ص ٦٣٠

تراثنا

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النوري

١٧٧ - ٧٢٢ هـ

السفر الثامن عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والأشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

فهرست

السفر الثامن عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري

صفحة

وقادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ١ من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة ...
- وفد غفار ، وقصة أبي ذر الثقافي ، وسبب إسلامه وإسلام أخيه
- وأته ، ثم إسلام غفار ...
- ٢ طعام أبي ذر من ماء زمزم ، وظهور فائدته وبركته ، وما قال فيه
- ٤ رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
- ٧ وفد أزد شنوءة ، وكيف كان إسلام ضماد ...
- ٨ وفد قحطان ...
- ١١ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمدان ...
- وفادة الطفيل بن عمرو النخعي وإسلامه ، وذكر إحدى معجزاته
- ١٣ صلى الله عليه وسلم ...
- وفادة نصارى الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل
- ١٥ فيهم من القرآن ...
- ١٦ من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقبل الفتح
- ١٧ وفد عجم ...
- ١٨ وفد ستمد العتيبة ، وذكر صفتها وآواص وتحطيمه ...

صفحة	وفد جُوهنة	١٨
	وفد مُزينة	١٩
	وفد سعد بن بكر ، وذكر ما كان من حُمام بن ثعلبة ، رسول سعد	
	الى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٢٠
	وفد أُنَجج	٢٢
	وفد جُشَيْن والأشعرين وسَلَم وإسلام الخنساء	٢٣
	وفد دُوس	٢٦
	وفد أسلم	٢٧
	وفد جذام	٢٨
	من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة	
	وفد ثعلبة وأسد ، وما نزل في ذلك من القرآن	٣٠
	وفد تميم ، وما وقع في ذلك من مفاخرة بين تميم والأنصار بالخطب	
	والشعر ، وما نزل في وفد تميم من القرآن	٣٢
	وفد فزارة ، واستسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم	٤١
	وفد مرة	٤٢
	وفد حُارب ، وِكَلاب	٤٣
	وفد رؤاس بن كلاب	٤٤
	وفد عُقيل بن كعب ، وكتاب رسول الله لم	٤٥
	وفد جندة ، وقُشَيْر بن كعب	٤٧
	وفد بني البكاء ، وما ظهر في ذلك من بركة رسول الله لبشر بن معاوية	٤٨
	وفد كنانة وبني عبد بن عدى	٤٩
	وفد باملة ، وعلال بن طامر ، ووفود زياد بن عبد الله	٥٠

صفحة

- وفد عامر بن صَحَصَة ، وخبر عامر بن الطَّقِيل وأُرِيدَ بن قيس ،
ومحاولة عامر وأُرِيدَ أغتيال رسول الله ، وما ظهر في ذلك من
عصمة الله ورسوله ، وتزول القرآن في ذلك ٥١
خبر أحد طواغيت العرب ٥٧
وفد حميف وإسلامها وهدم الآلات ، وما في ذلك من حصار الطائف ،
وإستخدام الدبابات ٥٩
عهد رسول الله لحيف ، وإرساله أبا سفيان لهدم الآلات ٦٣
قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناً من مال الآلات ٦٥
وفد عبد القيس ٦٥
وفد بكر بن وائل ٦٧
خبر أعشى قيس ، وذكر قصيدته التي مدح بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٦٨
وفد ثعلب ، وحنيفة ٧٢
خبر مُسَبِّلة الكتاب ، وأذعائه النبوة ٧٣
وفد شيان ، وخبر قبيلة بنت مخزومة مع حُرَيْث بن حسان في شأن الذمهاء ٧٤

وفادات أهل اليمن

- وفد طيئ وخبر زيد الخيل ، وعدى بن حاتم ٧٦
خبر عدى بن حاتم ، وبعث رسول الله علياً لهدم صنم طيئ وأسرره
سَقَانَة بنت حاتم ٧٧
وفد مُجِيب ٨١
وفد جَوْلَان ٨٢
وفد جَعْفَى ، وخبر المومودة والوائدة التي سألوا عنهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ٨٣
وفد مُرَاد ، وخبر قُرَّة بن مُسَبِّك المرادى ٨٤

صفحة

- ٨٥ ... وفد زُريد، وأخبار عمرو بن معدى كرب
- ٨٧ ... وفد كِنْدَة والهيئة المتأزّة التي ظهرها بها
- ٨٩ ... وفد الصّيف وسعد هُذَيْم
- ٩٠ ... وفد بَلّ و بهراء
- ٩١ ... وفد عُدْرَة
- ٩٢ ... وفد سَلَامَان
- ٩٣ ... وفد كَلْب، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل دُومة الجندل
- وفد جرّم، وخبر عمرو بن سَلِمة، وأنه كان يتلقّى القرآن من
- ٩٤ ... المسافرين وهو ابن ست
- ٩٦ ... وفد الأزْد وأهل جُرَش
- ٩٨ ... وفد غسان، ووفد الحارث بن كعب
- ١٠٠ ... عهد رسول الله لعمر بن حزم
- ١٠٣ ... وفد عَنَس
- وفد الدارَيْن وما كتب لهم به رسول الله، وما آخِص به تميم الدارِي
- ١٠٤ ... وإخوته
- وصف المؤلف للمهد النبوي الذي كتبه تميم كما رآه في بيت التميمين،
- ١٠٥ ... ونص المهد
- ١٠٧ ... وفد الرّهاويين
- وفد غامد والنخع، وذ كرؤيا رآها زُرارة بن عمرو فسرّها له رسول
- ١٠٨ ... الله صلى الله عليه وسلم
- وفد بَيْبِلَة، وبيت رسول الله جرير بن عبد الله البجليّ لخدم
- ١١٠ ... ذي الخَلَصَة وما ظهر من بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١١١ ... وفد خَتَم
- ١١٢ ... وفد حَضْرَمَوْت، وذ كرؤيا ابن نُجَير الحضرميّ ملك الحضارم

صفحة

- كتاب رسول الله لوائل بن حجر ، وما فيه من جوامع الكلم ، وأصول الأحكام ... ١١٣
- وفد يحنوس بن معدى كرب أحد أقبال كندة ... ١١٤
- وفد أزد عثمان ، وإرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعلاء بن الحضرمي إلى عمان ليعلمهم الشرائع ... ١١٤
- وفد غافق وبارق ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبارق ... ١١٥
- وفد ثعلبة والحذان ... ١١٦
- وفد متهرة ، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ... ١١٧
- وفد حمير ، وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ، وذكر رسول الله إلى زُرعة ذي يزن ... ١١٨
- وفد جيثان ، وصلول ... ١٢٠
- وفد نجران وسؤالهم رسول الله ، وما أنزل الله فيهم من القرآن ... ١٢١
- ما يتوارثه رؤساء نجران من ذكريننا صلى الله عليه وسلم في كتبهم تفسير آيات من أوائل سورة آل عمران ... ١٢٤
- ذكر آية المباحلة وتفسيرها ، وما كان من تحوُّف النصارى من المباحلة ... ١٣٤
- كتاب أمير المؤمنين عمر لنجران ... ١٣٧
- خبر إسلام الحق ودعائهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن ... ١٣٨
- ذكر إخبار الحق أصحابهم بمرسول الله صلى الله عليه وسلم ... ١٤١
- خبر سواد بن قارب ، وإخبار الحق له بمبعث رسول الله ، وإنشادهم الشعر في ذلك ... ١٤٢
- خبر خفاف بن ثعلبة الثقفى ... ١٤٦
- أول خير قدم المدينة عن مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من الحق ... ١٤٧

- صفحة
- ١٤٧ خبر تميم الناري بما سمع من الجن
- ١٤٧ خبر أبي نُزَيْم فاطك ، وما سمع من الجن عن مبعث رسول الله ...
- ١٤٩ خبر مالك بن قُصَيْع
- خبر دُباب وكلام الصنم قراض — أو قراض — وظهور جنى له
- ١٥٠ في صورة كلب وحديثه له
- ما روى عن ربيعة بن أبي بَرَاء من إخبار الجن برسول الله صلى الله
- عليه وسلم
- ١٥٤ ذكر رُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وكتبه إليهم ...
- ١٥٦ ما قُتس في خاتمه عليه والسلام
- ١٥٧ ذكر تكلم رسله بلغة من أرسلوا إليهم بألهام من الله، وخطبته في رسله
- حين بعثهم
- ١٥٧ إرسال عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة
- ترويح النجاشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، وإصداقه
- إياها عنه
- ١٥٨ إرسال دحية الكلبي إلى قيصر ملك الروم ، وكتاب رسول الله صلى الله
- عليه وسلم إليه
- ١٥٩ حديث هِرَقل مع ركب فريش في أمره عليه السلام
- ما حصل من الروم عند سماعهم قراءة الكتاب النبوي ، وقول ابن
- الناطور صاحب إيلياء
- ١٦١ إرسال عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى
- ١٦٣ إرسال حاطب بن أبي بَلْتَمَةَ إلى المُقَوْقِس
- ١٦٤ إرسال شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث الغساني ملك البلقاء
- إرسال سَلِيط بن عمرو العامري إلى هَوَثة بن علي ملك النجاسة
- ١٦٦ إرسال العلاء بن الحضرمي إلى المنذر ملك البحرين، ومعه أبو هريرة
- ١٦٦

صفحة

- ١٦٧ بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ملكي عُثْمَان
- ١٦٨ بعثه المهاجرين أمية إلى ملك اثين
- ١٦٨ بعثه أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اثين، وجرير بن عبد الله
الْبَجَلِيّ إلى ذى الكَلَّاع وذى عمرو
- ١٦٩ ذكر كتابه إلى جبلة بن الأيهم
- ١٦٩ إرساله الأمراء والعمال إلى الأقطار الإسلامية
- أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٧٠ أم المؤمنين خديجة أول أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٧٣ سَوْدَةُ بنت زَمْعَةَ
- ١٧٤ عائشة بنت أبي بكر الصديق
- ١٧٥ حكاه من سب أبا بكر أو سب عائشة
- ١٧٦ حفصة بنت عمر بن الخطاب
- ١٧٨ زينب بنت جُحَيْمَة
- ١٧٩ أم سلمة هند بنت أبي أمية
- ١٨٠ زينب بنت جحش بن رثاب
- ١٨١ ثناء عائشة على زينب بنت جحش
- ١٨٢ جَوَيْرِيَّة بنت الحارث
- ١٨٤ رَيْحَانَة بنت زيد بن عمرو
- ١٨٤ أم حبيبة رملَة بنت أبي سفيان ، وذكر زواجها وهي بالحبيشة
- ١٨٦ صفية بنت حيي بن أخطب
- ١٨٧ رؤيا صفية قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٨٨ ميمونة بنت الحارث

صفحة

ذكر من تزوجهن صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن
ومن دخل بهن وطلقهن ، ومن وهب نفسها له

فاطمة بنت الضحاك	١٩٠
عمرة بنت يزيد بن الحصون	١٩٢
العالية بنت طيبن، وأسماء بنت النعمان	١٩٢
سمية بنت شرحبيل	١٩٤
قُبَيْلَة بنت قيس	١٩٥
عمرة بنت معاوية الكنديه ، وأسماء بنت الأَصْلَت	١٩٦
مُليكة بنت كعب بن لُثَي	١٩٧
أبنة جندب بن ضمرة الجُثْدُمِي	١٩٧
الفغارية ، وخولة بنت المَدِيل ، وشرف بنت خليفة الكلبي	١٩٨
خولة بنت حكيم . ونيلي بنت الحطيم	١٩٩
ليل بنت حكيم الأنصارية ، وأم شريك غزيرة	٢٠١
الشَّنبَاء	٢٠٣

من خطبهن صلى الله عليه وسلم ولم يتفق تزويجهن

أم هانئ بنت أبي طالب ، وضباعة بنت عامر بن قُرْط	٢٠٤
صفية بنت بشامة ، وجمرة بنت الحارث ، وسودة القرشية	٢٠٥
أمامة بنت عمه حمزة	٢٠٦
أزواجه صلى الله عليه وسلم من العرب وأزواجه من غيرهم	٢٠٦
خلاف في عدد من تزوجهن	٢٠٧
سباريه صلى الله عليه وسلم	٢٠٧

صفحة

أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٠٨	إبراهيم
٢١٠	وفاة إبراهيم وتأثره عليه السلام وما قاله حينئذ
٢١١	زينب
٢١٢	رقية
٢١٣	فاطمة
٢١٤	أُمّ كلثوم

ذكر أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢١٥	الحارث
٢١٦	قُثم بن عبد المطلب، والزبير، وحزرة، والعباس
٢١٧	أُسْتَقْصَاءُ عَمْرِو الْعَبَّاسِ
٢١٨	دُعَاءُ الْأَسْتَقْصَاءِ
٢١٩	أولاد العباس
٢٢٠	أبو طالب، وأبو لهب
٢٢١	عبد الكعبة، ومجمل، وضرار، والقيظاق

ذكر عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٢١	صفية
٢٢٢	عاتكة بنت عبد المطلب، وأروى، وأميمة
٢٢٣	برزة بنت عبد المطلب، وأُمّ حكيم البيضاء

خدم رسول الله الأحرار وعددهم

٢٢٣	أنس بن مالك
٢٢٤	هند وأسماء أبينة حارثة، وربيعة بن كعب

صفحة	
٢٢٥	عبد الله بن مسعود
٢٢٦	عُقبة بن عامر، وبلال بن رباح، وسعد مولى أبي بكر
٢٢٧	ذو يَحْمَر بن أُمي النجاشي، وبُكر بن شَافِخ، وأبو ذَرَّ النِفَارِي
٢٢٨	أَسْلَع بن شَرِيك، وأبو سلام الماشني

موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٢٩	زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد، وقُوتاب بن يُحْمَد
٢٣٠	أبو كبشة، وأَسمة، وشُقْران، ورَبَاح، وَيَسَار
٢٣١	أبو رافع، وأبو مُؤَيَّة، ورافع، وقُضالة، ومِثْم، وكَزْكِرَة
٢٣٢	زيد، وعِيْد، وطُهْمَان، ومَأْبُور، وواقِد، وأبو صُمَيْرَة، وحُثَيْن
٢٣٣	أبو حَسِب، وسَفِينَة، وأبو هند، وأنجسة
٢٣٤	أَيْسَة، وأبو لُبَابَة، ورُوَيْفَع، وسعد
٢٣٤	ذكر جماعة أحر من الموالى
٢٣٥	موالي رسول الله من النساء
٢٣٦	حراسه وكُتَّابه
٢٣٧	رفقاؤه النجباء
٢٣٧	صفاته الذاتية
٢٤٢	وصف خاتم النبوة
٢٤٢	صفة شعره وطوله
٢٤٣	عدد شيبه
٢٤٤	ما كان يَغْضِب به
٢٤٥	صفاته المعنوية
	ما ورد في أكله وشربه وتوهمه والأصناف التي أكل منها، وأحب
٢٤٦	ما كُول إليه

٢٤٨	نومه صلى الله عليه وسلم وضحه
٢٤٩	نكاحه صلى الله عليه وسلم وما يتصل به
٢٥٠	خلقه، وحله، وأحباله، وقفوه، وبعض من عفا عنهم
٢٥٣	جوده، وكرمه، ومخاؤه، وسماحته
٢٥٤	شجاعته، ونجده
٢٥٦	جياؤه، وإغضاؤه
٢٥٦	حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم
٢٥٨	عمله مع أصحابه
٢٥٩	شفقته ورأفته ورحمته جميع الخلق
٢٦٠	وقاؤه وحسن عهده وصلته للرحم
٢٦٢	تواضعه صلى الله عليه وسلم
٢٦٤	قصيدة في شيء من صفاته
٢٦٥	عده وأمانته وعفته وصدق طبعته
٢٦٦	وقاره وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه
٢٦٧	زهده في الدنيا
٢٦٨	خوفه من الله وطاعته له وشدة عبادته
٢٧٠	نظافة جسمه، وطيب ريحه وعرقه، وتزاحته عن الأقدار وعورات
٢٧٠	الجسد
٢٧١	حديث هند بن أبي هاتمة وما تضمنه من أوصافه القلبية والمعنوية
٢٧٧	مجلسه وما كان يصنع فيه
٢٧٨	سيرته في جلسائه
٢٧٨	أحواله وما ناله من شدة العيش في دنياه

صفحة	
٢٨٣	تطيه وباسه وألوانه وأصنافه ، وطوله وعرضه
٢٨٤	الثياب الصفرة
	الثياب الخضراء والسواد من ثيابه ، وأصناف لباسه وطولها وعرضها ،
٢٨٥	والعصوف وما ورد فيه
٢٨٦	الحبرة من برود اليمن والسندس والحريز ، وما ورد أنه لبسها ثم تركها
٢٨٧	ما ورد في ثيابه -- صلى الله عليه وسلم -- القطنية وأنواعها
٢٨٨	صفة لمزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه عند لبسه جديدا
٢٨٩	قراشه ووسادته
٢٩٠	ما لبسه من الخواتم ، والخلاف في ذلك
٢٩٢	نعله وخفاه ومرآته وقدره وغير ذلك من أئانه
٢٩٤	ما ورد في حجابته وحنجامة ، وما قل في الحجامة
٢٩٦	سلاحه وأصنافه وأسمائوه
٢٩٩	ذكر دوابه من الخيل والبغال والحمير وأسمائها
٣٠١	ذكر أفاعله من إبل وغنم وأسمائها وعددها
٣٠٢	معجزاته
٣٠٣	أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وهي القرآن ، ووجوه إعجازه
٣٠٨	الكلام على أنشقاق القمر
٣١٠	رجوع الشمس بعد غروبها ، وحبسها
٣١١	نبح الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم
٣١٢	ضمير الماء وأنبهته وتكثيره بركته ودعائه
٣١٤	تكثير الطعام بركته ودعائه
٣١٨	كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة

٣٢٠	قصة حنين الجذع إليه
٣٢١	نطق الجادات له
٣٢٣	كلام الحيوانات وسكونها إذا رآته صلى الله عليه وسلم
٣٢٧	تسخير الأسد لسفينة مولاه صلى الله عليه وسلم
٣٢٨	كلام الأموات والأطفال له
٣٣٠	إبراء المرضى وذوى الماهات بريقه صلى الله عليه وسلم
٣٣٢	شفاء الجراحات بتقله
٣٣٣	إجابة دعائه
٣٣٥	ألقاب الأعيان بلمسه ومباشرته
٣٣٧	إخباره بالقيوب
٣٤٢	عصمته من الناس
٣٤٤	ما جمعه الله له من العلوم والمعارف
٣٤٧	القصيدة الشقراطية في معجزاته ، وصفاته صلى الله عليه وسلم
٣٥٩	ما أنزل عليه عند اقتراب أجله
٣٦١	استغفاره صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع
٣٦٣	ذكر ابتداء وجهه واستئذانه نساءه أن يمرض في بيت عائشة
٣٦٤	خطبته وأمره بسد الأبواب إلى مسجده إلا باب أبي بكر
٣٦٦	ما قاله في مرضه لأبي بكر
٣٦٧	أمره أبا بكر أن يعطي الناس في مرضه
٣٧٢	ما أنفق في مرضه ولده
٣٧٣	الكتاب الذي أراد أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع
٣٧٤	وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المرض
٣٧٤	ما قاله عمر عند ما كثر اللغط ، والاختلاف في حضرته صلى الله عليه وسلم

صفحة	
٣٧٥	ذكر أقوال العلماء في الاضطراب عن عمر
	أخلاف العلماء في معنى الحديث : « أكتب لكم كتابا لا تضلوا
٣٧٦	بعده أبدا »
٣٧٨	ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه
٣٨٠	الدوائر التي فيها في مرضه الذي مات فيه
٣٨٢	تخيير رسول الله بين الدنيا والآخرة عند الموت
٣٨٣	ما قاله رسول الله عند نزول الموت به
٣٨٣	ذكر وفاته
٣٨٤	وفاته في حجر عائشة
	ما حدث عند وفاته في الناس من شك في وفاته وطلع البعض ،
٣٨٥	وخطبة أبي بكر فيهم
٣٨٨	غسل رسول الله ، وتمزيق الخضر عليه السلام فيه
٣٩١	تكفينه
٣٩٢	الصلاة عليه
٣٩٣	قبره ولحده وفرشه ، ومن دخل قبره ، ووقت دفنه ، ومدة حياته
٣٩٥	وقت دفنه ومدة مرضه ، وسنه
٣٩٦	ميراثه وما روى فيه
٣٩٨	ما قال أصحابه من الحزن على فقده
٣٩٩	رثوته صلى الله عليه وسلم والقصاص في رثاته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

ذكر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما يتصل بذلك

كانت أكثر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة ، ولذلك سُميت سنة الوفود . وذلك أن العرب إنما كانوا ينتظرون فتح مكة وإسلام هذا الحى من قريش ؛ فلما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة - شرفها الله تعالى - وأسلم من أسلم من قريش ، وفدت عند ذلك وفادات العرب من كل قبيلة وجهة . ودخلوا في دين الله أفواجا ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

وقد رأينا إيراد ذلك على نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع في طبقاته الكبرى ، ونذكر ما أورده ابن سعد ممن ذكرهم أبو محمد عبد الملك ابن هشام رحمه الله ، إلا أننا نبدأ من ذلك بذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة ، ثم نذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة وقبل فتح مكة ، تقدمهم على حسب السابقة ، ثم نذكر من عدا هؤلاء من الوفود الذين وفدوا في سنة تسع وما بعدها ؛ نرتبهم على ما رتبهم محمد ابن سعد في طبقاته في التقديم والتأخير ، وفستأني منهم من تقدم ذكره فيقول وبالله التوفيق :

ذكر من وقَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو بمكة قبل الهجرة

وقَد عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة غفَّارٌ ، وأزْدُ شَنْوَة ، وهمدان ،
والطُّفيل بن عمرو الدُّومِي ، ونصارى الحبشة .

ذكر وقد غفار ونِصَة أبي ذَرِّ الغِفَارِي في سبب إسلامه

روى الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله في كتابه المترجم
بـ «دلائل النبوة» بسنده إلى عبد الله بن الصَّامت . قال قال أبو ذر رضي الله عنه :
خرجنا عن قومنا غفار . وكانوا يحلون الشهر الحرام ، فخرجت أنا وأخي أنيس
وأُمُّنا ، فأطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا ذى مال وذى هيئة ، فكرمنا وأحسن إلينا ،
فحسدنا قومُه . فقالوا له : إنك إذا خرجت عن أهلِكَ خالِفَ إليهم أنيس ، قال :
بِقاء خالِنَا فَتَنَّا عَلَيْنَا مَا قِيلَ لَهُ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : أَمَا ماضٍ مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ ، وَلَا جَمَاعَ
لَكَ فِيَا بَعْدَ . قال : فَفَرَرْنَا صِرْمَتًا فَأَحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا [وَبَطَلَى خَالِنَا ثَوْبُهُ لِفَعْلِ يَبْكِي]
وَأَطْلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ . فَأَقْرَأَ أَنِيسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا . فَأَتَيْنَا الْكَاهِنَ
غِفْرَ أَنِيسَا ، فَأَتَانَا بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مِثْلَهَا . قال أبو ذر : وقد صليتُ يابنَ أَخِي قَبْلَ
لَمَّا أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ سِنِينَ . قال ابن الصَّامت : فقلت
لَمَنْ ؟ قال : لله . قلت : فإينَ تَوَجَّهَ ؟ قال : اتَّوَجَّهَ حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ ؛ أَصْلَى عِشَاءَ

(١) في اللغات : «هيئة» . (٢) تنأ عليا : أى أظهره إلينا وحدتنا به . وفي اللغات :
«فتلا» . (٣) جاع : اجتاع . (٤) الصرمة : القصة من الإبل ، وأختلف في عددها ، قيل :
مى من البصرة إلى الأربعين ، وقيل غير ذلك . (٥) الزيادة من اللغات . (٦) في الأصل :
«غفر أنيسا» . وفي اللغات : «غفر أنيسا بما هو عليه» . (٧) في اللغات : «يوجهني» .

- حتى إذا كان من آخر الليل أَقْبَيْتُ كَأَنِّي خَفَاءٌ^(١) - يعني التوب - حتى تملوني الشمس . فقال أَنَيْسُ : إِنَّ لِي صَاحِبًا بِمَكَّةَ فَأَكْفِيهِ حَتَّى آتِيكَ . فَأَنْطَلِقُ أَنَيْسُ حَتَّى آتَى مَكَّةَ فَرَأَتْ عِلَّةً^(٢) ، ثُمَّ آتَانِي قُلْتُ : مَا حَبَبَكَ ؟ قَالَ : لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ يَزْعِمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ عَلَيَّ دِينًا . قَالَ : قُلْتُ مَاذَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ إِنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَكَاهِنٌ . قَالَ : وَكَانَ أَنَيْسُ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ - وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ : وَآلَهُ مَا سَمِعْتُ بِشَاعِرٍ مِنْ أُنْثَى أَنَيْسُ - لَقَدْ نَاقَضَ أَتَى عَشْرَ شُعْرَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَا أَحَدُهُمْ . قَالَ فَقَالَ أَنَيْسُ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ فَإِنَّهُ يَقُولُهُمْ ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشُّعْرَاءِ فَلَمْ يَلْتَمِمْ ، وَمَا يَلْتَمِمْ وَآلَهُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَدَى أَنَّهُ شِعْرٌ ، وَوَآلَهُ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَمِنْهُمْ لَكَادِيُونَ . قَالَ : قُلْتُ لَهُ هَلْ أَنْتَ كَافٍ حَتَّى أَنْطَلِقَ فَأَنْظُرَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! وَكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى حَذَرٍ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَتَّوْا لَهُ وَتَجَمَّعُوا . فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَتَضَعْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ قُلْتُ : أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِي ؟ قَالَ : مَا شَارَ إِلَيَّ ، الصَّابِي ! قَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدْرَةٍ وَعَظُمَ حَتَّى تَحَرَّوْا مَفْشِيًا عَلَيَّ . قَالَ : فَأَرْتَقَعْتُ حِينَ أَرْتَقَعْتُ كَأَنِّي نَصَبُ أَحْمَرٍ ، فَأَمِيتَ زَمْزَمَ فَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا ، وَغَسَلْتُ عَنِّي الدَّمَ ، وَدَخَلْتُ بَيْنَ الْكُتُبَةِ وَأَسْتَارَهَا ، وَلَقَدْ لَبِثْتُ بِأَيْنِ أُنْثَى ثَلَاثِينَ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ وَمَالِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءَ زَمْزَمَ ، فَسَمِعْتُ حَتَّى تَكْثُرَتْ عُنْكَ بَطْنِي ، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبْدِي مَخْفَقَةً جَوْع . قَالَ : فَبَيْنَمَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي أَيْلَةٍ
- (١) انخفاء . بالكسر . يعني الكساء . وكل شيء غلبت به شيئاً فهو خفاء . وقد فسره المؤلف .
(٢) في الدلائل والطبقات : إِنَّ لِي صَاحِبًا . الخ . (٣) رأت : أَبْطَأَ . (٤) في الدلائل : «عَلَيَّ دِينَهُ» : أَي عَلَى دِينِ اللَّهِ . (٥) أَقْرَاءُ الشُّعْرَاءِ : طَرَفُهُ وَأَنْوَاغُهُ . (٦) شَتَّ لَهُ كَفَرَحَ : أَبْغَضَهُ وَتَرَكَّهُ . وَفِيهِمْ لَهُ : اسْتَحْبَبَهُ بِغِلْظَةٍ وَوَجْهٍ كَرِيهٍ . (٧) تَضَعْتُ : أَسْتَضَعْتُ .
(٨) في الطبقات : «هَذَا الصَّابِي» . (٩) النَّصَبُ : الصَّبْرُ ؛ وَالْحَقُّ : لَهُمْ ضَرْبُهُ حَتَّى أَدْمَوْهُ فَصَارَ كَالنَّصَبِ الْمَحْمُودِ مِنَ الدَّيَاخِ . (١٠) مَخْفَقَةُ الْجَوْعِ : رَقَّةٌ وَهَزَالَةٌ .

- فقرأ أصحابان^(١)، قد ضرب الله على أمية أهل مكة لما يطوف بالبيت أحد غيركم اثنين
وهما تدعوان إياها^(٢)، فأتتا على^(٣) في طوافهما قلت: أنكما إحداها الأخرى،
فأشارتا عليك عما قال^(٤). فأتتا على^(٥) قلت: من مثل الخشبة غير آتى لا أكني،
فأطلقتا تولوان وتقولان: لو كانت هاتتا أحد من أئمتنا! قال: فأستقبلهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما حابطان من الجبل، فقال لهما: مالكما؟
قالا: الصابون بين الكعبة وأستارها. قال: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تلاءم^(٦)
القيم. فبشاه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه [فأستلم الحجر ثم طاف
بالبيت هو وصاحبه] ثم صلى، فلما قضى صلاته قال أبو ذر: فأنيت كنت أول
من حياه تحية الإسلام، فقال: «وطيك ورحمة الله»، ثم قال: «ومن أنت؟»
قلت: من عفار، قال: فأهوى بيده فوضع يده على جبينه، فقلت في نفسي:
كروا أني أتيت إلى عفار، قال: فأهويت لأخذ بيده، فقد كنت صاحبه وكان
أعلم به مني، ثم رفع رأسه فقال: «من كنت هاتتا؟» قلت: منذ ثلاثين من
ليلة ويوم^(٧)، قال: «من كان يطعمك؟» قلت: ما كان لي من طعام إلا ماء
زمن، فسميت حتى تكثرت عكبي بطني، وملو جئت على كيدي متخفة جوع،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها مباركة، إنها طعام طعم، وشفاء سقم»
فقال أبو بكر: يا رسول الله! لم يذن لي في إعطائه الليلة، ففضل، فأطلق رسول الله

(١) أصحابان: حذيفة مشرة - يقال: لمة أصحابان وإخباتة - والألف والهمزة زائدة.

(٢) إياها وإياها: صان - (٣) في الأصول: «فأتتا» - وفي الطبقات: «من قولها».

(٤) الزيادة من الدلائل - (٥) قلبي: متى - وفي ابن الأثير: ذهبت أميل بين يديه.

(٦) في الدلائل: قد كنت هاتتا منذ ثلاثين ليلة ويوم.

(٧) وفي الطبقات: من يوم ليلة ويوم (٧) طعام طعم: أي يشبع الإنسان إذا شرب ماء طعمًا كما

شبع من الطعام.

صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، فكان ذلك أول طعام أكلته بها، قال : فغبرت ما غبرت . ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني وُجِّهْتُ إلى أرض ذات نخيل لا أحسبها إلا يَتَرَبَّ ، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله أن ينفعهم بك ، وإبرك فيهم » ، قال : فأطلقت حتى أتيت أُنَيْمًا فقال لي : ما صنعت ؟ قلت : أسلمتُ وصدقتُ . قال : لما بي رغبة عن دينك ، فلإني قد أسلمت وصدقت . ثم أتينا أُنَيْمًا ، فقالت : ما بي رغبة عن دينك ، فإني قد أسلمت وصدقت ، قال : ثم آحمتلنا حتى أتينا قومنا غفارا ، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان يؤثمهم خُفَّاءُ بن إيماء ابن رَحَظَةَ الْغِفَارِيِّ ، وكان سيدهم يومئذ ، وقال بقيتهم : إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم بقيتهم ، وجاءت أسلم ، فقالوا : يا رسول الله ! إخواننا ، فأسلم على الذي أسلموا عليه . فأسلموا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غِفَارٌ قَفَرُ الله لما وأَسْلَمُ سالمها الله » .

وهذه الرواية في خبر إسلام أبي ذر ، قد روى مسلم في صحيحه نحوها ، وهي

تخالف رواية البخاري .

١٥

وروى البيهقي من أبي ذر قال : كنت رُجُيعَ الإسلام ، أسلم قبل ثلاثة ففروا أنا الرابع ، أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أشهد

(١) غبرت ما غبرت : أي مكنت ما مكنت . (٢) في أسد الغابة : كان أبوه سيد غفار

وكان هو إمام بني غفار . وفي النجاشي : خفاف كفسراب ، وأبوه إمام بكر الحنظلة والمدينة ونسبها

واقصر ، ورحضة قبل محرمة ويقال بالضم ويقال بالفتح . (٣) أي غفار .

٢٠

أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : لما بلغ أبا ذر مَبْعُثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قال لأخيه أنيس : أركب إلى هذا الوادى ، فأعلم لى يعلم هذا الرجل الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، وأسمع من قوله ، ثم آتيت ، فأنطلق حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجعت ، فقال : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت منه كلاما ماهو بالشعر . قال : ما شفقتى فيما أردت ، ترؤد وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد ، فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل ، فأضطجع فرآه على بن أبى طالب ، فقال : كأن الرجل غريب ، قال : نعم ، قال أنطلق إلى المنزل ، قال : فأطلقت معه لا يسألنى عن شيء ، ولا أسأله ، فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد ، وبقيت يومى حتى أمسيت وصرت إلى مَضْجَعِي ، فترى على بن أبى طالب ، فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟ فأقامه وذهب به معه : وما يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك ، فأقامه على معه ، ثم قال : ألا تحدثنى ما الذى أقدمك هذا البلد ؟ قال : ١٥ إن أعطيتني عهدا وميثاقا تترشدنى ففعلت ، فأخبره على أنه نبي ، وأن ما جاء به حق ، وأنه رسول الله ، قال : فإذا أصبحت فأتبني ، فزى إن رأيت شيئا أخاف عليك فمت كائن أريق الماء ، فإن مضيت فأتبني حتى تدخل مدخلى ، قال : فأطلقت أفضوه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت معه وحيث رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجة الإسلام ، فقلت : السلام عليك ٢٠ يا رسول الله ! فكنت أنتل من حياه بتجة الإسلام ، فقال : ”وعليك السلام ، من

أنت؟ قلت: رجل من غفارة. فعرض عليّ الإسلام. فسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ارجع إلى بلاد قومك وأخبرهم» وأكثمت أمرك عن أهل مكة. فبني أحباشهم بيتاً، فقتل والذي نفسي بيده لأصرحنّ به بين أظهرهم. فخرج حتى أتى مسجد قذافي، فغلى صوته، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فثبّ ثمّوه إليه فضر به حتى أضمضوه، وأتى العباس فكتبّ عليه وقل: ويلكم! تؤسّم تعلمون أنه من غفارة، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم! وأخذوه منهم، ثم عدّوا في شهر. ونزّوا إليه فضر به، فكتبّ عليه العباس فأنقذه. ثم يحقّ بقومه. وكان هذا أول إسلام أبي ذر.

ومن رواية الألبان بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال: قدم أبو ذر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأسلم، ثم رجع إلى قومه. فكان يسخر بأهلهم. ثم إنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. فلما رآه وهم في آسفه. فقال: «أنت أبو ثعلبة؟» قال: أنا أبو ذر، قل: «نعم أبو ذر».

ذكر وفد أزد شنوءة وكيف كان إسلام ضماد

روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - رحمه الله - بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم. قال: قدم ضماد مكة، وهو رجل من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الرياح، فسمع سفهاء الناس يقولون: إن محمداً

- (١) تاب: أي أقبل. ولعلها «تار» كقوله بد «تاروا». (٢) تار إلى الشر: نهض. (٣) ضاد كتاب ابن ثعلبة الأزد، قال في أسد الغابة: كان مدقاً النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، وكان يتلبس ويرق ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام. وروى ضام باليم. (٤) في اللغات: «فسمع سفهاء من سفهاء الناس».

- مجنونٌ ، فقال : آتى هذا الرجل لصل الله أن يتفبه على يدي ، قال : ففقت محمدا ، فقلت : إني أرقى من هذه الرياح ، وإن الله يشئ على يدي من يشاء ، فهُلِّمْ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله » ثلاث مرات ، فقال : تالله لقد سمعت قول الكَهَنَةِ ، وقول السَّحَرَةِ ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات ، فهُلِّمْ بِدُكِّ أَبَيْكَ عَلَى الْإِسْلَام ، فبِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال له : « وصل قومك » ؟ فقال : وصل قومي ، فبِئْسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرِّيَّةً فُتِرُوا بِقَوْمِ خِزَادٍ ، فقال صاحب الجيش للسرية : هل أصبتم من هؤلاء شيئا ؟ فقال رجل منهم : مَطْهُورَةٌ ، فقال : « ردوها عليهم فإنهم قوم خِزَادٍ » . رواه مسلم في صحيحه . ١٠
- وروى القاضي عياض بن موسى في كتابه المُتَرَجِّم بِ (الشفا ، بتصرف حقوق المصطفى) : أن خِزَادًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ فَلَقَدْ بَلَغَن قَامُوسَ الْبَحْرِ ، هَاتِ يَدِيكَ أَبَايَكَ . ١١

ذكر وفد همدان

- ١٥ قال محمد بن سعد رحمه الله تعالى : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثنا جَبَانُ بْنُ هَانِيٍّ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ قَيْسٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ بْنِ لَآئِيٍّ الْهَمْدَانِيِّ ثُمَّ الْأَرْحَظِيِّ عَنْ أَشْيَاحِهِمْ ، قَالُوا : قَدِمَ قَيْسُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ لَآئِيٍّ الْأَرْحَظِيِّ عَلَى رَسُولِ

- (١) المطهرة بالكسر والفتح : أن يطهره ويترجها مثل سطل أو دكة ، والمطهرة الأداة . وزاد في اللاتل : « أصبت منهم » . (٢) قاموس البحر : قمره . (٣) أرسب : بطن من همدان . قيس بن مالك كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم بعد أن كتب إليه . وكتابه صلى الله عليه وسلم إليه مذكور في أسد الثابة وغيره . (٤) في نسخة أ : سعد بن سعيد بن مالك ، وفي نسخة ب : سعد بن سعد بن مالك ، وليس بصحيح ، وإنما هو سعد بن مالك كما في ابن سعد وغيره . ٢٠

الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فقال : يا رسول الله أنبتك لأوأمين بك وأنصرك ؛ فقال له : « مرحباً بك ، أناخذوني بما في يامشر همدان » ؟ قال : نعم ؛ بأبي أنت وأُمِّي ، قال : « فاذهب إلى قومك ، فإن فعلوا فأرجع أذهب معك » ، فخرج قيس إلى قومه ، فأسلموا وأغتنسوا في جوف المحورة — وهو ماء يغتسلون فيه — وتوجهوا إلى القبيلة ، ثم تخرج بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد أسلم قومي وأمروني أنت آخذك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نيم وافد القوم قيس » ، وقال : « وقيت وفي الله بك » ، وسبح بناصيته ، وكتب عهده على قومه همدان : أحورها وعربها وسلايطها ومواليها أن يسمعوها وطيعوها ، فإن لم ذقة الله وذقة رسوله ما أقمت الصلاة وآتيت الزكاة ، وأعطته ثلثائة فرق ، من خيوان مائتان : زبيب وذرة شطران ، ومن عمران الجوف مائة فرق بر ، جارية أبداً من مال الله .

ومن طريق آخر له قال : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بالموسم على قبائل العرب ، فتره رجل من أرحب يقال له : عبد الله بن قيس بن أم

- (١) كذا في الأصول وفي ابن سعد . وجوف المحورة : موضع ببلاد همدان ، انظر معجم البلدان « جوف » . (٢) في الأصول : « خرجوا » ، وما أجتهد عن الطبقات . والمقام يقتضيه . (٣) أحورها : قدم ، وآل ذي مران ، وآل ذي لعة ، وآذا . همدان ، كذا في الطبقات . وفي أصل الناجية : حوردا (غير آلف) . أهل القرى ، من الحرة سمي أهل القرى بالحرة لأنهم يبيض ، والعرب تطلق الأحمر ويريد الأبيض ، وعربها أهل البادية . وفيه : وعربهم وحورم وسولهم . وليس فيه خلط ، وإن صح فقل الخلط خلطها ، وهو جمع خلط ، وهم أخلط الناس . في الطبقات : « وعربها (بالتين المعجمة) أرحب ، ونهسم ، وشاكر ، ووادعة ، ويام ، ومربة ، ودالان ، وخارف ، وعذر ، وجور » . (٤) الفرقه (فخجنين) : مكيل ، يقال أنه يسع ستة عشر مثقالاً . وغيران : يد بايمن . (٥) شطران باقتح ويكرأى ضفان . (٦) عمران كهمان : قرية من بلاد مراد بايمن بالجوف بها .

عزال . فقال : « هل عند قومك من منعة » قال : نعم ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم ، ثم إنه خاف أن يُخْفِرَه قومه فوعده الحج من قاتل ، ثم وجه الممداني يريد قومه ، فقتله رجل من بني زُبيد يقال له ذُباب ، ثم إن قبة من أَرْحَب قتلوا ذُباباً الزبيدي بعد الله بن قيس . هذا قبل الهجرة .

- وَأما بعد الهجرة ، فقد روى محمد بن إسحق رحمه الله ، قال : قدم وقد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نَمَط ، وأبو نور وهو ذو المشعار ، ومالك بن أَيْقَع ، وضام بن مالك السلماني ، وعَميرة بن مالك الخارقي ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَجَمَه من تَبُوك ، وعليهم مَقَطَعات الخبَرَات والعَمَانَة العَدْنِيَّة . برحال التَّيْس على المَهْرِيَّة والأَرْحَبِيَّة . ومالك بن نَمَط ، ورجل آخر رَجَزَان بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدَانُ خَيْرُ سَوْقَةٍ وَأَقْبَالُ . ليس لها في العالمين أَمْثَالُ
مَحَلُّهَا الْخَضْبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ . لها إَطَابَاتُ بها وَأَكَالُ

- (١) يخفرون قومه : يقضون هذه وذمائه .
(٢) الخبرات جمع خبرة ، وزان عبة : ثياب مينة من قطن أو كان مخطط يقال له : برد حيرة على الوصف أو على الإضافة ، والعَدْنِيَّة نسبة إلى عدن .
(٣) التَّيْس : الشجر الذي يصنع منه الرجال .
(٤) المهرية : نوع من الثياب المسوية إلى مهرة ، وهي قبيلة همرية تسكن أعالي اليمن الشمالية .
(٥) والأَرْحَبِيَّة نسبة إلى أَرْحَب بن همدان ، وانظر السيل ٢ : ٣٤٩ .
(٦) الأقبال جمع قبيل وهو الملك في لغة أهل اليمن .
(٧) يريد المرتفعات من الأرض واحداً هضبة . (A) الإطابات : الأطعمة الطيبة ، من أطاب قدم طعاماً طيباً ، وفي نسخة به : الرطابات . وأكال : ما كل المحرك كاللسان . وفي شرح السيرة المثنى ٢ : ٤٤٧ : « آكل : هو ما يأخذه الملك من رعيته وطبقه عليه له » .

ويقول الآخر :

إَيْتَكَ جَاوَزْنَ مَسَوَادَ الرَّيْفِ • فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْمَحْرِيفِ
مُخْطَلَاتٍ بِجِبَالِ اللَّيْفِ

فَقَامَ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ نَصِيحَةٌ مِنْ هَمْدَانٍ مِنْ كُلِّ
حَاضِرٍ وَبَادٍ ، أَتُوكَ عَلَى قُلُوبِ نَوَاجٍ ، مُتَّصِلَةٌ بِجِبَالِ الْإِسْلَامِ ، لَا تَأْخُذْهُمْ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَانْتِمْ ، مِنْ مَخْلَافٍ خَارِيفٍ وَيَامٍ وَشَاكِرٍ ، أَهْلُ السُّودِ وَالْقُودِ ، أَجَابُوا دَعْوَةَ
الرَّسُولِ ، وَفَارَقُوا أَلْمَاتِ الْأَنْصَابِ ، عَهْدَهُمْ لَا يَنْقُضُ مَا أَقَامْتَ لَطْعُ ، وَمَا جَرَى
الْيَقُورُ يَصْلُحُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعِمَّ الْحَيُّ هَمْدَانُ ، مَا أَسْرَعَهَا
إِلَى النَّصْرِ ، وَأَصْبَرَهَا عَلَى الْجُهِدِ ، وَمَنْهُمْ أَبْدَالُ ، وَفِيهِمْ أَوْتَادُ الْإِسْلَامِ » ، وَكَتَبَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا ، فِيهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ
مِنْ [مُحَمَّدٍ] رَسُولِ اللَّهِ لِمُخْلَافٍ خَارِيفٍ وَأَهْلِ جَنْابِ الْمُضَبِّ وَحِقَافِ الرُّمْلِ ، مَعَ

- (١) المَبَوَاتُ جمع مَبْوَة وهي الذبذبة . (٢) مَخْطَلَاتٌ : محمول لما عظام من اللف وهو المدد .
وفي هذا الصنف نوع يكون منه الخطام قانرا وانفخاره يدل على أنه يريد الخطام القانر من هذا النوع .
(٣) النَصِيبة : الأخبار الأشراف . (٤) القُلُوبُ : ككتب جمع قلوب كرسول وهو الملقى
من الإبل . وَنَوَاجٍ : جمع نَاجِيَة وهي السريعة لأنها تجر بصاحبها . (٥) المَخْلَافُ : القديسة
بلغة اليمن . وَخَارِيفٌ وَيَامٌ وَشَاكِرٌ مِنْ قِبَالِ الْيَمَنِ . (٦) السُّودُ : الإبل . وَالْقُودُ : الخيل .
(٧) لَطْعُ : جيل . يَذْكُرُ وَيُؤْنِتُ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : أَنَّهُ لِأَنَّهُ جَعَلَ اسْمًا لِلْبَقَّةِ حَوْلَ الْجَبَلِ .
(٨) الْيَقُورُ التَّلْبِي الذي يشبه لونه التراب أو التلبي مطلقا . وَالْفُضْلُ : القوة والشدة . وفي نسخة من
سيرة ابن هشام « يصلح » : اسم موضع . (٩) الْأَبْدَالُ الأولياء والبياد ، الواحد بدل كعدن
وأحوال ، سوا ذلك لأنهم كلأ مات واحد منهم أبدا بقر . وَالْأَوْتَادُ من البلاد : رؤساؤها .

- (١٠) الزيادة من سيرة ابن هشام . (١١) جَنْابِ الْمُضَبِّ : موضع .
(١٢) المَخَافُ (بالكسر جمع خف بالكسر) : الرسل المستطيل المشرف ، ودسل الحديث
الترفيف يشير إلى رمال الأحاف ؛ لأنها بالبحر من اليمن .

- وَأَفْهَمَ ذِي الْمَشَارِ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنْ لَمْ يَرِاعَهَا ^(١)
 وَيُحَاطَ بِهَا وَعَسْرَ أَزْمَا ، يَأْكُلُونَ عِلَاقَهَا ، وَيَرْعُونَ حَافِيَهَا ، لَنَا مِنْهُمْ مِنْ دَفْنِهِمْ ^(٢) وَصِرَافِهِمْ ^(٣)
 مَا سَلَمُوا بِالْيَثَاقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَلَمْ يَنْزِلُوا مِنَ الصَّدَقَةِ الثَّلَاثِ وَالْثَلَاثِ وَالْفَقِيرِ ^(٤) وَالْفَارِضِ ^(٥)
 وَالذَّاجِجِ ^(٦) وَالْكَبْشِ الْحَوْرِيِّ ، وَعَلَيْهِمْ فِيهَا الصَّالِحُ ^(٧) وَالْقَارِحُ ، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا ^(٨)
 الزَّكَاةَ ، لَمْ يَنْزِلْ عَنْهُمْ رِسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَشَهِدَهُمُ الْمُهَاجِرُونَ ^(٩)
 وَالْأَنْصَارُ . ^(١٠)

- (١) التَّسْرَاعُ مِنَ الْأَرْضِ أَحَالِيهَا . (٢) الرُّعَاةُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُتَنَفِّضُ الْمُطْعَمُ .
 (٣) عَسْرَ الْأَرْضِ : مَا صَلَبَ مِنْهَا وَغَشَنَ وَأَشْتَدَّ وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي أَطْرَافِهَا . وَيُقَالُ الزَّرَازُ الْمَكَانُ
 الصَّلْبُ السَّرْعُ السَّيْلُ . (٤) الصَّلَافُ : مَا تَحْقَقَ الْهَوَابُ . وَهُوَ جَمْعُ طِفٍّ يَنْتَحِينَ .
 (٥) حَافِيَا : الْبُيَاتُ الْكَثِيرُ . وَفِي نَسْخَةِ ب : عَاطَا أَيْ عَضُوا ، وَالْفَقْرُ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ مَالٌ .
 (٦) مِنْ دَفْنِهِمْ : أَيْ مِنْ لِيْهِمْ وَغَنَمِهِمْ . وَالْهَفُ : نَتَاجُ الْإِبِلِ وَمَا يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْهَا ، سَمَاءُ دَفْنِ لَأَنهَا
 يَنْتَفِعُ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَصْرَافِهَا مَا يَنْتَفِعُ بِهِ . (٧) الصِّرَافُ : قَطْعُ النَّعْلِ ، يُقَالُ هَذَا أَرَاوَنُ صِرَافِهَا
 أَيْ جِزْءُهَا ، وَالْمَرَادُ زَكَاةُ الْفَرَسِ . (٨) الثَّلَبُ بِكَسْرِ الْمَخْطِ : الْبُجْلُ الَّذِي تَكْثُرُ أَثْيَابُهُ مِنَ الْحَرَمِ ،
 وَالثَّابُ : الْحَرَمَةُ مِنَ الْإِنَاثِ . (٩) الْفَقِيرُ : الصَّغِيرُ مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي فَضَلَ عَنْ أَمِهِ ، وَقَدْ يُقَالُ
 فِي الْبَقَرِ . (١٠) الْفَارِضُ : الْمَسْرُومُ . (١١) الْمُهَاجِرُ : هُوَ الْحُلُوبَةُ الْمُلَازِمَةُ لِلْإِنْسَانِ ؟
 مِنَ دَجْنِ أَطَامِ بِالْمَكَانِ ، وَهِيَ مَا يَأْتِي الْإِنْسَانُ مِنْ شَاءٍ وَطَيْرٍ وَغَيْرِهِ دَوَابِّ . (١٢) الْكَبْشُ
 الْحَوْرِيُّ : قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْحَوْرِيِّ وَهُوَ يَجُودُ تَحْتَ مِنْ جُلُودِ الضَّأْنِ . (١٣) الصَّالِحُ بِالضَّادِ
 الْمُهْلَةُ آخِرُهَا مَسْجِدَةٌ ، وَهُوَ مِنْ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ الَّذِي كُلُّهُ ، وَذَلِكَ فِي السَّادَةِ . كَذَا فِي النَّبَاةِ .
 وَفِي نَسْخَةِ الضَّالَعِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَعَقْدٌ عَلَيْهِ مَحْشٍ بِأَنَّهُ الْحَشَى . (١٤) الْقَارِحُ مِنَ التَّحْلِيلِ هُوَ الَّذِي دَخَلَ
 فِي السَّادَةِ الْخَامَةِ . (١٥) أُورِدَ ابْنُ هَشَامٍ فِي سِيرَتِهِ أَيَا تَا قَالَهَا مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ وَهِيَ :

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي لَحْفَةِ الْحَيِّ وَنَحْنُ بِأَعْلَى رُوحَانَتِ وَصَدِّقِ
 وَهِيَ بِنَا عَسْوَصٌ مَلَانَحٌ تَنْتَقِلُ بِرُحْكَبَاتِهَا فِي لَحَابِ مَنَقَدِ
 عَلَى كُلِّ ضَلَالَةٍ الْقَوَائِمُ جَهْرَةً تَمُزُّ بِشَامِ الْمَجِيفِ الْخَفِيفِ
 حَقَّتْ بِرَبِّ الرِّقَابَاتِ إِلَى نَسِي صَوَادِرُ بِالرِّبَاكِاتِ مِنْ حَضْبِ قَرْدِ
 بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا مَصْدَقٌ رَسُولُ أَتَى مِنْ مَعْدَى الْعَرْشِ مَعْدِي
 فَاحْتَلَتْ مِنْ قَائِمَةٍ فَوْقَ حُلْمَتَا أَشْجَةً عَلَى أَطْعَامِهِ مِنْ مَحْمَدِ
 وَأَجْلِي إِذَا مَا جَالَبَ الْعَرَفَ جَاءَهُ وَأَضْفَى بِحِمَّةِ الْمُشْرِقِ الْمُهَنْدِ

ذكر وفاة الطفيل بن عمرو النُصَبي وإسلامه

قال محمد بن إسحق رحمه الله تعالى : كان الطفيل بن عمرو النُصَبي يُحَدِّث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، فثنى إليه رجالٌ من قريش — وكان الطفيل رجلاً شاعراً لبياً — فقالوا له : يا طفيل ! إنك قدمت بلادنا ، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد اعتزل بنا ، قد فزع بين جماعتنا . وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر يفزع بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنما تخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلنه ، ولا تسمع منه شيئاً . قال الطفيل : فو الله ما زالوا بي حتى أجمعتُ على ألا أسمع منه شيئاً ولا أكله . حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرأيتُ أن يلفني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعهُ ! قال : ففدوتُ إلى المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلي عند الكعبة ، فقممت منه قريباً ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله ، فسمعتُ كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي : وانكسر أمي ، والله إنِّي لرجلٌ لبيبٌ شاعر ، وما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قيلته ، وإن كان قبيحاً تركته ، قال : فمكثت حتى أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، فأتبعته حتى إذا دخل بيته [دخلت عليه] فقلت : يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا — الذي قالوا — فو الله ما برحوا ينفقوني أمرَكَ حتى سددتُ أذني بكسفٍ ألا أسمع قولك . ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك ، فسمعت قولاً حسناً . فأعرضتُ عن أمرِكَ . قال :

(١) كرسفاً : أي ضلوا . (٢) فرأيت : أي خفوا . (٣) في ابن سعد : « حتى كان يقال ذوالقطين » . (٤) الزيادة من سيرة ابن هشام .

- فرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ولا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه ، فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق ، قلت : يا نبي الله ! إني أمرؤ مطاعٌ في قومي ، وأنا راجع إليهم فدعهم إلى الإسلام ، فأدع الله أن يحصل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوم إليه .
- فقال : « اللهم أجعل له آية » ، فخرجت إلى قومي ، حتى إذا كنت ريثية تطلعي على الحاضر وقع نورين عني مثل المصباح ، قلت : اللهم في غير وجهي ! إني أخشى أن يظنوا أنها مشقة وقعت في وجهي لفراق دينهم ، قال : فتحوّل النور فوقع في رأس سوطي ، فجعل الحاضر يترامون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أبط إليهم من الثنية حتى جثمهم ، فأصبحت فيهم ، قال : فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً ، قلت : إليك عني يا أبت ، فلست منك ولست مني ، قال : لم يا بني ؟ قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ، قال : أي بني ! فديني دينك ، قلت : فأذهب وأغتسل ، وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت ، فذهب فأغتسل وطهر ثيابه ثم جاء ، فعرضت عليه الإسلام فأسلم ، ثم أتتني صاحبتى ، قلت : إليك عني فلست منك ولست مني ، قالت : لم ؟ بأبي أنت وأمي ! قلت : فزق بيني وبينك الإسلام ، وتابعت دين محمد عليه السلام . قالت : فديني دينك ، قلت : فأذهبي إلى حنّاذي الشري (١) — قال ابن هشام : ويقال حمي ذى الشري — فتطهرى منه .

(١) الحاضر والحاضرة : إلى الصلوة .

- (٢) في ابن سعد : فأذهبي إلى حمي ذى الشري بكسر الحاء وإسكان السين . وهو يسئل من الأرض يستقنع فيه الماء ، والحمي : ماء حوله الصنم ، ولعل الحنا هو الحمي بإبدال الهمزة أو من بحنة الوادي .

قال : وكان ذو الشرى صفاً لقوس ، وكان الحناني حموه له ، وبه وشل من ماء يهبط من جبل ، [قال] قالت : بأبي أنت وأمي ، أتخشي على الصبية من ذي الشرى شيئا ؟ قلت : [لا ، أنا ضامن لك]^(١) ، قال : فذهبت فأغتسلت ، ثم جاءت ، فرضت عليها الإسلام فأسلمت ، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطلوا علي^(٢) ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقلت له : يا نبي الله ! إنه قد غلبني على دوس الزني^(٣) ، فادع الله عليهم ، فقال : « اللهم أهد دوساً ، أرجع إلى قومك فأدعهم وأرفق بهم » ، قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم أسلموا بعد ذلك ، ووفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما نذكر ذلك — إن شاء الله تعالى — فيمن وفد بعد الهجرة .

ذكر وفد نصارى الحبشة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإسلامهم

قال محمد بن إسحق : قديم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، بغلسوا إليه وكلموه ، وسألوه — ورجلٌ من قريش في أنديةهم حول الكعبة — فلما فرغوا من مسأله صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الله ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله تعالى وآمنوا به

(١) تريد فدية الغيل بهذا قسماً . وفي أسد الغابة : « أيتاف علي من ذي الشرى » ؟

(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام . وفي الأصول : « لا ما أصابك » . ثم ياض .

(٣) في الطبقات : قد غلبني دوس قاذع الله عليهم . ويرى آه قال : إن دوساً قد نلب عليه

- وصفقوه ، وصرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كلامهم من أمره ، فلما قاموا عنه
أقترضهم أبو جهل بن هشام في قريين قريش ، فقالوا لهم : خيكم الله من ركب !
بشكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأثوم بغير الرجل ، فلم تطمئن
بجالسكم عنده حتى فارقم دينكم ، وصفقوه بما قال ، ما تعلمون كما أحق منكم !
فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجعلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أتم عليه ، لم نأل أنفسنا
خيرا . ويقال : إن النمر من أهل نجران . والله أعلم . فيقال فيهم أنزل الله قوله :
« الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَبُوا مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا تَلَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » . إلى قوله : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ لَا يَنْتَعِ الْجَاهِلِينَ » : وقيل : إنما نزلت هذه الآيات في التجاني وأصحابه ،
والآيات التي في سورة « المائدة » قوله تعالى : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَبُوا رُءُوسَهُمْ
وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » . إلى « الشَّادِينَ » ، وكان يمين وفد على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو بمكة الأوس والخزرج ، وقد تقدم ذكرهم في بيعة العقبة .

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد الهجرة وقبل الفتح

- وقد حل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقبل فتح مكة : عيس ،
وسعد العشيرة ، وجهينة ، ومزينة ، وسعد بن بكر ، وأحجج ، وحشبن ، والأشعرين ،
وسليم ، ودوس ، وأسلم ، وجذام .

٧
١٦

(١) آيات ٥٢ - ٥٥ من سورة القصص .

(٢) آيات ٨٢ - ٨٣ من هذه السورة .

ذكر وفد عبس

قال محمد بن سعد : وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رهط من بني عبس فكانوا من المهاجرين الأولين ، منهم ميسرة بن مسروق ، والحارث بن الربيع — وهو الكامل — وقنسان بن دايرم ، ويشر بن الحارث بن عبادة ، وهضم بن مسعدة ، وسباع بن زيد ، وأبو الحصن بن لقمان ، وعبد الله بن مالك ، وقوة بن الحصين بن فضالة فأسلموا ، فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال : « أبغوني رجلا يمشركم أعفد لكم لواء » فدخل طلعة بن عبيد الله ففقد لهم لواء ، وجعل شعارهم : يا عشرة .

وقال من طريق آخر : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرا القرشي أقبلت من الشام [فبعث ^(١)] بني عبس في سرية وقصد لهم لواء ، فقالوا : يا رسول الله ! كيف قسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة ؟ قال : « أنا حاضركم » .

ومن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قدم ثلاثة نفر من بني عبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنه قدم علينا قوم فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ، ولنا أموال ومنازل هي معاشنا ، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له وبناها وهاجرتنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آتوا الله حيث كنتم ، فإن يترككم من أعمالكم شيئا ، ولو كنتم يصمد ^(٢) وجازان ^(٣) » .

- (١) نسخة ب : « مبشر » والصواب من الطبقات . (٢) في أحد النسخة : « قنان بنون مكورة » ، قال : أحد التسعة البسين . (٣) في أحد النسخة : « هدم بكسر الهمزة وسكون الهمزة » هو هدم بن مسعود ، ثم قال : أحد التسعة الخ وفي ابن سعد : ابن مسعدة كالأصل . (٤) الزيادة من ابن سعد ونسخة أبي داود . (٥) في ابن سعد : « قرازة » . (٦) الصمد ، يسكون الميم : اسم ماء للغياب ، وفي اللسان قرباب . (٧) جازان : موضع في طريق حاج صنعاء .

ذكر وفد سعد العشيرة

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي قال : لما
تبعتم سعد العشيرة بخروج النبي صلى الله عليه وسلم وثب دُباب — رجل من
بنى أنيس الله بن سعد العشيرة — إلى صنم يقال له قَراض فخطمه ، ثم وفد إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وقال :

تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى • وَخَفْتُ قَرَاصًا يَدَارِ هَوَانٍ
شَدَدْتُ عَلَيْهِ شِدَّةً فَرَكْتُهُ • كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ وَالْقَهْرُ ذُو حَدَثَانٍ ^(١)
فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ • أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي
فَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَائِسَةً نَاصِرًا • وَأَلْقَيْتُ فِيهَا كَلْكَلِي وَجِرَانِي ^(٢)
فَمَنْ مَبْلُغُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ أَنِّي • شَرِيتُ الَّذِي يَتَسَقَى بِآخِرِ قَانِي

ذكر وفد جهينة

قال ابن سعد : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفد إليه
عبد العزى بن بدر بن زيد بن معاوية الجعفي ، ومعه أخوه لأمه أبو روعة وهو
ابن حم له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد العزى : «أنت عبد الله» وقال
لأبي روعة : «أنت رمت السدوان شاك الله» وقال : «من أتم ؟» قالوا :
بنو غيان ، قال : «أتم بنو رثدان» وكان اسم واديهما غوى فسماه رسول الله صلى
الله عليه وسلم رثدا ، وقال لحبلى جهينة الأشعر والأجرد : «هما من جبال الجنة

(١) حدّثان الدهر (حركة) وحواذيه : نواحيه وما يحدث منه .

(٢) الكلكل : الصدر والجبران باطن العنق من فقرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس ، فإذا يرك الجعر
ومد عنقه على الأرض قيل ألقى جراحه على الأرض واستعير للإنسان إذا استقر . والضمير في «فيا» لدار
الإسلام المستفاد من المقام ، أو المدينة المنورة .

لا تظوُّها فتنة ، ، وخطَّ لم مسجدهم ، وهو أوَّل مسجد خُطَّ بالمدينة ، وجاء من
جُهينة عمرو بن مُرة الجُهني . روى عنه محمد بن سعد بسنده إليه قال : كان لنا
صنمٌ ، وكنا نعطيه ، وكُتِّ سادنه ، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم
كسرته ، وخرجتُ حتى أقدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقَدِمتُ فأسَلَمْتُ
وشهدت شهادة الحق ، وأمنت بما جاء به من حلال وحرام ، فذلك حين أقول :

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنِّي * لِأَلِهيَةِ الْأَنْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ
وَتَمَرْتُ عَنْ سَائِ الْإِزَارِ مُهَاجِرًا * إِلَيْكَ أَجُوبُ الْوَعْدَ بَعْدَ اللَّهِ كَادِكِ
لَا تُحِبُّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا * رَسُولُ مَلِكِ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ

قال : فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ،
فأجابوه إلا رجلاً واحداً ردَّ عليه قوله ، فدعا عليه عمرو بن مُرة فسقط قُوه ، فما
كان يَقْدِرُ على الكلام ، وعَمِيَ واحتاج .

ذكر وفد حُرَيْنَةَ

وهذا الوفد هو أوَّل ما بدأ به محمد بن سعد من الوفود في طبقاته ، فقال : كان
أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مُضَرَ أربعمائة من حُرَيْنَةَ ، وذلك
في شهر رَجَب سنة خمس ، ففعل لم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم
وقال : « أنتم مهاجرون حيث كنتم فأرجعوا إلى أموالكم » فرجعوا إلى بلادهم .
وقال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أبي مسكين ، وأبي عبد الرحمن العجلاني ،

(١) أجوب : أطلع . الوعد : الطيق السر . الكادك (جمع كدك) : رهو ما تكسب من الرمل
واستوى أو التبد منه بالأرض ، أو أرض فيها غلط . (٢) الحبايك (جمع حيككة) : وهي طرائق
النجوم ، وأراد فوق السموات . (٣) مزينة : أسم امرأة عمرو بن آذ بن طابخة ، فدر بها منه يقال
لم مزينة والمزنيون . (٤) العجلاني (بالفتح والكون) : نسبة إلى بني العجلان ، بلن من الأنصار .

قالا : قديم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففر من مَرْتِنَة ، منهم خُزَاعِي بن عبد
 نُهم ^(١) فبأبىه على قومه مَرْتِنَة ، وقدم معه عشرة منهم ، فهم يِلَالُ بن الحارث ، والنهمان
 ابن مَقْرَن ^(٢) ، ثم خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظن فأقام ، فلما رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حَسَنان بن نَاسِت ، فقال : « أذكر خُزَاعِيَا ولا تنجيه » فقال حَسَنان :
 « أَلَا أبلغ خُزَاعِيَا رَسُولَا • بَأْتِ الدَّمَ يَنْسِلُهُ الْوَفَاءُ
 وَأَنْتَ خَيْرُ عَثَانِ بْنِ عَمِيْر • وَأَسْتَأْهَا إِذَا ذُكِرَ السَّاءُ
 وَبِابْتِ الرِّسُولِ وَكَانَ خَيْرَا • إِلَى خَيْرٍ وَأَنْتَ الْتَنَاءُ ^(٣)
 فَا يُجِزْكَ أَوْ مَا لَا تُطْفِقُ • مِنْ الْأَشْيَاءِ لَا تَجِزُ عِدَاءُ
 قَالَ : وودَّاه • بَطْنُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُ . فقام خُزَاعِيٌّ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ! قَدْ خَصَمَكُمْ شَاعِرُ
 الرَّجُلِ ، فَأَنْتُمْ كَمِ اللَّهِ . قَالُوا : رَفَاتَا لَا تَقْبُو عَلَيْكَ • فَاسْلَمُوا وَوَقَدُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فدفَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءَ مَرْتِنَة يوم الفتح
 إلى خُزَاعِي • وكانوا يومئذ ألف رجل .

ذكر وفد سعد بن بكر

قال محمد بن إسحق : بعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رجلا منهم يقال له ضَمَامُ بن ثَمَلَة ^(١) — قال ابن سعد : في شهر رجب سنة خمس —

- (١) نهم (بالضم) : ضم ثمرية ، ووجهها عبد نهم . (٢) النهمان بن مقرن بن عازب
 المزني ، كان معه لواء مَرْتِنَة يوم فتح مكة ، وأستشهد في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١ هـ .
 (٣) أدى الشيء : كثُر ، وأداه ماله كثُر حتى قل عليه . وفي طبقات ابن سعد طبع ليدن « الثراء »
 بدل « الثناء » . وفي الأصول والطبقات : « وَأَنْتَ أَك » بهزرة وتشديد الهمزة .
 (٤) يقال : تشدك الله ، وأشدك الله وبالله وأشدك الله وبالله أي سألتك وأقسمت عليك .
 (٥) لا تقب عليك : أي لا تمنع مما تريد منا . (٦) ضمام (بمعجمة مكسورة) : رقيقة المم
 الأول المفتوحة : هو من أهل نجد كما في الحديث . (٧) قال شارح المراهب : « كان ذلك
 في سنة تسع على الصواب خلافا لما زعم الرازي أنه سنة خمس » .

قال ابن إسحق بسنده إلى ابن عباس: قَدِمَ وَأَتَخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ^(١)،
ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ في أصحابه. قال: وكان خديماً
رجلاً جَلْدًا أَشَمَّ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في أصحابه، فقال أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ». قال: أُمِّمْتُ؟ قال: «نعم». قال: يابن عبد المطلب! ابني
سائلك ومُطَلِّطٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْئَلَةِ، فَلَا تَجِدُ فِي نَفْسِكَ. قال: «لا أجد في نفسي»،
فَأَسْأَلَ عَنْمَا بَدَا لَكَ؟ قال: أُنَشِّدُكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ
هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، اللَّهُ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قال: «اللهم نعم». قال: فَأُنَشِّدُكَ اللَّهَ
إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ. وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُؤْمِنَا أَنْ
نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، لَا تَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَحْتَلِعَ هَذِهِ الْأَنْدَادُ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ
مَعَهُ؟ قال: «اللهم نعم». قال: فَأُنَشِّدُكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ
مَنْ هُوَ كَأَنَّ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ؟ قال: «نعم». .
قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضةً فريضةً: الزَّكَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْحَجَّ
وشرائع الإسلام كلها، يَشُدُّهُ عَنْ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَشُدُّهُ فِي الَّتِي قَبْلُهَا، حَتَّى
إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ
الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ. ثم آنصرف إلى بَعِيرِهِ
راجعاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)

٩
١٦

(١) عقل البعير: شد على ساقه حبلًا بعد شق ركبه.

(٢) جدًا: حليًا شديدًا، والتقدير: القوابة من الشمر المصفوز، وأشمر: كثير الشعر طويله.

(٣) في ابن إسحق طبع أوردوا «تجدن» وفي غيرها «تلا تحدث تشابها على».

(٤) العقيصان: الضفيران من الشعر، وهما الضفيران.

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به : ^(١) بُنِيتِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى ! فقالوا : مَهْ بِأَحْتَام ! أَتَيْتِ الْبَرَصَ ، أَتَيْتِ الْجَذَامَ ، أَتَيْتِ الْجُنُونَ ! قال : وَلَيْكُم ! إِنِّهُمَا وَاللهُ لَا يَنْفَعَانِ وَلَا يَضُرَانِ ، إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا ، فَأَسْتَفْذِكُمْ بِهِ مِمَّا كُتِبَ فِيهِ ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ عَمِدَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ ، قَالَ : فَوَاقِهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ أَوْ أَمْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا .

قال : يقول عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — فاستمعنا بوفاء قوم كان أفضل من صهيام بن ثعلبة .

١٠ ذكر وفد أُنْجِجَ

قال : وَقَدِمَتْ أُنْجِجٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْخَنْدَقِ ، وَعَامُ الْخَنْدَقِ سَنَةُ نَحْسٍ مِنَ الْمِجْرَةِ ، وَهِيَ مِائَةٌ ، وَأَسْهُمُ مَسْعُودِ بْنِ رُحَيْلَةَ بْنِ نُؤَيْرَةَ ابْنِ طَرِيفٍ ، فَتَزَلُّوا يَشْعَبَ سَلْعٍ ، فَفَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَصْرَهُمْ بِأَحْمَالِ الْخَمْرِ ، فَقَالُوا : يَا عَجْد ! لَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ قَوْمِنَا أَقْرَبَ دَارًا مِنْكَ مِنَّا ، وَلَا أَقْلَ عَدَدًا ، وَقَدْ ضَيَّقْنَا بِحَرْبِكَ وَبِحَرْبِ قَوْمِكَ ، بَخِثْنَا نُؤَادِعُكَ ، فَوَادَعَهُمْ . وَيَقَالُ : بَلْ قَدِمَتْ أُنْجِجٌ بِسَدِّ مَاقَرِخِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَهِيَ سَبْعُمِائَةِ قَوَادِعِهِمْ . ثُمَّ أَسْلَمُوا بَعْدَ ذَلِكَ .

(١) في آين يسخن : «أستفذك» . (٢) الخاضر : الحو . (٣) في الخفقات :

قُلُوا . (٤) في آين هشام وعقد الجمان : « مسعر » والصواب ما في الأصول كما في الطبري

والاستيعاب والإصابة وغيرها . (٥) سلع : جبل بشاحية المدينة — على ساكنها أفضل .
نحلة والسلام — قريب من أحد . والنهب ، نالكم : الطريق في الجبل .

ذكر وفد خُشَيْن

قال أبو عبد الله محمد بن سعد : قَدِمَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَيْنِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى خَيْبَرَ ، فَأَسْلَمَ وَنَحَرَ حِجْرَهُ مَعَهُ فَشَهِدَ خَيْبَرَ ، ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَفْرَاقٍ مِنْ خُشَيْنٍ فَنَزَلُوا عَلَى أَبِي ثَعْلَبَةَ ، فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ .

ذكر وفد الأشعرين

قالوا : وَقَدِمَ الْأَشْعَرُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ مِائَتُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَمَعَهُمْ رَجُلَانِ مِنْ عَيْكٍ . وَقَدِمُوا فِي سَفَرَيْنِ فِي الْبَحْرِ ، وَنَحَرُوا بِجُدَّةَ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَقُولُونَ : غَدًا نَلْقَى الْأَجِبَةَ . مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ

ثُمَّ قَدِمُوا وَافْتَدَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرِهِ بِخَيْبَرَ ، فَلَقَوْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعُوهُ وَأَسْلَمُوا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَشْعَرُونَ فِي النَّاسِ كَصَفْصَفٍ فِيهَا يَمُوتُ » .

ذكر وفد سليم

قالوا : وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ، يُقَالُ لَهُ قَبِيسُ ابْنِ قُسَيْبَةَ ، فَسَمِعَ كَلَامَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَاجَابَهُ ، وَوَعَى ذَلِكَ كَلِمَةً ، وَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الْأَشْعَرُونَ : قَبِيلَةُ كَثِيرَةٌ بِالْمِثْلِ ، فَسُيِّرُوا إِلَى جَدِمْ أَشْعَرِينَ سُبَا بْنِ شَيْبَانَ بْنِ عَرَبٍ بْنِ قُحْطَانَ . وَرِغَالُ : الْأَشْعَرُونَ وَالْأَشْعَرِيَّةُ كَمَا يُقَالُ لِقَوْمِ عَاتُونَ . وَأَبُو مُوسَى : اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَبِيسٍ ، وَاسْتَغْلَفَ فِي وَفْتِ وَفَاتِهِ قَبِيلَ سَلَمَةَ ٤٢ هـ وَقَبِيلَ سَلَمَةَ ٤٤ هـ وَقَبِيلَ نَيْزَ . ذَكَرَ الْإِسْلَامِيُّ أَنَّهُ قَدِمَ مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ . (٢) الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَخْضِيلِ أَهْلِ الْبَيْتِ لِرَقَّةِ قَوْمِهِمْ ، وَلَمَّا أَخَذَتْهُمْ ، كَمَا يَرُدُّ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى . (٣) وَقِيلَ : « قَبِيسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ » .

صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه، فقال: قد سمعتُ برَجَّةِ الرُّومِ،^(١)
وهَيْمَةَ فارِس، وأشعار العرب، وكَهانة الكاهِن، وكلام مَقَاوِلِ حِمَيْر، فما يُسَبِّحُ كلامُ
عبدِ شَيْثَانٍ كلامهم، فأطيعوني وخذوا بنصيحكم منه. فلما كان عامُ الفتح خرجت
بنو سُلَيْمٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقوه بُقْدِيدَ^(٢) وهم سِبْهَانَةُ. ويقال:
كانوا ألفاً. وفيهم العباس بن مِرْدَاس السُّلَمي، وأَنَس بن عَبَّاس بن رِغْل،
وراشد بن عبد ربه، فأسلموا وقالوا: أجمعنا في مَقْدَمِكَ، وأَجْمَلُ لِرِوَاةِنا أُخَرَ،
وشَارُنا مُقَدِّم، ففعل ذلك بهم. وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم راشداً
رُحاطاً وفيها عَيْنٌ يقال لها عَيْنُ الرُّسُول. قال: وكان راشداً يَسُدُّ سَمَّا لِبْنِي سُلَيْمٍ،
فراى يوماً ثَمَلَيْنِ يَبُولانِ عليه، فقال:

١٠
١٦

أَرَبَّ يَبْسُوُلُ الثَّمَلَانِ بِرَأْسِهِ . لَقَدْ قَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّمَالُ

ثم شدَّ عليه فكرهه. وأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: «ما أسمك»؟
قال: غاوى بن عبد المزَّى، فقال: «أنت راشد بن عبد ربه» فأسلم وحسن
إسلامه وشهد الفتح. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير بنى سليم راشداً
وعقد له على قومه».

- (١) البرجة: غلط الكلام؛ والمراد هنا رطاباتهم وظلامهم. وفي أ، والبداية: «ترجمة».
- (٢) الهيمنة: الكلام المنفر لا يشهم.
- (٣) قديق: اسم موضع قرب مكة.
- (٤) في أسد الغابة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «ما أسمك»؟ قال: «غاوى بن ظالم» فقال: «أنت راشد بن عبد الله».
- (٥) في البداية لابن كثير طبع السلفية: «مقدما».
- (٦) رطاب كفراب: موضع على بعد ثلاث ليالٍ من مكة.
- (٧) يبدن: يخذل.

وروى محمد بن سعد أيضا ، عن هشام بن محمد ، قال حدثني رجل من بني سلم من بني الشريد ، قال : وقد رَجُلٌ منا يقال له قُدْدٌ بن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعاهده على أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْف من قومه على الخليل ؛ وأنشأ يقول :

شَدَدْتُ يَمِينِي إِذْ آتَيْتُ مُحَمَّدًا • بِخَيْرٍ يَدِ شَدَدْتُ بِحُجْرَةِ مِثْرٍ
وَذَاكَ أَمْرٌ قَاسَمْتُهُ نِصْفَ دِينِهِ • وَأَعْطَيْتُهُ كَفَّ أَمْرِي غَيْرَ أَعِيرٍ ^(١)

ثم أتى قومه فأخبرهم الخبر ، فخرج معه تسعمائة ، وخلف في الحى مائة ، وأقبل يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقتل به الموت ، فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه ؛ وهم : عباس بن مرداس وأمره على ثلثائة ، وجبار بن الحكم وأمره على ثلثائة ، والأخنس بن يزيد وأمره على ثلثائة . وقال : آيتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذى فى عنقى ثم مات ، فمضوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أين الرجل الحسن الوجه ، الطويل اللسان ، الصادق الأيمان » ؟ .

قالوا : يا رسول الله ! دعاه الله فأجابه ، وأخبروه خبره ؛ فقال : « أين تكلمة الألف الذين عاهدنى عليهم » ؟ . قالوا : خلف مائة فى الحى عفاة حرب كان بيننا وبين بني كنانة ، قال : « آبعثوا إليها فإنه لا يأتيكم فى عامكم هذا شيء يكرهونه » . فبعثوا إليها فأتته بالهدية وعليها المنقع ^(٢) بن مالك بن أمية ، فشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح وحنين . وللتقع يقول العباس بن مرداس :

الفائذ المائة التى وثى بها • تسع المئين قَمَّ ألف أقبر ^(٣)

(١) فى الإصابة : قدد (بالين) يوزن عمر ، ويقال آخره راء ، ويقال : قدد (بفتحين ونون) .

(٢) كذا فى الأصول والإصابة ، وفى الطبقات : « ألف » بدل « كف » . وبمد اليمين :

وإن أمراً فارقتك عند حرب • تحسب تصح من صد وجير

(٣) الحرب ، مؤنثة وقد تذكر ؛ إذا أريد بها القتال . (٤) الهذبة : موضع بين مكة والطائف .

(٥) كذا فى ج . وشبهه فى الإصابة وأسد الغنابة والطبقات وشرح القاموس ، وفى أ : « الفتح » .

(٦) ألف أفرع : أى تام . يقال : سقت إليك ألفاً أفرع من الخليل

وغرها أى تاماً ، ويعبر عن كل ألف . (اللسان مادة فرع) .

وحكى أبو عمرو بن عبد البر في ترجمة خُنداء بنت عمرو بن الشريد السلميَّة
 الشاعرة - وأسمها ثُمَامُضْر بنت عمرو بن الشريد بن زَبَّاح بن ثعلبة بن عَصِيَّة بن
 خُفَّاف بن أمْرِئ القيس بن بَهْثة بن سليم - أنها قدمت على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم . قال : فذكروا أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان يَسْتَشْدُهَا ، ويُعْجِبُهُ شَعْرُهَا ، فكانت تُشْدُّهُ ، وهو يقول :
 « هَيْه يَا خُنَاسُ » وَيُؤَمِّئُ بِيَدِهِ . وشهدت الخنساء القادسيَّة مع بنينا الأربعة .
 وسند ذكر إن شاء الله خبرها معهم يوم القادسية ، وصيَّتها لهم في الحرب في خلافة
 عمر بن الخطاب ، عند ذكرها لفتح القادسية .

ذكر وفد دوس^(١)

- ١٠ قالوا : لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي - كما تقدم - دعا قومه فأسلموا ،
 وقدم معه منهم المدينة سبعون أو ثمانون أهل بيت . وفيهم أبو هريرة وعبد الله
 ابن أزيهر الدوسي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بغيره ، فساروا إليه فللقوه
 هناك . فيقال : إنه قسم لهم من غنائم خيبر ، ثم قدموا معه المدينة . فقال الطفيل
 ابن عمرو : يا رسول الله ! لا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي ، فَأَنْزِلْهُمْ حَرَّةَ الدَّجَاجِ ، فقال
 أبو هريرة حين خرج من دار قومه :

(١) هيه : بكسر الهمزة الثانية والفتح في موضع «إيه» وبديل من الهزلة هاء . و «يه» اسم سمى
 به العمل رمناه الأمر ؛ فنقول للرجل «إيه» بغير توين إذا استزده من الحديث المهود بينك ،
 فإن نوت استزده من حديثنا .

(٢) الإيحاء : الإشارة بالأعضاء .

٢٠ (٣) دوس : قبيلة أبي هريرة ، ينسبون إلى جدهم دوس بن عدنان بن عبد الله ، ينتمي نسبه
 إلى الأزد . فدوس معروف لأنه في الأصل علم للذكر . (المواهب) .

(٤) كذا في الأصل والطبقات ، ولتحقق على أسم هذه الحرة فيما لدينا من مراجع .

يَا طُولَهَا مِنْ لَبْلَةٍ وَعَنَانِهَا * عَلَى أَهْلِهَا مِنْ بَلَدَةِ الْكُفْرِ نَجَتْ
وقال عبد الله بن أَزْهَر : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ لِي فِي قَوْمِي سُلْطَةٌ وَمَكَانًا فَأَجْعَلْنِي
عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا أَخَا دُوس ، إِنْ الْإِسْلَامُ بَدَأَ
غَرِيبًا ، وَسَمِعُودُ غَرِيبًا ، فَمَنْ صَدَّقَ اللَّهَ نَجَا ، وَمَنْ آلَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ هَلَكَ .
إِنْ أَعْظَمَ قَوْمُكَ نَوَابَا أَعْظَمَهُمْ صِدْقًا ، وَيُوشِكُ الْحَقُّ أَنْ يَنْتَلِبَ الْبَاطِلُ » .

وَرَوَى أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ دُوسًا إِنَّمَا
أَسْلَمَتْ قَرَفًا مِنْ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزَرَجِيِّ :

قَضَيْنَا مِنْ نِهَامَةٍ كُلِّ وَتَرٍ * وَخَيْرَ شَيْءٍ أَتَمَّ دَنَا السُّيُوفَا^(١)
مُخْبِرًا وَلَوْ تَلَقَّيْتُ لَفَاكْتَ * قَوَاطِمُهُمْ : دُوسًا أَوْ تَقِيفَ
[فَقَالَتْ دُوسُ : أَنْطَلِقُوا لَنَحْدُوا لَا تُفَيْكُم لَا يَنْزِلُ بِكُمْ مَا تَزِلُ بِتَقِيفِ^(٢)]

ذَكَرَ وَفَدَ اسْلَمَ

قَالُوا : قَدِيمٌ مُخْبِرٌ مِنْ أَفْصَى فِي عَصَابَةٍ مِنْ اسْلَمَ ، فَقَالُوا : لَقَدْ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ ، وَأَتَيْنَا مِنْهَا جَا ، فَأَجْعَلْ لَنَا عِنْدَكَ مَقَرَّةً ، تَعْرِفُ الْعَرَبُ فَضِيلَتَنَا ،
فَإِنَّا إِخْوَةُ الْأَنْصَارِ ، وَلَكِ عَلَيْنَا الْوَفَاءُ ، وَالنَّصْرُ فِي الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ

(١) فِي الْأَصُولِ : « أَنَّهُ » وَمَا أَتَيْنَاهُ عَنْ الْجَاهِلِيَّاتِ وَالطَّبَقَاتِ ، وَالْبَيْتُ هَكَذَا رَوَى .

وَتَعْنِي الْكِرَامِيَّ بِأَنَّهُ لَا يَدُ مِنْ نِيَّاتِ قَاهِ أَوْ وَافِي أَذَلِّهِ لِيَصِيرَ مَوْزُونًا ، وَتَعْنِي أَنَّ هَذَا فِي الْعَرُوضِ
يَسِي الْأَنْحَرَمِ - وَرَوَى ابْنُ أَبِي عَمْرٍو :

يَا لَبْلَةٍ مِنْ طُولَهَا وَعَنَانِهَا * عَلَى أَهْلِهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَتْ

(٢) نِهَامَةٌ : مَا أَنْخَضُضُ مِنْ أَرْضِ الْخَيْلِ - فِي سِيرَةِ أَبِي هِشَامٍ طَبْعُ أَوْرَبِي : « كُلِّ رَيْبٍ » .
وَالْوَتَرُ : الثَّأْرُ - نَحِيرُهَا : نَحْلُهَا الْخَلِيزَةُ ، وَتَصْمِيرُ السُّيُوفِ : أَيُّ وَثَرٍ نَصَبْتَ لِيَصِيرَ لَهَا خَدَاوَاتُ حَوْبِ
دُوسٍ أَوْ تَقِيفٍ - وَرَوَى « أَبُوهُ » بِهَذَا « أَخَاهُ » : « بِأَهْلِهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَتْ » .

(٣) « يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ مِنْ أَسْفَلِ » .

الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَيْتُمْ سَالَمَهَا اللَّهَ - وَغَفَرَ غُفْرَانَهُ لَهَا » . وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لِأَسْلَمَ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قِبَالِ الْقَرْبِ مَنْ يَسْكُنُ السِّيفَ^(١) وَالسَّهْلَ كِتَابًا ، فِيهِ ذِكْرُ الصَّدَقَةِ وَالْفَرَائِضِ فِي الْمَوَاتَى . وكتب الصحيفة ثابتَ ابْنِ قَيْسٍ ، وشهد أبو عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم .

ذكر وفد جذام

قالوا : قَدِمَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عُمَيْرٍ بْنِ مَعْبَدِ الْجُدَامِيِّ^(٢) ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي الضَّبْيِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ خَيْرٍ ، وَأَهْدَى لَهُ عَبْدًا وَأَسْلَمَ ، فَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا ، فِيهِ : « هَذَا كِتَابٌ مِنْ عِدِّ رَسُولِ اللَّهِ ، لِرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى قَوْمِهِ ، وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ، فَمَنْ أَقْبَلَ فَنِي جَرَبَ اللَّهُ ، وَمَنْ آتَى فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » فَأَجَابَهُ قَوْمُهُ وَأَسْلَمُوا . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ : وَبَعَثَ قُرَيْشٌ عُمَيْرَ بْنَ النَّافِرَةِ الْجُدَامِيِّ ، ثُمَّ التَّفَائِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا بِإِسْلَامِهِ ، وَأَهْدَى لَهُ بَقْلَةً بَيْضَاءَ ، وَأَمَرَ رَسُولُهُ سَعْدُ بْنُ سَعْدٍ وَهُوَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَهُ ، وَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ ، وَأَجَازَ رَسُولُهُ بِأَتَمِّ عَشْرَةِ أَوْقِيَّةٍ^(٣) وَنَشْرٍ^(٤) ، وَكَتَبَ إِلَى قُرَيْشٍ جَوَابَ كِتَابِهِ . وَكَانَ قُرَيْشٌ عَامِلًا لِلرُّومِ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ مَنَزَلُهُ مَعَانَ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الرُّومُ إِسْلَامَهُ طَلَبُوهُ لِيُخْبِسُوهُ عِنْدَهُمْ ، فَقَالَ : فِي تَحْيِيْسِهِ ذَلِكَ :

(١) السيف (بكسر السين المشددة) : ساحل البحر .

(٢) الجُدَامِيُّ : بضم الجيم ، ويقال معجبة) : نسبة إلى قبيلة .

(٣) النَشْر : نصف أوقية . (٤) مَعَانَ : بضم الميم وفتحها) : مدينة في طرف بلاد

: : نفاة النفاة : من نواحي البلقاء . (معجم البلدان) .

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مَوْهَنَا أَصْحَابِي • وَالرُّومُ مِنْ الْبَابِ وَالْقُرَوَانِ^(١)
 صَدَّ الْخِيَالُ وَسَاءَ مَا قَدْ رَأَى • وَهَمَّتْ أَنْ أَغْنَى^(٢) وَقَدْ أَبْكَانِي
 لَا تَكْجَلُنِ الْعَيْنَ بَعْدَى الْإِعْدَا • سَلَى وَلَا تَدْنِ^(٣) لِلْإِتْيَانِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كَيْشَةَ أَتَى • وَسَطَ الْأَعْزَةِ لَا يُحْصَى^(٤) أَسَانِي
 فَتَنْ هَلَكْتُ لَتَفْقِدَنَّ أَحَاكُم • وَلَنْ يَبْقَى تَعْرِفُنْ مَكَانِي
 وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَقَى • مِنْ جَوْدَةٍ وَتَجَاعَةٍ وَبَيَانِ
 قَالَ : فَلَمَّا أَجَمْتُ الرُّومَ أَصْلَبَهُ عَلَى مَاءٍ لَمْ يَفْلَسْطِينَ يُقَالُ لَهُ عَفْرَاءٌ^(٥) قَالَ :
 أَلَا هَلْ أَتَى سَلَى^(٦) بَأَنَ حَلِيلِهَا • عَلَى مَاءٍ عَفْرَاءُ فَوْقَ إِحْدَى الرُّوَاحِلِ^(٧)
 عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْقَحْلُ أَمَّهَا • مُشَدَّبَةٌ أَطْرَافُهَا بِالْمَنَاجِلِ
 قَالَ : وَلِمَا قَدَسُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ قَالَ :
 أُنَبِّغْ سَرَاةَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنِّي • سَلَّمَ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي
 فَضَرَبُوا عُنُقَهُ وَصَلَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ •

هَذَا مَا تَلَخَصَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِ مَنْ وَقَدْ بَعْدَ الْمُهْجَرَةِ وَقَبْلَ الْفَتْحِ ، فَلْنَذْكُرْ مِنْ
 وَقَدْ بَعْدَ الْفَتْحِ •

(١) الروم : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه • والقروان : يجوز أن يكون جمع قرو وهو حوض الماء ، مثل صنوان ، ويجوز أن يكون جمع قرى مثل حلب وصلبان • (الروض الأنف) •
 (٢) أغنى : إغناء أو إغناء : تام نوما غفيرا •
 (٣) الإعدا : الكعل ، وقيل فرج منه • وفي الأصول : « تدن » وقد أئبناه بالنود كما في ابن إسحق •
 (٤) لا يحصى : لا يقطع •
 (٥) قال في المواب : « عفراء » ففتح العين المهملة ، وإسكان القاف ، وإزالة ممدود •
 وفي الأصول من غير همز • (٦) الحليل : الزوج • والرواحل في الأصل : الإبل ، ويريد بإحدى الرواحل الخشبة التي صلبوه عليها •

ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعد فتح مكة شرفها الله تعالى وعظمها

ولنبدا من ذلك بذكر وفد ثعلبة ؛ لأنه أول وفد كان بعد الفتح . ثم نذكر
من وفد في سنة تسع من الهجرة وما بعدها ، ونورده نحو ما أورده أبو عبد الله
محمد بن سعد في طبقاته ، إلا أنا استثنى منهم من قدمنا ذكره بحكم سابقهم ،
وتقدم لإسلامهم .

١٢
١٦

ذكر وفد ثعلبة

قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله : لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الهجرة^(١) ، في سنة ثمان من الهجرة ، قدم عليه أربعة قَرَر ، وقالوا :
نحن رُسل من خلفنا من قومتنا ، ونحن وهم مُقَرَّرُونَ بالإسلام ، فأمر لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضيافة ، وأقاموا أياماً ثم جاءوا ليوذعه فأمر بلالاً أن يُخَيِّمَ ،
كما يُخَيِّز الوُفد ، فجاء بنقير من فِضَّة فأعطى كل رجل منهم خمس أواق ، وقال :
« ليس عندنا دواهم » وانصرفوا إلى بلادهم .

ذكر وفد أسد

قال محمد بن سعد : قدم عشرة رَهْط من بني أسد بن خزيمة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في أول سنة تسع من الهجرة ، فيهم حضرمي بن عامر ، وضرار
ابن الأثور ، فقال حضرمي : يا رسول الله ! أتيناك نتدزع الليل البهيم ، في سنة^(٢)

(١) الهجرة (بكر الجلي ر. سكان النجف ، وفد تكسر العين وقشد الراء) : ما بين الطائف ومكة ،
وهي إلى مكة قريب . (٢) القر (جمع قرة) : سبكة الذهب والفضة .

(٣) تدزع : تلاحق الليل وادرع . وذا ومن في ظلمة يسرى . كأنه ليس ظلمة الليل فاستريه .

شهداء، ولم تبت إلينا بئنا، قتل فيهم قوله عز وجل : ﴿يَعْتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَى إِسْلَامِكُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قال : وكان معهم قوم من بني الزينة وهم بنو مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان ابن أسد، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتم بنو الرثدة » .

- وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله : إن قرا من بني أسد، ثم من بني الحلاف بن الحارث بن سعيد، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدية ، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله ، ولم يكونوا مؤمنين في السر . وأفندوا طرق المدينة بالعميرات ، وأغلوا أسعارها ، وكانوا يفسدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : أتتكم العرب بأنفسها ، على ظهور رواحلها ، وجئناكم بالأهمال واللبال والفرارى — يمتنون على رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم — ولم قاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان . ويريدون الصدقة ، ويقولون : أعطنا . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ الآيات . وقيل : نزلت في الأعراب : مُزَيْنَةُ ، وَجُهَيْنَةُ ، وَأَسْلَمُ ، وَأَنْجَمُ ، وَغِفَار . وكانوا يقولون : آمنا بالله . ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، فلما استفتروا إلى المدينة تخلفوا ، فأنزل الله فيهم : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ أى آتقنا وأسلمنا مخافة القتل والسبي ﴿ وَكَأَيُّ بَدْحٍ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فأخبر تعالى أن حقيقة الأيمان التصديق بالقلب ، وأن الإقرار باللسان ، وإظهار شرائعه بالأبدان ، لا يكون إيمانا دون الإخلاص الذى تحمله القلب .

(١) سنة شيباء : ذات خط وجيد .

(٢) آية ١٧ سورة الحجرات . (٣) كذا في الأصول ، وفي المنتخب لا توفى الزورة ٣١ :

« والله صد بن ثعلبة بن دودان الحارث وهو الحلاف » . (٤) آية ٦٤ سورة الحجرات .

ذكر وفد تميم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث
 بشر بن سفيان . ويقال : النعمان المدوي^(١) على صدقات بني كعب من خزاعة ،
 بغاء وقد حل بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن المنبر بن عمرو بن تميم ، فجمعت
 خزاعة مواشيها للصدقة ، فاستنكرت ذلك بنو تميم ، وأبوا وأبتدروا القيس ، وشهروا
 السيوف ، فقدم المصطلق^(٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره^(٣) فقال : « من
 هؤلاء القوم » ؟ فانتدب لهم عيينة بن حصن ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فأغار عليهم ، فأخذ
 منهم أحد عشر رجلا ، وإحدى عشرة امرأة ، وثلاثين صبيا ، فذهبهم إلى المدينة ،
 فقدم فيهم عتة من رؤساء بني تميم ، منهم عطار بن حاجب ، والزبير بن بدر ،
 وقيس بن عاصم ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، والأقرع بن حابس ، ورياح
 ابن الحارث ، وعمرو بن الأهم ، وغيرهم كما ذكرنا ذلك في الفزوات في خبر سرية
 عيينة . قال ويقال : كانوا تسعين أو ثمانين رجلا .

قال ابن إسحق : والحُصَّات بن يزيد أحد بني دَارِم . قال : ومعه عيينة بن
 حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، قالوا : فدخلوا المسجد وقد أذن بلال بالظهر ،
 والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فميلوا واستبقطوه ، فنادوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجُرَاتِهِ : يا محمد ! أخرج إلينا . فخرج رسول

(١) النعمان : لقب نعيم بن عبد الله ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « دخلت الجنة فسمعت نعمة
 من نعيم » أي سعة .

(٢) المصدق : حامل الزكاة الذي يستوفيها من أدائها .

(٣) و الأصول : « فأخبره » والقام بقتضى الإفراد كما في طبقات ابن سعد .

١٣
١٦

الله صلى الله عليه وسلم، وأقام بلال، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر، ثم أتوه، فقال الأقرع بن حابس : يا محمد، آيذن لي، فوالله إن حمدي لزين، وإن دمي لشين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذبت، ذاك الله تبارك وتعالى » . حكاه ابن سعد .

وحكى محمد بن إسحق أنهم قالوا : يا محمد، جئتكم لغفرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : « قد أذنت لخطيبكم قليل » ، فقام عطارده بن حاجب، فقال : الحمد لله الذي له طيب الفضل والنعمة، وهو أمله الذي جعلنا ملوكا، ووهب لنا أموالا عظيمة، فضل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا، وأيسره عددا، فمن مثنا في الناس؟ ألسنا بروس الناس وأولى فضلهم؟ فمن فاعلنا فليعبد مثل ما نعبدنا، وإنا لو نساء لأكثرنا الكلام، ولكنا نجيا من الإثارة فيما أعطانا، وأنا نعرف [بذلك] . أقول هذا لأن تأنونا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا . ثم جلس .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس أنى بنى الحارث ابن الخزرج : « قم فأجب الرجل في خطبته » . فقام ثابت فقال :

الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه عهده، ولم يك شي، قط إلا من فضله، وكان من قدرته أن جعلنا ملوكا، وأصطفى من خير خلقه رسولا، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه

(١) أى أقام الصلاة .

(٢) نجيا منا بمعنى ننجي، من الهيا .

(٣) زيادة من سيرة ابن هشام .

(٤) في ابن هشام : « لأن تأنوا » .

كتابه ، وأتمته على [خلقه ^(١)] فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمه ، أكرم الناس أحساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً . ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ؛ فنحن أنصار الله ، ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً .
أقول هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات . والسلام عليكم .

فقال الزبير بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلا شيء يبادلنا . • مِنَّا الْمُلُوكُ وَمِنَّا تُنْصَبُ الْبَيْعُ ^(٢)

[ويروى : « وَمِنَّا يُقَمُّ الرُّجْعُ » ، بدل « تُنْصَبُ الْبَيْعُ »] ^(٣)

وَسَكَمَ قَمَرَنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ • عِنْدَ النَّهَابِ وَقَضَى الْغَزَى يَبْعُ ^(٤)

وَنَحْنُ يُطِيعُ عِنْدَ الْقَطِيطِ مُطِيعًا • مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْتَسَ الْقَرْعُ ^(٥)

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِنَا مَرَاتِهِمْ • مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوِيًّا ثُمَّ نَصْطَلِيعُ ^(٦)

[ويروى : • مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَانًا ثُمَّ قُبْعُ ^(٧)]

(١) الزيادة من سورة ابن هشام .

(٢) البيع (جمع بعة بالكسر) : كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود . والمراد هنا مواضع العبادة .

(٣) ما بين المربعين في ج ، وابن إسحق . والرابع : ربع الفضة التي كان يأخذها الرئيس في الجاهلية

إذا غزا بعضهم بعضاً .

(٤) القزع : قطع من السحاب وفاق . يريد إذا لم تطرح عليه فأجذبت أرضهم أطعم مطعمهم .

(٥) الهوى (ضم الهاء) : الإسراع في السير . وسراة الناس هنا : ذريتهم وسامعهم وليس جمع مسمى

كما قال في الروض الأنف .

فَتَحَرَّ الْكُومَ عُبَّطًا فِي أُرُومِنَا • لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَجِعُوا^(١)
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ فَاخِرُهُمْ • إِلَّا آسَفَادُوا وَكَانُوا الرِّاسَ يُقْطَعُ
فَرَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَمِرُهُ • فِيرْجُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْمَعُ
إِنَّا أَتَيْنَا وَلَمْ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ • إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ زَنْفِعُ
قال محمد بن إسحق : وكان حسان بن ثابت غائباً ، فبعث إليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فقال حسان : جاءني رسوله فآخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر
بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَتَمَّنَّا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطَنَا • عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغٍ
مَتَمَّنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ يُونِنَا • بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ^(٢)
بَيْتَ حَرِيرٍ عِزُّهُ وَتَرَاوُهُ • بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطَ الْأَعْلَامِ
هَلْ لِمَجْدٍ إِلَّا السُّودْدُ الْقَعُودُ وَالنَّدَى • وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَأَحْتِمَالُ الْمَقَاتِمِ

قال : فلما آتته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم فقال
ما قال ، عرضتُ في قوله وقلتُ على نحو ما قال . قال : ولما فرغ الزبيرقان من
إنشاده ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ »

فقام حسان فقال

(١) الكوم (جمع كوما) : القاعة العظيمة السنام . وعبطا : أي تحمّل علة . وفي أرومت : أي هذا الكرم متأصل فينا .

(٢) لم يحدف حرف العلة لضرورة الشعر . وفي ابن إسحق طبع أوربا والحلي « ولا يابى » .

(٣) البيت المروي : المفرد عن البيوت لفرقة . جابية الجولان : قرية من أعمال دمشق . يريد
زول التي صلى الله عليه وسلم وسطى من الأصهار ، يتصل بهم بالقداسة وهم ملوك الشام ، وسيبوع
إلى هذا المعنى فيما بعده .

(٤) سودد العمد : غدير .

إِنَّ الْقَوَائِبَ مِنْ فَيْزٍ وَإِخْوَتِهِمْ • قَدْ يَتَوَسَّطُ النَّاسَ تَبَعٌ^(١)
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ • تَقْوَى إِلَهٍ وَكُلُّ الْخَيْرِ يَصْطَلِعُ^(٢)

[ويروى :

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ • تَقْوَى إِلَهٍ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا^(٣)
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ • أَوْ حَارَبُوا التَّقَى فِي أَشْيَاعِهِمْ تَقَوُّوا^(٤)
تَحِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ • إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعِلٌ شَرِّهَا الْبِدْعُ^(٥)
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ • فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَدَى سَبْقِهِمْ تَبَعٌ
لَا يَرْتَقِ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ • عِنْدَ الرِّقَاقِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا^(٦)
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ • أَوْ أَوَّزُوا أَهْلَ تَجْدِيدِ الْبَرَى تَتَوَا^(٧)
أَعْصَةُ ذِكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتِهِمْ • لَا يَطْلُبُونَ وَلَا يُؤَدِّهِمْ طَمَعٌ^(٨)

(١) القوائِبُ : الأُمُالُ ، والمراد هنا السادة . وفهر أصل قريش ، وهو فخر بن غالب بن النضر ابن كنانة ، وقريش كلهم ينسبون إليه . ولعله يريد بإخوة فخر الأنصار ، والقوائِبُ من فخر المهاجرين . ذلك أن جملة « وإخوتهم » صفا على القوائِبُ والمراد بإخوتهم الأنصار .

(٢) السرية كالسر والسرما أخفيت ، والمعنى أن سترتهم التي ينوها للناس يرضى بها كل من أسر تقوى الإله واصطفاة المعروف ، أو بالأمر الذي شرعه للناس على الرواية الثانية .

(٣) ما بين المزمعين في به وكذا رواه ابن إسحق بعد اتبنا القصيدة .

(٤) الأشباع (جمع شبة) : وهم الأنصار والأتباع .

(٥) السجية : الفريضة . والخلائق : جمع خليفة وهي الخليقة هنا . والبدع : جمع بدعة ، والمراد بها مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالنوازل فيها .

(٦) أوهت : شفت وفقت . يقول : إنا أوهت .

(٧) القرى : جمع قروية وهي من كل شيء أعلاه ، والمراد هنا الشرف والعلو . - ويروى « بالندى » وفي أ : بالورى ، ولعله تصحيف . ومتوا : وكادوا ، من منع التهادي مع متوا ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه .

(٨) لا يطلعون : لا يتفنون ، ومنه الحديث : « أعوذ بالله من طمع يهدي إلى طمع » أي يزقي في شين وعيب .

لَا يَتَّخِلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ • وَلَا يَسْتَهْمُونَ مِنْ مَقْطَعِ طَبَعٍ^(١)
 إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَا تَدِبُ لَهُمْ • كَمَا يَدِبُ إِلَى الْوَحْشَةِ الْقَرْعُ^(٢)
 تَنُمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا حَمَالِهَا • إِذَا الرِّمَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَسُّوا^(٣)
 لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ • وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هَلُجُ^(٤)
 كَانَتْهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ • أَسَدٌ حَلَبَةٌ فِي أَرْسَافِهَا نَدَعُ^(٥)
 خُذْنِيهِمْ مَا أَتَى عَقْوًا إِذَا غَضِبُوا • وَلَا يَكُنْ هَكَذَا الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا^(٦)
 فَنَالَتْ فِي حَرْبِهِمْ فَارَكَ عَدَاوَتَهُمْ • شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلْعُ^(٧)
 أَكْرَمُ يَقُومُ رَسُولُ اللَّهِ شَيْئَتَهُمْ • إِذَا تَخَاوَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ^(٨)
 أَهْدَى لَهُمْ يَدِي قَلْبٌ يُؤَاوِزُهُ • فِيمَا أَحَبُّ لِسَانٌ حَالِكٌ صَنِيعُ^(٩)
 فَاتَهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلُّهُمْ • إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَعُوا^(١٠)

(١) الطبع : (بالتحريك) : المنس والميب .

(٢) نصبنا : أظهرنا الحرب والعداوة ولم نسرهما . والقرع : ولد البقرة الوحشية . يقول : إذا حاربنا أعداءنا لا تدب إليهم كما يدب القرع إلى الوحشية .

(٣) الرمايف من الناس : سفليهم . وعشوا : خسوا .

(٤) الخور : الضعف . والمهلج (ككتيب) : الجازعون ، القردة طوع .

(٥) الموت مكتنع : دأن قريب . وحلة (بالفتح ثم السكون) : مأسدة بناحية اليمن . والرسع مفصل ما بين الكف والفرع ، وقيل : مجتمع الساقين والقدمين . والققدع : عرج وميل في المقامل كلها حصة أقدام ، كان الماحل قد زالت عن مواضعها ، لا يستطيع سيطها معه ، وأكثر ما يكون في الرسع من انيد والقدم . (٦) خفوا : من غير مشقة . (٧) السلق : شجر صر ،

أوسم ، أو ضرب من الصير ، أو بقلة خبيثة العلم . (٨) معنى « شيعتهم » هنا : ناصروهم .

(٩) يقال : لسان صنع ، ورجل صنع اللسان ، يقال للشاعر ولكل بليغ ، والمعنى : يحسن القول ويجوده . (١٠) شعوا : ضحكوا وهزلوا . والشموع من النساء : الضحوك اللذات .

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله : حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ق وفد بني تميم، قام فقال :

أَيْنَاكَ كَيْمَا يَسْلَمُ النَّاسُ فَضَلْنَا • إِذَا اخْتَلَفُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ^(١)
يَأْتَا فِرْعَوْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ • وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَذَّارِيمٌ^(٢)
وَأَنَا نَدُودُ الْمُعْلَبِينَ إِذَا اتَّخَعُوا • وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَمْتِيدِ الْمُتَفَايِمِ^(٣)
وَأَنْتَ لَنَا الْمِرْبَاعُ فِي كُلِّ غَارَةٍ • نُفِيرُ نَجْدٍ أَوْ يَارِضِ الْأَعَايِمِ^(٤)

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال :

هَلْ يَجِدُ إِلَّا السُّودَّ الْوَدَّ وَالنَّدَى • وَجَاءُ الْمَلُوكِ وَأَحْتَمِلُ الْقَطَائِمِ
نَصَرْنَا وَأَوْتَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا • عَلَى أَنْفِ رِاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَارِغِمِ
يَحْيَى حَرِيدٍ أَصْلَهُ وَتَرَاؤُهُ • بِحَيَاةِ الْجَوْلَانِ وَسَطَ الْأَعَايِمِ
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا • بِأَسَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ

(١) احتضر : حضر . المواسم (جمع موسم) : وهو المجتمع كوسم الحج .

(٢) فروع الناس : أشرفهم . ودارم : بني من تميم فيهم بيتها وشرها .

(٣) سود : ندمع . المعلبين : الذين يخفون لأنفسهم علامة في الحرب يعرفون بها وهم الشجعان .

(٤) اتخعا دعا طمعا ارتكبوا . الأميد : الملك لا يلتفت من زهوهم بينا ولا شملنا ، وراغم رأسه كبر .

المتفايم : المتطلم .

(٥) المرباع : ربع النخبة التي يأخذها الرئيس . ونجد : بلاد العرب لمقايته بأرض الأعاجم .

(٦) سودد سود : ندى خديم . والندى : البلود والكرم .

(٧) ديوان حسن : « أصله رذاهه » . واللهاد : بالكسر : « أيلام حفته وحمايته » .

جَعَلْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ۖ وَطَبْنَا لَهُ نَقَسًا يَوْمَ الْمُنْجَمِ
وَمَنْ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَسَابَعُوا ۖ عَلَى دِينِهِ بِالْمَرْفَعَاتِ الصَّوَارِمِ
وَمَنْ وَلَدْنَا مِنْ قَرِيشٍ عَظِيمِهَا ۖ وَلَدْنَا نَجَّى الْخَبَرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ غَرَّكُمْ ۖ بِسُودٍ وَبَالًا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
هَيْئَتُمْ ۖ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ ۖ لَنَا خَوَلٌ مِنْ بَيْنِ ظُنُورٍ وَخَادِمِ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّ دِمَائِكُمْ ۖ وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تَقْسَمُوا فِي الْمَقَامِ
فَلَا تَجْعَلُوا لَهُ نِدَاءً وَأَسْلِمُوا ۖ وَلَا تَلْبِسُوا زِيَا كَرَى الْأَعَاجِمِ
وَأَفْضَلُ مَا تَلْتَمِ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَلَا ۖ رِدَاقَتُنَا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ

١٥
١٦

قالوا: فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل
لمؤق له^(١)، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم
أعلى من أصواتنا، ولم أعلم منّا. ونزل في وفد بني تميم قوله غز وجل: (وَإِنَّ
الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

(١) قال: رابع في مفرداته: قيل للنبية التي لا يلحق فيها مشقة في. والنبية في الأصل:

ما أخذ حرا (٢) المرفعات الصوارم: السيوف التي تصير الأعمار.

(٣) يشر حسان إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منود من حدة من بني النجار، وقيل: يشر إلى
أن أم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم كانت جارية من الأنصار.

(٤) الوذل وحامة العاقبة.

(٥) هبم، من هبته أنه قد قد، يدعو عليهم. خول: ردة وأتباع. الظفر: التي توضع ولد غيرها.

(٦) البذ: الشريك.

(٧) ردة القوم: الذين هم تبع لهم. وهذا البيت غير موجود في نسخة ابن هشام، وهو موجود

في ديوان حسان. (٨) مؤق له: لمؤق له.

(٩) آية ٥-٤ من سورة الحجرات.

١٠

١٥

٣٩

قال محمد بن سعد : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم :
« هذا سيد أهل الوبر » ورد عليهم الأسرى والنبي ، وأمر لهم بالجوائز كما كان
يجزى الوفد ، تقى عشرة أوقية وثناً ، وهى خمسمائة درهم .

قال ابن إسحق : وكان عمرو بن الأهم قد خففه القوم في ظهورهم ، وكان أصغرهم
سناً ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يفضى عمرو بن الأهم : يا رسول الله ! إنه قد
كان رجل منا في رحلتنا وهو غلام حدث ، وأزدي به ، فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فبلغ عمرو بن الأهم ما قاله قيس فيه ، فقال :
ظَلَيْتُ مُفْتَرِشَ الْمَلْبَاءِ ^(١) تَسْتَمْنِي * عِنْدَ النَّبِيِّ فَلَمْ تَصُدِّقْ وَلَمْ تُصِيبْ
إِنْ تَنْقُصُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلَحُ ^(٢) * وَالرُّومُ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءَ لِلْعَرَبِ
وَإِنْ سُوْدَدْنَا عَوْدٌ وَسُوْدَدَكُمْ * مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ ^(٣)
وروى ابن الزبير أن نجر يومئذ فقال :

يا رسول الله ، أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمحباب منهم ، أخذهم بحقوقهم ،
وأنعمهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك . وأشار إلى عمرو بن الأهم . فقال عمرو :
إنه شديد العارضة ، مانع بلانيه ، مطاع في أدانيه . فقال الزبيران : والله لقد
كذب يا رسول الله ، وما منعه من أن يتكلم إلا الحسد .

(١) القس : نصف أوقية . (٢) في ظهورهم : في إبطهم .

(٣) الملباء . يعنى آسته ؛ يريد أنها كبيرة .

(٤) وذكر عن ابن الكلبي أنه إنما نفسه إلى الروم لأنه كان أحرر ؛ يقال : إن النبي صلى الله عليه

وسلم نياه ، وقال : « إن جميل كان أحرر » . (حاشية نسخة ب) .

(٥) العجب ، بالفتح : أصل الذنب .

فقال عمرو : أنا أحسنك ؟ ! فوالله إنك لتسليم الخال ، حديث المال ، أحقُّ الولد ، مُبْغَضٌ في المشيرة ، والله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان ليعجرا » .

ذكر وفد قَزَّارة

وأستسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم

قال ابن سعد : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبُوك ، قدم عليه وفدُ بني قَزَّارة ، بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة بن حصن ، والحُرُّ ابن قيس بن حصن ، وهو أصغرهم ، على ركائب عجاف ، بقاموا مُقَرَّبِينَ بالإسلام . وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم ، فقالوا : يا رسول الله ، أَسْتَنْتُ بلادنا ، وهَلَكْتُ مواشينا ، وأَجْدَبَ جَنَابُنا ، وَغَرِثَ عِيَالُنا ، فَادْعَ لَنَا رَبَّكَ . فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ودعا ، فقال : « اللَّهُمَّ اسْقِ بِلَادَكَ وَبِهَاغَكَ ، وَأَنْشُرْ رَحَتَكَ ، فَأَجِ بِهَذِهِ الْمِيتِ ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مَغِيثًا ، مَرِيثًا مَرِيثًا ، مَطِيثًا وَاسِمًا ، عاجلا غير آجل ، نَقِمًا غَيْرَ ضَالَةٍ . اللَّهُمَّ اسْقِنَا سُقْيَا رَحْمَةً ، لَا سُقْيَا عَذَابٍ وَلَا هَذِيمٍ وَلَا غَرَقٍ وَلَا غَحَقٍ . اللَّهُمَّ اسْقِنَا الثَّيْبَ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ » فَطُفِرَتْ ، فَأَرَأَوْا السَّيِّئَاتِ ، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فدعا ، فقال : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا ، عَلَى الْآكَامِ وَالظُّرَابِ ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ » . قَالَ : فَانْجَابَتِ السَّمَاءُ عَنِ الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ التَّوْبِ .

- (١) أَسْتَنْتُ : أَجْدَبْتُ لِقَةِ الْمَطَرِ . (٢) غَرِثَ : جَاعَ . (٣) غَيْثٌ مَغِيثٌ : عَامُ الْفَيْحِ .
(٤) مَرِيٌّ : هَنِيٌّ . (٥) مَرَجٌ : مَخْضَبٌ . (٦) غَيْثٌ مَطِيثٌ : عَامُ
(٧) سَنَ أَيْ سَنَ أَهَامَ ، وَفِي رِوَايَةٍ سَنَ أَيْ أَسْبُوعًا . قَالَ الْقِسْطَانِيُّ : وَلَا تَنَاقُ بَيْنَ الرَّايَيْنِ
(٨) الْآكَامُ وَالظُّرَابُ : الرِّوَابِيُّ وَالْمَرْضَعَاتُ . (٩) انْجَابَتِ السَّمَاءُ : انْكَشَفَتْ .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة ، فقام أعرابي فقال : يا رسول الله . هَذَا الْمَسْأَلُ ، وَجَعِ الْمَيْلُ ، دَعَا اللَّهُ نَسْأَلُكَ بِسُقْيَا ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ . وَمَا فِي السَّمَاءِ قُرْعَةُ سَحَابٍ ، قَالَ : فَدَرَّ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ . ثُمَّ لَمْ يَقُولْ عَنْ مِثْرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ مَنْظَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، قَالَ : فُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَمَنْ الْقَدَرُ . وَمِنْ مَعْدٍ [الْقَدَرُ] وَالَّذِي بَيْنَهُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى . فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ -- أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ -- فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَهْدِمُ الْبَنَاءَ ، وَغَرِقَ الْمَسْأَلُ ، قَادَعَ اللَّهُ لَنَا ، وَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا » . قَالَ : ثُمَّ جَعَلَ يُشِيرُ بِيَدَيْهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ أَسْهَاءٍ إِلَّا تَفَرَّجَتْ . حَتَّى صَارَتْ الْمَدِينَةُ وَمِثْلُ الْجَوَابَةِ . حَتَّى سَالَ الْوَادِي الْوَادِي وَادِي قَنَاةَ شَهْرًا . قَالَ : فَذَبَاتِ أَحَدٌ مِنْ جِهَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ .

$$\frac{16}{16}$$

ذكر وفد مرة

قال : قديم وفد بنى مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مَرَجِهِ مِنْ تَبُوكَ فِي سَنَةِ قِسْعٍ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ عَشَرَ رَجُلًا ، وَأَسْمُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا قَوْمُكَ وَعَشِيرَتُكَ ، وَنَحْنُ قَوْمٌ مِنْ أُوَيٍّ بْنِ غَالِبٍ . فَتَبَسَّمَ

١٥

(١) سنة (فتح السين) : أى جذب ونقط . (٢) قبة : قطعة من النمل .

(٣) تار : حاج . (٤) الزيادة من صحيح البخاري .

(٥) هذا زرد من الراوى يدل على عدم التذكر . (٦) تفرجت : قطع السحاب ، وفيه

دلالة على عظم معجزته صلى الله عليه وسلم . (٧) الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة ، أى انجاب

السحاب عن المدينة . وصار مستديرا حواليا ، وهي خالية منه .

٢٠

(٨) وادي قناة : واد من أودية المدينة عليه حث ومزارع . (٩) الجود : المطر الكثير .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال : « أين تركت أهلَكَ ؟ » قال : بَسْلَاح^(١)
وما والاها . قال : « كيف تركت البلاد ؟ » قال : والله إِنَّا لَمُسْتَوُونَ^(٢) ، فادع الله
لنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اسْقِهِم الْغَيْثَ » وأمر بلالاً
أَنْ يُخَيِّرَهُمْ ، فاجازهم بعشرة أواق ، عشرة أواق فضة ، وقَضَلَ الحارث بن عوف ،
أعطاه ثلث عشرة أوقية ، فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد مُطِرَتْ في اليوم الذي
دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد مُحَارِب

قال : قَدِمَ وفد مُحَارِب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة عشر ،
في حجة أوداع ، وهم عشرة نفر ، منهم سَواء بن الحارث ، وأبنة نُزَيْمَة بن سَواء ،
فَأَنزَلُوا دَارَ رَمْلَةٍ بنت الحارث ، وكان بلال يأتهم بقداء وعشاء ، فأساءوا وقالوا :
نحن على من وراءنا ، ولم يكن أحد في تلك المواسم أَفْظُ ولا أَغْلَظَ على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بني مُحَارِب . قال : ومَسَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه
نُزَيْمَة بن سَواء ، فصارت له غُرة بيضاء ، وأجازهم كما يُخَيِّرُ الْوَفْدَ ، وأنصرفوا
إلى أهلهم .

ذكر وفد كِلَاب

قال : قَدِمَ وفد كِلَاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من
الهجرة ، وهم ثلاثة عشر رجلاً ، فيهم لَيْد بن ربيعة ، وجَبَّار بن سلمى ، فأنزلهم

(١) سلاح : موضع أسفل من خبير ، وماء أيضاً لئلا يئس كلاب .

(٢) مستون : أصابهم سنة وقط واحدوا .

(٣) أول الخبر أن نزيمة قال للبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي أبقاني حتى مدت بك ،

فقال رسول الله : إن هذه القلوب بيد الله ، ومسح وجه نزيمة ... الخ .

دَارَ رَمْلَةٍ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ الضَّمَالَكُ بْنُ سَفْيَانَ سَارَفَنَا بِكَأَبِ اللَّهِ ، وَبَسْتِكَ الَّتِي أَمَرْتَهُ ، وَأَنَّهُ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ ، فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَلِرَسُولِهِ ، وَأَنَّهُ أَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْيَانِنَا فَرَدَّهَا عَلَيَّ فَقَرَأْنَا .

ذكر وفد رؤاس بن كلاب

رَوَى عَنْ أَبِي نُفَيْعٍ طَارِقُ بْنُ عُلْقَمَةَ الرُّؤَاسِيَّ أَنَّهُ قَالَ : قَدِمَ رَجُلٌ مَنَّا بِقَاعِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ قَيْسِ الرُّؤَاسِيَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْلَمَ ، ثُمَّ أَتَى قُوَّةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ . فَقَالُوا : حَتَّى نُصِيبَ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ بَنٍ كَعْبٍ مِثْلَ مَا أَصَابُوا مِنَّا ، فَخَرَجُوا يَرِيدُونَهُمْ ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ عَمْرِو بْنُ مَالِكٍ فَأَصَابُوا فِيهِمْ ، ثُمَّ خَرَجُوا يَسُوقُونَ النَّتَمَ ، فَأَدْرَكَهُمْ فَارَسُ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ ، بِقَالَ لَهُ رُبْعَةٌ مِنَ الْمُتَنَفِّقِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَقْسَمْتُ لَا أَطْعَمُنْ إِلَّا فَارَسًا • إِذَا الْكَلْبَةُ لَيْسُوا الْقَوَائِدَا^(١)

قَالَ أَبُو نُفَيْعٍ : فَقُلْتُ نَجُومُ يَا مَعْشَرَ الرِّجَالَةِ سَاثِرَ الْيَوْمِ ، فَأَدْرَكَ الْعُقَيْلِيُّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَيْدِ بْنِ رُؤَاسٍ : يُقَالُ لَهُ الْمُحَرَّشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَيْدِ بْنِ رُؤَاسٍ ، فَطَعَنَهُ فِي عَصَدِهِ فَأَخْبَلَهَا ، فَاعْتَقَ الْمُحَرَّشُ فَرَسَهُ ، وَقَالَ : يَا آلَ رُؤَاسٍ ! فَقَالَ رُبْعَةٌ : رُؤَاسٌ خَيْلٌ أَوْ أَنْتَ ؟ ! فَمَطَفَ عَلَى رُبْعَةٍ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ . قَالَ : ثُمَّ خَرَجْنَا نَسُوقُ النَّتَمَ ، وَأَقْبَلَ بَنُو عُقَيْلٍ فِي طَلَبِنَا حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى تَرْبَةٍ ، فَطَعَمَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَادِي تَرْبَةٍ ، فَعَمِلَ بَنُو عُقَيْلٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا فَلَا يَصِلُونَ^(٢)

(١) القوائس : يضيات الحديد تلبس في الحرب .

(٢) الخيل : فساد الأضواء .

(٣) تربة (بالغيم ثم الفتح) : واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها .

إلى شيء فضينا . قال عمرو بن مالك : فأسقط في يدي ، وفلت : قَلْتُ رجلا ،
وقد أسلمتُ وبايعتُ النبي صلى الله عليه وسلم ! فشددتُ يدي في عُلٍّ إلى عنقي ،
ثم خرجتُ أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغه ذلك ، فقال : « لئن أتاني
لأضربن ما فوق النُعل من يده » قال : فأطلقت يدي ، ثم أتيتُه فسلمتُ عليه
فأعرض عني فأتيتُه عن يمينه فأعرض عني ، فأتيتُه عن يساره فأعرض عني ،
فأتيتُه من قبل وجهه . فقلت : يا رسول الله ، إن الرب ليُرضى [فيرضى^(١)] ، فأرض
عني رضي الله عنك . قال : « قد رَضِيتُ عنك » .

١٦

ذِكْرُ وَفْدِ عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ

قال محمد بن السائب : حدثنا رجل من بني عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ ، عن أشياخ قومه ،
قالوا : وَفَدَنَا مِنْ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُبْعُ
ابْنِ معاوية بن خُفَاجَةَ بْنِ عمرو بن عُقَيْلٍ ، وَمُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنْسُ بْنُ قَيْسٍ
ابْنِ الْمُثَنَّقِ - فَبَايَعُوهُ وَأَسْلَمُوا ، وَبَايَعُوهُ عَلَى مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، فَأَعْطَاهُمْ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَقِيقَ عَقِيقَ بَنِي عُقَيْلٍ ، وَهِيَ أَرْضٌ فِيهَا عِبُونَ وَنَحْلٌ
وَكُتِبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابٌ فِي أَدِيمِ أَحْمَرَ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا مَا أُعْطِيَ عِد
رَسُولِ اللَّهِ رُبْعًا وَمُضَرًّا وَأَنْسًا ، أُعْطَاهُمُ الْعَقِيقُ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ ،
وَسَمِعُوا وَأَطَاعُوا » . وَلَمْ يَعْطَهُمْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ ، وَكَانَ الْكَتَابُ فِي يَدِ مُطَرِّفٍ . وَوَفَدَ
عَلَيْهِ أَيْضًا لَقِيطُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْمُثَنَّقِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ ، فَأَعْطَاهُ مَا يُقَالُ لَهُ النَّظِيمُ
وَبَايَعَهُ عَلَى قَوْمِهِ .

- قال : وقدم عليه أبو حرب بن خُوَيْلِد بن عامر بن عَقِيل ، فقرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن ، وعَرَضَ عليه الإسلام ، فقال : أَمَّا وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ لَقِيتُ اللَّهَ أَوْ لَقِيتُ مَنْ لَقِيَهُ ، فَإِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا لَا تُحْسِنُ مِثْلَهُ ، وَلَكِنْ سَوْفَ أَضْرِبُ بِقِدَاحِي هَذِهِ عَلَى مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ ، وَعَلَى دِينِي الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ ، وَضَرَبَ بِالْقِدَاحِ ، خَرَجَ عَلَى سَهْمِ الْكُفْرِ ، ثُمَّ أَعَادَ نَفْرَجَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ [مَرَّاتٍ] .
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَبَى هَذَا إِلَّا مَا تَرَى ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَخِيهِ عِقَالُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، فقال له : قَلَّ خَيْسُكَ . أَيْ قَلَّ خَيْرُكَ . فقال : هَلْ لَكَ فِي عِدِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؟ يَدْعُو إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَقَدْ أُعْطَانِي الْعَقِيقُ إِنْ أَنَا أَسْلَمْتُ ، فقال له عِقَالُ : أَنَا وَاللَّهِ أَخْطُكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْطُكَ عِدُّ ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَجَرَّ رُحْمَهُ عَلَى أَصْفَلِ الْعَقِيقِ ، فَأَخَذَ أَصْفَلَهُ وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْنٍ ، ثُمَّ إِنَّ عِقَالَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ : « أَتَشْهَدُ أَنْ عِدًّا رَسُولُ اللَّهِ » ؟ فَيَقُولُ : أَتَشْهَدُ أَنَّ هُبَيْرَ بْنَ النَّضَّاسَةِ نِعَمَ الْفَارِسُ يَوْمَ قَرْنَى بَابِ . ثُمَّ قَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنَّ عِدًّا رَسُولُ اللَّهِ » ؟ قَالَ : « أَتَشْهَدُ أَنَّ الصَّرِيحَ نَحْتُ الرِّغْوَةَ » ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الثَّانِيَةُ : « أَتَشْهَدُ » ؟ قَالَ : فَشَهِدَ وَأَسْلَمَ .

١٥

(١) الزيادة من الطبقات .

(٢) ذِكْرُ الزَّيْدِيَّةِ « عِقَالُ » بِالْهَاءِ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ .

(٣) قال ابن سعد في الطبقات : « وابن النضاسة هُبَيْرُ بْنُ مِصَابَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ عَقِيلٍ ، وَمِصَابَةُ هُوَ قَارِسُ الْحَارِ وَالْفَارِسُ فَرَسُهُ ، وَلِيَانُ - مَوْضِعٌ » . وَقَالَ فِي مِصَرٍ يَفُوتُ : لِبَنَاتِ بِلْدَةِ بَارِضٍ مِهْرَةٌ نَفْسِي . (٤) « الصريح من أمن المحض الخالص » وازدعوة الزيد ؛ وهذا مثل مته :

٢٠

بن الأمر معنى عليك ، وسيدونك .

قال : ثم قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحَصِين بن المُثَلِّ بن ربيعة ابن عَقِيل ، وذو الجَوْشَن الضَّبَّاني^(١) فأساموا .

ذكر وفد جَعْدَة

قال محمد بن سعد : وَقَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّقَاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدَة بن كعب ، فأعطاه صلى الله عليه وسلم بالْفَلَج^(٢) صَبِيعَة : وكتب له كتابا وهو عندهم .

ذكر وفد قُشَيْر بن كعب

قال : وَقَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَمَر بن قُشَيْر ، قبل حجة الوداع وبسند حَتِين ، فهم قَوْر بن عَزْرَة بن عبد الله بن سَلَمَة بن قُشَيْر فأسلم ، فأقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيعة^(٣) ، وكتب له بها كتابا . وفيهم حيدة بن معاوية ابن قُشَيْر ، وفيهم قُرَة بن هُبيرة بن سَلَمَة الخير بن قُشَيْر فأسلم ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكساه بُردًا ، وأمره أن يتصدق على قومه ؛ أى يُلِي الصدقة^(٤) .

(١) ذو الجَوْشَن : اختلف في اسمه فقيل أوس بن الأعور ، وقيل شرحبيل بن الأعور . وقيل قيل له ذو الجَوْشَن لأن صدره كان نازلا . (٢) الفَلَج : مدينة بأرض إيمه .

(٣) في أحد النسخة : أعطاه حمام والد وهما من البقيع .

(٤) في الأصول : « جنة » وهو تصحيف وصوبناه عن الطبقات والإصابة والذلائق .

(٥) زاد ابن سعد في الطبقات بعد هذا « فقال قُرَة حين رجع :

حياه رسول الله إذ نزلت به . » وأمكنها من ذلك غير مفسد

فأخضت بروض الخير وهي حينة . » وقد أتجعت حاجاتها من محمد

عليها حتى لا يردف القدم ومعه . » ترك لأمر الصَّابِر المسترشد

ذكر وفد بني البكاء

قال : وقد تلامه نفر من بني البكاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع ، فيهم معاوية بن ثور بن عبادة بن البكاء . وهو يومئذ ابن مائة سنة ، ومعه ابن له يقال له بشر ، والفجج بن عبد الله ، ومعه عبد عمرو البكائي وهو الأصم ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، وكتب له بمائه الذي أسلم عليه « ذِي الْقَصَّة » . وكان عبد الرحمن من أصحاب الصفة ، فأزلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقرل وضيفة ، وأجازهم ورجعوا إلى قومهم .

وقال معاوية للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أتبرك بمسك وقد كبرت . وأجبي هذا برئي فأسح وجهه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه بشر بن معاوية ، وأعطاه أعترًا عقرًا ، وبرك عليهما ، وكانت السنة تُصيب بني البكاء ولا يُصيبهم . وفي ذلك يقول محمد بن بشر بن معاوية :

وَأَبِي الَّذِي مَسَحَ الرَّسُولُ بِرَأْسِهِ • ودعا له بالخير والبركات
أَعْطَاهُ أَحْمَدُ إِذْ أَنَاهُ أَعْتَرَا • عَفْرًا نَوَاجِلَ أَسْنٍ بِالْجَبَابِ (٦)
يَمْلَأَنَّ رِفْدَ الْحَيِّ كُلِّ عَشِيَّةٍ • وَيَسُودُ ذَاكَ الْمَلَأُ بِالْفَدَوَاتِ (٧)
بُورُكِي مِنْ مَنَحٍ وَبُورِكَ مَانَحًا • وَعَلَيْهِ مِنِّي مَا حَبِيتُ صَلَاتِي (٨)

- (١) ذوالقصة : اسم الجبل الذي فيه الماء ، والقصة هو الماء . محمه الحاج .
(٢) أصحاب الصفة : هم قراء المهاجرين ، ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه ، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه . والصفة : الظلة . (٣) ماعزة قفراء : خالصة البياض .
(٤) برك « بالتشديد » طين : دعا له بالبركة فين . (٥) السة : الجذب والنقط .
(٦) نواجيل : كريمة القتل . وفي الأصول والطبقات « ليس » بدل « لسن » وما أئنتاه عن ابن كثير في البداية والنهاية . ولبحات جمع لبة : وهي النجعة والمزالي قل لبها .
(٧) الرند : الفتح الضخم . وفي الأصول والطبقات واللباية « وفد » ولعله تصحيف . وما أئنتاه عن الإمامة في اسم « معاوية » . (٨) المنح : العطاء .

ذكر وفد كنانة وبني عبد بن عدى

قالوا: وَقَدْ وَاتِلَهُ بْنُ الْأَسَمِ الثَّقِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ،
 وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَجَهَّزُ إِلَى تَبُوكَ، فَصَلَّى مَعَهُ الصُّبْحَ، فَقَالَ: «مَنْ
 أَنْتَ؟ وَمَا جَاءَ بِكَ؟ وَمَا حَاجَتُكَ؟» فَأَخْبَرَهُ عَنْ قَسْبِهِ، وَقَالَ: أَتَيْتُكَ لِأَوْمِنَ بِأَهْلِهِ
 وَرَسُولِهِ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ^(١) «فَبَايِعْ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ»]. فَبَايَعَهُ وَرَجَعَ إِلَى
 أَهْلِهِ فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ أَبُوهُ: وَاللَّهِ لَا أَكَلِمَتَكَ كَلِمَةً أَبَدًا، وَسَمِعْتَ أَخْتَهُ كَلَامَهُ فَاسْلَمْتَ
 وَجَهَّزْتَهُ، فَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَهُ قَدْ سَارَ إِلَى تَبُوكَ.
 فَقَالَ: مَنْ يَمْلِكُنِي عُقْبَةَ وَلَهْ سَهْمِي؟ فَخَلَّاهُ كَتَبَ بْنَ عُجْرَةَ حَتَّى لَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَهِدَ مَعَهُ تَبُوكَ. وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ خَالِدِ بْنِ
 الْوَلِيدِ إِلَى أَكْثَرِ، بِغَاةٍ بِسَهْمِهِ إِلَى كَتَبَ بْنَ عُجْرَةَ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ وَسَوَّغَهُ إِيَّاهُ،
 وَقَالَ: إِنَّمَا حَمَلْتُكَ اللَّهُ تَعَالَى.

قال: وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ بَنَى عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، وَفِيهِمْ
 الْحَارِثُ بْنُ أَهْبَانَ، وَعُثَيْرُ بْنُ الْأَحْزَمِ، وَحَبِيبُ وَرَيْحَةَ ابْنَا مَلَّةَ، وَمَعَهُمْ رَهْطٌ
 مِنْ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا عَجْدُ، نَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ وَسَاكِنُوهُ، وَأَعَزُّ مِنْ بِهِ، وَنَحْنُ
 لَا نَزِيدُ قِتَالَكَ. وَلَوْ قَاتَلْتَ غَيْرَ قُرَيْشٍ قَاتَلْنَا مَعَكَ، وَلَكِنَّا لَا نَقَاتِلُ قُرَيْشًا. وَإِنَّا
 لَنُجَبِّكَ وَمَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ، فَإِنْ أَصَبْتَ مِنَّا أَحَدًا خَطَا فَعَلَيْكَ دَيْتُهُ، وَإِنْ أَصَبْنَا
 أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ فَعَلَيْنَا دَيْتَهُ، فَقَالَ: «نَمْ» فَاسْلَمُوا.

(١) زيادة يقتضها السياق. وانظر في أسد الغابة: فقال «ما جاء بك» قال: أبايع فقال
 رسول الله «على ما أحببت...» الحديث.

(٢) قصة: فورة، وتغالب المسافرين على الهداية ركب كل واحد منهما عتية.

(٣) كان أصاب ست فلاحين في هذه الفزوة. وأكهد، تفسير أكدر: صاحب دومة الجندل.

(٤) في أ: «وساكنه».

ذكر وفد باهلة

قال : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مطَّرف بن الكلبي الباهلي بعد الفتح وافدا لقومه ، فأسلم وأخذ لقومه أماناً ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه فرائض الصدقات .

- ثم قدم تهشل بن مالك الوائلي من باهلة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وافداً لقومه ، فأسلم وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولبن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام . كتبه عثمان بن عفان .

ذكر وفد هلال بن عاصم

- قالوا : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من بني هلال ، فيهم عبد عوف بن أصرم بن عمرو بن شُعَيْبَةَ ^(١) فأسلم ؛ فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً لله . وفيهم قَيْصَةُ بن المخارق ، فقال : يا رسول الله ، إني حملت عن قومي حَمَلاً فَأَعْنِي فِيهَا ^(٢) قُل : « هي لك في الصدقات إذا جاءت » .

- قالوا : ووقَّعَ زياد بن عبد الله بن مالك ، فلما دخل المدينة ، توجه إلى منزل مميونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت خالة زياد - أمه عَزَّة بنت الحارث ، وهو يومئذ شاب - فدخل إلي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندها ، فلما رآه غضب ورجع ، فقالت : يا رسول الله ، هذا ابن أختي ، فدخل إليها ثم نرج حتى أتى المسجد ومعه زياد ، فصلى الظهر ، ثم أدنى زيادا فدعا له ، ووضع يده على رأسه ، ثم حذرهما على طرف أنفه . فكانت بنو هلال يقول : مازلنا نَتَعَرَّفُ البركة في وجه زياد . قال الشاعر لعل بن زياد :

(١) في الأصول : شعبة . وقد أبتناه عن الإسنه ، قال : « وشعبة بمجعية ثم ههه ثم ملته

صخر » . (٢) حالة : كفالة .

يَا بْنَ الَّذِي مَسَحَ النَّبِيُّ بِرَأْسِهِ • ودعاه بالخير عند المسجد
أَعْنِي زَيْدًا لَا أُرِيدُ سِوَاهُ • من غَائِرٍ أَوْ مُتَّبِعٍ أَوْ مُتَّبِعٍ
مَا زَالَ ذَلِكَ النَّوْرُ فِي عِرْسَيْنِهِ • حَتَّى تَبَوَّأَ بَيْتَهُ فِي الْمَلْجَدِ

ذكر وفد عامر بن صعصعة

وخبر عامر بن الطفيل وأزبد بن قيس

قال محمد بن سعد : قَدِمَ عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ،
وَأَزْبَدُ بْنُ رَيْمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ • — قَالَ آبَنُ إِسْحَقَ : وَأَزْبَدُ بْنُ قَيْسِ
ابْنِ جَزْءِ بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَجَبَّارُ بْنُ سَلْمَى بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ — [عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] • — قَالَ آبَنُ سَعْدٍ — فَقَالَ عامر بن الطفيل : يَا عَجْدُ ، مَا لِي إِنْ
أَسَلْتُ ؟ قَالَ : « لَكَ مَا لِلسَّامِينَ ، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ » • قَالَ : أَتَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ » • قَالَ : أَتَجْعَلُ لِي الْوَبْرَ وَلَكَ
الْمَدْرَ ؟ قَالَ : « لَا ، وَلَكِنِّي أَجْعَلُ لَكَ أَمْعَةً الْخَلِيلِ ، فَإِنَّكَ أَمْرُؤُ فَارَسَ » • قَالَ :
أَوَلَيْسَتْ لِي ؟ ! لَا مَلَأَتْهَا عَلَيْكَ خَيْلًا وَرَجُلًا • ثُمَّ وَلَّيَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ أَكْفِنِيهِمَا ، اللَّهُمَّ وَأَهْدِ بَنِي عامرٍ وَأَغْنِ الْإِسْلَامَ عَنْ عامرٍ »
— يَعْنِي آبَنَ الطُّفَيْلِ •

وقال آبن إسحق : قَدِمَ عامر بن الطفيل على رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَهُوَ يَرِيدُ الْغُدْرَةَ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ : يَا عامرُ ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلَمْ ،

(١) غَارُ الرَّجُلِ : إِذَا سَارَ فِي بِلَادِ النُّورِ ، وَأَتَاهُمْ : أَيْ أَرْضَ تِهَامَةَ ، وَأَتَجِدُ : أَيْ أَرْضَ نَجْدٍ •
يَرِيدُ الْبِلَادَ كُلَّهَا • (٢) فِي الْأَسْوَلِ : « جَرِيرٌ » وَهُوَ تَصْغِيرُ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ
وَشَرَحَ الْقَامُوسُ مَادَّةَ « جَزْءٌ » • (٣) تَكَلَّفَ مِنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ • (٤) عَنِ الْوَبْرِ أَهْلُ
الْبَوَادِي ، وَهُوَ مِنْ وَبَرِ الْإِبِلِ لِأَنَّهُ يَبْهَتُهَا مِنْهُ ، وَبِالْمَدْرِ أَهْلُ الْمَدَنِ وَالْقُرَى ، لِأَنَّ مَبْنَاهَا
بِالْمَدْرِ • وَهُوَ طَعْمُ الْعَيْنِ الْيَابِسِ • (٥) فِي ابْنِ إِسْحَقَ « وَدَجَلَا » وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ •

- فقال : والله لقد حكمت آليتُ ألا أتهدى حتى تنج العرب عبي ، وأنا أنبج
عقب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد بن قيس : إذا قدما على الرجل
فأنى ساسخَلَ عنك وجهه ، فإذا ضلَّ ذلك فأعْله بالسيف . فلما قدما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل . يا عُد ، خالسي . قال :
« لا والله حتى تؤمن بالله وحده » ، فجعل يكرر هذا القول ورسول الله صلى الله عليه
وسلم يمد عليه مقاتله . وهو في ذلك ينتظر من أربد ما أمره به ، فلم يصنع أربد
شيئا ، وكان آخر ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله لأملأنها عليك
خيلا ورجلا ، فلما وثى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم أكفني عامر
أبن الطفيل » فلما خرجوا من عنده قال عامر لأربد : ويلك ! أين ما كنت
أمرت بك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك ،
وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال له أربد : لا أبالك ! لا تتجلى على ،
والله ما همستُ بالذى أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل ، حتى
لا أرى غيرك ! أفاضرك بالسيف ! قال : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ،
حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ،
فقال إلى بيت امرأة من بني سأل ، فجعل يقول : يا بني عامر ، غدة كفنة البكر ،
وموت في بيت سلوة ! قال : ومات فواراه أصحابه ، وخرجوا حتى قدما أرض
بني عامر ، فاتاهم قومهم فقالوا : ما وراك يا أربد ؟ فقال : لا شيء ، والله لقد

(١) خالسي ، بشديد اللام ، اتخلفي حليلا وصاحبا ، من الخالة وهي الصداقة . ومن رزاه
بجفيف اللام : فهو بمنى تردل خاليا حتى أتعتك منك . (شرح سيرة ابن هشام لأبي ذر) .

(٢) الفتنة : طاعون الإبل ، والبكر : الفتى منها . وإنيبا تأسف عامر أن تميت في ميدان القتال
كما يموت للشجبان ، كما تأسف أيضا على موته في بيت سلوة ، لأن بني سلول موصوفون بعدم بالقرم .

دعانا إلى مبادء شيء، لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه ، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما .

وقال أبو إسحق أحمد بن محمد التلمي في هذه القصة ، بسند يرضه إلى عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : أقبل عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بالمسجد جالس في نفر من أصحابه ، فدخل المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر ، وكان أعور ، وكان من أجل الناس ، فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، هذا عامر ابن الطفيل قد أقبل نحوك ، فقال : « دعه فإن يرد الله به خيرا يده » فأقبل حتى قام عليه . فقال : يا محمد ، مالى إن أسأمت ؟ فقال : « لك ما للمسلمين ، وعليك ما على المسلمين » . قال : تحصل لى الأمر بمذك ؟ قال : « ليس ذلك لى ، إنما ذلك لى الله عز وجل ، يجعله حيث يشاء » . قال تجعل لى الوراثة على المدر ؟ . قال : « لا » . قال : فماذا تجعل لى ؟ قال : « أجعل لك أعتة الخيل تفزو عليها » . قال : أوليس ذلك لى اليوم ؟ ! قم معى أكلتك . فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رآه لى أكلته فذر من خلفه فأضربه بالسيف ، فجعل يخاض رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ، فدار أربد خلف النبي صلى الله عليه وسلم ، فاخترط من سيفه شبرا ، ثم حبسه الله عز وجل عنه فلم يقدر على سله ، وجعل عامر يومئذ إليه ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى أربد وما يصنع بسيفه ، فقال : « اللهم

(١) فى بعض نسخ ابن إسحق : « يجه » .

(٢) استشرف الشيء . رضع بصره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه كالاستظل من الشمس .

أَكْفَيْنِيهَا بِمَا شِئْتُ . • فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَدٍ صَاعِقَةً فِي يَوْمٍ صَافٍ
فَأَحْرَقَتْهُ ، وَوَقَّى عَامِرٌ هَارِبًا ، وَقَالَ : يَا مَعْجَدُ ، دَعَوْتَ رَبَّكَ فَفُتِلَ أَرْبَدُ ، وَاقَّةُ
لَأَمْلَأَنَّ عَلَيْكَ خِيَلًا جُرْدًا ، وَفِيَانَا مُرْدًا ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَمْنَعُكَ اللَّهُ ذَلِكَ وَأَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ » . بَنَى الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ . فَقَتَلَ عَامِرُ بَيْتَ أَمْرَأَةٍ
سَلُولِيَةٍ وَأَنَا يَقُولُ :

تَحْمِيرُ آيَةِ الْقَنْ إِنْ شِئْتَ وَدَنَا • وَإِنْ شِئْتَ حَرَبَاتُ بَاسٍ وَمَصْدَقُ
وَإِنْ شِئْتَ فَيَبَانًا بِكَفَى أَسْرُمُ • يَكُونُ كَبَشٍ الْعَارِضِ الْمَتَأَلِّقِ

فَلَمَّا أَصْبَحَ ضَمَّ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَهُوَ يَقُولُ :

لَعَمْرِي وَمَا تَعْمَرِي عَلَى بَهَيْنٍ • لَقَدْ شَانَ حُرَّ الْوَجْهِ طَمَعُهُ ^(١) مَسِيرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَزْنُوقُ أَنِّي أَكْوَرُهُ • عَلَى جَمْعِهِمْ كَرَّ الْمَنْجِجِ الْمُسْهِرِ ^(٢)
إِذَا أَزْوَدَيْنِ وَقَعَ السَّانِ زَجْرُهُ • وَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَسْرُو غَيْرِ مُقْصِرِ ^(٣)
وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْفِرَارَ خَرَابَةٌ • عَلَى الْمَرْءِ مَا لَمْ يُبَيِّدْ عُلُوًّا فَيَعْذِرِ ^(٤)
لَقَدْ طَلَبْتُ حُلْبًا هَوَازِنَ أَتْنَى • أَنَا الْفَارَسُ الْحَامِي حَقِيقَةَ جَمْفِرِ

(١) الأجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات الضيق والكرم .

(٢) المرء (جمع أمرء) : وهو الشاب الذي لم يتزوج .

(٣) حر الوجه : ما أقبل عليه منه . وسهر : هو سهر بن يزيد الحارثي ، وهو الذي غدر بعاصم
ابن الطفيل وطعه بالرحم ، فقتل وجهه وشق فيه

(٤) المزنونق : اسم فرس عامر . والمنجج : يعني القدح الذي يكثر به القداح ليس له ضم ولا طبع
غرم ؛ كما خرج ردة حتى يخرج آخر القداح .

ويرعى : عشبة فيف الربيع كرام الشعر .
وفيف الربيع : مكان كانت الوقفة فيه .

(٥) أزود : عدل ومال إلى ناحية أخرى ؛ أي إذا مال من الطرفين رددته إليه .

ويرى : وقفت له أوجع مقبلا غير مذبذب .

(٦) خرابة : امتعاب .

بجعل بركض في الصحراء ويقول : أبرزيا ملك الموت ! ثم أنشأ يقول :
 أَلَا قَرَبَ الْمَزْنُوقُ إِذْ جَدَّ مَا رَى • لِيَمْرِيضَ يَوْمَ شَرِّهِ غَيْرُ حَامِدِ
 أَلَا قَرَبَاهُ إِنِّي غَايَةُ جَرِينَا • إِذَا قَرَبَ الْمَزْنُوقُ بَيْنَ الصَّفَائِدِ
 بنوعا مرفوعا إذا ما دعوتهم • أجابوا وأبى منهم كل ما جِدِ
 ويقول : والآيت لسن أحضر إلى وصاحبه - يعنى ملك الموت - لأفقتما
 برغى .

قال : فلما رأى الله عز وجل ذلك منه ، أرسل ملكا فلقطمه بجناحه ،
 فأرداه في التراب ، ونرجت على ركبته غُدة عظيمة في الوقت ، فعاد إلى بيت
 السلولة وهو يقول : غُدة كغُدة البعير ، وموت في بيت سلولة • ثم دعا بفرسه
 فركبه • ثم أبحراه حتى مات على ظهره •

قال : فرأى لبيد بن ربيعة أخاه أربد يجملة من المرائي ، فنها هذه الأبيات :
 قَسَّ اللَّبَانَةُ لَا أَبَاكَ وَأَذْهَبَ • وَالْحَقُّ بِاسْمِكَ الْكَرَامِ الْغَيْبِ^(١)
 ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَانِهِمْ • وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ يَحْكُمُ الْأَجْرِبِ^(٢)
 يَتَلَذَّذُونَ مِلَادَةً وَمِجَانَةً • وَيُسَابُ قَاتِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَتَّعِبِ^(٣)
 فَتَعَدَّ عَنْ هَذَا وَقُلْ فِي غَيْرِهِ • وَأَذْكُرْ شِمَائِلَ مِنْ أَيْحَ لَكَ مُعْجِبِ^(٤)

(١) كما في الأصول ، والمناسب أن يكون « قريبا » بألف الاثنين ؛ لقوله بد : « ألا قريبا » .
 (٢) أحمر : نرج إلى الصحراء . (٣) البائة : بقية الحالة . الأسرة هنا القوم . الغيب :
 الغائبون عنه . (٤) الأكثاف (جمع كثف) وهو الجانب يريد : في رعايتهم . والمخلف (بالفتح) :
 البديل ، يروى بالسكون وهو البقية ، والقسلا : شيهم يحكم الأجرب حتى يشنون من صحبوا كما يشن
 الجرب الجلد . (٥) كما البيت كما هو في الأصول ، وفي الديوان : « يتألون مائة وعشائة » . وفيه :
 • يتألون عيلة وملادة •

والهامة من الجبرن . وفي نسخة من الديوان : هامة من الحياة - وقوله : وإن لم يشعب ، أى لم يند
 والشعب : التفرق والهدم . وفي الديوان : وإن لم يشعب (بالتين) من الشعب وهو تهيج الشر .
 (٦) الشمايل : الطبايع ، واحدا شمال . ومعجب : يعجب من رأه وعائره •

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا * نَفْدَانُ كُلِّ أَيْحَ كَفَوُءِ الْكَوْكِبِ^(١)
 مِنْ مَعْقِرٍ مَتَّ لَمْ أَبَاؤُهُمْ * وَالْمَرْزُ لَا يَأْتِي بِفَسِيرٍ تَطْلُبِ
 يَا أَرْبَدَ الْخَيْرِ الْكَرِيمِ جُدُودُهُ * أَفَرَدْتَنِي أُنْثَى يَفْسِرُنِ أَعْصِي^(٢)

وقال أيضا فيه :

مَا إِنْ تُعْدَى الْمُنُونُ مِنْ أَحَدٍ * لَا وَاللَّهِ مُشْفِقِي وَلَا وَتَدِ^(٣)
 أَخْتَى عَلَى أَرْبَدِ الْخُتُوفِ وَلَا * أَرْهَبُ نَوَى السَّيَّكِ وَالْأَسَدِ^(٤)
 يَا عَيْنَ هَلَّا بَكَيتَ أَرْبَدَ إِذْ * قُنْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَكِيدِ^(٥)
 بِحَنِينِ الرَّعْدِ وَالصَّوَاعِقِ بَالِغَا * رِيسَ يَوْمِ الْعَكْرِبَةِ النَّجْدِ^(٦)

قال : وأزل الله عز وجل في هذه القصة : (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ
 جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٍ بِالْقِيلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ . لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
 خَلْفِهِ) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَحْفَظُونَهُ) يعني تلك المعقبات (من
 أمر الله) . ثم قال تعالى مثبرا لهذين : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يُقَوِّمُ حَتَّى يُغْيِرُوا^(٧)
 مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقْضِي شَيْئًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) .

٢١
١٦

(١) الرزية : الهيبة .

(٢) رجل أعصب إذا كان مجتهداً . والأعصب المكسور أحد قرنيه ؛ وهذا مثل أي ذهب حدى .

(شرح الديوان الطوسي) .

(٣) عدى : ترك . وفي رواية : « تعرى » بالراء ، والمعنى : لا تدعه عارياً من المصائب .

(٤) الختوف : جمع خف وهو الموت . النسو : المطر . السايك : مذلة من منازل الجود .
 والأسد أحد البروج الاثني عشر . (٥) الكبد (بفتحين) : المشقة .

(٦) الحنن : أصابني فجيعة وهي الهيبة ؛ يقول : أصابته صاعقة . يوم الكربة : أي الشدة

التي : البطل ذو النجدة .

(٧) آية ١٠١ سورة الزمر .

أى ملجأ يلجئون إليه . وقد قيل : ﴿ وَايَ ﴾ بلى أمرهم ، ويمنع المذنب عنهم . ثم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ . قال : ﴿ خَوْفًا ﴾ للأسافر يخاف أذاه ومثقتة . ﴿ وَطَمَعًا ﴾ للقيم يرجو بركته ومغفرته . ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيَسْجِعُ الرِّعْدَ بِحَمِيدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُخَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ ^(١) قال الحسن : شديد ^(٢) الحق .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : شديد الأخذ . وقد روى الثعلبي أيضا ، عن إسحق الجَنْظَلِي ، عن رِيحَان بن سعيد الشامي ، عن عباد بن منصور ، قال سألت الحسن عن قوله عز وجل : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ الآية .

قال : كان رجل من طَوَاغِيتِ العرب ، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم نَفَرًا ليدعوه إلى الله عز وجل ورسوله أن يؤمن ، فقال لهم : أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني إليه ما هو ؟ ويممُّ هو ؟ من ذهب أم فضة أم حديد أم نحاس ؟ فاستعظم القوم مقالته ، وأنصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالوا : يا رسول الله ، ما رأينا رجلا أكفر قلبا ، ولا أعتى على الله منه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجعوا إليه » فرجعوا إليه بفعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى وأخبث ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرجعوا إليه » فرجعوا ، فبيناهم عنده ينازعونه ويدعونونه ويُظْهِرون عليه ، وهو يقول هذه المقالة ؛

(١) آية ١٢ - ١٣ من سورة الرعد .

(٢) قال الراغب : أى الأخذ بالقوة ، وقيل . المحال من الخول والحيلة والميم فيه زائدة .

(٣) في تفسير الشنبي : « أوجب هذا إلى رب لا أراه ولا أعره ، فأنصرفوا إليه فقالوا : يا رسول

« زادة على مقالته الأولى » .

(١) إذ أرتفعت صحابة فكانت فوق رؤوسهم، فرميت و برقت فرمت بصاعقة فأحرق الكافر وهم جلوس ، بغاموا يسعون ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا لهم : أحرق صاحبكم . قالوا لهم : من أين علمتم ؟ قالوا : أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم الساعة : (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) الآية . والله أعلم في أيهما زلت .

ولنرجع إلى تمة خبر وفد عامر بن صمصمة .

قال محمد بن سعد في طبقاته : وكان في الوفد عبدالله بن الشخير، قال : يا رسول الله، أنت سيدنا، وذو الطول علينا . قال : «السيد الله، لا يستهويكم الشيطان» . قالوا : وقديم على رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن علاثة بن عوف ، وهوثة بن خالد بن ربيعة وأبنة ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أوسع لعلمة» فأوسع له ، فجلس إلى جنبه ، فقص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام ، وقرأ عليه قرآنا ، فقال : يا محمد ، إن ربك لكريم . رقد آمنك بك ، وبايعت على عكرمة بن حصيفة أمي قيس ، وأسلم هوذة وأبنة وابن أخيه .

وروى ابن سعد عن عون بن أبي جحيفة السوائي عن أبيه قال : قدم وفد بني عامر وكنت معهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدناه بالأبطح في قبة حمراء ، فسلمنا عليه ، فقال : « من أنتم » ؟ قلنا : بنو عامر بن صمصمة . قال : «مرحبا بكم أنتم ، وأنا منكم» .

ذكر وفد ثقيف وإسلامها وهدم الآلات

كان قدوم وفد ثقيف^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسلامها في شهر رمضان سنة صبح من مهاجرة .

قال أبو عبد الله محمد بن إسحق ، وأبو محمد عبد الملك بن هشام . وأبو عبد الله محمد بن سعد رحمهم الله ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض : لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف لم يحضر عروة بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة الحصار ، بل كانا يجرش^(٢) يتعلمان صنعة الرمايات^(٣) والمنجنيق والدبابات ، فقدموا وفد أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف ، فنصبوا المنجنيق والرمايات والدبابات وأعدوا للقتال ، ثم ألقى الله في قلب عروة الإسلام . فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع أثره . حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم ، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنهم قاتلك » فقال عروة : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبنائهم . قال : ففكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا ، فقال : « إن شئت فأخرج » فخرج ، وكان فيهم كذلك محبيا مطاعا ، فسار إلى الطائف ، فسار نحوها

- (١) ثقيف ، كاسم : أبو هذه القبيلة من هوازن ، واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوازن . والنسبة إليه ثقفي . ومقر ثقيف الطائف من بلاد الحجاز في عهده عليه الصلاة والسلام .
- (٢) مهاجرة : على صيغة اسم المفعول : أي موضع هجرة والمراد هجرة إلى المدينة .
- (٢) جرش ، كجرش : بخلاف ما بين من الأديم والإيل . (فاموس) .
- (٤) الرمايات ، جمع عرادة شد الزاد : شبه المنجنيق صيغة : والمنجنيق : آلة ترمي بها الحجارة فذلك الحصون . والدبابات جمع ذبابة منقذة : آلة تتخذ لغروب قدم في أصل الحصن فيقربها ويحرق جوفها ، وقد نظرت الدبابه أصبحت اليوم من أهم سلاح الحروب .

فَقَدِمَ عِشَاءً ، فَدَخَلَ مَتَرَهُ ، بِغَاءِ قَوْمِهِ يُحْيِيهِ نَجْيةَ الشَّرْكِ ، فَقَالَ : عَلَيْكُمْ نَجْيةُ
أَهْلِ الْحِجَةِ « السَّلَام » . وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِمِرُونَ بِهِ ، فَلَمَّا
طَلَعَ الْفَجْرُ أَوْفَى عَلَى عُرْفَةٍ لَهُ فَأَذَّنَ بِالصَّلَاةِ ، فَخَرَجَتْ تَقِيْفٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ،
فَرَمَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أَوْسُ بْنُ عَوْفٍ أَخُو بَنِي مَالِكٍ — وَقِيلَ : بَلْ هُوَ
وَهَبُ بْنُ جَابِرٍ رَجُلٌ مِنَ الْأَخْلَافِ — بِسَهْمٍ فَاصَابَ أَخْطَلَهُ^١ فَلَمْ يَرَقْ دَمُهُ ، فَقَامَ
أَشْرَافُ قَوْمِهِ ، وَهُمْ : غَيْلَانُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَكَثَّانَةُ بْنُ عَبْدِ يَالِيلٍ ، وَالْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو
ابْنُ وَهَبٍ ، وَوُجُوهُ الْأَخْلَافِ ، فَنَاصُوا السَّلَاحَ وَحَشَدُوا ، فَلَمَّا رَأَى عُرْوَةُ ذَلِكَ
قَالَ : قَدْ تَصَدَّقْتُ بِذِي عَلَى صَاحِبِهِ ، لِأَصْلَحَ بِذَلِكَ بَيْنَكُمْ ، وَهِيَ كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي
اللَّهُ بِهَا ، وَشَهَادَةٌ سَاقِيهَا اللَّهُ إِلَيَّ . وَقَالَ : آدِفُونِي مَعَ الشَّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاتَ فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ ، وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبْرَهُ فَقَالَ فِيهِ : « إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ لَكَيْتَلُ صَاحِبُ « يَس » دَعَا قَوْمَهُ
إِلَى اللَّهِ فَقَتَلُوهُ » .

قَالُوا : وَلَحِقَ أَبُو الْمَلِيعِ بْنُ عُرْوَةَ ، وَقَارِبُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنُ مَسْعُودٍ بِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْلَمَا ، فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَوَلَّيَا
مِنْ شَيْئَانَا » فَقَالَا : تَتَوَلَّى اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« وَخَالِكَا إِبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ » فَقَالَا : وَخَالَنَا إِبَا سُفْيَانَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ أَقَامَتْ تَقِيْفٌ بَعْدَمَا قُتِلَ عُرْوَةُ أَشْهَرًا ، ثُمَّ انْتَحَرُوا بَيْنَهُمْ ،
وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِمُحَرِّبٍ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ بَايَعُوا وَأَسْلَمُوا . وَكَانَ

(١) الْأَخْطَلُ لَا عَرَقٌ فِي وَسْطِ الْأَفْرَاحِ يَكْثُرُ فَتَصْدَهُ ، أَوْ هُوَ عَرَقُ الْحَيَاةِ بِدَمْعِ نَهْرِ الْبَدَنِ إِذَا نَطَعَ

مالك بن عوف قد أسلم كما قلنا في غزوة حنين ، وجعل يُفسر على سرحهم .
 قال : وكان عمرو بن أمية أخا بني عِلاجُ مهاجراً لعبدِ يَإِيلَ بن عمرو ، وكان من
 أَدهى العرب ، فشى إلى عبدِ يَإِيلَ بن عمرو حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن
 أخرج إلى ، فاستعظم عبدُ يَإِيلَ مشيه إليه ، وقال للرسول الذي جاءه : ويلك !
 أعمرو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وما هو ذا واقفا في دارك ، فقال : إن هذا
 لشيء ما كنت أظننه ، لعمرو كان أمتع في نفسه من ذلك ، وخرج إليه ، فلما
 رآه رَجِبَ به ، فقال عمرو له : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة ، إنه قد
 كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمت العربُ كلها ، وليست لكم
 بحرهم طاقة ، فانظروا في أمركم . فعند ذلك انتمرت ثقيفُ بينها ، وقال بعضهم
 لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سربٌ ، ولا يخرج منكم أحد إلا أقطع . فاجمعوا
 رأيهم أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، كما أرسلوا عُرْوَةَ بن
 مسعود ، فعرضوا ذلك على عبدِ يَإِيلَ بن عمرو بن عُمَيْر ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن
 يُصنَعَ به إذا رجع كما صنِعَ بعُرْوَةَ ، فقال : لست فاعلا حتى يرسلوا معي رجالا ،
 فاجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأَخلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فبعثوا معه الحكم بن
 عمرو بن وهب بن مُعْتَب ، وشرحبيل بن غَبْلان بن سَلَمَةَ بن مُعْتَب ، ومن
 بني مالك عثمان بن أبي العاص بن يَشْر أخا بني يَسَار ، وأَوْس بن عوف أخا بني سالم ،

(١) السرح : الساقة ترمى بنفسها ، سميت بالمصدر ؛ قال : مرحت الإبل وعت بنفسها ومرحتها ،
 يتعدى ولا يتعدى ، ومرحتها بالشيء بالغة والكثير .

(٢) مهاجر : مقاطع .

(٣) ياليل كما قيل : ضم أضيف إليه كعبه ينفث وعبد الفزى وليس باسم رجل إلا مضافا إلى الضم .

(٤) الهجرة : الهجر ضد الوصل .

(٥) العرب ، بالفتح : المشاة كلها ، والطريق ، وبالكسر النفس .

وَمُسِيرِينَ خَرَجَ بَنِي رَيْمَةَ أَخَا بَنِي الْحَارِثِ ، فَخَرَجَ بِهِمْ جَدُّ يَالِيلٍ وَهُوَ نَابُ الْقَوْمِ
وصاحب أمرهم .

وقال ابن سعد : كانوا بضعة عشر رجلاً ، وهو أثبت .

- قال ابن إسحق : فلما دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ وَزَلُّوا قَتَاةً^(١) ، أَلْقَوْا بِهَا الْمَغْيِرَةَ بَنَ شُعْبَةَ
بَرَى فِي تَوْبَتِهِ رِكَابَ أَحْمَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ رِجْمَتُهَا نَوْبًا^(٢)
عَلَى أَحْمَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُم تَرَكَ الرَّاكِبَ عِنْدَ الثَّقَفَيْنِ ، وَخَرَجَ يَشْتَدُّ لِبَشْرِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، فَقَبِضَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ
يَدْخُلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ رَكْبٍ تَقِيفُ أَنْ قَدْ قَدِمُوا
يُرِيدُونَ الْبَيْتَةَ وَالْإِسْلَامَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لَا تَسْبِقُنِي إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحْدِثُهُ ، فَفَعَلَ الْمَغْيِرَةُ . فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ خَرَجَ الْمَغْيِرَةَ إِلَيْهِمْ
فَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يُحِبُّونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بَهْجَةَ الْجَلْعَلِيَّةِ .
قال : وَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ
مَسْجِدِهِ — كَمَا يَزْعُمُونَ^(٣) — ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ مِنَ النَّاسِ يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى كَتَبُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَكَتَبَهُ خَالِدٌ بِيَدِهِ ، وَهُوَ :

(١) نَابُ الْقَوْمِ : صِدْعٌ وَكَبِيرٌ .

(٢) قَتَاةٌ : وَادٌّ بِالْهَدْيَةِ عَلَيْهِ حَرْتُ وَمَالٌ .

(٣) التَّوْبَةُ : جَمْعُ تَوْبَةٍ أَيْ تَخَارُيُونَ رَمِيًا .

(٤) يَشْتَدُّ : يَدْعُو . وَفِي آيِنِ هَتَامَ : « وَضُرِبَتْهُ » أَيْ وَبَّ يَدُو .

(٥) فِي الطَّبَقَاتِ : ضَرَبَ قُبَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ بِأَتَمِّهِمْ أَلْعَ وَلَيْسَ فِيهِ : كَمَا يَزْعُمُونَ .

وَلَا فِي شَرْحِ الْمَوَاقِبِ ، وَلَهُ أَرَادَ : كَمَا يَزْعُمُ الْمُتَوَضِّعُونَ .

« بسم الله الرحمن الرحيم من عهد النبي رسول الله ، إلى المؤمنين : إِنَّ عِصَاهُ وَجَّ^(١) وَصِيَّتَهُ [حرام] لَا يُعْصَدُ^(٢) ، مَنْ وَجِدَ فِضْلَ شَيْئٍ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُجَلِّدُ وَيُتْرَعُ ثِيَابُهُ ، فَإِذَا تَعَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُلْغَى بِهِ النَّبِيُّ — عِذَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ عِذَا رَسُولُ اللَّهِ . وَكُتِبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ بِأَمْرِ الرَّسُولِ عِذَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّهُ أَحَدٌ فَيُظْلَمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ عِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . »

قال ابن عسحق : وكانوا لَا يَطْعَمُونَ طعاماً يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ ، حَتَّى أَسْلَمُوا وَفَرَّغُوا مِنْ تَحَابِهِمْ .

٢٣
١٦

قال : وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يَدْعَ لَهُمُ الطَّاعِيَةَ وَهِيَ اللَّاتُ ؛ لَا يَهْدِيهَا ثَلَاثَ سَنِينَ ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَأَبْرَحُوا يَسْأَلُونَهُ حَتَّى سَأَلُوهُ شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ مَقْدَمِهِمْ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْعَهَا شَيْئًا مُسَمًّى . وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يَظْهَرُونَ أَنْ يَسْأَلُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سَفَهَاتِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَفِرَارِهِمْ ، وَيَكْزَهُونَ أَنْ يُرَوِّعُوا قَوْمَهُمْ بِهَيْبَتِهِمْ حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الْإِسْلَامُ . فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَالْمُخَبَّرَ بْنَ شُعْبَةَ فَيَهْدِيَاهَا . وَقَدْ كَانُوا سَأَلُوهُ مَعَ تَرْكِ الطَّاعِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهم مِنَ الصَّلَاةِ ، وَالْأَنْ يَكْتَسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا كَسَرُوا ثَانَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَسَنَفِيكُمْ مِنْهُ ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ إِلَّا صَلَاةً فِيهِ » . فَقَالُوا : يَا عِذَا ، فَسَوْتُكِهَا وَإِنْ كَانَتْ دَنَاءَةً . فَلَمَّا أَسْلَمُوا

(١) النساء ، جمع عصاة رخصة : وهي الشجرة العظيمة أو الخط أو كل ذات شوكة .

(٢) وج : موضع بناحية الطائف . وقيل : هو آسم جامع لحصونها . وقيل : آسم واحد منها يحتفل

٢٠ أَنْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ الْحِمْلِ . - النهاية . (٣) الزيادة من شرح المواهب .

(٤) عند الشجرة . (٥) في السيرة لابن هشام : « أَنْ يَسْأَلُوا » .

وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سناً، وكان أحرصهم على التَّقَهُ في الإسلام وتعلم القرآن، فقال أبو بكر الصديق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى عن عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثني على تَقْيِيفِ أَنْ قَالَ: « يَا عِثَانُ ؛ تَجَاوِزْ فِي الصَّلَاةِ وَأَقْدُرْ النَّاسَ بِأَضْعَفِهِمْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ » .

قال ابن إسحق: ولما توجهوا إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعْبَةَ فِي هَذِهِ الطَّاعِيَةِ، فخرجا مع القوم، حتى إِذَا قَدِمُوا الطَّائِفَ أَرَادَ الْمُغِيرَةُ أَنْ يُقَدِّمَ أَبَا سَفْيَانَ فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَدْخُلْ أَنْتَ عَلَى قَوْمِكَ . وَأَقَامَ أَبُو سَفْيَانَ بِمَالِهِ بِذِي الْحُدَيْمِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ بِنَ شُعْبَةَ عَلَاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمَعُولِ، وَقَامَ قَوْمُهُ بَنُو مُعْتَبٍ دُونَهُ خَشْيَةً أَنْ يَرْمَى أَوْ يُصَابَ كَمَا أَصِيبَ عُثْرَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَخَرَجَ نِسَاءُ تَقْيِيفِ حُسْرًا يَمْكِنُ وَيَقْتُلُنَ :

لَتُبْعَكَيْنَ دَفْعًا^(٤) . أَسْلَمَهَا الرِّضَاعُ^(٥)
لَمْ يَحْسِنُوا الْمَصَاعَ^(٦) .

(١) تجاوز: تدخل بسد الإطالة فيها؛ ولذا قال عليه الصلاة والسلام: « وأقدر الناس بأضعفهم » . أي أحمل الناس على رعاية الضعيف .

(٢) أهدم: بفتح هاء مكسر - يافتق عن الواقدي - فإنه قيل وراء وادي القرى، وفي نسخة من الأصمعي: بذى سرم وذئبته معنى . والمال عند أهل البدية الغنم . والمصباح: وهو المراد بأقام أبو سفيان بماله . (٣) حُسْرًا جمع حاسر: بضم هاء مكشورة والرسوس .

(٤) سموا اللات دفاع اعتقاداً منهم أنها هي التي تدفع عنهم الضرر .

(٥) الرضاع: القتل أو الذين رضعوا القوم من ثدي أمهاتهم .

(٦) المصاع: ضرب بالسيف .

قال : ويقول أبو سفيان بن حرب ، والمغيرة يضر بها بالقاس : وأهالك !
 أهلاك ! فلما هدمها المغيرة بن شعبة وأخذ مالها وحليها ، أرسل إلى أبي سفيان ،
 وحليها بمجوع ، ومالها من الذهب والخرق .^(١)

وقد كان أبو مليح بن عروة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضي عن
 أبيه عروة بن مسعود ديناً كان عليه من مال الطاغية . فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : « نعم » فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول الله فأقضه ،
 — وعروة والأسود أخوان لأب وأم — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « الأسود مات مشركاً » . فقال قارب : يا رسول الله : لكن يصل مسلماً ذا قرابة
 — يعني نفسه — إنما الدين على وأنا الذي أطلب به . فصر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية ؛ وأما جمع
 المغيرة مالها قال لأبي سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن
 تقضي عن عروة والأسود دينهما . فقضى عنهما .

قال المغيرة : فدخلت قيف في الإسلام ، فلا أعلم قوماً من العرب بنى أب
 ولا قبيلة كانوا أصح إسلاماً . ولا أجد أن يوجد فيهم عش لله ولكتابه منهم .

ذكر وفد عبد القيس^(٢)

قال محمد بن سعد : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين أن
 يقدم عليه منهم عشرون رجلاً ، فقدموا ، رأسهم عبد الله بن عوف الأنصاري ،

(١) في نسخة من نسخة ابن هشام : « وأهلك . آهالك » مكرراً بحسرة وموجع ، والله في الأصل
 معناه : فوسمنا ونحسرك أهلك .

(٢) الخرج فتح الجبل وكسره : الحزب الخلفي وهو الذي فيه يرضي سواد تشبه به الأعراب .

(٣) رسول إلى عبد القيس بن أسيد (أحد مهابه مفتوحة على وزن أعمى) بن دعي (أحد الدال
 وسكون النون وكسر الميم) بن حديبة بن زينة بن زار بن معد بن عدنان .

- وفيهما الجارود بن عمرو بن حنّش ، ومُعِذ بن حَبَّان وهو ابن أخت الأُشَجِّ ، وكان قدومههم عام الفتح ، فقيل : يا رسول الله ، هؤلاء وفد عبد القيس ، فقال : « مَرَجَبَا بِهِمْ نَحْمُ الْقَوْمَ عَبْدِ الْقَيْسِ » . قال : ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأفق صبيحة ليلة قَدِمُوا ، فقال : « لِأَتَيْنَ رَكْبٌ مِنَ الْمَشْرِقِ لَمْ يُكْرَهُوا عَلَى الْإِسْلَامِ ، قَدْ أَتَوْا الرِّكَابَ ، وَأَفْتُوا الزَّادَ ، بِصَاحِبِهِمْ عِلَامَةً ، اللَّهُمَّ أَغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ ، أَتَوْنِي لَا يَسْأَلُونَ مَالًا ، هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ » .

- قال : بلغوا في ثيابهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، فسلموا عليه ، فقال : « أَيُّكُمْ عَبْدُ اللَّهِ الْأَشَجِّ ؟ » فقال : أنا يا رسول الله . وكان رجلا دَمِيمًا ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « إِنَّهُ لَا يُسْتَقَى مُسَوِّكُ الرَّجُلِ » ، إنما يحتاج من الرجل إلى أَصْفَرِيَّةٍ لِمَا فِيهِ وَقَلْبِهِ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فِيكَ خَصْلَتَانِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ تَعَالَى » فقال عبد الله : وما هما ؟ قال : « الْحِلْمُ وَالْإِنَاءَةُ » . قال : أَشَيْءٌ حَدَّثْتُ أُمَّ جُبَيْلَ عَلَيْهِ ؟ قال : « بَلْ جُبِلَتْ عَلَيْهِ » . قال : وكان الجارود نصرانيا ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ورغبه فيه .

٢٤
١٦

- قال ابن إسحق : فقال يا محمد ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى دِينٍ ، وَإِنِّي تَارَكْتُ دِينِي لِدِينِكَ : أَتَقْضِيَنِي لِي دِينِي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَعَمْ ، أَنَا ضَامِنٌ لَكَ أَنَّ قَدْ هَذَاكَ اللَّهُ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ » . فأسلم وأسلم أصحابه .

- (١) في الطبقات : يسنق . واسنق واسنق واحد . (٢) مسوك (جمع مك بالفتح) : الحلد . (٣) هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ومعناه : إن المرء يطو الأورد ويضبطها بمجناه ولسانه . (٤) الحلم ، بالكسر : العقل ، والإناءة : اللوقار والتثبت في الأمور . قال الراغب : والإناءة التؤدة ، وتأتي فلان ثانياً وأتى يأتي فهو آن ، أي وقور .

قال ابن سعد : وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس في دار رَمْلَةَ بنت الحارث ، وأجرى عليهم ضيافة ، وأقاموا عشرة أيام ، وكان عبد الله الأختج يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفقه والقرآن ، وأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمواثر ، وفُضِّل عليهم عبد الله الأختج ، فأعطاه أثنى عشرة أوقية وفتًا ، ومسح صلى الله عليه وسلم وجه مُعْتَدٍ بن حَبَّان .

ذكر وفد بكر بن وائل

قال ابن سعد : قَدِم وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في الوفد بشير بن الخصاصية^(١) ، وعبد الله بن مرثد ، وحسان بن خُوَظ ، ولذلك يقول رجل من ولد حسان :

أنا ابنُ حسان بن خُوَظِ وأبي • رسولٌ بَشَّكَرَ كُلَّهَا إلى النبي

قالوا : وقَدِم معهم عبد الله بن أسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سدوس ، وكان ينزل اليمامة ، فباع ما كان له من مال باليمامة ، وهاجر وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجراب من تمر ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة . وحيث ذكرنا وفد بكر بن وائل فلنذكر خبر الأعشى .

(١) قيل له ابن الخصاصية نسبة إلى أمه . وكان اسمه زحر: فسماه رسول الله بشيرا . وقد أخذوا من نسبه ، فقيل بشير بن يزيد بن سعيد . وقيل : بشير بن سعيد بن شراحيل . (أمد الغاية) .
(٢) قاله بشير بن حسان الزابري . محل ، وقد شهد الواقعة مع أبيه ، وكانت راية بكر مع أخيه الحارث بن حسان قتل قيس فيه :

• انتهى الرئيس الحارث بن حسان •

ذكر خبر أعشى بن قيس

وآمداه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعه قبل لقائه

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي ،
 وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم ، أن أعشى بن قيس بن ثعلبة بن عكابة^(١)
 ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، نخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
 الإسلام ، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أَلَمْ تَقْتَمِضْ عَيْنَكَ لَيْلَةَ أَرَمَدَا • وَبَيْتَ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُهْدَاً^(٢)
 وَمَا ذَاكَ مِنْ عَشْقِ النِّسَاءِ وَإِلْمَا • تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ حُبَّةَ مُهْدَاً^(٣)
 وَلَكِنْ أَرَى الدَّمْعَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ • إِذَا أَصْلَحْتَ كَفَّائَ مَا دَفَقَا^(٤)
 كُھُولًا وَشَبَابًا قَدْتُ وَثَرَوَةً • فَلَيْلَ هَذَا الدَّمْعُ كَبَفَ تَرَدَا^(٥)

(١) هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة .
 وفي التاج : ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وفي بعض المراجع : شراحيل بن عوف الخ . ابن ثعلبة الحصن
 ابن حنيفة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن
 ربيعة بن تزار .

(٢) تقتض : استغفهم تقرر ، يخاطب نفسه تجريداً . وليلة أرمد : أي ليلة رجل ، أرمد :
 أفقر ، وتقوم أعطوا وعلكت مواشهم . ويرى : «وعاداك ما عاد السليم» ، والسليم : الدقيق قبل ،
 له نماز لا كافييل مغارة لفضلاء المهلكة ، والمهدد : القليل النوم أرقا ، أو الذي لا ينام .

(٣) يرى : « حلة » مكان « حبة » . مهذا : اسم امرأة ، يكفر ، والآلف للإطلاق .

(٤) يقول : إذا آنحطت مالا ومطغيت أخا جاء الدهر فذهب به .

(٥) الذي في الديوان (طبع أوروبا) وفي المتن لابن هشام : « شباب وشيب وانفقا وثروة » .

وما زلت أثنى المال مذ أنا يافع^(١) • وليداً وكهلاً حين شئت وأمرداً
وأبتذل العيس المراقيل تقتل^(٢) • مسافة ما بين الحجير قصر خداً^(٣)
ألا أبهذا السائل أين يممت^(٤) • فإن لها في أهل يرب موعداً^(٥)
فإن تسألني عن فيارب سائل • حتى عن الأعشى به حيث أصعداً^(٦)
أجدت يرطبها النجاء وراجعت^(٧) • يسداها خناً لينا غير أحرداً^(٨)
وفيها إذا ما هجرت عجرفية^(٩) • إذا خلت حرباء الظهيرة أبسيدا^(١٠)

(١) اليافع : الفلام الذي قارب الحلم • والوليد : الصبي • والكهل : الذي بلغ الأربعين ،
أوجاوز الثلاثين ، أو وسطه الشيب • والأحرد : الذي لا شعر على وجهه ، من تمر يد النسن ، وهو
نجر يده من الورق ، وضرب وليداً على أنه خير كان مقدرة • وفي هذا البيت إيلاء (مذ) الجلة الاسمية ،
وهو من الشواهد لهذا •

(٢) العيس : الإبل • المراقيل : المصرة • تقتل : قتال في السير • النجير كبير : حصن قرب
حضر موت • وصرخد : موضع بالشام • وروى : « وأبتذل العيس المراسيل » • وقال بعض : العيس :
الإبل البيض ، وهي ضرب من النجاش •

(٣) يممت : قصدت • يرب : المدينة المنورة على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام •
(٤) الحن : الذي يكثر السؤال في إلحاح • وأصعد : ذهب في الأرض • وأصعد أتي مكة ، وأصعد
انحد في الوادي •

(٥) أجدت : ملكت • والنجاء : المصرة في السير • الخفاف : لين في أرساغ البعر ، تقول له :
خفف البعر يخفف خنفاً إذا صار فقلب خف يده إلى جانب الأيمن • وأحرد ، بالحاء المهملة : الذي
يخبط يديه إذا صار • وهذا أحراس •

(٦) عجرفية : لا تسأل في سيرها لتساطها • وهجرت : دخلت في الهاربة • خلت : حبت •
الحرباء : وهي دوية تستقبل الشمس حتى تغرب كيفما داوت وافدة يديها ورأسها ، والظهيرة : وقت
الهاربة ، والأعيد : البعر الذي به الصيد ، وهو داء يأخذ الإبل في رومها فلا تزال وافدة رأسها •
يوصف ناته بهوج ولفة مبالاة لمرعتها •

وَأَمَّا إِذَا مَا أَدْبَلْتَ فَتَرَىٰ لَهَا • رَقِيقَيْنِ جَدِيًّا مَا يَنْبُ وَفَرَقَدَا^(١)
 فَأَلَيْتُ لَا أَرَىٰ لَهَا مِنْ حَكَلَالَةٍ • وَلَا مِنْ حَتَّىٰ حَتَّىٰ تُلَاقِي مَحْمَدًا^(٢)
 مَتَىٰ مَا تُتَابِعِي عِنْدَ بَابِ أَبِي هَاشِمٍ • تُرَاجِي وَتُلْقِي مِنْ قَوَاضِيهِ نَدَا^(٣)
 نَبِيٍّ يَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ • أَغَارَ لَمَسْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَعْجَدَا^(٤)
 لَهُ صَدَقَاتٌ مَا يُقْبُ وَثَائِلُ • وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَا يَنْعُهُ غَدَا^(٥)
 أَجِدُّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ عَمِيدٍ • نَبِيُّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَىٰ وَأَتَمَّدَا^(٦)

(١) أدبعت : سارت بالليل ، الجدى بالفتح : كوكب تعرف به النجبة وهو من نجوم بنات نض
 العنبرى ، ويقال له جدى القرد ، والقرد أيضا نجم يسمى به ، وجاء فى الشعر مفردا ومنى كذوله :

وكل أخ خافوه أخوه • لمسر أيسك إلا القردان

والقردان : نجمان فى السماء لا يهربان ، ولكنهما يلوطان بالجدى الذى هو من البروج • يصف ناقة بأنها
 سريعة السير إلى حد المروج بالبار ، وفى الليل تستمر سائرة الليل كدراغبة الوصول إلى الله الذى يهدى إلى الله
 عليه وسلم .

(٢) أليت : أمنت . ترى : أفهم . يرى : « لا أرى » وكلافة : ثعب وإعيا . والحفر
 (مقصود) : أنساج القدم من كثرة المشى يريد ناقة • « تلاقى » يرى : « تزور » .

(٣) أتاخ الجبل : يركب به يقال أتاخ الجبل نفسه ولا يقال تاخ . فى بعض الأصول : « زبرجى » ، من
 أراح : وجئت إليه نفسه بعد الإجهاد وصار قادراحة . فواضله : هى الأيادى الجسيمة أو الجبلية ، التى :
 الجرد ، ويرى : « يداه » أى قوة وإحسانا .

(٤) يرى هنا معنى علم أى يعلم ما لا تظنون . أغار : من القور وهو المنخفض من الأرض . وأعجد :
 من التجبد وهو ما ارتفع منها . يريد هم ذكره جميع البلاد .

(٥) ثقب : ثاق مرة وتثقب مرة ، يريد لا تنقطع . والثائل : الطاء الذى يئالك .

(٦) أجدك : أسخا ، وهو بالفتح والكسر وهو أنصح لا يقال إلاضانا ، قال الأصمى : معناه أجدك
 منك ، ونصبه يطرع إليه ، قال البيت : إذا كسر استغفه بحقيقته ، وإذا نصب استغفه بجهته ، وقال
 بعض : كأنما استغفه بوجهه . قال أبو حيان : إن الاسم المضاف حقه أن يناسب فاعل الفعل
 فى الخطاب والتكلم والفتية ، فعلى جدى وأجدك وأجده لأنه مصدر يؤكد الجملة التى بعده . والرساة : الوصاية .

إذا أنت لم ترتحل يزاد من التقي • ولاقيت بعد الموت من قد تزودا^(١)
 ندمت على ألا تكون كنيته • فترصد للأمر الذي كان أرصدا^(٢)
 فأياك والميتات لا تقربها • ولا تأخذن متهما حديدا^(٣) لتفصدا^(٤)
 ولا النصب المنسوب لا تنسكه • ولا تبسدا الأوثان والله فأعيدا^(٥)
 ولا تقرين جارة إن سرها • عليك حرام فأنتكهن أو تأبدا^(٦)
 وذا الرحيم القربى فلا تقطعنه • لماقية ولا الأسير المقيدا^(٧)
 وسبح على حين العيشات والضحى • ولا تمجد الشيطان والله فأحمدا^(٨)
 ولا تسخرن من بائس ذي ضارية • ولا تحسبن المال لقرء محمدا^(٩)

(١) الزاد : المخرج الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت . والزود : أخذ الزاد . قال تعالى :
 « وتزودوا فإن خير الزاد اتقوى » - (مفردات الراغب) .

(٢) نكته : الكاف زائدة . أرصد : أهد بالأمر عده ، والرصد : الاستعداد للربح ، ويرى :
 • وأنت لم ترصد لما كان أرصدا •

(٣) نكته : قطع عرق ليشخب الدم ، فكانوا في الجاهلية يفسدون لشرب الدم . وحذر الأمتى
 من « كل لجنة وشرب الدم » . (٤) انصب : الأصنام . والنسك : الذبيحة لها ، وكانوا يعفرون
 عندها ثم يصون رموسها بدم الفقيرة . ويرى : وذا « النصب » . ونصبه على التحذير . (٥) مرها :
 وطأها . • • • • • تعذب وتعطف من النساء . (٦) وفي الديوان بدل هذا البيت :

ولا السائل المحسوم لا تركه • لماقية ولا الأسير المقيدا

وفي شرح صيدة الأعدى (المخطوط رقم ١٧٣٦ أدب) : « فلا تقطعه لقاته » ومنه في حواشي الديوان
 (من أدب) . (٧) ويرى : « وصل » مكان « وسبح » والمعنى واحد ، كقوله تعالى :
 « يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال » « وعمل » لتطرية بمعنى « في » كقوله تعالى : « ودخل
 المدينة على حين غفلة من أهلها » أي في حين . (٨) البائس : الفقير الشديد الحاجة . الضارية : الضور
 وهو سوء الحال في البدن أو النفس أو المال ؛ قال الراغب : الضرسوء الحال إما في نفسه لفة العلم
 والفضل والفة ، وإما في بده لعدم جراحة أو قص وإما في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه . وفي القصيدة
 الخطية المذكورة آنفا . « ذي ضرورة » . ويرى :

• ولا تحسبن المرو يوما محمدا •

وانظروا اليقاء والهدام •

١٠

١٥

٢٠

٢٥

فلما كان بمكة أو قريبا منها ، أعترضه بعض المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسلم ، فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنى . فقال الأعشى له : والله إن ذلك لأمر مالى فيه من أريب . فقال : يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر . فقال : أما هذه فوالله إن في النفس منها لَعَلَّالَيْتَ^(١) ، ولكنى منصرف فأترونى منها عايمى هذا ثم أتيه فأُسلِم . فأُصرف فأت من عامه ذلك ، ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد تغلب

قال : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تغلب^(٢) ، وهم ستة عشر رجلا مسلمين ، ونصارى عليهم صُلب الذهب ، فقتلوا دارمطة بنت الحارث ، فصالح صلى الله عليه وسلم النصارى على أن يُقرهم على ذمتهم^(٣) ، على ألا يهتَبُوا أولادهم في النصرانية ، وأجاز المسلمين منهم بمواثرهم .

ذكر وفد حنيفة

قالوا : قَدِمَ وفد بنى حنيفة^(٤) على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بضعة عشر رجلا ، فيهم رجال بنى حنظلة^(٥) ، وسُلَيم بن حنظلة ، وطلح بن علي بن قيس ،

- (١) علالات (جمع علالة) : وهي البقية ؛ يريد بقايا من تعلق النفس بها .
 (٢) هم قوم من مشرك العرب طلبهم عمر بالجزية فأبوا أن يعطوها باسم الجزية وصالحوها على اسم الصدقة مضاعفة ، وروى أنه قال : هاتوها وسموها ما شئتم . والنسبة إليها تغلبى ، بكسر اللام على الأصل ، قال ابن السراج : ومنهم من يفتح التخفيف استغلا لا لئوال كسرتين مع ياء النسب (المصباح) . وتغلب هذا هو ابن وائل بن قاسط بن هب بن أضي بن دهمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن زاذ بن سعد بن عدنان .
 (٣) وفي : الطبقات «على دينهم» .
 (٤) بنو حنيفة : قبيلة كبيرة كانوا يزولون اليامة بين نجد والأحاف وهي أقرب إلى نجد لهذا عدوا معه ، ينسبون إلى جدهم حنيفة بن بليغ — بأبليغ — ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل .
 (٥) رجال ، كشادة . وفي التاج : «وهم من ضبط بالحاء المهملة» . وهو في الطبقات بالحاء .

وَمُحَمَّدُ بْنُ جَابِرٍ، وَعَلِيُّ بْنُ سَيَّانٍ، وَالْأَقْمَسُ بْنُ مُسَيْلِمَةَ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَمُسَيْلِمَةُ
ابْنُ حَبِيبٍ، وَهُوَ الْكَذَّابُ. وَعَلَى الْوَفْدِ سَلَمَى بْنُ حَنْظَلَةَ، فَأَتَوْا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ
الْحَارِثِ، وَأَجْرِيَتْ عَلَيْهِمْ ضِيَاةٌ. فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ،
فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَشَهِدُوا شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَخَلَفُوا مُسَيْلِمَةَ فِي رِحَالِهِمْ. وَأَقَامُوا أَيَّامًا
يَخْتَلِفُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ رَجُلَانِ مِنْ عُنْفُوَّةَ يَعْلَمُ
الْقُرْآنَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا أَرَادَا الرَّجُوعَ إِلَى بِلَادِهِمْ، أَمَرَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمُجَازَعَتِهِمْ: نَحْسُ أَوَاقٍ لِكُلِّ رَجُلٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
خَلَفْنَا صَاحِبَنَا فِي رِحَالِنَا يَبْصُرُهَا لَنَا، وَفِي رِكَابِنَا يَحْفَظُهَا عَلَيْنَا. فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْزِلٍ مَا أَمَرَ لِأَصْحَابِهِ. وَقَالَ: «لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا لِحَفَظَةِ
رِكَابِكُمْ وَرِحَالِكُمْ». فَقِيلَ ذَلِكَ لِمُسَيْلِمَةَ فَقَالَ: عَرَفَ أَنَّ الْأَمْرَ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ.
وَأَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ فِيهَا أَقْبَلُ طَهُورُهُ،
فَقَالَ: «إِذَا قَدِمْتُمْ بِلَادَكُمْ فَأَكْبَرُوا بِبَيْعَتِكُمْ، وَأَنْصَحُوا بِمَكَانِهَا بِهَذَا الْمَاءِ، وَأَتَّخِذُوا
مَكَانَهَا مَسْجِدًا» فَفَعَلُوا، وَصَارَتِ الْإِدَاوَةُ عِنْدَ الْأَقْمَسِ بْنِ مُسَيْلِمَةَ، وَصَارَ مُؤَذِّنُ
طَلْحَى بْنِ عَلِيٍّ، فَأَذَّنَ فَمَسَمِعَهُ رَاهِبُ الْبَيْعَةِ، فَقَالَ: كَلِمَةٌ حَقٌّ. وَهَرَبَ فَكَانَ
آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ. ١٥

ثُمَّ آذَى مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ بَعْدَ ذَلِكَ النَّبِيَّةَ، وَشَهِدَ لَهُ الرَّجُلُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَكَهُ فِي الْأَمْرِ، فَأَقْتَتَنَ النَّاسُ بِهِ. وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذَرَهُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَبْنُ سَلَمَةَ»، وَصَوَّاهُ سَلَمَةُ فِي الطَّبَقَاتِ وَمُنَاقَاتِ بَعْدَهُ. (٢) فِي طَبَقَاتِ:

«ابْنُ عَبْدِ عَمْرٍو». (٣) قَالَ شَارِحُ الْمَوَاحِبِ: «رَمْلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بِدَالٍ بَعْدَ الْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ لَا بُرَاءَ.

فَلَهَا أَلْفٌ، كَمَا قَالَ ابْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُ» قَالَ: «وَكُنْتُ دَارَهَا دَارَ الْوَفْدِ» - وَهِيَ أَنْصَارِيَّةٌ تَحْرِيكًا.

(٤) نَابِيَّةٌ: مُتَّبِعَةُ النَّصَارَى. (٥) ابْنُ عُنْفُوَّةَ الْمُتَقَدِّمَةِ.

ذکر وفد شیان

قال : وقَدِمَ من بَنِي شَيْبَانَ حُرَيْثُ بْنُ حَسَّانَ ^(١) ثِيَّابِي ، فَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَهَلَ قَوْمُهُ ، وَصَحَّيْهِ فِي مَسِيرِهِ إِلَى مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبِيلَةُ بَنْتِ حَمْزَةَ التَّيْمِيَّةِ ، وَهِيَ الَّتِي أَوَدَعْتَ مِنَ الْفَرَقِ لَمَّا أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهَا : « يَا سَكِينَةُ عَلَيْكَ السَّكِينَةُ » . [فَهَذَاتُ] .

رَوَى عَنْ قَبِيلَةِ بَنْتِ حَمْزَةَ أَنُهَا قَالَتْ : إِنَّ حُرَيْثَ بْنَ حَسَّانَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي تَيْمٍ بِالْأَهْنَاءِ لِيُحَازِرُوا إِلَيْنَا مِنْهُمْ إِلَّا مُسَافِرًا أَوْ مُجَازِرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا غَلَامُ أَكْتُبْ لَهُ بِالْأَهْنَاءِ » ، قَالَتْ قَبِيلَةُ : فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَمَرَ لَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ بِهَا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْكَ السُّوْيَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ سَأَلَكَ ، إِنَّمَا هَذِهِ الْأَهْنَاءُ عِنْدَكَ ، مُقِيدُ الْجَمَلِ ، وَصَرَّحَى الْفَنَمَ ، وَفَاءَ تَيْمٍ وَأَبْنَاؤُهَا وَرَاءَ ذَلِكَ . فَقَالَ [رَسُولُ اللَّهِ] : « أُمَيْكُ يَا غَلَامُ ، صَدَقْتَ الْمِسْكِينَةَ ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ يَسْمُهُمَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ ، وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفَنَنِ » . فَلَمَّا رَأَى حُرَيْثُ أَنَّ قَدْ حِيلَ دُونَ كِتَابِهِ ، ضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ، وَقَالَ : كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ

- (١) في أسد الغابة أن الصحيح أسمه الحارث بن حسان، وهو من ذهل بن شيان .
 (٢) وهي الصنيرة — لأن الغنم من تميم — وهذا هو الصحيح كما في أسد الغابة .
 (٣) الفرق، بالتحريك : الخوف، والرمدة : الاضطراب يصيب الإنسان من الخوف الشديد .
 (٤) في الأصول « مهاجرت » مكان « نهذات » والباقي لا يستقيم مع الأصول، ويؤيد ما أنشأنا
 ما في الطبقات . (٥) الدهان : ديار بني تميم، تقصر وتمدهي من أكثر بلاد الله كلاً* .
 (٦) في الطبقات : فلما رأيته أمره أن يكتب له بها يخص في وهي وطني وداري فقلت انث .
 (٧) مقيد الجبل : أي أنها خصبة عمرة ، واجبل يقيد فيها ويحمل لا يشدق مرثمة .
 (٨) زيادة فقتضيا السابق . (٩) القتان في الحديث ، يروي بالقلم والفتح ، قالهم جمع
 قاتن، أي يمارن أحدهما الآخر على القرن يضلون الناس عن الحق ويفتنوهم ، وناقض مفرد وهو الشيطان
 لأنه يفتن الناس عن الدين ، وهذا من أئمة المائفة في الفتنة .

[كما قيل ^(١)] : « حَفَفَهَا تَحْمِلُ ضَانٌّ بِأُغْلَانِهَا » ^(٢) فقلت : أَمَا وَاقِعٌ أَنْ كُنْتُ لَدَيْلًا فِي الظُّلُمَاءِ ، جَوَادًا بِذِي الرَّحْلِ . عَفِيقًا عَنِ الرَّقِيقَةِ ، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْ لَا تُلْسِنِي عَلَى حَقِّي إِذْ سَأَلْتَ حَقَّكَ . فَقَالَ : وَمَا حَقُّكَ فِي الدُّهُنَاءِ لَا أَبَاكَ ؟ ! قُلْتُ : مُقَيَّدَ جَمَلٍ تَسْأَلُهُ لَجَلِ أَمْرَانِكَ ! قَالَ : لَا بَرَمَ ، إِنِّي أَشْهَدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّكَ أَخٌ مَا حَبِيبُ إِذْ أَثْبِتَ هَذَا عَلَى عِنْدِهِ . فَقُلْتُ : [أَمَّا ^(٣)] إِذْ بَدَأَتْهَا فَلَنْ أَضِيعَهَا . وَحَدِيثُ قَبِيلَةٍ فِيهِ طَوْلٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ .

(١) الزيادة من الطليقات .

(٢) هذا مثل ؛ يقول في جمع الأمثال نيداني : يضرب إن يوقع قصه فيهلكه . ومثله أن رجلاً وجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فصرى بأغْلَانِهَا الأرض ، فظهر سكين فذبحها به . وهذا المثل طرث ابن حسان الشيباني تحتل به بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لقبيلة التميمية ، وكان حرباً أهلها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله إصْلَاحَ الدُّهُنَاءِ ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلت فيه قبيلة ، فعنده قال حرب : كنت أَمَا وَأَنْتَ كَأَقِيلِ : « حَفَفَهَا تَحْمِلُ ضَانٌّ بِأُغْلَانِهَا » ضَانٌّ فَاعِلٌ تَحْمِلُ وَحَفَفَهَا مَفْعُولٌ .

(٣) في الطليقات : « أَثْبِتَ » .

(٤) الزيادة من الإصابة .

ذكر وفادات أهل اليمن

ذكر وفد طيئ وخبر زيد الخليل وعدي بن حاتم

قالوا : وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيئ خمسة عشر رجلاً :
 راسم ، وسيدهم زيد الخليل بن مهلول ، من بني تيهان ، وفيهم وذر بن جابر بن
 سدوس التيهاني ، وهو قاتل عنترة ، وقبيصة بن الأسود بن امر من جرم طيئ ،
 ومالك بن عبد الله بن خبيري من بني معن ، وقعين بن خلف من جديلة ،
 ورجل من بني بولان ، فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ،
 فقبلوا روادحهم فناء المسجد ، ثم دخلوا فدعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا وأجازهم بخمس أواق فضة لكل رجل منهم ،
 وأعطى زيد الخليل أمتي عشرة أوقية ونشاً . وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ذكر
 لي رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد الخليل ، فإنه
 لم يبلغ كل ما كان فيه » .

وتماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « زيد الخير » وقطع له قبيصة وأرضين
 معه ، وكتب له بذلك كتاباً ، فخرج مع قومه راجعاً ، فقال رسول الله صلى الله

- (١) في أسد الغابة والإصابة : وزيد بن سدوس - إلا أن الإصابة نقل فيها عن الرضا طي : وزيد بن
 جابر . وعنترة الذي قتله هو العباسي المشهور . ونقل عن أبي الفرج أن وزر هذا الحق بالثام وتنصر ومات
 على ذلك . (٢) خبيري ، ففتح الراء وألف مقصورة ابن أطل بن سلفة بن غم بن ثوب بن معن .
 (٣) فعين ، كزبير من القمن وهو ارتفاع في أرتبة الأنف وقصر فاحش في الأنف مندوف الطبقات
 ابن خليف بالتصغير . (٤) جديلة ، من قبائل طيئ ، وهي أم جندب وجود ، يعرفون بأههم .
 وفي الطبقات : « ابن جديلة » وليس صحيح لما رأيت . (٥) هو بولان بن عمرو بن النوث من طيئ .
 (٦) فية مثال بيج : منزل في نجد بطريق مكة من المراق . وفي التاج : « قال البيهقي كان قديلاً فلاة
 في الأرض بين أد وطئ في الجاهلية ، فلما قدم زيد الخليل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أضله يده » .

عليه وسلم : « إِنَّ بُنَجَ زَيْدٍ مِنْ عُمَى الْمَدِينَةِ قَاتُهُ » ، فلما آتته زَيْدٌ مِنْ بَلَدٍ نَجَدٍ إِلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِهِ يُقَالُ لَهُ قُرْدَةٌ أَصَابَتْهُ الْحُمَّى فَتًا ، فَعَمِدَتْ أَمْرَانَهُ إِلَى مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ لَهُ حَقْرَتَهُ بِالنَّارِ .
هَذَا مَا كَانَ مِنْ خَيْرِ زَيْدِ الْخَلِيلِ .

وَأَمَّا عَيْدَى بْنُ حَاتِمٍ فَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَثْعَنَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْفِلَسْ - صَمَّ طَيٍّ - لِيَسُدَّهُ وَيُشْنِ الْفَارَاتِ ، فَخَرَجَ فَأَغَارَ عَلَى حَاضِرِ آلِ حَاتِمٍ ، وَأَصَابُوا أَبْنَةَ حَاتِمٍ ، كَمَا قَدَّمْنَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي الْفَزَوَاتِ وَالْأَسْرَايَا ، فَقُدِّمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبَايَا طَيٍّ . وَقِيلَ : إِنَّمَا سَبَايَاهَا مِنْ خَيْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلٌ كَانَ عَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَهَرَبَ عَيْدَى بْنُ حَاتِمٍ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ .

حَكِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : كَانَ عَيْدَى بْنُ حَاتِمٍ يَقُولُ - فِيمَا بَلَغَنِي - :
مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَمِعَ بِهِ مَسْنًى ، أَمَّا أَنَا فَكَنتُ أَمْرًا شَرِيفًا ، وَكَنتُ نَصْرَانِيًّا ، وَكَنتُ أَمِيرًا

- (١) فِي فَرْقِ الْمَوَاحِبِ : يَتَاء . « يَنْجُ » قَعُولُ (وَأَنْ) جَاذَةً ، أَيْ قَاتَهُ لَا يَصَابُ بِسَوْءٍ كَأَقْدَرِهِ بَعْضُ ، أَوَّلُهُ يَصْبُهُ خَرُورٌ ، يَتَاءُ أَنْ جَوَابَ الشَّرْطِ مَعْنُوفٌ تَقْدِيرُهُ : قَاتَهُ لَا يَصَابُ بِسَوْءٍ . وَلَمْ يَقْدِرْ فِي الْإِصَابَةِ الْمَوَاحِبُ كَأَنَّهُ أَكْبَرُ بِمَوْضُوعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَصَابَتْهُ الْحُمَّى بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ قُرْدَةٌ فَتًا . (٢) هَكَذَا بِالْقَافِ وَالْوَاوِ وَالرَّاءِ فِي فَرْقِ الْمَوَاحِبِ : « فَرْدَةٌ بِالْقَافِ الْمَفْتُوحَةِ وَالْهَاءِ الْمَمْلُوءَةِ يَنْهَارًا . سَاكِنَةٌ ثُمَّ تَاءٌ ، تَأْنِيثٌ » . رَاجِعْ مَعَكُمْ يَأْتُونَ ، فَهِيَ بَسْطٌ فِي الْخِلَافِ بِالْقَافِ . أَوْ بِالْقَافِ ، وَتَحْدِيدُ الْمَكَانِ فِي ج ٣ ص ٨٧١ (طَبْعُ أُرْدُبَا) . (٣) الْفِلَسُ بِكسر القاف . وَسُكُونُ الِلامِ هُوَ بَسْطُ الْقَافِ ، وَفِي يَأْتُونَ بضم القاف ، وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى أَنَّهُ يَنْجُ الْقَافُ . (رَاجِعِ الْأَصْنَافَ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ ص ١٥ وَص ٥٩ طَبْعُ دَارِ الْكُتُبِ) . (٤) اسْمُهَا سَفَاةٌ ، يَنْجُ السِّينَ الْمُهْمَلَةَ وَشَدَّ الْقَافَ . ثُمَّ أَهْلُ فَنُونِ وَتَاءِ التَّأْنِيثِ . وَالسَّفَاةُ : الْقُرْؤَةُ ، وَكَانَ حَاتِمٌ يَكْنَى بِهَا ، وَيُقَالُ : هُوَ أَجْرَدُ مِنْ أَبِي سَفَاةٍ .

- في قومي بالقرابح ، أي أخذ منهم رُبْعَ مَفَاتِحِهِمُ التي يضمنونها ، وكنت في نفسي على دين ، وكنت تملك في قومي لما كان يُصَنِّعُ بي ، فلما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم كرمته ، قلت لنفلامي كان لي عربي ، وكان راعيا لإبل : لا أبا لك ! أعدد لي من إبلي جمالا ذُلَّلا سَمَاءًا فَأَحْبِسْهَا قَرِيبًا مِنِّي ، فإذا سمعتُ بجيوش محمد قد وطئ هذه البلاد قَادَتْني . فقُلْتُ ، ثم إنه أتاني ذات قَدَاة فقال : يا عَدِي ، ما كنت صائمًا إذا غَشِيَتْكَ خَيْلٌ عِدٍ فَأَصْنَعِ الْآنَ ، فإني رأيتُ رايَاتٍ فسألتُ عنها فقالوا : هذه جيوش عِدٍ . قلتُ : تقربُ إلى أجمال . فقربها فاحتملتُ بأهلي وولدي ، ثم قلت : أَلْحَقْ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَى بِالشَّامِ ، فسلكتُ الْجَوْشِيَّةَ - ويقال الجَوْشِيَّةُ ^(١) - وَخَلَقْتُ بَيْنَا لِحَاتِمَ فِي الْحَاضِرِ ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الشَّامَ أَقْبَلَتْ بِنَا ، وَتَحَايَنِي خَيْلُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَبَّ ابْنَةُ حَاتِمَ فِيمَنْ أَصَابَتْ ، فَقَدِمَ بِنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَبَايَا طَيْيٍّ ، وَقَدْ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَرَبِي إِلَى الشَّامِ ، قَالَ : لَبِئْتَ ابْنَةُ حَاتِمَ فِي حَفْظَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتْ السَّبَايَا تُحْبَسُ فِيهَا ، فَرَبَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَغَامَتْ إِلَيْهِ ، وَكَانَتْ أَمْرًا جَلِيلَةً ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْكَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الْوَأْفَدُ ، فَأَمْنٌ عَلَيَّ ، مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ . قَالَ : « وَمَنْ وَأَفَدُكَ » ؟ قَالَتْ : عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمَ . قَالَ : « الْفَارِزُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » ؟ ! . قَالَتْ : ثُمَّ مَضَى وَتَرَكَنِي ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدَمِ مَرَّ بِي فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ ، قَالَتْ : حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ النَّدَمِ مَرَّ بِي وَقَدْ يَكُونُ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنَّ قَوْمِي فَكَلَّمَنِي ،

(١) كذا في الأصول وابن إسحق ، والذي يستفاد من معجم بلقيوت أنها بالثين أو بالسين (راجعهم

في الجوشية) . (٢) الحظيرة : ما أحيط بالثي . سواء كان من عشب أو قصب .

(٣) الجزيرة من النساء : التامة الخلق .

قالت : فقمْتُ إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هَلَكَ الوالدُ ، وغاب الوافدُ ، فأمنُنْ عليَّ ، مَنْ الله عليك . فقال : « قد ضَلُّتُ فَلَا تَسْبِلْ بِمَجْرُوحٍ حَتَّى تَجِدَهُ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ يَكُونُ لَكَ نَفَقَةٌ حَتَّى يَبْلُغَكَ إِلَى بِلَادِكَ ثُمَّ أَذِنِي » فسألتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ كَتَبَنِي ، فقبل عليَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ ، قالت : فافقتُ حَتَّى قَدِمَ رَكَبٌ مِنْ بَنِي أَوْ قُضَاعَةَ ، قالت : وإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أُنْحَى بِالشَّامِ ، فبُغِتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت : يا رسول الله ، قد قدمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي ، لِي فِيهِمْ نَفَقَةٌ وَبِلَاغٌ ، قالت : فكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَلَنِي وَأَعْطَانِي نَفَقَةً فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ ، قَالَ عِدِي : فَوَاقَهُ إِنِّي لَقَاعِدٌ فِي أَهْلِ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى طَلْعِنَةٍ تَصُوبُ إِلَيَّ تَوْقِنَا ، قَالَ : قُلْتُ ابْنَةُ حَاتِمٍ ، فإِذَا هِيَ هِيَ ، فَلَمَّا وَقَفْتُ عَلَى أَنْسَلَحَتْ تَحْشُولُ : الْقَاطِعُ الظَّالِمُ ، احْتَمَلْتُ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، وَتَرَكْتُ بَقِيَّةَ وَالِدِيكَ عَوْرَتِكَ ! قَالَ : قُلْتُ : أَيُّ أُخْتِي ! لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا ، فَوَاقَهُ مَا لِي مِنْ عَذْرَا ، لَقَدْ صَنَعْتَ مَا ذَكَرْتَ . قالت : ثُمَّ زِلْتُ فَأَقَامْتُ عِنْدِي ، فقلتُ لَهَا وَكَانَتْ أَمْرَاءَ حَازِمَةٍ : مَاذَا تَرَيْنَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ قالت : أَرَى وَاقَهُ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا ، فَإِنْ يَكُنِ الرَّجُلُ نِيًّا فَلْيَسْأَلْنِي إِلَيْهِ فَضْلُهُ ، وَإِنْ يَكُنِ مِلِكًا فَلْنِ تَدِلْ فِي عِزِّ الْبَيْتِ ، وَأَنْتِ أَنْتِ . قَالَ : قُلْتُ وَاقَهُ إِنْ هَذَا الرَّأْيُ . فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَسَأَمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : « مَنِ الرَّجُلُ ؟ » فقلتُ : عِدِي بَنُ حَاتِمٍ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَانِي بِي إِلَى بَيْتِهِ ، فَوَاقَهُ إِنَّهُ لِمُسَامِدٌ بِي إِلَيْهِ إِذْ لَقِيْتُهُ أَمْرَاءُ ضَعِيفَةٌ كَثِيرَةٌ

(١) بِلَى وَقُضَاعَةُ ، أَرَوَّةٌ وَاحِدَةٌ ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : « بِلَى عَلَى فَعِيلٍ : قَبِيلَةٌ مِنْ قُضَاعَةَ وَالْبَيْتَةِ

الْبَيْتِ بِلَى » . (٢) تَصُوبُ : تَقْصِدُ .

(٣) فِي سِيَرَةِ ابْنِ هِشَامٍ : « أَنْسَلَحَتْ » ، أَيُّ اخْفَتْ فِي الْوَرَمِ ، وَصَفَتْ فِيهِ مَجْدَةٌ .

فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها . فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك . قال : ثم مضى حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدوم محشوة ليفا فقفدها إلى فقال : « وأجلس على هذه » . قلت : بل أنت فاجلس عليها ، قال : « بل أنت » فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ، فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك . ثم قال : « يا بني يا عدي بن حاتم ألم تنك رَكُوسِيَا ؟ » قلت : بلى . قال : « أولم تنك قسيري قومك بالمرباع » ؟ قلت : بلى ، قال : « فإن ذلك لم يك يَحْمِلُ لك في دينك » . قال : قلت أَجَلُ والله ، وعرفتُ أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل ، ثم قال : « لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المسأل يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم . وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن يسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن يسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » . قال عدي : فأسلمت . فكان عدي يقول : قد ضت أثنان و بقيت الثالثة . والله لتكونن ؛ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تمسح هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة ؛ ليفيضن المسأل حتى لا يوجد من يأخذه .

٢٨

١٦

(١) في النهاية : « قال لعدي بن حاتم لك من أهل دين يقال هم الركوسية » . هو دين بين النصارى

والصابئين .

(٢) كانوا في المجاهدة إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا أخذ الرئيس ربع الفدية خالصا دون أصحابه ،

وذلك الربع يسمى الرباع . وقد سبق تفسيره .

ذكر وفد نجيب

قال ابن سعد : قَدِمَ وفدٌ نَجِيبٌ^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من مهاجرة ، وهم ثلاثة عشر رجلاً ، وساقوا صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ، فَمَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وقال : « مَرَحَباً بكم » وأكرم مترسماً وجيَّاهم ، وأمر بلالاً أن يُحَسِّنَ ضيافتهم وجوائزهم ، وأعطاهم أكثر مما كان يُعْجِزُه الوفد ، وقال : « هل بقي منكم أحد » قالوا : غلام خلفناه على رجالنا وهو أحدنا سينا . قال : « أرسلوه إلينا » فأقبل الغلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إني أمرؤ من بني أبناء الوهط الذين أتوك آنفاً ، فقضيت حوائجهم فأقضى حاجتي ، قال : « وما حاجتك » قال : تسأل الله أن يغفر لي ويرحمي ويعمل غناي في قلبي . فقال : « اللهم أغفر له وأرحمه وأجل غناه في قلبه » . ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم ، ثم أقفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم^(٢) بمعى في سنة عشر ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلام ، فقالوا : ما رأينا مثله أفتح منه بما رزقه الله .

(١) نجيب ، بضم القوفية وتفتح وكسر الجيم ونحبة ساكنة وموحدة : بطن من كعدة يسبون إلى جذعهم العليا نجيب بنت ثوبان بن سليم من مذبح ، وهي أم أبدي بن عدي (الواهي) .
(٢) معى : قرية بين مكة وعرفات فيها روى الجمرات والذبح في مناسك الحج والمبيت ليلة عرفة وهي ليلة الوقوف — ومنى كإلى ونصرف أى تنون .

ذكر وفدِ خولان

- قال: قَدِمَ وَفْدُ خَوْلَانَ^(١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شَعْبَانَ مِائَةِ عَشْرٍ، وَهُمْ عَشْرَةُ ضُرَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مُصَلِّقُونَ بِرَسُولِهِ، وَنَحْنُ عَلَى مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ آبَاطَ الْإِيلِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَلَّ عَمِّي أَنَسٌ» صَتَمَ لَهُمْ، فَقَالُوا: بَشِّرْ وَعَمْرُؤُ^(٢) أَبَدَلْنَا اللَّهَ بِهِ مَا جِئْتَ بِهِ، وَلَوْ قَدْ رَجَعْنَا إِلَيْهِ هَدْمَهُ. وَمَالُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، فَعَمِلَ يُخْبِرُهُمْ بِهَا، وَأَمَرَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ، وَأُتْرِلُوا فِي دَارِ رَمْلَةٍ بِنْتِ الْحَارِثِ، وَأُجْرِيَتْ عَلَيْهِمُ الضِّيَافَةُ، ثُمَّ جَاءُوا بَعْدَ أَيَّامٍ يُودَعُونَهُ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَازِ ثِيَابِي عَشْرَةَ أَوْقِيَّةٍ وَنَشْ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَلَمْ يَحْمِلُوا عَقِيدَةً حَتَّى هَدَمُوا عَمِّي أَنَسٌ. وَمِنْ أَسْلَمَ مِنْ خَوْلَانَ أَبُو مُسْلِمٍ التَّخُولَانِيُّ الْعَابِدُ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ، وَلَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَلَهُ خَبَرٌ عَجِيبٌ مَعَ الْأَسْوَدِ الْعَمِّيِّ، نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) خولان أبو قيسلة، وخولان اسمه فكل بن عمرو. وفي سيرة ابن هشام: «خولان بن

عمرو بن الحلاف بن قصافة».

(٢) اسمه في كتاب الأصنام ص ٤٣: «عميان». وهذا الصم بأرض خولان، كان يلقب من خولان يسمون لهذا الصم من أنعامهم وروثهم قبا يشبه وجه الله بزعيمهم، فساد دخل في حق (عم أنس) من حق الله الذي سماه تركوه له، فما دخل في حق الله من حق (عم أنس) ودوره عليه، وفيهم أزل الله: «وبسلفاه عما ذرأ من الحرث والأشام نصيبا» الآية.

(٣) المر (فتح البين وضحا): الجرب، وهو أبيض داء يلى قوس العرب لذا علقوه على الشرب.

(٤) في التهذيب وغيره أنه من عباد أهل الشام وزهادهم. والتخلاف في اسم أبيه موجود.

ذكر وفد جعفي

قال ابن سعد : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جعفي^(١) ، وهما قيس بن سلمة بن شراحيل ، وسلمة بن يزيد ، وهما أخوان لأم ، وأمهما مليكة بنت الحلو بن مالك ، فاسلما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني أنتم لا تأكلون القلب » وكانوا يُحرمون أكْلَه ، فقالا : نعم ، قال : « فإنه لا يكل إسلامكم إلا بأكله » ودعا بقلب فشوى ، ثم تأوله سلمة فلما أخذه أرعدت يده فقال له : « كُله » فأكله ، وقال :

سَلَّيْتُ أَكَلْتُ الْقَلْبَ كَرَمًا ۖ وَرَعُدُ حِينَ مَسَّتْهُ بَنَانِي

ثم قال : يا رسول الله ، إن أنا مليكة بنت الحلو كانت تفك العاني ، وتطعم اليأس ، وترحم المسكين ، وأنها ماتت وقد وأدت بنة لها صغيرة ، فاحلها ؟ قال : « الوائدة والمعوذة في النار » فقاما مُقْضِيَيْن^(٢) ، فقال : « إلى فارجماء » فقال : « وأتى مع أمتكأ قايسا ومضيا ، وهما يقولان : والله إن رجلا أطعمنا

(١) جعفي (ككسى) : ابن سعد الشيرة بن طحج .

(٢) الرأد ، من صفات الجاهلية : وهو قتل الجارية دفن وهي حية ، وسميت مويودة لما يطرح عليها

من القرب فيودها — أى يحلقها — حتى تموت . راجع ج ١٠ ص ١١٧ و ج ١٩ ص ٢٣٠ قرطبي .

(٣) الذى ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في منار المشركين : « سألت ربي ألا يذهب الإلهين

من ذرية البشر فأعطانهم » وقوله : « وسألت ربي فأعطاني أولاد المشركين خدما لأهل الجنة » وذلك أنهم

لم يدركوا ما أدرك آباؤهم من الشرك والله لا يظلم أحدا ولا ينفيب إلا بسد التكليف ، ولأنهم في الميثاق

الأول . ولعل هذا الحديث — إن صح — قاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير بدم تعذيب الأتقال .

(٤) هذا يأتى ما روى أن والده صلى الله عليه وسلم ماتت على الخنيفة ، وأنها اعترفت بيمت ابنها

بالإسلام من عند الله ، وأنها نهت عن الأصنام وموالاتها ، وهذا من التوحيد ، وقد روى أنه صلى الله

عليه وسلم أحبا الله له أبويه فأتاه ، وإن صح هذا فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله

عالى له : « ولست بملك ربك قرضى » راجع شرح المواعظ ج ١ ص ١٩٩

القلب ، وزعم أن أمتنا في النار لأهل آل أبيّ ، فلما كان ببعض الطريق ،
لقيا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه إيل من إيل الصدقة ،
فأوثقاه وطردا الإيل ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فظنهما فيمن كان يلين
في قوله : « لن الله رجلا وذكوان وعصبة ولحيان وأبنا ملىكة » .

- قال محمد بن سعد : وقدم أبو سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي على
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبناء سبرة وعزيز فأسلموا . وسمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عزيزاً عبد الرحمن . وقال له أبو سبرة : يا رسول الله : إن يظهر كفى
سلة قد منحنى من خطام راحتي ، فدعا بهدح ، وجعل يضرب به على السلة
ويمسحها فنهبت ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يئسه ، فقال :
يا رسول الله ، أقطني وادي قوى باليمن ، وكان يقال له جردان فضل ، قال :
• وعبد الرحمن هذا هو أبو خثمة عبد الرحمن .

٢٩
١٦

ذكر وفد مراد

قالوا : قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً
للملوك كندة ومباعدا لهم ، وقال في ذلك :

- (١) رجل وذكوان : قتيان باليمن من سليم ومنها عصبة ، أما لحيان فن هذيل .
(٢) والدي في أسد الغابة : « عبد العزيز » فباه صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن فقال : « إنه
من خيار أئمانكم إن سميت عبد الله وعبد الرحمن » . أما الطبقات فها : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعزير ما أسبك فقال عزيز ، قال : « لا عزيز إلا الله أنت عبد الرحمن » راجع ج ١ ص ٦٢ .
(٣) السلة : خراج كهية السدة تحرك بالتحريك ، قال الأخطا : هي دمم طليقة غير ملققة بالهم
يحرك عند تحريكه وله غلاف ، وقيل التزايد لأنها خاوية عن الهم (المصباح) .
(٤) جردان : كتمان باليمن : وادي من عمق . (٥) في أسد الغابة : « وقيل مسكة ،
ومسك أكثر » . (٦) نسبة إلى مراد بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ سمي مراد الترد
واسمه : بخابر ، وقيل : مراد من تزار .

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ * كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(١)
قَرَبْتُ رَاحِلِي أَوْمٌ مَحْمَدًا * أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ تَرَايِهَا^(٢)

وباع النبي صلى الله عليه وسلم ، ونزل على سعد بن عباد ، وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأثني عشرة أوقية ، وحمله على بعير وأعطاه حُلَّةً من نَسَجَ عُثْمَانُ ، وأستمع له على مُرَادٍ وَزُبَيْدٍ وَمَذْجٍ ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات ، وكتب له كتابا فيه فرائض الصدقة ، فلم يزل على الصدقة حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر وفد زَيْدٍ

قال ابن سعد: قَدِمَ وفد عمرو بن مَعْدَى كَرِبَ الزُّبَيْدِيَّ^(٣) على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، في عشرة نفر من زَيْدٍ ، فقتل على سعد بن عباد فأكرمه سعد وراح به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم هو ومن معه ، وأقام أياما ، ثم أجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنصرف إلى بلاده ، فأقام مع قومه على الإسلام ، وعليهم قُرُوءُ بَنِ مُسِيكٍ ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرتد ، ثم رجع إلى الإسلام ، وأبلى يوم القادسية وغيرها .

قال محمد بن إسحق : كان عمرو بن مَعْدَى كَرِبَ قد قال لقيس بن مَكْشُوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا لقيس ، إنك سيد

(١) النسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ، وهو مقصود منه هنا الشعر .

(٢) في الإضافة وأسد الغابة : « بعثت وراحتي » أَوْمٌ : أقصد . وقال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة :

* أَرْجُو فَوَاضِلَهُ وَحُسْنَ تَرَايِهَا *

(٣) عمرو بن معدى كرب بن عبد الله بن عمرو بن حصم بن عمرو بن زيد فارص العرب ، شهيد القادسية

قالوا : مات على فراشه من لسع حية .

قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد خرج بالهجاز ، يقال إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم عليه ، فإن كان نبيًا كما يقول فإنه لن يغني عليك ، إذا لقيناه أنبعثناه ، وإن كان غير ذلك علمنا عليه ، فأبى عليه قيس ، فركب عمرو ابن معدى كَرَبَ حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرا ونحطهم عليه ، وقال : خالفني وترك رأبي ، فقال عمرو في ذلك :

أَمْرُكَ يَوْمَ ذِي صَنَاءَ • أَمْرًا يَتَنَا رَشْدَهُ ^(٣)
 أَمْرُكَ يَأْتِيهِ اللَّهُ • يَهْتَبِيهِ وَيَتَعَبَّهُ ^(٤)
 فَكُنْتُ كَذِي الْحَمِيرِ غَرَّ • وَهَيَّمَا يَهْ وَيَنْدَهُ ^(٥)
 تَمَنَّى عَلَى قَرِيصٍ • عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدَهُ ^(٦)
 عَلَى مُقَاضَةٍ كَالْتَبْ • يَأْخُضُ مَاءَهُ حَنْدَهُ ^(٧)

(١) في سيرة ابن هشام : « فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه » .

(٢) تحطم عليه : تفلط غيظا .

(٣) في السيرة : بأدبا رشده . ويوم ذي صناء . يريد يوم صناء . و « ذي » زائدة وذلك في لسان العرب ، كما ورد الأزهري : كتبت ذي عمرو ، وكان ذو عمرو بالحيان ، يريدون كلام عمرو ، وكان عمرو بالحيان . وهذا من الدليل على إضافة « ذو » إلى الأعلام . راجع التاج (حرف ذو) . وقال أبو ذر الخثعمي في شرحه السيرة : « يوم ذي صناء موضع » وليس له ذكر في كتب المعاجم .

(٤) تهده : تفرقه .

(٥) التوت بالكسر : ما ثبت في الحائط أو الأرض من التراب ، وفي السيرة :

نحوت من التراب مثل ال • حصير غره وتده

(٦) تمنى : أراذق .

(٧) المقاضة : الدرع الواسعة . والقبى : القدير من الماء . والحداد (بالهاء المهملة) : المتع والمحبس .

وفي السيرة : جده — بالجيم — : الأرض الصلبة .

تَرُدُّ الرَّيْحَ مَتْنَى اللَّهِ • ثَلَاثَ عَوَاثِرَ قِصْدِهِ ^(١)
 قَلَوْ لَا قَتْنَى لَلْقَيْبِ • تَلَيْثًا تَوْقَهُ لِيَدِهِ ^(٢)
 تُلَاقِي ضَيْغًا ذَنْزَ الْ • بَرَاثِنِ نَاشِرًا كَيْدِهِ ^(٣)
 يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنٌ • يَمْنَمُهُ يَمْتَضِدُهُ ^(٤)
 يَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ • فَيَخْفِضُهُ فَيَقْصِدُهُ ^(٥)
 يَدْمَغُهُ فَيَخْطِطُهُ • فَيَخْضَعُهُ فَيَزْدِرِدُهُ ^(٦)
 ظَلُومُ الشَّرِكِ فَيَا أَحَدَ • رَزَزَتْ أَنْبَاهُ وَيَدُهُ ^(٧)

ذكر وفد كندة

قالوا: قَدِمَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَضْعَةِ عَشْرِ
 رَاجِمِينَ كِنْدَةً • قَالَ ابْنُ سَعْدٍ - وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فِي ثَمَانِينَ رَاجِمًا - فَدَخَلُوا عَلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ • وَقَدْ رَجَلُوا بِجَمْعِهِمْ وَتَكَلَّمُوا • عَلَيْهِمْ جُبِّبَ

- (١) قَصْدُهُ : بِالْكَسْرِ جَمْعُ قَصْدَةٍ : وَهُوَ مَا تَكْسِرُ مِنَ الرَّيْحِ • وَيُرْوَى : غَوَاثِرَ قَصْدِهِ ؛ أَيْ : مَتَابِرَةً .
 (٢) لِيَدِهِ جَمْعُ لَيْدَةٍ : وَهُوَ مَا عَلَى كَتِفِ الْأَسَدِ مِنَ الشَّعْرِ .
 (٣) الضَّيْغُ : الْأَسَدُ • وَيُرْوَى « شَيْتًا » وَهُوَ الْأَسَدُ أَيْضًا ، وَالَّذِي يَخْلُقُ بِقَرْنِهِ وَلَا يَزَالُهُ .
 وَالشَّنْ : الْعَلِيطُ الْأَصَابِعُ . وَالدَّارِثُ لِلْسَّبَاعِ كَالْأَصَابِعِ لِلْإِنْسَانِ . وَالنَّاشِرُ : الْمُرْتَفِعُ • وَالكَتْدُ :
 ذَنَبُ الْكَتِفَيْنِ . (٤) الْقِرْنُ بِالْكَسْرِ : الْكَفُّ • رَجَمَهُ : قَصَدَهُ ، وَأَخْضَعَهُ : أَحَضَهُ .
 (٥) أَنْصَدَهُ : قَتَلَهُ (٦) دَمَغَهُ : يَخْرِجُ دُمَاحَهُ • وَيَخْطِطُهُ : يَكْسِرُهُ • وَيَخْضَعُهُ :
 يَأْكُلُهُ • وَيُرْوَى « فَيَخْضَعُهُ » بِالْجَمْعِ وَهُوَ جَمَاعُهُمْ • أَزْدَرَدَهُ : أَكَلَهُ بِلَهَا . (٧) الشَّرِكُ :
 النَّصِيبُ وَالْحَظَّةُ . (٨) كِنْدَةُ بِالْكَسْرِ : لَقَبُ بِلَدِ هَذَا الْجَمْعِ مِنَ الْبَلَدِ وَهُوَ تَوْدُودٌ خَبِيرٌ .
 (٩) رَجَلُوا : سَرَحُوا ، وَاجْمَعُ : جَمْعُ جَهْدٍ : جَمْعُ الشَّعْرِ فِي نَاحِيَةِ الْإِنْسَانِ .

(١) الحجة قد كَفَّفُوها بالحري، وعلمهم الدِّياج ظاهرٌ مَحْصٌ بالدَّهَبِ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تُسلموا؟» قالوا: بلى، قال: «فما بال هذا عليكم؟» قال: فَشَقُّوه وألقوه، ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو أكل المَرَار، وأنت ابن أكل المَرار. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «تأسيبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث». قال: وكنا تاجرين، و[كانا] إذا شاعا في بعض العرب، فسطلا من هما، قالوا: نحن بنو أكل المَرار: يَتَعَزَّزان بذلك. وآكلُ المَرار هو الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية، وقد تقدم خبره في وقائع العرب. قال: ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، نحن بنو النَّضْر بن كَثانة، لا تَقْفُوا أَمَّا ولا تَقْنِي من أَيْبنا» فقال الأشعث بن قيس: يا مَعْشَرَ كِنْدَةَ، والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين. قال محمد بن سعد: فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم أجازهم بعشرة أواق، وأعطى الأشعث ثنتي عشرة أوقية.

٣٠
١٦

- (١) الحجة: ثوب يمانى من ظن أو كان مخطط، يقال على الأصف وعلى الإضافة. وكف الثوب: حاط حاشيته. (٢) محوص: مزين بصقاج من الذهب على قدر غوص النخيل. (٣) في شرح المراهب: «فما بال هذا الحري في أعناقكم فشَقُّوه». فرواية شرح المراهب مشعرة بأن كلمة «فشَقُّوه» أمر من رسول الله لم يخلاف ما هنا. (٤) هو جَدَّ أمرئ القيس كاساني، سمى بذلك كثرة كان به، والمراد بضم الميم: شجر مر من أفضل الشب وأخصه، إذا أكلته الإبل قلعت شافرها وهدت أسانها فصار كثانية لمن به كثير. وقيل: سمى بذلك لأن أبته كانت في سبي ذلك، فقالت له: كأنك أبى قد جاء، كأنه جمل أكل المرارة يبنى كثيرا من أياها، وقد ورد غير هذا في بعض الأخبار، فطرايح شرح المراهب وغيره. (٥) الزيادة من ابن هشام. (٦) في الأصول: فيزدان بذلك والخصوب من ابن هشام. وقوله: «يتعززان»: أى يتقويان بذلك. (٧) لا تقفوا: أى لا تنسب إلى أمتنا وتترك الانساب إلى أيتنا، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم له جدة من كندة وهى أم كلاب بن مرة.

ذكر وفد الصِّدْف

قال ابن سعد : وَقَدْ وَفَدَ الصِّدْفُ ^(١) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ بِضْعَةُ عَشْرَ رَجُلًا ، عَلَى قَلَانِصٍ ^(٢) لَهُمْ ، فِي أُرْزٍ وَأُرْدِيَةٍ ، فَصَادَفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنِ الْمِنْبَرِ ، بَغْلَسُوا وَلَمْ يُسَلِّمُوا فَقَالَ : « أَمْسَلُمُونَ أَيْتَمَ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : « فَهَلَّا سَلَّمْتُمْ » ، فَقَامُوا فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ، اجْلِسُوا » ، بَغْلَسُوا ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ فَأَخْبَرَهُمْ بِهَا .

ذكر وفد سعد هُدَيْمٍ

قال ابن سعد يرفعه إلى أبي النعمان عن أبيه قال : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا فِي نَقَرٍ مِنْ قَوْمِي . فَتَرْنَا نَاحِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ تَوَجَّهْنَا نَزَلْنَا الْمَسْجِدَ ، فَتَجَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ عَلَى جَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَانْصَرَفَ فَقَالَ : « مَنْ أَيْتَمَ ؟ » قُلْنَا : مِنْ بَنِي سَعْدِ هُدَيْمٍ ، فَارْتَدَّ وَأَرْبَدَنَّا ، ثُمَّ أَنْصَرَفْنَا إِلَى رِجَالِنَا ، فَأَمَرَ بَنِي قَاثِرِنَا وَصُفَيْفَنَا فَأَقْبَلْنَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ حَشَاهُ وَرَدَّاهُ . فَقَالَ : « أَمْسُرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ » وَأَمَرَ يَلَالَا ، فَأَجَازَنَا بِأَوَاقٍ مِنْ فِصَّةٍ ، وَرَحِمَهُ . إِلَى قَوْمِنَا فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ .

(١) الصِّدْفُ ، يَكْسِرُ الدَّالَ ، وَالتَّسْبِيَةُ إِلَيْهِ صَدَقَ بِفَتْحِهَا كَرَاهَةِ الْكُسْرَةِ قَوْلُ يَامُ سَعْدُ . وَهَذَا الْمَرْءُ مِنْ قِبَاطٍ حَضَرَمَوْتٍ . وَقَالَ : بِمَعْنَى : يَخْبِرُونَ إِلَى صَدَقَ بْنُ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ بَيْتِهِ .
(٢) قَلَانِصٌ سَبْطٌ . وَإِلَى هَذَا تَقَبُّلُ التَّعْدِيرِ الْمَدِينَةِ .
(٣) قَلَانِصٌ (جَمْعُ قَلَانِصٍ) : وَهِيَ الْمَاءُ الثَّابِتَةُ .
(٤) هُدَيْمٌ بِضَمِّ هَاءِهِ وَفَتْحِهَا إِلَى الْمَجْمُوعَةِ فَحَبَّةٌ قِيمَةٌ : هُوَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ لَكِنْ حَصَّهُ عَنْهُ دَاوُدُ أَيْتَمَ هُدَيْمٍ فَأَخْبَرَهُ إِلَى حَتَّى عَدَّ عَلَيْهِ .

ذكر وفد يلى

روى عن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْبَلَوِيِّ^(١) قَالَ : قَدِمَ وَفْدُ قَوْمٍ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَعٍ ، فَأَتَتْهُمْ عَلَى فِ مَقَرِّ بَنِي جَدِيلَةَ ، ثُمَّ خَرَجْتُ بِهِمْ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي بَيْتِهِ مِنَ الْغَدَاةِ ، فَتَقَدَّمَ شَيْخُ الْوَفْدِ أَبُو الضَّيِّبِ ، فَخَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَ وَأَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَ الْقَوْمُ ، وَسَالُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الضِّيَافَةِ ، وَعَنِ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَأَجَابَهُمْ ، ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِمْ إِلَى مَقَرِّ ، فَلَمَّا رَوَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنِّي [مَقَرِّ] يَجْعَلُ تَمَرًا يَقُولُ : « آسَعُنْ بِهَذَا التَّمَرُ » فَكَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ، ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُودِّعُونَهُ ، فَأَمَرَ لَمْ يَجْوَازُ كَمَا كَانَ يُجِيزُ الْوَفْدَ ، ثُمَّ هَجَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ .

ذكر وفد بهراء

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ عَنِ الْقَدِيمِ وَفْدُ بَهْرَاءَ مِنْ بَنِي الْيَمَنِ ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ عَشَرَ رَجُلًا ، فَأَقْبَلُوا يَقُودُونَ رَوَاحِلَهُمْ ، حَتَّى أَتَوْا إِلَى بَابِ الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو بَنِي جَدِيلَةَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَوَجَّهَ بِهِمْ وَأَتَزَلَّمُ ، وَأَتَوَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْلَمُوا وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَانْتَرُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ بَادُوا يُودِّعُونَهُ فَأَمَرَ لَمْ يَجْوَازُهُمْ ، وَأَنْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِهِمْ .

(١) على كسرى : نسبة إلى يلى بن عمرو بن الحارث بن قضاة .

(٢) عبارة الطبقات : « وهو جالس مع أصحابه في بيته في الغداة » .

(٣) في الطبقات : أبو الضييب . وفي شرح المواهب : أبو الضييب ممحمة مصدرة بلغة تصغير . ويروي بعضهم أبو الضييب بسين مهملة : ذكره القمحي .

(٤) الزيادة من شرح المواهب .

(٥) بهراء قريظة . ابن عمرو وأبو يلى بن عمرو ، ينسب إليه بهراء .

ذِكْرُ وَفْدِ عُدَّةٍ

قالوا : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدٌ عُدَّةٌ ، فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَنٍ مِنْ مُهَاجَرِهِ ، وَهُمْ أَتَانَا عَشْرَ رُجُلًا ، فِيمَ هِجْزَةِ بْنِ التَّيَّانِ الْمُتْرِي ، وَسَلِيمٍ وَسَعْدِ ابْنَيْ مَالِكٍ ، وَمَالِكِ بْنِ أَبِي رِيَّاحٍ ، فَتَزَلُّوا دَارَ رَمْلَةٍ بَنَتْ الْحَارِثُ ، ثُمَّ جَاءُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلُّوا بِسَلَامٍ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالُوا : نَحْنُ إِخْوَةُ قُصَيٍّ لَأُمِّهِ ، وَنَحْنُ الَّذِينَ أَخْرَجُوا خُرَازِمَةَ وَبَنِي بَكْرِ عَنْ مَكَّةَ ، وَلَنَا قَرَابَاتٌ وَأَرْحَامٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَهْلًا ، مَا أَمْرُ قُصَيٍّ بِكُمْ ، مَا مَنَعَكُمْ مِنْ تَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ ؟ »^(١) قَالُوا : قَدِمْنَا مَرْتَانَيْنِ لِقَوْمِنَا^(٢) . وَسَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَأَجَابَهُمْ فِيهَا ، فَاسْلُكُوا وَأَقَامُوا أَيَّامًا ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ ، وَأَمْرُهُمْ بِمُحَاطَرَةِ كَمَا كَانَ يُجِيزُ الْوَفْدَ ، وَكَسَا أَحَدَهُمْ بَرْدًا .

قال : وَوَقَدْ زَمَلَ بَيْنَ عَمْرِو الْمُتْرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُنْثَى يَقُولُ حِينَ وَقَدْ :

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ أَهَمَلْتُ نَفْسِي • أَكَلَفَهَا حَزَنًا وَقَوُوزًا مِنَ الرَّمْلِ^(٣)
لَأَنْصَرَّ خَيْرَ النَّاسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا • وَأَعَفِدُ جَبَلًا مِنْ جِبَالِكَ فِي حَبِلِ^(٤)
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ خَيْرُهُ • أَدِينُ لَهُ مَا أَتَقَلَّتْ قَدَمِي نَعْلِي^(٥)

(١) في شرح المواهب : « مرتانين لأقربنا ولقومنا » . والمترادف الطالب للنبي .

(٢) في أسد الغابة : « وقيل زمل بن ربيعة » وقيل زمل بن عمرو بن العزير بن خثاف .

(٣) نص الثالثة : أَسْتَفْرِجُ أَهْلِي مَا عَدَّاهُ مِنَ الْبَرِّ . والحسن (بالفتح) فالكون : ما غلظ من

الأرض . والقووز : المستدير من الرمل ، والكتيب المشرف .

(٤) مؤزرا : دائما شديدا . والحبل : العهد .

(٥) في الأصل : « رجل » والتصويب من الطبقات : يريد ما دامت حيا .

قال : وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمع من صَته ، فقال : « ذلك مؤمن الجن » وعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواءً على قومه ، فشهد به بعد ذلك صفة مع معاوية ، ثم شهده بالمرج قُتيل .

ذِكْرُ وَفْدِ سَلَامَانَ

- قال ابن سعد : وفد سبعة من سَلَامَانَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة عشر ، فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة ، فقالوا : السلام عليك يا رسول الله ، قال : « وعليكم [السلام] من أتم » ؟ قالوا : نحن من سَلَامَانَ ، قَدِمْنَا لِنُبَايَعَكَ على الإسلام ، ونحن على مَنْ ورائنا من قومنا . فَأَمَرَ ثوبان فَأَتَوْهُمْ حيث ينزل الوفد ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظُّهر جالس بين بيته وبين المنبر ، فَقَدِمُوا إِلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ .
- وعن ثورق فَأَجَابَهُمْ وَأَسْلَمُوا ، وَأَجَازَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ خَمْسَ أَوَاقٍ ، وَرَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ .

- (١) في الإصاحبة . « ودانك من نَزَمَى الجن » . (٢) صنفين كسعين : موضع على أممات قرب مكة مشهور ، لم يقصه ابن عسكروية رضي الله عنهما ، ولم يقل عمر بن مروه مع علي .
- (٣) هو مرج راهط : موضع في موضع من دمشق ، وفيه كانت الواقعة بين الصديق بن قيس ومروان بن الحجاج سنة ٤٦ قتل فيها الصديق ، واستقام الأمر لمروان ولديه من بعده .
- (٤) ذلك في شرح المواهب : « سَلَامَانَ يفتح المهلة وسعة اللاه : بطل من قضاعة يسبون إلى جدهم لأهل سَلَامَانَ بن سعد بن زيد بن لوث بن سود بن أسلم بن الحافظ بن قصاعة » .
- (٥) الزيادة من شرح المواهب . ثوبان : مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- هو ابن مجد وقيل ابن جهم . حبري من اليمن أو من السراة . أشراه رسول الله وأعتقه .
- (٧) دارودة بنت الحارث منزل الوفد . (٨) في شرح المواهب : « قال حبيب — وهو أحد أصحاب الوفد — وصأله عن رقة العين وذكرها فأذن له بها » .

ذكر وفد كلب

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو بن جيلة بن وائل بن إجلح الكلبى^(١) قال: شَخصْتُ^(٢) أبا عَصَامٍ - رجلٌ من بني رَقَاشٍ من بني عامر - حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ، فمرض علينا الإسلام فأسلمنا .

وقال بسند آخر إلى ربيعة بن إبراهيم الدمشقي قال : وَقَدْ حَارِثَةُ بْنُ قَطَنَ بْنِ زَائِرٍ بْنِ حِصْنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عُلَيْمٍ الْكَلْبِيِّ ، وَحَمَلُ بْنُ سَعْدَانَةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ مُقَلٍّ ابْنِ كَعْبِ بْنِ عُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا ، فَفَقَدَ لِحْجَلُ بْنُ سَعْدَانَةَ لَوَاهُ ، فَشَهِدَ بِهِ صِغْفَرٌ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَكَتَبَ لِحَارِثَةَ بْنَ قَطَنَ كِتَابًا فِيهِ :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا تَخَابَ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَهْلِ دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ طَوَائِفِ كَلْبٍ مَعَ حَارِثَةَ بْنِ قَطَنَ ، لَنَا الصَّاحِبَةُ

(١) بعضه ذُرَّةُ بْنُ إِصْبَاقَةَ : «عبد عمرو» وهو المنيادو، والبعض ذكره كما .

(٢) نسبة إلى درهم كلب بن وبرة (منج) أوادواو واحدة من قائل قضاء) .

(٣) عَصَام : هو ابن عامر الكلبى وهو الذى كان يقول اسك صم هم يقول له (عمره) تسمع صوت من يوجه هو وروى بن حيلة حتى أتوا رسول الله فأخبروه بما سمعوا ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا .

(٤) زَائِر : من يذهب ألف فباء فراء كذا ضبطه أسد الغابة ، وفي الأصول وابن سعد : زائر ونجى .

من وجه بهذا ، وقد : «بن كعب بن حصن» ومثله في الاستيعاب ، والأصول كلها على تقديم حصن .

(٥) حل بمهمه ودية مفتوحين ابن سعدانة بن حارثة بن مقل ، كذا في الإيضاح وأسد الغابة : مقل من عسقل .

ومعاوية . وهو في تحرير المدينة المنسوبة من الشام قرب حبل منى كانت به بؤنة من كلب . حيث يدعى الجندل لأن هذا الحصن مبنى بالجندل . (٧) الصاحبة : «الفاخرة البارزة من الهامة»

والجمل : النخل الذى شرب بالمعروف من الأرض من غير حق تقرب منها . والضاغة من الحبل : هو ما كان داخلًا في الباردة ونصته أمصارهم وقراهم . وفي هامش ج : «الصامة أى لا يذهب بغيره» .

من البعل، ولكم الضامنة من الثقل، على الجارية العشرة، وعلى الفاترة نصف العشر،^(١)
لا يجمع سارحكم، ولا تعد فاردتكم،^(٢) يقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة بحقها،^(٣)
[ولا يحظر عليكم] الثبات، ولا يؤخذ منكم عشر الثبات،^(٤) لكم بذلك العهد والميثاق،^(٥)
ولنا عليكم النصع والوفاء، وفضة الله ورسوله، شهد الله ومن حضر من المسلمين.

ذكر وفد جرم

قال ابن سعد: وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من جرم،^(١) يقال
لأحدهما: الأصقع بن شريم بن صريم بن عمرو بن رياح بن عوف بن عبيدة بن الحو^(٢)
ابن أعجب بن قدامة بن جرم [بن ربان] بن حلو^(٣) بن عمران بن الحليف بن قضاعة.^(٤)
(١) الجارية: التي تنسق بالماء الجاري، والثائرة: التي تنسق بالماء الثائر في الأرض كالآبار.

- وهذا كقولهم صلى الله عليه وسلم: «فيا حقت البلاء والأنهار والعيون العشرة» ويقاسق بالسواق أو التضع
نصف العشر - السواق جمع ساقية: البعير ينسق عليه من البئر، والتضع الماء الذي يستقى بالهدال.
وهي الهدال أو المنجوع. (٢) كذا في الأصول والطبقات. والساحج: الماشية التي تروح
بل الرعي، وهي الساقية، أي لا يجمع لأخذ الزكاة، وإنما تؤخذ منها في مراعيها متفرقة، أو الخطاب
لمجموعهم، أي لا تنضم سوائهم بعضهم إلى بعض عند الزكاة. وفي النهاية: «لا تعدل سارحكم
أي لا تصرف ما شديتكم عن مرضى تريد». (٣) القادة: هي الزائدة على القرصة،
أي لا تنضم إليها فخصه معها وتحبب (النهاية)، وفي الأصول والطبقات: «لا تعدل فاردتكم»
وهو تصحيف ربما أشتبه عن النهاية وغيرها. (٤) الزيادة من الطبقات، أي لا تمتحن من
الزكاة حيث شئتم. كذا في النهاية، والذي يخادع أن المعنى لا تمتحن من الرعي حيث شئتم مما هو ليس
حق لأحد لقادة: المباح لمن سبق إليه، وهذا من الأصول المربعة، فالحديث بقورها.

- (٥) الثبات: هو المانع الذي ليس عليه زكاة مما لا يكون لتجارة. (٦) جرم: بفتح الجيم
نسبة إلى جدهم جرم بن ربان (بالاء الموحدة المشددة). (٧) الأصقع بالسين المهملة
كما في الإجابة وأسد الغابة، وفي الأصول والطبقات بالصاد. (٨) رياح بكسر الراء والياء تحتها
فظتان كما في مسند أحمد والإصابة. (٩) الزيادة من الطبقات، وقد ضبطه بالراء والياء.
وقد تقدم أنه ربان الموحدة التحية قبلها زاء كما في الاشتقاق وأبو موسى.
(١٠) الحلاف: مما حذف العرب زاءه فجاء بالكسرة، كقولهم الحاص في الحاصي.

والآخر: هُوَ بَنُو عمرو بن زيد بن عمرو بن رِيَّاح، فأُسلِموا وكتبَ لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً .

وروى عن أبي زيد - وقد قيل فيه إلباء الموحدة أبو بريد - عمرو بن سَليمة الجرَومِيُّ أن أباه وقصراً من قومه، وفدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم الناس، وتعلَّموا القرآن وقصَّروا حوائجهم، فقالوا: يا رسول الله من يُصلِّي بنا، أو لنا؟ فقال: «يُصلِّي بكم أكثركم جمعاً» - أو أخذاً - للقرآن . قال: بلغوا إلى قومهم فلم يجدوا فيهم أحداً أكثر أخذاً، أو جمع من القرآن ما جمعتُ، أو أخذتُ، قال: وأنا يومئذ غلامٌ على شِمْلَةٍ، فقدموني فصليتُ بهم، فما شهدتُ بجمعاً من بَرَمٍ إلا وأنا إمامهم إلى يومى هذا .

٢٢
٩

وعن عمرو بن سَليمة أيضاً قال: كنا بحضرة ما عُمِّرَ الناس عليه، وكنا نسأله، ما هذا الأمر؟ فيقولون: رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ، وأن الله أرسله، وأن الله أوحى إليه كذا وكذا، فبلغتُ يومئذ لا أسمع شيئاً من ذلك إلا حفظته، كأنما يُقرئ في صدري بفراء، حتى جمعتُ فيه قرأنا كثيراً، وكانت العرب تُلوم بإسلامها الفتنح، يقولون: أنظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق، وهو نبيٌّ . فلما جاءت وقعةُ نَجْعٍ ما در كل قوم من إسلامهم، فأُطلق أبي بإسلام حوائثنا ذلك، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يُقيم، ثم أُقبل فلما دنا منَّا تَنَزَّاه . فقال: جئتكم والله من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً، ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا،

(١) في أسد الغابة: «يؤمكم أقرؤكم» .

(٢) في الطبايات: في «شِمْلَةٍ»، والشِمْلَةُ كناية عن بؤرة .

(٣) يقرئ: يلقن به، يقال: قرئ هذا الحديث بالكسر يقرئ بالفتح كأنه ألحق بالمرء .

(٤) لوم أي تكفر، أراد تلوم بحذف إحدى التائين تحقيفا .

- وبنهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا،
إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآنا . فظهر أهل حواننا^(١)
فما وجدوا أحدا أكثر قرآنا مني للذي كنت أجفله من الرُجُلان ، فقدموني بين
أيديهم ، فكنْتُ أصلي بهم وأنا ابنُ ستِّ سنين^(٢) ، وكان علي بُرَّةٌ كنْتُ إذا سجدتُ
تقلعتُ عني^(٣) ، فقالت امرأة من الحَيِّ : ألا تقطعون عنا آستَ قارنكم ؟ فكسَوْنِي
قيصا من معقد البحرين^(٤) ، فما فرحتُ بشيء أشد من فرسي بذلك القميص .
ومن رواية أخرى عنه : فناموني الركوع والسجود ، فكنْتُ أصلي بهم .

ذِكْرُ وَفْدِ الْأَزْدِ وَأَهْلِ جُرَشْ

- قالوا : قدم صُرْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ^(٥) فِي بَعْضَةِ عَشْرِ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ ، وَفَدَا
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَلَّوْا عَلَى قُرَّةَ بَنِ عَمْرٍو ، وَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْلُجُوا ، وَأَقَامُوا عَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَ صُرْدُ أَفْضَلَهُمْ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بِهِمْ مَنْ يَلِيهِ ، مِنْ أَهْلِ
الشَّرْكِ مِنْ قِبَالِ الْيَمَنِ ؛ فَخَرَجَ حَتَّى تَزَلَ جُرَشْ^(٦) وَهِيَ مَدِينَةُ حَصِينَةٍ مُفَلَّقةٌ ، وَهِيَ

- (١) الحوا . (بالهاء المهملة وواو ممدودة) : بيوت مجتمعة من الناس على
(٢) في أحد النسخة عن عمرو : قال أئمت قري على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام ابن
ست أو سبع سنين . (٣) تقلعت : انزوت . (٤) الخفد : ضرب من يود هجر ،
وهي من قري البحرين معروفة بهذه البرود ، كما عرفت هجر المدينة بقلها ، فيقال : قلال هجر .
(٥) الأزْد : هجرة مفتوحة وزاى ساكنة ودال مهملة ، ويقال بالسبغ لتقارب تخرجهما إلا أن
المشهور الأول ، والأزد من أكبر الأروامات القحطانية ، وهم ثلاثة : أزد عمان ، وأزد شونة ، وأزد
السراة . وجرش (كوف) : بخلاف من اثنين ؛ أى ناحية ، ومدينة أيضا . (٦) هذه المدينة
ينسب إليها جلود ونوق ، فيقال : أديم حرشي وثاقه جرشية ؛ فثبت جرش سنة عشر من الهجرة صاعدا .

قِبَالُ من قِبَالِ الْيَمَنِ . وقد صَوَّتَ إِلَيْهِمْ خَضَمٌ ؛ فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم صُرْدَ ومن معه فيها شهرا ، ثم رجع قَائِلًا ، حتى إذا كان إلى جبل لسم يقال له شَكْرٌ ، ظَنَّ أَهْلُ بَرْشٍ أَنَّهُ إِنَّمَا وَلَّى عَنْهُمْ مِنْهُمْ ، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه صَفَّ صُفُوفَهُ ، وحمل عليهم هو والمسلمون ، ووضَعُوا سيوفهم فيهم حيث شَاءُوا ، وأخذوا من خيلهم عشرين فرسا ، فقاتلهم عليها نهارا طويلا .

وكان أَهْلُ بَرْشٍ بمِثْرَ رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرَادَانِ وَيَنْظُرَانِ ، فبينا هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عِشِيَّةً بعد العصر ؛ إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَأَيِّ بِلَادِ اللَّهِ شَكْرٌ ؟ » فقامَ الْبَرْشِيَّانِ فَقَالَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بِلَادُنَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ كَثْرٌ ، وكذلك نَسَمِيهِ أَهْلُ بَرْشٍ ؛ فقال : « إِنَّهُ لَيْسَ بِكَثْرٍ وَلَكِنَّهُ شَكْرٌ » ، قَالَا : فَا شَانَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « إِنَّ بَدْنَ اللَّهِ لَتُنْتَحِرَ عَنْهُ الْآنَ » قال : بَخَسَ الرَّجُلَانِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ : أَوْ إِلَى عُمَرَ^(١) . فقال لهما : وَيَحْكَا ! . رسول الله صلى الله عليه وسلم الْآنَ لَيْتَنِي لَكُمَا قَوْمِكُمَا ، فَدُومَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَسَلَا . أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْ قَوْمِكُمَا . فقامَا إِلَيْهِ فَسَلَاهُ ذَلِكَ . فقال : « اللَّهُمَّ أَرْفَعْ عَنْهُمْ » فخرجَا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رَاحِمِينَ إِلَى قَوْمِهِمَا ، فوجدَا قَوْمَهُمَا قَدْ أَصِيبُوا مِنْ صُرْدٍ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، فَقَصَا عَلَى قَوْمِهِمَا الْقِصَّةَ ، فَفَرَّجَ وَفَدَمَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمُوا ، فقال : « مَرْحَبًا بِكُمْ ،

(١) ضوى إليه : انضم وبلغا ، وعظم من قبائل اليمن ، قالوا : إنها من مدني عدنان نزحوا إلى اليمن فصاروا منه .

(٢) هذا شك من ارأوى . والبراءة في المواهب : « إلى أبي بكر وعمران فقالا لها ... » الخ .

أحسن الناس وجوهاً، وأصدقهم لقاءً، وأطيبهم كلاماً، وأعظمهم أمانةً، أتم مني وأنا منكم « وجعل شعارهم مبروراً، وحتى لم يمتي حول قريتهم، على أعلام معلومة للفرس والراحلة ولقثيرة — بقرة الحوت — فن رعاة من الناس فثالة تحت^(١١) .

ذكر وفد غسان

قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بكير النخعي^(١٢)، عن قومه من غسان، قالوا : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ عَشْرِ الْمَدِينَةِ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نَمِرٌ، قَرَلْنَا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، ثُمَّ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمْنَا وَصَدَّقْنَا، فَأَجَازَهُم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَوَائِزٍ وَأَنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ، فَتَقِيمُوا عَلَى قَوْمِهِمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، فَكَتَبُوا إِسْلَامَهُمْ حَتَّى مَاتَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ مُسْلِمِينَ^(١٣)، وَأَدْرَكَكَ ثَلَاثُ عُمَرَاءَ مِنْ خَطَّابِ عَامِ الْيَوْمِ، فَتَقَى أَبُو عَيْدَةَ نَجْبَرَهُ بِإِسْلَامِهِ فَأَكْرَمَهُ .

٣٢
١٠

ذكر وفد الحارث بن كعب

وما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم

قال ابن سعد : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في أربعمائة من المسلمين ، في شهر ربيع الأول سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران^(١٤) ،

(١) كذا في جميع الأصول والطبقات ، وقطع الناس وضع الجميع : كالنوم والرهط والنفر ؛ يصح جمع ضميره وإفراده ونذكيره وتأنيته . (٢) أعلام (جمع علم) : وهو الفصل بين الأرضين . (٣) ماله تحت : هــو . (٤) في الطبقات : « عن قومه غسان » . (٥) هكذا في الأصول والطبقات ، واللفظ حال من التركة بدون مسوغ ، وقد ورد في البخاري : « وصل ورواه رجال قيات » . (٦) في الطبقات : « فكان يكره » . (٧) بنجران ابن ؛ وهو موضع من ناحية مكة ، قالوا : سميت بنجران بن زيد بن سبيل لأنه نزل بها ، وكانوا بنو نصرانية حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رعى بنجران هذا وقت حادثة أصحاب الأخدود .

وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً قبل أن يقاتلهم ففعل ، فاستجاب له من
 هناك من بليغ بن كعب ، ودخلوا في الإسلام ، ونزل خالد بن الوليد بين
 أظهرهم ، فسلمهم الإسلام وشراكتهم ، وكتب الله وصية نبيه صلى الله عليه وسلم ،
 وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى خالد : « أن يشرهم وأنيزهم وأقدمهم ومكهم وفدعهم » ، فقدم خالد
 ومعه وفدكم ، فمهم قيس بن الحصين ، ويزيد بن عبد المطلب ، وعبد الله بن
 عبد المطلب ، ويزيد بن الحارث ، وعبد الله بن قرايد ، وشاذ بن عبد الله الصائغ ،
 وعمر بن عبد الله ، وأزلم خالد عليه ، ثم جاءهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند » ؟ فقبل : بنو الحارث بن كعب ،
 فسلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 رسول الله ، فجازهم بمشراوات ، وأجاز قيس بن الحصين بأعق عشرة أوقية
 وثمن ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن الحارث ، ثم أنصرفوا إلى
 قومهم في بقية شوال . هذا ما حكاه ابن سعد في طبقاته .

وقال ابن إسحق : لما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ، وقالوا :
 نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتم
 الذين إذا زُجروا استقدموا » ؟ فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ، فأعادها عليهم
 الثانية والثالثة ، فلما أعادها الرابعة قال يزيد بن عبد المطلب : نعم يا رسول الله ، نحن
 الذين إذا زُجروا استقدموا ، فلما أريج مرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) العرب يقولون في بني المياس : بليغ ، وفي الحارث بليغ ، وفي العرب بليغ ، وذلك
 طلباً للتخفيف . (٢) كذا في الأصيل والطبقات ويروى فداة ، وفي الإضافة : قرايد ، وقرايد ،
 ويروى عبد الله بن قريظ . (٣) المراد : إذا حنوا وحملوا على القتال نادوا ونحموا وتقدموا .

« لو أن خالد لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رموسكم تحت أقدامكم »
 فقال يزيد بن عبد المطلب: أما والله ما جئناك ولا جئنا خالدًا قال: « فمن جئتم؟ »
 قالوا: جئنا الله الذي هدانا لك يا رسول الله. قال: « صدقتم »، ثم قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: « بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ » قالوا: لم تكن
 تغلب أحدًا. قال: « بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم » قالوا: كنا نغلب من قاتلنا
 يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق، ولأنبدا أحدًا بظلم، قال: « صدقتم ».
 وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن الحارث قيس بن الحصين، وأجازهم
 عشير أواقي عشر أواقي، وأجاز قيس بن الحصين بأثني عشرة أوقية ونش، ثم انصرفوا
 إلى قومهم في بقية شوال، أوفى صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا
 إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يست إليهم بعد أن ولي وقدم
 عمرو بن حزم ليقفهم في الدين ويعلمهم السنة، ويعلمهم الإسلام، ويأخذ منهم
 صدقاتهم. وكتب له كتابا وهو:

« بسم الله الرحمن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله ^(١) يا أيها الذين آمنوا أوفوا
 بالعقود ^(٢) عهد من محمد النبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمرو بن حزم حين

(١) هكذا في الأصول والله في شرح المواهب: معالم الإسلام. وفي الطبقات: « يعلمهم الإسلام
 وشرائعه ».

(٢) العقود (جمع عقد): وهو العهد استعير من الجمع بين أطراف الشيء، قال الراغب: يستعمل ذلك
 في الأجسام الصلبة كمقد الحبل وعقد البناء، ثم استعير ذلك لما في نحو عقد البيع والعهد - والعهد:
 الأمان - والمواثيق والعهود. والآية شاملة لكل ارتباط شرعي بين طرفين فيجب الوفاء به بما أمر الله، وكذلك
 « عقده على نفسه لله من عادات ملة الإسلام كالصوم وغيرها، أما ما لا يجوز كذبح بعضه فقد
 دل رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من نذر أن يبيع الله فليعلمه ومن نذر أن يبيعه فلا يبيعه ».

بعثه إلى ابنى أمره بتقوى الله في أمره كله **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** ، وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله ، وأن يشر الناس بالخير ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى الناس ، ولا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويحبر الناس بالذي لم والذى عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويستد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : **﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** . ويشر الناس بالجنة ويعملها ، ويُنذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، وأجر الأكبر ، وأجر الأصغر هو الصمة ، وينهى الناس أن يصل أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهى أن يعتبى أحد في ثوب واحد يقضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يقص أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدماء إلى القتال والمشار ، ولكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القاتل والمشار فليقطعوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده .

(١) **يَسْتَأْذِنُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَكْتُمُ حُكْمًا وَيَكْتُمُ حُكْمًا وَيَكْتُمُ حُكْمًا** . (٢) **الْأَحْزَابُ** .

الإنسان رجل . إن طه ثوب بجمعها به مع ظهره ويشد عليها ، وقد يكون الاحتباء بالدين عرض الثوب ، ويأمن به . لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدل عورته . (النهاية) .

(٣) **عَصَ الشَّعْرَ** : صفره ، قال في التباية : أصل المقص الثي وإدخال أطراف الشعر في أصوله ، وبه حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « الذي يصل ورأسه معقوس كالذي يصل وهو مكوف » أراد أنه إذا كان شعره مشورا حلق على الأرض عند الجود يعطى صاحبه ثواب السجود به ، وإذا كان مقروضا صار في معنى ما لم يسجد ، وشبهه بالمكوف وهو المشدود البدين لأنها لا تضام على الأرض في السجود .

(٤) **الْهَيْجُ** : الثورة ، هاج هيج هيج وهيجنا وهيجنا بالكسرة ، والمراد إذا وقع اضطراب من . وتناووا بالقتال كما جعل الجاهلية : أمرهم بالدهاء إلى الله تعالى وهاجم عن دعوة الخليفة وهي . دي بالقتال . (٥) **الْقَطْعُ** : القطع . ومن هذا المعنى قول الخليل في غنمه : « نبي وموم . د . مت وحان قطاها » بنى جنبها كما تنحى النار وهو قطعها .

- لاشريك له ، وأمر الناس بإصباح الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المراتق ، وأرجلهم إلى الكمين ، ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، يُطس بالصبح ، ويحجر بالمحجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مذبذبة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا تؤخر حتى تبتلع النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالنسي إلى الجمعة إذا نودي لها ، والنفل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المفاتيح خمس ، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من المفاتيح عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وكل ما سقى القرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع : جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من النعم سائمة وحدها شاء ، فإنها فريضة الله التي أقترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بين الإسلام فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم وعليه مثل

- (١) الطس حركة : ظلة كثر الليل إذا انقطعت بضوء الصباح ، وأظلموا دخلوا فيها ، وظلوا ، بنى الام : ساروا ووردوا بطس . (٢) حجر ، بالفتح تبييرا : ساروا بالمحجرة ، أى يبادر صلاة المحجرة ، وهي صلاة الظهر حين تميل الشمس وهو أول الوقت . (٣) المفاتيح : بالفتح بالخشية والنفل والأرض ونحو ذلك . (النهاية) . (٤) القرب ، بكون الزاء : الدلو الظبية فإذا خعت الزاء فهو الماء . السائل بين البئر والحوض ، والمراد في الحديث الدلو كما هو صريح رواية الترمذى «وما سقى الدلو من نصف العشر» والدلو جمع الدلاء ، وهو جمع الدلو ، وقال بعضهم : الدلو جمع دالية وهو آلة لإنتاج الماء . (٥) التبيع : ولد البقرة لسة : حى تيمنا لأنه يتبع أمه قبل معنى قائل . فى الترمذى وابن ماجة : «فى ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة» والمراد بالتبيع السبل السابع لأنه لهذا اسمه عليه الصلاة والسلام بقوله : «جذع أو جذعة» ويوضح هذا رواية الترمذى من معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنى فقال : «أمرنى رسول الله حين بعثنى إلى ابنى ألا آخذ من البقر شيئا حتى تبلغ ثلاثين ، فإذا بلغت الثلاثين فمها جمل تابع جذع أو جذعة» . (٦) السائمة : هى التى تركت رعى وحدها لتنمو والزيادة ، ووصف السوم هو ساط الحكم فى الزكاة .

ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته، فإنه لا يُرد عنها، وعلى كل حالٍ ذكر^(١)
أو اتقى حرّاً أو عبداً ديناً وائياً، أو عوضه ثياباً، فمن أذى ذلك فإن له ذمة الله
وذمة رسوله، ومن منع ذلك فإنه صدقة ورسوله ولأئمة جميعاً، صلوات الله
على محمد وآله والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ذكر وفد عتس

قال محمد بن السائب الكلبي: حدثنا أبو زُرَّار الكلبي عن رجل من عتس،
قال: كان ميتاً رجل وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يتعشى، فدعا به
إلى العشاء بفس، فلما تعشى أقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:
« أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله » فقال العتسي: أشهد أن
لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فقال: « أراغباً جئت أم رهيباً » فقال:
أما الرغبة فوافقه ما في يدك مال، وأما الرهبة فوالله إني لبليد ما تبلغه جيوشك،
ولكنني خُوفْتُ نَفْعُ، وقيل لي: آمِن بالله فآمنت . فأقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على القوم فقال: « رَبِّ خَطِيبٍ من عتس » فكثرت يختلف إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء يؤذعه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:
« أخرج » وبقته، أي أعطاه شيئاً، وقال: « إن أحسست شيئاً فوائِل إلى فذني^(٢)

(١) الحاشي: الذي بلغ الحلم أي وهو عاقل، لأن بلوغ الحلم مع العقل هو مناط التكليف .

(٢) لقب بجد القليلة، ومنها عمار بن ياسر رضي الله عنه .

(٣) في أسد الغابة: « فدعا به إلى العشاء فأكل » .

(٤) في الإجابة: « فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل أشهد ... » .

(٥) به أعطاه ثانياً: أي زاد .

(٦) حصة الأمر: أي التجبى .

(٧) فذل: أي فذل: في أسد الغابة: « فذل أهل قريظة » .

قريّة . نفرج فُورَك^(١) في بعض الطريق ، فَوَالَ إلى أَذنى قريّة مات رحمه الله ،
وأسمه ربيعة^(٢) .

ذِكْر وفد الدارين وما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما اختص به تميم الداري وإخوته

- ٥ قال محمد بن سعد بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله ، وروح بن زنياع الجنداني
عن أبيه قال : قَدِم وفد الدارين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَصَرِّفَةً من
بَنُو كَدٍّ وهم عشرة نفر ، فهم تميم وتميم أبنا أوس بن خارجة بن سُوْد بن جُدَيْمَة
أبن ذِرَاع بن عَدَى بن القُدَار بن هَانِي بن حبيب بن عُمارَة بن نَعْم ، ويزيد بن قيس
أبن خارجة ، والفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفارة بن ربيعة بن ذِرَاع بن عَدَى
أبن الدار ، وجبلة بن مالك بن صفارة ، وأبو هند والطيب أبن ذَر . قال ابن
[إسحق] : بَر — وهو عبد الله بن ذَر بن عَمِيَّت بن ربيعة بن ذِرَاع ، وهاني بن
حبيب ، وعزيز ومرة أبنا مالك بن سواد . قال ابن إسحق : عُرْفَة . وقال ابن
هشام : عُرَة . وقال ابن إسحق في مرة : مَرُون .

قال ابن سعد : فأسلموا وتمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيب عبد الله ،
وتمي عزيزاً عبد الرحمن .

- (١) في أحد النسخة : « فاحس حساه » . أي وحما .
(٢) في أحد النسخة والإصابة إن اسمه ربيعة بن وواء حنظلي .
(٣) نسبة الدارين إلى جدم الدارين هاني بن ذكوة — بهم اللزوم — بن غم بن سدى
ابن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .
(٤) وقيل : سواد . (٥) وقيل : نخوية .
(٦) القائل هو ابن إسحق كافي سيرة ابن هشام ، واللفظ سافط من الأصول .
(٧) في نسخة : « أبن سود » . (٨) وقيل : « مران » .

قال : وأهدى هانيئ بن حبيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم رواية تقرأ وأفراسا وقباً نحوها بالذهب ، فقبل الأفراس والقباء وأعطاه العباس بن عبد المطلب ، فقال : ما أصنع به ؟ قال : « تترج الذهب فتحليه نساءك ، أو تستشفقه ، ثم تبيع الديباج فتأخذ منه » ، فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم .

قال وقال تميم : لنا جيرة من الروم ، لهم قربتان يقال لأحدهما حبري والأخرى بيت عيون ، فإن فتح الله عليك الشام فهبما لي ، قال : « فهما لك » فلما قام أبو بكر رضي الله عنه أعطاه ذلك ، وكتب له به كتاباً ، وأقام وفد الدارين حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة مائة وسق من خير ، هكذا حكى ابن سعد في طبقاته .

وشاهدت أنا عند ورثة صاحب الوزير فخر الدين أبي حفص عمر ، ابن القاضي المرحوم الرئيس محمد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليل النيمي رحمه الله ، كتاباً يتوارثونه كابراً عن كابر ، يقولون : هو كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه لقيم الداري وإخوته ، وهو في قطعة من آدم مربعة دون الشبر قد طُفَّت بالأطلس الأبيض ، يزعمون أن ذلك من خف كان لأمر المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد بقي بهذه القطعة الأدم آثاراً حُرِفَ خافية ، لا تكاد تبين إلا بعد إمعان التأمل ، وتحقيق النظر ، وعلى هذه القطعة

(١) قباً : ضرب من الثياب ، وغوص : مطرز بالذهب ومزهر .

(٢) حبري كسري وتسمى حبرون كزيتون ، وهي مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام وغلب عليها اليوم وفيها قبره عليه الصلاة والسلام يزار ، وفي رواية كعب الأخبار أنه دفن في قبر الخليل صلوات الله وسلامه عليه سارة وإلى جنبه إسحق ويعقوب . وعيون من قرى بيت المقدس يؤذن هيتون ولينون يسكنون المتناة ؛ لفظ عبري . (٣) في الناج عن الأصمى : يقال لفلان أرض جاد مائة وسق ، أي تخرج مائة وسق إذا زرعت . وهو كلام عربي . (٤) الأطلسي : الحريري ، وليس يبري .

الآدم من الجلالة ولما من الموقع في النفوس والمهابة ما يقوى أنها صادرة عن المثل
 المُنِيف، ^(١) وقرين هذه القطعة الآدم قِرطاس أبيض قديم، يزعمون أن أسلافهم
 قتلوا ما فيه من الكتابة من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل أن تزول
 حروفه. وفيه تسعة أسطر بما في ذلك من التسمية، وقد رأينا أن نضع ذلك في هذا
 الكتاب على هيئته في العدد، وإن لم يوافق الخط، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أنطا ^(٢) عبد رسول الله تميم
 الداري وأخوته جبرون والمترطوم ^(٣)

وبيت عيون وبيت ابراهيم وما فيهن
 خطيه بت ينتميهن ونفذت وسلت ذلك

لهم ولأحقابهم فمن اذاهم اذاه

الله فمن اذاهم لعنه الله شهد عتيق

ابن ابو حنيفة ^(٤) وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

وكتب على بن ابو طالب وشهد .

(١) المنيف : المرتفع المشرف من أناف يفيف إذا رفع وأشرف .

(٢) أنطى : أعلى ، بلغة أهل اليمن . التحقيق أنها لغة معد بن بكر وهذيل والأزد وقيس
 والأصبار يجلبون البين الساكنة نوتا إذا جاورت الطاء . وقد قرئ بها « إنا أنطيناك الكوثر » وهي
 قراءة الحسن وطلبة بن مصرف وابن عيسى ، وقرأتهم من الشواذ . وقد شرف رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هذه اللغة بالنطق بها فقال : « لا مانع لما أنطيت » في أحاديث . وقد تركنا الكتاب النبوي
 على وضعه كشرط المصنف حيث ذكره على هيئته .

(٣) مترطوم كذا في كل الأصول ، وصوابه مترطوم كما في مستدرك النجاشي ، قال : « ومترطوم اسم
 أرض جاء ذكرها في كتاب رسول الله إلى أبي شمر » .

(٤) كذا في الأصل ؛ تركناه على شرط المؤلف .

هكذا شاهدت تلك الورقة التي هي قرين الكتاب ، والكتاب بأيديهم إلى وقتنا هذا ، وهو العشر الآخر من ذى القعدة سنة ست مائة وسبع مائة . وهذه الضياع الأربعة المذكورة بأيديهم إلى وقتنا هذا ، لا يُنَازَعُونَ فيها . وكان الصاحب الوزير نصر الدين عمر بن الخليل رحمه الله ، إذا نأته نائبة ، أو صودر أو أودى بوجه من وجوه الأذى ، توسل إلى الله تعالى بكتاب نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأظهره للوك ، فكفوا عن طلبه ، وأقربوا عنه . وترجع إلى أخبار الوفود .

ذكر وفد الرهاويين

والرهاويون هم من مذهب^(١) ، قال ابن سعد : وفد خمسة عشر رجلا من مذهب على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر ، فزلوا دار رملة بنت الحارث ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتمتعت عندهم طويلا . وأهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم هدايا ، منها فرس يقال له المرواح ، فأمر به فشورين^(٢) يديه فأعجبه . فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض . وأجازهم كما يحيز الوفد ، أرضهم ثقي عشرة أوقية ونساء ، وأخفضهم خمس أواق . ثم رجوا إلى بلادهم .

ثم قدم منهم نفر فخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوصى لهم بمائة وثماني من خير في الكتبية جارية عليهم ، وكتب لها كتابا ، فباعوا ذلك في زمن مصابية .

(١) مذهب ، مثال مسجد : أبو قبيلة من اليمن ، وهو مذهب بن يحابر بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا . قال سيوري : الميم من نفس الكلمة ، ومذهب آفة ولدت عليها أهم فسواها .
(٢) شرد : أجرى بين يديه ليصرف قوة .

ذكر وفد غامد

قال : قدم وفد غامد^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهم عشرة ، فزولوا ببيع الترفد^(٢) ، ثم لبسوا من صالح ثيابهم ، ثم أطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه وأقرؤا بالإسلام . وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه شرائع الإسلام ، وأتوا أبي بن كعب فسلمهم قرآنا . وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يُبَيِّز الوفد وأنصرفوا .

٣٦
١٦

ذكر وفد النخع

قالوا : بعث النخع^(٣) رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدين بإسلامهم ، وهما أرطاة بن شراحيل بن كعب ، من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النخع ، والجهنيش وأسمه الأزقم ، من بني بكر بن عوف من النخع ، فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبأبما عن قومهما ، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما ، وحسن هيتهما ، فقال : « هل خلفتما وراءكما من قومكما متلكما ؟ » قالوا : يا رسول الله ، قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا ، وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء ، ما يشاء كوننا في الأمر إذا كان ، فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقوهمما بخير ، وقال : « اللهم بارك في النخع » . وعقد لأرطاة لواء على قومه ، وكان في يده يوم الفتح ، فشهد

(١) غامد : جن من الأزد باليمن . نسبة إلى جدهم غامد واسمه عبد الله ، قيل سمي غامدا لوقوع ثوبين عليه ، فغمد ذنوبهم أي غطاها وسترها ، وقيل غير ذلك .

(٢) بيع الترفد : أصل البيع في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شئ ، والترفد بكسر الهمزة . وبيع الترفد مقبلة أهل المدينة .

(٣) النخع : قبيلة من مذحج ، سميت باسم جدها وسى النخع لأنه انتزع عن قومه : بد عنهم .

به القادسية قُتِل يومئذ، فأخذ أخوه دُرَيْد قُتِل — رحمهما الله — فأخذ سيف
أبن الحارث من بني جَدِيمة، فدخل به الكوفة.

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الأسدي، قال: كان آخر من قدم من
الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النَّخَع، وقَدِموا من اليمن لثَّصَف من
المحرم، سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فترلوا دار رَسلة بنت الحارث، ثم
جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقرِّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل
باليمن، وكان فيهم زُرَّارة بن عمرو.

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة زُرَّارة بن عمرو، وألده عمرو بن زُرَّارة،
قال: قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النَّخَع، فقال: يا رسول الله،
إني رأيت في طريق رؤيا هالتي. قال: «وما هي؟» قال: رأيتُ أَنَا خَلْفَتُهَا^(١)
في أهلٍ ولدت جَدِيًّا أَسْفَعَ أَحْوَى، ورأيتُ نارا خرجت من الأرض خالَت بني
ويعن ابن لي — يقال له عمرو — وهي تقول: لَقَطِي لَقَطِي، بصير وأعمى. فقال النبي
صلى الله عليه وسلم: «أَخْلَقْتَ في أَهْلِكَ أُمَّةً مُسِيرَةً ولدا». قال: نعم. قال: «فإنها
قد ولدت غلاما وهو أبْنُكَ» قال: فما باله أَسْفَعَ أَحْوَى؟ قال: «أَدْنَى مِنِّي، أبْنُكَ

(١) أَن: حارة أُنْى ولا يقال أَنَا، وجمع الفلة أَن كاعتق ولكثرة أَن، بضمين.
(٢) الجسد: الذكر من أولاد المزدى. أسفع بزة أحر: أسود شرب بجمرة. أحوى:
كأنه كيد لما قبله، إذ الحوة (بالضم) سواد إلى خضرة، أو حمرة إلى سواد.
(٣) قال شارح المواب: «كان مناه مخترق الناس فيها فرقتين: بصير عرف الحق ونبيه،
وأعمى لم يجد إلى طريق الحق فضل».

(٤) مسرة: نخبة حلاء وفي المواب «مسرة» بالصاد، وقال شارحها: «من أصرعن الناس»
أقام عليه والمراد جعلها محقق ثابت وما في الأصول يوافق ما في الاستبصار، هو الظاهر.
(٥) دفع به ما قد يدخل عليه من الرية إذا رأى اللون الغريب.

برّص تكتمه ؟ قال : والذي بئتك بالحق ، ما عليه أحدٌ قبلك . قال : « فهو ذاك ، وأما النار فإنها فتنة تكون بعدى » . قال : وما الفتنة يا رسول الله ؟ قال : يقتل الناس إمامهم ، يَشْتَجِرُونَ أَشْجَارَ أَطْبَاقِ الرَّأْسِ ^(١) — وخالف بين أصابعه — دم المؤمن عند المؤمن أهل من الماء ، يحسب المسىء أنه محسن ، إن ميتٌ أدركتُ أبنك ، وإن مات أبتك أدركك » . قال : فأدع الله لي ألا تدركني . فدعاه . قال : وكان قدوم زُرارة بن عمرو هذا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصف من شهر رجب سنة تسع .

وقال الطبري : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد النخع وهم مائتا رجل ، وفيهم زُرارة بن قيس بن الحارث بن عدي بن الحارث بن عوف بن جُثَمِ ابن كعب بن قيس بن مُعَيْذ بن مالك بن النخع فأسلموا .

ذكر وفد بجيلة

قال ابن سعد : قدم جرير بن عبد الله البجلي سنة عشرين المدينة ، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن على وجهه مسحة ^(٢) » فطلع جرير على راحته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا . قال جرير : فبسط رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فبايعني ، وقال : « على أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، ثم [تحمى] الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتحمل السلم ، وتطيع الوالي وإن كان عبدا حبشيا » فقال : نعم ، فبايعه .

(١) أطباق الرأس : عظامه . والأشجار : الاشتباك والأخلاف .

(٢) بجيلة : أمهم فسيرا إليها ، وهي بجيلة بنت صعب بن علي بن سعد العنبرية .

(٣) مسحة ملآن ، ومسحة جبال : أثر ظاهرها . (٤) الزيادة من الاستيعاب لابن عبد البر .

وقدم قيس بن [أبي] غَزَزَةَ الْأَحْمَسِيِّ - وقيل غَزَزَةُ بْنُ قَيْسِ الْبَجَلِ -
 في مائتين وخمسين رجلا من أَحْمَسَ ، فقال لهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « من أتم ؟ » فقالوا : نحن أَحْمَسُ اللَّهُ . وكان يقال لهم ذلك في الجاهلية . فقال
 لهم : « وأتم اليوم لله » . وقال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسُلَيْلٍ : « أعط
 رُكْبَ بَيْعَةٍ وَأَبْدَأْ بِالْأَحْسَنِ » ففعل . وسأل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيرَ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ : « ما فعل ذُو الْخَلَصَةِ » ؟ قال : هو على حاله ، قد بقيَ والله ، تُرِيحُ مِنْهُ
 ٣٧
 ١٦
 إن شاء الله ، فبثه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هَذَمَةَ ، وعقد له لَوَاءً فقال :
 إني لا أثبت على الخيل فسمع صدره ، وقال : « اللهم أجعله هاديا مهديا » فخرج
 في قومه وهم زُهَاءُ مَائَتِينَ ، فإِطَالَ النِّفْيَةَ حَتَّى رَجَعَ ؛ فقال له رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « هَذَمْتَ » ؟ قال : نعم ، والذي بعثك بالحق ، وأخذتُ ما عليه
 وأحرقته بالنار ، فتركته كما يَسُوءُ مَنْ يَهْوَى هَوَاهُ ، وما صَدَدْنَا عَنْهُ أَحَدٌ . قال فَبَرَكَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذٍ على خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا .

ذِكْرُ وَفْدِ خَتَمٍ

قالوا : وفد عَثْمُ بْنُ زَرْحٍ ، وَأَسَى بْنُ مُدْرِكٍ ، في رجال من خَتَمٍ إلى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما هدم جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ذَا الْخَلَصَةَ ، وقتل من
 ١٥
 قتل من خَتَمٍ ، فقالوا : آمنا بالله ورسوله ، وما جاء من عند الله ، فأكتب لنا
 كتابا نتبع ما فيه ، فكتب لهم كتابا شهد فيه جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ومن حضر .

(١) الزيادة من الاستيعاب وغيره . (٢) الحسن : قاتل من العرب حوا بذلك لأهلهم تحسوا
 في دينهم أي تشددوا ؛ كانوا يفتنون بزدلفة ولا يفتنون برفة ، ويقولون : نحن أهل الله فلا تخرج من
 الحرم ، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون . (٣) ذُو الْخَلَصَةِ : صَدَقَ لَدُنْهُمْ ،
 وعشم ، وبجيلة وغيرهم ، فأخذ إليه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فهدمه وعدم بيانه .
 (٤) يَرْكُ عَلَيْهِ : دعا له بالبركة .

ذِكْرُ وَفْدِ حَضْرَمَوْتِ

قالوا : قَدِمَ وَفْدُ حَضْرَمَوْتِ مع وَفْدِ كِنْدَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ
 بَنُو وَلِيْعَةَ مَلِكِ حَضْرَمَوْتِ ؛ جَدٌ ، وَغُحُوسٌ ^(١) ، وَمِشْرَحٌ ، وَأَبْضَعَةُ ^(٢) ، فَأَسْلَمُوا ، وَقَالَ
 غُحُوسٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَنْهَبَ عَنِّي هَذِهِ الرِّثَّةُ ^(٣) مِنْ لِسَانِي . فَعَدَا لَهُ ،
 وَأَطْعَمَهُ طُعْمَةً مِنْ صَدَقَةِ حَضْرَمَوْتِ .

وَقَدِمَ وَائِلُ بْنُ تُجْجَرِ الْحَضْرَمِيِّ وَافْدًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ :
 جِئْتُ رَاغِبًا فِي الْإِسْلَامِ وَالْهِجْرَةِ ، فَعَدَا لَهُ وَمَسَحَ رَأْسَهُ وَتَوَدَّى : « الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ »
 سَرُورًا بِقُدُومِ وَائِلِ بْنِ تُجْجَرٍ . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي
 سَفْيَانَ أَنْ يَنْزِلَهُ بِالْحِجْرَةِ ، فَشَى مَعَهُ ، وَوَائِلٌ رَاكِبٌ ، فَسَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : أَلْنِي إِلَى
 تَمْلِكِ أَنْتَوَقِيهِمَا الرِّمَاءَ ^(٤) . قَالَ : لَا ، إِنِّي لَمْ أَكُنْ لَأَكْبِسْهُمَا وَقَدْ لَبِسْتُهُمَا . وَمِنْ
 رِوَايَةٍ : لَا يَبْلُغُ أَهْلُ الْيَمَنِ أَنْ سُوْقَةَ لَيْسَ تَمْلِكُ . قَالَ : فَأَرْدَفْنِي ، قَالَ : لَسْتُ
 مِنْ أَرْدَافِ الْمُلُوكِ ، قَالَ : إِنَّ الرِّمَاءَ قَدْ أَحْرَقَتْ قَدَمِي ، قَالَ : أَمَشْ فِي ظِلِّ
 نَاقَتِي ، كَفَاكَ بِهِ شَرَفًا .

وَيُقَالُ : إِنْ وَائِلُ بْنُ تُجْجَرٍ هَذَا وَقَدْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فِي خِلَافَتِهِ فَأَكْرَمَهُ
 مَعَاوِيَةُ .

(١) فِي الْأُمُودِ وَالطَّبَقَاتِ : « حِدَةٌ » وَلَهُ تَصْغِيرٌ عَمَّا أُتْبِئَهُ عَنِ الْقَامُوسِ ، قَالَ فِي أَحَدٍ
 الثَّانِيَةِ : « جَدٌ » ، فَتَجْعَلُ الْجَدَّ وَمُسْكُونُ الْمِمْ وَلَا أَعْرِفُ جَدًّا مِنْ كِنْدَةَ إِلَّا جَدًّا أَحَدَ الْمُلُوكِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ
 دَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَتَلُوا فِي الرِّدَّةِ كُفْرًا ، وَهُوَ أَكْبَرُ .

(٢) يُقَالُ بِالْمِيزِ وَالشَّيْنِ .

(٣) الرِّثَّةُ : عَقْدَةٌ وَجِيبَةٌ فِي الْبَاسِ .

(٤) الرِّمَى : شَفَةُ حَالِ السَّمْسِ عَلَى الرِّمْلِ وَغَيْرِهَا ، وَالْأَرْضُ رَمِيًّا .

(٥) السُّوقَةُ : الرِّعِيَّةُ ؛ سَمَوُ سُوْقَةٍ لِأَنَّ الْمُلُوكَ يُسَوِّقُونَهُمْ فَيَسْأَلُونَهُمْ .

قال : ولما أراد وائل بن حجر الشَّحْوص إلى بلاده ، كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حجر قيل حَضَرَمَوْت ، إنك أسلمت وجعلت لك ما في بلدك من الأرضين والحصون ، وإن يؤخذ منك من كل عشرة واحد . ينظر في ذلك قَوْوَعٌ ^(١) وعُدْلٌ وجعلت لك ألا تُظَلَمَ فيها ما قام الذين . والنبي — صلى الله عليه وسلم — والمؤمنون عليه أنصار . »

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض — رحمه الله — وفيه :

« إلى الأقال ^(٢) الباطية ^(٣) ، والأرواح ^(٤) المشايب ^(٥) . وفيه :

« في التبعة ^(٦) شاة ^(٧) لا مقورة ^(٨) الألباط ^(٩) ولا ضناك ^(١٠) ، وأطوا ^(١١) التبعة ^(١٢) ، وفي السيوب ^(١٣) الخمس ومن زنى ^(١٤) من أميكر ^(١٥) فأصقوه ^(١٦) مائة وأستوفضوه ^(١٧) عاما ، ومن زنى ^(١٨) من أميكر ^(١٩) »

(١) في البطيات « ذوا طل » .

(٢) الأقال : القوك التي دون التبعة .

(٣) الباطية : هم الذين أفروا على ملهم لم يوالوا ، معاهد الباطية جبل ، والله تأكيد الجمع .

(٤) الأرواح (جمع راح) ، وهم الحسان للحيوة ، أرواح الذين يمدحون الناس أي يفرعونهم بمظلم مبهتم .

(٥) المشايب : السادة زهر الألوان ، واحدهم مشيوب . ودجل مشيوب : أسوطراس أبيض

الوجه ، وقيل ذكي القوادشهم .

(٦) في التبعة شاة : يعني أن الأرميين من القم فيها شاة زكاة .

(٧) مقورة الألباط : يريد غير مسترخية الملود فزالمها .

(٨) الضناك : السبية ، ويقال للذكر والأنثى بغيرها .

(٩) أطوا التبعة : أطوا الوسط في الصدقة ، لا من خيار المال ولا من رذاله .

(١٠) السيوب : عروق من الذهب والفضة توجد في باطن الأرض (الركاك) ، والخشري : السيوب

جمع سيب يريد به المال المدفون في الجلالة أو المدفن ، لأنه من فضل الله تعالى وصلاح لمن أحابه .

(١١) أصقوه : أضربوه ، وقوله : « من أميكر » لغة أهل اليمن ، يدلون لام الصريف ميا .

(١٢) أستوفضوه : غيروا وأتوه . و « من أميكر » أي من التيب على لغة اليمن .

فَضْرَجُوهُ بِالْأَضَامِيمِ ^(١) . وَلَا تَوْصِيْمٌ فِي الدِّينِ ^(٢) ، وَلَا نِعْمَةٌ فِي فَرَائِضِ اللَّهِ ^(٣) ؛ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَوَالِلُ بْنُ حُجْرٍ يَرْفُلُ عَلَى الْأَقْيَالِ ^(٤) .

قال محمد بن سعد بسنده إلى أبي حبيدة من ولد عمار بن ياسر قال : وقد غنّوس ابن مدي كَرَبَ بْنَ وَلَيْعَةَ فِيمَنْ مَعَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ نَحَرُوا مِنْ عِنْدِهِ فَأَصَابَ غَنُوسُ الْقُوَّةُ فَرَجَعَ مِنْهُمْ قَرٌّ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَيِّدُ الْعَرَبِ ضَرَبَتْهُ الْقُوَّةُ ، فَأَدَلَّنَا عَلَى دَوَاهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُذُوا مِحْطًا فَأَحْسُوهُ فِي النَّارِ » ، ثُمَّ أَقْبَلُوا شُفْرَ حَيْنِهِ ، فَضَبُّوا شَعَاؤَهُ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُهُ ، فَالَهُ أَعْلَمُ مَا قَلَّمَ حَيْنَ نَحْرِهِمْ مِنْ عِنْدِي . « فَصْنُوهُ بِهِ فَبَرئ » .

ذِكْرُ وَفْدِ أَزْدِ عُمَانَ

قالوا : أَسْلَمَ أَهْلُ عُمَانَ ^(١) ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَقْفَرِيِّ لِيُعَلِّمَهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ ، وَيُصَلِّقَ أَمْوَالَهُمْ ^(٢) ، فَنَجَحَ وَقُدِّمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

(١) ضربهوا بالأضاميم : أى أدموه بالضرب ؛ يريد الزيم ، والأضاميم : الجارة واحداها إضامة .

(٢) لا توصيم في الدين : أى لا تفتروا في إقامة الحدود ولا تعابروا فيها .

(٣) لا نعمة في فرائض الله : أى لا تستروا نحن فرائضه ؛ وإنما تظهر وتعلن ويجهريها .

(٤) يرفل على الأقبال : أى يسود ويرأس ، مستعار من ترفيل التوب وهو إصابته وإسباله .

وفي النهاية : يسى ويرفل .

(٥) القوة : داء ، يكون في الوجه يوجب منه الشدة .

(٦) الميحط : ما يحيط به .

(٧) عمان : قطر شرق جزيرة العرب على المحيط الهادى أو بحر العرب مما يلي خليج فارس ، وعمان :

موطن الأزد وقبايلهم ، ومن دهر الدولة العربية البحرية التي طاردهت البربر فقال من الخليج ، وشواطئ الهند ،

وشرق أفريقيا بأساطيلها البحرية على عهد الحروبين ما بين ألف من الهجرة إلى نحو ألف ومائة وخمسين .

(٨) يصدق أموالهم : يأخذ زكاتها .

صلی اللہ علیہ وسلم، فہم أسد بن یریح^(۱) الطاحی، فلقوا رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
فسألوه أن یبعث معهم رجلاً یمیز أمرهم، فقال عُمَرُ العَدِیّ^(۲) وأسمه مَدْرِک بن
خُوَیث: أبعثی الیہم فإن لم یعلّ منّا^(۳) مَنّا، أسرونی فی یوم جنوب فتنوا علی. فوجّہہ
معمہم إلی عُثْمَان، وقبضہم بیدہم سَلَمَہُ بن عُبَیْدِ الْأَزْدِیّ^(۴) فی ناس من قومہ، فقال
رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم عما یبذل وما یدعو إلیہ، فأخبرہ رسول اللہ صلی اللہ
علیہ وسلم، فقال: أدع اللہ أن یمیز کلّنا وألفتنا، فدعا لہم، وأسلم سَلَمَہُ ومن معمہ.

(۵) ذکر وفد غافق

قالوا : وقَدِمَ جُلَيْعَةُ بْنُ خُبَّارٍ بْنُ مَخْلَدٍ الْغَافِقِيُّ ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ الْكُؤَاهِلُ مِنْ قَوْمِنَا ، وَقَدْ أَهْمَنَا وَصَدَقَاتُنَا عَيَوسَةً بِأَفْنِيتِنَا . قَالَ : « لَكُمْ مَا لِلسَّابِقِينَ وَ عَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ » . فَقَالَ عَزَّادُ بْنُ سُرَرٍ الْغَافِقِيُّ : آمَنَّا بِاللَّهِ وَآتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ .

ذکر وفد یارق

قالوا : قَدِيمٌ وَفَدُ بَارِقٌ ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَاسْلَمُوا وَبَايعُوا ، وَكَتَبَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

- (١) كذا في الأصول، ورافى في أسد النجابة والاستيعاب : «هو يروح بن أسد الطاحي قدم المدينة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأيام وكان وآه» .
- (٢) وقيل : مخرة (بالقاف) كما في أسد النجابة، ولم تقف على من سماه مدركا كما في الأصول .
- (٣) يوم جنوب : من أيام العرب، وجنوب : اسم موضع، ولم تجده في أيام العرب .
- (٤) في الأصول : عباد وهو تصفيف والتصويب من الإصابة .
- (٥) غافق : حقة من الأزد، وغافق هو جد هذا الحى، وهو ابن الشاهد بن عك بن عدنان بن عبد الله ابن الأزد، وإلى هذا الحى نسب الحسن المعروف بالأندلس بمحسن غافق قريب من قرطبة .
- (٦) الكواهل : القرن يستند عليهم في القيام يشئون من خلوهم وراهم .
- (٧) لقب سعد بن عدى أبي قيلة بالجز .

« هذا طلب من محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبارئ ألا يُجَدِّدَ ثَمَرُهُمْ ، وَلَا تُرْعَى بِلَاغُهُمْ فِي صَرِيحٍ وَلَا مَصِيفٍ إِلَّا بِمَسْأَلَةٍ مِنْ بَارِئٍ . وَمِنْ مَرَاتِمِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَرَكٍ أَوْ جَدْبٍ فَلَهُ ضِيَاةٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ . وَإِذَا أَيْتَمَتْ ثَمَرُهُمْ فَلَا يَنْتَبِهُ السَّبِيلَ الْقَطَاطُ يَوْسَجُ بَطْنُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْقِسَهُ » . ثم شهد أبو عبيدة بن الجراح ، وَحُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ، وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ كَبْ .

ذكر وفد ثَمَالَةَ وَالْحُدَّانِ^(٦)

قالوا : قدم عبد الله بن عيسى^(٧) الثَّمَالِيّ وَسَلَّمَ بِنَ هَارِثَانَ الْحُدَّانِيَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَقْعٍ مِنْ قَوْمِهِمَا بِمَدَنَةِ مَكَّةَ ، فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمِهِمْ ، وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا بِمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي أَسْوَاحِهِمْ ، كَتَبَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَمَّاسٍ ، وَشَهِدَ فِيهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُحَمَّدُ ابْنُ مَسْلَمَةَ .

(١) المربع كقصد : الموضع الذي يرتبون فيه في الريح يشجعون الكلاب .

(٢) المراك : من حركتهم الحرب عركا دارت عليهم .

(٣) أَيْتَمَتْ : فضجت .

(٤) القَطَاطُ : ما يوجد من الثمار ساقطاً فيلغظ .

(٥) كَذَا فِي الْأَوَّلِ وَاسْلُ الْقَطْ : « يَقْتَهُ » بِمَنْ يَحْمِيهِ ، وَدَلِيلُهُ مَا فِي الطَّبَقَاتِ : « يَقْتَهُ »

أَيَّ يَجْمَعُ أَيْضًا .

(٦) ثَمَالَةُ : بطن من الأزد ، إليه ينسب محمد بن يزيد المرزباني .

(٧) رَفِي الطَّبَقَاتِ « ابْنُ عِيسَى » ، وَفِي أَسَدِ الْغَنَاءِ « ابْنُ عَبْدِ الْغَالِي » .

(٨) فِي الْأَوَّلِ : سَبِيلُهُ بِنَ هَارِثَانَ وَفِي الطَّبَقَاتِ « سَبِيلُهُ بِنَ هَارِثَانَ » وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الْإِمَامَةِ

وَفِيهَا : « وَيُقَالُ أَيْنَ حَدَّانٍ الْحُدَّانِيَّ » .

ذكر وفد مهرة

قالوا : قَدِمَ وَفْدٌ مَهْرَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَيْهِمْ مَهْرَى بْنُ ^(١٢)
الْأَبْيَضَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمُوا ،
وَكُتِبَ لَهُمْ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا الْكُتَابُ مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ لِمَهْرَى بْنِ الْأَبْيَضِ
عَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ مَهْرَةٍ أَلَّا يُؤْكَلُوا وَلَا يُمْرَكُوا . وَطَعِيمٌ بِإِقَامَةِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ،
فَنَ بَدَلٍ قَدِ حَارِبَ ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ فَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ . الْقَطْعَةُ مُؤَدَّةٌ ،
وَالسَّارِجَةُ مُنْدَاةٌ ، وَالْثَقْتُ الثَّيْبَةُ ، وَالزَّفْتُ الْقُسُوقُ » .

وَكُتِبَ بِعَهْدِ بْنِ سَلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ .

(١) نسبة إلى مهرة بن حيدان — بفتح أوله — حتى من قضاة ، إليه نسب الإبل المهرية .

(٢) لم تقف على هذا الاسم في مرجع غير « الطبقات » .

(٣) أَلَّا يُؤْكَلُوا : أى لا يفتار عليهم .

(٤) يُمْرَكُونَ : يؤكل ثيابهم ، من مركت المشاة الثبات أكلته .

(٥) القطعة : ما انقطع من مال ضائع . مؤداة : مردودة لصاحبها .

(٦) السارجة : المشاة التي تفرح بالقطعة إلى مراعيها . منداة : النخلة أن تورد الإبل فتشرب

ظيلاً ، ثم تخرج . بها ترمى ، ثم ترقعها إلى الماء ؛ والمراد أنها تورد على الحياض حتى تأخذ حظاً من الماء .
ولا تمنع من الشرب .

(٧) الثقت : من سانية الدرر والوجع ، والخيبة : الخبطة ؛ والمراد أن الوجع الفصل القبيح . وليس
وجع البدن .

(٨) الزفت : القمح من القبول . القسوق : الضبان ، والذك لأمره عز وجل . والامس :
الأرب هو الصابون أمراً وبها .

قالوا : ووفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من مهرة ، يقال له زهير^(١)
 ابن قريض بن الجعيل من النضر^(٢) ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدينه لبعد
 مسافته ، فلما أراد الانصراف بقتته^(٣) ، وحمله ، وكتب له كتابا .

ذكر وفد حمير

قالوا : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن مرارة الرهاوي ،
 رسول ملوك حمير بكتابهم وإسلامهم ، وذلك في شهر رمضان سنة تسع عند مقدمه
 من تبوك ، وهم : الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والثمان قبل
 ذي رعين ، ومعاوية ، وهمدان .

قال ابن إسحق : وبث إليه زرعة ذويزن مالك بن مرارة الرهاوي فكتب
 إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال
 وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى الثمان قبل ذي رعين ومعاوية وهمدان — أما بعد
 ذلكم — فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو — أما بعد — فإنه قد وقع بنا رسولكم
 سقبتا من أرض الروم ، ظفينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا بقلبكم ،
 وأبنا بإسلامكم وقلبكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم
 الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، وأعطيتهم خمس الله ، وسهم

٣٩
١٦

(١) زهير : فيه خلاف في هذا الاسم ، وفي الأصول : « الجعيل » (راجع الإصنية وأسد الغابة) .

(٢) النضر : الشط ، وهو ناحية على ساحل بحر افندي من ناحية اليمن ، وهو عند يثرب وبين عمان .

(٣) بقتته : أسطاه ، الثبات وهو الزاد ، وحمله : أعطاه ، وأعطاه تحمله .

(٤) يروي : ابن مرة ، وقيل ابن فزارة ، والصحيح ابن مرارة (أسد الغابة) .

النبي ^(١) وصفيه ، وما كُتب على المؤمنين من الصدقة ، من القار ^(٢) عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى ^(٣) القرب نصف ^(٤) المشر ، وإن في الإبل الأربعين آتنة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل آبن لبون ذكر ، وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جدع أو جدعة ، وفي كل أربعين من النعم سائمة وحدها شاة ، وأتبا فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خيره ، ومن أدى ذلك ، وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فهو من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذقة الله وذقة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرث عنها ، وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبيد دينار وأف ، من قيمة المعافر ^(٥) أو عورته ثيابا ، فمن أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذقة الله وذقة رسوله ، ومن منعه فإنه عذوقه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد — فإن رسول الله هذا النبي أرسل إلى زُرعة ذى رزن أن إذا أنا كم رُسل فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عباد ، وعقبة ابن نمر ، ومالك بن مرة ، وأصحابهم ، وأن أجمعوا له ما عندكم من الصدقة ، والجزية من مخالفكم ، وألبنوها رُسل ، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا يتقلبن إلا راضيا .

أما بعد — فإن هذا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك ابن مرة الرهاوى قد حدثني أنك أسلمت من أول حير وقتلت المشركين ، فأبشر

(١) الصفي : ما يخطبه الرئيس من التوبة لنفسه قبل أن تقسم القنائم .

(٢) القار : الأرض . (٣) القرب : الدلو .

(٤) قنهر : ما من وغوى . (٥) المعافر : ثياب من ثياب الخمر .

بخير ، وأمر : بحير خيرا ، ولا تحزنوا ولا تحاذوا ، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو مولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يتركها على فقراء المسلمين وآبن السيل ، وإن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب وأمركم به خيرا ، وأتى أرسلت إليكم من صالحى أهل وأولى دينهم وأولى علمهم ، وأمركم بهم خيرا ، فإنهم ينظرون إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

ذكر وفد جيشان

قال محمد بن سعد : قديم أبو وهب الجيشاني على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قعر من قومه ، فسأله عن أشربة تكون باليمن ، فسموا له البئع^(١) من المسل ، فليزر من الشبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تسكرون منها » .
 فقالوا : لا إن أكثرنا سكرنا ، قال : « فإزلام قليل ما أسكر كثيره » ، وسأله عن الرجل يخذ الشراب فيسقيه عماله ، فقال : « كل مسكر حرام » .

ذكر وفد سلول

قال أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر القمري رحمه الله : قديم قردة بن قساة السلول ، من بني عمرو بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من بني سلول ، فأمره عليهم بعد ما أسلم

(١) في نسخة من ابن هشام : « قاة » .

(٢) البئع (بكسر الباء وسكون الهمزة) : نبيذ يخذ من عمل ، كأنه امر صلبة .

(٣) المز : نبيذ الشعير .

وأسلموا ، فأنشأ يقول :

بَانَ الشَّبَابُ فَلَمْ أَخْضِلْ بِهِ بَالًا • وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ أَقْبَالَ
تَدَّ أُرْوَى نَدِييَ مِنْ شُعْشُعَةٍ • وَقَدْ أَقْلَبْتُ أَوْرَاكًا وَأَكْفَلَا
الْحَمْدُ لَهُ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجْسَلِي • حَتَّى أَكْتَسَيْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سِرًّا لَا

قال وقد قيل : إن البيت الثالث لليد ، قال أبو حبيدة : لم يقل ليد
في الإسلام غيره ، وكان قد عمر مائة وخمسين سنة .

قال أبو عمر : وقرءة هذا هو الذي يقول :

أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَرَى الشُّخُصِينَ أَرْبَعَةً • وَالشُّخُصَ شَخْصِينَ لَمَّا سَنَى الْكِبَرُ
لَا أَسْمَعُ الصَّوْتَ حَتَّى أَسْتَدِيرَ لَهُ • وَحَالَ بِالسَّمْعِ دُونِي الْمَنْظَرُ الْقَهْرُ
وَكُنْتُ أَمْنِي عَلَى السَّاقِينَ مُدْبِلًا • فَصِرْتُ أَمْنِي عَلَى مَا ثَبَتُ الشَّجَرُ
إِذَا أَقْسَمْتُ بَحْتِ الْأَرْضِ مُتَكًّا • عَلَى الْبِرَاجِمِ حَتَّى يَذْهَبَ الْقَرُّ^(١)

ذكر وفد نجران وسؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن

قال محمد بن إسحق : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران
يسئون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم ، وهم : العاقب عبد المسيح ،
والسيد وهو الأثيم ، وأبو حارثة ابن علقمة ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ،

(١) الشعبة : الخمر .

(٢) في الأصول : « دون » مكان « دوني » وفي الاستيعاب :

« وحال بالسبح دون المنظر السر »

(٣) بين الأرض : اعهد عليها بجمعه إذا أراد ان يهوض من الكبر . البراجيم (جمع راحة) :

مفاصل الأصابع . والقمر (بالجرم) : جماعة من النجس ، يريد الذين يقولون به .

ويزيد، ونبيه وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحيى. ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، وهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصديرون إلا عن رأيه، وأسمه عبد المسيح.

قال محمد بن سعد : هو رجل من كندة والسيد عالمهم، وصاحب رحلهم^(١) ويجتمعهم، وأسمه الأيهم، وأبو حازمة ابن علقمة أحد بكرين وائل أسقفهم وحبرهم^(٢) وإمامهم، وصاحب مدرايسهم^(٣).

قال ابن سعد : وكان من الأربعة عشر كوز وهو أخو الحارث بن علقمة، وأوس أخو السيد.

قال : فتقدمهم كوز وهو يقول :

- إِلَيْكَ تَعْدُو عَقَابًا وَضِيئًا • مُتْعَرِّضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينًا^(٤)
• مُخَالِفًا دِينَ النَّصَارَى دِينَهَا •

- وقدِم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدِم الوفد بعده، فدخلوا [عليه]^(٥) المسجد، عليهم ثياب الحريرة وأردية مكشوفة بالحريرة، فقاموا يصلون في المسجد نحو الشرق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دُعُوهم »، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان : ذلك من أجل زيئكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه، برى الرهبان فسلموا عليه فردّ عليهم.

(١) عالمهم : قياثهم الذي يفرعون إليه •

(٢) الأسقف (بشديد الماء وتعظيمها) : رئيس النصارى في الدين، أجمعى تكلمت به العرب •

(٣) مدراس : بيت يدرس فيه الكتاب •

(٤) وضين : خزام - وفي ابن هشام : « قال هشام بن عروة : وزاد فيه أهل العراق :

« مُتْعَرِّضًا فِي بَطْنِهَا وَضِيئًا » •

(٥) الرداءة من ابن هشام • (٦) الحريرة : صرغ من روادين حرير •

قال محمد بن إسحق : وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم ، حتى حسن عليه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ؛ لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تيجران ، جلس أبو حارثة على بئسلة له ، وإلى جنبه أخوه كوز ، - ويقال فيه كُوز - ففترت بئسلة أبي حارثة ، فقال كوز : تيس الأبعد ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو حارثة : بل أنت تيس . فقال : ولم يأنى ؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنا نخطره . فقال له كوز : لما يمتك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى . فاضمر عليها منه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك ، فكان يحدث عنه هذا الحديث .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : وبلغني أن رؤساء تيجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، فكلما مات رئيس منهم وأفضت الرئاسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فقتر ، فقال ابنه : تيس الأبعد - يريد النبي صلى الله عليه وسلم - فقال له أبوه : لا تفعل فإنه نبي وأسمه في الوضائع - يعني الكتب - فلما مات لم يكن لأبنته حمة إلا أن تكسر الخواتم ، فوجد في الكتب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه فحج ، وهو الذي يقول :

• إلك تعدوا قللاً وضيقاً •

(١) في الأصول وابن هشام « كوز » وما أثبتناه هما الروايتان المعروفتان في اسم ابن علقمة (راجع

القاموس مادى كوز ، وكوز) والإصابة وأمد الناقة .

قال ابن إسحق : ولما قَدِمُوا صَلَّوْا فِي الْمَسْجِدِ نَحْوَ الشَّرْقِ ، وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ الثَّلَاثَةَ قَرَّ : الْعَاقِبُ ، وَالسَّيِّدُ ، وَأَبُو حَارِثَةَ ، وَهُمْ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ ، مَعَ اخْتِلَافٍ مِنْ أَمْرِهِمْ ، يَقُولُونَ فِي الْمَسِيحِ : هُوَ اللَّهُ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ ابْنُ اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، فَهُمْ يَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ : هُوَ اللَّهُ بِأَنَّهُ كَانَ يَحْيَى الْمَوْتَى ، وَيَبْرَأُ مِنَ الْأَسْقَامِ ، وَيُغْبِرُ بِالْقُيُوبِ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا ، وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ : لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ يُسَلِّمُ ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، [وَهَذَا] شَيْءٌ لَمْ يَصْنَعْهُ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ قَبْلَهُ . وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ أَنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، بِقَوْلِ اللَّهِ قُلْنَا ، وَأَمَرْنَا ، وَخَلَقْنَا ، وَقَضَيْنَا ، فَيَقُولُونَ : لَوْ كَانَ وَاحِدًا مَا قَالَ إِلَّا قُلْتُ وَقَضَيْتُ وَأَمَرْتُ وَخَلَقْتُ ، وَلَكِنَّهُ دُوْهُ وَعَيْسَى ، وَصَرِيحٌ .

قال : فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرَانَ قَالَ لَهَا : « أَسْلِمَا » ، فَلَا : قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ . قال : « كَذِبًا ، يَمْتَنِعُكَ مِنَ الْإِسْلَامِ دُعَايَا اللَّهِ وَلَدًا ، وَعِبَادَتُكَ الصَّلِيبِ ، وَأَكَلُكَ الْخَسْزِيرِ » فَلَا : فَمِنْ أَبْوِهِ بِأَعْدٍ ؟ فَصَمَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَمَّ بِمَجْهَمَا ، فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي اخْتِلَافِ أَمْرِهِمْ كُلَّهُ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ، إِلَى بَضْعِ وَثَمَانِينَ آيَةً مِنْهَا .

فَقَالَ تَعَالَى : (اَلْأَسْمَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) ١٢٠ قَالَ : أَتَشْتَعِ السُّورَةَ بِتَرْيَةِ نَفْسِهِ عَمَّا قَالُوا وَتَوْحِيدِهِ ، لَيْسَ مَعَهُ شَرِيكَ فِي أَمْرِهِ : « الْحَيُّ » أَيْ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَقَدْ مَاتَ عَيْسَى وَصَلِبَ فِي قَوْلِهِمْ . « الْقَيُّومُ » الْقَائِمُ عَلَى مَكَانِهِ مِنْ سُلْطَانِهِ

(١) الزيادة من قوله

(٢) القائل ابن إسحق .

في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى. ثم قال تعالى: ﴿تَزَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق فيما أخطفوا فيه ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدَى النَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أي الفصل بين الحق والباطل فيما أختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره، ثم قل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي إن الله مُنتقم من كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاؤون بقولهم في عيسى؛ إذ جعلوه إلها وعندهم من علمه غير ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي قد كان عيسى من صُور في الأرحام لا يبدفون ذلك ولا ينكرونه، كما صُور غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلها وقد كان بذلك المنزل.

ثم قال تعالى تنزيها لنفسه وتوجيها لها: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي «العزیز به أنتصاره ممن كفر به إذا شاء» الحكيم «في حجة وعنده إلى عباده». ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي فيها حجة الرب وعصمة العباد، ودفع المصنوع والباطل، ليس لمن تصريف ولا تحريف عما وُضِعَ عليه. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أي لمن بصريف وتأويل. آتلى الله فيها العباد، كما أبسلاهم في الحلال والحرام، ألا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي ميل عن الهدى. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي ما تصرف منه؛ ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا لتكون لهم حجة وشبهة على ما قالوا. ﴿أَفَنُفِخَ الْفِتْنَةُ﴾ أي اللبس، وأُخِفَاءَ تَأْوِيلُهُ أَي تَأْوِيلُ ذَلِكَ عَلَى

مَارِكِيُوا مِنَ الصَّلَاةِ فِي قَوْلِهِمْ : خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا . يقول تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد ، من رب واحد . يقول : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أى فى مثل هذا . ثم قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلَكُوتُ وَأُولُو الْعِلْمِ يُشْهَدُونَ بِذَلِكَ ﴾ . ﴿ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ ﴾ أى بالعدل ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿ أى ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسول . قال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنَبَأِهِمْ ﴾ أى العلم الذى جامله أن الله الواحد الذى ليس له شريك . ثم قال : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ يقول تعالى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾

أى فيما يتون به من الباطل من قولهم : خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا وَأَمَرْنَا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق ﴿ فَقُلْ أَطَعْتُ وَجْهِيَ اللَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ أى الذين لا كتاب لهم ﴿ أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ أَسْلَمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

- ١٥ ثم جمع تعالى أهل الكافرين من اليهود والنصارى فيما أهدتوا وأبتدعوا ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ﴾ أى رب العباد والمالك الذى لا يهضى فيهم غيره . ﴿ قَوْلَى الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتُزْعِ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَنُصِرَ مَنْ تَشَاءُ وَتُدَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى

٤٢
١٦

(١) فسر آية هشام هذه الآية فقال : « ربنا لا تزعقل قلوبنا بعد إزهدينا » أى لا تعمل قلوبنا وإن

من أبحاثنا .

لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ (تُوجِزُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُوجِزُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) أَيْ بِنُكَاحِ الْقُدْرَةِ . (وَتَزِدُّ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أَيْ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُكَ وَلَا يَصْنَعُهُ إِلَّا أَنْتَ ، أَيْ إِنْ كُنْتُ سُلْطَنُ عِيسَى عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ ، مِنْ أَحْيَاءِ الْمَوْتِ ، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ ، وَالخَلْقِ مِنَ الطِّينِ ، وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ ، لِأَجْعَلُهُ بِأَيَّةٍ لِلنَّاسِ ، وَتَصَدِّقًا لَهُ فِي نَبُوْنِهِ الَّتِي بَعَثَهُ بِهَا إِلَى قَوْمِهِ ، فَإِنْ مِنْ سُلْطَانِي وَقُدْرَتِي مَا لَمْ أُعْطَهُ^(١) مِنْ إِجْلَاجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَالنَّهَارِ فِي اللَّيْلِ ، وَإِخْرَاجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَإِخْرَاجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، وَرِزْقٍ مِنْ شَيْءٍ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ أُسَلِّطْ عِيسَى عَلَيْهِ ، وَلَمْ أُسَكِّ إِياه ، أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ وَبَيِّنَةٌ إِنْ لَوْ كَانَ إِلَّا مَا كَانَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي قَوْلِهِمْ يَهْرُبُ مِنَ الْمُلُوكِ وَيَنْتَقِلُ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ ، مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

ثُمَّ وَعِظَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَحَذَّرَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) أَيْ مَا مَعْنَى مِنْ كَفَرْتُمْ (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي الْقَافِرِينَ) يَقُولُ : أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَاتَمَّ تَعْرِفُونَهُ وَتَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ ، (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أَيْ عَلَى كُفْرِهِمْ .

ثُمَّ أَسْتَقْبَلَ أَمْرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَيْفَ كَانَ بِهِ مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ : (إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) . ثُمَّ ذَكَرَ أَمْرَ امْرَأَةِ عِمْرَانَ فَقَالَ : (إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) أَيْ جِئْتُكَ عَتِيقًا بِعِبدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَا يَنْفَعُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا (فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ

(١) عبارة ابن هشام : « مَا لَمْ أُعْطَ تِلْكَ الْمُلُوكَ بِأَمْرِ النُّبُوَّةِ » وَوَضَعَهَا حَيْثُ شَتَّ ... الخ .

إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَإِنَّهُ أَكْمَلُ بَرٍّ وَأَخْسَنُ وَلَقَدْ جِئْتَنِي بِهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ ﴿١٠﴾ (إلى ليس الله ككلاشي لما جعلتها عسراً لك نذيرة) (وإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُبَيِّنُهَا لَكَ وَنُذِيرًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) . يقول الله تعالى : (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) أي كفَّلها بعد أبيها وأُمها ، بذكرها باليم ، ثم قصَّ خبرها وخبر زكريا ، وما دعا به وما أعطاه ، إذ وهب له يحيى ، ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها ، فقال تعالى : (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) قال الثعلبي : السائل من الملائكة جبريل وحده ، «اصطفاك» ، «واصطفاك» بولادة يحيى طيه السلام من غير أب ، «وطهرك» من ميسيس الرجال . وقيل : كانت مريم طيبها السلام لا ينجس و «اصطفاك» بالتحريف في المسجد . «على نساء العالمين» قال : على عالمي زمانها ، ولم تُحرر أنثى غيرها . (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَعْبُدِي وَارْتَكِي مَعَ الرَّاكِبِينَ) قال الثعلبي : قوله «اقْنُتِي» أطبى وأطبل الصلاة لك ، قال : كلمتها الملائكة شفاعاً . قال الأوزاعي : لما قالت لها الملائكة ذلك ، قامت في الصلاة حتى وُيِّت قدامها وسالت دماً وقيحاً .

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَتَسْمِعَهُمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَعْنَاهُمْ أَلَمْ يَعْلَم بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) قال ابن إسحق : كلها هاهنا جُرحُ الراهب رجل من بني إسرائيل نجار ، خرج السهم طيه لحملها ، وكان زكريا قد كفَّلها قبل ذلك ، فأصابته بني إسرائيل أزمة شديدة ، فعجز زكريا عن حملها ، فاستهموا عليها ، فخرج السهم على جُرح الراهب فكفَّلها . يقول تعالى : (وَمَا كُنْتَ لَتَسْمِعَهُمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) أي ما كنت معهم إذ يختصمون في كفالتها ، فغفّر تعالى

بغنى ما كَتَمُوا منه من العلم عندهم ، لتحقيق نبؤته ، والجهة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه .

ثم قال تعالى : (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) أى هكذا كان أمره ، لا كما يقولون فيه . (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) « وَجِيهًا » أى شريفا ذا جاه وقدر « وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ » عند الله (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها فى عمره ، كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا وكبارا ، ألا أأن الله تعالى خصه بالكلام فى مهده آية لنبؤته وتزيتها لأئمه . وقوله : « وَكَهْلًا » قال مقاتل : إذا اجتمع قبل أن يُرْفَعَ إلى السماء . وقال الحسين بن الفضل : « كَهْلًا » بعد نزوله من السماء . وقال ابن كثير : أخبرها أنه يبق حتى يكتحل . وقيل : يُكَلِّمُ النَّاسَ فى المهد صبيا وكهلا ؛ بشرها بنبؤته ، فلأئمه فى المهد مُعِجزة وفى الكهولة دَعْوَة . وقال مجاهد : « وَكَهْلًا » أى حليما .

قال تعالى إخبارا عن مريم : (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ ذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) ثم أخبرها بما يريد به فقال تعالى : (وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) قوله « الْكِتَابَ » أى الكتابة والخط . « وَالتَّوْرَةَ » التى كانت فيهم من عهد موسى قبله « وَالْإِنْجِيلَ » كتابا أنزله الله إليه ، لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن . يقول تعالى : (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) أى يُحَقِّقُ بها نبؤتى أنى رسول منه إليكم . (أَنِّي آخُلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ)

(١) اجتمع الرجل : أسرته طبعه ، وبلغ غاية شيابه .

(٢) على هذا يكون « كهلا » معطوفا على « وجيها » .

قال التلميذ: قراءة العامة بالجمع؛ لأنه خلق طيرا كثيرة، وقراء أهل المدينة «طائرا» ذهبوا إلى أنه نوع واحد من الطير؛ لأنه لم يخلق غير الخفاش، قال: وإنما خص الخفاش لأنه أكل الطير حقا، ليكون الخف في القفلة؛ لأن لما نديا وأسانا وهي تحبض وتطير، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعيُنهم سقط ميتا؛ لتمييز فعل انطلق من فعل الله عز وجل، ولعلم أن الكمال لله. (وَأَبْرَأُ الْآلِهَةَ وَالْأَرْضَ) والآلهة التي يولد أعمى وجمعه عثم. وقيل: هو الأعمى وهو المعروف من كلام العرب؛ قال سويد بن أبي كاهل:

كَيْفَ عِيَاءٌ حَتَّى آيِسَتْ ۖ هُوَ يَلْقَى نَفْسَهُ حَتَّى تَزُجَ^(١)

والأرض الذي فيه وحم، قال: وإنما خص هذين؛ لأنهما عيَّامان وكان الثَّالِبُ على زمن عيسى عليه السلام الطَّيْبُ؛ فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.

قال وهب: ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفا، من أطلق منهم أن يبلغه بلفه، ومن لم يطلق أثناء عيسى عليه السلام، وإنما كان يداوهم بالدماء، على شرط الإيمان. (وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) قال التلميذ: أحيا أربعة ألفين المازر وكان صديقا له، فأرسلت أخته إلى عيسى: إن أخاك المازري يموت فأنه، وكانت بيته وبيته مسيرة ثلاثة أيام، فأنه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: أنطلق بنا إلى قبره. فأنطلقت معهم إلى قبره وهو في حفرة مطبقة، فقال عيسى عليه السلام: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْهَبُهُمْ إِلَى دِينِكَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنِّي أُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِكَ، فَأُخِي الْمَازِرَةَ، قَالَ: فقام عازر وودَّكه يقطر، فخرج من قبره وبقى وولده. وأحيا ابن الجعوز، صر به ميتا على عيسى عليه السلام،

(١) متى اليك: أن الحصة قد جُيِشَ عيه.

وهو يُحْمَلُ عَلَى سِرِّهِ، فَمَا أَفَقَّ تَعَالَى عَيْبِي، جَلَسَ عَلَى سِرِّهِ . وَنَزَلَ عَنْ أَعْنَاقِ
الرَّجَالِ، وَبَلَسَ ثِيَابَهُ، وَحَمَلَ السِّرِيرَ عَلَى عَقْبِهِ . وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَبَقِيَ وَوُلِدَ لَهُ،
وَأَبْنَةُ الْعَاشِرِ قِيلَ لَهُ : أَنْجِبْهَا وَقَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ؟ فَمَا أَفَقَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَصَاحَتْ وَبَقِيَتْ
وَوُلِدَتْ، وَسَامَ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَوَمَا عَيْبِي بِأَسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، فَفَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ
وَقَدْ شَابَ نَصْفَ رَأْسِهِ، فَقَالَ : قَدْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ ؟ قَالَ : لَا، وَلَكِنِّي دَعَوْتُكَ
بِأَسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَتَّ، قَالَ : بِشَرَطِ أَنْ يُبَيِّدَنِي اللَّهُ مِنْ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ،
فَمَا أَفَقَّ سُبْحَانَهُ فَعَمِلَ .

قال الكلبي : كَانَ يُبْحِي الْأَمْوَاتَ بِهَيَا حَى يَا قِيَوْمَ .

قال [تعالى] : ﴿ وَأَتَيْنَكُم بِمَا تَكُونُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أَي آيَةً لَكُمْ أَنِّي رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ .

يقول [تعالى] : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ أَي لِمَا سَبَقَنِي مِنْهَا .
﴿ وَلَا حِيلَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ أَي أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ حَرَامًا فَتَرَكْتُمُوهُ .
ثُمَّ أَعْلَمَهُ لَكُمْ تَخْفِيفًا عَنْكُمْ، فَتَصْبِيحُونَ يُسْرَهُ وَتَخْرُجُونَ مِنْ تَبَاعَثِهِ .

يقول [تعالى] : ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُسُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . إِنْ اللَّهُ رَزَقَ
وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ أَي هَذَا الْهُدَى قَدْ حَمَلْتُمْ عَلَيْهِ وَجِئْتُكُمْ بِهِ . يَقُولُ
تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْبِي مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ
تَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَّا بِإِلَهِهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ . رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ

(١) وَهِيَ النَّحْوُ كَانَ أَبُوهَا يَأْخُذُ بِالْمَشُورِ .

(٢) زِيَادَةُ بَعْضِهَا الْخَطَأُ .

(٣) التَّجَاوُزُ (بِالْكَسْرِ) : الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيِّنَةٌ شَبَّاهُ ظِلْمَةٌ وَتَحْوَاهَا . وَهِيَ التَّجَاوُزُ .

فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) أى هكنا كان قولهم وإيمانهم، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك، ثم ذكر تعالى رَقْمَهُ عيسى إليه حين أجمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ قال أهل المعاني: المكر السعي بالفساد في ستر ومُدَاجاة. وقال الفراء: المكر من المخلوقين الحب والخديعة والحيلة، وهو من الله واستدراجُه العباد. ثم أخبرهم تعالى، ورد عليهم فيما أفتوا به لليهود من صلبه، وإن الله عصمه منهم، ورقمه إليه، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافُكُ إِلَى مَوْطِئِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَدُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَتُوفِّيهِمْ أُجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ قال التلمبي: اختلفوا في معنى التوفى هاهنا، فقال كُتِبَ والحسن والكلبي ومطر الزواق ومحمد بن جعفر بن الزبير وابن جرير: وأبى هذا زيد: معناه إني قابضك ورافضك من الدنيا إلى من غير موت. قال: وعلى هذا القول تأويلان: أحدهما — إني رافضك إلى وإفيا لم ينالوا منك شيئاً من قولهم تَوَفَّيْتُ هذا، وأستوفيته أى أخذته تاماً.

والآخر — إني مُسَلِّمٌ، من قولهم تَوَفَّيْتُ منه كذا أى تسلَّمته. وقال الربيع ابن أنس: معناه إني مُبْتِئِك ورافضك إلى في نومك؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أى يُبْنِمَكُم؛ لأنَّ النوم أخو الموت. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ الآية. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إني مُبْتِئِك. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ وقوله: ﴿أَوْ تَوَفِّيَكُم﴾ قال: وله على هذا القول تأويلان: أحدهما — ما قال وهب: تَوَفَّى اللَّهُ تعالى

عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه إليه . وقال ابن إسحق :
النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفع .
والآخر - ما قال الضحاك وجماعة من أهل المعاني : إن في الكلام تقدما وتأخيرا .
معناه إني رافعتك إلى ومطهرتك من الذين كفروا ، وتوفيتك بعد أن أتركك من
السماء . وقال أبو بكر بن محمد بن موسى الواسطي : معناه « إني متوفيتك » عن
شبهائك وحظوظ نفسك . قال : وذلك أنه لما رُفِعَ إلى السماء صار حاله حال
الملائكة . وقوله : « وَرَافَعْتُ إِيَّاهُ » قال البُنَّانِيُّ والشَّيْبَانِيُّ : كان عيسى عليه
السلام على طُورِ زَيْنَا فَهَبَتْ رِيحٌ ، فَهَوَّلَ عِيسَى ، فَرَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَوَولَتِهِ ،
وعليه مِدْرَعَةٌ مِنْ شَعَرٍ . وقيل : معناه ورافعتك بالدرجة في الجنة ، ومقرتك إلى
بالإكرام .

وقوله : « وَمُطَهَّرْتُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » أي غُيِّرْتُكَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمُنَجَّيْتُكَ مِنْهُمْ .
وقوله : « وَجَاعَلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » قال قتادة والربيع
والشَّعْبِيُّ ومقاتل والكَلْبِيُّ : هم أهل الإسلام الذين آتبعوا دينه وسُقَّتْهُ مِنْ أَمَّةٍ
مُجِدَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَافَقَهُ مَا آتَمَّهُ مِنْ دَعَاءِ رَبِّهِ . « فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا »
ظَاهِرِينَ قَاهِرِينَ بِالْعِزِّ وَالْمَنْعَةِ وَالْعَلِيلِ وَالْمُجْتَمِعِ . وقال الضحاك وعلي : ومحمد بن أبان :
بني الحوارين فوق الذين كفروا . وقيل : هم الروم . وقال ابن زيد : وجاعل
النصارى فوق اليهود ، فليس بل فيه أحد من النصارى إلا وهم فوق اليهود ، واليهود
مُسْتَدَلُّونَ مَقْهُورُونَ . قال : وعلى هذين القولين يكون معنى الاكتساع : الاكتفاء
والحاجة لا اتباع الدين والملة . « ثُمَّ إِيَّايَ مَرَّجِعُكُمْ » أي في الآخرة . « فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
فَيَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ » أي من الدين وأمر عيسى .

قوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا ﴾ بالقتل والنسي
والجزية والقتل . ﴿ وَالْآخِرَةُ ﴾ بالنار . ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ . قوله : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا ﴾ الآية ظاهرة المعنى . قوله : ﴿ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾
أى هذا الذى ذكرته لك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « هو القرآن » . وقيل :
هو القرآن المحفوظ ، وهو معلق بالعرش ، من دوة بيضاء ، و « الحكيم » هو المحكم
من الباطل ، قاله مقاتل . وقال ابن إسحق : أى القاطع الفاصل ، الحق الذى
لا يناطله الباطل ، من الخبر عن عيسى ، وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تحيل
خبر غيره . فقال : ﴿ إِنْ مَثَلٌ عِيسَى جَدَّ اللَّهُ كَتَلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمَحْذَرِينَ ﴾ أى قد جاءك الحق فلا تحذر
فيه ، وإن قالوا خلق عيسى من غير ﴿ ذَكَرْ ﴾^(١) ، فقد خلقت آدم [من تُرَابٍ] بتلك
القدرة من غير أى ولا ذكر ، فكان لما ودما وعظما وشعرا وبشرا ، كما كان عيسى ،
فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلِيمٍ ﴾ أى من بعد ما
قصص عليك من خبره ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِسَانَهُ لَكُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ قوله : « نَبْتَهِلْ » أى نضرب
في الدعاء . وقيل : نخلص في الدعاء . وقيل : نجتهد ونبالغ فنقول لمن الله الكاذب
منا ومنكم . قال ابن إسحق : ﴿ إِنْ هَذَا ﴾ الذى جئت به من الخبر عن عيسى
﴿ لَسَوْ أَقْصَصُ الْحَقُّ ﴾ من أمره . ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَوْ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ . فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أى إن اعرضوا عن الإيمان ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ أى
الذين يبعدون غير الله تعالى ، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله .

(١) في الأصول : « ذلك » وهو تحريف ، والتصويب من سيرة ابن هشام .
(٢) الزيادة من سيرة ابن هشام .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اكْفَيْتُمُونَنَا بِمَا تُسَلِّطُونَ ﴾ فدعاهم إلى التَّصَفِّ ، وقطع عنهم المُنَجَّة ، قال : فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عز وجل عن عيسى ، والقِصْل من القضاء بينه وبينهم ، وأمره بما أمره به من مُلَاعَنَتِهِمْ إِنْ رَدُّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فدعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نعمل فيها دعوتنا إليه ، فأنصرفوا عنه ، ثم خلَّوْا بالعاقب ، فقالوا : يا عبد المسيح ، ماترى ؟ فقال : والله يا مَشَرَّ النَّصَارَى لقد عرقتُم أُمَّ عَلِيٍّ لَنِي مُرْسَلٌ ، لقد جاءكم بالقِصْل من خبر صاحبكم ، ولقد علمت ما لَأَعَنَ قَوْمٌ نِيًّا قَطُّ فَبَنِي كَيْرُهُمْ ، وَلَا بَنَتِ صَغِيرُهُمْ ، وأنه الاستِئْصَالُ مِنْكُمْ إِنْ قُلْتُمْ ، فإن كنتم قد أُبَيِّمَ إِلَّا أَلَقْتُ دِينَكُمْ ، والإِقَامَةَ عَلَى مَا أَمَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ ، فوادِعُوا الرِّجْلَ ، ثم أنصرفوا إلى بلادكم . فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم ، قد رأينا ألا تَلَاَعَنَكَ ، وإن تركك على دينك ، وزرع على ديننا ، ولكن أبعث معنا رجلا من أصحابك ، رضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء أختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رَضَاءً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَسْتَوِي الْعَشِيَّةُ أَبْعَثَ مَعَكُمْ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ » فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما أَحَبُّهُتُ الْإِمَارَةَ قَطُّ حَتَّى إِذَاهَا يَوْمُنْذُ رَجَاءُ أَنْ أَكُونَ صَاحِبَهَا ، فخرَجْتُ إِلَى الظُّهْرِ مُهْجَرًا ، فَلَمَّا صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهَرَ ، سَلَّمَ ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَيساره ، فبَحَلَتْ أَتَاطُولُ لَهُ لِيَرَانِي ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَسَّ بِبَصَرِهِ حَتَّى رَأَى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَوْزِاجِ فَدَعَاهُ لَهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْمِجْرَةِ .

فقال : « أخرج فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه » قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة . هذا ما رواه ابن هشام عن ابن إسحق .

وقال محمد بن سعد في طبقاته : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليهم الميالة أنصرفوا عنه ، ثم أتاه عبد المسيح ورجلان من ذوى رأيهم ، فقال : قد بدأ لنا الألباهلك ، فأحكم علينا بما أحببت نطيك ونصالحك . فصالحهم على ألفي حلة : ألف في شهر رجب ، وألف في صفر ، أو قيمة كل حلة من الأواق ، وطل حارية ثلاثين درهماً ، وثلاثين رُحماً وثلاثين بعبراً ، وثلاثين فرساً : إن كان باليمن كَيْدٌ .^(١) ولتجران وحاشيتهم جوار الله وخدمة عهد النبي رسول الله ، على أنفسهم ومثلهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبهمهم ، لا يُغير أسقف من سقيفاه ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا واقف من وقفايته ، وفي بعض الروايات لا يُغير واقفه من وقفيته ، ولا قسيس من قسيسيته . والواقفه : قيم الكنيسة .

قال : وأشهد على ذلك شهوداً منهم أبو سفيان بن حرب ، والأقرع بن حابس والمغيرة بن شعبة ، ورجعوا إلى بلادهم ، فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلما وأتلفا في دار أبي أيوب الأنصاري ،

(١) كَيْدٌ : حُبٌّ .

(٢) الأسقف : رئيس النصارى في اليمن . وسقيفاه : صدر كالظلي من الغلالة ؛ أى لا ينج من تسفقه وما يأتية من أمر دينه وتقدمته .

(٣) الواقف : خادم البيت ؛ لأنه وقف على خدمتها . وقفايته : خدمته ، ويرى « وقفاه » بالكسر والتشديد ؛ وهو مصدر كالخصمي والمخلف .

(٤) ورواه ابن الأثير في « واقف » وكناه مقلوب .

وأقام أهل نَجْرَان على ما كتب لهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله تعالى . ثم ولى أبو بكر فكتب بالوصاة بهم عند وفاته ، ثم أصابوا رياء فأنزجهم عمر بن الخطاب من أرضهم ، وكتب لهم :

وهذا ما كتب عمر أمير المؤمنين لنَجْرَان . من سار منهم إنه آمن بأمان الله ، ولا يضرهم أحد من المسلمين ؛ وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر . أما بعد - فن وقوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من جريب الأرض ، ما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة ، وعقبة لم يمكن أرضهم ، لا سيل عليهم فيه لأحد ولا مفرم - أقام بعد - فن حضرهم من رجل مسلم فليصبرهم على من ظلمهم ، فانهم أقوام لهم النعمة . وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهرا بعد أن يقدموا ، ولا يكفوا إلا من ضيبتهم ، غير مظلومين ولا متوف عليهم .^(١)
شيد عثمان بن عفان ومسيب بن أبي طاطمة .

قال : فوقع ناس منهم بالعراق ، فزلوا النجرانية التي هي ناحية الكوفة .

وحيث ذكرنا وفادات العرب ، فلا بأس أن نصل هذا الفصل بما يناسبه من خبر الحق في إسلامها ، ونلحق ذلك بما يتعلق به من إخبار الحق أصحابهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم بسبب ذلك ، فإنا عند ذكرنا للبشرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكرنا من ذلك طرقا ، وأنشأنا بقية لذكرك في هذا الفصل ، ونهنا عليه هناك .

(١) وضوا : زلوا . (٢) جريب : هو في الأصل لروادي ، ثم استمر نقطة التميز من الأرض . ما اعتملوا : استملوه في الزواجة . (٣) في طبقات ابن سعد : « من ضيبتهم التي اعتملوا » . (٤) لا ستوف عليهم : أي لا يستعطي عليهم في الحاجة ، بل يعاملون بالعين والرق .

ذكر خير إسلام الجن

ودعاهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ قَهْرًا مِنَ الْجَنِّ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا خَفِيَ وَكَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ سَيِّدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يَجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ : الْأَرْضُ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ ١١٠ ﴾

وكان من خبر الحق ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال :
 أنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه ، عائدین إلى سوق عكاظ
 وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأُرسلت عليهم الثُعب ، فرجعت
 الشياطين ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : قد حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأُرسلت علينا
 الثُعب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما قد حدث ، فأضربوا مشارق
 الأرض ومغاريبها ، فانظروا ما هذا الأمر الذي قد حدث ، فأنطلقوا فضربوا مشارق
 الأرض ومغاريبها ، ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، وأنطلق
 الذين توجهوا إلى نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخلة ^(٢) وهو عائد إلى
 سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن قسَمُوا له فقالوا : هذا ^(٣)

(١) الآيات من ٢٩ - ٣٢ سورة الأحقاف .

(٢) نغلة: سم موضع يعرف بنخلة الحامية يراد يأخذ إلى قرن والطائف، قال في المصباح: «جاء كان ليلة المن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف لما سار إلى الطائف؛ فيها وبين مكة ليلة».

(۲) نسروا : تكفروا عنه .

الذي حَالَ بَيْنَكُمْ وبين خبر السماء . فهناك رجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا نَجْمًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ . وَاَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمَعَ تَفَتُّهُنَ الْخَلْقِ﴾ وَإِنَّمَا أَوْحَى إِلَيْهِ قَوْلُ الْخَلْقِ ، رواه البخاري في صحيحه عن موسى بن إسماعيل ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

وذهب محمد بن سعد إلى أن استماع الخلق كان بخسلة ، عند هود رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف ، لما توجه يدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له ، وذلك قبل الهجرة .

وقال الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في كتابه المترجم « بدلائل النبوة » ، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة « بعد أن ساق حديث البخاري قال : وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الخلق قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعليت بحاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرمهم كما حكاه ، ثم أناه داعي الخلق مرة أخرى ، فذهب معه ، وقرأ عليهم القرآن ، كما حكاه عبد الله ابن مسعود .

وقد روى البيهقي بسنده إلى عبد الله بن مسعود خبر الخلق في القصصين : أما الأولى فإنه قال : هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وعو يقرأ القرآن يبطن تحلة ، فلما سمعوه قالوا : أنصتوا - قالوا صه - وكانوا سبعة ، أحدهم زوينة ، فانزل الله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْخَلْقِ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ إلى قوله : ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ . وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم آذنته بالخلق شجرة ، رواه البخاري ، ومسلم في الصحيحين .

- وأما القصة الثانية ، فرواها عن الشَّيْخِ عن عَقْمَةَ قال : قلت لعبد الله بن مسعود هل يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ الجنِّ منكم أحدٌ ؟ فقال : ما محبه منّا أحدٌ ، ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة قلنا : أغْيِلْ ؟ أَسْطِطِرْ ؟ ١٠ قُلْ ؟ قال : فَبَيْنَمَا بَشَرٌ لَيْلَةً بات بها قومٌ ، فلما كان في وجه الصُّبْحِ أو قال في السَّحَرِ ، إذا نحن به يجرى من قبل حِراءَ ، قلنا : يا رسول الله ، فذكروا الذي كانوا فيه ، فقال : « إنه أتاني داعي الجنِّ فأتيتهم فقرأت عليهم » قال : فأطلق فارانا آثارهم ، وآثارَ نيرانهم ، قال : وقال الشَّيْخُ فسأله الزَّادُ ، وقال ابن أبي زائدة : قال عامر سأله لَيْثُ الزَّادِ ، وكانوا من جنِّ الجزيرة ، فقال : « كُلُّ عَظْمٍ ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عليه يقع في أيديكم أو فرما كان لحماً ، وكلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْنَةٍ عُلِفَ لِدوابِكُمْ - قال - فلا تَسْتَجِوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجنِّ » رواه مسلم في صحيحه . وكان فيما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم : « الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ » السورة ، ويدل على ذلك ما رواه محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرَّحْمَنُ » على الناس سَكَتُوا فلم يقولوا شيئاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ جَوَاباً مِنْكُمْ لَمَّا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ « قَيَّأَ آيَةَ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ » قَالُوا لَا بَشَى مِنْ آيَةِ رَبَّنَا نَكْذِبُ » . ومن رواية أخرى ١٥ عنه : « قَالُوا لَا بَشَى مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ فَلَكَ الْحَمْدُ » .

وعن أبي المُلَيْحِ الْمُثَنَّلِيِّ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عُيَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : أَيْنَ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجِنِّ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِمْ بِشَعْبٍ يُقَالُ لَهُ الْجَبْجُونُ . وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنْتُمْ تَقْرَأُونَ

(١) الذي في نسخة لميخ مخطوطة : « قَالُوا لَا بَشَى مِنْ آيَةِ رَبَّنَا نَكْذِبُ » - سكت .

من الجن خمسة عشر بنى لآخرة وبنى عم ياتونى الليلة فاقرا عليهم القرآن . وقيل : كانوا أكثر من هذا . وقد جاء عنه : أنه ذهب إلى موضعهم ، قال : فرأيت موضع مبارك ستين ميلاً . ولما رأى عبد الله بن مسعود رجالاً الرط قال : ما رأيت شبيهم إلا الجن ليلة الجن ، وكانوا مُستغفرين يبيع بعضهم بعضاً .

ذكر إخبار الجن أصحابهم

بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم بسبب ذلك

روى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى رحمه الله فى صحيحه ، بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ما سمعتُ عمر رضى الله عنه لشيء قط يقول ، إني لأظنه كذا إلا كان كذا يظن ، بينما عمر جالس إذ مرَّ رجلٌ جميل ، فقال : لقد أخطأ ظنى أو إن هذا على دينه فى الجاهلية ، ولقد كان كاهنهم ، على الرجل ، فدعى له ، فقال له عمر : لقد أخطأ ظنى أو إنك على دينك فى الجاهلية أو لقد كنت كاهنهم ، فقال : ما رأيت كالיום أستقبل به رجلٌ مسلم . قال : فإني أخبرم عليك إلا ما أخبرتنى . قال : كنت كاهنهم فى الجاهلية . قال : فما أعجب ما جاءتك به جنتك ؟ قال : بينما أنا يوماً فى سوق جاءتنى أعيرف فيها الفزع ، قالت :

(١) الرط : جنس من السودان والهنود .

(٢) لأن عمر رضى الله عنه كان من المحدثين (بتشديد الهمزة) أى المهتمين بالصواب .

(٣) قال البيهقي : « يشبه أن يكون هو سواد بن قارب » .

(٤) أى فى كونه فى الجاهلية بأن صار مسلماً (المستعتر) .

(٥) أمزم عليك : أولئك .

أَلَمْ تَرَ الْجَنِّ وَإِبْلَاسَهَا • وَيَأْسَهَا بَعْدُ وَإِبْلَاسَهَا^(١)
وَلَحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسَهَا • وَيَأْسَهَا بَعْدُ مِنْ أَنْسَاكِهَا^(٢)

قال عمر : صدق ، بينا أنا نائمٌ عند ألفتهم ، إذ جاء رجلٌ يسجل فذبحه ،
فصرخ منه صارخٌ لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول : يا جليلج ، امرُ نجيج^(٣) ،
رجلٌ يصيح ، يقول لا إله إلا الله ، فوثب القومُ ، قلتُ : لا أربحُ حتى أعلم ما وراء .
هذا ، ثم نادى : يا جليلج ، امرُ نجيج ، رجلٌ يصيح ، يقول لا إله إلا الله ،
فقلت لا أربحُ حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جليلج ، امرُ نجيج ، رجلٌ
يصيح ، يقول لا إله إلا الله . ففتمتُ فما نَشِبْتُ أَنْ قِيلَ هَذَا نَبِيٌّ .

قال البيهقي : ظاهر هذه الرواية يؤيم أن عمر رضى الله عنه بنفسه سمع
الصبايح يصرخ من العجل الذي دُبح ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر
في إسلامه ، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه ،
والله تعالى أعلم .

ذكر خبر سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

روى البيهقي رحمه الله تعالى بسنده عن البراء ، قال : بينا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يخطب الناس على منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ قال : أيها الناس ،
أنيكم سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ ؟ قال : فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ تِلْكَ السَّنَةَ ، فلما كانت السَّنَةُ الْمُقْبِلَةُ ،

(١) إبلاسا : تحببها ودهنها . (النهاية) .

(٢) القلاص (جمع قلاص) : الناقة الثابة . أحلاسها : أكتبتها . وأنساكها : متبذلتها . والبيان

وردنا هكذا في الأصول والله لا نل ، وفي البخاري : أَلَمْ تَرَ الْجَنِّ وَإِبْلَاسَهَا • وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِبْلَاسِهَا •
وَلَحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسَهَا . وروى الشطر الأخير ليكون موزوناً : (ورجلها ليس بأحلاسها) .

(٣) يا جليلج : قال ابن الأثير : « جليلج اسم رجل قد ناداه » . ويحمل أنت يكون معناه :

الملك والمكاشف بالمدارة . ونجيج : من النجاح ، وهو نظير بالينية . (المتفعلان) .

٤٨
١٦

قال : أيها الناس ، أفيمك سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ ؟ قال فقلت : يا أمير المؤمنين ، وما سَوَادُ
ابن قارب ؟ فقال : إنه سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ كان بدء إسلامه شيئا عجيبا ! قال :
فينا نحن كذلك ؛ إذ طلع سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ ، فقال له عمر : يا سَوَادُ ، أخبرني بشيء
إسلامك كيف كان ؟ قال سَوَادُ : فإني كنت نازلا بالهند وكان لي ربي من
الحنن ، قال : فبينا أنا ذات ليلة نائم ؛ إذ جاءني في منامي ذلك ، قال : قم فافهم
وأعقل إن كنت تميل ، قد بُعث رسول من لُؤَيٍّ بن غالب ، ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِمَنْ وَأَتَجَامِيهَا * وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا ^(١)
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْمَدَى * مَا مُومِنُوهَا يَمِثُلُ أَرْجَاسِهَا
فَانْهَضْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * وَأَنْتُمْ بَيْنَيْكَ إِلَى رَاسِهَا

ثم أنبئني وأفرغني ، وقال : يا سَوَادُ بْنُ قَارِبٍ ، إن الله عز وجل بعث نبيا فأنهض
إليه تهتد وترشد ، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبئني ، ثم أنشأ يقول كذلك :

عَجِبْتُ لِمَنْ وَتَطْلَاسِهَا * وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا ^(٢)
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْمَدَى * لَيْسَ قُدَامَهَا كَأَذْنِهَا ^(٣)
فَانْهَضْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * وَأَنْتُمْ بَيْنَيْكَ إِلَى نَاسِهَا ^(٤)

(١) في مختصر الأدل : ١٥

عَجِبْتُ لِمَنْ وَتَجَامِيهَا * وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْمَدَى * مَاخِرُ الْجَنِّ كَأَتَجَامِيهَا

(٢) في مختصر الأدل :

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْمَدَى * مَا صَافَقَ الْجَنِّ كَذَنِيهَا
فَارْجُلُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * لَيْسَ قَسْدَامَهَا كَأَذْنِهَا

(٣) تاب القوم : سيدهم ورئيسهم ، وضما يسو : طلب العز والشرف .

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبني، ثم قال كذلك :

عَجَبْتُ لِمَنْ وَتَجَبَّرَهَا * وَشَدَّهَا الْمَيْسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْمُدَى * لَيْسَ ذَوُو الشَّرِّ كَأَخْبَارِهَا^(١)
فَأَنْهَضَ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ * مَا مُؤْمِنُو الْجَنِّ كَكْفَارِهَا

- قال : فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حُبُّ الإسلام من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ، فانطلقتُ إِلَى رَحْلٍ قَشَدْتُهُ عَلَى رِاحَتِي ، فَمَا حَلَلْتُ نِسْعَةً وَلَا عَقَدْتُ أُخْرَى حَتَّى أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِذَا هُوَ بِالْمَدِينَةِ وَالنَّاسِ عَلَيْهِ كَمُزِفِ الْقُرْسِ^(٢) ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : « مَرْحَبًا بِكَ يَا سَوَادَ بْنَ قَارِبٍ ، قَدْ عَلِمْنَا مَا جَاءَ بِكَ » قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قُلْتُ شِعْرًا فَأَسْمِعْهُ مِنِّي ، قَالَ سَوَادُ قُلْتُ :

- أَنَا بِنِي بَعْدَ لَيْلٍ وَجَمَّةٌ * وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَ كَذِبٍ^(٣)
• ثَلَاثَ لَيْلٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ * أَنَاكَ نَبِيٌّ مِنْ لَوْيَ بْنِ غَالِبٍ^(٤)
• فَشَمَرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارِ وَوَسَطْتُ * فِي الدَّغْلِبِ الْوَجَنَاءُ عِنْدَ السَّبَاسِيبِ^(٥)

(١) في مختصر الدلائل :

تهوى إلى مكة تبني الهدى * ماؤمنو الجن ككفارها

- قارحل إلى الصفوة من هاشم * بين روايبها وأجوارها

(٢) النسخة : سير مضفور ، يجعل زماما للبر وغيره ، ونشد به الرجال أيضا ؛ والمراد أني لم أفضل شيئا حتى جئت النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) عرف القرس : منبت الشعر من العنق .

(٤) الزنن يؤزن كمن : التابع من الجن ؛ سمي بذلك لأنه يراى يتبعه ، أو هو من الرأي من قولهم :

- ولئن روى قومه إذا كان صاحب رأيهم ، وقد تكسر راقه لأتباعها ما بعدها . والهجعة العالقة من الليل .
• ورواية البين والبخاري : ولم أك فيما قد بلوت .

(٥) شعر من ساق الإزار : كناية عن الجلد . والدغلب الوجناء : الناقة السريمة النليظة الصلبة

نسب - (جمع سبب) : الأوض الفقير البعيدة والفقارة .

فَاشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ • وَأَنَّكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ فَائِبٍ
وَأَنَّكَ أَذَقَ الْمُرْسَلِينَ شَفَاعَةً • إِلَى اللَّهِ يَا أَيُّهَا الْأَكْرَمِينَ الْأَطْلَافِ
فَرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ بِاخْتِرَ مَنْ مَنَى • وَإِنْ كَانَ فِيهَا جَاءَ سَبَبُ الدَّوَائِبِ^(١)
فَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ • سِوَاكَ يَمُنُّ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ^(٢)

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه • وقال لى :
« أَطْلَعْتَ بِسَوَادٍ » فقال عمر : هل يأتيك رثيثك الآن ؟ فقال : مُنْذَرْتُ الْقِرَانَ
لَمْ يَأْتِنِي ، وَنِعِمَّ الْيَوْضُ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْحَقِّ •

قال البيهقي : ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن ، الذي لم يذكر اسمه في الحديث
الصحيح ، وهو الحديث الذي ذكرناه آنفاً قبل خبر سواد •

وقد روى أيضاً عن سواد بن قارب ، من رواية سعيد بن جبيرة بنحو هذا ،
إلا أنه قال : كان سواد في جبل من جبال الشراة ، وقال : أُتِيتُ رَسُولَ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وقد ظهر ، فأخبرته الخبر ، وبايعته •

قال البيهقي رحمه الله : وقوله أُتِيتُ مَكَّةَ أَقْرَبَ إِلَى الصُّعَّةِ [مما رويناه
في الروايتين الأوليين^(٣)] • والله تعالى أعلم •

(١) انقواب ، جمع ذؤابة ، وهي العفيرة من الشعر إذا كانت مرسة • يقول : مرة بم يوحى بك
ولو كان فيه شيب شعراً •

(٢) ويروى : يمين جلا •

(٣) النواجذ ؛ قال ثعلب : المراد الأنياب ، وقيل : الأخراس كلها •

(٤) الشراة : جبل شاخ عن يسار همدان ، وبه سلسلة تذهب إلى حجة الجوز •

(٥) زيادة من دلائل التيقن •

ذِكْرُ خَيْرِ خُفَّافٍ بِنِزَالَةِ النَّفْقَى

رَوَى أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ رحمه الله بسنده إلى ذَائِلِ بْنِ طَلْقٍ بْنِ عَمْرِو النَّوْمِيِّ ،
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَعَدَ فِي مَسْجِدِهِ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ خُفَّافٌ بِنِزَالَةِ
 أَبِي عَمْرِو بْنِ يَهْدَلَةَ النَّفْقَى ، فَأَنشَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

كَمْ قَدْ تَغَطَّيْتَ الْقُلُوبُ بِالدُّبَى • فِي مَهْمَةٍ قَفِيرٍ مِنَ الْغُلُوبِ^(١)
 فَبَلَّ مِنَ التَّوْرِيسِ لَيْسَ بِقَاعِهِ • بَقِيَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْأَزْمَاتِ^(٢)
 إِنِّي أَنَا فِي الْمَنَامِ مُسَاعِدٌ • مِنْ جِنِّ وَبَعْرَةٍ كَانَ لِي وَمَوَاتٍ^(٣)
 يَتَّبِعُونَ إِلَيْكَ لِإِلَابٍ وَإِلَابٍ • ثُمَّ أَحْزَالَ وَقَالَ لَتُنْ يَأْتِ^(٤)
 فَرَكِبْتُ نَاجِيَةً أَضْرَ فِيهَا • جَمْرٌ تَحْتَهُ عَلَى الْأَكَاكِي^(٥)
 حَتَّى وَرَدْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ جَالِعِدًا • كَيْفَا أَرَاكَ تَفْطِرُجَ الْكُرْبَاتِ^(٦)

قَالَ : فَأَتَتْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : « إِنَّ مِنَ الْيَأَنِ كَالشَّعْرِ ،
 وَإِنَّ مِنَ الشَّرِّ كَالْحَمَلِ » .

(١) تَغَطَّيْتَ : حَلَّتِ الْأَرْضُ بِأَخْفَانِهَا . وَالْقُلُوبُ : الثَّاقَةُ الْغَنِيَّةُ ، الدُّبَى : سَوَادُ الْبَلِّ مَعَ
 شَيْءٍ مِنْ هَمٍّ : فَخَازَةِ بَيْتَةٍ ، الْغُلُوبُ جَمْعُ غَلَاةٍ : وَهِيَ الصَّغَرَاءُ الْوَاسِعَةُ ، أَوْ الْهَازَةُ لَا مَاءَ فِيهَا .

(٢) بَلَّ : خَالَطَ ، وَالتَّوْرِيسُ : صَبْغٌ أَصْفَرٌ ، يَرِيدُ أَنْ أَلْهَمَهُ التَّقَرُّرَ خَالَطَ مِنَ الْقُرُونِ الْأَصْفَرِ الَّتِي
 يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حِينَ الْهَلِ ، لِهُذَا قَالَ لَيْسَ بِقَاعِهِ بَقِيَ لِسَبِيحِ الْهَلِ وَأَزْمَاتِهِ . وَالْأَزْمَاتُ يَكُونُ
 وَجْهًا مَعَ الْهَلِ لَوْنِ اصْفَرَارٍ ، لِذَا قَالَ بَيْتُهُ الْهَلِ بِدَا قَاعِ الْأَرْضِ وَهُوَ وَجْهًا كَأَنَّهَا غَيْرُ بَيْتَةٍ .

(٣) جِنٌّ : وَجْهٌ : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْبَحْرَةِ مَوْحَشٌ . وَمَوَاتٍ : مَوَاتِقٌ وَمَطْلُوحٌ .

(٤) كَيْفَا : كَمَا كَانَ .

(٥) نَاجِيَةً : ثَقَاةٌ قَرِيبَةٌ إِلَى تَحْيِيرِ صَاحِبِهَا . بَيْتُهَا : بَلْعُهَا وَشَعْبُهَا ، وَفِي الْإِمَامَةِ :

« بَيْتُهَا : أَيْ يَتَّبِعُهَا ، وَفِي الْهَلَاكِ : « بَيْتُهَا » وَهُوَ تَضَعُفُ . الْبَلَرُ : السَّرْعُ السَّرِيعُ . وَفِي الْهَلَاكِ :

جَمْرٌ يَلْزَمُ : وَهُوَ شَرِبٌ مِنَ النَّفْسِ . تَحْتَهُ : تَسْرَعُ . الْأَكَاكِي : الْغُلُلُ وَالرَّوَابِي .

ومن ذلك ما روى عن علي بن حسين ، قال : أول خبر قدم المدينة ، أن
أمرأة من أهل يثرب تدعى فاطمة ، كان لما تابع من الحق بهاها يوما وقع على
جدارها ، فقالت : نالك لا تدخل ؟ فقال : إنه قد بُعث نبي يحرم الزنى . فخلعت
بذلك المرأة عن تابها من الحق ، وكان أول خبر يُحدث به بالمدينة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وعن جابر قال : أول خبر قدم المدينة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن امرأة
من أهل المدينة كان لما تابع ، بقاه في صورة طائر حتى وقع على جائط دارهم ،
فقالت له المرأة : أنزل نُحْبِرَكَ ونُحْبِرْنَا ، قال : لا ، إنه بُعث بمكة نبي منع من
القرار ، وحرم علينا الزنى .

ومنه ما روى عن محمد بن مهران واقده ، عن نعيم الدارئي أنه قال : سِرْتُ إِلَى
الشَّام فَأَدْرَكَنِي اللَّيْلُ ، فَأَيْتُ وَأَدْبَا فَقُلْتُ : أَنَا فِي جَوَارِ عَظِيمٍ هَذَا الْوَادِي الْبَلِيَّةُ ،
فَلَمَّا أَحْدَثْتُ مَضْجِي إِنْ أَا قَاتِلٌ لَا أَرَاهُ يَقُولُ : عُدْ بَاهُ الْأَحَدِ ، فَلَمَّا الْحَقُّ لَا يُجِيرُ
عَلَى اللَّهِ أَحَدًا ، وَأَنَّهُ قَدْ بُعِثَ رَسُولُ الْأَمِينِ ، وَصَلَيْنَا خَلْقَهُ بِالْمَجْمُوعِ ، وَأَسْلَمْنَا
وَأَتَيْنَاهُ ، وَأَمَّا بِهِ وَصَدَقْنَاهُ ، فَأَسْلِمَ نَسْلُ . قَالَ نَعِيمُ : فَلَمَّا أَصْبَحْتُ فُهِبْتُ إِلَى
دَيْرِ أَيُوبَ ^(١) ، فَسَأَلْتُ رَاهِبَهُ عَمَّا سَمِعْتُ مِنَ الْهَامِ ، فَقَالَ : صَدَقَ . وَكَانَ ذَلِكَ
سَبَبَ إِسْلَامِ نَعِيمِ .

ومنه ما روى عن أبي نُزَيْمٍ ^(٢) فَاتِكَ أَنَّهُ قَالَ : نَخَرَجْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَطْلُبُ إِلَّا

(١) في الدلائل «ظنية» : بالصغير .

(٢) ديراُيُوبُ : قرية بجوزان من نواحي دمشق كان بها أيوب عليه السلام .

(٣) هو قاتل بن الأنهم الأسدي .

أضلتها ، فلما كنت بأبرق المزّاف^(١) ، عقلت ناقي وتوسدت ذراعها ، وقلت :
أعود بغير هذا المكان ، فسمعت ها هنا يقول :

تَعَوَّذْ بِاللهِ ذِي الْجَلَالِ • وَوَحِّدِ اللهَ وَلَا تَبَايِ
مَا هَوَّلَ الْخَلْقُ مِنَ الْأَهْوَالِ •

قال فقلت : بين لي يرحمك الله ، فقال :

هَذَا رَسُولُ الله دُرُ الْخَيْرَاتِ • يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ وَالنَّجَاةِ
يَأْمُرُ بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ •

قل : فوقع في قلبي الإسلام ، قلت : مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْهَائِفُ ؟ فقال : أَنَا مَالِكُ بْنُ
مَالِكٍ ، إِنِّي أَرَدْتُ الْإِسْلَامَ فَأَنَا أَكْفِيكَ طَلَبَ ضَائِكَ حَتَّى أُرْدهَا إِلَى أَهْلِكَ ،
قال : فركبت راحتي وقصدت المدينة ، فقدمتها في يوم جمعة ، فأتيت المسجد
فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فانحنت بياب المسجد قلت ألبت حتى
يفرغ من خطبته ، وإذا أبو ذر قد خرج فقال لي : إِنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم
أُرْسِنِي إِلَيْكَ وَهُوَ يَقُولُ لَكَ : « مَرْحَبًا قَدْ بَلَغَنِي إِسْلَامُكَ فَأَدْخُلْ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ »
قال : فظهرت ودخلت فصليت ، ثم دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبايعني
وأخبرني بالخبر قبل أن أذكره له ، وقال لي : « أَنَا بِإِلَيْكَ فَقَدْ بَلَّغْتُ أَهْلَكَ ، وَقَدْ
وَقَى لَكَ صَاحِبَكَ » قلت : جزاء الله خيرا وَرَحِمَهُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« آمين » •

(١) أبرق المزّاف كشّاد : ما لبث أسد بن زينة سمعه بذلك لأنهم يسمعون فيه هزيف الجن
أي صوتهم ، وهو صوت يسمع بالهواء بالليل من الرياح •

(٢) في أسد النّابة في ترجمة مالك بن مالك الجنى : ١٠ قول ذي الجن من الأهوال •

ومنه ما روى عن مالك بن نُفَيْع أنه قال : نَدَّ بِمِرْثَى . فَرَكَيْتُ نَجِيَّةً وَطَنَهُ .
 حَتَّى ظَلِمْتُ بِهِ ، فَاخَذْتُهُ وَأَنْكَفَأْتُ رَاجِعًا . أَيْ أَهْلِي ، فَأَسْرَيْتُ إِيَّاهُ حَتَّى كَدْتُ
 أَصْبِيحَ ، فَأَخَذْتُ النَّجِيَّةَ وَالْجَمَلَ وَعَقَلْتُهُمَا ، وَأَضْطَجَعْتُ فِي دُورَى كَثِيبِ رَمْلٍ ،
 فَلَمَّا حَكَنِي الْوَسْنُ سَمِعْتُ هَاتِفًا يَقُولُ : يَا مَالِكُ ، يَا مَالِكُ ، لَوْ خَصَصْتَ عَنْ مَبْرُكِ
 الْعُودِ الْبَارِكِ ، أَسْرَكَ مَا هُنَاكَ ، قَالَ : فَوُتِرْتُ وَأَثَرْتُ الْبَيْرَ عَنْ مَبْرُكِهِ ، وَأَحْتَفَرْتُ ،
 وَإِذَا صَنِمَ بِصُورَةِ أَمْرَأَةٍ ، مِنْ صَفَاةٍ صَفْرَاءَ كَالْوَرْدِ ، مَجْلُوءَةً كَالْمَرْأَةِ ، فَأَسْخَرَجْتُهَا
 وَمَسَحْتُهَا بِشَوْبِي وَنَصَبْتُهَا ، فَأَسْتَوَتْ قَائِمَةً ، فَأَتَمَّا لَكْتُ أَنْ تَحْرُتُ سَاجِدًا لَهَا ،
 ثُمَّ قُمْتُ فَتَحَرْتُ الْبَيْرَ لَهَا وَرَشَشْتُهَا بِدَمِهِ ، وَسَمَيْتُهَا ظَلَابَ ، ثُمَّ حَمَلْتُهَا عَلَى النَّجِيَّةِ
 وَأَتَيْتُ بِهَا أَهْلِي ، فَخَسَدَنِي كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِي عَلَيْهَا ، وَسَلَوْنِي نَصَبَهَا لَمْ لِيَعْبُدُوهَا
 مَعِي ، فَأَتَيْتُ طَلِيمَ ، فَأَنْفَرَدْتُ بِمَبَادِئِهَا ، وَجَعَلْتُ لَهَا عَلَى نَفْسِي كُلِّ يَوْمٍ عَصِيْرَةً .
 وَكَانَتْ لِي ثَلَاثَةٌ مِنَ الضَّانِّ فَاتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا ، وَأَصْبَحْتُ يَوْمًا وَلَيْسَ لِي مَا أُعِيرِدُ ،
 وَكَرِهْتُ الْإِخْلَافَ بَسَدِي ، فَأَتَيْتُهَا فَشَكَاوْتُ إِلَيْهَا ذَلِكَ ، فَإِذَا هَاتِفٌ مِنْ
 جَوْفِهَا يَقُولُ : يَا مَالِ يَا مَالِ ، لَا تَأْسَ عَلَى الْمَالِ ، سِرْ إِلَى طَلُوَيْ الْأَرْقَمِ . فَخَذْتُ
 الْكَلْبَ الْأَسْخَمَ ، الْوَالِغَ فِي الدَّمِ ، ثُمَّ صَدَّ بِهِ نَعْمَ . قَالَ مَالِكُ : فَخَرَجْتُ مِنْ
 فُورِي إِلَى طَلُوَيْ الْأَرْقَمِ ، فَإِذَا كَلْبٌ أَسْخَمٌ هَائِلُ الْمَنْظَرِ ، قَدْ وَثَبَ عَلَى قَرْهٍ
 — بَنَى نُورًا وَحَشِيًّا — فَصَرَعَهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ بَقَرَ بَطْنَهُ ، وَجَعَلَ يَأْبَحُ
 فِي دَمِهِ ، قَالَ : قَتَيْتُهُ ، ثُمَّ أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَقْبِلٌ عَلَى عَقِيرَتِهِ لَمْ يَتَفَتَّ إِلَى ،
 فَشَدَدْتُ فِي عُنُقِهِ حَبَلًا ، ثُمَّ جَذَبْتُهُ فَنَبَحَ ، فَأَتَيْتُ رَاحِلَتِي فَأَتَرْتُهَا ، وَقُدَّتْهَا إِلَى

(١) العود : الجمل الكبير الحسن المطلوب . (٢) أحفر : أخرج التراب من الأرض .

(٣) العتيرة : ما يذبح للأصنام . والذلة : جاعة الفم . (٤) يا مال : أي يا مالك ؛

فهو مرمم . (٥) الطوى : البئر ، والأرقم : أحد الأرقام : وهي أحياء من العرب ، ولعل المراد

ناحية بئر الأرقم ، والأسخم : الشديد السواد . (٦) ساق خرافة صاعداً هاتك بالكلية الأسخيم .

- الْقَرْهَبِ ، فَأَخْتَبَهَا وَجَرَرَتْهُ وَحَلَّتْهُ عَلَيْهَا . ثُمَّ قُدَّتْهَا قَاصِدًا إِلَى الْحَيِّ ، وَالْكَلْبُ يُلَوِّذُ بِي فَتَنَّتْ لِي ظَلِيَّةً ، فَجَعَلَ الْكَلْبُ يَنْبُ وَيَحَادِثُنِي الْمَرْسَ ، فَتَرَدَّدَتْ فِي إِرْسَالِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْهُ ، فَزَكَالَهُمْ حَتَّى أَخْتَلَفْنَاهَا ، فَأَتَيْتُهُ بِغَاذِبَتِهِ إِيَّاهَا فَارْسَلَهَا فِي يَدِي ، فَأَسْتَفْزَنِي السُّرُورُ ، وَاتَيْتُ أَهْلَ فَتَرْتِ الظَّلِيَّةِ لِفَسْلَابٍ ، وَوَزَعْتُ لِحِمَّ الْقَرْهَبِ ، وَبِتُّ بِجِعْرِ لَيْلَةٍ ، ثُمَّ بَاكَرْتُ بِهِ الصَّبَدَ ، فَلَمْ يَفْتِهِ حَمَارٌ ، وَلَا مَا طَلَّهُ نَوْرُهُ وَلَا أَتَعَمُّ مِنْهُ وَقَلٌّ ، وَلَا اعْجَزُهُ ظُلْمٌ ، فَخَضَعَفَ سُرُورِي بِهِ ، وَبَالَغْتُ فِي إِكْرَامِهِ ، وَسَمِيَتْهُ مُخَّامًا ، فَلَبِثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، فَإِنِّي لَذَاتُ يَوْمٍ أَصِيدُ بِهِ ، فَجَبُرْتُ بِنَمَامَةٍ عَلَى أَذْجِيحِهَا ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنِّي ، فَأَرْسَلْتُهُ عَلَيْهَا ، فَاجْتَلَتْ أُمَامَهَا ، وَأَتْبَعَتْهَا عَلَى فَرْسِ جَوَادٍ ، فَلَمَّا كَادَ الْكَلْبُ يَنْبُ عَلَيْهَا ، أَتَقَفْتُ عَلَيْهِ عُقَابٌ مِنَ الْجَوِّ فَفَكَرَاجَعَانِ عَمَلِي فَبَصَحْتُ بِهِ فَمَا كَذَّبَ^(١) ، وَأَمْسَكَتِ الْفَرْسُ بِفَاهِ مُخَّامٍ حَتَّى دَخَلَ بَيْنَ قَوَائِمِهَا ، وَتَزَلَّتِ الْعُقَابُ أُمَامِي عَلَى حِمْرَةٍ ، وَقَالَتْ : مُخَّامٌ ، قَالَ الْكَلْبُ : لَيْلِيكَ ، قَالَتْ : هَلَكْتَ الْأَصْنَامُ ، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ ، فَأَسْلِمَ تَتَجَّ بِسَلَامٍ ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِدَارِ مَقَامٍ . ثُمَّ طَارَتْ الْعُقَابُ ، وَتَبَصَّرْتُ مُخَّامًا فَلَمْ أَرَهُ ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ .

- ومنه مما يشبه هذه القصة ما روى عن قتادة عن عبد الله بن أبي ذؤبان عن أبيه ، أنه قال : كنت مؤملًا بالصيد ، وكان لنا صم اسمه قراض . كنت كثيرًا

(١) المرس : الحبل . وفي نسخة أ : « المر » وهو تحريف .

(٢) الأذن (بالفتح والكسر) : الموضع الذي يبيض فيه النعامة وتفرخ ، فهي أذنية أصونة .

الدور وهو البسط .

(٣) فاكذب (بالتحديد) : أي ما أتقن وما رجع ، وفي الأصول : « فاكذب » إلرا . وهو تصحيف . ويؤيد ما ابتناه ما يماش نسخة ب : « فاكرب : فافرو ولا أتق » .

(٤) أبر ذباب ، يقال فيه « ذباب » بدون كنة ، كما تقدم . (راجع ص ١٨ من هذا الجزء . والإصابة في ذباب) .

ما أذبح له ، ولم أكن أتخذ جارحاً للصيد إلا رُمي بآفة : قَلْبًا أُدْخِلَ الْحَيَّ صَيْدًا
حَيًّا ، لَأَنِّي كُنْتُ لَا أَدْرِكُهُ إِلَّا وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمِثْلِكِ ، فَلَمَّا طَالَ بِي ذَلِكَ أَنْتِ
فَرَاضًا ، فَتَرْتُ لَهُ حَيَّةً ، وَلَقِيتُهُ مِنْ دَمِهَا ، وَقُلْتُ :

فَرَاضٌ أَشْكُو نَكَدَ الْجَوَارِحِ • مِنْ طَائِرِ ذِي غِلْبٍ وَنَاجٍ
وَأَنْتَ لِلْأَمْرِ الشَّدِيدِ الْفَاحِ • فَاقْتَعِ فَقَدْ أَصْلَحْتَ الْمَفَاحِ
فَاجِبِي مُجِيبٌ مِنَ الصَّنَمِ ؟ فَقَالَ :

دُونَكَ كَلْبًا جَارِحًا مِبَارَكًا • أَعَدُّ لِلْوَحْشِ سِلَاحًا شَابَكًا
يَغْرِ حُرُونَ الْأَرْضِ وَاللَّهُ كَالِدُكَ •

قَالَ : فَأَنْقَلَبْتُ إِلَى غِيَابَتِي ، فَوَجَدْتُ بِهِ كَلْبًا خِلَاسِيًّا بِهِمَا عِظِيمًا ، أَهْرَتْ
الشَّدَقِينَ ، شَابَكَ الْأَيْتَابِ ، شَقَّنَ الْبَرَّازِ ، أَشْرَعَ مَهْوُولَ الْمَنْظَرِ ، فَصَغُرَتْ بِهِ قَانَتِي ،
فَلَاذِي وَبَعْصِصَ ، فَسَمِيَتْ حِيَاضًا ، فَأَتَخَذْتُ لَهُ مَرِيضًا بِإِزَاءِ فِرَاشِي وَأَكْرَمْتُهُ ، ثُمَّ
نَحَرَجْتُ بِهِ إِلَى الصَّيْدِ ، فَإِذَا هُوَ أَبْصَرَ بِالصَّيْدِ مَيِّئًا ، وَكَانَ لَا يَنْتَبِهُ لَهُ شَيْءٌ مِنَ
الْوَحْشِ ، قَتَلْتُ فِيهِ :

حِيَاضُ إِنَّكَ مَأْمُولٌ مَنَاقِبُهُ • وَقَدْ جَعَلْتُكَ مَوْقُوفًا لِفِرَاشِ

- ١٥ (١) النَكَدُ : الثَّوْمُ . (٢) الْفَاحِ : الْخُضْرُ الْمَصْبُ .
(٣) شَابَكَ : تَنَاسَلَ . (٤) يَغْرِ : يَشُقُّ . حُرُونَ الْأَرْضِ : مَا يَنْظُرُ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ
مِنْدُ السَّوْلَةِ . اللَّهُ كَالِدُكَ جَمْعُ ذَلِكَ : وَهُوَ مِنَ الرَّمْلِ مَا تَكْبِسُ بِالْأَرْضِ أَوْ تَقْدِهَا .
(٥) الْخِلَاسِيُّ : مَا كَانَتْ أَمُهُ سَوْدَاءَ وَأَبْوَاهُ أَيْضًا أَوْ الْعَكْسُ .
(٦) الْبَيْمُ : الْأَسْوَدُ . (٧) أَهْرَتْ : وَاسِعَ .
(٨) الشَّقْنُ : التَّلْبِيزُ ، وَالْبَرَّازُ : السَّجُّ كَالْأَصَابِعِ لِلْإِنْسَانِ .
(٩) بَعْصِصَ : حَرَكَ ذَنْبَهُ طَبْعًا أَوْ غَوْفًا .
(١٠) كَلْدًا : الْأَصُولُ .

وكننت أَمْرًا لِقَرَّاضٍ من صيده، وأَقْرَى الضَّيْفَ، فلم أزل به من أوسع العرب رَحَلًا، وأكثرها ضَيْفًا، إلى أن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتل بي ضَيْفٌ كان زار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع منه القرآن، فخذني عنه، ورأيت حياضًا كأنه يُنْصَبُ لحديثه، ثم أتى غدوت أقتنص بمحياض، بفعل يجاذي ويأبى أن يتبعني فأجذبه وأمسحه، إلى أن أَوَّعَ عن لي تَوَلَّى - يعني جحشا من حير الوحش - قال : فأرسلته عليه فقصدته، حتى إذا قلت قد أخذه حَادَ عنه، فسأني ذلك، ثم أرسلته على رَأْلِ - يعني فرخ نعام - فصنع مثل ذلك، ثم أرسلته على بقرة، ثم على خَشْفٍ، كل ذلك لا يأتي بخير، فقلت :

ألا ما بمحياضٍ يَحِيدُ كَأَنَّا • رأى الصَّيْدَ مَمْنُونًا بِرُزْقِ اللَّهِ هَازِمٍ ^(١)

قال : فأجابني هَائِفٌ لا أراه :

يَحِيدُ لِأَمْرِ لَوْ بَدَأَ لَكَ عَيْتُهُ • لَكُنْتَ صَفُوحًا عَازِلًا غَيْرَ لَانِمٍ

قال : فأخذت الكلب وأنكفأت راجعا، فإذا شخص إنسان عظيم الخلق، قد ركب حمارا وحشيا، فترج على ظهره، وهو يسير شخصا مثله راكبا على قرهٖب، وخلفهما عبد أسود يقود كلبا عظيما بساجور ^(٢)، فأشار أحد الراكبين إلى حياض وأنشد :

وَيْلَكَ يَا حَيَاضُ لِمَ تَصِيدُ • أَخْنَسُ وَحْدَ عَمَّا حَوَّهَ الْيَدُ ^(٣)
الله أَعْلَى وَلَهُ التَّوْحِيدُ • وَعَبْدُهُ مُحَمَّدٌ السُّبْدُ
تُحَقِّقُ لِقَرَّاضٍ وَمَا يَكِيدُ • قَدْ ظَلَّ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

(١) الرجل : مسكن الرجل وما يتبعه من الأثاث، وفي الأصول : «رجلا» بالجم، وهو تصغير.

(٢) الخشف (نعت الختام) : ولد الفظي أول ما يولد، أو أول شيء.

(٣) الهاذم (جمع لُذِمَ) : الفاعل من الأَسَ - والرزق : صفة الأَسَ للونا.

(٤) الساجور : غشبة تعلق في حق الكلب - (٥) أخنس : فأنر، واليد : الصحراء.

قال : فليكن رغباً ، وقُلَّ الكلبُ ^(١) فرفع رأساً ، وأتيت أهلي ممنوماً كالصيف
 البال ، فيث أنامل على فراشي ، ثم خَفْتُ من آخر الليل فإذا نَفْثَةٌ ^(٢) ففتحت عني
 فرائت الكلب الذي كان الأسود بقوده ، وإذا حياض يقول له : أحسب صاحبي
 يقظان ، قال : فتناومت ، ثم قصدني فأنقلى ورجع إليه ، فقال : قد نام ، فلا عين
 ولا سمع ، قال : أرايت العفريتين ؟ وسمعت ما قالاً . قال حياض : نعم . قال :
 إنيهما قد أسلما وآتيا عدا ، وقد سَلَّطَا على شياطين الأوثان ، فما يتركان لوثن شيطانا .
 وقد عذاني عذاباً شديداً ، وأخذنا على موتنا ألا أقرب ونحى ، وأنا خارج إلى
 جزائر الهند ، فما رأيت لنفسك ؟ قال حياض : ما أمرنا إلا واحد . وذهبا ففقت
 أنظر فلا عين ولا أثر ، فلما أصبحت أخبرت قومي بما رأيت وسمعت . وقلت لهم :
 تخبروا من ينطلق معي إلى هذا النبي من حُلَمَانِكُمْ ، خُطْبَانِكُمْ ، فقالوا لي : أرغب
 عن دين آبائك ؟ فقلت لهم : إذا كرهتم شيئاً كرهته ، فما أنا إلا واحد منكم ، ثم
 أرسلت منهم فكمرت الصم ، ثم قصدت المدينة فأتيتها ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم يخطب ، فجلسمت بإزاء منبره فعقب خطبته بأن قال : « بإزاء منبري رجل من
 سعد العشرة ، قد علمنا رغباً في الإسلام ، ولم يرى ولم أره إلا ساعى هذه ، ولم يأكمه
 ولم يكلمني قط ، وسيخبركم خبراً عجيباً » ونزل فصل ، ثم قال : « أدن يا أخا سعد
 العشرة » فدنوت فقال : « أخبرنا عن حياض وفراض وما رأيت وسمعت » قل :
 ففقت على قديمي وقصصت القصة ، والمسلمون يسمعون ، فبهر النبي صلى الله
 عليه وسلم ، ودعاني إلى الإسلام ، وتلا علي القرآن فأسلمت . وقلت في ذلك :
 تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ بِالْهُدَى . وَخَلَقْتُ قَبْرًا ضَا بِدَارِ هَوَانٍ
 شَدَّدْتُ عَلَيْهِ شِدَّةً قَتَرَكُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنِ وَاللَّحْمُ ذُو حَدَثَيْنِ

(١) ذل : خضع ، وفي الأصول « ذل » « ذل » « ذل » « ذل » (٢) النفثة : الكلام الخفي

رَأَيْتُ لَهُ كَلْبًا يَسُومُ بِأَمْرِهِ • فَهَدَّدَ بِالتَّعْكِيلِ وَالرَّجْفَانِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ • أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي
وَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَائِثَةً نَاصِرًا • وَالْقَبْتُ فِيهِ كُلَّكِلَى وَجِرَانِي
فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ الْعِشِيرَةِ أَنْي • شَرَرْتُ الَّذِي يَتَّقَى بِمَا هُوَ فَانِي

- وقد تقدم في خبر وفد سعد العشيرة ذكر هذه الأبيات ، وأنها للذباب ، وأنه الذي كسر الصنم ، إلا أنه لم يذكر البيت الذي فيه ذكر الكلب ، والله تعالى أعلم .

- ومنه : ما روى أن ربيعة بن أبي برزة ، قال أخبرني خال فقال : لما أظهر الله علينا رسوله صلى الله عليه وسلم بَحْنَيْنِ أَتَشَبَعْنَا فِي كُلِّ مَشْعَبٍ ، لَا يَلْوِي حِمِيمٌ عَلَى حِمِيمٍ ، فِينَا أَنَا فِي بَعْضِ الشُّعَابِ ، رَأَيْتُ ثَمَلًا قَدْ تَحَوَّى عَلَيْهِ أَرْقَمٌ ، وَالتَّلْبُ يَعْدُو عَدُوًّا شَدِيدًا ، فَاتَّحَيْتُ لَهُ بِحِجْرٍ فَا أَخْطَاهُ ، وَاتَّهَيْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا التَّلْبُ قَدْ سَبَقَنِي بِنَفْسِهِ — أَى هَلَكَ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ — وَإِذَا الْأَرْقَمُ قَدْ تَقَطَّعَ وَهُوَ يَضْطَرِبُ ، فَفَقِمْتُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَهَتَفَ هَاتِفٌ مَا سَمِعْتُ أَفْطَحُ مِنْ صَوْتِهِ يَقُولُ : تَمَسَّا لَكَ وَيُوسَا ، فَقَدْ قُتِلَ رُبَيْسَا ، وَوَرِثَ بَيْسَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا دَاثِرُ يَا دَاثِرُ ، فَأَجَابَهُ بِجِبِّ مِنَ الْعُدَّةِ الْأُخْرَى بَلَيْتُكَ لَيْتُكَ ، فَقَالَ : بِادِرُ بِادِرُ ، إِلَى بَنِي الْعُدَايِرِ ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا صَنَعَ الْكَافِرُ ، فَنَادَيْتُ : إِنْ لَمْ أَشْعُرْ ، وَأَنَا عَائِدُ بِكَ فَأَجِرْنِي • قَالَ : كَلَّا ، وَالْحَرَمُ الْإِيمِينُ ، لَا أَجِيرُ مَنْ قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ ، وَوَعَدَ غَيْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ • قَالَ : فَنَادَيْتُ : إِنِّي أَسْلَمْتُ ، فَقَالَ : إِنْ أَسَلْتَ سَقَطَ عَنْكَ الْقَصَاصُ ، وَالْبَيْتُ الْخَلَّاصُ ،

٥٢
١٦

(١) راجع ص ١٨ من هذا الجزء . (٢) تحوى : تلف وأستدار .

(٣) اتَّهَيْتُ لَهُ : مرضت له وصعدت . (٤) فِي الْأُمُودِ : « أضع » .

(٥) بَيْسَا : عجمًا . (٦) الْعُدَّةُ (مجمع اللين) : شاطئ الوادي ، والمكان المرتفع .

(٧) أَبَيْتُكَ : أهلك .

وإلا فلا مخاص . قال قلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وإن محمداً رسول الله ، فقال : تجوت وهديت ، لولا ذلك لرديت ، فارجع من حيث جيت . قال : فرجعت أقفوا أدراجي ، فإذا هو يقول : أمتط السمع الأزل ، يمل بك التل ، فهناك أبو عامر يتبع الفل . قال : فالتفت فإذا ينمى كالأسد الهند ، فركبته وصم يقيس ، حتى انتهى إلى تل عظيم ، فتوقل فيه إلى أن تسنمه ، فاشرفت منه على خيل المسلمين ، فترأت منه وصوبت الحدود نحوهم ، فلما دنوت منهم خرج إلى فارس ، كالغالب المائج ، فقال : ألي سلاحيك لا أم لك ، فالتفت سلاحي . فقال : ما أنت ؟ قلت : مسلم ، قال : فسلام عليك ورحمة الله ، قلت : وطيك السلام والرحمة والبركة ، من أبو عامر ؟ قال : أنا هو ، قلت : الحمد لله ، قال : لا بأس عليك ، هؤلاء إخوانك المسلمون ، أما رأيك بأهل التل فلزباً فإن فرسك ؟ قال : فقصصت عليه القصه ، فأعجبه ما سمع مني : وسرت مع القوم أقفوا بهم آثارهوازن حتى بلغوا من ذلك ما أرادوه .

والأخبار في مثل ذلك كثيرة ، وقد أتينا منها بما نكتفي به ، فلقد كر خلاف ذلك من سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- (١) رديت : انكسرت . (٢) أقفوا : أتبع ، أدراجي : طرق .
(٣) السمع (بكسر السين) : سبع تده الضج وأبوه القتب ، وهو أعجب السباع وأشدّها . الأزل : الصغير البصر ، صفة لازمة له . (٤) أبو عامر صحابي يأتي ذكره .
(٥) الفل : التيزمون . (٦) الهند : العظيم الخلق .
(٧) يقيس : من القلان ، وهو سرعة الخشي ، وفي الأصل القتب .
(٨) توقل : تصدق الخيل ، وتسنمه : أوتق ذروته . (٩) الحدود : الأعداء .
(١٠) المائج : الجلي الضخم ذو الساعين .

ذكر رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم

إلى الملوك وغيرهم . وما أجابوا به

كانت رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما أوردده الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدبائلى رحمه الله ، أحد عشر رجلاً ، وهم : عمرو بن أمية الضميرى ، ودحية بن خليفة الكلبي ، وعبد الله بن حذافة السهمي ، وحاطب بن أبى بلتعة التميمي ، وعمرو بن العاص ، وسليط بن عمرو العامري ، ونجاح بن وهب الأسدي . والمهاجر بن أبى أمية المخزومي ، والعلاء بن الحضرمي ، وأبو موسى الأشعري ، وهماذين جبل . هؤلاء الذين أبتهم .

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكّاب ، فلما نزل مؤتة قُتل شريحيل بن عمرو القسائي ، وبسبب قتله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ميرة مؤتة على ماقدنا ذكره .

وأهل الشيخ رحمه الله ، إنما أثبت من الرسل من بلغ الرسالة . وهذا لم يُتمهل حتى يبلغه ، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسولٌ غيره . وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غير هؤلاء ، ممن ذكرهم إن شاء الله تعالى .

فكان أول ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل في الحرم ، سنة سبع من مهاجرة ، أول سنة من هؤلاء الرسل إلى ستة ملوك . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحُدَيْبِيَّة في ذى الحجة سنة خمس جهز الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام . وكتب إليهم كتباً ، فقيل له : يا رسول الله ، إن الملوك لا يقرءون كتاباً إلا منحوا ، فنخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خاتماً من

فضة قصه منه، نقشه ثلاثة أسطر : « محمد » سطر « رسول » سطر « الله » سطر .
وغتم به الكتب ، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع ،
وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليهم ؛ حكاه محمد بن سعد في طبقاته بسنده .

وقال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن يسار : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري
أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان ، وملوك
العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب
الزهرى ، فعرفه ، وفيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال
خم : « إن الله بعثني رحمةً وكافةً ، فأدوا عني رحمكم الله ، ولا تختلفوا علي كما
اختلف الحواريون على عيسى بن مريم » قالوا : يا رسول الله ، وكيف كان اختلافهم ؟
قال : « دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قَرَّبَ به ^(١) فأحبَّ وسلم ، وأما من بعد ^(٢)
به فكَرِهَ وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم
بلغة القوم الذين وجَّه إليهم » .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثني من أتق به عن أبي بكر المَدَنِي .
قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه . وساق نحو الحديث

ذكر إرسال عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي

ملك الحبشة وإسلامه

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، وكتب معه كتابين ، يدعو
في أحدهما إلى الإسلام ، ويتلو عليه القرآن ، فأخذ النجاشي كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ، ونزل عن سريره فجلس على الأرض ، ثم أسلم

(١) قَرَّبَ : به مَدْرِيَا . (٢) بعد : به مَدْرِيَا .

وتشهد شهادة الحق، وقال : لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإجابته، وتصديقه وإسلامه على يدى جعفر بن أبي طالب ثم رب العالمين . وكان جعفر ممن هاجر إلى الحبشة كما قدمنا ذكر ذلك . وفي الكتاب الثاني ، يأمره أن يزوجه أُم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدي ، فتصر هناك وماتت ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمت إليه من قبله من أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة وأن يملهم ، ففعل ، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أُم حبيبة ، وأصدقها أربع مئة دينار ، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم ، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية ، وجعل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق من طاع ، وقال : لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها .

ذكر إرسال دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم
بسم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من أتبع الهدى — أنا بعد — فإنني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم آل أبي سفيان ، (١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا نتخذ بعضنا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون .

(١) قوله : (يا أهل الكتاب) أي الذين آمنوا من اليهود والنصارى .

و بإستادنا المتقدم، إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري،
 قال : حدثنا الحكم بن نافع أبو الحسن ، قال حدثنا شعيب ، عن الزهري ، قال
 أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أن عبد الله بن عباس أخبره ،
 أن أبا سفيان بن حرب أخبره ، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا
 تجارا بالشام ، في السنة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذن فيها أبا سفيان
 وكفار قريش ، فاتوه وهم بإيليا ، فدعاهم في مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم
 ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟
 قال أبو سفيان : قلت أنا أقربهم نسباً ، فقال : أدنوه مني ، وقربوا أصحابيه .
 فاجعلوهم عند ظهري ، ثم قال لترجمانه : قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل ،
 فإن كذبني فكذبوه ، فو الله لولا الحياء من أن يأتوا علي كذبا لكذبت عنه . ثم
 كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبُ فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ،
 قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان من
 آياته من ملك ؟ قلت : لا ، قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضغافؤهم ؟ قلت :
 بل ضغافؤهم ، قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون ، قال :
 فهل يرتد أحد منهم سخطة^(١) لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا ، قال : فهل
 كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال : فهل يتبدل^(٢)
 قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها ، قال : ولم تكن كلمة

(١) المدة : هي مدة صلح الحديبية على وضع الحرب عشر سنين .

(٢) « عنه » توافق رواية البخاري ، وفي أوامش ج : « عليه » .

(٣) في رواية : « من ملك » على أن « من » حرف جر و « ملك » فتح الميم وكرر الهمزة .

(السلطان) . (٤) سخطة : كراهة . (٥) يتبدل : يتغير العهد .

(٦) قال السلطان : « هي مدة صلح الحديبية ، أودعته وأقطعاع أخباره عتاة » .

أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة، قال : فهل فاعلموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف
 كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحربُ بيننا وبينه بحال^(٢) ، ينال ما ينال منه ، قال :
 ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول أعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأتركوا ما يقول
 آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة ، فقال لترجمانه : قل له
 سأنت عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب
 قومها ، وسألك هل قال أحد منكم هذا القول ، فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان
 أحد قال هذا القول قبله ، لقلت رجلٌ يأتي^(٣) يقول قبل قبله ، وسألك هل كان
 من آباءه من ملك ، فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آباءه من ملك ، قلت
 رجل يطالب ملك أبيه ، وسألك هل كنتم تنهونهم بالكذب قبل أن يقول ما قال ،
 فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن يندر الكذب على الناس ، ويكذب على
 الله . وسألك أشراف الناس أتبعوه أم ضغافهم ، فذكرت أن ضغافهم أتبعوه ،
 وهم اتباع الرسل ، وسألك أيزيدون أم يتقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك
 أمر الإيمان حتى يتم ، وسألك أيرتد أحد منهم تنفلةً لدينه بعد أن يدخل فيه ،
 فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخلط بشائته القلوب ، وسألك هل يتدر ،
 فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تتدر ، وسألك يم يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم
 أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة
 والصدق والعفاف ، فإن كان ما يقول حقاً ، فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد

(١) يريد شيئاً أتقصه به . (٢) بحال : نوب ؛ أي نوبة عليه ونوبة طينا .

(٣) يقصد المقالة التي كانت في غزوة بدر ، وأحد ، والخلق .

(٤) قلت : أي في همي . (٥) يأتي : يقتدى .

كنت أعلم أنه خارج^(١)، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه
تَجَسَّمت^(٢) لقامه، ولو كنت عنده لمتلت عن قدميه^(٣)، ثم دعا بكاتب رسول الله
صل الله عليه وسلم، الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه.
فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » وذكره كما تقدم.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصَّحْبُ.
وَأَرْتَمَتِ الْأَصْوَاتُ^(٤)، وَأُخْرِجْنَا، وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لقد أمر أمر
أبن أبي كبشة^(٥)، إنه يخافه ملك بنى الأصفر، فإزالت موقفاً أنه سيظهر حتى أدخل
الله على الإسلام.

قال: وكان أبنُ النَّاطُور صاحبَ إيلياء، وهرقل أسقفاً على بصرى الشام يحدث
أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس^(٦)، فقال بعض بطارقه: قد
استكرنا هيتك، فقال أبنُ النَّاطُور: وكان هرقل حزاء^(٧): ينظر في النجوم، فقال
لم حين سألوه: إني رأيت اللسلة حين نظرتُ في النجوم ملك الحنان قد ظهر.
فمن يَحْتَنِي من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يَحْتَنِي إلا اليهود، فلا يُحِبُّكَ بِشَائِهِمْ،

(١) خارج: أي سبيحت في هذا الزمان. (٢) تجسست: تكلفت الوصول إليه.

(٣) المراد بالمائلة في الخدمة. (٤) أي من عطاء الروم.

(٥) أمر (فتح الهززة وكسر الميم): علم. أمر أبن أبي كبشة: بعث شأن النبي صل الله عليه وسلم.
وأبو كبشة: كنية أبي النبي من الرضاع، وأمه الحارث بن عبد المزي.

(٦) أبو الأصفر: الروم. (٧) حزاء: منسوب على الاختصاص، ويجوز ربه على
الصمة. راجع القسطنطيني ص ١٠٨. (٨) في رواية ثيغاري: أسقف. بابناء انهمور.

(٩) غيبت النفس: ودونها؛ فاحل به من العلم.

(١٠) حزاء: كاهناً، أراد أنه ينظر في النجوم؛ قال القسطنطيني: « ينظر في النجوم حزاء لكاهن»
إلى ظلاله ينظر في الأمرين، أروهم تفسير لمراء: لأن الكهنة توجد نارة من الله في شمسهم.
من أحكام النجوم.

- وأكتب إلى مدائن مملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فينابهم على أسرهم، إذ أني
 هِرقل برجل، أرسل به ملك غسان، يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 فلما استخبره هِرقل قال : أذهبوا فانظروا أئمتنَّ هو أم لا، فنظروا إليه، فخذثوه
 أنه عثنت، وسأله عن العرب، فقال : هم يختنون، فقال هِرقل : هذا ملك هذه
 الأمة قد ظهر . ثم كتب هِرقل إلى صاحب له برومية^(١)، وكان نظيره في العلم،
 وسار هِرقل إلى حصص^(٢)، فلم يرم حصص حتى أتاه كتاب من صاحبه، يوافق رأى
 هِرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هِرقل لعظمه الروم
 في تسكره له بمحص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم أطلع فقال : يا مشر الروم هل
 لكم في الفلاح والرشد ؟ وأن يثبت مملككم قبايوا لهذا النبي، فحاصوا حصص^(٣)
 حُر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هِرقل قترتهم، وأيس^(٤)
 من الإيمان، قال : رُدوهم عليّ، وقال : إني قلت مقاتلي آتيا أختبر بها شدتكم
 على دينكم فقد رأيتم . فسجدوا له ورَضُوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هِرقل .
 ورواه صالح بن كيسان ويونس ومعمّر عن الزُّهري .

- وقد قدما من خبر هِرقل في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيق
 نبوءته عنده، في فصل من بَشَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحق عليه هناك .

(١) رومية : من المدائن بديار القرس . (٢) حصص : إحدى مدن الشام المشهورة
 وهي بين دمشق وحلب . (٣) لم يرم : لم يبرح منها ولم يصل إليها .
 (٤) المسكرة : القصر حوله البيوت . (٥) حاصوا : قفروا .
 (٦) أي شدتكم، غلظ القول لهم به .

ذكر إرسال عبد الله بن حذافة الشنقي إلى كسرى ملك الفرس

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقروى عليه ثم أخذه فزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم مرق ملكه». وكتب كسرى إلى بأذان مايله على اليمن: أن أبعث من عندك رجلين جالدين إلى هذا الرجل الذي بالجهاز، فليأتيا بنجره. فبعث بأذان قهرمانه، ورجلا آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدموا المدينة، فدعوا كتاب بأذان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهما إلى الإسلام، وقراءتهما ثمعه، وقال: «أرجعا عنى يومكما هذا حتى تأتياي القد فآخبركما بما أريد». فلما جاء القد، فقال لهما: «ألقا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها — وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة — وأن الله تعالى ^(١) على أنه شيرويه فقتله». فرجعا إلى بأذان بذلك، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن.

(١) قهرمانه: هو كاخازن والوكيل لما تحت يده، والقائم بأمر الزميل. فاروق مغرب.

(٢) في المصاحف: «ل سبع ساعات ...»

(٣) الأبناء: هم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن، لما جاء يستجدهم على الحبشة، فصره وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا في العرب؛ فليل لأولادهم الأبناء، وطلب عليهم هذا الاسم.

ذكر إرسال حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية
عظيم القبط ، وأسمه جرجس بن مينا

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، يدعوهُ إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً
فأتاه ، وأوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ، وقال خيراً ، وجعل
الكتاب في حَقٍّ من عاج ، وختم عليه ودفعه إلى جاريته ، وكتب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم : قد علمت أن نيا قد بقي ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ،
وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وقد
أهديت لك كسوة وبضلة تركيها .

ولم يزد على هذا ، ولم يُسلم المقوقس ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
حديثه ، وأخذ الجاريتين ، وهما مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وأختها شيرين ، وبغلة بيضاء ، لم يكن في العرب يومئذ غيرها ، وهى دُلُكُلُ ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المقوقس : « صَنَّ الخيليت بملكه ولا بقاء
لملكه » . قال حاطب : كان المقوقس مُكرماً لى في الضيافة ، وقلة اللبث ببابه ،
وما أفتت عنده إلا خمسة أيام .

وقال أبو عمر بن عبد البر : إن المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصياً
آسمه مأبور . وذكر ذلك في ترجمة مارية ، ويقال : هو ابن عم مارية ، والله أعلم .
وقد ذكرنا في (المجتعة البالغة ، والأجوبة الدائمة) ما كان بينهما من المحاورات ،
وذلك في الباب الرابع عشر ، من التقييم الخامس ، من القرن الثاني ، في السفر الثامن
من هذه النسخة .

(١) قال التي صلى الله عليه وسلم ذلك حين أخبره حاطب بقول المقوقس : « نقيب لا تطاوى
عن أبياته . وأما أضن بلكي : أن تارة » . (المراهب ٣ : ٤١٩) .

ذكر إرسال نجّاج بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر^(١)

قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نجّاج بن وهب الأسدي ، إلى الحارث بن أبي شمر النّسائي ، ملك البقاء من أرض الشام ، يدعوهُ إلى الإسلام ، وكتب معه كتاباً ، قال نجّاج : فأتيناه وهو بقوطة دمشق ، وهو مشغول بتبينة الأنزال^(٢) والألطاف لقيصر ، وهو جاء من حصص إلى إيلياء ، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، فقال : لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا ، وجعل حاجبه — وكان روميّاً اسمه مري — يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت أحدثه عن صفته ، وما يدعو إليه ، فيرق حتى ينبله البكاء ، ويقول : إني قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه ، فإنا أومئ به وأصدقّه ، وأخاف من الحارث أن يقتلني ، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ، ونرج الحارث يوماً بجلوس ، ووضع التاج على رأسه ، فأذِن لي عليه ، فدفعته إليه كآب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأه ثم رمى به ، وقال : من ينترع مني ملكي ؟ أنا سأثر إليه ، ولو كان باليمن جثته ، على الناس ! فلم يزل يقرض حتى قام ، وأمر بالحيول تُنمَل ، ثم قال : أخير صاحبك ما ترى . وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه ، فكتب إليه قيصر : ألا تسير إليه ، والله عنه ، ووافني بإيلياء . فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال لي : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ فقلت : غداً ، فأمر لي بمائة مثقال ذهب ، ووصلني مري ،

(١) في أحد النسخة : «أبى أبي وهب وقال ابن وهب» .

(٢) الأنزال (جمع نزل) : مكان النزول ، والألطاف : وسائل الراحة .

(٣) ضبطه في المخطوطات بضم الميم ، وقال شارح المواهب : هو بكسر الميم مخففاً .

(٤) يفرض : يدفع ، ويوجب لهذ عندهم من المال ويأمرهم بالذهب المحرور .

وأمر لي بنفقة وكسوة، وقال : أقرأ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 مِنِّي السلام . فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : « بَادَ
 مُلْكُهُ » وأقرأته من مَرَى السلام ، وأخبرته بما قال ، فقال صلى الله عليه وسلم :
 « صَدَقَ » ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح .

ذكر إرسال سَلِيطَ بن عمرو العامري إلى هُوَذَةَ بن علي الحنفي بالجماعة ^(١)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، يدعوهُ إلى الإسلام ، وكتب معه
 كتاباً ، فقدم عليه فأنزله وحباه ، وقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي
 وخطيبهم والعرب تناب مكاني ، فأجعل لي بعض الأمر أتمك . وأجاز سَلِيطَ بن
 عمرو يمانية وكساه أنواباً من نسج حجر ، فقدم بذلك كله على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وأخبره عنه بما قال ، فقرأ كتابه وقال : « لو سألني سيابة ^(٢) من الأرض
 ما فعلت » بَادَ وبَادَ ما في يديه « فمات عام الفتح . فهؤلاء السبعة الذين بعثهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة سبع ^(٣) .

وبعث صلى الله عليه وسلم القلاء بن الحضرمي إلى المنذير بن سَأَوَى القبيدي

ملك البحرين .

(١) هُوَذَةُ : مفتوح ويخمد الدال هذا هو الصحيح ، ونظروا من ضم وأهل .

(٢) السبابة (بمعن الدين وتخفيف الياء وتشد) : أي قطعة . وفسره بعضهم بالبلع أو البسر ، على
 تقدير مضاف أي قدر بلعة أو بصرة من الأرض ، أو المراد نقص البلعة أو البصرة بتقدير ناشئة .

(٣) باد : ملك .

(٤) في نسخة القبية : « سنة ست وسبع » .

قال محمد بن سعد : بعثه عند مُنصرفه من البصرة^(١) إليه يدعو إلى الإسلام ، وكتب إليه كتابا . فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه وتصديقه ، و « أنى قرأت كتابك على أهل قَهْر ، فمنهم من أحب الإسلام ، وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه ، وبارضى مجوس و يهود ، فأحدث إلى في ذلك أمرك » فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك مهما تُصليح فلن تنزلك عن عمرك ، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية ، وبالا تُكبح نساؤهم ولا تُؤكل ذبائحهم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا هريرة مع العلاء بن الحضرمي ، وأوصاه به خيرا ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العلاء فرائض الإبل ، والبقر والغنم ، والثمار والأموال ، فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم .
وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ملكي عُمان .

قال محمد بن سعد : بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، سنة ثمان من هجرته ، إلى جَيْفَر وَعَبْدِ أَبِي الْجُنْدِي ، وهما من الأزد ، والملك منهما جَيْفَر ، يدعوهما إلى الإسلام ، وكتب معه إليهما كتابا ، قال عمرو : لما قدمت عُمان عمدت إلى عبيد ، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا ، فقلت : إني رسولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك ، فقال : أنى المقدم على بالسِّن والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك ، فكتبت أياما بياها ، ثم دعاني فدخلت عليه

(١) البصرة : موضع قريب من مكة . وقد تكسر العين وتشدد الراء .

(٢) أي نساء المجوس وذبائحهم بخلاف اليهود ، قال ابن سعد : « وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هجر يمرض عليهم الإسلام فإن أبرأ أخذت منهم الجزية ، وبألا لا تُكبح نساؤهم » . الحديث .

(٣) الجندى ، يقصر فتنم لاه ، ويمد ففتح ، كما في القاموس .

فدفعته إليه الكلاب عَثُومًا ، فَصَّصَ خَاتَمَهُ وَقَرَأَهُ حَتَّى أَتَى إِلَى آخِرِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ
فَقَرَأَهُ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ أَخَاهُ أَرْقَى مِنْهُ ، فَقَالَ : دَعْنِي يَوْمَ هَذَا وَارْجِعْ
إِلَى غَدَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَجَعْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنِّي فَكَّرْتُ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ ،
فَإِذَا أَنَا أَضْعَفُ الْعَرَبِ إِنْ مَلَكَتُ رِجْلًا مَا فِي يَدِي ، قُلْتُ : فَإِنِّي خَارِجٌ غَدَا ،
فَلَمَّا أَتَيْتُ بِمَخْرَجِي أَصْبَحَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُوَ
وَأَخُوهُ جَمِيعًا ، وَصَدَّقَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَلَّيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ ، وَبَيْنَ
الْحَكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي ، فَأَخَذْتُ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْيَانِهِمْ ،
فَرَدَدْتُهَا فِي قُرَّائِهِمْ ، وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا بَيْنَهُمْ حَتَّى بَلَغْنَا وَقْفَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٥٧
١٦

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أُمِيَّةِ الْمُخَزُّومِيِّ إِلَى الْحَارِثِ الْجُمَيْرِيِّ ،
وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كَلَّالٍ مَلِكِ الْيَمَنِ .

وَبَعَثَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، وَمَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ .
وَكَانَا جَمِيعًا دَاعِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَ عَائِمَةُ أَهْلِ الْيَمَنِ ، مُلُوكُهُمْ وَعَامَتُهُمْ طَوْعًا .
هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلْفٍ الدِّمَاطِيُّ
فِي مَخْتَصَرِ السَّيْرَةِ .

وَقَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ مَنِيعٍ فِي طَبَقَاتِهِ الْكُبْرَى ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ إِلَى ذِي الْكُلَّاجِ بْنِ نَاكُورِ بْنِ حَبِيبٍ
أَبْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ تُبَيْعٍ ، وَإِلَى ذِي عَمْرٍو يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَسْلَمَا وَأَسْلَمَتْ
ضُرَيْبَةُ بِنْتُ أَرْبَعَةَ بْنِ الصَّبَّاحِ ^(١) . وَتَوَقَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَرِيرَ
عَدِمٍ ، فَأَخْبَرَهُ ذُو عَمْرٍو بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَجَعَ جَرِيرٌ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) ضُرَيْبَةُ بِنْتُ أَرْبَعَةَ عَمْرٍو ذِي الْكُلَّاجِ كَافٍ الطَّبَقَاتُ .

ولم يذكر محمد بن سعد المهاجر، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى اليمن مع معاذ بن جبل مالك بن مَرارة .

وذكر أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، في كتابه المترجم بالاستيعاب ، في ترجمة بن أبي أمية ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى الحارث كما قدمنا .

قال ابن سعد : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَبَلَة بن الأَهمّ ملك غَسَّان يدعوهُ إلى الإسلام فأسلم ، وكتب بإسلامه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأهدى له هدية ، ولم يذكر أسم المرسل إليه ، ثم كان من أمر جَبَلَة بن الأَهمّ ، وخبر آرتنداده ما ذكره إن شاء الله تعالى ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقال محمد بن إسحق رحمه الله : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ^(١) الإسلام من البلدان .

فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المُنيرة إلى صَنْعَاء ، فخرج عليه العنسي وهو بها . وبعث زياد بن لَيْد ، أخا بني بَيَاضَة الأنصاري ، إلى حَضْرَمَوْت وعلى صدقاتها . وبعث عدى بن حاتم على طَيْيَّة وصدقاتها ، وعلى بني أسد . وبعث مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات بني حَنْظَلَة ، وفوق صدقات بني سَعْد على رجلين منهم ، فبعث الزُّرْقَان بن بَدْر على ناحية منها ، وقيس بن عاصم على ناحية .

قال : وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرَيْن ، وبعث علي بن أبي طالب إلى أهل نَجْرَان ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بمجزئتهم .

هذا ما وقفنا عليه من أخبار رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلنذكر من أخباره صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك .

(١) في الأصول : « من أوطأ الإسلام » والتصويب من ابن هشام .

ذكر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهن : خديجة بنت خويلد ، وسودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبي بكر
الصدّيق ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث ،
وأم سلمة هند بنت أبي أمية ، وزينب بنت جحش ، وجويرة بنت الحارث ،
وريمانة بنت زيد ، وأم حبيبة وملة بنت أبي سفيان بن حرب ، وصفيّة بنت حيي
ابن أخطب ، وميمونة بنت الحارث ، هؤلاء المدخول بهن ، وهن ثلث عشرة امرأة
رضوان الله عليهن . وستذكر إن شاء الله تعالى ، بعد أن نذكر أخبار هؤلاء ، من
تزوجهن صلى الله عليه وسلم ، ولم يدخل بهن ، ومن وقبت نفسها له ، ومن خيراها
فأختارت الدنيا ، ومن فارقتها صلى الله عليه وسلم ، ونذكر أخبارهن على حسب
اتصالهن به صلى الله عليه وسلم .

فأول امرأة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خديجة بنت خويلد

أبن أسد بن عبد المزي بن قصى بن كلاب القرشية ، رضى الله عنها ، وكانت
تدعى في الجاهلية الطاهرة^(١) ، وأما فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، وأسم الأسم جندب
ابن هريم بن رواحة بن مجسر بن ميمص بن عابر بن لؤي . وكانت خديجة عند
أبي هالة بن زرة بن نباش بن عدي بن حبيب بن صرد بن سلامة بن جروة بن
أسيد بن عمرو بن تميم التميمي . قال أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
ابن عاصم التميمي : هكذا نسب الزبير ، وأما الجرجاني النسابة فقال : كانت خديجة
قبل عند أبي هالة هند بن القباش بن زرة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدي

(١) كانت توصف أوتنادى في الجاهلية بالطاهرة ؛ لتركها ما كانت تفعله من الغلظة . (الخواص) .

ابن جَرَّة بن أَسِيد بن عمرو بن تميم ، فولدت له هِنْدَا ، قال : ثم أخفأ فقالا :
ثم خلف عليها بعد أبي هَالَةَ عَتِيقُ بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن عَمْرُوم ، ثم خلف
عليه أهد عَتِيقُ المخزومي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال قتادة : كانت خَدِيجَةُ تحت عَتِيقُ بن عابد المخزومي ، ثم خلف عليها بعده
أبو هَالَةَ هِنْدُ بن زُرَّارَةَ ، قال أبو عمر : والأوَّلُ أصح .

وقال أبو محمد عبد المؤمن بن خلف : إنها ولدت لعتيق جارية تدعى هِنْدَا ،
ثم هلك عنها خلف عليها أبو هَالَةَ فولدت له أبنا وينا . وقال ابن إسحق : ولدت
هِنْدُ بن أبي هَالَةَ ، وزَيْنَبُ بنت أبي هَالَةَ ، وولدت لعتيق عبد الله وجارية ، قال :
ثم هلك فترَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدَّمتا ذكر زواجه صلى الله
عليه وسلم بها ، فلا حاجة إلى إعادته . وولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جميع
أولاده ، إلا إبراهيم . وقال أبو عمر : لا يختلفون أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يتزوج في الجاهلية غير خَدِيجَةَ ، ولا تزوج عليها أحدا من نسائه حتى ماتت ،
وهي أوَّل من آمن بالله عزَّ وجلَّ ، ورسوله صلى الله عليه وسلم على الإطلاق .

قال ابن إسحق رحمه الله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع من
المشركين شيئا يكرهه ، من ردِّ عليه وتكذيب له إلا فرج الله عنه بخديجة ، تنبَّته
وتصدَّقه وتحفَّف عنه وتهوَّن عليه ما لم يقبَل من قومه ، وقد تقدَّم من أخبارها في ابتداء
الوحي وأمتحانها الأمر ، وقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذي يأتيه ملك ،

(١) كذا في الأصول وأين إسحق ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر « مات » .

(٢) مقام نبينا عليه الصلاة والسلام يقتضى أن تنادب معه فتقول قبل النبوة أو قبل البعثة .

(٣) أمتحانها الأمر ؛ أى أمر الوحي ، وأن الذى يأتيه ملك لاشيطان . (راجع أين هناك ١ :

وغير ذلك ما تحف عليه هناك ، مما يستدل به على أنها رضى الله عنها أول من آمن بالله تعالى وبرسوله ، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة المنتشرة ، بفضل خديجة رضى الله عنها ؛ فمن ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ فَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ وَأَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ » . وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ما غُرِّت على امرأة ما غُرِّت على خديجة ، وما بي أن أكون أدركتها ، ولكن ذلك لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ، وأن كان لَيَذَّجِ الشاة فيتبع بذلك صدائقي خديجة يُهْدِيها لمن . وعنها رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها التناء ، فذكرها يوما من الأيام فأدركني التبرة فقالت : هل كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها ؟ فغضب حتى أهقر مقدم شعره من الغضب ، ثم قال : « لا والله ما أبداني الله خيرا منها ، آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني في ما لها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها أولادا إذ حرمني أولاد النساء » . قالت عائشة : فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبدا .

وقد قدمنا من فضلها وما بَشَّرَها به جبريل عليه السلام ، وذكر وفاتها عند ذكرنا لزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما يستغنى عن إيراده في هذا الموضع ، وهو في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة .

ولما ماتت خديجة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاتها بأيام :

سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ

أَبْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ،
ويقال في حِجْلٍ : حُجَيْلٌ . وَأُمُّهَا الشُّمُوسُ بِنْتُ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ لَيْدٍ
أَبْنِ خِدَاشِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَثَمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ ، وَقَبْلَ الْعَقْدِ عَلَى عَائِشَةَ عَلَى الْمَشْهُورِ ، وَكَانَتْ قَبْلُ
عِنْدَ أَبِي عَمٍّ لَهَا يُقَالُ لَهُ السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرِو ، وَهُوَ أَخُو سَمِيلِ بْنِ عَمْرِو ، مِنْ بَنِي عَامِرِ
أَبْنِ لُؤَيٍّ . وَأَسْنَتُ سَوْدَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَمَّ بِطَلَاقِهَا ، فَقَالَتْ
لَهُ : لَا تَطْلُقْنِي وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ شَأْنِي ، فَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أُحْشَرَ فِي أَزْوَاجِكَ ، وَإِنِّي
قَدْ وَهَبْتُ بَوْىَ لَعَائِشَةَ ، وَإِنِّي مَا أُرِيدُ مَا تَرِيدُ النِّسَاءَ . فَأَمْسَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَارَ يَقْسِمُ لِبَقِيَةِ أَزْوَاجِهِ دُونَهَا ، وَتَوَبَّتْهَا لَعَائِشَةَ ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى
تُوفِّيَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ مَنْ تُوُفِّيَ عَنْهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِ .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو : وَفِي سَوْدَةَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَیْلِهَا
نُكْرًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ » . وَقِيلَ :
نَزَلَتْ فِي عَمْرَةَ ، وَيُقَالُ : خَوْلَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، وَفِي زَوْجِهَا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ .
وَيُقَالُ فِي غَيْرِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَتْ وَفَاةً سَوْدَةَ فِي آخِرِ زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،
ثُمَّ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ سَوْدَةَ :

(١) آيَةُ ١٢٨ سُورَةِ النِّسَاءِ . (٢) هَكَذَا فِي نَسْخِ الْأَصْلِ ، وَفِي الْإِبَاحَةِ أَنَّ اللَّهَ نَزَلَ
فِي عَمْرَةَ بِنْتُ حَزْمٍ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَیَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ » الْآيَةُ ، حَتَّى قَتَلَ زَوْجَهَا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ بِأَعْدِ
بِلَاقَتِهَا فَطَلَبَ مِيرَاثَ أَبَتِهَا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (٣) لِدَيْتُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ زَوْجَةُ لَسَعْدِ بْنِ
الرَّبِيعِ ، وَإِسْمُهَا فِي زَوْجَةِ لِرَافِعِ بْنِ خَدِجٍ كَمَا فِي لِسَابِ الْقَوْلِ لِلْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ ، قِيلَ فِيهَا نَزَلَتْ الْآيَةُ .
وَفِي الْأَصُولِ : خَوْلَةُ بِنْتُ حَلَةَ ، وَالتَّصْحِيحُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ (ج ٥ : ٥٠٣) وَكَذَا سَبَابُ النِّزُولِ
لِمُؤَادِي ذَكَرَ أَنَّ آيَةَ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ نَزَلَتْ فِيهَا الْآيَةُ .

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

- وأما أم رومان ابنة عامر بن عُويم بن عبد شمس بن عتاب بن أُذينة بن
سبيع بن دُهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة، في شوال سنة عشر من النبوة، قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي
بنت ست أو سبع، وبني بها بالمدينة على رأس سبعة أشهر من الهجرة، وهي ابنة
تسع سنين، وتوفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي بنت ثمانى عشرة سنة،
ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بغيرها، وكانت عائشة رضي الله عنها تذكّر بحبيب
أبن مطعم بن عدي وتُسمى له، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرى عائشة
في المنام في سُرقة من حرير مرقق خديجة، فقال: «إن يكن هذا من عند الله
يُبَيضه» فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وأبقي بها في شوال، فكانت
تُحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبها في شوال على أزواجهن، وتقول: هل
كان في نسائه عنده أحظى مني، وقد نكحني وأبقي بي في شوال.

- قال أبو عمر: فكان مكثها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين، روى
عنها أنها قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت سبع سنين،
وبني بي وأنا بنت سبع، وقُبض عني وأنا بنت ثمانى عشرة.

- قال أبو عمر: وأسأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكنية فقال لها:
«أَكُنِّي بِأَبْنِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ» يعني ابن اختها، وكان مسروق إذا حدث عن
عائشة يقول: حدثني الصادقة ابنة الصديق، البريئة المبرأة بكذا وكذا. ذكره
الشعبي عن مسروق. وقال أبو الضحا عن مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد

(١) كان خطيبا معتمدا على لابه جدير، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم لأمة لم يسلم بالخطبة،
أو كان قبل النبي. (المواهب ٣: ٢٧٤). (٢) البرقة بفتحات: شقة الحرير.

صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح :
 كانت عائشة أمّهم الناس ، وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأيا في العامة . وقال هشام
 ابن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أعلم بفقهِ ولا يطب ولا يشعر من عائشة .
 وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، قال : ما رأيت أحدا أروى لشعر من
 عروة ، ففيل له : ما أرواك يا أبا عبد الله ! قال : وما روايت في رواية عائشة ،
 ما كان يقل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا . قال الزهري : لو جمع علم عائشة إلى
 جميع علم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم جميع النساء ، لكان علم عائشة
 أنفصل . وروى عن عمرو بن العاص قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » ، قلت : فين الرجال ؟ قال : « أبوها » .
 ومن حديث أبي موسى الأشعري ، وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أنه قال : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » .
 ومن فضل عائشة أن الله عز وجل أنزل في برائها ما أنزل ، وقد ذكرنا ذلك
 في حديث الإنفك ، في حوادث ستة خمسين من الهجرة ، وهو في الجزء الرابع عشر
 من كتابنا هذا ، من هذه النسخة . وروى عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال :
 من سب أبا بكر جلد ، ومن سب عائشة قُتل ، ففيل له : لم ؟ قال : من رماها
 فقد خالف القرآن ، لأن الله تعالى يقول : « يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُدُّوا لِمَنْ لَيْسَ بِهِ إِدْنٌ
 كُتْمٌ مُؤْمِنِينَ » ^(١) فن عاد لمنه فقد كفر . وعن القاضي أبي بكر بن الطيب قال :
 إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما فيه إليه المشركون سبّ نفسه لنفسه ؛ كقوله :

(١) في رواية الترمذي عن عروة : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ، ولا بفرصة ، ولا بحرام ،
 ولا بجلال ، ولا بفقهِ ، ولا بشعر ، ولا بطب ، ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة » .

(٢) خرج هذا الحديث البخاري في باب التريد وغيره ، ورواه مسلم في فضل عائشة .

(٣) آية ١٧ سورة النور .

« وَقَالُوا أَتَتَّخِذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ^(١) » في آي كثير . وذكر تعالى ما نسبته المنافقون إلى عائشة فقال : « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ ^(٢) » سبّح نفسه في تبرئها من السوء ، كما سبّح نفسه في تبرئها من السوء . وفضائلها رضي الله عنها كثيرة مشهورة .

- وسنذكر إن شاء الله تعالى ، عند ذكرنا لوفاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خصها به صلى الله عليه وسلم ، في مرضه الذي مات فيه ، من تبرئها في بيتها ، وأنه مات صلى الله عليه وسلم في بيتها وفي نوبتها ، وبين حجرها ونحوها ^(٣) ، وآخر ما دخل فيه ريقها ، ونأهيك بها فضيلة وخصوصية . وكانت وفاة عائشة رضي الله عنها بالمدينة ، في سنة سبع وخمسين ، وقيل : في سنة ثمان وخمسين ، ليلة الثلاثاء ، لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، وأمرت أن تدفن ليلاً ، فدفنت ١٠ بعد الوتر بالبيقاع ، وصلى عليها أبو هريرة ، ونزل في قبرها خمسة : عبد الله ، وعروة ، أبنا الزبير ، والقاسم بن محمد ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر ، والله أعلم .

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج عائشة :

- ١٥ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه ، وأنها زينب بنت مظعون بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن جحج ، وكانت حفصة من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي ، وكان

(١) آية ٢٦ سورة الأنبياء . (٢) آية ١٦ سورة النور .

(٣) السحر : الرقة ، والنحر : أكل العذرة ؛ أي مات صلى الله عليه وسلم وهو ستمد في صدره .

وما يجاذي حجرها منه . وفيه نذر ذلك .

بكرها ، فلما مات عنها وتأيمت ، ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه ، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة ، فغضب من ذلك عمر ، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عثمان : ما أريد أن أتزوج اليوم ، فأطلق عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه عثمان ، وأخبره بمرضه حفصة عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة » ثم خطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فتزوجها ، فلقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب فقال : لا تجد علي في نفسك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذكر حفصة ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو تركها لتزوجتها . وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثلاثين شهرا من مهاجرة . قال أبو عمر : وطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم تطليقة ثم أرتجها ، وذلك أن جبريل عليه السلام قال له : « راجع حفصة فإنها صوامة قوامه ، وأنها زوجتك في الجنة » . وروى عن عقبة بن عامر قال : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر ، فبلغ ذلك عمر فغنى على رأسه التراب ، وقال : ما يبأ الله بامرأته بعد هذا ، فزل جبريل من البدن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « إنا لله يا مرسك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمة لعمرو » .

قال أبو عمر : وأوصى عمر بعد موته إلى حفصة ، وأوصت حفصة إلى عبد الله بن عمر بما أوصى به إليها عمر ، وبصدقة تصدقت بها [بمال] ^(١) وقفته بالنفقة . واختلف في وفاتها ، فقال الثوري : عن أحمد بن محمد بن أيوب ، توفيت

(١) الزيادة من أسد الغابة عن ابن عبد البر ، وأبى في ابن عبد البر « ومال ... » بزيادة الواو .

والغابة : موضع قريب من المدينة من هواليا وبها أموال لأهلها .

في سنة سبع وعشرين ، وقال أبو معشر : توفيت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وقال غيره : توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة ، وصلى عليها مروان بن الحكم ، وحمل سريرها ، وهو إذ ذاك أمير المدينة لمعاوية بن أبي سفيان ، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أبو محمد الدمياطي في مختصر السيرة . قال : ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زواج حفصة بنت عمر :

زينب بنت خزيمة بن الحارث

أبْن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن طمر . نَصَّصَتْهُ ^(١) بن معاوية .
 أبْن بكر بن هَوَازِن الْقَيْسِيَّةِ الْهَوَازِيَّةِ الْعَامِرِيَّةِ الْهَلَالِيَّةِ ، وكانت تدعى في الجاهلية أُمُّ الْمَسَاكِين ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطفيل بن الحارث ابن المطلب بن عبد مناف تطلقها ، تخلف عليها أخوه حبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيدا ، تخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرا من مهاجره . وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أُحُد ، فترجوها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الأول أعتد الشيخ أبو محمد ، قال : ومكثت عنده ثمانية أشهر ، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر ، وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفنها بالقيع ، وقد بلغت ثلاثين سنة .
 أو نحوها ، ولم يمت من أزواجه في حياته غيرها ، وغير خديجة ، قال : وفي رِجَالَةٍ ^(٢) خلاف . وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني القسابة : كانت زينب بنت خزيمة أخت تميمونة لأُمها ، قال أبو عمر : ولم أر ذلك لغيره ، والله أعلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب بنت خزيمة :

- (١) في الجاهلية قيد تحببه الزمري في رواية الطبراني وابن إسحق ، وذكره ابن أبي عينة وقال : « أي وأول في الإسلام » .
 (٢) ربيعة بنت شمعون إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي وفاتها خلاف . وسيأتي ذكرها .

أُم سَلَمَةَ هِنْد بنت أَبِي أُمِيَّة

حَدَّثَنَا المعروف بِزَادِ الرَّأْيِ بْنِ الْمَغيرةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَحْزُومٍ بْنِ بَقْلَةَ
ابْنِ مُرَّةٍ بْنِ كَثْمٍ بْنِ لُؤَيٍّ الْقُرَشِيَّةِ الْغَزَوِيَّةِ . وَكَانَ أَبُوهَا أَحَدَ أَجْوَادِ قُرَيْشِ
الْمَشْهُورِينَ بِالْكَرَمِ . وَأُمُّهَا هَانِكَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ طَلْحَةَ
ابْنِ فَرَّاسٍ . وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبْدِ الْأَسَدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَحْزُومٍ ، وَهُوَ ابْنُ بَرَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوُلِدَتْ لَهُ عَمْرُو بْنُ زَيْنَبٍ ، فَكَانَا رِبِيَّيْ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍ : وَلِدَتْ لَهُ عَمْرُو سَلَمَةَ وَدُرَّةَ وَزَيْنَبَ .
قَالَ ، وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَيُقَالُ أَيْضًا : أُمُّ
سَلَمَةَ أَوَّلُ طَلِيعَةِ دَخَلَتْ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً ، وَقِيلَ : بَلْ لَيْسَ بِنْتُ أَبِي حَتَمَةَ زَوْجِ
عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ .

تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ سَلَمَةَ فِي لَيْالٍ بَعِينَ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ
مِنْ مُهَاجِرِهِ ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍ : تَزَوَّجَهَا فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ،
عَقَدَ عَلَيْهَا فِي شَوَّالٍ ، وَأَبْقَى بِهَا فِي شَوَّالٍ ، وَقَالَ لَهَا : « إِنْ شِئْتَ سَبَقْتُ عِنْدَكَ ،
وَسَبَعْتُ لِنِسَائِي ، وَإِنْ شِئْتَ تَلَّثْتُ وَدَوْتُ » فَقَالَتْ : تَلَّثْتُ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ :
زَوْجُهُ لِيَاهَا أَهْبَأُ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرَاشًا
حَشَوهُ لَيْثًا وَقَدَحًا وَنَحْفَةً وَبَحْشَةً . وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي وَقَاتِهَا ، فَقِيلَ : تَوَفَّيْتُ
فِي سَنَةِ سِتِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَقِيلَ : فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ،

(١) فِي ابْنِ هِشَامٍ « رَفِيعٌ » مَكَانَ « دُرَّة » .

(٢) الْجَاهِلُونَ أَنَّ الزَّوَاجَ كَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ ، لِأَنَّ أَبَا سَلَمَةَ مَاتَ بَعْدَ غَزْوَةِ أَحَدٍ ، وَكَانَتْ سَنَةُ

ثَلَاثًا بِأَخْفَاقٍ . (٣) الْحَبَشَةُ : الْأَرْضُ .

وقال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : توفيت في سنة اثنتين وستين . قال أبو عمر :
وصل عليها أبو هريرة ، وقيل : سعيد بن زيد ^(١) بوصية منها ، ودخل قبرها عمر
وسلمة أبنا أبي سلمة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية ، وعبد الله بن وهب بن
ربيعة ، ودفت بالبقيع رحما لله ، وهى آخر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
موتا ، وقيل : بل تميمة آخرهن . والله أعلم .
ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بلعيا :

زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بْنِ رِثَابٍ

أَبْنُ يَمْعَرٍ بْنِ صَبَّةَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَيْسٍ - بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ - أَبْنُ عَمِّ بْنِ دُودَانَ
أَبْنُ أَسَدٍ بْنِ خُرَيْمَةَ .

وكان أم زَيْنَبَ بَرَّةً ، فصاحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْنَبُ ، وأما
أُمِّيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قال الشيخ
أبو محمد عبد المؤمن : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَلَالِ ذِي الْقَعْلَةِ سنة
أربع على الصحيح ^(٢) ، وهى يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة ، وكانت قبل ذلك
عند زيد بن حارثة مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، ثم فارقتها ، فلما حَلَّتْ
فَرْجَهُ لَهَا ، وهى التى قال الله تعالى فيها : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كُهَا) ^(٣)
ولما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فى ذلك المناقشون ، وقالوا حرم

(١) لا يصح القول بأن سعيد بن زيد صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين أم سلمة لأنه مات سنة تسعين أو إحدى
أربعين ، بخلاف ، قال فى الإجابة : « ويمكن تأويله بأنها مرضت فأوصت بذلك ثم عوفت فمات
سعيد فيها » . (٢) روى بعضهم كافي المراهب سنة خمس ، وفى الإجابة سنة ثلاث .
(٣) أى أخضعت عنها لحلت الزواج . (٤) آية ٣٧ سورة الأحزاب .

٦٢
١٦

عديسة الولد وقد تزوج امرأة ابنه ، فأنزل الله عز وجل : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) . وقال تعالى : (أَدْمُومُ لِبَابِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) ، فدعى زيد يومئذ زيد بن حارثة ، وكان قبل ذلك يدعى زيد بن محمد . قالت عائشة رضى الله عنها : لم يكن أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم يُسَمِّيْنِي فِي حَسَنِ الْمَثَلَةِ عنده غير زينب بنت جحش ، وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، تقول : إن أباي كنتي أنكحوكي وأن الله أنكحني إياه من فوق سبع سموات . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة : « أذكرها علي » قال زيد : فأطلقت فقلت لها : يا زينب ، أبشري ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل يذكرك . فقالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربى ، فقامت إلى مسجدتها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها فغير إذن . وعن عبد الله بن شداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « إن زينب بنت جحش أواهة » فقال رجل : يا رسول الله ، ما الأواهة ؟ قال : « الخاضع المتضرع » ، وإنا إبراهيم خليل أواه مئيب^(٥) . وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لنسائه : « أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا » ، قالت : فكنت يتناولن إيمى أطول يدا ، قالت : فكأطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق . وعن عائشة رضى الله عنها أيضا ، قالت كانت زينب بنت جحش

(١) آية ٤ سورة الأحزاب . (٢) آية ٥ سورة الأحزاب .

(٣) تضاعف وتضاعف بها ومكانها معه عليه السلام .

(٤) أوامر : استغفر . (٥) آية ٧٥ سورة هود . (٦) طول يده . كناية عن الجور

والكبر . وكانت رضى الله عنها صانع اليد ؟ تدبج وتفرز وتتصدق .

تساميني في المثلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت امرأة قط خيرا في الدين من زينب ، وأتقى الله وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة . ومن رواية أخرى عنها أنها ذكرت زينب فقالت : ولم تكن امرأة خيرا منها في الدين ، وأتقى الله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد تبذلا في نفسها في العمل الذي تصدق به وتقترب إلى الله عز وجل . وكانت وفاة زينب بالمدينة في سنة عشرين من الهجرة ، في خلافة عمر ، وقيل : في سنة إحدى وعشرين ، ودفنت بالبيع رضي الله عنها .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زينب :

جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث

١. ابن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جُدَيْمَةَ ، وهو المصطلق بن سعد ابن كعب بن عمرو بن ربيعة ، وهو الحُصَي بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء الأزدي الخزاعي المصطلقية . سبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع فوقعَت جُوَيْرِيَةُ في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، وكاتبها على تسع أواق ، فأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كتابتها وتزوجها . وقيل : جاء أبوها فأخذها ،
- ١٥ ثم أنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ست من الهجرة . وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ، وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس — أول ابن عم له —

(١) التبذل : ترك التزين والتجهيز بالمهينة الحسنة على جهة التواضع ، وفي « آية الا » .

(٢) مزيقياء : لقب عمرو بن عامر المذكور ، ملك من ملوك اليمن .

(٣) المريسيع (تصغير مرسوع) : ماء لئلي خراقة من الأزد وهذه الفتوة هي المروعة بنزوة بن

فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلوة مُلَاحَةً ^(١) . يراها أحد إلا أخذت بنفسه ،
فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو
إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكُفرتها ، وعرفت أنه سيمر منها ما رأيت ، فدخلت
عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُورِيَّة بنت الحارث بن أبي ضَرَارٍ سيد قومهِ
وقد أصابني من البلاء ما لم يُخَفِّفْ عليك ، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس بن ثَمَامٍ
— أولاد بني عَمَلٍ — فكاتبته على نفسي ، بختك استعينك على كتابتي ، قال : « فهل لك
في خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « أفض عنك كتابتك وأتزوجك » ،
قالت : نعم يا رسول الله ، قال : « قد فعلت » ، قالت : ونعرج الخبر إلى الناس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج بجورِيَّة بنت الحارث فقال الناس : أصهار
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم ، فلقد اعتق بترويجها إياها مائة
أهل بيت من بني المُصْطَلِقِ ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

قال أبو عمر : وكانت جورِيَّة قبلُ تحت مُسَافِع بن صَفْوَانَ المصْطَلِقِ ، قال :
وكان اسمها برة ، فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها جُورِيَّة ، وحفظت
جورِيَّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروت عنه ، وتوفيت بالمدينة
في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وصلى عليها عمرو بن الحكم وهو والي
المدينة وقد بلغت سبعين سنة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت عشرين .
سنة . وقيل : توفيت في سنة خمسين . والله أعلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جورِيَّة :

(١) ملاحه : أى شهيدة الملاحه ، وهو من أبنية المبالغة .

رَبِّحَاتُهُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُثَّافَةَ بْنِ شَمْعُون

- قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القري رحمه الله: هي رَبِّحَاتُهُ بِنْتُ شَمْعُونِ بْنِ زَيْدِ بْنِ خُثَّافَةَ^(١) مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقِيلَ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ. قَالَ: وَالْأَكْثَرُ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنُ خَلْفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَتْ مَتْرُوجَةً رَجُلًا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، يُقَالُ لَهُ الْحَكَمُ، وَكَانَتْ قَدْ وَصَّتْ فِي السَّيِّئِ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَذَلِكَ فِي لَيْالٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سِتَّةَ نَحْسٍ مِنَ الْمُهْجَرَةِ، فَكَانَتْ صَغِيرَةً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرًا مِنْ الْإِسْلَامِ وَدِينَهَا فَاخْتَارَ الْإِسْلَامَ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، وَأَمْرَهَا أَتَتْهُ عَشْرَةُ أَوْقِيَّةٍ وَتَنَسَّأَ، وَأَعْرَسَ بِهَا فِي الْمَحْزَمِ سِتَّةَ سَنَ، فِي بَيْتِ أُمِّ الْمُنِيرِ سَلَمَى بِنْتُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ، وَضَرَبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ، فَغَارَتْ عَلَيْهِ غَيْرَةُ شَدِيدَةٍ، فَطَلَقَهَا تَطْلِيقًا، فَأَكْثَرَتِ الْبُكَاءَ فَرَاجَعَهَا، فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَتْ بِمَدِينَةِ رَجْعَتِهِ مِنْ حَبَّةِ الْوَدَاعِ، فَدَفَنَهَا بِالْبَيْقِعِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجَهَا وَكَانَ يَطْلُوهَا بِمَلِكِ الْيَمَنِ، وَأَنَّهُ خَيْرُهَا مِنْ الْيَتَمِ وَالْزَوَّاجِ، أَوْ تَكُونُ فِي مَلِكِهِ، فَقَالَتْ: أَكُونُ فِي مَلِكِكَ أَخْفَ حَلٍّ وَعَلَيْكَ، فَكَانَتْ فِي مَلِكِهِ حَتَّى تَوَفَّيَ عَنْهَا. قَالَ: وَالْأَوَّلُ أَثْبَتٌ. ثُمَّ تَزَوَّجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ

- ١٥ حَضَرَتْ حَرْبَ بَنِي أُمِيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ الْقُرَشِيَّةَ الْأُمَوِيَّةَ، وَأُمُّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةَ عَمَةُ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ، هَاجَرَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ مَعَ زَوْجِهَا حَبِيدِ اللَّهِ بْنِ بَحْشٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْمُهْجَرَةِ الثَّانِيَةِ، فَوُلِدَتْ لَهُ:

(١) خُثَّافَةُ، بِالْخَاءِ، أَرْفَاقَةُ بِالْقَافِ - (٢) الصغرى: ما يختاره رسول الله من الفتيمة.

(٣) فِي نَسْخِ الْأَمْلِ: «مِدَاة»، وَالصَّحِيحُ: حَبِيدَةُ اللَّهِ، بِالتَّصْنِيفِ كَافٍ الْإِسَابَةِ وَشَرَحَ الْمَوَاقِبَ؛ لِأَنَّهُ أَخَاهُ حَبِيدَةُ اللَّهِ بْنِ بَحْشٍ اسْتَبَدَّ بِأَحَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حبيبة فكنيت بها ، وتقرر عيد الله زوجها ، وأرتدت عن الإسلام ، ومات على ذلك ، وثبتت أم حبيبة على دين الإسلام ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، كما قدمنا ذكر ذلك فزوجه إياها ، وكان الذي عقد عليها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية على الأعمش ، وأصدقها النجاشي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة دينار ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجيئها إلى المدينة ، وذلك في سنة سبع من الهجرة ، وهذا هو المعروف المشهور .
وقيل : إن الذي زوجها عثمان بن عفان ، وأن العقد كان بالمدينة بعد رجوعها من أرض الحبشة . والأول أثبت .

وروى الزبير بن بكار قال : حدثني محمد بن حسن عن عبد الله بن عمرو بن زهير ، عن اسمعيل بن عمرو أن أم حبيبة قالت : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها أبرهة ، كانت تقوم على ثيابه وذئبه ، فاستأذنت على فأذنت لها ، فقالت : إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أن أزوجه^(١) فقلت : بترك الله بخير ، وقالت : يقول لك الملك وتكلى من يزوجهك ، فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارى فضة كاتبا على ، وخواتم فضة كانت في أصابعي سرورا بما بشرتني ، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين بمحضرون ، وخطب النجاشي فقال : الحمد لله الملك الفتوس ، السلام المؤمن المهيمن ، العزيز الجبار ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأنه الذي بشره عيسى بن مريم — أفا بعد — فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة بنت

(١) حسنة : هو أمه التي ربه ، وأبوها عبد الله بن المطاع الكندي . (المواهب : ٣ : ٢٨٩) .

(٢) في شرح المواهب : « أن أزوجهك » .

أبي سفيان ، فاجئتُ إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها
أربعمائة دينار . ثم سَكَبَ الدنانير بين يدي القوم ، فتكلم خالد بن سعيد ، فقال :
الحمد لله أحمد وأستعينه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . — أما بعد —
فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجته أم حبيبة بنت
أبي سفيان ، فبارك الله لرسوله . ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها ،
ثم أرادوا أن يقوموا ، فقال النجاشي : اجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم السلام إذا
ترجوا أن يؤكل طعامٌ على الترويح ، فدها بطعام فاكلوا ثم فزقوا . وماتت أم
حبيبة سنة أربع وأربعين ^(١) . وروى عن علي بن حسين قال : قدمت منزلي في دار
علي بن أبي طالب ، فحفرنا في ناحية منه فأخرجنا منه حجرا فإذا فيه مكتوب ، هذا
قبر رَمْلَةَ بنتِ خَمْرٍ ، فاعدناه مكانه ، حكاها أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب
في ترجمة أم حبيبة ^(٢) .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أم حبيبة :

صَفِيَّةُ بِنْتُ حُجَيْبٍ بْنِ أَخْطَبَ

أَبْنُ سَعْدَةَ بْنِ تَمْلَةَ بْنِ عَيْتٍ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ بْنِ النَّضِيرِ بْنِ
النَّحْمِ بْنِ تَحْمُومٍ ، مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سَيْطِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

كَانَ أَبُوهَا سَيِّدَ بَنِي النَّضِيرِ ، وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ سَمُومٍ ، أخت رِفَاعَةَ ، وَكَانَتْ
صَفِيَّةً عِنْدَ سَلَامٍ بْنِ مِشْكَمٍ الْقُرَيْطِيِّ الشَّاعِرِ ، فَفَارَقَهَا تَخَلَّفَ عَلَيْهَا كَثَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ

(١) هذا ما جزم به ابن عبد البر وابن سعد ، ووجه البلاذري ؛ وقيل سنة اثنين وأربعين . (راجع
المواهب ٣ : ٢٩٢) . (٢) هوف ترجمة « رمة » لا ترجمة أم حبيبة .

(٣) نخوم ؛ في أسد الغابة : « ناخوم » ، قاله اليهودي وأعلم بلسانهم .

(٤) في شرح المواهب : أمها خرة بنت الفضل المعينة . على أن أسد الغابة موافق لما هنا .

(٥) رفاة صحابي ، قال في الإصابة : « له ذكر في الصحيح من حديث عائشة ... » الخ .

أَبْنِ أَبِي الْحَقِّيقِ النَّضْرِيِّ الشَّاعِرِ، فَقُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَلَمْ تَلِدْ لِأَحَدٍ مِنْهُمَا شَيْئاً،
فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا وَجَعَلَ عَقْهَا
صَدَاقَهَا ٤، وَلَمْ يَتْلُغْ يَوْمَئِذٍ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي مَقَازِيهِ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ
النَّبَوَةِ، فِي غَزَاةِ خَيْبَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَتَتْهُ الْقَمُوصُ :
— حَصَنَ ابْنُ أَبِي الْحَقِّيقِ — أُنَى بَصْفِيَّةَ بِنْتَ حُجَيْيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ، وَبِأُخْرَى مَعَهَا،
لِزَوْجِهَا يَلَالُ عَلَى قَتْلِ مَنْ قَتَلَ يَهُودَ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ أَلْقَتْ مَعَ صَفِيَّةَ صَاحَتَ وَصَكَّتْ
وَجْهَهَا وَحَثَّتِ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« أَغْرَبُوا عَنِّي هَذِهِ الشَّيْطَانَةَ » وَأَمَرَ بِصَفِيَّةَ لِيُغَيَّرَ خَلْفُهَا، وَأَلْقَى عَلَيْهَا رِدَاءَهُ،
فَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ، وَكَانَتْ
صَفِيَّةٌ قَدْ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ، وَهِيَ عَرُوسُ يَكْثَانَ بْنِ الرَّبِيعِ، أَنَّ قَرَأَتْ فِي جَمْعِهَا،
فَعَرَضَتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا، فَقَالَ: مَا هَذَا إِلَّا أَنْكِ تَمْتَنِينَ مَلِكَ الْجَبَالِ مُحَمَّدًا : فَلَطَمَ
وَجْهَهَا لَطْمَةً خَضَرَ عَيْنَاهَا مِنْهَا، فَأُلْقِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَا أَثَرُ مَنَتِهِ،
فَسَأَلَهَا مَا هُوَ فَأَخْبَرَتْهُ هَذَا الْخَبَرَ .

وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ رِوَايَةِ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَمَّا جَمَعَ سَبْيَ خَيْبَرَ جَاءَهُ دِحْيَةُ فَقَالَ: أَهْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ، قَالَ: « أَذْهَبُ نَحْوَ
جَارِيَةٍ » فَاخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُجَيْيٍّ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا سَيِّدَةُ قَرْيَةِ النَّضْرِ،

(١) هذه النسبة إلى النضر، حفروا الياء وقلبوها كمرثداً وضماً .

(٢) أغربوا : أبعدوا وفي نسخة : « أغربوا »، والمعنى واحد .

(٣) وأسد الثابتة : « تذكرت ذلك لأنها » .

(٤) كما في نسخ الأمل ، والمعنى : تركها . أنرا أسود ، والعرب تقول للأسود أخضر ،

وفي شرح الزمخشري : « لطمها على عينها فأخضرت » .

- ما تصلح إلا لك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «خذ جارية من السبي غيرها».
- وقال ابن شهاب: كانت مما أفاء الله عليه، حبيبها وأولم عليها بقر وسويق، وقسم لها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين، قال أبو عمر: روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على صفية وهي تبكي، فقال لها: «ما يبكيك؟» قالت: بلغني أن عائشة وحفصة تتالان مني، وتقولان نحن خير من صفية، نحن بنات عم رسول الله وأزواجه، قال: «ألا قلت لمن تبكي خيرا مني وأبي هرون، وعمي موسى، وزوجي عبد الله صلى الله عليه وسلم». وكانت صفية حليلة عاقلة فاضلة؛ روى أن جارية لما أتت عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقالت: إن صفية تحب السبت وتصل اليهود، فبعت إليها عمر يسألها، فقالت: أما السبت فلاي لم أحبه منذ أبدلتني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رجلا فانا أصلاها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان، قالت: فأذهبي فانت حرة. وتوفيت صفية في شهر رمضان سنة خمسين، وقيل: سنة اثنتين وخمسين. ودفنت بالقيع، وورثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعرض، وأوصت لابن اختها بثلثها، وكان يهوديا.
- ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها:

ميمونة بنت الحارث

- ابن حزن بن مجير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن طامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر. وأما هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن سحاطة بن حير، وقيل: من كنانة، وأن زهير بن الحارث بن كنانة.

(١) هزم — في القاموس — كثر، وكذلك في شرح المراهب وابن إسحق، وفي الأصول: «الهرم».

وأخوات ميمونة لأبيها وأما : أم الفضل ثيابة الكبرى بنت الحارث ، زوج
العباس بن عبد المطلب . ولبابة الصغرى زوج الوليد بن المغيرة ، أم خالد بن
الوليد . وعصماء بنت الحارث ، كانت تحت أبي بن خلف الجمحي . ومرة بنت
الحارث ، كانت عند زياد بن عبد الله بن مالك الحلالى .

وأخواتها لأما : أسماء بنت عميس ، كانت تحت جعفر بن أبي طالب ،
فولدت له عبد الله ، وعوناً ومعداء ، ثم خلف عليها أبو بكر الصديق رضى الله عنه ،
فولدت له محمداً ، ثم خلف عليها علي بن أبي طالب ، فولدت له يحيى ، وقيل :
إن أسماء كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ، فولدت له أمة الله بنت حمزة ، ثم
خلف عليها بعده شقار بن أسامة بن الحاد الثقفى ، فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن .
وسلامة بنت عميس أخت أسماء . وسلمى بنت عميس كانت تحت عبد الله بن
كعب بن منبه الخثعمى . وذئيب بنت خزيمة أخت ميمونة لأبيها .

قال أبو عمر بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما : كان اسم ميمونة برة ، فسمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة ، وقال : لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى مكة معتمراً فى سنة سبع ، وهى عمرة القضاء ، خطب جعفر بن أبي طالب
عليه ميمونة بنت الحارث الحلالية ، وكانت أختها لأما بنت عميس عند
جعفر ، وسلمى بنت عميس عند حمزة ، وأم الفضل عند العباس ، فأجاب جعفر
أبن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس أمرها إلى العباس بن
عبد المطلب ، فانكحها النبي صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، فلما رجع حتى جاء
بشرف حلالاً ، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن

نصر بن مالك بن حِصْل بن عامر بن لؤي، ويقال: بل كانت عند سبرة بن أبي رهم .
 حكاة أبو عبيدة، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: كانت ميمونة قبل النبي صلى الله
 عليه وسلم عند حُوَيْطَب بن عبد العزى، وقيل: كانت في الجاهلية عند مسعود بن
 عمرو بن عمير التميمي ففارقها، وخلف عليها أبو رهم أخو حُوَيْطَب فتوفى عليها،
 فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن شهاب: وهى التى وهبت نفسها
 للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك قال قتادة، قال: وفيها نزلت ﴿وَأَمْرًا مُؤْتَةً
 إِنَّ وَهَبْتَ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ﴾ الآية، وقد قيل: إن الواهبه خولة وقيل: أمة شريك .
 قال قتادة: وكانت ميمونة قبله عند قروة بن عبد العزى بن أسد بن غنم بن دودان،
 قال أبو عمر: هكذا قال قتادة وهو خطأ، والصواب ما تقدم . والله أعلم . قال الشيخ
 أبو محمد الديلمى: وماتت ميمونة بصرى في سنة إحدى وخمسين على الأصح، وقد
 بلغت ثمانين سنة .

فهؤلاء نساؤه المدخول بهن، ومات صلى الله عليه وسلم عن قسع منهن، وهن:
 عائشة بنت أبى بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة
 بنت أبى أمية، وزينب بنت جحش، وجويرة بنت الحارث وأم حبيبة بنت أبى سفيان،
 وصغية بنت حنيفة بن أخطب، وميمونة بنت الحارث رضوان الله عليهم أجمعين .

ذكر من تزوجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء

ولم يدخل بهن، ومن دخل بهن وطلقهن، ومن وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم:

فاطمة بنت الصبحاك

ابن سفيان بن عوف بن كعب بن أبى بكر، وهو عيسى بن كلاب بن ربيعة
 ابن عامر الكلابية .

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، سنة ثمان من الهجرة مُنْصَرَفَةً
 من الجَحْرَانَةِ ، فلما دنا منها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : « لقد مُدَّتْ بِعَظِيمِ
 الْحَقِّ بِأَهْلِكَ » فكانت إذا استأذنت على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول :
 أَنَا الشَّقِيقَةُ إِنَّمَا خُدِمْتُ . وَدَلِمْتُ وَذَهَبَ عَقْلُهَا ، وماتت سنة ستين . وروى عن
 ابن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد وفاة أَخْتِهِ زَيْنَبَ ، وخبرها
 حين أنزلت آية التخيير فأختارت الدنيا ففارقها ، فكانت بعد تَقَطُّطِ الْبِرِّ ، وتقول :
 أَنَا الشَّقِيقَةُ أَحْتَرْتُ الدُّنْيَا . قال أبو عمر بن عبد البر : وهذا عندي غير صحيح ؛
 لأن ابن شهاب يروى عن أبي سلمة وعُروَةَ عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم حين خَبرَ أزواجه بدأ بها فأختارت الله ورسوله قالت وتتابع أزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم على ذلك ، قال قتادة وعكرمة : كان عنده حين خبرهن تِسْعُ نِسَاءٍ
 وَهُنَّ اللَّوَاتِي تُوْفِّي عَنْهُنَّ ، قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن : وقيل إنما طلقها ليأبى
 كان بها . وقيل : إنما فارقها لأنه كان إذا خرج طلعت إلى المسجد . وقيل : إن
 الضحَّاك عَرَضَ ابْنَتَهُ فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنها لم تصدع
 قَطُّ ، فقال : « لا حاجة لي بها » . وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :
 كان في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سِتَّةٌ بَنَاتُ سُفْيَانَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ كَعْبٍ
 ابْنِ أَبِي بَكْرٍ كِلَابَ . ومنهن :

- (١) الحَقُّ (بكسر المزة وفتح الحاء ، وقيل بالعكس) : تَكَايَةُ عَنِ الطَّلَاقِ بَالِيَةً ، والمعنى طَلَقْتُكَ .
- (٢) دَلِمْتُ كَفَرَحَ : ذَهَبَ خِرَادُهُ مِنْهُ أَوْ مَشَقَّ وَقَعْلُهُ : « ذَهَبَ عَقْلُهَا » تَصِيرُ « دَلِمْتُ » .
- (٣) آية التخيير ٢٨ ، ٢٩ سورة الأحزاب . (٤) قال في المواهب . « رَأَيْتُ ذَلِكَ لَيْبَةً
- مِنْ ضَيْقِ مِثْلِهَا » . (٥) في رواية ، وَضَحُّ : وَالْمُرَادُ الْبَرَصُ . (٦) تصدع : لم يصبها شيء وهو رويح
- الرَّاسُ ، وفي رواية المارث لابن تيمية : إنها لم تمرض قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما لحده
- عند الله من خير » . (٧) ذكر ابن سعد الاختلاف في أسم الكلابية في (ج ٨ : ١٠٠) .

عمرة بنت يزيد بن الحنّون الكلّابية

وقيل : عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رؤاس بن كلاب الكلّابية ، وهو أصح .
وفى رواية قال أبو عمر : تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبنته أن بها
برصاً فطلقها ، ولم يدخل بها . وقيل : إنها التي عوذت منه حين أدخلت عليه .
وقيل غيرها . ومنهن :

العالية بنت ظبيان بن الحنّون

أبن خوف بن كعب بن أبي بكر بن عبيد بن كلاب الكلّابية . قال أبو عمر :
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عنده ماشاء الله ثم طلقها ، قال : وقيل
من ذكرها . هؤلاء اللاتي ذكرن من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر . قال أبو محمد :
ومن الناس من جعل التي تزوجها من بنى عامر واحدة ، اختلف في اسمها ، وأنه
لم يتزوج من بنى عامر غيرها ، قال : ومنهم من جعلهن جميعاً ، وذكر لكل واحدة
منهن قصة ، وهؤلاء اللاتي ذكرناهن ، من المشهورات من بنى عامر .
ومن ذكرن في أزواجه صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت شريح . ذكرها
أبو عبيدة في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهن :

أسماء بنت النعمان بن أبي الحنّون

ابن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الحنّون بن آكل المُرّار الكِنْدِي ، تزوج
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع من الهجرة ، زوجه إياها أبوها
حين قدم ، على أُنثى عشرة أوقية ونش ، وبعت معه إبا أُسيد ، فحملها من
(١)

تَجِدُ حَتَّى تَزِلَ بِهَا فِي أَلَمٍ بَنَى سَاعِدَةً ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : قَدْ وَضَعَ يَدَهُ فِي الثَّرَائِبِ ^(١)
يُوشِكُ أَنْ يَصْرِفَ وَجْهَهُ عَنَّا ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ ،
أَوْ عَائِشَةُ لِحَفْصَةَ : أَخْضِبِي أُنْتُ وَأَنَا أَشْطَلُهَا ، قَطَعْنَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهَا إِحْدَاهُمَا :
إِنَّهُ يَعْجِبُهُ مِنَ الْمَرْأَةِ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَنْ تَقُولَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ
وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، وَارْتَضَى السِّتْرَ ، مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، فَقَالَ :
« لَقَدْ عُدَّتْ بِمَعَاذِ الْحَقِّ بِأَهْلِكَ » وَأَمَرَ أَبَا أُسَيْدٍ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَقَالَ :
« مَتَمَّهَا بِرَازِقَتَيْنِ » يَسَى كِرْبَاسِينَ ، فَكَانَتْ تَقُولُ : أَدْعُوْنِي الشَّقِيقَةَ ، وَإِنَّمَا خُذِعَتْ ؛
لَمَّا رَأَتْهُ مِنْ جِوَاهِرِهَا وَهَيْئَتِهَا ، وَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَمَلِهَا عَلَى
مَا قَالَتْ ، فَقَالَ : « إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ وَكَيْدِهِنَّ عَظِيمٌ » قَالَ : فَلَمَّا طَلَعَ بِهَا
أَبُو أُسَيْدٍ عَلَى أَهْلِهَا تَصَاحَبُوا ، وَقَالُوا : إِنَّكَ لَتَغِيرُ مَبَارَكَةً ، مَا تَحَاكَ ؟ فَقَالَتْ :
خُذِعْتُ ، وَقِيلَ لِي كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَقَالُوا : لَقَدْ جَعَلْتَنَا فِي الْعَرَبِ شُهْرَةً ، فَقَالَتْ :
يَا أَبَا أُسَيْدٍ قَدْ كَانَ مَا كَانَ فَا الَّذِي أَصْنَعُ ؟ قَالَ : أَقْبَى فِي يَتِيكَ وَأَحْتِجِي
إِلَّا مَنْ ذِي رَحِمٍ ، وَلَا يَطْمَعُ فِيكَ طَامِعٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّكَ
مِنْ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَقَامَتْ لَا يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ ، وَلَا تُرَى إِلَّا لَذِي تَحْرَمُ ، حَتَّى
تُوفِّيَتْ فِي خِلَافَةِ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ عِنْدَ أَهْلِهَا بِتَجْدٍ .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا ، وَأَخْتَلَفُوا
فِي قِصَّةِ فِرَاقِهِمَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ دَعَاها فَقَالَتْ : تَمَالَ أَنْتَ ،
وَأَبَتْ أَنْ تَحِيَّ ، هَذَا قَوْلُ قَتَادَةَ وَأَبَى عُبَيْدَةَ . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ

٦٧
١٦

(١) الألم : بناءً مرتفع كاللصن . (٢) الثرائب (جمع غريبة) : وهي البعيدة عنهم ؛
قال في الطباقار : « لما جعل رسول الله ﷺ تزوج في الثرائب قالت عائشة قد وضع يده في ثرائب ... الخ » .
(٣) رازقيتين : الرازقية توب كان أبيض ، كرباسين : بيان للرازيقين فارسي معرب . ومنعة المرأة
ما وصلت به بعد الطلاق من ثياب أو مال أو طعام .

منك، فقال : « لقد عُدَّتْ بِمَعَاذٍ ، وقد أعَاذَكَ اللهُ مِنِّي » فطَلَقَهَا ، قال قتادة : وهذا باطل إنما قال هذا لأمراة جميلة تزوجها من بنى سُليم . وقال أبو عبيدة : كُتِبَ لَهَا عَازِنًا بالله عز وجل منه صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم . وروى البخارى في صحيحه حديث أبى أُسَيد السَّاعِدِيّ قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمَيَّةَ بِنْتُ شَرَّاحِيلَ

فلما دخلت عليه بسط يده إليها ، فكانها كرهت ذلك ، فامرأها أُسَيد أن يحجزها ويكسوها ثوبين ، وفى لفظ آخر ، قال أبو أُسَيد : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنونية ، فلما دخل عليها قال : « هي لى نفسك » فقالت : وكيف تهب الملكة نفسها للسوقة ؟ فأهوى بيده إليها ليسكتها فقالت : أعوذ بالله منك ، قال : « قد عُدَّتْ بِمَعَاذٍ » ثم خرج عليه السلام فقال : « يا أبا أُسَيد آكسها رازقيتين وألحقها بأهلها » . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : خَلَفَ عليها المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة ، فأراد عمر أن يماقهما ، فقالت : والله ما ضرب على المحجاب ولا سميت بأتم المؤمنين ، فكف عنها ، وقيل : تزوجها عكرمة ابن أبى جهل فى الردة ، وقيل : خَلَفَ عليها بعد المهاجر قيس بن مكشوح المرادى ، وقال ابن أَرَبَى : الجنونية التى استعادت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تستعذ منه امرأة غيرها .

قال أبو عمر رحمه الله : الاختلاف فى الكندية كبير جدا ، منهم من يقول : هى أُنْثَاء بنت النعمان ، ومنهم من يقول : أُنْثِيَّة بنت النعمان ، ومنهم من يقول : أُمَامَةُ بنت النعمان ، قال : واختلافهم فى سبب رافقها على ما رأيت ، والاضطراب فيها وفى صواحباتها اللواتى لم يجتمع عليهن من أزواجه صلى الله عليه وسلم عظيم . ومنه :

قَتِيلَةُ بِنْتِ قَيْسٍ

أخت الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية الكندي . روى عن عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما استأذنت أسماء بنت النعمان من النبي صلى الله
 عليه وسلم خرج والغضب يُعرف في وجهه ، فقال له الأشعث بن قيس : لا يسؤلك الله
 يا رسول الله ، ألا أزوجه من ليس دونها في الجمال والحسب ؟ قال : « من » ؟ قال :
 أختي قتيلة ، قال : « قد تزوجتها » قال : فأنصرف الأشعث إلى حضرموت ، ثم حملها
 حتى إذا فصل من اليمن ، بلغه وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرثها إلى بلاده
 وأرتد وأردتت معه فيمن أرتد ؟ فلذلك تزوجت ؛ لفساد النكاح بالارتداد . قال
 الشيخ أبو محمد : وكان تزوجها قيس بن مكشوح المُرَادِي ، وقيل : تزوجها عكرمة
 ابن أبي جهل ، فوجد أبو بكر من ذلك وجدا شديدا ، وقال : لقد هممت أن أحرق
 طليهما بيتهما . فقال له عمر : يا خليفة رسول الله ، إنها والله ما هي من أزواجه ،
 ما خيرها ولا سجيها ، ولقد برأها الله منه بالارتداد الذي أردتت مع قومها . وكان
 تزوجه إياها سنة عشر ، وقيل : قبل موته بشهرين ، وقيل : تزوجها في مرضه .
 وقال قائلون : إنه صلى الله عليه وسلم أوصى أن تُحْتَر ، فإن شئت ضرب عليها
 الجحش ، وتحرم على المؤمنين ، وإن شئت طلقها فلتنكح من شئت ، فأختارت
 النكاح ، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل . وكان عروة بن الزبير يذكر ذلك ، ويقول :
 لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم قتيلة بنت قيس ، ولا تزوج كندية إلا أخت بني
 الجحش ؛ ملكها ، وأتى بها فلما نظر إليها طلقها ، ولم يبين بها صلى الله عليه وسلم .
 ومنه :

عمرة بنت معاوية الكندية

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الشعبي : تزوج امرأة من كندة ،
فجئ بها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم . ذكر ذلك أبو الفرج بن الجوزي
في التلخيص . ومنهن :

أسماء بنت الصلت

- وقيل : سناء بنت الصلت ، قال أبو عمر : وهو الصواب ، قال : وقال علي
أبن عبد العزيز بن علي بن الحسن المخرجاني النسابة : هي وِسْنَاءُ بنت الصلت
أبن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سيمالك بن عوف بن أمري القيس
أبن بُهثة بن سليم السَّامِيَّة ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأت قبل أن
يصل إليه . وقال غيره : فلما بُشِّرَتْ بذلك ضَحِكَتْ ، ومات من الفرج . وقال
أبن إسحق : سناء بنت أسماء بن الصلت السُّلَمِي ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم طلقها . وقال أبو نصر أبن مأكولا : سناء بنت أسماء ماتت قبل أن يدخل
بها . وقيل : لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت أسماء :
لو كان نيا ما مات حبيبه ، فغلَّ سيلها . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير اللبني :
جاء رجل من بني سليم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن لي
أبنة من جملها وعقلها ما إنى لأحمد الناس عليها غيرك ، فهم النبي صلى الله عليه
وسلم أن يتزوجها ، ثم قال : وأخرى يا رسول الله ، لا والله ما أصابها عندى مَرُغٌ
قَط ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لنا في أبنتك ، نجيتنا بحمل
خطاياها ! لا خير في مال لا يرزأ منه^(١) ، ولا جسم لا يُنال منه » . وقال أبو عمر
أبن عبد البر : وفي سبب فراقها اختلاف ، ولا يثبت فيها شيء من جهة الإسناد . ومنهن :

(١) يرزأ : يتقصص بالمعصية ، وقوله : « جسم لا ينال منه » أى بالمرض .

مُليكة بنت كعب الليثي

روى محمد بن عمر الواقدي ، عن أبي معشر ، قال : تزوج النبي صلى الله عليه وسلم مُليكة بنت كعب ، وكانت تذكر بحال بارع ، فدخلت عليها عائشة فقالت : أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك ؟ فاستأذنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقها ، فجاء قومها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، إنها صغيرة ولا ولي^(١) لها ، وأنها خديعة فأرجموها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه أن يرؤجوها قريبا لها من بنى عذرة ، فأذن لهم فترؤجها العُدري ، وكان أبوها قتل يوم فتح مكة ، قتله خالد بن الوليد بالخنْدِمة^(٢) . قال محمد بن عمر : مما يضعف هذا الحديث ، ذكر عائشة أنها قالت : ألا تستحيين ، وعائشة لم تكن مع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، وعن عطاء بن يزيد الجُنْدُعي قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُليكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان ، سنة ثمان ، ودخل بها فأتت عنده ، قال محمد بن عمر : وأصحابنا ينكرون ذلك ، ويقولون لم يترؤج كنانية قط ، وعن الزهري مثل ذلك . ومنهني :

أبنة جندب بن صَمْرَةَ الجُنْدُعي

قال أبو محمد البياطي رحمه الله : روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أبنة جندب بن صَمْرَةَ الجُنْدُعي ، وأنكر ذلك الواقدي ، وقال : لم يترؤج كنانية قط . ومنهني :

(١) في اللغات : لا رأى لها . (٢) الخندمة : جبل بمكة كانت به دفنة يوم فتح مكة ، وله يوم يعرف به ، هزم فيه خالد المتركين .

الغفارية

قال أبو محمد الديلماني : قال بعضهم تزوج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من غفار، فأمرها ففزع ثيابها، فرأى بها بياضا، فقال : « ألحقى بأهلك » ويقال : إنما رأى البياض بالكلاية . ومنهن :

٦٩
١٦

خولة بنت الحذيل بن هيرة

أبن قبيصة بن الحارث بن حبيب بن حرفة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو
أبن غنم بن ثعلبة .

وأما [خريق] ^(١) بنت خليفة بن قروة بن فضالة بن زيد بن أميرة القيس الكلبي، أخت دحية بن خليفة . تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهلك في الطريق قبل وصولها إليه . حكاه أبو عمر بن عبد البر عن الجرجاني النسابة . ومنهن :

شراف بنت خليفة بن قروة الكلبي، أخت دحية بن خليفة الكلبي ^(٢)

قال أبو محمد الديلماني : قال ابن الكلبي حدثنا الشرفي بن القطامي ^(٣) قال : لما هلكت خولة بنت الحذيل، تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية، ثم لم يدخل بها . وقال أبو عمر بن عبد البر : فهلك قبل دخوله بها . وروى عن عبد الرحمن بن سابط ، قال : خطب رسول الله صلى

(١) الزيادة من المراهب (٣ : ٢١٢) .

(٢) في شرح المراهب عن الاستيعاب : « شراف يفتح وتحفيف الراء وضم الفاء » وعن كتاب

الليون بكسرها . (٣) في نسخ الأهل وطبقات ابن سعد : « الشرفي بن القطامي » وفي شرح

المراهب : « سري — بالسين — ابن قطامي يفتح القاف والطاء ويمم وتحتة خفيفة » .

الله عليه وسلم امرأة من كلب ، فبعث عائشة تنظر إليها ، فذهبت ثم رجعت ، فقال لها : « ما رأيت » ؟ فقالت ما رأيت طائلا . فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت خالاً يحذها أفسحرت كل شجرة منك » فقالت : يا رسول الله ، مادونك صبر . ومنهن :

خَوْلَة بنت حَكِيم

أَبْنُ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الْأَوْقَصِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هِلَالِ بْنِ فَالِحِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذَكْوَانَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ سُلَيْمٍ . وَيُقَالُ فِيهَا : خَوْلَة بنت حَكِيم ، وَأُمُّهَا صَفِيَّةُ بنت العاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ . قَالَ أَبُو الْكَلْبِيِّ : كَانَتْ خَوْلَة بنت حَكِيمَ مِنَ اللَّاتِي وَهَبَ أَنْفُسَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْجَاهَا وَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ عِنْدَ عُمَانَ بْنِ مَقْلُونٍ مَاتَ عَنْهَا . وَعَنْ عُرْوَةَ قَالَ : خَوْلَة بنت حَكِيمَ مِمَّنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : خَوْلَة تُكْنَى أُمُّ شَرِيكٍ ، وَهِيَ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ، فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ ، وَكَانَتْ أَمْرَاءَ فَاضِلَة صَالِحَة ، رَوَى عَنْهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ ، وَهِيَ الَّتِي قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ فَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْعَاطِفُ فَأَعْطِنِي حُلَّيَّ بَادِيَةِ بَنْتِ غِيْلَانٍ ، أَوْ حُلَّيَّ الْفَارَعَةِ بِنْتِ عُقَيْلٍ كَمَا تَقْدَمُ . وَمِنْهُنَّ :

لَيْلَى بنت الحَطِيطِ بْنِ عَدِيٍّ

أَبْنُ عَمْرِو بْنِ سَوَادٍ بْنِ ظَفَرٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْحَزْرَجِ بْنِ عَمْرٍو ، وَهُوَ النَّبِيُّ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ، وَهِيَ أُخْتُ قَيْسِ بْنِ الْحَطِيطِ ، وَأَسَمُ الْحَطِيطِ ثَابِتٌ ، وَأَسَمُ ظَفَرٍ

كُتِبَ .

(١) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ وَالْإِسَابَةِ : فَالِحُ بْنُ ذَكْوَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ سُلَيْمٍ .

(٢) فِي طَبَقَاتِ أَبِي سَعْدٍ : « ضَعِيفَةٌ » .

قال محمد بن سعد : عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : كانت ليلي بنت الخطييم وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم قبلها ، وكانت تركب بوملها ركباً شديداً ، وكانت سيئة الخلق ، فقالت : لا والله ، لأجعلن هذا لا يتزوج في هذا الحى من الأنصار ، والله لآتينه ، ولأهبن نفسي له ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم مع رجل من أصحابه ، فسا راعه إلا بها واضعة يديها عليه ، فقال : « من هذا ؟ أكله الأسد » فقالت : أنا ليلي بنت سيد قومها ، قد وهبت نفسي لك ، قال : « قد قبلك ، أرجي حتى يأتيك امرئ » فأتى قومها فقالوا : أنت امرأة ليس لك صبر على الضرائر ، وقد أحل الله لرسوله أن يتكح ما شاء ، فرجعت فقالت : إن الله أحل لك النساء ، وأنا امرأة طويلة اللسان لا صبر لي على الضرائر ، وأستقائه فقال : « قد أفلتت » .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أقبلت ليلي بنت الخطييم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مولد ظهره إلى الشمس ، فضربت على منكبيه ، فقال : « من هذا ؟ أكله الأسد » وكان كثيراً ما يقولها ، فقالت : أنا بنت مطعم البليد ومباري الريح ، أنا ليلي بنت الخطييم ، جئتك لأعرض عليك نفسي ، تزوجني ، قال : « قد فعلت » فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : بئس ما صنعت ، أنت امرأة فقيرة ، والنبي صلى الله عليه وسلم صاحب نساء ، تغارين عليه فيدعو الله عليك ، فاستقبله نفسك ، فرجعت فقالت : يا رسول الله ، أفلتي ، قال : « قد أفلتت » قال : فتزوجها مسعود بن أوس بن مود بن ظفر ، فولدت له ، فبناها في حائط من حيطان المدينة تغتسل ، إذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها ، وأدركت فماتت . ومنهق :

(١) كما في الأصل ، والله في ابن سعد : « أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني محمد بن صالح بن دينار ، عن عاصم بن عمر بن قتادة قال ... » (٢) تركب بوملها : المراد أنها شديدة التسلط على أزواجها .

يَلَى بِنْتُ حَكِيم الْأَنْصَارِيَّةِ

الْأَوْسِيَّةُ، الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ:
ذَكَرَهَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ الْمَصْرِيُّ فِي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَلَمْ يَذْكُرْهَا غَيْرُهُ
فِيَا عَلِمْتُ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَمَنْعَنَ :

أُمُّ شَرِيكَ وَأَسْمُهَا غُرَيْبَةُ

بِنْتُ دُوْدَانَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ مُقْبَذِ بْنِ حُمَيْرٍ بْنِ مَيْعِصَ
أَبْنِ عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : غُرَيْبَةُ الْأَنْصَارِيَّةِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَخْتَلَفَ فِيهَا، فَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو
يَقُولُ : هِيَ مِنْ بَنِي مَيْعِصَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ غَيْرُهُ يَقُولُ : هِيَ دَوْسِيَّةٌ مِنْ
الْأَزْدِ، وَقِيلَ : هِيَ أَنْصَارِيَّةٌ . وَرَوَى أَبُو سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو، عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ
أَبْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَتْ أُمُّ شَرِيكَ أَمْرَأَةً مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ،
مَيْعِصِيَّةٌ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، فَلَمْ تَتَزَوَّجْ حَتَّى
مَاتَتْ . وَرَوَى عَنْ وَكِيعٍ عَنْ زَكَرِيَّا عَنْ عَامِرٍ فِي قَوْلِهِ هُنَّ وَجَلَّ : « تُرْجَى مِنْ نِسَاءِ
مَنْعَنَ »^(١)، قَالَ : كُلُّ نِسَاءٍ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَلَ بَعْضُهُنَّ
وَأَرْجَأَ بَعْضًا فَلَمْ يَنْكَحْنِ بَعْدَهُ، مَنْعَنَ : أُمُّ شَرِيكَ . وَعَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : الْمَرْأَةُ الَّتِي
عَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمُّ شَرِيكَ الْأَنْصَارِيَّةِ . وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ :

(١) نَحَبٌ فِي أَسَدِ النَّابَةِ قَالَ : « هِيَ لَيْلَى بِنْتُ الْخَطِيمِ الْأَنْصَارِيَّةِ الْأَوْسِيَّةُ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ »

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُسَمَّى الْخَطِيمُ بِالْحَكِيمِ » .

(٢) وَرَجَّهَ أَبُو عَمْرٍو وَقَالَ : « وَهُوَ الْوَابُ إِذَا شَاءَ اللَّهُ » .

(٣) آيَةُ ١٠ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ . (٤) عَزَلَ : فَارَقَ .

- أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم شريك الدوسية، ومثله عن عكرمة . وروى محمد بن سعد عن محمد بن عمرو قال : حدثني الوليد بن مسلم ، عن مئير بن عبد الله الدوسي قال : أسلم زوج أم شريك^(١) - وهي غزيرة بنت جابر بن حكيم الدوسية من الأزد - وهو أبو العكر، فهاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي هريرة، ومع قنوس حين هاجروا، قالت أم شريك : بغاءني أهل أبي العكر فقالوا : لملك على دينه ،
- ت : إى والله ، إنى لعل دينه ، قالوا : لا جرم ، والله لتعذبك عذابا شديدا ، فأرتحلوا بنا من دارنا ، ونحن كنا بذي انخلصة ، فساروا يريدون منزلا ، وحلوني على جبل^(٢) ، فقال ، شرركاهم وأغلظه ، يطعموني الخبز بالعسل ، ولا يسقوني قطرة من ماء ، حتى إذا أنتصف النهار ويحنت الشمس ، ونحن قائلون ، فنزلوا فصرخوا أخيبتم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقل وسمي وبصري ، ففعلوا بي ذلك ثلاثة أيام ،
- ١٠ فقالوا لي في اليوم الثالث : أتركي ما أنت عليه ، قالت : فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة ، فأشير بإصبعي إلى السماء بالوحد ، قالت : فوالله إنى لعل ذلك ، وقد بلغني الجهد ، إذ وجدت برد دلو على صدرى ، فأخذته فشربت منه نفسا واحدا ، ثم أثيرع منى ، فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض ، فلم
-
- (١) في الإضافة ما يدل على أن أبا العكر والد أم شريك ، ثم قال : « ويذكر الجمع بأن تكون كنية والدها وزوجها أخفتا » ، وق أمه الثانية : أنه ابن أم شريك .
- (٢) بمشابة نسخة ج : « جبل فقال بفتح التاء المثلثة أى جبل » ، وبكسر التاء جلد يسط تحت الراس يسقط عليه الدقيق .
- (٣) في الفصل ثوران ، الأولى علامة الرفع ، والثانية فاصلة بين الفعل والياء ، وحذفت إحداها تخفيفا . وقرئ بالخذف في : « أمحاجوني » و « تأمروني » .
- (٤) قائلون : أى في وقت القبط وهو شدة الحر .
- (٥) النفس بالحريك : الجرعة .

٧١
١٦

أقدر عليه، ثم دُلِّي الثانية فشربت منه نَعْسًا، ثم رفع، فذهبت أنظر، فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دُلِّي الثالثة فشربت منه حتى رَويت، فأهرقت على رأسي ووجوهي وثيابي، قالت: نخرجوا فنظروا، فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟ قالت فقلت لهم: إن عدو الله غيры، من خالف دينه، فأما قولكم من أين هذا؟ فن عند الله رزقا ورزقيته الله، قالت: فأطلقوا سراحا إلى قريتهم فوجدوها رُكَّاة لم تُحَلْ، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، فإن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا، هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا بيعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يعرفون فضلي عليهم، وما صنع الله لي، قال: وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت جميلة وقد أَسَفَتْ، فقالت: إني وهبت نفسي لك، وأتصدق بها عليك، فقبلها النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك؟ نفسها الله مؤمنة، فقال تعالى: «وَأَمْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنَّ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ^(١) فَلَهَا نِزْلُ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ اللَّهَ لَيَسْرِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ^(٢) يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْهَنَ :

الشُّبَّاء

ذكرها الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدِّمَاطِي رحمه الله، في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكر لها ترجمة. فلنذكر من خطبتن صلى الله عليه وسلم.

(١) آية ٥٠ سورة الأحزاب . (٢) في هواك: أي في رضاك؛ قال القرطبي: «هذا قول

أبرزه الدلال والنيرة ولا فلا يجوز إضافة الحق إليه صلى الله عليه وسلم» .

ذَكَرَ مِنْ خَطْبَتَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النِّسَاءِ

وَلَمْ يَتَّفِقْ تَزْوِيجُهُنَّ . مِنْهُنَّ :

أُمُّ هَانِي بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ

أَبْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَأَسْمَاهَا فَاتِحَةُ ، وَقَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : أَسْمَاهَا هِنْدُ ،

وَهِيَ أُخْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَقِيلٌ وَجَعْفَرٌ وَطَالِبٌ ، شَقِيقَتُهُمْ ، وَأُمُّهُمْ فَاطِمَةُ .

بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . رَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

قَالَ : خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ أَبْنَتَهُ أُمَّ هَانِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ ،

وَخَطَبَهَا هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَائِذٍ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ غَزْوَمٍ ، فَزَوَّجَهَا هُبَيْرَةَ ،

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَمُّ ، زَوَّجْتُ هُبَيْرَةَ وَتَرَكْنِي » ! فَقَالَ : يَا بْنَ أُنْحَى

إِنَّا قَدْ صَاهَرْنَا إِلَيْهِمْ ، وَالكَرِيمُ بِكَافٍ الْكَرِيمِ . ثُمَّ أَسْلَمْتُ فَفَزَقَ الْإِسْلَامَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ

هُبَيْرَةَ ، فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَتْ : وَاقِهِ إِنْ كُنْتُ

لَأُجْبِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَكَيْفَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَكِنِّي أَمْرَأَةٌ مُصْئِبَةٌ وَأَكْرَهُ أَنْ يُؤْذَوْكَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْمَطَايَا نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، أَحْنَاهُنَّ^(١)

عَلَى وَلَدٍ فِي صِفْرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ » . وَمِنْهُنَّ :

ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطٍ

أَبْنُ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ بْنِ كَثَبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَخْصَعَةَ .

رَوَى هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

كَانَتْ ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرٍ عِنْدَ هُوْدَّةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنَفِيِّ ، فَهَلَكَ عَنْهَا فَوْزَتْهَا مَالًا كَثِيرًا ،

(١) فِي أَسَدِ الْغَابَةِ وَالْإِسَابَةِ : « هُبَيْرَةُ بْنُ عَمْرِو » .

(٢) أَحْنَاهُ : أَشْفَقَهُ . وَأَرْعَاهُ : أَحْفَظَهُ ، وَذَكَرَ الضَّمِيرُ فِي « أَحْنَاهُ » وَ « أَرْعَاهُ » وَكَانَ الْقِيَاسُ

« أَحْنَاهُ » وَ « أَرْعَاهُ » بِأَخْبَارِ الْقَطْرِ أَوْ الْجَنْسِ أَوْ الشَّخْصِ أَوْ الْإِنْسَانِ . (الْقِسْطُ لَأَبِي ٨ : ١٧) .

فزوجها عبد الله بن جُدعان التميمي، وكان لا يولد له فساكته الطلاق فطلقها،
فزوجها هشام بن المخيرة فولدت له سلمة، وكان من خيار المسلمين، فتوفى عنها
هشام، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئاً كثيراً، وكانت تقطع جسدها
بشعرها، فذكر جالمًا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فخطبها إلى أبنا سلمة بن هشام
ابن المخيرة، فقال: حتى أستمرها، وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إنها قد كبرت
فأناها أبناها فقالت: ما قلت له؟ قال: قلت حتى أستمرها، فقالت:
وفى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمر! أرجع فزوجها، فرجع إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فسكت عنه. ومنه:

٧٢
١٦

صَفِيَّةُ بِنْتُ بَسَامَةَ^(١) بْنِ نَضْلَةَ الْعَنْبَرِيَّةِ

قال أبو محمد: كان أصابها سبأ، فغيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:
«إني شئت أنا، وإن شئت زوجك» فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلتمتها
بنو تميم. ومنه:

بَحْرَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْمُرَزِيِّ

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبوها: إن بها سوءاً ولم يكن بها،
فرجع إليها أبوها وقد برصت، وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر. ومنه:

سَوْدَةُ الْقُرَشِيَّةُ

خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مضمية فقالت: أكره أن
تضغو صبيتي عند رأسك، فحيدها ودما لها، ذكرها والتي قبلها ابن الجوزي

(١) بفتح الموحدة وتخفيف الثين، وقيل: بشدها.

(٢) أي يصحون ويكونون يضجون.

في التلقيح . وروى عن مجاهد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب
 تردّد لم يبدء بخطب امرأة ، فقالت : حتى أستمري أبي ، فقلت أباهما فأذن لها ،
 فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له : فقال : « قد ألتحفنا لحافا غيرك »
 ولم يسم مجاهد اسم هذه المرأة .

وعُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أُمَامَةُ بِنْتُ عَمِّهِ خَمْرَةَ

أَبْن عبد المطلب ، وقيل : اسمها عَمَّارَة ، فأنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وقال : « تلك ابنة أُمِّي من الرضاعة » . وعُرضت عليه أُم حبيبة أختها .

بجميع من ذكر من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المدخول بهن ، وغير
 المدخول بهن ، ومن وهبت نفسها له ، أو خطبها ولم يتفق تزويجها ، أو عُرضت
 عليه فأبها ، نحو أربعين امرأة على ما ذكرناه من الاختلاف ، ومن أهل العلم من
 ينكر بعضهن ، ويقول : إنما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة امرأة ،
 ست منهن قرشيات لا شك فيهن ، وهن : خديجة ، وعائشة ، وسودة ، وأم سلمة ،
 وأم حبيبة ، وحفصة .

ومن العرب : زينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث ، وجويرة بنت
 الحارث ، وأسماء بنت النخعي ، وقاطمة بنت الصّحاح ، وزينب بنت جُرمية .

ومن غيرهم : رَيْثَانَة بنت زيد من بني النضير ، وصفيّة بنت حُثَيِّ بن أخطب .

وعن محمد بن يحيى بن جبان قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس
 عشرة امرأة ، فسمى هؤلاء ، وزاد مُلَيْكَة بنت كعب اللثيمة . وقال أبو عبيدة :

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة امرأة .

وقال محمد بن عمر الواقدي : اجمع عليه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أربع عشرة امرأة ، وهن اللاتي سُمين ، وفارق منهن الجوثية والكلاية ، ومات عنده خديجة ، وزينب بنت خزيمة ، وربحانة بنت زيد ، وقُبض عن قس ، وهن المذكورات اللاتي قدما ذكرهن .

وقال أبو سعيد في شرف النبوة : إن جملة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين امرأة ، طلق منهن سنا ، ومات عنده خمس ، وتوفى عن عشر ، واحدة لم يدخل بها ، وكان صدّاقه لِنِسائه لكل واحدة خمسمائة درهم ، إلا صفية فإنه جعل عتقها صدّاقها ، وأم حبيبة أصدّقها عنه النجاشي .

ذكر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهن :

مارية بنت شمعون القبطية

وهي أم ولده إبراهيم ، وكانت من جفّن من كورة أنصنا من صعيد مصر ، أهداها له المقوقس بَرْمَج بن مينا ، ولما ولدته مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبناه إبراهيم قال : « أعتقها ولداها » . وتوفيت مارية في المحرم سنة ست عشرة ، في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلى عليها عمر ، ودُفِنَت بالقيع .

وربحانة بنت زيد النضرية ، وقد تقدّم خبرها في الزوجات . وقال أبو عبيدة : كان له أربع ، وهن مارية وربحانة ، وأخرى جميلة أصابها في السبي ، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش . وقال قتادة : كان للنبي صلى الله عليه وسلم وليدتان مارية وربحانة ، وبعضهم يقول : رُبَيْحَةُ القُرْطُبِيَّة .

(١) ذكر شارح المواهب أن اسمها « حنن » بفتح المهملة وسكون الفاء ، وكذا في شرح القاموس ، والأسود بالجيم . (٢) ربيعة بالتصغير ، وقيل : النضرية ، والذي في الإصابة كما : « أذول » ربيعة » بالياء الموحدة ولكن شارح المواهب رسمها بالياء الصنية الختاة .

ذكر أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان أول من ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى ، ثم ولدت له زينب ، ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمى الطيب والظاهر ، وأمهم كلهم خديجة رضي الله عنها . وكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم عبد الله مات بمكة ، فقال العاصي بن وائل السهمي : قد أقطع ولده فهو أبتري فأنزل الله تعالى : « إِنَّ شَاتِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » وقيل : الطيب والظاهر أثنان سوى عبد الله . وقيل : كان له الظاهر والمظهر ولدا في بطن . وقيل : كان له الطيب والمطيب ولدا أيضا في بطن . وقيل : إنهم كلهم ماتوا قبل النبوة ، وكان بين كل ولدين لها سنة ، وكانت تسترضع لهم . وأما البنات فكلهن أدركن الإسلام ، وأسلمن وهاجرن ، وسدكر إن شاء الله تعالى أخبارهن ومن تزوجهن ، وما ولدن على ما قيف عليه ، وهؤلاء كلهم أولاد خديجة ولِدُوا بمكة ، ثم ولدت له مارية القبطية :

إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ولد في ذي الحجة ، سنة ثمان من الهجرة ، قال أبو عمر بن عبد البر : ذكر الزبير عن أنسباخه ، أن أم إبراهيم مارية ولدته بالعالية ، في المال الذي يقال له اليوم (مشربة إبراهيم) بالقف ، وكانت قابلتها ستمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ،
- (١) الأولى أن يقول ببد النبوة . (٢) شاتك : مفضل ، والعرب تسمى من مات له ولد ذكر أبتري ومن ليس له ولد ذكر . وقيل السورة نزلت في أبي جهل إذ قال حين مات إبراهيم عليه السلام : بتر محمد . (٣) المراد به هنا الأعيان المملوكة بالعالية ، والعالية على ثلاثة أميال من المدينة المنورة . (٤) كذا في كل نسخ الأصل . والصحيح (مشربة أم إبراهيم) كما في المواهب وضربها . (٥) القف : راد بالمدينة — على ساكنها السلام — عليه مال لأهلها . (شرح القاموس) . (٦) القابلة : المودة ، وهي قالبة الحسن والحسين رضي الله عنهما .

أمرأة أبي رافع ، فبشّره أبو رافع النبي صلى الله عليه وسلم ، فوهب له عبدا ، فلما كان يوم سابعه عقى عنه بكثش وحلق رأسه ؛ حلقه أبو هند ، وسماه يومئذ ، وتصدق بوزن شعره وورقا على المساكين ، وأخذوا شعره فدفنوه في الأرض .
وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولد لي الليلة غلام فسميته بأسم أبي إبراهيم » هذا يدل على أنه سمّاه في وقت ولادته ، قال الزبير : ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين بالمدينة ، يقال له : أبو سيف ، قال الزبير : وتناقص الأنصار فيمن يرضعه ، بغامت أم بُردة بنت المنذر بن زيد الأنصاري ، زوجة البراء بن أوس ، فكلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن ترضعه ، فكانت ترضعه بلبن أبنها في بني مازن بن النجار ، وترجع به إلى أمه ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بُردة قطعة من ثعل ، فناقلت بها إلى مال عبد الله بن زُمنة .
وتوفي إبراهيم في شهر ربيع الأول سنة عشر ، وقد بلغ ستة عشر شهرا ؛ مات في بني مازن عند ظفّره أم بُردة ، وهي خوّلة بنت المنذر بن ليبد ، وغسلته ودُفن بالبيع . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو عاش لوضعت الجزية عن كل قيطى » . وقال أيضا : « لو عاش إبراهيم ما رُق له خال » .
وفي حديث أنس بن مالك تصريح أن إبراهيم إنما مات عند ظفّره أم سيف ، فإنه يقول : فأطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلقت معه ، فصادفنا أبا سيف ينقح في كعبه ، وقد أمتلاه البيت دُخانا ، فأمرت في المشي بين يدي رسول الله

٧٤
١٦

(١) حتى ، ذبح ضيقة ، وهي لثاة التي تليح يوم أسبوع الولد ، وقال عليه الصلاة والسلام : « فلورا نسيكة ولا تغلورا حقيقة » . (٢) القين : الحداد . (٣) في الأصول من غير قط ، روى الاستيعاب « فناقلت » بألفاظ كما أثبتناها . (٤) الظفر : المرضع . (٥) وضع الجزية : أسقطها . (٦) بق : صار وبقا .
١١٨-١٤٠

- صلى الله عليه وسلم ، حتى أتيت إلى أبي سيف فقلت : يا أبا سيف ، أسك ،
 جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بالصبي فضمه إليه وقال ماشاء الله أن يقول ، قال : فلقد رأيته يكيد بنفسه ،
 فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « تدمع العين ويمزج القلب
 ولا تقول إلا ما يرضى الرب » ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » وقال أبو عمرو بن
 عبد البر : ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على ابنه إبراهيم من غير رفع
 صوت ، وقال : « تدمع العين ويمزج القلب » ، ولا تقول إلا ما يرضى الرب ،
 وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » . وعن عطاء ، عن جابر قال : أخذ النبي صلى الله
 عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف ، فألقى به النخل ،^(١) فإذا ابنه إبراهيم في حجر أمه
 وهو يحود بنفسه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ،
 ثم قال : « يا إبراهيم إنا لا نفنى عنك من الله شيئا » ، ثم ذرفت عينا ، ثم قال :
 « يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق أولنا لحزننا عليك
 حزنا هو أشد من هذا ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، تبكى العين ويمزج القلب
 ولا تقول ما يسخط الرب » . قالوا : ووافق موت إبراهيم كدوف الشمس ، فقال
 قوم : إن الشمس أنكسفت لموته ، فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
 « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يتحسبان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا
 رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله وإلى الصلاة » . وقال صلى الله عليه وسلم حين
 توفي إبراهيم : « إن له مرضعا في الجنة ثم رضاعه » . وصلى عليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، وكبر أربعاً ، قال ابن عبد البر : هذا قول جمهور العلماء ،

(١) يكيد بنفسه : يحود له ، يريد التزع . (٢) النخل : موضع قريب من المدينة .

(٣) ذرفت العين : دامت .

وهو الصحيح، قال : وقد قيل إن الفضل بن عباس غَسَلَ إبراهيم، ونزل في قبره مع أئمة بن زيد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على شفير القبر، قال الزبير : ورُش قبره، وأُعلم فيه بسلامة، وهو أول قبر رُش عليه .

فلنذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن تزوجهن، وما ولدن ووفاتهن، وعن أربع :

زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

هي أَسَنُ بناته رضى الله عنهن . قال أبو عمر بن عبد البر : ولدت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم، حكاها عن محمد بن إسحق السراج عن حبيد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي، وتزوج زينب أبو العاص بن ربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وهو ابن خالتها — أمه هالة بنت خويلد — قبل أن يُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرئ بينهما الإسلام .

وقد ذكرنا من خبر ابن العاص وأسرّه في غزوة بدر وإطلاقه، وسقنا ذلك كله هناك، وخبر إسلامه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ زينب عليه بغير مهر جديد، ولا نكاح جديد . وقيل : بل بمهر جديد ونكاح جديد — والله تعالى أعلم — وولدت له علياً مات صغيراً، وأئمة وهي التي حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وعاشت أئمة حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة، فكانت عنده حتى أصيب، تخلف عليها المغيرة بن يزيد بن الحارث بن عبد المطلب، فتوفيت عنده، وماتت زينب في سنة ثمان من الهجرة .

(١) في أسد الغابة : « ورش على قبره ماء، وعلم على قبره بسلامة، وهو أول قبر رش عليه الماء . »
(٢) أى قبل أن ينزل القرآن على النبي — صلى الله عليه وسلم — بتحريم المسلمات على الكفار (آية ١٠ سورة المتحة) .

قال أبو عمر : وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عَمِدَ لها حَبَّار بن الأسود ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا ، فسقطت على حفرة فأَسْقَطَتْ وأَهْرَاقَتْ الدماء ، فلم يزل بيها مرضها ذلك حتى مات رضي الله عنها .

وَرُقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٧٨

١٦

- قال أبو عمر بن عبد البر : ذكر أبو العباس محمد بن إسحق السراج ، قال سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول : ولدت رُقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أبن ثلاث وثلاثين سنة ، وكانت رقية عند عُبَيْة بن أبي لهب ، وأختها أُمُّ كَلْثُومٍ عند عُنَيْبَةَ بن أبي لهب ، فلما أنزل الله تعالى : «تَبَّتْ يُدَّىٰ لِيْ لَهْبٍ» - السورة - قال لها أبوها أبو لهب وأُمُّها أُمُّ جَيْلٍ بِنْتُ حَرْبِ بن أمية ، حمالة الحطب : فارقا أَبْنَىَّ محمد ، وقال أبو لهب : رَأَيْتُ من رَأْسِكَ حرام إن لم تفارقا أَبْنَىَّ محمد ، ففارقاهما ، فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة ، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، وولدت له هناك أَبْنَا فَمَيَّاهُ عبد الله وبه كان يُكْنَى ، فبلغ الغلام ست سنين ، فنقر عينه دِيكٌ وَتَوَزَّمَ وجهه فرض ومات . وماتت رقية رضي الله عنها في شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر شهرا .
- من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر ، ودفنت عند وصول زيد بن حارثة بالشارة بوقعة بدر ، وكانت قد أصابها الحصبة ، وتختلف عثمان بن عفان رضي الله عنه عن غزوة بدر بسبب مرضها ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

- قال أبو عمر بن عبد البر : كانت فاطمة هي واختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأختلف في الصغرى منهما . وقال ابن السراج : سمعت عبيد الله الهاشمي يقول : ولدت فاطمة رضي الله عنها في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة أحد . وقيل : إنه تزوجها بعد أن أنبى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائسة رضي الله عنها ، بأربعة أشهر ونصف ، وبني بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف ، وكانت سنّها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف . قال أبو عمر : وأختلف في مهره إياها ، فروى أنه مهرها دِرْعَه ، وأنه لم يكن له ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء ، وقيل : تزوجها على أربمائه وثمانين درهما فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل ثلثها في الطيب ، قال : وزعم أصحابنا أن الدرّع قدّمها على من أجل الدخول ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه بذلك ، فولدت رضي الله عنها له حسنا وحسنا وحسنا فذهب محسن صغيرا . وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى علي رضي الله عنه قال : لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أروني أبني ما سميتوه » ؟ قلت : سميتته حربا ، قال : « بل هو حسن » فلما ولد الحسين قال : « أروني أبني ما سميتوه » ؟ قلت : سميتته حربا ، قال : « بل هو حسين » فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أروني أبني ما سميتوه » ؟ قلت : سميتته حربا ، قال : « بل محسن » ، ثم قال : « إني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير وشبير^(١) . وولدت له رقية وزينب
- (١) قال في الفقاوس وشرحه : « شبر كقتم ، وشبير كقمية مصفرا ، وفي التكملة مثل أمير ، وشبير كعبد آباء . هرون عليه السلام » .

وَأُمُّ كُثُومٌ، فَهَلَكَتْ رُقَيْصَةَ، وَلَمْ يَبْلُغْ، وَتَزَوَّجَ زَيْنَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَاتَتْ
عنده، وولدت له علي بن عبد الله بن جعفر، وتزوج أُمُّ كُثُومُ عمر بن الخطاب
فولدت له زيد بن عمر، ثم خلف عليها بعده عون بن جعفر فلم تلد له حتى مات،
وخلف عليها بعده محمد بن جعفر فولدت له حارثة ومات عنها. خلف عليها عبد الله
أبن جعفر فلم تلد له شيئا ومات عنده، وقيل: بل تُوفِّيَ عنها، وماتت فاطمة
رضي الله عنها بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر، وقيل:
بستة أشهر، وقيل: بخمانية.

٧٦
١٦

وَأُمُّ كُثُومُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- قد ذكرنا الاختلاف في أيهما أصغر سَنَاهِي أَوْ فَاطِمَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَ عُتَيْبَةَ بْنِ
أَبِي لَهَبٍ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ أَبَوَاهُ وَلَاخِيهِ مَا قَالَا طَلَّقَا بِنْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَلَمْ يَنْبِئَا بِهَا، وَجَاءَ عُتَيْبَةُ حِينَ فَارَقَ أُمُّ كُثُومُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَالَ: كَفَرْتَ بِدِينِكَ وَفَارَقْتَ أَبْنَتَكَ وَسَطًا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «أَمَّا إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسْلُطَ عَلَيْكَ كَلْبًا مِنْ كَلَابِهِ» وَكَانَ خَارِجًا إِلَى
الشَّامِ تَاجِرًا مَعَ قَرْنٍ مِنْ قُرَيْشٍ، حَتَّى نَزَلُوا مَكَانًا مِنَ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ الزَّرْقَاءُ لَيْلًا،
فَطَلَّافَ بِهِمُ الْأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَبَغَلَ عُتَيْبَةُ يَقُولُ: يَا وَيْلَ أُمِّهِ، هُوَ وَاللَّهِ آكَلَهُ
بَدْعُوهُ عَدُوُّ، قَاتِلِي أَبْنِ أَبِي كَبِشَةَ وَهُوَ بِمَكَّةَ وَأَنَا بِالشَّامِ. وَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: يَامَعْشَرَ
قُرَيْشٍ، أَعِينُوا هَذِهِ اللَّيْلَةَ، فَإِنِّي أَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ، فَبَغَمُوا أَحْلَاهُمْ وَفَرَشُوا لِعُتَيْبَةَ
فِي أَعْلَاهَا وَنَامُوا حَوْلَهُ، فَقِيلَ: إِنَّ الْأَسَدَ أَنْصَرَفَ عَنْهُمْ حَتَّى نَامُوا وَعُتَيْبَةُ

(١) أطاف بهم: أحاط بهم، وفي المصباح: أطاف بالنبي أحاط به.

(٢) الرواية المشهورة: «ياد بل أمي، أكل...». وهذا في شرح المواهب وغيره.

(٣) في شرح المواهب: «أقاتل». باستهزام.

في وسطهم ، ثم أقبل يخطاهم وَيَتَشَمَّهُمْ حَتَّى أَخَذَ بِرَأْسِ عُثَيْبَةٍ فَقَدَّغَهُ . قال أبو عمر : ولما ماتت زَوْجَةُ زَوْجِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ بَاتَمُ كُنُثُومٌ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَبَنَى عَلَيْهَا فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ ، وَتَوَفَّيَتْ أَمُّ كُنُثُومٍ وَضَى اللَّهُ عَنْهَا فِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَلَمْ تَلِدْ لِعُثْمَانَ شَيْئًا ، وَكَانَتْ وَفَاتَهَا فِي شَعْبَانَ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُثْمَانَ : «أَوْ كَانَتْ عِنْدَنَا ثَلَاثَةَ زَوْجَاتٍ كَهَذَا 'عُثْمَانُ'» وَصَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ فِي حَفْرَتِهَا عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْفَضْلِ بْنِ الْعِيَّاسِ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ . وَقَدْ رَوَى أَنَّ أَبَا طَالِعَةَ الْأَنْصَارِيَّ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْزِلَ مَعَهُمْ فِي قَبْرِهَا فَأَذِنَ لَهُ . وَغَسَّطَهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُثْمَانَ وَصَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، وَهِيَ الَّتِي شَهِدَتْ أُمَّ عَطِيَّةَ غُسْلَهَا ، وَحَكَتْ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَغْسَلْنَاهَا وَتَرَاهَا ثَلَاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» الْحَدِيثُ . قَالَ : وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرِ أَمِّ كُنُثُومٍ .

ذكر أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من العمومة أحد عشر، أولاد عبد المطلب ابن هاشم، وهم :

الحارث — وبه كان يُكنى ، لأنه أكبر ولده ، ومن ولد الحارث وولد ولده جماعة لهم صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم أبو سفيان بن الحارث ،

(١) فنه : شطفه وكرهه .

(٢) الحديث في أسد الغابة في ترجمة أم عطية : «أغسلناه وتراه ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيته وأعلم بما وسد وأجعل في الآخرة كافرًا أو شيئاً من كافور فإذا فرغت فاذنني» فلما فرغا آذناه فاذنني بإلهاءه فقال : «أشعرناها بإلهاء» والحقوق : الإزار ، وقوله : «أشعرناها» أي أجعله شامراً الذي على جسدها ، تبركا بإثره الشريف .

أسلم عام الفتح كما ذكرنا في غزوة الفتح وشهد حُتينا ، وتوفى بن الحارث هاجر
 وأسلم أيام الخندق ، وعبد شمس وسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .
 وقَّع بن عبد المطلب — وهو أخو الحارث لأبويه ، مات صغيراً .

الثالث — الزبير بن عبد المطلب ، وكان من أشرف قريش . وأبنته عبد الله
 ابن الزبير شهد حُتينا وثبت يومئذ وأسقُشد بأجنادين^(١) ، وضُباع بنت الزبير ، لها
 محبة ، وأم الحكم بنت الزبير ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الرابع حمزة بن عبد المطلب

كان يقال له : أسد الله وأسد رسوله ، ويكنى أبا عماره وأبا بيل^(٢) . وهو أخو رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع^(٣) . وقد قدَّمتا في أنباء هذه السيرة خبر إسلامه
 ومقتله في غزوة أُحد . ولم يكن له إلا ابنة واحدة . وقيل : أبنتان . وقد
 ذكرناهما فيمن عُرِض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء فأباهن .

٧٧
١٦

والخامس العباس بن عبد المطلب

كان يكنى أبا الفضل بآبنة الفضل بن العباس ، وكان العباس أسن من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بستين ، وقيل : بثلاث وستين ، وأمه تتلة ، ويقال :
 ثَقِيلَة بنت جَنَاب بن كَلْب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَنَة بن عامر وهو

(١) أجنادين : موضع يتراعى فلسطين كانت به وقعة بين المسلمين والروم مشهورة ، وهي من
 الحروب الحاسمة كانت الغلبة فيها للمسلمين .

(٢) في أسد الناقة : « أيريل وقيل أبو عماره كنى بأبنيه بيل وعمار » .

(٣) أرضتها نوبة جارية ألى لب ، وهي غير حليلة المشهورة التي أرضعت النبي صلى الله

عليه وسلم .

(١) الصَّحْبَانِ بن سعد بن الخَزَزَجِ بن تَمِّمَ الله بن النَّمِرِ بن قَاسِطٍ . وهى أولُ عَرِيسَةٍ
كَتَسَتْ البيتَ الحرامَ الحريرَ والدَّيَّاجَ وأصنافَ الكِسْوَةِ . وذلك أن العباسَ ضَلَّ
وهو صَبِيٌّ ، فتذَرَّتْ إن وَجَدَتْهُ أن تَكْسُوَ البيتَ الحرامَ ، فوجدته ففعلت .

وقد تقدّم من خَبَرِ العباسِ في غزوةِ بَدْرٍ عند أسره ، وقوله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم : إني كُنتُ مُسْلِمًا ، وإن القومَ استكروهني على الخروجِ .

وقال أبو عمر بن عبد البر : أسلم العباسُ قبل خَيْرٍ وكَلَفَ يَكْتُمُ إسلامه .
قال : ويقال إنه أسلم قبل بَدْرٍ ، وكان يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأخبار المشركين ، وكان يُحِبُّ أن يُقدِّمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكُتِبَ
إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مُقَامَكَ بِمَكَّةَ خَيْرٌ » فلذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر : « من لقي منكم العباسَ فلا يَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ أُتْرَجَ كَرهًا » .

وكان العباسُ أَفْضَرَ الناسِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبي طالب ، ووَلى
السَّقَايَةَ بعد أبي طالب وقام بها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكْرِمُ العباسَ
بعد إسلامه وَيُعْظِمُهُ وَيُجِلُّهُ ، ويقول : « هذا عَمِي وَصْنُو أَبِي » . وكان العباسُ
جَوَادًا مُطْعِمًا ، وَصُولًا لِلرَّحِمِ ، ذَا رَأْيٍ حَسَنٍ ، وَدَعْوَةٍ مَرْجُوَّةٍ .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أَسْتَسْقَى بالعِباسَ في سنة سبع عشرة
وذلك عام الرَّمَادَةِ ، وكانت الأرضُ أَجْدَبَتْ أَجْدَبًا شَدِيدًا . فقال كُتِبَ لعمر :
يا أمير المؤمنين ، إن بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا أَسْتَسْقَوْا بِمُصْنَبَةٍ

(١) أول من كسا الكعبة الديباج تبع ملك حمير على المشهور ، وكان المصنف أراد أول امرأة
عربية ، وثلاثة كعزة وثلاثة كجبهة بنون وثاء . والثلاثة بيض الثمام .

(٢) الزمادة : من أَرْمَدَ القومَ أَعْمَلُوا وَأَسْتَوُوا حتى ظَلَمْتَ المَراشِي ، وقيل : مسمى عام الرَّمَادَةِ لتتابع
المطرد حتى صير الأرض والشجر مثل لون الرماد . وقيل : عام الرَّمَادَةِ سنة ثمانى عشرة واخترط عليه النبي
عن ابن سعد .

- الأنبياء . فقال عمر رضى الله عنه : هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ،
وسيد بنى هاشم . فثنى إليه عمر فشكا إليه ما فيه الناس . ثم قال : اللهم إنا قد
تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَنْ نَبِيتَا وَصَنُوْا أَبِيه ، فَأَسْقِنَا الْغَيْثَ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ . ثم قال :
يَا أَبَا الْفَضْلِ قُمْ فَأَدْعُ . فقام المباس فقال بمد حمد الله والثناء عليه : اللهم إِنْ عِنْدَكَ
سَحَابًا وَعِنْدَكَ مَاءٌ ، فَأَنْشُرِ السَّحَابَ ، ثُمَّ أَنْزِلِ الْمَاءَ مِنْهُ عَلَيْنَا ، فَأَشْدُدْ ^(١) [بِهِ] الْأَصْلَ ،
وَأُطِلْ بِهِ الْفَرْعَ ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تَقْرُلْ بَلَاءَ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَمْ تُكْشِفْهُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ ، وَقَدْ
تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِي إِلَيْكَ فَأَسْقِنَا الْغَيْثَ ، اللَّهُمَّ شَقَعْنَا فِي أَنْفُسِنَا وَأَهْلِينَا ، اللَّهُمَّ إِنْ شَقَعْنَا
عَنْ لَا يَنْطِقُ مِنْ بَهَائِمِنَا وَأَنْعَامِنَا ، اللَّهُمَّ أَسْقِنَا سَقِيًّا وَادِّعَا ، نَافِعًا طَيِّبًا سَحَابًا مَاتَا .
اللَّهُمَّ لَا تَرْجُو إِلَّا إِلَيْنَا ، وَلَا نَدْعُو سِوَكِ ، وَلَا تَرْغَبْ إِلَّا إِلَيْنَا . اللَّهُمَّ إِلَيْكَ نَشْكُو
جُوعَ كُلِّ جَائِعٍ ، وَغُرْمَى كُلِّ مَارٍ ، وَخَوْفَ كُلِّ خَائِفٍ ، وَضَعْفَ كُلِّ ضَعِيفٍ .
١٠ في دماء كثير .

- قال ابن عبد البر : وهذه الألفاظ كلها لم تَجِْ في حديث واحد ، ولكن
جاءت في أحاديث جمعتها وأختصرتها ولم أخالف شيئاً منها ، وفي بعضها : فسقوا
والحمد لله . وفي بعضها قال : فَأَرْجَتْ السَّمَاءُ عَنِ الْيَابِغَاتِ ^(٢) بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ ، حَتَّى
اسْتَوَتْ الْجُحُفُ بِالْأَكْثَامِ ^(٣) ، وَأَخْصَبَتِ الْأَرْضُ ، وَطَاشَ النَّاسُ . فقال عمر : هذا
١٥ والله الوَسِيلَةُ إِلَى اللَّهِ وَالْمَكَانَ مِنْهُ . وقال حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ فِي ذَلِكَ :

(١) الزيادة من الاستيعاب .

(٢) طبقاً : ما لا لأرض مطبوعاً لها . سحاً : شديد الاصابة .

(٣) الغزاة : جمع غزاة . وزان حراء : ثم الزيادة الأسفل . وأرسلت السماء من اليها إشارة إلى شدة

٢٠ وقع المطر على الشيء ينزله من أفواه المزادات . ويروى : « فَأَرْغَتِ السَّمَاءُ ثَائِبٍ مِثْلَ الْجِبَالِ » .

(٤) الجحفر (جمع جفرة) : وهي الحفرة الواسعة المستوية .

سَأَلَ الْإِمَامُ وَقَدْ تَسَاعَى جَدُّنَا * فَسَقَى النَّهْمَ يُفَرِّدُ الْعَبَّاسَ
عَمَّ النَّبِيَّ وَصْنُو وَالِدِهِ الَّذِي * وَرِثَ النَّبِيَّ بِذَلِكَ دُونَ النَّاسِ
أَحِبًّا إِلَهُهُ بِالْبِلَادِ فَاصْبَحَتْ * عُخْرَةُ الْأَجْنَابِ بِعَدِّ الْبَاسِ

وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لمب :

بَعَى سَقَى اللَّهِ الْمَجَازَ وَأَهْلَهُ * عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِسَيْتِهِ هُمُرَ
تَوَجَّهَ بِالْبَاسِ فِي الْمَذْهَبِ رَافِئًا * فَمَا كَرَّ حَتَّى جَاءَ بِالْذِّمَّةِ الْمَطَرُ

وتوفي العباس - رضى الله عنه - بالمدينة يوم الجمعة لآخر ليلة خلعت من
شهر رجب . وقيل : من شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان
وصل عليه عثمان ، ودفن بالقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة . وقيل : تسع وثمانين
سنة . وقال خليفة بن خياط : كانت وفاة العباس سنة ثلاث وثلاثين ، ودخل
قبره ابنه عبد الله . وكان للعباس من الولد : الفضل وهو أكبر أولاده وبه كُتِبَ ،
وعبد الله ، وعبيد الله ، وقثم . ولم يصبه . وعبد الرحمن وعبد وليد على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم آمنشهدا بإفريقية في خلافة عثمان بن عفان ، وأم حبس ،
كلهم من أم الفضل كلبانة بنت الحارث بن سنان املاية ، وهى أخت تيمونة زهير
النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال : إنها نزل أسراة أسلمت بعد خديجة ، وكانت من
المُتَّحِيَات ، وفيها يقول عبد الله بن يزيد اللؤلؤ :

مَا وَلَدَتْ نَجِيَّةً مِنْ حَقِيلٍ * بِجَسَدٍ تَمَلُّهُ وَسَهِيلٍ
كَيْتَةٌ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ * أَكْرَمَ بِهَا مِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلٍ
عَمَّ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى ذِي الْفَضْلِ * وَخَاتَمَ الرُّسُلِ وَخَيْرَ الرُّسُلِ

وكان له من غير أم الفضل أربعة ذكور، وهم : عون^(١)، والحارث أمه من هذيل .
وكثير وتأم أمهما أم ولد^(٢)، وكان أصغر أولاد العباس فكان العباس يحمله ويقول :
تَمَوَّا بِتَمَامٍ فَصَارُوا عَشْرَةَ • يَارَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كَرَامًا بَرَّةً
• وَاجْعَلْ لَهُمْ ذِكْرًا وَأَنْتَ الْغَنِيَّةُ •

- ويقال : ما رؤيت قبوراً أشد تباعداً بعضها من بعض من قبور بني العباس ، ولستهم
أهمهم أم الفضل في دار واحدة ، استشهد الفضل بأجنادين ، ومات معبد وعبد الرحمن
بإفريقية ، وتوفي عبد الله بالطائف ، وعيّد الله باليمن ، وقُتِمَ بِسَمَرْقَنْدَ وَكَثِيرَ بَيْتِج .
وتوفي العباس بعد أن كُفِّ بصره . ولم يُسلم من أعمام رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا حمزة والعباس رضي الله عنهما .
- ١٠ • والسادس من عمومة صلى الله عليه وسلم — أبو طالب وأسمه عبد مناف
وهو أخو عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم لأبويه . وعاتكة صاحبة الرؤيا
في شأن بدر ، أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وقد تقدم
من أخباره ونصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نستغنى عن إعادته في هذا
الموضع . وكان له من الولد طالب مات كافراً ، وعقيل وجعفر وعلي وأم هاني
لهم محبة ، وجحانة . وحكى أبو عمر بن عبد البر : كان علي بن أبي طالب أصغر
١٥ • من أخيه جعفر بمشرسين ، وكان جعفر أصغر من عقيل بمشرسين ، وكان عقيل
أصغر من طالب بمشرسين .
- والسابع من عمومة رسول الله صلى الله عليه وسلم — أبو لهب .

(١) قال أبو عمر : « لم ألق من اسم أمه » .

(٢) قال في أحد النسخ : « أمه أم ولد رومية » .

وأسمه عبد العزى تكاه أبوه بذلك لحسن وجهه، ومن أولاده حُبة، ومُتَبِّب
تَبَّسَام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حُتَيْن، ومُتَبِّب قتل الأسد بالزُّرقاء
كما تقدم.

الثاني - عبد الكعبة، وقيل: هو المقوم، ومنهم من جعل المقوم غير
عبد الكعبة لجعل عمومه أعمى عشر.
والثالث - جَمَل وأسمه المُنيرة.
والعاشر - زَرَّار وهو أخو العباس لأبويه.

والحادى عشر - النِّبْدَاق^(١) سمي بذلك لأنه كان أكرم قريش، وأكثرهم إطلاماً.
ومنهم من جعل النِّبْدَاق جَمَلًا ومُتَبِّب عشرة. حكاه ابن عبد البر. وقد عد الزبير
ابن بَكَّار أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر، وعد المقوم غير عبد الكعبة، وجعله شقيق
حمزة وجَمَل وصَفِيَّة. واه أعم بالصواب.

ذكر عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان له من العمات صلى الله عليه وسلم ست: الأولى - صَفِيَّة بنت عبد المطلب،
وأُمُّها هَالَة بنت وَهَب بن عبد مناف بن زُهرَة، وهى شقيقة حمزة والمقوم وجَمَل،
كانت صافية فى الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس، ثم هلك
عنها وتزوجها القوام بن خُوَيْلِد بن أسد فولدت له الزُّبَيْر والسَّيَّاب وعبد الكعبة.
وتوفيت فى خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين من الهجرة ولما ثلاث وسبعون
سنة. ودفنت بالقيع بِنَاء دار المغيرة بن شُعْبَة، ولما هجرة.

(١) راجع ص ٢١٤ من هذا الجزء، والمواهب ٣ : ٢٢٧

(٢) فى السيرة الحلبية بفتح الواو وكسر طاء مشددة.

(٣) فى السيرة الحلبية: بتقديم الجيم على الحاء والجمل السقاء الضخم، وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على
الجيم - وهو الثابت هنا - وهو فى الأصل القيد والخلل. (٤) وأسمه مصعب وقيل نوفل.

وعائكة بنت عبد المطلب

أختلف في إسلامها، وهي صاحبة الرؤيا^(١)، وكانت عند أبي أمية بن المغيرة ابن عبد الله المخزومي، فولدت له عبد الله أسلم وله محبة، وزُهَيرًا، وقُرَيةَ الكبرى.

وأروى بنت عبد المطلب

- وقد اختلف أيضا في إسلامها، وكانت عند عُمَيْرِ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ ابن قصي، فولدت له حُلَيْبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرا وقتل بأجنادين شهيدا.

وأُمَيَّةُ بنت عبد المطلب

- كانت عند بَجَشِ بْنِ رِيَّابٍ، ولدت له عبد الله بن بَجَشٍ قتل بأحد شهيدا، وأبا أحمد الأعمى الشاعر وأسمه جِد، وزينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأم حبيبة وأُمَيَّة، كلهم له محبة، وعبيد الله بن بَجَشٍ، أسلم ثم تنصروا مات بالحبيشة كافرا.

٧٩
١٦

(١) وهي رؤياها في ليلة من ليالي الهجرة، قالت: رأيت في المنام قبل قدوم خير النبي ثلاث ليل رجالا أقبل على بيتي - وقف بالأطلس فقال: «مرورا يا آل غالب لمهاجرةكم» في ثلاث - ثم أخذ حفرة فأرسلها من رأس الجبل فأوقعت ثورين - فقال: «في دار ولا بيت إلا دخل فيها بعضهما» فصدق الله رؤياها - راجع الإحصاء وحياتها من كتب التاريخ.

(٢) يروى عن عبد الله بن أبي حمزة يشعر أن زُهَيرًا ليس بصحابي، والذي في شرح المواهب أنها أسلمت ورجعا - وفيه: وقُرَيةُ بنتُ النخاف - وقيل بالصغير.

(٣) في المواهب (٣: ٢٤٦): «عبد بلإشاعة» وقيل عبد الله وهو ومن السابقين.

(٤) أم حبيبة بها، أمها، ويرى أم حبيب بلاها.

وبرة بنت عبد المطلب

وكانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له
أبا سلمة وأسمه عبد الله ، وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب

وكانت عند كُرَيْز بن دُبَيْع بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت
له أروى بنت كُرَيْز ، وهي أم حنان بن عفان .

هؤلاء أعمامه صلى الله عليه وسلم وعماته ، أسلم منهم حمزة والعباس وصفيّة
بلا اختلاف ، واختلف في عائكة وأروى ، وبقيتهم ماتوا على شركهم . قال أبو عمر
أبن عبد البر : كان عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طالب والزعيم
وعبد الكعبة وأم حكيم وأمية وأروى وعائكة ، أمهم كلهم فاطمة بنت عمرو
أبن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وكان حمزة والمقوم وتجل وصفيّة أمهم هالة بنت
وهيب ، وكان العباس وضارر وقثم أمهم ثقيلة ، وأم الحارث سمراء بنت جندب
أبن جندب بن حوثان بن سؤامة بن عامر بن صعصعة ، وقيل : صفيّة بنت جندب
أبن حُجَيْر بن رياح بن حبيب بن سؤامة ، وأم أبي لهب أُمَيَّة بنت هاجر بن خزيمة .
والله تعالى أعلم .

فلذا كخدمه صلى الله عليه وسلم :

ذكر خدام رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأخضر وهم أحد عشر رجلا

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ

ابن مَخْصَمُ بْنُ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ الْيَمَانِيُّ ، كان يكنى أبا حمزة ، وأمه أم سليم .
بنت مِلْحَانَ الْأَنْصَارِيَّة . خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين ،
عند مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة للهجرة ، وأخطف في وقت

وفاته فقيل : مات في سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة اثنين وتسعين ، وقيل : سنة ثلاث وتسعين . قال خليفة ابن خياط : مات أنس وله مائة وثلاث سنين ، وقيل : كانت سنة إذ مات مائة وعشر سنين ، وقيل : غير ذلك . وأقل ما قيل فيه مائة سنة إلا سنة ، حكى هذه الأقوال أبو عمر بن عبد البر ، قال : ويقال إنه آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنه قدم من صُلبه وولد ولده نحو من مائة قبل موته ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال : هـ اللهم أرزقه مالا وولداً وبارك له هـ قال أنس : فإني لمن أكثر الأنصار مالا . ويقال : إنه ولد لأنس ثمانون ولداً منهم ثمانية وصيرون ذكراً وأنثيان .

١٠. وهند وأسماء ابنا حارثة

ابن هند الأسديان ؛ شهدا بيعة الرضوان في أخوة لما سئى ، وهم : هند وأسماء ونخاش وقُؤَيْب وقُضالة وسَلَمَة وإِلْك ومُحَرَّان ، ولم يشهدا أخوة في عددهم فبرعهم ، ولزم منهم النبي صلى الله عليه وسلم هند وأسماء ، وكانا من أهل الصفة ، ومات هند بالمدينة في خلافة معاوية ، وتوفي أسماء في سنة ست وستين . بالبصرة وهو ابن ثمانين سنة .

١٥

وربيعة بن كعب الأسدي

وهو ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر الأسدي أبو فراس ، وكان من أهل الصفة ، وكان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر ، ومحبه قديماً ، ومات في سنة ثلاث وستين بعد الحزوة .

٨٠
١٦

وعبد الله بن مسعود

- أَبْنُ غَافِلِ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ شَيْخِ بْنِ فَايزِ بْنِ غَزْوَمِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ
 أَبْنِ تَيْمِ الْمُذَلِّيِّ، وَكَتَبَتْهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَأُمُّهُ : أُمُّ عَبْدِ
 بَنَتِ عَبْدَ وَدِّ بْنِ سِوَاءَ بْنِ قُورِيمِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ هُذَيْلٍ . أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ
 فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ
 يَرعى غَنًا لَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ شَاةَ حَائِلًا مِنْ تِلْكَ الْغَنَمِ فَذَرَتْ عَلَيْهِ ابْنًا غَزِيرًا
 فَأَسْلَمَ، ثُمَّ خَفَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَلْبَسُهُ نَعْلَيْهِ إِذَا قَامَ،
 وَإِذَا جَلَسَ جَعَلَهُمَا فِي دُرَّاعَتِهِ حَتَّى يَقُومَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ يَمْسِي
 أُمَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَشَى، وَيُسْتَرُهُ إِذَا آغْتَسَلَ، وَيُوقِظُهُ إِذَا نَامَ،
 وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذْ تُنْكَ عَلَى أَنْ يُرْفَعَ الْجَنَابُ وَأَنْ تَسْمَعَ سَوَادِي
 حَتَّى أَتَاهُكَ» . وَكَانَ يَعْرِفُ فِي الصَّحَابَةِ بِصَاحِبِ السَّوَادِ وَالسَّوَالِكِ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ
 شَهِدَ لَمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ، وَمَاتَ أَبْنُ مَسْعُودٍ بِالْمَدِينَةِ فِي مِائَةِ
 أَلْفَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَقِيلَ : عَمَّارٌ، وَقِيلَ : الزَّيْبَرِ بْنِ الْعَوَّامِ
 وَدَفَنَهُ بِالْبَيْعِ بِلَا بَيَاصَاهُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَلَمْ عُثْمَانُ فَعَاتَبَ الزَّيْبَرَ، وَكَانَ يَوْمَ تُوُفِّيَ
 أَبْنُ رَضِعَ وَبِئْسَ سَنَةٌ .

(١) فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ : ابْنُ شَيْخِ بْنِ فَايزَ، بَنَاءٌ فَائِظٌ فَرَاءَ . وَكَذَا فِي الْإِسَابَةِ وَأَسَدُ الْغَنَائِمِ .
 وَفِي نَسَبَةِ جَدِّ : ابْنُ فَايزَ .

(٢) فِي الْإِسَابَةِ : سِوَاءَةٌ . (٣) الْاسْتِجَابَ : ابْنُ قَدِيمٍ .

(٤) الْفَرَاةُ : نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ . (٥) فِي الْآخِرَةِ : تَسْمَعُ .

(٦) سَوَادِي : سَرَادِي ؛ يُقَالُ : سَارَدَتِ الرَّحْلَ إِذَا سَارَرَتْ .

وَعُقَّةُ بْنُ عَامِرٍ بْنِ عَبَّاسٍ

- الْجُهَنِيُّ مِنْ جُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ سُوْدٍ ^(١) بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ،
وَكَانَ يَكْنَى أبا حَمَادٍ ، وَقِيلَ : أبا أَسَدٍ ، وَقِيلَ : أبا عَمْرٍو ، وَقِيلَ : أبا سُمَادٍ ،
وَقِيلَ : أبا الْأَسَدِ ، وَقِيلَ : أبا عَمَّارٍ ، وَأَبَا عَامِرٍ . وَكَانَ عُقَّةُ بْنُ عَامِرٍ صَاحِبَ
بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُودُهَا بِهِ فِي الْأَسْفَارِ . قَالَ أَبُو عَمْرٍو : سَكَنَ
عُقَّةُ بْنُ عَامِرٍ مِصْرَ ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا ، وَأَبْقَى بِهَا دَارًا ، وَتَوَفَّى فِي آخِرِ خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ .

وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحِ الْمُؤَدَّبِ

- مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَكَانَ يَكْنَى أبا عَبْدِ اللَّهِ ، وَيُقَالُ :
أَبَا عَبْدِ الْكَرِيمِ ، وَقِيلَ : أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقِيلَ : أبا عَمْرٍو ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبْرُهُ فِي أَوَّلِ
السِّيَرَةِ . وَأُمُّهُ حَمَامَةُ ، وَكَانَ خَازِنًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخِي بِلْتَهُ وَبَيْنَ
عُمَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، وَكَانَ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ
الْقَلْبِ ، وَكَانَ مِنْ مَوْلَدِي الشَّرَاءِ ^(٢) . مَاتَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ عَشْرِينَ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ
وَسِتِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَتِهَا عِنْدَ الْبَابِ الصَّغِيرِ ، وَقِيلَ : مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ
[وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً ^(٣)] .

وَسَعْدُ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، خَدَمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى عَنْهُ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ ، وَيَعْتَدُ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

- (١) فِي النَّجَاحِ وَغَيْرِهِ . « زَيْدُ بْنُ لَيْثٍ بْنُ سُوْدٍ ... الخ » .
(٢) وَفِي الْأَنْبَاءِ : وَقِيلَ : أَبُو لَيْدٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو ، وَأَبُو عَبَّاسٍ ، وَأَبُو أَسَدٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو .
(٣) الشَّرَاءُ : مَوْضِعٌ مِنْ مَكَّةَ وَالْحِجَازِ كَمَا سَيَأْتِي الْقَوْلُ . وَفِي الْأَصُولِ : « الشَّرَاءُ » بِالْمَجِئَةِ .
وَمَا أُجْتَنَاهُ عَنْ أَسَدِ النَّبَاةِ وَغَيْرِهِ . (٤) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ أ .

وذو نحر بن أمي النجاشي

ويقال : ابن أخته ، ويقال فيه : ذو نحر ، خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عبد البر : وقد عده بعضهم في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له أحاديث خرجها أهل الشام وهو معدود فيهم .

وبكير بن شدّاخ اللّثي

وقيل فيه : بكر ، عده الشيخ أبو محمد الديلمطي في خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .^(١)

وأبو ذر الغفاري

ويقال : أبو النضر ، والأول أشهر . واختلف في اسمه اختلافا كثيرا ، قيل :
جندب بن جنادة ، وهو أصح ما قيل فيه إن شاء الله . وذكر أبو عمر بن عبد البر
الاختلاف في اسمه ، وترجم عليه بعد ذلك : جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد^(٢)
ابن الوافقة بن حرام بن غنار بن ميسل بن شمرة بن كنانة بن نزيمة بن مدركة
ابن إلياس بن مضر بن نزار الغفاري ، وأمه رملّة بنت الوقعة ، من بني غفار ،
تقدّم خبر إسلامه في وفد غفار في أول هذا السّفر ، وأقام أبو ذر عند قومه بعد^(٣)
إسلامه حتى مضت بدر وأحد والخندق ، ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ترجم له أسد الغابة ، وذكر أنه من خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يخدمه ، وهو غلام
فلا أعلم جاء إلى رسول الله فقال له : إني كنت أدخل على أبيك وقد بلغت مبلغ الرجال ، فقال له
رسول الله : " اللهم صدق قوله ولله الظفر " ، وأورد قصة له في عهد عمر بن الخطاب كانت من أعلام
النزوة ، وبركة دعائه صلى الله عليه وسلم .

(٢) الذي في الاستيعاب لابن عبد البر : « جندب بن سفيان بن جنادة بن عبيد » الخ .

(٣) راجع ص ٢٠ وما بعدها من هذا الجزء .

فصحبته إلى أن مات . وقد ذكرنا قصة أبي ذر في غزوة تبوك ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده » وكان من خبره أنه خرج بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشام ، فلم يزل به حتى كانت خلافة عثمان بن عفان ، فاستقدمه عثمان لشكوى معاوية ، وأسكنه الريدة ^(١) ، فمات بها وصلى عليه عبد الله بن مسعود ، وكان قد أقبل من الكوفة فدعى إلى الصلاة عليه ، فقال : من هذا ؟ فقيل : أبو ذر ، فبكي طويلا وقال : أنسى وخيليل عاش وحده ، ومات وحده ، ويبعث وحده ، طوبى له . وذلك في سنة ست وثلاثين من الهجرة . روى عن أبي ذر جماعة من الصحابة ، وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والتقول بالحق ، سئل عن رضي الله عنه عن أبي ذر فقال : ذاك رجل وعى علما عجز عنه الناس ، ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئا منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أظلت الخضرأ ولا أقلت الشبراء من ذي لجة ^(٢) أصدق من أبي ذر » و« من سرته أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى تواضع أبي ذر » . وفضائله كثيرة رضي الله عنه .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في ختم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَسْلَحَ ابن شريك » الأعرجي القيسي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصاحب راحلته ، وأبو سلام الهاشمي ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه .

(١) الريدة (بفتح الراء) : موضع قرب المدينة . (٢) أوكأ : شق عليه بوكا . وهو جبل يشق به ثم القرية ، وأراد لم يشتره بين الناس . (٣) الخضرأ : السياه ، والنبراء : الأرض ، وأقلت : حلت . (٤) اللجة : اللسان .

(٥) الرواية في الجامع الصغير : « من سرته أن ينظر إلى تواضع عيسى فلينظر إلى أبي ذر » .

ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ أبو محمد الديلمى رحمه الله تعالى : وموالى من الرجال أحد وثلاثون ، وهم :

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي - وكان لخدمته فأستوبه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واعتقه ، وقد تفلحت أخباره ومقتله في مؤنة^(١) .

وأسماء بنت زيد بن حارثة - وأمه أم أيمن ، بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وماتت أسامة في خلافة معاوية ، في سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة تسع ، وقيل : سنة أربع وخمسين ، وصحبه أبو عمر . وكان عمره يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة سنة ، وقيل : عشرين ، وقيل : ثمانى عشرة ، وسكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى ، ثم رجع إلى المدينة فمات بالحرف .

وثوبان بن عبيد - وكنته أبو عبد الله على الأصح ، وهو من أهل السراة^(٢) ، والسراة موضع بين مكة واليمن ، وقيل : من حمير ، وقيل : إنه من حكم بن سعد العيشية ، أصابه سبأ فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، ولم يزل معه في السفر والحضر إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الشام فترت الرملة ، ثم أنتقل إلى حصن فأبقى بها داراً : وتوفى بها سنة أربع وخمسين ،

(١) في ١ « شيناً » .

(٢) مؤنة ، يضم الميم وسكون الواو ويضم همز ، عبد الأكثر ، وبالهمز عند بعضهم : موضع من عمل البقا . بالتمام ، وهي غزوة مشهورة ، ومن الوقائع الحاسمة .

(٣) في الأصول : « لاشرة » وتقدم القول فيه .

وكان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذى ما وعى . روى عنه جماعة من التابعين .

وأبو كَبْشَةَ سُلَيْمٌ — شهد بدرا والمشاهد كلها ، قيل : هو من فارس ، وقيل : من مولدى أرض دوس ، وقيل : من مولدى مكة ، أتباعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه ، وتوفى في سنة ثلاث عشرة ، في اليوم الذى استخاف فيه عمر بن الخطاب ، وقيل : توفى في سنة ثلاث وعشرين ، في اليوم الذى ولد فيه عُروَةَ بن الزبير : والله تعالى أعلم .

وَأَنَسَةُ — ويكنى أبا مَسْرُوحٍ ، ويقال أبو مَسْرُوحٍ — وكان من مولدى السراة — اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه . ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرا ، وقال ابن إسحق : كان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم إذا جلس فيما حكاه مصعب الزبيرى ، ومات في خلافة أبي بكر رضى الله عنه .

وَشُقْرَانٌ — وأسمه صالح ، وكان حبشيا ، قيل : ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيه وأعتقه بعد بدر ، قيل : اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه ، وقيل وهبه له فاعتقه وأوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .^(١) وَرَبَاحٌ — وكان أسود ثوبيا اشتراه من وفد عبد القيس وأعتقه ، قال أبو عمر : وربما أذن على النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا ، إذا انفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ عليه الإذن .

وَيَسَارٌ — وكان ثوبيا أصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ، وهو الذى قتله العربيون كما تقدم .

وأبو رافع - وأسمه أسلم ، وقيل ؛ إبراهيم ، وكان عبدا للعباس ، فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أسلم العباس بئر أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه ، فأعتقه وزوجه سلمى مولاه ، فولدت له عبيد الله ، وكان عبيد الله كاتباً لعل بن أبي طالب رضى الله عنه في خلافته كلها ، قيل : وخازناً أيضاً . ومات أبو رافع في آخر خلافة عثمان بالمدينة ، وقيل : في خلافة علي ، قيل : وكان أبو رافع قبطياً .

وأبو مؤيبة - وكان من موالى مُرَيَّة ، اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه .

ورافع - قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله : كان مولى لسعيد بن العاص ، فورثه ولده ، فأعتقه بعضهم وتمسك بعضهم ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمئنه فوهب له ، فكان يقول : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد حكى أبو عمر ذلك في أحد القولين عن أبي رافع المتقدم ذكره . والله أعلم .

وفُضَّالَة - وهو مذكور في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عبد البر : لا أعرفه بغير ذلك ، قيل : إنه مات بالشام .

ويمنم - أسود ، وهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم رِفاعَة بن زيد الجُمَاحِي ، وهو الذي قتل بوادي القرى ، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ه إن الشَّمْلَةَ التي غَلَّها تُسَلَّ عليه نارا .

وَكِرْكِرَة - وكان على بئلة النبي صلى الله عليه وسلم وكان نوبياً أهداه له هَوْدَة ابن علي فأعتقه .

(١) كنيه أبو الهيثم ، في أسد الغابة : فائق النبي يستنقع به على الرجل فوهب الرجل نصيبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) القتل : أخذ شيء من الفدية قبل القسمة ، وقد أخذ مدم شاة من ق. المسلمين يوم خيبر قبل القسمة . (٣) ضبط في الإصافة بفتح الكافين وكسرهما ، والنوى بكسر الثانية جزماً .

وزيد - وهو جد يلال بن يسار بن زيد .^(١)

وعبيد ، وطمهان - موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختف في طهمان ،
فقبل : طهمان ، وقبل : طهوان ، وقبل : ذكوان ، وأما عبيد فروى عنه
سليمان التيمي .

ومأبور - إهداء إليه الموقوس ، وقبل : كان خصيا .

وواقد ، وأبو واقد ، وهشام ، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا رسول الله إن أمرأتى لا تمنع يد لائس ، قال : « طلقها » قال : إنها تعجبنى .
قال : « فاستمع بها » .^(٢)

وأبو ضميرة - قيل : اسمه سعد الجعفي ، قال البخاري : وقبل في اسمه غير

ذلك . وكان مما أفاء الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جد حسين
ابن عبد الله بن ضميرة ، وقبل : وكان من العرب فأعتقه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وكتب له كتابا يوصى به فهو يسد ولده ، قال أبو عمر : وقدم حسين
ابن عبد الله بن ضميرة على المهدي بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإبضاء
بأبي ضميرة وولده ، فوضعه المهدي على عينيه ، ووصله بثلاثة دنانير .

وحنين - قال أبو عمر بن عبد البر : كان عبدا وخادما للنبي صلى الله عليه
وسلم ، فوهبه لعمه العباس فأعتقه العباس قال : وقد قيل إنه مولى على بن أبي طالب ،
وعنه الشيخ أبو محمد في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في نسخ الأصل : حلال ، والصواب ما أثبتناه ، من المواب وغيره .

(٢) أسد الغابة أعزبهما واحدا وإن أفرد كلاهما بترجمة - حيث أورد حديث « من أطاع الله ... »

عن واقد كما أورد عن أبي واقد ، وعندما في شرح المواب واحدا أيضا وقال : « راوند أرايو راوند » .

(٣) قال ابن الأثير مادة (لمس) : « قل معنى لا ترة يد لائس أنها تمل من ماله من يطلب منها ،
وهذا أشبه » قال أحمد : لم يكن لأمره بإسكانها وهي تفجر » .

وأبو عيسى — وأسمه أحمَر .

وأبو عبيدة ^(١) سفينة — فكان عبداً لأمّ سائمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه ، واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ، فقال : لو لم تشترطني على ذلك ما فارقت ، وكان اسمه ربّاح ، وقيل : عمير ، وقيل : رومان . وقيل : مهران . قال الواقدي : وقال أبو عمر : مهران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم غير سفينة .

سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة بهذا الاسم ؛ لأنه كان معه في سفره ؛ فكان كل من أيا إلى عليه متاعه سميّاً أو تُرساً ، فتر النبي صلى الله عليه وسلم به فقال : « أنت سفينة » وكان أسود من مولى الأعراب .

وأبو هند — وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه زوجوا أبا هند وتزوجوا إليه ، قال أبو محمد : أبتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية وأعتقه .

وأنجشة — وكان حادياً لليل ، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له « يا أنجشة رِقّاً بالقوارير » ^(٢) .

- ١٥ (١) في أسد الغابة : أبو عبيد مولى رسول الله . هكذا بنى هاء ، وأورد رواية عنه من طريق شهر ابن حوشب . وفي أسد الغابة أن سفينة مولى رسول الله عليه السلام غير أبي عبيدة ، وذكر أن سفينة قال : ركب سفينة فأنكرت فركبت لوحاً منها فطرحت إلى الساحل فقبضني أسد فقلت : « أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطأ طأ راسه ، فحمل يدهني بجنبه حتى أرقني على الطريق ، فلما أرقني على الطريق مهمم فظننت أنه يودعني . » (٢) أنجشة عبد أسود حسن الصوت بالحداء . — وهو النداء — لهذا بأزداج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فاعتقت الإبل وأسرت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أنجشة ... » الحديث ويرى « يا أنجشة وديك ... » الحديث ، والقوارير جمع قارورة : إناء من زجاج شبه به النساء لأنه يسرع إليها الكسر .

وَأُنَيْسَةَ — وكان حبشيا فصيحاً شهيداً بداراً، وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وَأَبُو أُبَيْسَةَ — كان لبعض عمّات رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، وهو معدود في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وزويغ — سباه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هوازن فأعتقه .

وسعد — وهو الذي روى عنه أبو عثمان النهدي . ذكره أبو عمر بن عبد البر .

هؤلاء المشهورون من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو محمد عبيد المؤمن رحمه الله : وقد قيل إنهم أربعون ، وزاد يوسف بن الجوزي :

أَبِي كَسْدِيرٍ ، وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ ، وَسَالِمًا ، وسابقاً — ذكره أبو عمر — خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزيد بن رسولاً ، وعبيد الله بن أسلم ، ونُبَيْيَةَ :

وقيل فيه : النَّبِيَّةُ ، وقيل النَّبِيَّةُ ، بضم النون وفتحها ، ووَرْدَانَ .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة أخرى ،

منهم أَبُو الْحَسَاءِ وَأَسْمَةُ هَلَالِ بْنِ الْحَارِثِ ، ويقال : هَلَالُ بْنُ ظَلْفَرٍ ، وَأَفْلَحُ ، وَذَكْوَانُ ، وفي أسمه خلاف ، وأبو عُيَيْدٍ ، له رواية ، وأَبِي لَقِيْطٍ ، وأَبُو السَّمْحِ ^(١) أَيَادٍ ،

وقيل : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَصُفَيْرَةُ بْنُ أَبِي صُفَيْرَةَ ، قال أبو عمر :

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمِّ صُفَيْرَةَ وهي تبكي فقال : « مَا يَبْكُكِ أَجَائِظَةٌ

أَنْتِ أُمُّ عَارِيَةٍ ؟ » فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِي ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لَا يَفْرُقُ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا » ثم أرسل إلى الذي عنده صُفَيْرَةُ

فَأَبْتَاغَهُ مِنْهُ .

(١) كما في كلا الأصلين وفي الإضافة وأسد الغابة « زيد بن بزيلا » .

(٢) في هامش الاستيعاب : « زياد » .

وَكَيْسَان ، أَوْ مِهْرَان - وَأَسْمَهُ هُرْمَزُ يَكْنَى أَبَا كَيْسَانَ ، اُخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى عَطَاءِ
أَبْنِ السَّائِبِ ، فَقِيلَ : كَيْسَان ، وَقِيلَ : طَهْمَان ، وَقِيلَ : ذَكْوَان ، وَأَبُو بَكْرَةَ تَفْعُ
أَبْنِ مَسْرُوح ، وَهُوَ أَبْنُ سُمَيَّةَ جَارِيَةِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ التَّقْفِيِّ ، مَعْدُودٌ فِي مَوَالِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَدَ لَهَا
نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ ، وَأَسْلَمَ فَكَانَ يَقُولُ : أَنَا مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ أَبِي النَّاسَ إِلَّا أَنْ يَنْسُبُونِي فَأَنَا تَفْعُ بْنُ مَسْرُوح ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ
أَبَا بَكْرَةَ ، لِأَنَّهُ تَدَلَّى إِلَيْهِ مِنْ بَكْرَةَ مِنَ الْحِصْنِ .

وَأَبُو سَلَمَى - رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قِيلَ : أَسْمَهُ حَارِثُ ، فَهُوَ لِأَنْ
عَشْرَةَ أَثَرٍ لِكَلَّةِ نَحْسِينَ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

وَمِنْ النِّسَاءِ : أُمُّ عِيَّاشُ ، وَأُمِّيَّةُ ، وَأُمُّ رَافِعٍ سَلَمَى ، وَبُرْكَةُ أُمُّ أَيْمَنَ ، وَمَارِيَةُ ،
وَرَبِيعَةُ ، وَرُبَيْعَةُ ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ (أَبِي) عَسِيبٍ ، وَخَضِرَةُ ، وَرَضْوَى ، وَأُمُّ ضَمِيرَةَ .
وَذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أُمِّيَّةَ لَهَا رِوَايَةٌ . وَتَيْمُونَةُ بِنْتُ أَبِي عَبْسَةَ غَيْرِ مَيْمُونَةَ
الْمَذْكُورَةَ أَيْنَا ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

(١) قَدَمُهُ : وَمِنْ النِّسَاءِ . مَعْفُوفٌ عَلَى تَرْجَمَةِ الْكُتُبِ حَيْثُ قِيلَ : وَمَوَالِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ الرِّجَالِ . (٢) أُمُّ عِيَّاشُ : قِيلَ كَانَتْ أُمَةً لِرَبِيعَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ فِي رِوَايَةٍ . وَقِيلَ سَادِمُ رَسُولِ
اللَّهِ وَمَوْلَاةُ . (٣) أُمِّيَّةُ : مَوْلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ، كَانَتْ تَوْحِي رَسُولَ اللَّهِ . (٤) أُمُّ رَافِعٍ :
قَالَتْ لِبِرَاهِمِ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ وَقَالَتْ أَبِي طَاغُتَةُ الْزُهْرَاءِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضَوْنِ عَنْهُ . وَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . (٥) وَبُرْكَةُ أُمُّ أَيْمَنَ : حَاضَتْ رَسُولَ اللَّهِ وَمَوْلَاةُ وَهِيَ حَبَشِيَّةٌ .

(٦) مَارِيَةُ الْكَلْبِيَّةُ : مَوْلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ وَسَرِيَّةُ أُمِّ بِرَاهِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
(٧) رُبَيْعَةُ : سَرِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ بَنِي قُرَيْشَةٍ ، وَقِيلَ : رَحْمَةُ كَلْبِيَّةٌ مَصْرَعِيَّةٌ فَكَوْنُ مَرْبُوعِيَّةٍ .
(٨) فِي سَدِّ الطَّائِفِ بِنْتُ أَبِي عَسِيبٍ . وَقِيلَ بِنْتُ أَبِي عَبْسَةَ .

(٩) خَضِرَةُ ، وَرَضْوَى : ذَكَرْنَا فِي مَوَالِي رَسُولِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَرَوْنَهُمْ مَعَهُ .
(١٠) أُمُّ ضَمِيرَةَ : هِيَ الَّتِي رَوَدَ بِسَبِيلِهَا حَدِيثٌ : « لَا يَفْرُقُ بَيْنَ وَلَدَةٍ وَوَلَدَةٍ » .

ذكر حُرَّاس رسول الله صلى الله عليه وسلم

- في غزواته، وهم ثمانية : سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين قام بالعريش ،
وَدُكْوَان بن عبد الله بن قَيْس ، ومحمد بن مَسْلَمَةَ الأنصاري حرسه بأحد ، والزَّيْر
ابن العوّام حرسه يوم الخندق ، وعَبَاد بن يَشْر ، وسَعْد بن أَبِي وقاص ، وأبو أيوب
الأنصاري حرسه بنجبر ليلته بَنِي بَصْفِيَّة ، وِلَال حرسه بوادي القُرَى . ولما أنزل
الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَأْسَ
رِسَالَتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » ترك عند ذلك الحرس .

ذكر كُتَّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

- وهم : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب
وعاصم بن فهيرة ، وعبد الله بن الأرقم ، وأبَي بن كَعْب ، وثابت بن قيس بن شماس ،
وخالد بن سعيد بن العاص ، وحَنْظَلَةُ بن الربيع الأسدي ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية
ابن أبي سُفْيَان ، ومُثَرِّحِيل بن حَسَنَةَ ، وكان معاوية وزيد يكتبان الوحى .
قال الشيخ الإمام الفاضل محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَح الأنصاري الخزرجي
الأندلسي ثم القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب الأعلام له : والعلاء بن الحضرمي ،
قال : وكان المداوم على الكتابة زيد ومعاوية ، قال : ويقال إن معاوية لم يكتب له
من الوحى شيئاً . وإنما كان يكتب إلى الأَطْرَاف ، وكتب له عبد الله بن سرح
ثم أرتد ، فلما كان يوم الفتح أسلم وحسن إسلامه ، وذكر القضاخي : وكان الزبير
ابن العوّام وجههم بن سعد يكتبان أموال الصدقة ، وكان حَذِيفَةُ بن اليماني يكتب
نَحْرَس النخل ، وكان المغيرة بن شعبة والحُصَيْن بن عُمَيْر يكتبان المداينات والمعاملات .

وذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية : أن كتابه عليه السلام يتنون إلى ستة وعشرين ، والله أعلم .

قال : وقد قدمنا ذكر رسله صلى الله عليه وسلم .

ذكر رُقْبَاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

التَّجِيَاء وهم أنثى عشر : أبو بكر، وعمر، وحزمة، وعلي، وجعفر، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، وحذيفة، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وبلال بن رباح .
وكان علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وطاحم بن أبي الأفلح^(١) والمقداد ، رضوان الله عليهم أجمعين يضربون الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم ،
وحيث ذكرنا من سيرته صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا ، فلناخذ الآن في ذكر صفاته الذاتية والنعوية وأحواله صلى الله عليه وسلم .

٨٤
١٦

ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاتية

قد وردت الأخبار الصحيحة والمشهورة من حديث علي بن أبي طالب وأنس ابن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس، ومعرض بن معيقيب وأبي الطفيل،
والدعاء بن خالد ونعيم بن قاتك وحكيم بن حزام، وغيرهم رضوان الله عليهم : أنه كان^(٢) صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم : لا بأت من طول، ولا تقصحه عين من قصر،^(٣)

(١) الذي في أسد الغابة : طاحم بن ثابت بن أبي الأفلح .

(٢) أم سعيد : هي طائفة بنت خالد الخزاعية .

(٣) ربة يسكون الباء والفتح لغة : أي محتلة . وقد فسر الربة بما بعده .

(٤) البائن هنا : المفرط في الطول . (٥) لا تقصحه : لا تتجاوز أزدوا له .

غُصْنَيْنِ بَيْنَ غُصْنَيْنِ ، بعيد ما بين المنيكين ، أبيض اللون ، مُشرب حمرة ، وفي رواية
 أزهر اللون ، ليس بالأبيض الأملق ، ولا بالأدم ، له شعر رَجُلٍ ، يبلغ غُصْمَةً^(١٢)
 أَذْنِيَهُ إِذَا طَالَ ، وإذا قصر إلى أنصافهما ، لم يبلغ شَيْئَهُ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرِينَ^(١٣)
 شَعْرَهُ ، كَأَن عُنُقَهُ جِيدٌ دُمِيَّةٌ ، فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ ، وَظَاهِرِ الْوَضَاءِ مُبْلَغُ الْوَجْهِ ،^(١٤)
 يَتَلَاوُ وَجْهَهُ تَلَاوُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، حَسَنُ الْخُلُقِ مَعْتَدِلُهُ ، لَمْ تَعْبَهُ تَجَلَّةٌ وَلَمْ تَزُرْ بِهِ^(١٥)
 صَعْلَةً ، وَسَيْبًا قَسِيًّا ، فِي عَيْنَيْهِ دَحْجٌ ، وَفِي بَيَاضِهِمَا عُرُوقٌ رِقَاقٌ حُمْرٌ ، وَفِي أَشْفَارِهِ^(١٦)
 غَطْفٌ ، وَفِي صَوْتِهِ صَهْلٌ ، وَرَوَى صَحْلٌ ، وَفِي عُنُقِهِ سَطْعٌ ، وَفِي لَحْيَتِهِ كُثَاثَةٌ ،^(١٧)
 إِذَا صَحَّتْ فَلَيْهِ الْوَقَارُ ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاءُ مِنْ بَعِيدٍ ،^(١٨)

- (١) الأملق : الكربة البيضاء كون الجلس .
 (٢) رجل بكسر الجيم : بين شدة الجعرة ، وشدة السبوة .
 (٣) الجيد : المنيق ، واللهية بضم الدال : الصورة المنحوتة من رخام أو عاج .
 (٤) الوضاء : الحسن .
 (٥) المبلع : المنقوش المضي .
 (٦) التجلة : عظم البطن .
 (٧) الصعلة : صغر الرأس ، والدقة والتحول في البدن أيضا .
 (٨) الوسيم : أثبت الحسن . والقسيم : جميل الوجه كله ، كَأَن كُلَّ مَوْضِعٍ مِنْهُ أَخَذْنَا مِنَ الْجَمَلِ .
 (٩) الدحج : شدة سواد العين في شدة بياضها .
 (١٠) الصطف : بفتحين هو أن يطول شعر الأنفان ثم ينطف ، وروى بالعين المهملة .
 (١١) صهل : حدة وصلابة ، والصحل : بحة في الصوت وعدم حدة .
 (١٢) السطع : طول العنق .
 (١٣) الكثافة : كثرة الشعر في غير دقة ولا طول .
 (١٤) الوقار : الحلم والزناة .
 (١٥) سما : ارتفع وعلا على جلسائه .

وأحلاه وأحسنه من قريب ، ^(١) حُلُو المُنْطَقِ قَصْل : لا تَزُر ولا هُذِرَ كَان منطقة ^(٢)
 نَرَزَاتٍ نَقَمَ يَتَعَدَّن ، وإسْع الجَمِين ، أَرْجَ الحَوَاجِبِ فِي غَيْرِ قَرْنٍ ، بِنَهْمَا عَرَق ^(٣)
 يُدْرَهُ الغَضَب ، أَفْنَى العَرْنَيْنِ ، لَهُ نُورٌ يَعْلَاهُ ، يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشْمَ ، سَهْل ^(٤)
 الخَدَيْنِ ، ضَلِجَ القَم ، أَشْنَب ، مُقَاجِجَ الأَسْنَانِ ، دَقِيقَ النَسْرَةِ ، مِنْ لَيْتِهِ إِلَى سُرَّتِهِ ^(٥)
 شَعْرٌ يَجْرَى كَالْقَضِيبِ ، لَيْسَ فِي بَطْنِهِ وَلَا صَدْرُهُ شَعْرٌ غَيْرُهُ ، أَشْعَرُ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ ، ^(٦)
 بَادِنٌ مَتَاسِكٌ ، سَوَاءُ الصَّدْرِ وَالْبَطْنِ ، سَيْبِجُ الصَّدْرِ ، ضَخْمُ الكَرَادِيسِ ، أَنْوَرُ الْمُتَجَرَّدِ ^(٧)

- (١) فصل : بين ظاهر يذهل بين الحق والباطل ، والزر : التليل ، أى ليس بقابل فيدل على عمى .
- (٢) اغز : المذهبان ، أى ليس بالتقليد الدال على الحق ولا بالتكثير القاسد ، وقى دأش ج : لا زرو ولا د-ر : أى ليس كلامه بقليل لا يفهم ، ولا بكثير بل .
- (٣) اغزات جمع نرزة : الجوهر ، ونقده : يحمله في سلك . يتحدون : يتناهن في القول .
- (٤) بدين : فوق الصدغ .
- (٥) أَرْجَ الحَوَاجِبِ : الزحف نفوس في الحاجب مع طول في طرفه وإتداد ، وقوله : «عرق بذر» : غضب ، أى يئله دما إذا غضب كما يئله الضرع لنا إذا در . نهاية .
- (٦) أَفْنَى العَرْنَيْنِ : أقصى في الألف طوله ورفق أوتيه مع جذب في وسطه ، والعَرْنَيْنِ : الأنف .
- (٧) شَم : الشمم أو ارتفاع قصبه الألف وأستواء أعلاها وإشراف الأربعة قليلا .
- (٨) سهل الخدين : ساقى الخدين غير موضع الوجهين .
- (٩) ضليج القم : أى عظيمه ، وقيل : واسعه ، والعرب تمدح بذلك وتهم بعكسه .
- (١٠) أَشْنَب : الشنب البياض والبريق والحديد في الأسنان .
- (١١) مفلح ، وأطلع : والعلاج بالتحريك فرجة بين الشايات والربانيات .
- (١٢) المنسربة : ما دق من شعر الصدر ما تلا إلى الجوف .
- (١٣) أمة : الهزة التي فوق الصدر وتحت العنق .
- (١٤) بادن متاسك : البادن الضخم ، والمتاسك الذى يسك بعض أعضائه بعضاً فهو معتدل الخلق .
- (١٥) سواء الصدر والبطن : هما مذهبوا وإن لا ينفوا أحدهما عن الآخر .
- (١٦) سيبج الصدر : عريضه . في رواية الآملى : عريض الصدر .
- (١٧) الكراديس : رموس الغنم ، وقيل : ملحق كل غنمين كالزكيتين والمرقطين ، يعنى ضم الأعضاء .
- (١٨) المتجرد : ما كشف من جده أى مشرق الجسد .

- عريض الصدر، طويل الزندين، رَحْب الراحة، شَتْن الكَفَيْن والقَدَمَيْن، سائل الأطراف، سَبْط القَصَب، مُخَصَّن الأَنْخَصَيْن، مَسِيع القدمين، يَبْنُو عنهما الماء، إِذَا زَالَ زَال قَلْعًا، وفي رواية: إِذَا مَشَى يَقْلَعُ — كناية عن قُوَّة الخَطْوِ كَالَّذِي يَمْشِي فِي طِين — وَيَخْطُو تَكْفِيًا وَيَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيع المِشْيَةِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَخْطُ مِنْ صَبٍّ، وَإِذَا التَفَتِ التَفَتَ جَمِيعًا، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النِّيَّةِ كَأَنَّهُ زَرٌّ تَجَلَّةٌ أَوْ بَيْضَةُ حَمَامَةٍ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ جَسَدِهِ عَلَيْهِ خَيْلَانٌ، كَأَن عِرْقَهُ اللَّوْلُؤُ، وَلِرَيْحِ عِرْقِهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ الْأَذْفَرُ، يَقُولُ نَاعَتُهُ: لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ الْبَرَاءُ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لَيْلَةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَإِنَّا نَحْكُ نِتْلَأُ فِي الْحَدَرِ،

- (١) شَتْن الكَفَيْن والقَدَمَيْن: أى لهما ميلان إلى المِطَط والقَصْر.
- (٢) سَبْط القَصَب: القَصَب الساعِدَانِ والسافان، أى عِندَانِ لَيْسَ فِيمَا تَوْنُهُ وَلَا تَعْدُ.
- (٣) مُخَصَّن الأَنْخَصَيْن: أى مَرْتَفِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَهِيَ أَسْفَلُ الْقَدَمَيْنِ أَيْ إِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ مِنْهَا شَدِيدُ التَّجَافِي مِنَ الْأَرْضِ.
- (٤) إِذَا زَالَ زَال قَلْعًا: أَرَادَ قُوَّةَ مَشْيِهِ، كَأَنَّهُ يَرْفَعُ وَجْهَهُ مِنَ الْأَرْضِ رَفْعًا قَوِيًّا، لَئِنْ يَمْشَى اعْتِيَالًا وَبِقَارِبِ خَطَاهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ مَشْيِ النِّسَاءِ.
- (٥) تَكْفِيًا: تَمَّائِلٌ إِلَى قَدَامٍ، وَيُرْوَى بِالْهَدَرِ.
- (٦) ذَرِيعُ المِشْيِ: مَرِيبُهُ وَاسِعُ الْخَطْوِ. (٧) يَخْطُ مِنْ صَبٍّ: مِنْ مَوْضِعٍ مُتَعَدِّدٍ.
- (٨) زَوْجِلَةٌ: الْزَّرَّاحَةُ الْأَزْرَارُ الَّتِي تَشْدِيهَا الْكَلَالُ وَالسُّتُورُ عَلَى مَا يَكُونُ فِي حِجْلَةِ الْقُرُوسِ، وَالْجِلَّةُ: بَيْتٌ كَافِيَةٌ يَسْتَرِبُ الْكَلَّلُ وَتَكُونُ لَهُ أَزْرَارٌ. (٩) خَيْلَانٌ جَمْعُ خَالٍ: هِيَ الشَّامَةُ فِي الْجَسَدِ.
- (١٠) الْأَذْفَرُ: طَبِيبُ الرَّجَمِ.
- (١١) ذِي لَيْلَةٍ: أَلَّةٌ مِنْ شَرِّ الْأَرْسِ دُونَ الْجِلَّةِ، فَإِذَا زَادَتْ فِيهِ الْجِلَّةُ.
- (١٢) الْهَدَرُ جَمْعُ هَدَرٍ، وَهُوَ أَصُولُ الْأَسْنَانِ، نِتْلَأُ أَصُولُ أَسْنَانِهِ، وَفِي الْمَوَاقِبِ: إِذَا تَكَلَّمَ رَوَى كَالْتَوَدِّ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ شَافِيَاهُ.

وقال جابر بن سُمرة، وقد قال له رجل كأن وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف، فقال : لا، بل مثل الشمس والقمر . وكان مستديرا، وكان عمر بن الخطاب ينشد قول زُهَيْر بن أَبِي سُلمى في هَرَم بن سنان :

لو كنت من شيء سوى بَثِير * كنت المِخْيَاءَ لِلَيْلَةِ الْبَثِيرِ^(١)

ثم يقول عمر وجلساؤه : كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن كذلك غيره . وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضى الله عنه وأرضاه :

وَأَبْيَضُ يُسْتَقَى النَّهَامُ بِوَجْهِهِ * رَبِيعُ الْبَنَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ^(٢)
تُطِيفُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ * فَهَمُّ عِنْدِهِ فِي نَمَةِ وَقَضَائِلِ^(٣)
وَمِيزَانُ حَقٍّ لَا يَخْجِشُ شَعِيرَةً * وَوزَانُ عَدْلٍ وَزَنُهُ غَيْرُ عَائِلِ^(٤)

٨٥
١٦

(١) في البرهان : كنت المنير ، ويرى : كنت المنوريلة .

(٢) في نسخ الأصل : العباس ، والصواب أن قاتل القصيدة أبو طالب والقصيدة مشهورة به .

(٣) ربيع البنات ؛ المشهور « نبال البنات » : اللبا والنبات ، وقيل : هو الحطم في الشدة ، والعصمة : المانع من الضياع والحاجة ، والأرامل : المساكين من رجال ونساء . كذا في النجاة .

(٤) تخفيف به : تدور حوله . الهلاك جمع هالك ، وهو الذي يخاف الناس إنشاء معروفهم .

(٥) هذا البيت ورد في نسخ الأصل على هذا الترتيب وليس كذلك في قصيدة أبي طالب ، وإنما البيت كما في آيين هشام وأين كثير هكذا :

جزى الله عنا عهد شمس ونفلا * محسوبة شر عاجلا غير آجل
بمران قسط لا يخشى شحوة * له شاهد من نفسه غير عائل

ويرى : لا يخش ، من أخس أى لا يتقص ، أما يخشى فن قولهم : خاس بالبعد إذا قضه وأفسده ،

وعائل : جائز .

١٠

١٥

٢٠

ذكر صفة خاتم النبوة

الذي كان بين كفى النبي صلى الله عليه وسلم
 روى عن جابر بن سمرة . وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ورأيت
 خاتمه عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يُشبه جسمه ، وعن أبي ريثمة قال قال لي
 . رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ريثمة أدن مني أسمع ظهري » فدنوت
 منه فسمعت ظهره ، ثم وضعت أصابعي على الخاتم فعددتها ، ففيل له : وما الخاتم ؟
 فقال : شعر مجتمع عند كتفيه . وعنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت
 فإذا خلف كتفيه مثل الثفاحة ، قلت : يا رسول الله ، إنى أدأوى فدعنى حتى أبطلها^(١)
 وأداويا ، قال : « طيبها الذي خلقها » . وعنه من طريق آخر قالت : يا رسول الله
 إنى طيب من أهل بيت أطباء ، وكان أبى طيبا فى الجاهلية ، معروفا ذلك لنا فأذن
 لى فى التى بين كتفك ، فإن كانت سلعة بطلتها فشفأ الله نيه ، فقال : « لا طيب
 لها إلا الله » وهى مثل بيضة الحمامة .

ذكر صفة شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطولها

روى عن أبى بصير قال : سمعت البراء يصف شعر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال : كان شعره إلى شحمة أذنيه . وعنه قال : سمعت البراء يقول :
 ما رأيت أحدا من خلق الله أحسن فى حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) « من » سابقة فى ج .

(٢) التمز : الصبر والكسب باليد . وفى كلا الأصلين « غمرتها » بالراء ولله تصحيف .

(٣) الثفاحة : هبة متضخمة تكون فى جفن السمكة .

(٤) البط : شق اللحم والخراج ونحوهما .

(٥) اللعة : غدة تظهر بين الجمل والحم إذا غمرت باليد تحركت .

إن بُجته لضربُ قريبا من مَنِيكَيْته، وفي لفظ، من عَاتِيهِ . وعن قتادة قال : قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان شعرا رجلا ليس بالسبط ولا بالجمد ^(١) بين أذنيه وعاتقه . وعن أنس : كان لا يماوز شعره أذنيه ، وعنه ؛ كان إلى أنصاف أذنيه . وعن علي رضي الله عنه قال : كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة ^(٢) ودون الجمة . وعن أم هانئ قالت : رأيت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم خفائر أربا . وعنها قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وله أربع غُدَّات ^(٣) . وعن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الحية ^(٤) . وعن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على قِصاص شعره .

ذكر عدد شيب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومن قال إنه خَصَب

روى عن حميد الطويل قال : سئل أنس بن مالك هل خَصَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما شأنه الله بالشيب ، وما كان فيه من الشيب ما يُخَصَّب ، إنما كانت شعرات في مقدم لحيته ، ولم يبلغ الشيب الذي كان به عشرين شعرة . وفي رواية عن أنس أيضا : ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة . وعن جابر بن سمرة ، وقد مثل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان إذا دهن رأسه لم يَبَيِّن ، وإذا لم يدهنه تَبَيَّن . وعن محمد بن واسع ؛ قيل :

٨٦
١٦

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى عمة الأذن ، والجملة من شعر الرأس ما سقط على المكين .

(٢) هذه رواية سلم عن جابر بن سمرة ، وفي الأصول : « كثير ، بين الشعر والحبة » .

(٣) قِصاص شعره : متى شعر الرأس حيث يؤخذ بالقص .

١٠

١٥

٢٠

يارسول الله، لقد أسرع إليك الشيب، فقال: « شيتنى (١) الر. كَتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ (٢) وَأَخَوَاتُهَا ». وعن أبي سلمة، قيل: يارسول الله، نرى في رأسك شيبا، قال: « مالى لا أشيب وأنا أقرأ هودا وإذا الشمس كُورَتْ (٣) » وفي رواية « وما فعل بالأثم قبل ». وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال أبو بكر: أراك قد شبت يارسول الله، قال: « شيتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يساءلون وإذا الشمس كُورَتْ » ومن رواية « وأخواتها اقتربت الساعة، والمرسلات وإذا الشمس كُورَتْ » وفي رواية أخرى عن أنس قال قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: أبى وأبى يارسول الله، وما أخواتها (٤) ؟ قال: « الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كُورَتْ » هذا ما رأيته مما ورد في شيبه وسببه .

وأما من قال إنه خضب

١٠

صلى الله عليه وسلم

فقد روى عن عبد الله بن موهبة قال: دخلنا على أم سلمة رضى الله عنها، فأخرجت إلينا صرة فيها شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا بالحناء (٥) والكتم . وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: رأيت شعرا من شعره - يعنى النبي صلى الله عليه وسلم - فإذا هو أحمر، فسألت عنه فقيل لى: أحمر من الطيب . وعن أبي جعفر قال: شبط عارضا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخضبه بحناء وكتم،

١٥

(١) آية ١ سورة هود . (٢) آية ١ سورة التكموير .

(٣) كذا في نسخ الأصل، وكأنه سقط من هذا حديث « شيتنى هود وأخواتها » وراه الطبرانى وابن مردويه وابن حسكر، فقال له أبو بكر: وما أخواتها . (٤) تعقبه في التهذيب بأن عبد الله

ابن موهبة لا يعرف في الرواية، والحديث عن عثمان آية مولى طلحة . (٥) الكتم: دهن من أدهان العرب أحمر يجعل فيه الزعفران . (٦) الشبط: الشيب .

٢٠

وعن أبي ريثمة أنه وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذو وَفْرَةٍ
وبها رَدَعٌ ^(١١) من حياء ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يُصَفِّرُ لحيته بالخلوق ،
ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُصَفِّرُ ، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُغَيِّرُ لحيته بماء الدُّرِّ ، ويأمر بتغيير الشعر
مخالفة للأعاجم .

هذا ما أمكن إبراده من صفاته الذاتية ، وسند ذكر إن شاء الله بعد ذكر صفاته
المعنوية ، حديث هُتْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ ، يجمع بين صفاته الذاتية والمعنوية .

ذكر صفات رسول الله المعنوية

صلى الله عليه وسلم

وما ورد في أكله وشربه ، ونومه وضيقه وعبادته ونكاحه ، وخلقه وحلمه
وآحاطه ، وعفوه وصبره على ما يكره ، وجوده وكرمه . وبخائه وسماحته ، وشجاعته
ومجده ، وحيائه وإغضائه ، وحسن عشرته وأدبه ، وبسط خلقه ، وشفقته ورأفته
ورحمته ، ووفائه وحسن عهده ، وصلته للرحم ، وتواضعه وعدله وأمانته وعفته ،
وصدق لحيته ، ووقاره وصمته وتؤدته ^(١٢) ، ومروءته ، وحسن هديه وزهده وخوفه
ربه تعالى ، وطاعته له وشدة عبادته صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

(١) ردع : لطم لم يسه كفه .

(٢) الخلق : طيب معروف مركب يمشى من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتلب عليه الحفرة
والصفرة ، وقد ورد تارة بإباحته ، وأخرى بالهوى عنه ، والهوى أكثر وأثبت ، لأنه من طيب النساء . وهن
أكثر استيلا له . (النهاية لابن الأثير) .

(٣) التوبة : التاني والتمهل والزلة .

فأما ما ورد في أكله وشربه ونومه وضحكه وعبادته

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ من الأكل والشرب بالأقل، وأُعتد من ذلك على ما يُتمسك الرِّيقُ وَيَسُدُّ الخَلَّةَ، وقد جاءت الأخبار الصحيحة بذلك، ولم تزل العرب والحكماء تتأدح بقلمهما وتذم بكثرةهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على التَّهم والجِرْص والشَّرَّ، وقلة ذلك دليل على الفناعة وذلك النفس وقَّع الشهوة. وقد روينا بإسناد متصل عن المقدم بن معدي كَرَب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يُقْنُ صُلْبُهُ فإن كان لا محالة ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه». ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب. وقد روى عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على صَفَفٍ؛ أي كثرة الأيدي. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يمتل جوف النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط، وإنه كان في أهله ولا يسألم طعاما ولا يشتهي، إن أطعموه أكل، وما أطعموه قَل، وما سَقَّوه شرب. قال أهل العلم: ولا يُعترض على هذا بحديث بَريرة، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ألم أرَ الأبرمة فيها لحم؟» إذ لعل سبب سؤاله ظنه اعتقادهم أنه لا يحمل له، فأراد بيان سنده، إذ رآهم لم يقدموا إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون به عليه، فصديق عليهم غنّه، وبين لهم ما جهلوه من أمره، بقوله: «هو لها صدقة ولنا هدية». وكان جلوسه صلى الله عليه وسلم للأكل جلوس المستوفز، مُقْبِياً، ويقول: «إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وفي حديث صحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «أما أنا فلا أكل متكاً» وليس معنى الاتكاء

٨٧
١٦

(١) أي تناول الحاس. (٢) المستوفز: الذي فُقد متصباً غير مطمئن، مقبياً: أراد أنه كان يجلس على درجته مستوفزاً غير متمكن.

عند المحققين الميل على شق، وإنما الاتكاء هو التمكن للأكل، والتعمد في الجلوس له، كالمترجع وشبهه من تمكن الجلسات التي يستمد فيها الجلوس على ماتحته، والجلوس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه، وكان صلى الله عليه وسلم بخلاف ذلك. وكان صلى الله عليه وسلم إذا رُفِعَ الطعام من يمين يديه قال: «الحمد لله الذي أطعنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين». وفي رواية يقول: «الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا». وكان لا يأكل على خوان^(٢١)، ولا يمتنع من مباح، ولا يتأنق في ما كل، يأكل ما وجد، إن وجد تمرأا أكله، أو خبزأا أكله أو شواء أكله، وإن وجد لنا أكتفى به، ولم يأكل خبزأا مرققا^(٢٢)، وأكل صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال: «نعم الإذنم الخل» وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى^(٢٣). وكان يحب الدباء^(٢٤) ويأكله، ويعجبه الذراع من الشاة، وقال: «إن أطيب اللحم لحم الظهر» وقال: «كلوا الزيت وأدهنوا به فإنه من شجرة مباركة». وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، وأكل صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر، وقال: «هذا أدم هذا» وأكل البطيخ بالرطب والقشأ بالرطب والتمر بالزبد، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يشرب قاعدا، وربما شرب قائما، ويتعشى ثلاثا وإذا قصصت منه فضلة وأراد أن يصفقها بدأ بمن عن يمينه، وشرب صلى الله عليه وسلم لنا، وقال: «من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه» وقال: «ليس شيء يحزى مكان الطعام والشراب غير الدين».

- (١) غير مودع: أي غير متروك الطاعة، وقيل: من الوداع. و«ربنا» بالنصب على الداء. مع حذف الأداة، وفيه توجيهات أخرى (راجع المباحث ٤: ٤٢١). (٢) الخوان طعام كالقعدة له. (٣) الخبز المرقق: الأرزفة الواسعة الرقعة. (٤) الحبارى: طائر يشبه الأوزة له نيرة قلوبه. (٥) الدباء: قرع معروف كان صلى الله عليه وسلم يحب أكله، وقيل: هو القترع بأنواعه.

وأما نومه صلى الله عليه وسلم

- فكان قليلا، جاءت بذلك الآثار الصحيحة، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي» وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا على قلة النوم لأن النوم على الجانب الأيسر أهدأ؛ هدد القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة؛ لميلها إلى الجانب الأيسر، فيستدعى ذلك الاستئصال فيه والطول، وإذا نام النائم على الجانب الأيمن تعلق القلب وقلقى، فأمرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق. وكان صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل ثم يقوم من السحر، ثم يوتر ثم يأتي فراشه، وإذا سمع الأذان وثب، وكان إذا نام فزع، ولا يغط غطيطة، وإذا رأى في منامه ما يروعه قال: «هو الله لا شريك له» وإذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده، وقال: «ربّ في عذابك يوم تبعت عبادك» وكان يقول: «اللهم بآسئكم أموت وأحيا» وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

وأما صحبه صلى الله عليه وسلم

- فكان جله التّيسر، وربما خفيك من شيء معجب حتى تبدو نواحيذه من غير قهقهة صلى الله عليه وسلم، وأما عبارته صلى الله عليه وسلم فكان أنصح الناس، يخاطب كل أمة بلسانها، ويخاورها بلغتها، يباريها في مترج بلاقتها، وقد تقدم من كلامه في كتبه إلى ملوك اليمن وغيرها ما يدل على ذلك، وإن كان ذلك لا يحتاج فيه إلى إقامة دليل بعد أن أنزل القرآن بلغته. وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بين كلامه حتى يحفظه من جلس إليه، ويمد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه،

ويزن لسانه لا يتكلم في غير حاجة ، ويتكلم بمجامع الكلم ، فَضَّلَ لا فُضِّلَ ولا تقصير ، وكان يَمْتَلِئُ بشيء من الشعر ويمتلئ بقوله :^(١)

* وبأنيك بالأخبار من لم تروى *

وبغير ذلك ، صلى الله عليه وسلم .

وأما النكاح وما يتعلق به

فهو مما يكثر التمدح بكثرته وذلك ؛ لأنه دليل الكمال وصحة الذكورية ، ولم يزل الثقات يكثره عادة معروفة ، والتماذج به سيرة ماضية وستة مأثورة ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء . مشيراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « تَنَاحُوا فَإِنِّي مَبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَمِ » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقدرة الله تعالى على ذلك وحبيه له ، فكان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار ، وهنَّ إحدى عشرة ،^(٢) رواء أنس ، قال : وكنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين ، نرتجيه الفسائي . وعن طاوس : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلاً في الجماع ، ومثله عن صفوان بن سليم . وقالت سلمى مولاته : طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع ، ويطهر من كل واحدة قبل أن أتى الأخرى ، وقال :
« هذا أطهر وأطيب » .

(١) البيت لطرفة من مقلته ، وأثله :

* سبى لك الأيام ما كنت جاهلاً *

(٢) المشهور « تَنَاحُوا تَنَاسَلُوا فَإِنِّي مَبَاهٍ بِكُمْ الْأُمَمِ » ولا يعرف حديث هذا اللفظ الوارد في الأصول

راجع المواهب ج ٥ ص ٧٧ .

(٣) في شرح المواهب : في الليلة الواحدة ثم ضرها بالساعة الواحدة ، ورواية أنس : في الساعة

الواحدة . المواهب ج ٥ ص ٧٣ . (٤) إحدى عشرة : تسع زوجات ومارية وريحانة .

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم

فقد قال الله عز وجل فيه مخاطبا له صلى الله عليه وسلم : « وَإِنَّكَ لَمَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » ^(١) قالت عائشة رضى الله عنها : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه ، وقال صلى الله عليه وسلم : « بَشْتُ لَأَتَمَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » ^(٢) قال علي بن أبي طالب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا . وكان صلى الله عليه وسلم — فيما ذكره المحققون — يبول على ذلك في أصل خلقته وأوّل فطرته ، لم يحصل ذلك له بآكتساب ولا رياضة ، إلا بجمود إلى وخصوصية ربانية ، ومن طالع سيرته مُنْذُ صباه وإلى آخر عمره ، حَقَّقَ ذلك وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وأما حلمه وأحماله وغفوه

مع القدرة ، والصبر على ما يكره ، فقد جعلوا بين هذه الأقطاب فرقا ، فقالوا : الحِلْمُ حالة توفير وثبات عند الأسباب المُحَرِّكات ، والاحْتِمَالُ جهس النفس عند الآلام والمؤذيات ، ومثله الصبر ، ومعانيها متقاربة ، وأما الغفو فهو ترك المؤاخذه ، وهذا كله مما أَدَبَ الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ^(٣) رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له : حتى أسأل العالم ، ثم ذهب فاتاه فقال : « يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك » . وقال تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم : « وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ

مِنْ عَزَمَ الْأُمُورَ^(١) وَقَالَ : « قَاصِرٌ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ » . وَقَدْ رَوَى
 فِي حَالِهِ وَأَحْوَالِهِ وَعَفْوِهِ وَصَبْرِهِ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً وَقَصَصَ شَهَوْرَةً ، قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهَا
 فِي أَخْبَارِهِ ، فِي إِثْنَاءِ هَذِهِ السَّيْرَةِ جَمَلَةٌ كَافِيَةٌ ، وَنَحْنُ نَشِيرُ الْآنَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَيْهَا ،
 وَنُبَيِّنُ فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ عَلَيْهَا ، مِنْهَا قِصَّةَ أَحَدٍ حِينَ نَالَهُ مِنْ أَذَى كِفَارِ قُرَيْشٍ مَا نَالَهُ
 مِمَّا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ ، فَشَقِيَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ ،
 فَقَالَ : « إِنْ لَمْ أَبِثْ لَنَا وَلَكِنِّي بَشْتُ دَاعِيًا وَرَحِمَةَ اللَّهِ أَعَدَّ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ
 لَا يَسْلَمُونَ » رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ :
 يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ دَعَا نُوْحٌ عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : « رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ
 مِنَ الْكَافِرِينَ دَبَّارًا » وَلَوْ دَعَوْتُ طَيْفًا مِثْلَهَا لَهْلَكُوا مِنْ عِنْدِ أَنْعَرْنَا ، فَقَدْ وَطِئَ ظَهْرُكَ
 وَأَذْمَى وَجْهَكَ وَكَسَرْتَ رِبَاعِيكَ ، فَأَبَيْتَ أَنْ تَقُولَ إِلَّا خَيْرًا ، فَقُلْتَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ
 لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَسْلَمُونَ » . وَمِنْهَا قِصَّةُ غَوْرَثَ بْنِ الْحَارِثِ ، وَدُعَاوَرِ بْنِ الْحَارِثِ
 حِينَ ارْتَادَا أَنْ يَفْتِكَا بِهِ ، وَأَطْفَرَهُ اللَّهُ بِهِمَا ، وَأَمَكَنَهُ مِنْهُمَا نَفْعًا عِنْدَهُمَا ، كَمَا تَقَدَّمَ
 ذِكْرُ ذَلِكَ فِي غَزْوَتِي غَطَفَانَ وَذَاتِ الرَّقَاعِ ، وَمِنْهَا عَفْوُهُ عَنِ الَّذِينَ هَبَطُوا عَلَيْهِ
 فِي عُمَرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ فَأَخَذُوا فَأَعْتَقَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْهَا صَفْحُهُ
 عَنْ قُرَيْشٍ حِينَ أَمَكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَهُمْ لَا يَسْكُونُ فِي أَسْتَنْصِلَ شَأْنَهُمْ
 وَإِبَادَةِ خَضْرَائِهِمْ ، لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ أَذَاهُمْ لَهُ ، فَمَازَا دَعَى أَنْ عَفَا وَصَفَحَ ، وَقَالَ : « مَا تَقُولُونَ
 إِنْی فَاعِلٌ بِكُمْ » قَالُوا : خَيْرًا ، أَنْخُ كَرِيمٌ وَأَبْنُ أَخٍ كَرِيمٍ ، فَقَالَ : « أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي

(١) آية ١٧ سورة لقمان . (٢) آية ٣٥ سورة الأحقاف .

(٣) آية ٢٦ سورة نوح . (٤) هو النبي صلى الله عليه وسلم .

ليست به فرماة الله بركة بين كنفه وتدر سبفه ، والزلة وبيع في الظاهر لا يترك الإنسان من شدته .
 ودعاور بن الحارث سيد ظفان مدود في الصباة رقة إسلامه في أحد النباة ، وفي الاختلاف
 في سببه هذه الحادثة إلى كل من دعاور وغورث .

- يوسف «لَا تَتْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ بِفِقْرِ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(١) . وما لم نذكره فيما أتينا عليه من مسيرته صلى الله عليه وسلم ، ما ورد في الحديث الصحيح من قول الرجل له : أعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فلم يزد صني الله عليه وسلم في جوابه إلا أن ين له ما جهله ، ووعظ نفسه وذكراها بما قال له ، فقال : « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل » ونهى من أراد قتله من أصحابه . ومنه ما روى عن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية ، فجذبه أعرابي بردائه جبنة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صنعة عاتقه . ثم قال : يا محمد ، أحمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك ، لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « المال مال الله وأنا عبده »^(٢) ثم قال : « ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي » ؟ قال : لا ، قال « لم » ؟ قال : لأنك لا تكافئ بالسبئية السبئية ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر^(٣) .

- ومنه خبر زيد بن سحنة حين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه ، وكان من أحبار يهود ، فجاءه يتقاضاه ديناً عليه ، فجذبه ثوبه عن منكبيه ، وأخذ يجمع ثيابه وأغاطه له ، ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مطلق فأتبره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشدد له في القول ، والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم ، فقال رسول الله

(١) آية ٩٢ سورة يوسف . (٢) يقاد منك : يفتن منك .

(٣) سحنة : بانون ويقال : سعية بالياء ، والبنون أكثر ، كذا في أسد الغابة .

- (٤) مطلق بضم الميم والمطاء : جمع ماطل ، كذا في شرح المواهب ، وهو خلاف الفياض ، أي مسوفون بالوند مرة بعد أخرى .

صلى الله عليه وسلم : « أنا وهو كما إلى غير هذا منك أحوج بأعمر ، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي » ثم قال : « لقد بقي من أجله ثلاث » وأمر عمر بفضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً إلى روعته ، فكان سبب إسلامه ؛ وذلك أنه كان يقول : ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في عهد إلا اثنتين ؟ ألم أخبرهما ؛ يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل إلا حُلماً ؛ فأختبرته بهذا فوجدته كما وُصف . والحديث عن حلمه وصبره وغفوه كثير ؛ روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حُرمة من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما ضرب خادماً ولا امرأة . وجرى إليه رجل فقيل : هذا أراد أن يقتلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تُرَاعَ^(٢) لن تُرَاعَ ولو أردت ذلك لم تُسلط علي » صلى الله عليه وسلم .

٩٠
١٦

١٠

وأما جرده وكرمه ومخاؤه وسماحته صلى الله عليه وسلم

ومعانيها متقاربة ، وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم : الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره وضعه — وممّوه أيضاً حرية — وهو ضد النذالة . والسّاحة : التجاني عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس ، وهو ضد الشكاسة . والسّخاء : سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يُحمد ، وهو الجود ، وهو ضد التقية ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأرفع ، بهذا جاءت الأحاديث الصحيحة ، منها ما دونه في صحيح البخاري عن ابن المنكير

١٥

(١) الجهل ما المراد به الغضب . (٢) لن ترَاع أي لا تفرح ولا خوف .

(٣) الحرمة من معانيها : من لم تملكه الصفات القمية ، من الحرس والشرع على مقتضيات الدينونة (مفردات الرأب ١١٠) وفي كلا الأصلين « جرية » بالجمع ولعلها محرفة عما أئنداه .

٢٠

- قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا .
- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود ما كان في شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الرّيح المُرْسلة . وعن أنس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه غنّاءين جبّين ، فرجع إلى بلده وقال : أسلموا فإنّ عندي يعطى عطاء من لا يخشى فتاة . وقد ذكرنا ما أعطاه صلى الله عليه وسلم من غنّام هوازن .
- وأخبره صلى الله عليه وسلم في ذلك كثيرة ، وعطاياه فليّية ، لو استقصيناها لطل بها التاليف ، وكان لا يبيت في بيته دينار ولا درهم . فإن فضل ولم يجد من يعطيه ولحقه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبأ منه إلى من يحتاج إليه ، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت أهله ما لم يقط ، من أيسر ما يجد من التمر والخير ، ويضع سائر ذلك في سبيل الله ، ثم يؤثّر من قوت أهله حتى يحتاج قبل آتئذاه العام ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين .

وأما عجايبه وتجلّيه صلى الله عليه وسلم

- فقد قالوا : الشجاعة فضيلة قوة الغضب ، وأتقادهما العقل ، والتهمة :
- يقع النفس عند آتسارها إلى الموت حيث يُحمد فعلها دون خوف ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يُحصى ، قد شهد المواقف الصعبة ، وقهر الكُفّة والأبطال عنه ، وهو ثابت لا يَنْزع ، ومُقبل لا يُدّر ، وقد فُتس من أخباره وثباته وحملاته في يوم أُحد وحُنين ما تحف عليه هناك . وقد روينا بإسناد متصل عن قبراء ، وقد سأله رجل : أفردت يوم حُنين عن رسول الله
- (١) الله وعطاءه . (بالكسر والفتح) : هم من غير أن يشعروا . (٢) يؤثر : يعطي .

صل الله عليه وسلم ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقر ، ثم قال :
 لقد رأيته على بنته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها ، والنبي صلى الله عليه وسلم
 يقول : « أنا النبي لا كذب ، وزاد غيره » أنا ابن عبد المطلب ، قيل : فأي
 يومئذ أحد كان أشد منه . وقال غيره : نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بنته .
 وذكر مسلم عن العباس قال : فلما ألقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون
 مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتخص بنته نحو الكفار وأنا أخذ
 بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع وابو سفيان أخذ بركابه ، ثم نادى بالمسلمين .
 الحديث . وقال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أجمد ولا أجود ولا أرحم من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنا كنا إذا حيي البأس
 — و يروى أشد البأس — وأحمر الحلق ، ألقينا برسول الله صلى الله عليه
 وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيته يوم بدر ، ونحن نلوذ
 بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا .
 وقيل : كان الشجاع الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم إذا دعا العدو لقربه منه .
 وعن أنس قال : كانت النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس
 وأشجع الناس ؛ لقد فرح أهل المدينة ليلة فأنطلق ناس قبل الصوت ، فتقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت وأسبغوا الخبر ، على
 فرس لأبي طلحة عري ، والسيف في عنقه ، وهو يقول : « لن ترأوا » ، وقال عمران
 ابن حصين : ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب .

(١) المشهور : أنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس : « ناديا مشرا الأصابع » يا أصحاب
 الشجرة ، بني حجرة الرضوان التي باعوا تحتها ألا يخروا منه . كما في سلم والبخاري . راجع غزوة حنين
 في شرح المراهب : ٣ : ١٤ (٢) أسبغوا الخبر : كسفه والوقوف على حقيقة ، في
 المراهب : أسبغوا فعل ماض . (٣) عري : (يضم المهمل) سكن ، أورد :
 ولا أداة . (٤) لن ترأوا : أي ليس هناك شيء تحتوه .

وأما حيأؤه وإغضاؤه صلى الله عليه وسلم

- والحيَاء : رِقَّةٌ تَعْتَرِي وجه الإنسان عند فعل ما يُتَوَقَّع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله . والإغْضَاء : التفاضل عما يكره الإنسان بطبيعته ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حيَاءً ، وأكثرهم عن العورات إغْضَاءً ، وقد أخبر الله تعالى بحياته فقال : «إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ»^(١) وعن أبي سعيد الخدري :
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حيَاءً من القدرَاء في خديها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه . وكان صلى الله عليه وسلم لا يُسَافِهُ أحدا بما يكرهه حياة وكرم نفس . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول : «ما بال أفوام يصنعون — أو يقولون — كذا» ينهى عنه ولا يسمي فاعله . وروى أنس رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل به أثرُ صُفْرَةٍ ، فلم يقل له شيئا — وكان لا يؤاوجه أحدا بما يكره — فلما خرج قال : «لو قلم له ينسل هذا» وروى «يترعها» . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان من حياته لا يثبت بصره في وجه أحد ، وأنه كان يكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره ، صلى الله عليه وسلم .

- وأما حُسن عِشرته وأدبه وَبَسْطُ خُلُقِهِ صلى الله عليه وسلم
- فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس عِشْرَةً ، وأكثرهم أدبا ، وأبسطهم خُلُقًا مع أصناف الخلق ، أنتشرت بذلك الأخبار الصحيحة ، منها ما رويناها بسند متصل عن قيس بن سعد قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها ، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا

ووطأ عليه بقطيعة، فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال سعد : يا قيس،
 أصعب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال قيس : فقال لى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « أركب » فأبيت، فقال : « إما أن تركب وإما أن تصرف » فأنصرفت،
 وفي رواية أخرى : « أركب أمانى فصاحب الدابة أولى بمقدمها » . وكان صلى الله
 عليه وسلم لا يدع أحدا يمشی معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبى قال :
 « تقدمنى إلى المكان الذى تريد » وركب صلى الله عليه وسلم حمارا عربيا إلى قباء،
 وأبو هريرة معه، فقال : « يا أبا هريرة أحملك ؟ » فقال : ما شئت يا رسول الله،
 فقال : « أركب » وكان فى أبى هريرة ثقل، فوثب ليركب فلم يقدر، فاستمسك
 برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقما جعيا، ثم ركب صلى الله عليه وسلم فقال :
 « يا أبا هريرة أحملك ؟ » فقال : ما شئت يا رسول الله، فقال : « أركب » فلم
 يقدر على ذلك ، فعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقما جعيا ، ثم قال :
 « يا أبا هريرة أحملك ؟ » فقال : لا ، والذى بعثك بالحق لا صرعتك ثالثا . وكان
 لا يدع أحدا يمشی خلفه ويقول : « خلوا ظهري لللائكة » . وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يؤلف أصحابه ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤلفه عليهم،
 ويحذر الناس ويمتسح منهم ، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه،
 يتفقد أصحابه، ويعطى كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جلساءه أن أحدا أكرم عليه
 منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأل
 حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
 لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء، هكذا وصفه ابن أبى حاتم، قال : وكان دائم
 البشر سهل الخلق لئى الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب^(١) ولا تخاش،

(١) سخاب : السخب والصخب الصياح، أى ليس بذى صياح ولا بذى خش .

- ولا عَيَاب ولا مَدَاح ، يتناقل عما لا بُشْتَى ولا يُؤْتَى منه . وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ، ولو كانت كُرَاعاً ، وَيُكَافِي عليها ، قال أنس : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أَفَّ قَطُّ ، وما قال لشيء صنعته لَمْ صَنَعْتَهُ ، ولا لشيء تركته لَمْ تَرَكَتْهُ ، ومن رواية أخرى عنه قال : خدمته نحواً من عشر سنين فوافقه ما محببته في سفر ولا حضر لأخذه إلا وكانت خدمته لي أكثر من خدمتي له ، وما قال لي أَفَّ قَطُّ ، ولا قال لشيء فعلته لَمْ فَعَلْتْ كَذَا ، ولا لشيء لم أفعله إِلَّا فَعَلْتْ كَذَا ؟ . وكان صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل : يا رسول الله ، على ذَبْحُهَا ، وقال آخر : على سَلْحُهَا ، وقال آخر : على طَبْحُهَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعلى بَجْعِ الحطَب » قالوا : يا رسول الله ، نحن نكفيك ، فقال : « علمت أنكم تكفونى ولكنى أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه مميزاً بين أصحابه » وقام بجمع الحطَب . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان أحد أحسن خُلُقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : « لييك » وكان يُمَازِح أصحابه وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي جِجْرِهِ ، وَيَجِيبُ دَعْوَةَ الْحُرِّ وَالْعَبْدِ وَالْأَمَةِ وَالْمِسْكِينِ ، وَيَسُودُ الْمَرْضَى فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ ، وَيَقْبَلُ عَذْرَ الْمُتَعَذِّرِ ، قال أنس : ما التَقَمْتُ ^(١) أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحني رأسه حتى يكون الرجل هو الذى ينحني رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ، ولم يَرْمُقْهُمَا رَكْبَتَهُ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ ، وكان يبدأ من لقيه بالسَّلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، لم يَرْمُقْهُمَا مَادَا رَجُلِهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ حَتَّى يُضَيِّقَ بِهِمَا عَلَى

(١) كراع كتراب : مستحق الساق العارى من اللحم .

(٢) معنى التقم هنا : جعل فمه يحاذي أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحد ، يكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التي تحته ، ويكرم عليه في الجلوس عليها إن أبي ، ويكني أصحابه ، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريماً لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهي أو قيام ، و يروى : باتهاء أو قيام ، و يروى : أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فإذا فرغ عاد ، إلى صلاته ، وكان أكثر الناس تائباً ، وأطيبهم نفساً ، ما لم يزل عليه قرآن أو يعظ أو يحطّب .

وأما شفقته ورافته ورحمته صلى الله عليه وسلم لجميع الخلق

فقد أخبر الله تعالى بذلك ووصفه بهذه الأوصاف ؛ فقال تعالى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » فكان من شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم ، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء »^(١) وخبر صلاة الليل ، ونهيهم عن الوصال ، وكراهيته دخول الكعبة ثلاثاً متتاليات^(٢) ، ورجيته لربه أن يجعل سببه ولعنه لهم رحمة ، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجاوز في صلاته . ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال : « أيما رجل سبته أو لعنته أو جعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاته وطهوراً وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة » . ومن ذلك أنه لما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له :

(١) آية ١٢٨ سورة التوبة . (٢) آية ١٠٧ سورة الأنبياء .

(٣) الوصال في الصوم : ألا يفطر يومين أو أياماً . (٤) ينت : يشق عليهم ،

أي بالاذحام . في حاشي جـ « في نسخة يمتب أمته » . (٥) يجوز : يخفف ويقلل .

(٦) صلاة : دعاء .

- إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردقوا عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فتاداه ملك الجبال وسلم عليه ، فقال : مرني بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم ^(١) الأخشيين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يبد الله وحده ولا يشرك به شيئا » . وروى ابن المنكدر : أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك ، فقال : « أؤثر عن أمي لعل الله أن يتوب عليهم » . ومن ذلك ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يُبْلَغني أحدٌ منكم عن أحد من أصحابي شيئا ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » . وقال ابن مسعود : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْشَوْنَ بالموعظة مخافة السامة علينا ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

١٠ وأما وقاؤه وحسن عهده وصلته للرحم صلى الله عليه وسلم

- فكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ من ذلك الغاية التي لا يدرك شأوها ، ولا يُبْلَغ مدّاها ، ولا يطعم طامع سواء بالانصاف بها ، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة ، من ذلك ما روينا بإسناد متصل عن عبد الله بن أبي الحنساء قال : بايعت النبي صلى الله عليه وسلم بيع قبل أن يبعث ، وبقيت له بقية فوعده ^{١٥} أن آتيه بها في مكانه ففسيت ، ثم ذكرت بعد ثلاث ، فجئت فإذا هو في مكانه ، فقال : « يا فتى لقد شقت عليّ أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك » . وعن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بهدية قال : « آذّبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة » . وعن عائشة

(١) الأخشيان : جيلان مطيفان بمكة وهما أبو قيس والأحر .

(٢) يخشونا : يتهذبا ، من قولهم : فلان خائف مال ؛ وهو الذي يصلحه ويقوم عليه .

أَمُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَا غِرْتُ عَلَى أَمْرَاءَ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةٍ ،
 لَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا ، وَإِنْ كَانَ لِيَذِجُ الشَّاةَ فَيَهْدِيهَا ^(١) خِلَافَهَا ، وَأَسْتَأْذِنُ
 عَلَيْهِ أَخْتَهَا فَارْتِاحَ إِلَيْهَا ، وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ أَمْرَاءَ فَهَشَّ لَهَا ، وَأَحْسَنَ السُّؤَالَ عَنْهَا ، فَلَمَّا
 خَرَجْتُ قَالَ : « إِنَّمَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةٍ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ » .
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ آلَ أَبِي فَلَانٍ لِيَسْوَإِي بِأَوْلِيَاءٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ
 رَحِمَا سَأَلُهَا بِبِلَالِهَا ^(٢) » . وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ : وَقَدْ وَقَّدَ لِلنَّجَاشِيِّ ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْدُمُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : نَكْفِيكَ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمْ لَا صَحَابَتَنَا مُكْرِمِينَ
 وَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَكْفِيَهُمْ » . وَلَمَّا جَاءَ بِالشَّيْءِ أَخْتَهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ فِي سَبَايَا هَوَازَانَ
 وَتَعَرَّفَتْ لَهُ ، بَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ ، وَقَالَ لَهَا : « إِنْ أَحْبَبْتَ أَقْبَلْتُ عِنْدِي مَكْرَمَةً مُجَبَّةً
 أَوْ مَتْنَتَكَ وَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِكَ » فَأَخْتَارَتْ قَوْمَهَا فَتَمَّهَا . وَقَالَ أَبُو الطَّاهِلِيُّ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا غُلَامٌ ، إِذْ أَقْبَلْتُ أَمْرَاءَ حَتَّى دَنَّتْ مِنْهُ ، فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ
 فَخَلَسْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : أُمُّهُ الَّتِي أَرْضَعْتَهُ . وَعَنْ عَمْرِو بْنِ السَّائِبِ ^(٣)
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا يَوْمًا فَأَقْبَلَ أَبُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَوَضَعَ
 لَهُ بَعْضُ ثَوْبِهِ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ أُمُّهُ فَوَضَعَ لَهَا شَيْئًا ثَوْبَهُ مِنْ جَانِبِهِ الْآخَرِ .
 فَخَلَسْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاجْلَسَهُ
 بَيْنَ يَدَيْهِ . وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى ثَوْبِيَّةَ مَوْلَاةَ أَبِي لَهَبٍ مُرْضِعَتَهُ بِصَلَّةٍ وَكُسُوفَةٍ ، فَلَمَّا
 مَاتَتْ سَأَلَ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ قَرَابَتِهَا فَقِيلَ : لَا أَحَدٌ . وَفِي حَدِيثٍ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(١) خِلَافَهَا صَوَابُهَا . (٢) الْعَهْدُ : يَرِيدُ الْحِفَاطَ وَرِعَايَةَ الْحَرَمَةِ .

(٣) (البلال) جمع بلل ، وقيل : كل ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره ؛ أى أحلكم في الدنيا
 ولا تغتسلوا من الله شيئا . (٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَالْمَوَاقِبِ ٤ : ٢٧٦ وَقَالَ شَارِحُهَا :

« تَوَابَهُ عَمْرٌ » . وَهُوَ فِي التَّهْذِيبِ « عَمْرٌ » أَيْضًا .

أنها قالت له صلى الله عليه وسلم في ابتداء النبوة : أبشر فوالله لا يُخزيك الله أبداً ،
إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ،^(١) وتكسب المعدوم ،^(٢) وتقري الضيف ، وتعين
على نوائب الحق^(٣) .

وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم مع علو منصبه ورفعة مرتبته
فكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعاً ، وأقلهم كبراً ، وقد جاء أنه
خير من أن يكون نبياً ملكاً ، أو نبياً عبداً ، فأختار أن يكون نبياً عبداً ، فقال له
إسرافيل عند ذلك : فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم
القيامة ، وأول من تفتح الأرض عنه ، وأول شافع . وما رويناه بسند متصل عن
أبي أمامة قال : نرجع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكفاً على عصا ، فقمنا
له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظم بعضها بعضاً » . وقال : « إنما
أنا عبد آكل كل يوم كفاً من العبد وأجلس كما يجلس العبد » وكان يركب الحمار ، ويُرَدِّف
خلفه ، ويسود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس
بين أصحابه مختلطاً بهم ، حيث ما انتهى به المجلس جلس ، وعن أنس : أن امرأة
كانت في عقلها شيء جامد فقالت : إن لي إليك حاجة ، قال : « اجلسي يا أم فلان
في أي طرُق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضى حاجتك » قال : جلست بفلس
النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها . قال أنس : سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على رجل رث عليه قتيعة ما تساوى أربعة دراهم ، فقال :

(١) لا يزيك : لا يذل ولا يهينك .

(٢) الكل : الفضل من كل ما يتكف ، والكل الليال .

(٣) تكسب : تعمل الناس الشيء . المعدوم عديم وتوصله إليهم .

(٤) النوائب : ما يزل من المحاربات والمهمات .

« اللهم أجمله تحباً لا رياء فيه ولا شئمة » . هذا وقد أهدى في حجه ذلك مائة بدنة ، ولما فتحت عليه مكة دخلها وقد طأطأ رأسه على رَحْله حتى كاد يمس قاعدته تواضعاً لله تعالى .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لما دخل مكة جاءه أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأبيه ليُسَلِّمَ فقال : « لِمَ عَنَيْتَ الشَّيْخَ يَا أبا بكرٍ إِلَّا تَرَكْتَهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِي مَنْزِلِهِ » وقد تقدم ذكر ذلك في الفتح . وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضى الله عنهم ، في صفته صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يزيد على بعض ، أنه كان صلى الله عليه وسلم في بيته في مِهْنَةٍ أَهْلُهُ ، يَقْبَلُ تَوْبَةَ ، وَيَجْلِبُ شَأْنَهُ ، وَيَرْقَعُ ثَوْبَهُ ، وَيُصَيِّفُ نَسْلَهُ ، وَيُغْدِمُ نَفْسَهُ ، وَيَقِمُ الْبَيْتَ ، وَيَقْبِلُ الْبَعِيرَ ، وَيَتَلَفَّ نَاحِيَهُ ، وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ ، وَيَسْجُنُ مَعَهَا وَيَجْلِسُ بِضَاعَتِهِ مِنَ السُّوقِ . وعن أنس : أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنتطلق به حيث شامت حتى يقضي حاجتها . ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة فقال له : « هُوَ عَلَىكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ أَمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَأْكُلُ الْقَدِيدَ » . وعن أبي هريرة قال : دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فأشترى سَرَاوِيلَ ، وقال للوزان « زَنْ وَأَرْجُحْ » وذكر القصة ، قال : فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فغضب يده ، وقال : « هَذَا يَضِلُّهُ الْأَعْجَمُ بِمُلُوكِهَا وَلَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا

(١) عنه : كلفه ما يشق عليه . (٢) المهنة : الخدمة ، ومهنة أهله خدمتهم .

(٣) يقبل : يزيل ما التزق به من قل غيره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم نور ، والفضل من الروح ، وهو

تظليل طاهر . (المواهب : ٤ : ٣١٧) . (٤) انخسف : ترقيق التل .

(٥) يتم : يكس . (٦) الناح : الجبل ، أو الجبل الذي يحمل الماء من الشبر أو بئر .

(٧) : الأمر المحقق .

أنا رجل منك » ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال : « صاحبُ الشيءِ أحقُّ
بشيئِهِ أن يحمله » . وقد ذكر الأئمين العاصميّ بعض ذلك في قصيدة له فقال :

	يا جاعلاً سنن النبي	شماره ودياره ^(١)
	مُتمسكاً بحديثه	متبعاً أخباره
٥	سنن الشريعة خُذ بها	منوّحاً آثاره ^(٢)
	وكذا الطريقة فأتبش	في سُبُلها أنواره
	قد كان يقوى ضيقه	كرماً ويحفظ جاره
	ويجالس المسكين يؤ	يرُقربه وجواره
	الفقر كان رِداءه	والجوع كان شماره
١٠	يلقى بغُزّة ضاحك	متبشراً زواره
	بسط الرِّداء كرامة	لكريم قوم زاره
	ما كان عُثْلاً ولا	مَرِحاً يَحْزِرُ إزاره ^(٣)
	قد كان يرتب بالرِّديد	يف من الخُضوع حماره
	في مِهْنة هو أو صلا ^(٤)	ة ليله ونهاره
١٥	فتراه يحلب شاة من	زله ويوقد ناره
	ما زال كهف مهاجره	له ومُكرماً أنصاره
	براً بجنهم مُقي	لأليسي عِشاره
	يهب الذي تحوى يدا	ه لطالب إشاره

٩٥
١٦

(١) الدتار: الثوب فوق الثمار . (٢) منوّحاً : متعلّياً بآثاره . (٣) يقوى : يعلم .

(٤) القرة : بياض الوجه . (٥) المرح : الأغر والبهر والبيهر والاختيال .

(٦) المهمة : الخلفة .

زَكَّى عَنْ الدُّنْيَا الدِّينَ يَتَرَبُّهُ بِمِقْدَارِهِ
جَعَلَ إِلَهًا صَلَاحَهُ أَبَدًا عَلَيْهِ نُبَارُهُ^(١)
فَأَحْتَرَّ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَا كَانَ الرَّسُولُ أَخْتَارَهُ
لِتُعَدَّ سُنِّيًّا وَتُؤَدَّ شِكَّ أَنْ تَبْثُورَ دَارُهُ^(٢)

وأما عدله وأمانته وعِفِّته وصدق هَمَجته

صلى الله عليه وسلم

فكان صلى الله عليه وسلم أعدل الناس، وآمن الناس، وأَعَفَّ الناس، وأصدق الناس هَمَجَةً منذ كان، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «واقه إني لأمين في السماء أمين في الأرض» وقد صدقه عداؤه في مواطن كثيرة تقدم ذكرها، وقد قدمنا قوله صلى الله عليه وسلم للرجل: «ويحك إن لم أعدل فن يعدل يخبئ وخسرت إن لم أعدل». وقال ابن خالويه: جزأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاره ثلاثة أجزاء: جزأ لله، وجزأ لأهله، وجزأ لنفسه، ثم جزأ جزأ بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: «أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغني فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أنفه الله يوم الفزع الأكبر». وعن الحسن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يأخذ أحدًا بقرص^(٣) أحد ولا يصدق أحدًا على أحد» صلى الله عليه وسلم، ولم تمس يده امرأة قط لا يملك رقبها أو نكاحها أو تكون ذات محرم».

(١) الثار: ما يلحق منفردا. شبه الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوقوف المنثور.

(٢) تَبْثُورًا: تزل وسكن.

(٣) يماس به: «توقفت الرجل بسوء طئته به أو ريبته به» وقرنه بالأمر إذا أحاطه إليه.

وَأَمَّا وَقَارُهُ وَصَمَتُهُ وَتَوَدُّهُ وَمُرُوءَتُهُ

وَحَسَنُ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- فقد روينا بإسناد متصل عن خارجة بن زيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه . وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس أحتجى بيديه ، وكذلك كان أكثر جلوسه محتجيا . وعن جابر بن سمرة : أنه ترع ، وربما جلس القرقصاء ، وكان كثير الشكوت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يرض عن تكلم بنجر جميل ، وكان صمكة تسميا وكلامه فضلا لا فضول ولا تقصير ، وكان ضحك أصحابه عنده التهم توقيرا له وأقتداء به ، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تؤين فيه الحرم ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير . وفي صفته : يخطو تكفؤا ويمشي هوتا كأنما يخط من صعب . وفي الحديث الآخر : « إذا مشى متى مجتمعا ، يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل ؛ أي غير خفي ولا كسلان . وقال عبد الله بن مسعود : إن أحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم . وعن جابر بن عبد الله : كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل ، قال ابن أبي هالة : كان سكوته على أربع : على الحلم ،

٩٦
١٦

- (١) الاحتيا : أن يعتمد على سابقه ويده . (٢) يماش به : « القرضاء : جلسة المحتجى بيديه ، يقال : قرض إذا شد يديه تحت رجليه ، والمبروض السابق إلى البطن يتوب » . (٣) فضلا : يناء ، ظاهرا بفعل بين الحق والباطل ، كقوله تعالى : « إنه لقول فصل وما هو بالهزل » . (٤) تؤين : أي يمان مجلسه من رث القول ولا تذكر فيه الحرم بغيره . (٥) تكفأ : تمايل إلى قدام ، وروى غير مهوز « تكفى تكفيا » . (٦) هوتا : المرون الرق واللين واللين . (٧) الصبب : الموضع المنحدر . (٨) التريل : التاني والاهل ، و« ار » إشارة إلى أنه روى بكل منهما وروى بالواو فهو عطف تخسير .

والحدو، والتقدير، والتفكر . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لم يقدّم له أحد لأحصاه . وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويحس عليها ويقول : « حُبُّ آلِ مَنْ دُنِيَائِكُمُ النِّسَاءُ ، والطيب وجُنت قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » . ومن مروته صلى الله عليه وسلم فيه عن النخع في الطعام والشراب ، والأمر بالأكل مما على ، والأمر بالسواك ، وإيقاء البرائح ^(١) والروائح ، واحتمال خصال الفطرة . صلى الله عليه وسلم تسلياً كثيراً أبدا دائماً إلى يوم الدين ، آمين .

وأما زُهدُه في الدنيا صلى الله عليه وسلم

فحسبك من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم توفى وودعه مرهونة عند يهودى في فقة عياله ، بعد أن فتح الله عليه من الفتوحات ما ذكرناه ، وآتاه من الأنحاس والصفايا ^(٢) ما قدمناه ، فأثر بذلك كله ، وكان يقول : « اللهم أجعل رزق آلِ عبدِ قوتاً » وسند ذكر إن شاء الله تعالى في أحواله ما ناله من شدة العيش والجوع ما تقف عليه هناك . قالت عائشة رضى الله عنها : لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودّاً في بطنى شئٍ يأكله ذو كبدٍ إلا شطر شعير في رَق لي ، وقال لي : « إني عُرض على أن تُجعل لي

(١) في حاشية ج : « البرائح وروس السلايات من ظاهر الكف إذا قبض القابض كفه فشرت ، واحتمياً بريحة ، والروائح : بطون السلايات ، واحتمياً واجبة ، والسلايات واحتمياً سلاى ، وهى الظلم التى بين كل فصيلين من فصول الأصابع ، ويقال لها الفصوص » .

(٢) الفطرة : الإسلام ، والفطرة هنا مائة الأنبياء عليهم السلام التى أمر الله بأناسهم
(٣) الصفايا جمع صفة : ما يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الفدية .
(٤) أربفك : فضل وقدم ، أى أعطاه لغيره من قراء المسلمين .
(٥) قوتاً : قليلاً يكتفى به الرزق .

(٦) شطر شعير : قيل : المراد به بعض شعير أو نصف منه . قاله في شرح المواهب ، والرف (بفتح واو) : شبه الطاق في الحائط . (المصاح) .

يُطْعَمُ مَكَّةَ ذَهَبًا ، قُلْتُ لَا يَا رَبَّ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبِعُ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ فَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ وَأَدْعُوكَ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي أَشْبِعُ فَأَمْنُكَ وَأَنْثَى طَبِيعِكَ .
 وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ يَقْرَأُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا ، وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتُ ؟ »
 فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : « يَا جِبْرِيلُ ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ قَدْ يَجْمَعُهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ » فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ : نَبِّئْكَ اللَّهُ بِأَعْدَادِ الْقَوْلِ الْبَاقِي .
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا خَوْفُهُ رَبَّهُ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ ، وَشِدَّةُ عِبَادَتِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ فِيهِ رُوَيْنَاهُ بِسَنَدٍ مُتَّصِلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ : إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » . وَمِنْ رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ : « إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطْلَيْتِ السَّمَاءَ وَحَقَّقْتُهَا أَنْ تَنْطِقَ مَا فِيهَا مَوْضِعَ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا فِيهَا مَلَكٌ سَاجِدٌ لِلَّهِ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ ، وَاقَّةٌ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَنُخْرِجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ^(١) » . رَوَى هَذَا الْكَلَامَ : « وَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ » مِنْ قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ

(١) أَلُحْتُ : الْأَطْيَطُ صَوْتُ الْأَقْطَابِ ؛ أَيِ إِنْ كَثُرَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَقْلَمَهَا حَتَّى أَلُحْتُ ، هَذَا مِثْلُ ،

وَلَيْسَ هَذَا أَطْيَطُ .

(٢) الصُّعُدَاتُ جَمْعُ صُعْدَةٍ : وَهِيَ فُتَا . بَابُ اللَّهِ أَرَادَ عَمَرَ النَّاسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَتَجَارُونَ : تَرْفَعُونَ

أَصْوَاتَكُمْ . (٣) تُعْضَدُ : تُقْلَعُ .

نفسه وهو أصح. وفي حديث آخر: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه. وفي رواية: كان يصلي حتى ترم قدماه، فقبل له أن تكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكورا».

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة^(١)، وأيكم يطيق ما كان يطيق. وقالت: كان يصوم حتى تقول لا يفطر، ويفطر حتى تقول لا يصوم. وكان صلى الله عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، وقل ما كان يفطر يوم الجمعة، وأكثر صيامه في شعبان. وقال عوب بن مالك: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فأسناك ثم توضأ ثم قام فصلى فقامت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتموذ، ثم ركب فكث بقدر قيامه يقول: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة» ثم سجد، وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة بفعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله، وقال: سجد نحواً من ثمانمائة، وجلس بين السجدين نحواً منه، وقال: حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشَّخِير قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلجوفه أزيز^(٢) كأزيز المرجل. وقال ابن أبي هالة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة. وقال صلى الله عليه وسلم: إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وروى سبعين مرة. وعن علي

(١) ديمة: في النهاية: الديمة المطر الدائم في سكون، شبهت عمله في دوامه مع الاقتصاد

بديمية المطر.

(٢) أزيز: صوت الظبان، أي حنين من الخوف، وقيل: هو أن يحش جوفه وينل بالباء، والمرجل: الإثاء من نحاس ينل فيه الماء، وقيل: الإثاء الذي ينل فيه الماء مطلقاً.

أَبْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ سِتْرِهِ فَقَالَ : « الْمَعْرِفَةُ رَأْسُ مَالِي ، وَالْعَقْلُ أَصْلُ دِينِي ، وَالْحُبُّ أَسَاسِي ، وَالشَّوْقُ مَرْكَبِي ، وَذِكْرُ اللَّهِ أُنَيْسِي ، وَالثِّقَةُ كَثْرَتِي ، وَالْحُزْنُ رَفِيقِي ، وَالْعِلْمُ سِلَاحِي ، وَالصَّبْرُ زَادِي ، وَالرِّضَا غَنِيمَتِي ، وَالْعِزُّ نَفْسِي ، وَالزُّهْدُ حَرْقِي ، وَالْيَقِينُ قُوَّتِي ، وَالصَّدَقُ شَفِيعِي ، وَالطَّاعَةُ حَسْبِي ، وَالْجِهَادُ خُلُقِي ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « وَثَمَرَةُ فَوَادِي فِي ذِكْرِهِ ، وَغَمِّي لِأَجْلِ أُمِّي ، وَشَوْقِي إِلَى رَبِّي » . وَلِنَصِلَ هَذِهِ الْفُصُولَ الَّتِي شَرَحْنَاهَا فِي صِفَاتِهِ الْمَعْنَوِيَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا وَرَدَ مِنْ طِيبِ رِيحِهِ ، وَعَرَّفَهُ ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى .

ذَكَرَ نَبْذَةً مِمَّا وَرَدَ فِي نِظَافَةِ جَسَدِهِ ، وَطِيبِ رِيحِهِ ، وَعَرَفَهُ

- ١٠ وَزَانَهُ عَنْ الْأَفْذَارِ وَعَوَارَاتِ الْجَسَدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ بِمُخَصَّصَاتٍ لَمْ يَوْجَدْ فِي غَيْرِهِ ، وَمَنْعَهُ مِنْهَا لَمْ تَكُنْ فِي سِوَاهُ ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَيْنَاهُ عَنْ مُسْلِمٍ أَنَّ الْحِجَابَ بِإِسْنَادِهِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا شَمَمْتُ غَيْرًا قَطُّ وَلَا مِسْكَ وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسَحَ خَدَّهُ ، قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا وَرِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةٍ عَذْرَاء . قَالَ غَيْرُهُ : مَسَحَ بِطِيبٍ أَوْ لَمْ يَمَسَّهَا ، بِصَافِ الْمَصَافِغِ فَيُظِلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحَهَا ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيَعْرِفُ مِنْ بَيْنِ تَصْبِيَانِ بَرِيحِهَا . وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ فِي دَارِ أَنَسِ فَمَرَّقَ ، بَغَاءَتِ أُمُّ أَنَسٍ بِقَارُورَةٍ تَجْمَعُ فِيهَا عَرَقُهُ ، فَسَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ

٢٠ (١) حَسْبِي (بِالْفَتْحِ) : أَيُّ مَا أَصْغَرُهُ ، وَ(بِالْكَوْنِ) أَيُّ الطَّاعَةِ كَتَبَنِي .

(٢) الْحَوَافِ (بِالضَّمِّ) : الَّتِي يَمْدُ فِيهَا الطِّيبُ وَيَجْرَى .

فقلت : نجله في طيننا وهو من أطيب الطيب . وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمز في طريق فينبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه . وذكر إسحق بن راهوييه : أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم . وروى المزني^(١) عن جابر قال : أردفتي النبي صلى الله عليه وسلم فالتصمت خاتم النبوة بقي على مسكا . ونقل القاضي عياض بن موسى قال : حكى بعض المتأخرين بأخباره وشماله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتفوط أشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله ، وفاحت لذلك رائحة طيبة . وأسند محمد بن سعد في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تأتي الخلاء ولا يرى منك شيء من الأذى . فقال : « يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء » قال القاضي عياض : وهذا الخبر إن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل المسلم بطهارة الحديثين منه صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك حديث علي بن أبي طالب في الوفاة وسند كره إن شاء الله تعالى . وقد جاء عن أمه آمنة أنها قالت : ولدته نظيفا بابه قذر . صلى الله عليه وسلم . ولتخت هذه الفصول بحديث هند بن أبي هالة لجمعه بين صفاته صلى الله عليه وسلم الذاتية والمعنوية . والله أعلم .

ذكر حديث هند بن أبي هالة

وما تضمن من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاتية والمعنوية
حدثنا الشيخان المحدثان شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن يعقوب
الحلبي ، وزين الدين أبو محمد عبد الحق بن قيتان بن عبد المجيد القرشي - رحمهما
الله - قراءة عليهما وأنا أسمع في شهر رجب عام ثمانية وسبعائة ، قالوا : حدثنا الشيخ

- أبو الحسن محمد بن أبي عليّ - الحسين بن عتيق بن ريشي الرمي المالك سمع في شوال سنة ثمان وستين وسقاة بمصر، وبقراءة الشيخ زين الدين الثاني على الشيخ نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسن بن الخليل، وبإجازتهما من الحافظ أبي الحسين يحيى ابن علي بن عبد الله القرشي، وتاج الدين علي بن أحمد بن القسطلاني، قالوا أخبرنا أبو الحسين محمد بن أبي جعفر أحمد بن جبير الكافي، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي إجازة، قال أخبرنا القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي - رحمه الله تعالى، قال ابن القسطلاني: وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء إجازة، قال أخبرنا أبو الفضل عياض إجازة، قال القاضي أبو الفضل حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقرائه عليه سنة ثمان وخمسة، قال حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله ابن طاهر التميمي، قال قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوري، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحدثي، والقاضي أبو عليّ الحسن بن علي بن جعفر الوخشي^(١)، قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزامي، قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سيرة الحافظ، قال حدثنا سفيان بن وكيع، قال حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي - إملاء من كتابه، قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، يكنى أبا عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال سألت خالي هند بن أبي هالة. قال القاضي أبو عليّ - رحمه الله: وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خنذاذ الكرخي الباقلي، قال
- (١) الوخشي نسبة إلى بلد بنواش بلخ، وأنه في شرح القاموس: الحسن بن علي بن محمد بن جعفر.

وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خَيْرُون ، قال أخبرنا
أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مِهْرَان
الفراسي ، قراءة عليه ، فأقر به ، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى
أَبْنُ الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ، علي
أَبْنُ أَبِي طالب المعروف بابن أبي طاهر العلوي ، قال حدثنا إسماعيل بن محمد
أَبْنُ إِبْرَاهِيمَ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، قال :

٩٩
١٦

حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أخيه موسى بن جعفر
ابن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن علي بن الحسين قال قال
الحسن بن علي — واللفظ لهذا السند — : سألت خالي هند بن أبي حالة عن حِلَّةِ^(١)
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان وصافا ، وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئا
أتعلق به ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نخما مفعما^(٢) يتلأأ^(٣) وجهه تَلَأُوْ
القمر ليلة البدر ، أطول من المَرْبُوع ، وأقصر من المَشْدَب ، عظيم الهامة ، رجل
الشعر ، إن انفترقت عَفِيقَتُهُ قَرَقَ^(٤) ، وإلا فلا يماوز شعره قَحْمَةُ أُذُنِهِ إِنْ هُوَ وَفَرَ ،
أَزْهَرُ اللَّوْنِ ، واسع الجبين ، أزج^(٥) الحواجب ، سَوَائِغُ^(٦) من غير قرن ، بينهما عِرْقُ

(١) الحلية : الزينة ، والصفة . (٢) نخم : عظيم ، أي عظيمًا معًا في الصدور والعيون .

(٣) المَشْدَب : الطويل البائن الطول مع قص في حقه . (٤) الهامة : الرأس .

(٥) رجل الشعر : بين الجعودة والسيوطة . (٦) انفترقت عَفِيقَتُهُ ، ويرى : مقبضته ،
أي إن صار شعره فرقين بنفسه في مفهرك تركه ، وإن لم ينفرك لم يفركه .

(٧) أزهر اللون : أي نيره ، والأزهر الأبيض المستبر ، وهو أحسن الألوان .

(٨) وهو ما فوق الصدغين وهما جبينان ، والمراد بسمتها امتدادها طولًا وعرضًا ، وذلك محمود ،

وقد مضى : صلت الجبين : أي واضح . (٩) أزج الحواجب : الأزج تجوس في الحاجب مع

طول في طرفه وامتداد ، النهاية ، وفي القاموس : دقة الحاجبين في طول .

(١٠) سوائغ : ناعمة طويلة .

يُفَرِّقُهُ النَّصَبُ ، أَفْقَى الْعَرْنَيْنِ ، لَهُ نَوْرٌ يَلْوَهُ ، وَيَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشْمٌ ، كَثَ (١١) (١٢)
 الْحِمَّةِ ، أَدْمَجَ ، سَهْلَ الْخَلْدَيْنِ ، ضَلَّيْعَ الْقَمِ ، أَشْنَبَ مُفْلَجِ الْأَسْنَانِ ، دَقِيقَ الْمُسْرَبَةِ ، (١٣) (١٤)
 كَانَ عَنْقُهُ جَيْدٌ دَمِيَّةٌ فِي صِفَاءِ الْفِضَّةِ ، مَعْتَدِلُ الْخَلْقِ ، بَادِنَا مَتَّاسِكَا ، سَوَاءَ الْبَطْنِ (١٥)
 وَالصَّدْرِ ، مُشِيعُ الصَّدْرِ ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمُتَكِينِ ، ضَمُّ الْكَرَادِيسِ ، أَنْوَرُ الْمُتَجَرِّدِ ، (١٦) (١٧)
 مَوْصُولُ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالشَّرَةِ بِشَعْرٍ يَجْرَى كَالْخَطِّ ، عَارِيُ التَّنْدِينِ ، مَا سَوَى (١٨)
 ذَلِكَ ، أَشْعَرُ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمُتَكِينِ وَأَعَالَى الصَّدْرِ ، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ ، رَحْبُ الرَّاحَةِ ،
 شَتْنُ الْبَكْفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلُ الْأَطْرَافِ ، أَوْ قَالَ سَائِنُ الْأَطْرَافِ ، سَبْطُ الْقَصَبِ ، (١٩) (٢٠)

- (١) يَدْرُهُ : يَلْوُهُ دَمَا كَمَا يَمْتَلُ الضَّرْعُ لَبًا إِذَا دَرَّ .
 (٢) أَفْقَى الْعَرْنَيْنِ : الْقَنَا فِي الْأَفْرِ دَقَّةُ أَرْنَبَةٍ مَعَ حَذْبٍ فِي وَسْطِهِ ، وَالْعَرْنَيْنِ الْأَفْ .
 (٣) أَشْمٌ : الشَّمُّ أَرْخَاقُ قَصَبِ الْأَفْرِ وَاسْتَوَاءُ أَعْلَاهَا وَإِشْرَافُ الْأَرْنَبَةِ قَلِيلًا .
 (٤) كَثَ الْحِمَّةِ : كَثَّفَهَا فِي غَيْرِ دَقَّةٍ وَلَا طَوْلٍ .
 (٥) أَدْمَجَ : التَّنْدِيدُ سَوَادُ الْعَيْنِ مَعَ شَدَّةٍ بَيَاضِهَا .
 (٦) ضَلَّيْعَ الْقَمِ : عَطِيَّةٌ ، وَقِيلَ : وَاسِعَةٌ .
 (٧) أَشْنَبَ ، الشَّنْبُ : الْبَيَاضُ وَالْبَرَقُّ وَالْحَدِيدُ فِي الْأَسْنَانِ .
 (٨) مُفْلَجٌ ، وَرَوَى : أَطْلَعَ الْأَسْنَانَ : الْفُلُجُ بِالْهَرَكِ : فَرْجَةٌ مَا بَيْنَ ثَنَائِيَا وَالرَّابِعَاتِ .
 (٩) الْمُسْرَبَةُ ضَمُّ الرَّاءِ وَتَحْمِهَا : مَا دَقَّ مِنْ شَعْرِ الصَّدْرِ سَائِلًا إِلَى الْخُفُوفِ .
 (١٠) الدَمِيَّةُ : الْحَمُودَةُ الْمُصَوَّرَةُ . (١١) سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ : مَسْتَوِيًا .
 (١٢) مُشِيعُ الصَّدْرِ : عَرِيضُهُ وَرَوَى : سَجَّ . (١٣) الْكَرَادِيسُ : دُرُوسُ النِّقَاطِ .
 (١٤) الْمُتَجَرَّدُ : مَا كَانَ مُنْكَشَفًا مِنْ جَسَدِهِ ، أَيْ مُشَرَّقَ الْجَسَدِ .
 (١٥) عَارِيُ التَّنْدِينِ ، وَرَوَى : التَّنْدُونِ : أَرَادَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ شَعْرٌ ، وَ (مَا سَوَى ذَلِكَ)
 لَيْدُ التَّنْدِينِ .
 (١٦) شَتْنٌ : أَيْ يَمِيلَانِ إِلَى التَّنَظُّفِ وَالْقَصْرِ . (١٧) سَائِلُ الْأَطْرَافِ : أَيْ غَمْدُهَا .
 (١٨) سَبْطُ الْقَصَبِ : سَبْطٌ بِسُكُونِ اللَّامِ وَكُسرِهَا : الْحَقَّةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهِ تَعْقِدٌ وَلَا تَنَوُّ ، وَالْقَصَبُ يَرِيدُ
 بِهَا سَاعِدِيهِ وَسَائِقِيهِ .

تُحصَنان^(١) الأُحصين^(٢)، مَسِيحُ الْقَدَمِينَ يَبُو عِنْمَا الْمَاءَ، إِذَا زَالَ زَالَ تَقْلَمًا، وَيَحْطُو^(٣) تَكْفُؤًا^(٤)، وَيَعْنَى هَوْنًا، ذَرِيعُ الْمَشْيَةِ^(٥)، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَحْطُ مِنْ صَبَبٍ^(٦)، وَإِذَا أَكْثَفَتْ أَكْثَفَتْ جَمِيعًا، خَائِضُ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جَلَّ نَظَرُهُ الْمَلَاخِظَةَ^(٧)، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ، وَيَبْدَأُ مِنْ لَقِيهِ بِالسَّلَامِ. قُلْتُ: صَفَّ لِي مِنْطَقَهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، وَلَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلُ السَّكُوتِ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ^(٨)، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَصَلًا لَا فَضُولَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ، دَمِنًا^(٩) لَيْسَ بِالْجَلْفِ وَلَا الْمُهِينِ^(١٠)، يَعْظُمُ التَّعَمُّةُ وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَدْنُمُ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ يَدْنُمُ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا يُقَامُ لِفَضْلِهِ إِذَا تَمَرَّضَ لِلْحَقِّ بِشَيْءٍ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلَا يَفْضُبُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَخْصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ

(١) تحصنان الأحصين : الأخص من القدم الموضع الذى لا يلمس بالأرض منها عند الوطء والخصان المبالغ فيه ، أى إن ذلك الموضع مع شديد التباين من الأرض .

(٢) مسيح القدمين : أى مساوان لئتان ليس فيهما تكبر ولا شقوق .

(٣) إذا زال زال تقلمًا : أراد قوة مشيه كأنه يرفع رجله من الأرض دفعا قويا لا كمن يمشى

اختيالا ويقارب خطاه فإن ذلك من مشى النساء .

(٤) يحطو تكفؤا : أى تمائل إلى قدام . (٥) يعنى هونا : أى في رفق غير غثال .

(٦) ذريع المشية : يريد أنه مع هذا الرفق صريح المشية .

(٧) يحط من صعب : الصعب الانحدار . (٨) الملاحظة : النظر بشئ العين الذى يلى الصدغ .

(٩) الأشدق : جوانب القم وإنما يكون ذلك لرجب شديقه ، والهرب تمتدح ذلك .

(١٠) فضلا لا فضول فيه : أى بين ظاهر بفضل بين الحق والباطل .

(١١) دمن : يعنى سهلانيا .

(١٢) ليس بالجلف ولا المهين : يريد أنه لا يهجو الناس ولا يهينهم ، ويرى : المهين بالفتح :

أى ليس بالقظ القليظ الجلف ، ولا الحقير الضعيف .

- قلّها ، وإذا تحدّث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح قصّ طرفه ، جُلّ فحكك التمس ، ويَقْتَرُ^(١) عن مثل حبّ النّهم . قال الحسن : فكتمتها الحسين بن علي زمانا ، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه ، فسأل أباه عن مدّخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخرجه ومجلسه وشكله ، فلم يدع منه شيئا ، قال الحسين : سألت أباي - عليه السلام - عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كان دخوله لنفسه مأثورا له في ذلك ، فكان إذا أتى إلى منزله جرت دخوله ثلاثة أجزاء : جزء لله تعالى ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه . ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس ، فبذّ ذلك على العامة بالخاصة ، ولا يتنصر عنهم شيئا ، فكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بإذنه ، قسّمته على قدر فضلهم في الدين ، منهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحاجتين ، فيتشاكل بهم ، ويُسَلِّطُهم فيما أصْلَحَهم والأمة من مسأته عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغني حاجته ، فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدسيه يوم القيامة » لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره .
- ١٥ قال في حديث سفيان بن وكيع : « يدخلون رَوَادَا ، ولا يتفرّقون إلا عن ذَوَاقٍ^(٢) ، ويخرجون أدلة^(٣) » ، يعني فقهاء ، قلت : فأخبرني عن تخرجه كيف كان يصنع فيه ، قال :
- (١) اتصل : وصل إحدى يديه بالأخرى ، ويرى « فصل » أي فصل كلامه بإشارته .
 (٢) أشاح : جد في الإعراض . وفي هامش به : « أي مال وأقبض » .
 (٣) يَقْتَرُ : يتقسم ، حب النّهم : البرد ، شبه تفرقه به .
 (٤) روادا : أي محتاجين ومطالبين لما عنده من النفع لهديتهم ودنياهم .
 (٥) ولا يتفرّقون إلا عن ذواق : « قيل عن علم يتعلمونه » كذا في هامش به أي يقوم لأنفسهم بأرواحهم بضم النّهم وشراب لأجسادهم .
 (٦) أدلة : جمع دليل جعلهم أنفسهم أدلة مباينة .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن لسانه إلا بما يسئهم ، ويؤلمهم ولا يفرحهم ، يكرم
 كريم كل قوم ويؤليه عليهم ، ويحذر الناس ويحذر من غير أن يطوى عن
 أحد يشره وخلفه ، ويفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسن
 الحسن ويعوّبه ، ويقبح القبيح ويؤهيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يتقل
 غفلة أن يتفعلوا أو يملؤا لكل حال عنده حاد^(١) لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى
 غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم
 عنده مفرقة أحسنهم مراساة ومؤازرة .

فأثله عن جلسته عما كان يصنع فيه ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ، ولا يؤمن^(٢) إلا ما كن ، وينهى عن إبطائها ،
 وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس وأمر بذلك ، ويعطى كل
 جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسته أن أحدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه
 لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يرده إلا بها
 أو بميسور من القول ، قد وبع الناس بسطه وخلفه فصار لهم أبا ، وصاروا عنده
 في الحق متقارنين متفاضلين فيه بالتقوى . وفي الرواية الأخرى : صاروا عنده في
 الحق سواء ، جلسته مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن
 فيه الحرم ، ولا تُثنى ثناته^(٣) — وهذه الكلمة من غير الروایتين — يتعاطفون ،

(١) حاد : أى ما يصلح لكل ما ينفع من الأمور .

(٢) لا يؤمن : « أى لا يفتد لمصلحة موطن معلوما ، وقد ورد فيه عن هذا مفسرا في غير هذا

الحديث » . كذا في هامش ج .

(٣) ثنى : تشاء وتغدا .

بالتقوى متواضعين ، يُوقِّرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب .

فسأله عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه ، فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا متعاب ولا لحاش ، ولا عتاب ، ولا بداح ، يتفاضل عما لا يُنتهى ولا يؤيس منه ، قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء ، والإثثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ولا يسيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا ، لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث أولم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويحجب مما يسجون منه ، وبصر للغريب على الحقوة ١٠ في المنطق ، ويقول : « إذا رأيتم ضاحبا الحاجة يطلبها فأرفدوه » ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يقبوزه فيقطعه باتهاء أو قيام . هنا انتهى حديث سُفيان بن وكيع .

وزاد الآخر ، قلت : كيف كان سكوتة صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان سكوتة على أربع : على الحلم والחסد والتقدير والتفكر ، فأما تقديره ففى تسوية النظر والاستمراع بين الناس ، وأما تفكره ففما يقى ويفى ، وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر ، فكان لا يُغضبه شيء يستغفره . وجمع له في الحذر أربع : أخذ بالحسن ، ليقتدى به ، وتركه القبيح ليبتئى عنه ، وأجتهاد الرأى بما أصلح أمته ، والقيام لم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة . صلى الله عليه وسلم . فهذه جملة كافية من أوصافه صلى الله عليه وسلم ، فلنذكر أحواله .

(١) يرفدون : يمتدون . (٢) تقدم شرح هذه الكلمات . (٣) الثناء : في هامش ج : « قوله : ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ : قيل مقتصد في بيان مدحه ، وقيل إلا من سلم ، وقيل إلا من مكافئ على ما سبق من النبي صلى الله عليه وسلم له » . وفي الأصول : الثناء ، وهو تصحيح .

ذكر أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في دنياه، وما ناله من شدة العيش فيها، وما رُئِيَ من أحواله في تطيُّه ولباسه ورفاشه، ووسادته، وتخمته وتثقله، وخفِّيه. وسواكه، ومِسْطَله، ومُكْحَلته ومِراته وقَدَحِه، وما ورد في حِجَابِه، وما ملكه من السِّلَاح والدُّوَاب وغير ذلك.

صلى الله عليه وسلم

أما ما ناله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش في دنياه

فقد تقدَّم من صفاته المعنوية زهده في الدنيا وقَلَّه منها، وأحْلَاهَا على ما نوره في هذا الموضع. وسنورد منه ما تحفَّ عليه إن شاء الله.

فمن ذلك ما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاء، وكان عامة خبزهم الشعير. وعن أنس بن مالك أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما هذه الكسرة؟» قالت: قُرْصٌ خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال: «أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام». وعن أبي هريرة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَشُدُّ صُلْبَهُ بالجر من القَرْتِ^(١)». وعن مسروق قال: بينا عائشة تمحذني ذات يوم إذ بكيت، فقلت: ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ قالت: ما ملأت بطني من طعام فشئت أن أبكي إلا ببكيت، أذكرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وما كان فيه من الجهد. وعنه قال: دخلتُ على عائشة أتم المؤمنين وهي تبكي، فقلت: يا أم المؤمنين ما يبكيك؟ قالت: ما أَسْبَحَ فأشَاءُ أن أبكي إلا ببكيت؛

(١) القَرْت: المبرغ.

- وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرٍّ . وعنها رضى الله عنها قالت : ما شبع آل عهد غداء وعشاء من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات حتى لحق بالله . ومن رواية عنها : ما رفع عن مائدة كِسرة فضلاً حتى قبض . وعن أبي هريرة قال : كان يمر بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلالٌ ، ثم هلال ، ثم هلال ، لا يؤقَد في شيء من بيوتهم نارٌ ، لا لخبز ولا لطبخ ، قالوا : بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : بالأسودين التمر والماء . قال : وكان له جيران من الأنصار - جزاهم الله خيراً - لم تمنح^(١) يرسلون إليه بشيء من لبن . وعن الحسن قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أسمى في آل عهد صاع من طعام وإنها لتسعة آيات » والله ما قالها استغفلاً لرزق الله ، ولكن أراد أن تأمى به أمته . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعا له فضل طعام عن شبع حتى لحق بالله ، إلا أن نومه لغائب . فقيل لها : ما كانت مبيتكم ؟ قالت : الأسودان الماء والتمر . قالت : وكان لنا جيران من الأنصار لم يرأب^(٢) يسقونا من لبنها ، جزاهم الله خيراً . وعن أبي شهاب : أن أبا هريرة كان يمر بالمغيرة بن الأحنس وهو يطعم الطعام ، فقال : ما هذا الطعام ؟ قال : خبز النقي^(٣) والهم السمين ، قال : وما النقي ؟ قال : الدقيق . فتعجب أبو هريرة ثم قال : عجبا لك يا مغيرة ! رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضه

(١) المنح (جمع منحة) ، وهي المنحة : ناقة أو شاة يضع عليها زماناً ثم يردّها .

(٢) الرأب (جمع روبة) بمعنى مربوبة : الذئب التي تكون في البيت وليست بسائمة ؛ لأن صاحبها

يربها في البيت لبها .

(٣) النقي فسرّه بالهقيق ، والمراد به لباب البر ، بدلالة لفظ : النقي .

(١) الله عز وجل، وما شيع من الخبز والزيت في يوم مريضين، وأنت وإصحابك تهتدون
 هاهنا الدنيا بينكم . وعن قتادة قال : كنا نأتي أنس بن مالك وحياؤه قائم ، فقال
 يوما : كلوا فما أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بربه ،
 ولا شاة سميطا قط . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أجمع في بطن النبي
 صلى الله عليه وسلم طعامان في يوم قط ، إن أكل لحما لم يزد عليه ، وإن أكل تمرا
 لم يزد عليه ، وإن أكل خبزا لم يزد عليه . وعن عائشة رضي الله عنها قالت :
 أرسل أبو بكر رضي الله عنه قائمة شاة لئلا تقلمت ، وأمسك على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، أو قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسكت يده ، فقبل لها :
 على غير مصباح ؟ قالت عائشة : لو كان عندنا مصباح لآتلمنا به ، كان يأتي على
 آل عهد شهر ما يجتزون خبزا ولا يطبخون قدرا . وعن عمران بن زيد المديني قال :
 حدثني والدي ، قال : دخلنا على عائشة ، فقلنا : سلام عليك يا أماء ، قالت :
 وعليك ، ثم بكت ، فقلنا : ما بكاءك يا أماء ؟ قالت : بلغني أن الرجل منك يأكل
 من ألوان الطعام حتى يتمس لذلك دواء ، فذكرت نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فذلك
 الذي أبكاني ، نخرج من الدنيا ولم يعلأ بطنه في يوم من طعامين ، كان إذا شيع
 من التمر لم يشيع من الخبز ، وإن شيع من الخبز لم يشيع من التمر ، فذلك الذي
 أبكاني . وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم توفى ،
 ودرعه مرهونة عند رجل من اليهود يوسق من شعير . وسئل مهمل بن مسعد :

(١) تهتدون (بذل مسجدة) : أي تتوسعون فيها ، قال الخطابي : « يريد تهتدون المسألة وتفرقه في كل

وجه ، وروى : تهتدون الدنيا وهو أشبه بالصواب ، يعني تقتطعونها إلى أنفسكم ، وتجعلونها أو تسرعون

لحاقاتها . (النهاية) .

(٢) مرققا : ملينا بحساء ، أو موسما . (٣) سميطا : متوية .

١٠٢
١٦

- أ كانت المناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما رأيت مُنْخَلاً في ذلك الزمان ، وما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعير منخولاً حتى فارق الدنيا . فقيل له : كيف كنتم تصنعون ؟ قال : كنا نَطْعُنُها ثم نَنفُخُ قَشْرَها ، فيطير ما طار ويستمسك ما استمسك . وعن الأعرج ، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع ، قال قلت لأبي هريرة : وكيف ذلك الجوع ؟ قال : لكثرة من يشاء وأضيافه ، وقوم يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً أبداً إلا ومعه أصحابه وأهل الحاجة ينتبعون من المسجد ، فلما فتح الله تعالى خيراً آنسع الناس بعض الاتساع ، وفي الأمر بعد ضيق^(١) ، والمعاش شديد في بلاد طَافٍ ، لا زرع فيها ، إنما طعام أهلها التمر وعلى ذلك أقاموا . قال محمّمة بن سليمان : وكانت جَفَنَةٌ سَعْدٌ تدور على رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ يوم نزل المدينة في الهجرة إلى يوم تُوُفِّيَ ، وغير سعد بن جُبَادَة من الأنصار يفعلون ذلك . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً يواسون ، ولكن الحقوق تكثروا والعُدَامُ يكثرُونَ ، والبِلَادُ ضيقة ليس فيها معاش ، إنما تخرج تمرهم من ماء تمّده يحملُه الرجال على أكافهم ، أو على الإبل ، والإبل أقل ذلك ، وربما أصاب مُخَلَمُ القشام قذهب تمرهم تلك السنة ، والقشام : شيء يصيب البلح مثل الجدري فيَنْتَثِرُ ؛ فهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم في عيشه في غالب أوقاته ، وهي سُنَةُ الأنبياء صلوات الله عليهم .

(١) في نسخة أ : « بعض ضيق » .

(٢) الطلف : التلطيظ العلب من الأرض ، والمراد لا زرع فيها ، كما قال .

(٣) العُدَامُ — كذا في نسخ الأصل — جمع عادم وكعدم وعُدَامٌ ، لأنه عديم ضيل بمعنى فاعل .

(٤) مُدٌ : الماء التليل الذي لا مادة له . أو ما يظهر في الشتاء . ويذهب في الصيف .

(٥) القشام (بالضم) : أن يَخْضُضَ تمر الصغر قبل أن يصير بلحاً .

وأما تطيبه صلى الله عليه وسلم

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ، وكان يتطيب بالمالية^(١) وبالمسك ، حتى يرى ويصه في مفارقة ، ويقبخر بالعود ويطرح معه الكافور ، وكان يعرف في الليلة المظلمة يطيب ريعه صلى الله عليه وسلم .

وأما لباسه صلى الله عليه وسلم

وما روى من ألوانه وأصنافه وطوله وعرضه

فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبّل لأصحابه ، فضلا عن تجهل لأهله ، ويقول : « إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتبأ لم ويقبّل » .
ولبس صلى الله عليه وسلم من الثياب البياض والخمر والصفرة والخضرة والسواد .

أما البياض وما جاء فيه - فقد روى عن سمر بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها أحباؤكم وكفئوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم » وفي رواية عنه « ألبسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفئوا فيها موتاكم » . وعن أبي قلابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أحب ثيابكم إلى الله البياض ، فصلوا فيها وكفئوا فيها موتاكم » .

وأما الثياب الحمر - فروى عن البراء قال : ما رأيت أحدا كان أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه : ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عوف بن أبي جميلة عن أبيه

(١) الفانية : نوع من الطيب مركب من مسك وعود وعبرودهن . (كذا في النهاية) .

(٢) الويس : البريق ، والمفارق جمع مفرق كسجد : وهو من الزنث حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) الله : الشعر على المنكب .

قال : أنيت النبي صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، وهو في قبة حراء ، فخرج وعليه جبة له حراء وحلة عليه حراء . وعن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة .^(١) وعن أبي جعفر محمد بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ، ويسمى يوم العيدين ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

وأما الثياب الصفراء - فقد روى عن قيس بن سعد بن عبادة قال : أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعتا له فسلأ فاغتسل ، ثم أتينا به ملحفة ورسية فاشتمل بها ، فكأنني أنظر إلى أثر الورس على حكتيه^(٢) . وعن بكر بن عبد الله المزني قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ملحفة مؤرسة ، فإذا دار ملئ نساءه رثها بالماء . وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : ربما صبيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ورداءه وإزاره بزعفران وورس ، ثم يخرج فيها . وعن عبد الله بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح ثيابه بالزعفران : قميصه ورداءه وعمامته . وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ودمعة مصبوزين بالعير^(٣) ، والعير عندهم الزعفران . وعن زيد بن أسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة .

(١) البرد الأحمر : برد يمان غشط بحمرة وسواد ، أما لبس الأحمر الثاني كما يشتر ما هنا فقد ثبت

عنه صلى الله عليه وسلم التي عنه كافي الصحيحين ، راجع شرح المواهب ج ٥ ص ٢٧ .

(٢) يتم : يلبس العمامة .

(٣) روسية : الورس ثبت أحمر يصنع به ، والورسية المصبوغة به .

(٤) حكة : جمع حكة وهي التي في البطن من السن .

(٥) في نسخة أ : « عير » . والعير والعير هو الزعفران ، أو العير : خلط من الطيب .

وأما الثياب الخضر - فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسيبه الثياب الخضر . وعن أبي ريثة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان أخضران . والله الممعم .

وأما السواد وما ورد فيه - فقد روى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ، وعليه عمامة سوداء . وعن حُرَيْث عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس ، وعليه عمامة سوداء . هذا ما وقفنا عليه من ألوان لباسه صلى الله عليه وسلم .

فأما أصناف لباسه صلى الله عليه وسلم وطولها وعرضها ، فإنه عليه الصلاة والسلام لبس الصوف والحبرة والقفطن ، ولبس السُنْدُس^(١) والحرير ، ثم تركه ، وورد في ذلك أخبار نذكر منها ما أمكن .

أما الصوف وما ورد فيه - فقد روى عن أبي بردة قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فأنجحت إليها إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن ، وكساء من هذه الملبدة ، فأقسمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فيهما . وضأ رضي الله عنها قالت : جعل النبي صلى الله عليه وسلم بردة سوداء من صوف فلبسها . وعن سهل بن سعد : قال : جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة خضراء عليها شريطان ، فقال سهل : وتدرون ما البردة ؟ قالوا : الشملة ، قال : نعم ، هي الشملة . يارسول الله ، نسجت هذه البردة بيدي فبخت بها أكسوكها ، قال : فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاجاً إليها ، فخرج علينا وإنيما لإزاره ، فلبسها فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم سماء - فقال : يارسول الله ، ما أحسن هذه البردة !

أَكْسَبَهَا، فَقَالَ : « نَعَمْ » بِخَلْسٍ مَا شَاءَ اللَّهُ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ رَجَعَ . فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَاهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : مَا أَحْسَنْتَ ، كَيْسِيًّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّا جَا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلَتْهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَأَلًا ! فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا لِأَبْسَهَا ، وَلَكِنْ لَتَكُونَ كَقَفَى يَوْمَ أُمُوتٍ ، قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَقَفَى .

وَأَمَّا الْحَبِيبَةُ وَهَى مِنْ رُودِ الْيَمَنِ فِيهَا حُمْرَةٌ وَبَيَاضٌ فَكَانَتْ مِنْ أَحَبِّ اللِّبَاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَى عَنْ قَتَادَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ : أَيُّ اللِّبَاسِ كَانَ أَحَبَّ وَأَعْجَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : الْحَبِيبَةُ . وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَلَالٍ قَالَ : رَأَيْتُ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بُرْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَبِيبَةٍ لَهُ حَاشِيَتَانِ .

وَأَمَّا السُّنْدُسُ وَالْحَرِيرُ—فَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَسَ ذَلِكَ ثُمَّ تَرَكَهُ . رَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَهْدَى مَلِكُ الرُّومِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَقَةً^(١) مِنْ سُنْدُسٍ فَلَبِسَهَا ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يَدَيْهَا تَذْبُذِبَانِ^(٢) مِنْ طَوَاهَا . فَبَجَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ مِنَ السَّمَاءِ ؟ فَقَالَ : « وَمَا تَعْجَبُونَ مِنْهَا ، فَوَالَّذِي تَقْسِي بِيَدِهِ إِنْ مِنْدِيلًا مِنْ مَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا » ثُمَّ بَعَثَ بِهَا إِلَى جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَلَبِسَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ لَمْ أُعْطِكُمَهَا لَتَلْبِسَهَا » قَالَ : فَمَا أَصْنَعُ بِهَا ؟ قَالَ : « أَبْعَثْ بِهَا »

(١) مُسْتَقَةٌ : « هِيَ بَضْعُ النَّسَاءِ وَضَمُّهَا : فَرَطٌ طَوِيلٌ الْكَيْنِ ، وَهِيَ تَعْرِبُ مَشْعَةً ، وَغَرْلَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ يَشَبُّهَا أَنَّهَُا كَانَتْ مَكْفُفَةً بِالسُّنْدُسِ وَهِيَ الرُّفْعُ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْإِسْجَاجِ لِأَنَّ قَمِيسَ الْقُرْوَ لَا يَكُونُ سُنْدُسًا ، وَجَدَهَا سَائِقَةً » (النهاية) .

(٢) فِي النَّهَايَةِ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يَدَيْهَا تَذْبُذِبَانِ ، أَيْ تَتَرَكَّانِ وَتَضَعُفَانِ » يَرِيدُ كَيْفَهُ .

١٠٤
١٦

١٠

١٥

٢٠

إلى أخيك النجاشي . وعن عقبة بن عامر قال : أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قُرُوجٌ — بنى قباء — حرير — فلبسه ، ثم صلى فيه ، ثم أنصرف ففرعه فرما شديدا كالكأبر له ، ثم قال : « لا ينبغي هذا للفقير » .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في ثيعة لما أعلام ، فنظر إلى أعلامها نظرة ، فلما سلم قال : « أذهبوا بحبيتي هذه إلى أبي جهنم فإنها آتيتني أنا من صلاتي وأتوني بأنجاني ^(١) أبي جهنم » .

وأما القطن وما ورد في أطوال ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضها فروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت يوما أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ بجراني غليظ الخاشية . وعنه : كان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنيا قصير الطول قصير الكمين . وعن بديل قال : كان ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرثغ . وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما : أن طول رداء النبي صلى الله عليه وسلم أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر .

(١) أنجاني ، كذا في الأصول ، والحق في الصحيحين : « وأتوني بأنجانية أبي جهنم » قال : القسطلاني : نسبة إلى منج يفتح الميم وكسر الموحدة موضع الثام ، ويقال نبة إلى موضع يقال له أنجيان . ثم قال عن ثلب : « يقال كساء أنجاني » قال : وهذا هو الأقرب إلى الصواب في لفظ الحديث . - راجع به ص ١٠٥ .

(٢) بجران نبة إلى البحرين ، حل لفظ الختي ، قال في الصباح : يجوز أن تجبل — انثون محل الأعراب مع لزوم الياء مطلقا وهي لغة مشهورة ، لأنه صار لها مفرد الدلالة فأشبه المفردات والنسبة إليه بجراني .

(٣) قال في أحد النام : « غير منسوب بقرن منسدة بلإتراج » وقال : أخرج في الصحابة وذكره أهل المعرفة في التابعين وروى عنه : « كان كم رسول الله إلى الرثيق » .

- وعنه : أن توب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه . إلى الوفد -
ورداؤه حَضَرِي - طولُه أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء
قد خلق ، فطوَّوه بثوب يلبسونه يوم الأضحي والفطر . وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قيصا قصير اليدين والطول .
وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كنت مع عمر ، في حديث رواه عنه قال فقال :
رأيت أبا القاسم وعليه جبة شامية ضيقة الكتفين .

ذكر صفة إزرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما كان يقوله إذا لبس ثوبا جديدا .

- روى عن يزيد بن أبي حبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرمى
الإزار من بين يديه ، ويرفضه من ورائه . وعن عكرمة مولى ابن عباس ، قال :
رأيت ابن عباس إذا كَثُرَ أرْنَى مقدم إزاره ، حتى تقع شاشته على ظهره قدسيه ؛
ويرفع الإزار مما وراءه ، فقلت له : لِمَ تَأْتِرُ هكنا ؟ قال : رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يَأْتِرُ هذه الإزرة . وعن أبي سعيد الخدري قال : كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اسْتَجَدَّ ثوبا سماه بأسمه ؛ قيصا أو إزارا أو عمامة ،
ويقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتني ، أسألك من خيره وخير ما صنع له ،
وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا لبس ثوبا - أو قال - إذا لبس أحدكم
حوبا فليقل الحمد لله الذي كساني ما أُواري به عورتي ، وأتجمل به في حياتي » .
وكان صلى الله عليه وسلم يلبس الكساء الصوف وحده فيصل فيه ، وربما لبس الإزار
الواحد ليس عليه غيره ، ويمقد طرفيه بين كتفيه يصل فيه . وكان يلبس القلائس

تحت المِثْم ، ويلبسها دونها [ويلبس المِثْم دونها] ويلبس القلانس ذات
الآذان في الحرب ، وربما نزع قَلَنْسُوتَه ، وجعلها سترة بين يديه وصلّى إليها ، وربما
منى بلا قَلَنْسُوتَه ولا عمامة ولا رداء ، راجلاً بمود المرضى كذلك في أقصى المدينة .
وكان يَتَمَّ وَيُسَدِّل طَرَفَ عمامته بين كتفيه . وعن عليّ أنه قال : عَمَّيْ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة ، وسدل طرفها على منكبي ، وقال : « إك العمامة
حاجز بين المسلمين والمشركين » .

ذكر فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسادته

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، قالت : دخلت امرأة من الأنصار
على - فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم جَمَامةً مَنِيَّيةً ، فانطلقت فبعثت
إلى - بفراش حَشْوَه صَوْفٌ ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على - فقال :
« ما هذا » ؟ قلت : يا رسول الله ؛ فلانة الأنصارية ، دخلت على - فرأت فراشك
فذهبت فبعثت هذا . فقال : « رُدِّيْه » فلم أرْده ، وأعجبنى أن يكون في بيتي ، حتى
قال ذلك ثلاث مرات ، فقال : « وإِنَّه يا عائشة لو ثلثُ لأجرى الله معي جبال
الذهب والفضة » . وعنها : أنها كانت تحفّرش لرسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة
بأَنْتَيْنِ بَهاء لَيْلَةٍ وقد رَبَّعتُها فنام عليها ، فقال : « يا عائشة ما لفراشي الليلة ليس
كما كان يكون » ؟ قالت قلت : يا رسول الله ، رَبَّعتُها ، قال : « فأعيديه كما كان » .
وعنها قالت : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادةٌ من آدمٍ مَحْشُوةٍ لِقْفاً ، ودخل
عمر بن الخطّاب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ممرير

(١) ساقطة في أ .

(٢) في بـ « إليه » .

(٣) أى بئتين آتيتين ، كما في رواية حفصة عند الترمذى .

- (١) مرمول بشرط ، ونحت رأسه مرققة من آدم تحنوة بليف ، وقد أثر الشريط
بجنبه ، فبكى عمر ، فقال : « ما يبكيك » ؟ قال : يا رسول الله ، ذكرت كثرى
وقصر يعلسون على سرر الذهب ويلبسون السندس والإصطبرق ، فقال :
« أما ترضون أن تكون لكم الآخرة ولم الدنيا » . وعن عبد الله بن مسعود قال :
• اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فاثر الحصير بجلده ، فلما استيقظ
جعلت أسح عنه وأقول : يا رسول الله ، ألا أدنننا نيسط لك على هذا الحصير شيئا
يقيك منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما لي والدنيا ، وما أنا والدنيا ،
ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ، وعن المغيرة
ابن شعبه قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرة ، وكان يستحب أن
تكون له قرة مذبوغة يصل عليها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل على
الحصير والخمرة ، كما روى في الصحيحين .

ذكر ما لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الخواتم ، ومن قال لم يقم

- قد قدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الخاتم في سنة سبع من الهجرة
عند ما بعث رسله إلى الملوك ، وختم به الكتب التي سورها إليهم ، فلقد ذكر هنا
ما لبسه من الخواتم . وقد روى أنه تختم بالذهب والفضة والحديد الملوى عليه
الفضة ، حل ما نذكر ذلك من أقوالهم .

١٠٦
١٦

(١) مرمول بشرط : أى مشوج بما يشج به الحصير .

(٢) المرققة : كالرسادة ، وفي رواية « تمرقة » .

(٣) التمرة وزان غرة : حصير صغير قدر ما يسجد عليه ، ولا تكون تمررة إلا في طلب القنار .

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً من ذهب ، فكان يجعل قصه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى ، فصنع الناس خواتيم من ذهب ، فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر قرعته ، وقال : « إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل قصه من باطن كفي » فرمى به ، وقال : « والله لا ألبسه أبدا » ونبذ النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم ، فنبذ الناس خواتيمهم .

ثم أخذ خاتماً من فضة قصه منه ، ونقش عليه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر ، كان ينحس به الكتب إلى الملوك . وقد روى أن خاتمه كان من حديد ملوى عليه فضة ، وقيل : إنه رآه في يد عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة فقال : « ما هذا الخاتم في يدك يا عمرو ؟ » قال : هذه حلقة يا رسول الله ، قال : « فإنا نقشها » ؟ قال : محمد رسول الله ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فصنمته ، فكان في يده حتى قبض ، ثم في يد أبي بكر حتى قبض ، ثم في يد عمر حتى قبض ، ثم في يد عثمان ست سنين ، وفي السابعة وقع في بئر أريس . قال أنس ابن مالك : فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم نقدر عليه . وروى عن ابن سيرين : أن نقشه كان « بسم الله ، محمد رسول الله » . وقد روى محمد بن سعد في طبقاته قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرق ، قال حدثنا عطاء بن خالد ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي قروة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : ما ننحس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي الله ، ولا أبو بكر حتى لقي الله ، ولا عمر حتى لقي الله ، ولا عثمان حتى لقي الله ، هكذا روى . والصحيح أنه ننحس صلى الله عليه وسلم ، وننحسوا رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكرنا .

ذكر نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخُفَّيه

- روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لنعله
 قِبَالَانِ^(١) . وعن عبد الله بن الحارث قال : كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لها رِمالَانِ^(٢) شِرا كهُمَا مَتْنِي^(٣) في المُقَدَّة . وعن سلمة بن هشام بن عروة قال : رأيت
 نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَحْضَرَةً^(٤) مُعْقِبَةً مُلْسَنَةً لها قِبَالَانِ . وعن حَبِيد^(٥)
 ابن جُرَيْج قال قلت لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن ، أراك تستحب هذه النعال السَّهْبِيَّةَ^(٦) ،
 قال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسهما ويتوضأ فيهما . وعن
 عبد الله بن بُرَيْدَةَ عن أبيه : أن صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم خُفَيْنِ سَادَجَيْنِ^(٧) فمسح عليهما ، وفي رواية : أن النجاشي أهدى إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم خفين أسودين سَادَجَيْنِ فلبسهما ومسح عليهما .

ذكر سِوَاكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشطه ، ومُكْحَلْتِه ،

ومِرْآة ، وقَدَحِه ، وغير ذلك من أُنَائِه

- روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان لا يَرُقْدُ لَيْلًا ولا نَهَارًا فيسْتَقِظُ إِلَّا قَسْوُوكَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَضَّأَ . وعن قَتَادَةَ عن
 (١) قِبَالَانِ : القِبَالُ زِمَامُ النِّعْلِ ، وهو السير الذي يكون بين الأصبعين .
 (٢) رِمَالَانِ تَنْتِة رِمَالٍ : وهو سير من الجلد كالقَبَالِ .
 (٣) الْمُقَدَّة : لها خصر رقيق ، وألقى قطع خصرها حتى صارا مستقيين . وصفية : لها خضب
 من سِجُودِ يَضْمِ به الرجل . واللسنة : ما فيها طول ولطافة على جهة اللسان ، وألقى لها لسان ، وهو
 الهبة المنيعة في مقدمها . (٤) الْحَضَرَةُ : المديرة بالقرظ ، لأن شمرها انصبغ بالديباج ، أو من
 السبب وهو القطع لأنه قطع عنها الشعر وحلق .
 (٥) حَبِيدٌ : قال في المواهب : غير متوثقين ، أو لا شرطهما ، أو على لون واحد لا يخالط
 سوادهما لون آخر ، قال : الساذج صرَب ساذج .

عُرْكَة قال : أَسْأَلُكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِيرِدِ رَطْبٍ وَهُوَ صَائِمٌ ،
 فَقِيلَ لِفَتَاةٍ : إِنْ أَنَا يَكْرَهُونَهُ ، فَقَالَ : أَسْأَلُكَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 بِمِيرِدِ رَطْبٍ وَهُوَ صَائِمٌ . وَعَنْ أَبِي جَرِيحٍ قَالَ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ مِشْطٌ حَاجٌ يَتَمَشِّطُ بِهِ . ^(١) وَعَنْ ثَوْرٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ : كَانَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسَافِرُ بِالْمِشْطِ وَالْمِرْآةِ وَالشُّعْنِ وَالْمِشْكَلِ وَالسَّوَاكِ . ^(٢)
 وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتَرِدُ دُهْنَ رَأْسِهِ ، وَيَسْرُحُ لِحْيَتَهُ
 بِالْمَاءِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ مُكْحَلَةٌ يَكْتَحِلُ بِهَا عِنْدَ النَّوْمِ ثَلَاثًا فِي كُلِّ عَيْنٍ . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتَحِلُ فِي عَيْنِهِ الْيَمْنَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَالْيُسْرَى مَرَّتَيْنِ .
 وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتَحِلُ بِالْإِثْمِيدِ وَهُوَ صَائِمٌ . ^(٣)
 وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِيدِ فَإِنَّهُ يَمْلَأُ الْبَصَرَ ، وَيَنْبِتُ الشَّعْرَ ، وَإِنَّهُ مِنْ خَيْرِ الْخَالِكِ » . وَعَنْ
 عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَةَ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : أَهْدَى الْمُقَوْقِسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَحَ زُبَّاجٍ ، كَانَ يَشْرَبُ فِيهِ . وَمِنْ عَطَاءٍ قَالَ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَحَ زُبَّاجٍ ، فَكَانَ يَشْرَبُ فِيهِ . وَعَنْ حُمَيْدٍ قَالَ : رَأَيْتُ قَدَحَ

١٠٧
١٦

١٠

١٥

(١) الحاج : أُنْيَابُ الْبَيْلِ ، وَصَلَمٌ دَائِبَةٌ يَجْرِي بِهَا نَهْرٌ مِنَ الْأَسُودَةِ وَالْأَسْطَاطِ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « ثَوْرٌ بْنُ جَابِرٍ بْنِ مَعْدَانَ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ (رَاجِعٌ لِبَلَّغَاتِ أَبِي سَعْدٍ

ج ١ : ١٧٠) .

(٣) فِي بَلَّغَاتِ أَبِي سَعْدٍ « الْكَمَلِ » .

(٤) الْمَكْحَلَةُ بِالضَّمِّ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، فَإِذَا أُرِيدَ بِهَا الْآلَةُ جَازَ الْكِبَرُ .

٢٠

النبي صلى الله عليه وسلم عند أنس فيه فضة ، أو شُدُّ بفضة . وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان له ربة ^(١) فيها امرأة ومشط عاج ومُكْطَلَةٌ ومِقْرَاضٌ وسِوَاكٌ . وكان له قَدَحٌ مُضَبَّبٌ بثلاث ضَبَاتٍ من فضة — وقيل من حديد — وفيه حلقة . يُعَلِّقُ بها ، وهو أكبر من نصف المَدِّ وأصغر من المَدِّ ، وكان له قدح آخر يُدْعَى الْإِيَّانَ ، وتور ^(٢) من حجارة يدعى الْمُخَضَّب . ومُخَضَّبٌ من شَيْءٍ يكون فيه الْهِنَاءُ وَالكَثْمُ ^(٣) . توضع عند رأسه إذا وجد فيه حرا ، ومُفْسَلٌ من صُفْرٍ ، وقَصَّةٌ ، وصاع يخرج به فِطْرَتَهُ ، ومَدٌّ ، وكان له سرير ، وقِطِيفَةٌ ، وكان له كِسَاءٌ أسود كسائه في حياته ، وكان له ثوبان للجمعة ، غير سائر ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام ، وكان له شِدْبَلٌ يمسح به وجهه من الوضوء ، وربما مسح بطولف رداءه صلى الله عليه وسلم .

ذكر ماورد في حجامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجامه

روى عن أنس بن مالك قال : أحْتَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحججه أبو طَيِّبَةَ ، وأمر له بصاعين ، وأمرهم أن يَحْفَقُوا عنه من ضربه . وأخطف في أسم أبي طَيِّبَةَ ، فقيل : دينار ، وقيل : نافع ، وقيل : هَيْسَرَةٌ ، وهو مولى

(١) ربة : فتح فكون : إنا مريح بكثرة الطار : هي جد يحمل فيه طيه .

(٢) المِقْرَاض : الإيَّان وهو الخفض .

(٣) مضبب : مشبب ، والإيَّان : صان إذا جل له شعب من فضة أو حديد أو صفر .

(٤) التور : إنا من صفر أو حجارة .

(٥) مخضب : إنا يمسح فيه الخضب وهو الهناء . أى يمسح بها صلى الله عليه وسلم .

(٦) الكتم : التماس الشيء بالقبض .

(٧) الكتم : تمت يخط بالحاء . يمسح به الشعر فيلق لونه .

(٨) الصفر : الناس .

بني خازنة . وعن جابر بن عبد الله قال : أخرج إلينا أبو طيبة المحاجر
ثمان عشرة من شهر رمضان نهرا، فقلت : أين كنت ؟ قال : كنت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمه . وعن أنس قال : أحْتَجِم رسول الله صلى الله
عليه وسلم، حجه أبو طيبة مولى كان لبعض الأنصار، فأعطاه صاعين من طعام،
وكَلَّم أهله أن يَتَّقُوا عنه من ضريته، وقال : « المجامة من أفضل دوائكم » .
وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : أحْتَجِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
صائم، فغشي عليه يومئذ، فلذلك : كرهت المجامة للصائم . وعن سمرة بن جندب
قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعا حجاجه لحججه بمحاجر من
قرون، وجعل يشرطه بطرف شفرة، فدخل أعرابي فرآه ولم يكن يدري المجامة،
ففزع وقال : يا رسول الله، علام تعلى هذا يقطع جلدك ؟ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « هذا الحجم » قال : يا رسول الله، وما الحجم ؟ قال : « هو خير ما تداوى
به الناس » . وعن عطاء وابن عباس - رضي الله عنهم - قالوا : أحْتَجِم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مُحْرِم من وَجَع . وعن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يَحْتَجِم ثلاثا، على الأُخْدَمِينَ ثِنْتَيْنِ^(١)، وعلى الكاهل واحدة . وعن سعد
ابن أبي وقاص : أنه وضع يده على المكان الثاني من الرأس فوق اليافوخ، فقال :
هذا موضع حَجَم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يَحْتَجِم، وجاء
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسميها المغيبة . وكان خالد بن الوليد يَحْتَجِم

(١) كذا في الأصول والطبقات : أخرج، والذي في أسد النباة عن ابن عباس : « لقيت أبا طيبة

لسبع عشرة من رمضان » الخ .

(٢) الأعدمان : عرفان في جاني النسي، والكامل : ما بين الكتفين .

- على هامته وبين كتفيه ، فقيل له : ماهذه الجحامة ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمعها ، وقال : « من أهرق منه دماءه فلا يضره ألا يتداوى بشيء لشيء » . وروى : أن الأقرع بن حابس دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجتمع في القمحة ^١ : وهي آخر الرأس ، فقال : لم أحتجمت وسط رأسك ؟ قال : « يابن حابس إن فيها شفاء من وجع الرأس والأضراس والحاس والمرض » وشك الراوى فى الجنون . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجحامة فى الرأس هى المنيّة أمرنى بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية » . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أمرى بى مامرت بملائكة من الملائكة إلا قالوا يا محمد مر أمتك بالجحامة » . وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجحامة يوم الثلاثاء السج عشرة فى أشهر دواء لِدَاءِ السَّنة » . وقد كان صلى الله عليه وسلم يجتمع سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين . وعن الأوزاعى ، عن هرون بن رثاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آتجتم ، ثم قال لرجل : « أدفنه لا يبحث عنه كلب » .

$$\frac{108}{16}$$

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلاح

- (١) كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف : ذو الفقار تنقله يوم بدر ، وهو الذى رأى فيه الرؤيا فى غزوة أحد ، وكان قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لِنَبِيِّ بن الحجاج التميمي ، وثلاثة أسياف ، أصابها من سلاح بنى قَيْقَاع ، سيف

(١) تنقله : من الفسل وهو الخنيفة ، روى الحاكم عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل ذو الفقار يوم بدر . وسعى سيف النبي صلى الله عليه وسلم ذا الفقار ؛ لأنه كان فيه حمر صفار حسان .

قَلْبِي^(١)، وسيف يُدعى البتار^(٢)، وسيف يُدعى الحُتَف^(٣)، وسيفان أصابهما من القلَس^(٤)،
سيف يُدعى الخُذَم^(٥)، وآخر يُدعى الرُّسُوب^(٦)، وسيف ورثه من أبيه^(٧)، وسيف يقال له
العُضْب^(٨)، أعطاه إياه سعد بن عبادَة^(٩)، وآخر يُدعى القَضِيب^(١٠)، وهو أول سيف
تقلد به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أنس : كان تحمل سيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضة^(١١)، وقبيحة فضة^(١٢)، وما بين ذلك حلق الفضة .

وكان له صلى الله عليه وسلم أربعة أرماع، ثلاثة أصابها من سلاح بني قَيْنُقَاع، وواحد
يقال له المُنْخِي . وكان له عَرَّة^(١٣) : وهي حربة دون الرُّخ يمشى بها في يده ، ويحمل بين
يديه في العيدين ، حتى تُرْكِر أمامه فيتخذها ستره يصل إليها . وكان له أربعة قِيَمِي :
قَوْس من شَوْحَط تدعى الرُّوْحَاء^(١٤) ، وأخرى من شَوْحَط تدعى اليَضَاء^(١٥) ، وأخرى

(١) قَلْبِي : نسبت إلى قلع : قلعة بالبادية قريب من حلوان بطريق هذان .

(٢) البتار : القاطع .

(٣) الحُتَف : الموت .

(٤) القلَس : صم لعل .

(٥) الخُذَم : من الخُذَم وهو القاطع .

(٦) الرُّسُوب : من الرُّسب وهو الذهاب إلى أسفل لأن ضربته تنورس في المضروب به .

(٧) يسمى مأثور .

(٨) العُضْب : أى القاطع .

(٩) القَضِيب : يراد به اللطيف من السيوف ، ويراد به القاطع .

(١٠) قبيحة : هى التى تكونت على رأس قائم السيف ، وقيل : هى ما تحت شاربى

السيف .

(١١) القى في شرح المراهب : سعة ، وزاد : الزوراء ، والساداد .

(١٢) (١٣) : أى : مخرج حمل ، يتخذ منه القوس .

من نَبْعٍ تُدْعَى الصُّفْرَاءُ ، وقوس تُدْعَى الكَتُومُ كُتِمَتْ يوم بدر . وكان له جَبَّةٌ ^(١٢)
تُدْعَى الكافور ، وكان له خِصْرَةٌ تسمى المَرْجُونُ ، وكان له عَجَنٌ قدر الذراع أو نحوه ^(١٣)
يتناول به الشيء ، وهو الذي أسلم به الزُّكْنَى في حجة الوداع ، وكان له دِرْعَانُ ^(١٤)
أصابعهما من سلاح بني قَيْنُقَاع : دِرْعٌ يقال لها السَّعْدِيَّةُ ، وأخرى يقال لها فَيْضَةُ ^(١٥)
وعن محمد بن مَسْلَمَةَ قال : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ^(١٦)
دِرْعَيْنِ ، دِرْعَهُ ذاتُ الْفُضُولِ ، ودِرْعَهُ فَيْضَةُ ، ورأيت عليه يوم حُتَيْنِ دِرْعَيْنِ ، ذاتِ ^(١٧)
الْفُضُولِ والسَّعْدِيَّةِ ، ويقال : كانت عنده دِرْعُ داود عليه السلام التي لبسها ^(١٨)
لما قُتِلَ جَالُوتَ ، وكان له مِقْفَرٌ يقال له السُّبُوحُ ، وكان له صلى الله عليه وسلم ^(١٩)
ثُرْسٌ ، روى محمد بن سعد في طبقاته قال : أخبرنا عَتَّابُ بن زياد ، قال حدثنا ^(٢٠)
عبد الله بن المبارك ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال سمعت ^(٢١)
مَكْحُولًا يقول : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثُرْسٌ فيه يَمْتَثِلُ رأس ^(٢٢)
كَبْشٍ ، فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه ، فأصبح وقد أذهبَه الله تعالى . ^(٢٣)
وفي رواية أخرى : كان له صلى الله عليه وسلم ثُرْسٌ عليه يَمْتَثِلُ عَقَابٌ ، أُهْدِيَ له ^(٢٤)
فوضع يده عليه فأذهبَه الله ، وكان له مِنْطَقَةٌ من أديمٍ مَهْشُورٍ فيها ثلاث حِلَاقٍ من ^(٢٥)

- (١) نَبْعٌ : شجرة يَنْفُذُ مِمَّا الرِّيحُ والسَّامُ .
- (٢) الكَتُومُ : سميت بذلك لانخفاض صوتها إذا روى منها .
- (٣) جَبَّةٌ : هي الكتانة يجمع فيها نبله .
- (٤) خِصْرَةٌ : ما يَحْتَصِرُهُ يده ، فيسكنه من صا أو مكازة أو مقربة أو قذيب ، قد يتركها عليه .
- (٥) عَجَنٌ : عصا معرجة .
- (٦) الزُّكْنَى الياسق من الكتبة .
- (٧) السَّعْدِيَّةُ : نسبة إلى جبال السعد ، وروى بالثنين المعجمة وضم السين : ناحية بصرة .
- (٨) السُّبُوح (بالفتح والضم) : بمعنى السابح وهو الطويل .
- (٩) مَهْشُورٌ : مقشور ، وهذه الصفة لا توجد في فرج المواهب .

فِصَّة، وَالْإِزِيمُ ^(١) مِنْ فِصَّةٍ ، وَالطَّرْفُ مِنْ فِصَّةٍ ، وَكَانَ لَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ مُجَلَّةٌ ، يُقَالُ
لَهَا الْمُعْقَابُ ، وَلَوْاءُ أَيْبُضٌ وَرَبْعًا جَعَلَ الْأَلْوِيَّةَ مِنْ تَحَرُّ نَسَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَرَضَى عَنْهُ .

ذِكْرُ دَوَابِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من الخيل والبغال والحمير

أما خيله صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكرنا في الباب الأول من القسم الثالث
من التَّنِ الثَّالثِ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ، وَهُوَ فِي السَّفَرِ التَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ النِّسْخَةِ ، أَنَّ خَيْلَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي مَلَكَهَا ، عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ مَجْمُوعِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي
أُورِدْنَاهَا هُنَاكَ تِسْعَةٌ عَشَرَ فَرَسًا : وَهِيَ السَّكْبُ ، وَالْمُرْمِيزُ ، وَالْبَحْرُ ، وَسَبِجَةٌ ،
وَذُو الْآلَةِ ، وَذُو الْمُعْقَالِ ، وَالنَّحِيفُ ، وَيُقَالُ فِيهِ : اتَّقَيْفُ بَانِخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، وَقِيلَ :
النَّحِيفُ بِالنُّونِ ، وَاللِّزَازُ ، وَالظَّرِيبُ ، وَالْوَرْدُ ، وَالسَّجَلُ ، وَالشُّعَا ، وَالسَّرْحَانُ ،
^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨)

- (١) الْإِزِيمُ بِالْكَسْرِ : الْفَيْ فِي رَأْسِ الْمُنْطَقَةِ وَمَا أَشْبَهَ ، وَهُوَ ذُو لِسَانٍ يَدْخُلُ فِيهِ الطَّرْفُ الْآخَرُ .
- (٢) السَّكْبُ : الصَّبُّ سَمِيَ بِذَلِكَ لِسَرَّتْ فِي الْبَحْرِ ، كَأَنَّمَا هُوَ يَسْكَبُ كَالْمَاءِ .
- (٣) الْمُرْمِيزُ : سَمِيَ بِذَلِكَ لِحَسَنِ صَبِيحِهِ ، مَا أَخُوذُ مِنَ الرِّبْزِ الَّتِي هُوَ مُضْرِبٌ مِنَ الشَّعْرِ .
- (٤) الْبَحْرُ : سَمَاءُ رَسُولِ اللَّهِ بِذَلِكَ حِينَ يَجْرِي عَلَيْهِ فَكَانَ سَرِيحًا فَقَالَ لَهُ : « مَا أَنْتَ إِلَّا بَحْرٌ » .
- (٥) سَبِجَةٌ : مِنْ قَوْلِهِمْ : فَرَسٌ سَابِجٌ إِذَا كَانَ حَسَنَ مَدَالِيهِ فِي الْبَحْرِ .
- (٦) ذُو الْآلَةِ : سَمِيَ بِذَلِكَ لِخُفْرَةِ شَعْرِهِ حَتَّى أَلَمَ بِالْمَلِكِينَ .
- (٧) ذُو الْمُعْقَالِ ، يَشُدُّ الْعَاقِفَ وَيُخَفِّقُهَا : سَمِيَ بِذَلِكَ لِخُلْعِ قُوَائِمِهِ ، وَانْطَلَعَ : الْمَرْجُ الْيَسِيرُ .
- (٨) النَّحِيفُ بِالتَّصْفِيرِ وَالتَّكْثِيرِ : سَمِيَ بِذَلِكَ لِسَمَةِ وَكِبَرِهِ ، وَقِيلَ لَطُولُ ذَنَبِهِ كَأَنَّهُ يَلْغِفُ الْأَرْضَ
أَيَّ يَغْلِيهَا بِذَنَبِهِ لَطُولُهُ .

- (٩) الْفَرَّازُ : الْمُجْتَمِعُ الْخُلُقُ ، أَوْ مَنْ تَرَبَّعَ التَّرَقُّ كَأَنَّهُ يَفْرُقُ بِالْمُطْلُوبِ .
- (١٠) الظَّرِيبُ : الْجَيْلُ سَمِيَ بِذَلِكَ لِقُوَّةِ وَصْلَانِهِ حَافِرُهُ .
- (١١) الْوَرْدُ : لَوْنٌ بَيْنَ الْكَهْطِ وَالْأَشْفَرِ ، شَبَّ بِالْوَرْدِ الْمَشْمُومِ .
- (١٢) السَّجَلُ : مَا أَخُوذُ مِنْ جِلَّتِ الْمَاءِ صَبِيحَهُ . وَقِيلَ بِكَمَرِ السَّجَلِ كَمَا فِي الْمَوَاقِبِ .
- (١٣) الشُّعَا : أَيُّ بَعِيدِ الْخَطَرَةِ . (١٤) السَّرْحَانُ : الْقَتَبُ .

والمُرْجِلُ ، والأُدْعَمُ ، ومُلاوِح ، واليَسُوبُ ، ^(٤) واليَعُوبُ ، ^(٥) والمِرْوَاحُ ، ^(٦) وقد يكون الأُدْعَمُ هو السُّكْبُ أو البَحْرُ ، فتكون ثمانية عشر فرسا .

وذكرنا هناك أخبار هذه الخيل ومن ذكرها . وذهب بعضهم إلى أن خيله صلى الله عليه وسلم كانت عشرة أفراس : السُّكْبُ ، والمُرْجِزُ ، ولَزَّازُ ، والمُخَيَّفُ ، والغُلُوبُ ، والأُورْدُ ، ^(٧) واليُسْرُ ، ومُلاوِح ، وسَبْعَةُ ، والبحرُ ، ولم يذكر ما عداها ، والله عز وجل أعلم .

١٠٩
١٦

وأما بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم وحُمُرُه فقد ذكرنا أيضا في الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثالث في السفر التاسع من كتابنا هذا ، أن بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي ملكهن كُنِّي سبعا ، على ما ظهر من مجموع الروايات التي ذكرناها هناك ، ومن دُلِّلَ التي أهداها له الموقر ، ^(٨) وفِضَّة التي أهداها له فَرَّوَة من عمرو ، وبغلة أهداها له كِمْرَى ، وبغلة الأبيَّة التي أهداها له ابنُ المَلَسَاء صاحب أبيَّة ، وبغلة بعتها له صاحب دُومَة الجَنْدَل ،

(١) المُرْجِلُ : الذي يخلط بين تباعد خطأ وتوسع تحريه ، وبين تفاديهما وصرعته .

(٢) الأُدْعَمُ : الأسود .

(٣) ملاوِح : الضامر الذي لا يمين ، والسرَّاج العُطش ، وتُطْعِمُ الألواح .

(٤) اليَسُوبُ : قال الزُّرْقَانِي على المواهب : « وزاد بعضهم اليَسُوبُ بتقديم العين على الياء »

وفيها أُنْصَحَ : « اليَسُوبُ » : غرة تستطيل في وجه الفرس ، وأسير النمل .

(٥) اليَعُوبُ : الفرس الجواد .

(٦) المِرْوَاحُ : من أجنحة المبالغة ؛ مشتق من الريح لسرعة كالجريح ، أو من الزواح ؛ لوسعه في الجري ،

أو من الراحة ؛ لأنه يستراح به .

(٧) في الأصول : « الفُضْرُ » ؛ وما أتينا عن الطبقات ، وقال في التباية : إنه صلى الله عليه

وسلم اشترى فرسا اسمه الفُضْرُ فترا به يوم أحد وسماه السُّكْبُ .

(٨) العلاء : ثمانية الأُطْمُ ، مشقوق الشفة العليا .

وبَقْلَة أهداها له يوحنا بن روزيه ، وبَقْلَة أهداها له النجاشي صاحب الحبشة ، وفي البَقْلَة التي ذكر أن كسرى أهداها لله صلى الله عليه وسلم نظر ، لما قدمناه من أنه مَرْقٍ كَلَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبيحه ، ومن أهل العلم من ذهب إلا أنهم كنّ ثلاثة : دُلِّلَ التي أهداها له المقوقس ، وقضة وعبا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبَقْلَة أهداها له صاحب أَيْلَة . وكان له صلى الله عليه وسلم من الحُمْر : مَقْفُورٌ ، وَعُفَيْرٌ ، وقد ذكرناهما في الباب المتقدم ذكره في السفر التاسع .

ذكر نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لَقْعَةً بالغة ، يراح له منها كل ليلة بِقَرَبَتَيْنِ عظيمتين من اللّين ، وكانت له لقعة تُدعى بَرْدَة ، أهداها له الضحّاك ابن مفيان ، كانت تُحَلَّبُ كما تُحَلَّبُ لثحان غزيرتان ، وكانت له مَهْرِيَّةٌ أُرسلها إليه سعد بن عبادة من نَمِ بنِ عُقَيْل ، وكانت له الْقَصْوَاءُ ، وهي التي هاجر عليها ، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحي غيرها ، وهي الْعَضْبَاءُ ، والجَدْمَاءُ ، وقيل : الْعَضْبَاءُ خير الْقَصْوَاءُ ، وقد ذكرنا في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثالث نعمه بأبسط من هذا .

(١) كذا في نسخة ب ، وفي أ : « روضة » هكذا ، والقى في شرح المواهب : « بحه بن روبة » بضم الحائية وضع الهمزة وتشديد النون ، وروية بضم الزاء وسكون الواو بصددها مرعدة ، وقال : إنه صاحب أَيْلَة . « ومن هذا تكون هذه اللقعة من الأربعة أنفس لا يرب .

(٢) اللقعة : الناقة القرية الهدى بالتاج .

(٣) المهرية : من كرائم الإبل تنسب إلى حمى مهرة بن حيدان .

(٤) القصواء : من القصواء وهو قطع طرف الأذن .

(٥) الضباء : هي المشقوفة الأذنين أو مخطوتهما .

(٦) الجدعاء : المشقوفة الأنف أو الأذن أو الشفة .

وكان له صلى الله عليه وسلم مائة من النعم . وكانت له مسجعات^(١) : نخلة ، وزمزم ، وسقيا ، وبركة ، وورشة ، وأطلال . وأطراف ، وكانت أم أيمن ترعاهن ، وكانت له شاة يختص بشرب لبنها ، تدعى غنمة ، وكان له ديك أبيض ، هذا ما أمكن إيراد في هذه الفصول ، وهو بحسب الاختصار .

- وقد آن أن نأخذ في ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وإنما أقرنا ذكر المعجزات إلى هذه الغاية لأمر : منها أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كانت في مدة حياته ، تقع خلال غزواته ، وغالب أوقاته ، فلو ذكرناها قبل نهاية ذكر أحواله صلى الله عليه وسلم ، لكان قد قدمنا منها شيئا قبل وقته الذي وقع فيه . ومنها أننا لما ذكرنا صفاته صلى الله عليه وسلم فيما تقدم ، استلزم إيراد أحواله تلو صفاته ، وصار الكلام يتلو بعضه بعضا ، ولو ذكرنا المعجزات في خلال ذلك لقطع الكلام وانقطع النظام ، وأهم الأسباب في تأخير ذكر المعجزات إلى هذه الغاية ، أننا أردنا أن تكون معجزاته صلى الله عليه وسلم خاتمة لهذه السيرة الشريفة ، وتالية لهذه المناقب المنيفة^(٢) لا يعمل بعدها من أخباره صلى الله عليه وسلم إلا أخبار وفاته عليه السلام .

ذكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم

- ومعنى المعجزة أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها ، ولا تكون معجزة إلا مع وجود التعدي بالنسوة ، وأما مع عدم التعدي فهي كرامة ، كأحوال الأولياء . والمعجزة على ضربين : ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عن الإتيان بمثلها ، كالقرآن على رأى من رأى أن من قدرة البشر أن يأتوا بمثله ، ولكن الله تعالى

١١٠
١٦

(١) المناجح : جمع منجاة ، وهي الشاة التي تمارق لبنها ، ثم ترد إذا اقتطع لبنها ، وفي شرح المواهب : كانت له مسجعات من نخيل ، الخ . (٢) في الأصول والطبقات : « هوس » وما أبتناه من المواهب ، وجاء في القاموس : « دوش ككشف التشيط الخفيف من الإبل وغيرها » . (٣) المنيفة : العالية الشريفة .

صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَجَزَوْا عَنْهُ ، وَكَصَرَفُ يَهُودَ عَنْ تَعْنِي الْمَوْتَ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .
وَصَرَبَ هُوَ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ كَلِاحْيَاءِ الْمَوْتِ ، وَتَسْبِيحِ الْحَصَى ، وَأَنْشِقَاقِ الْقَمَرِ ،
وَتَبَيُّعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ ، وَتَسْوِسِ الشَّمْسِ ، وَرَدِّهَا بَعْدَ
غُرُوبِهَا .

وَهَذَا نَحْنُ نُوْرِدُ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنْ مَشَاهِيرِ مُعْجَزَاتِهِ ، وَبَاهِرِ آيَاتِهِ ، مَا تَقِفُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ السَّيْرِ
مَا تَقَدَّمَ ، مِمَّا تُتَبَّعُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْفَصْلِ ، وَتُفَسِّلُ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعِهِ ، وَنُشْرَحُ وَنُبَيِّنُ
مَا أَدَّجَيْنَاهُ قَبْلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ : مِنْهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ، وَهُوَ أَكْبَرُهَا آيَةً ،
وَأَعْظَمُهَا دَلَالَةً عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْهَا أَنْشِقَاقُ الْقَمَرِ ، وَحَسْبُ
الشَّمْسِ ، وَرَدِّهَا ، وَتَضْجِيرُ الْمَاءِ وَأَنْبِعَاثُهُ وَتَبَيُّعُهُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَتَكْثِيرُ الطَّعَامِ ،
وَكَلَامُ الشَّجَرِ ، وَسَقْيُهَا إِلَيْهِ ، وَحَتِّينِ الْجُدْعِ ، وَتَسْبِيحِ الطَّعَامِ وَالْحَصَى ، وَكَلَامُ
الْجَمَادَاتِ ، وَشَهَادَةُ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّبُوَّةِ ، وَكَلَامُ الْمَوْتَى ، وَإِبْرَاءُ
الْمَرْبُوعِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعَاءِ ، وَأَقْلَابُ الْأَمْيَانِ ، وَمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ
الْغُيُوبِ ، وَالْإِخْبَارِ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ ، وَمَا جَمَعَ لَهُ مِنَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ وَمَصَالِحِ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَسِيَاسَةِ الْعَالَمِ ، وَالْمُعْصَمَةِ مِنَ النَّاسِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا نَشْرَحُهُ وَنُبَيِّنُهُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَأَمَّا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ ، فَمُعْجَزَاتُهُ كَثِيرَةٌ نَحْصَرُهَا
فِي عَشْرَةِ أَوْجِهٍ :

الوجه الأول - حُسن تأليفه وإلتئام كَيْلِهِ وفصاحته، ووجوه إعجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم خُصّوا من البلاغة والحكم ما لم يُخصَّ به غيرهم من الأمم، وحسبك أن القرآن أنزل بلغتهم، ومع ذلك فقد قرعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم به، ووجَّههم وسَفَه أعلامهم، وسبَّ آلهتهم، وذمَّ أبائهم، وشنت نظامهم، وفرَّق جماعتهم، وأنزل الله تعالى فيهم ما أنزل من قوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَاهُمْ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ وغير ذلك، فتكسبوا عن معارضته، وأتجمعوا عن مماثلته، ورفضوا بقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُفٌّ﴾ و﴿فِي أَيْكُنَةٍ نَحْنُ نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾. و﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنَّوْأ فِيهِ لَكُمْ غِيَابٌ﴾. وأتعرَّف فصحاؤهم عند سماعه أنه ليس من كلام البشر، كالوليد بن المغيرة وعُتبة ابن ربيعة، على ما قلتمنا ذكر ذلك.

الوجه الثاني من إعجازه - صورة نظمه المجيب، المخالف لأساليب كلام العرب ومناسج نظمها ونثرها، وتصبها ورجزها وهزجها وقربضها، ومبسوطها

(١) عادة بالنصب مفعول خاتمة، بمعنى خاتمة عن عادتهم (شرح الشفا للشهاب ج ٢ : ٥١٠)

(٢) ٣٨ سورة يونس. (٣) آية ٢٢ سورة البقرة. (٤) آية ٨٨ سورة أسراء.

(٥) آية ٥ سورة فصلت. (٦) آية ٢٦ سورة فصلت. (٧) الرجز: يترنن الشعر

معروف، فهو كهيئة السجع إلا أنه في وزن الشعر وتسمى قصيدة أرجوزة.

(٨) المزج: الأغاني، وبجر من الشعر، وبه قسرنا.

(٩) قريضا: هو بمعنى الشعر مطلقا. (١٠) مبسوطها: مقلولات قصائدها.

وَمَقْبُوضُهَا^(١)، كما قال الوليد بن المغيرة لقريش عند اجتماعهم كما قدمناه ، ومن ذلك جمعه بين الدليل والمدلول ، وذلك أنه أحسَّ بنظم القرآن ، وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته ، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعدته ووعدده ، فالتألى له يفهم موضع الحجمة والتكليف معاً من كلام واحد .

١١١
١٦

الوجه الثالث من إيجازه — ما أنطوى عليه من الإخبار بالمفنيات ، وما لم يكن ولم يقع فوجوده ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ﴾^(٢) . وقوله في الروم : ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيْمٍ سَيَبْقَوْنَ﴾^(٣) . وقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٤) . وقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) الآية . وقوله : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(٦) السورة ، فكان جميع ذلك : فتح الله مكة ، وغلبت الروم فارس ، وأظهر الله رسوله ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأستخلف الله المؤمنين في الأرض ، ومكَّن دينهم ولكمهم أفصى المشرق والمغرب ، وما فيه من الإخبار بحال المنافقين واليهود ، وكشف أسرارهم ، وغير ذلك .

الوجه الرابع — ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأهم البائدة والشرائع الدائرة^(٧) ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب ، وأطلع على الكتب المنزلة القديمة ، كقصص الأنبياء مع قومهم ، وخبر موسى والخضر وذی القرنين ولقمان وآبى وبده الخلق ، وغير ذلك مما في كتبهم القديمة مما أترف بصحته العلماء من أخبار يهود ، ففهم من آمن به ، ومنهم من صد عنه مع عدم إنكارهم لصحته ، قال الله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٨) .

- (١) مقبوضها : مختصر أوزانها . (٢) آية ٢٧ - سورة الفتح . (٣) آية ٣ - سورة الروم . (٤) آية ٣٣ - سورة البقرة . (٥) آية ٥٥ - سورة النور . (٦) آية ١ - سورة نصر . (٧) الدائرة : المدرسة القديمة . (٨) آية ١٥ - سورة المائدة .

الوجه الخامس - الزوجة التي تلحق قلوب سامعيه ، وأسماعهم عند سماعه ، والمينة التي تجر جسمه عند تلاوته ، قال الله عز وجل : ﴿ تَشْعُرُهُمْ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(١) ، وقال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾^(٢) هذا في حق المؤمنين به ، وأما من كُتِبَ به فكانوا يستنزلون سماعه ، ويوقنون أقطاعه ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القرآن صعب مُتَصَصِبٌ على من كرهه ، وهو الحكم » وقد تقدم أن حبة بن ربيعة لما سمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ قوله : ﴿ صَاحِقَةٌ مُثَلَّ صَاحِقَةٌ حَادٍ وَمُحَوَّدٌ ﴾^(٣) أمسك على في النهي صلى الله عليه وسلم وأشدته الرجم أن يكف .

الوجه السادس - كونه آية باقية لا تعدم ما بعثت الأنبياء ، وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾^(٥) وسائر معجزات الأنبياء آهضت باقتضاه أوقاتها ، فلم يبق إلا خبرها ، والقرآن المزبوق منذ أنزله الله تعالى وإلى وقتنا هذا ، وما بعده إن شاء الله إلى آخر الدهر ، حجته قاهرة ، ومعارضته بمنتهى ،

الوجه السابع - أن قارئه لا يميل قراءته ، وسماعه لا تمنعه سماعه ، بل الإقبال على تلاوته وتزديده يزيد حلاوة وعبة ، لا يزال خاضعا طرعا ، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والتفصيح يميل مع التزديد ، ويسأم إذا

(١) آية ٢٣ سورة الزمر . (٢) آية ٢١ سورة الحشر . (٣) آية ١٣ سورة فصلت .

(٤) في : أي ثم أتى صلى الله عليه وسلم . (٥) آية ٩ سورة الحجر .

(٦) آية ٤٢ سورة فصلت .

أعبد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد فيها ما فيه من ذلك ، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن « أنه لا يحاط على كثرة الرّد ولا تنقضي صبره ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الفصل ليس بالمزمل » .

الوجه الثامن — أن الله تعالى يسهل حفظه لمعلميه ، وتقربه على متحفظيه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ^(٢) ﴾ فلذلك إن سائر الأسم لا يحفظ كتبها الواحد منها ، وإن لازم قراءتها ، وداوم مدارستها ، لم يسمع بذلك من أحد منهم ، والقرآن قد يسهل الله تعالى حفظه على الغلمان في الملة القريبة والنسوان ، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه ، وهذا من معجزاته .

الوجه التاسع — مشاكلة بعض أجزائه بعضها ، وحسن اشتلاف أنواعها ، والتمام أقسامها ، وحسن التلخيص من قصة إلى أخرى ، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه ، وأقسام السورة الواحدة على أمر ونهى ، وخبر واستخبار ووعد ووعيد ، وإثبات نبوة وتوحيد ، وتقرير وترغيب وترهيب ، إلى غير ذلك ، دون خلل يخلل فصوله ، والكلام الفصيح إذا أعثوره مثل هذا ضمنت قوته ، ولأنت جزأه ، وقُل رَوْقُهُ ، وَتَقَلَّتْ أَلْفَاظُهُ ، وهذا من الأمور الظاهرة التي لا يحتاج عليها إقامة دليل ، ولا تحرير حجة ، ولا بسط مقال .

الوجه العاشر — يجمعه لمعلوم ومعارف لم تهدها العرب ، ولا علماء أهل الكتاب ، ولا أشتمل عليها كتاب من كتبهم ، بجمع فيه من بيان علم الشرائع ، والتنبية على طرق الحجج العقلية ، والرّد على فرق الأمم بالبراهين الواضحة ، والأدلة البينة السهلة الألفاظ ، الموجزة المقاصد ، لقوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ

١١٢
١٦

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقَادِرَ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ ^(١) وَقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ^(٢) وقوله : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ^(٣) إلى غير ذلك مما أشتمل عليه من المواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب، وغير ذلك مما لا يحصىه واصف، ولا يمدده مადد، قال الله تعالى : ﴿ مَا فَرْطُنَا فِي السَّحَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٤)، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ^(٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهُ أَنْزَلَ عَلَى الْقُرْآنِ آيَرًا وَزَاجِرًا، وَسَنَةً خَالِيَةً، وَمَثَلًا مَضْرُوبًا، فِيهِ نَبَأُكُمْ وَخَبَرُ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحِكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، لَا يَخْلُقُهُ طَوْلُ الرِّدَّةِ، وَلَا تَقْضِي عِجَابُهُ، هُوَ الْحَقُّ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَّمَ بِهِ عُدِلَ، وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ قَلَجَ ^(٦) وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ حَكَّمَ بِذِيهِ قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَحَبْلُ اللَّهِ التَّيْنِ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ أَتْبَعَهُ، لَا يَعْوَجُ فَيَقُومُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَقْضِي عِجَابُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرِّدَّةِ » .

وفي الحديث : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِنْ مَزَلْ عَلَيْكَ تَوْرَةٌ حَدِيثَةٌ تَنْفَعُ بِهَا أَحَدًا نَحْمِيهِ وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، وَفِيهَا بَنَائِعُ الْعِلْمِ، وَفَهْمُ الْحِكْمَةِ، وَرَبِيعُ الْقُلُوبِ » . وقد مدوا في إعجازه وجوها كثيرة غير ما ذكرناه فلا نطول بسردها.

وأما أنشقاق القمر، وحبس الشمس ورجوعها - فكان ذلك من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى : ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ :

(١) آية ٧٩ سورة يس .

(١) آية ٨١ سورة يس .

(٢) آية ٢٨ - سورة الأنعام .

(٣) آية ٢٢ سورة الأنبياء .

(٤) فاج : غلب وقارب الصرع على من خاصمه .

(٥) آية ٢٧ سورة الزمر .

وأقسط : عدل .

وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر^(١) . وقد رويت قصة أنشقاق القمر عن ابن مسعود، وأنس بن مالك، وأبن عباس، وعلى بن أبي طالب، وعبد الله ابن عمر، وحذيفة^(٢)، وجبير بن مطعم رضى الله عنهم، قال ابن مسعود : أنشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهدوا » قال ابن مسعود : حتى رأيت الجبل بين فرقتي القمر، وفي بعض طرقه : ومن رواية مسروق عنه أنه كان بمكة، وزاد : فقال كتمار قريش يتحرك ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم : إن محمدا إن كان قد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فأسألو من يأتيكم من بني آخرهل رأوا هذا ؟ فأتوا فسألو فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك . وحكى الله رفندى عن الضحاك نحوه . وقال : فقال أبو جهل هذا سحر فأبصروا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا أروا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشفقا، فقالوا — يعنى الكفار — : هذا سحر مستمر . وقال على رضى الله عنه ، من رواية أبي حذيفة الأرحبي : أنشق القمر، ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم . وعن أنس : سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم أنشقاق القمر مرتين ، حتى رأوا حراء بينهما ، وفي رواية معمر ، وغيره عن قتادة عنه : أراهم القمر مرتين أنشقاقه، فنزلت الآية (أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشْهَتُ الْقَمَرَ) . وحكى الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الخليلي الجرجاني

(١) آية ١ - ٢ سورة القمر . (٢) أنشقاقه بالنصب بدل أشتمال من القمر .

(٣) في هامش ج : « الخليلي هذا شافعي المذهب ، مولده سنة ثمان وثلاثين وثمناة ، وحمل إلى بخارى وكتب الحديث من أبي سهل محمد بن أحمد بن يوسف وغيره ، وتفقه على أبي بكر الأودى وأبي بكر التفال ، ثم صار إماما معظما مرجوحا إليه بما رواه التبر وحدثه بنيسابور ، وروى عنه الحاكم ونوفى في جادى الأول سنة ثلاث وأربعمائة ، وقيل : في ربيع الأول من السنة » .

في مناجاة قال : رأيت يُنْفَرى الهلال وهو آبن ليلتين منشقا بنصفين ، عَرَض كل واحد منهما كمرض القمر ليلة أربع أو خمس ، وما زلت أنظر إليهما حتى انفصلا ، ثم لم يودا كما كانا ، ولكنهما صارا في شكل أُتْرَجَة ، ولم أيل طرفي عنهما إلى أن غاب ، قال : وكان معي ليلتئذ جماعة كثيفة ، من بين شريف وفيه وكاتب وغيرهم من طبقات الناس ، وكلُّ رأى ما رأيت . قال : وأخبرني من وَرَقَتْ به ، وكان خبره عندي كيميائي أنه رأى الهلال وهو آبن ثلاث منشقا بنصفين ، قال : وإذا كان هكذا ، ظهر أن قول الله عز وجل : ﴿ وَأَتَمَّتْ الْقَمَرَ ﴾ إنما هو على الانشقاق الذي هو من أشراف الساعة ، دون الانشقاق الذي جعله الله تعالى آية لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وحجة على أهل مكة . وبالله التوفيق .

- ١٠ . وأما رجوع الشمس — فقد روى عن أسماء بنت عميس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه في حجره على ، فلم يصل المصير حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصليت يا علي ؟ » قال : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولاك فأردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ، ووقفت على الجبال والأرض ، وذلك بالصبياء في خير . خرج الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء من طريقين ، قال وكان أحمد بن صالح يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التجلف عن حفظ حديث أسماء ، لأنه من علامات النبوة .

وأما حبسها — فقد روى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن ابن إسحق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أُمرى به ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير ، قالوا : متى نجي ؟ قال : « يوم الأربعاء » فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون ، وقد ولّى النهار ولم يحن ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة ، ومهت عليه الشمس صلى الله عليه وسلم .

وأما تنع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم

فقد روى عن أنس بن مالك ، وجابر ، وعبد الله بن مسعود ، قال أنس من رواية إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه ، قال : فرأيت الماء ينح من بين أصابعه ، فوضوا الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم . ورواه أيضا عن أنس ثمانية ، وقال : بإزاء فيه ماء ما ينمر أصابعه ، ولا يكاد ينمر ، قال : كم كنتم ؟ قال : زهاء ثلثمائة ، وفي رواية عنه : وهم بأزوداء عند السوق . وأما ابن مسعود ، ففى الصحيح عنه من رواية طلقمة : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس معنا ماء ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أطلبوا منى من فضل ماءه فأتى بإثنا عشر نعلين ، ثم وضع كفّه فيه ، فغسل الماء ينع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى الصحيح من سالم بن أبي الجعد عن جابر قال : « عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فوضا منها ، وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماء ، إلا ما فى ركوتك ، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة ، فغسل الماء يور من بين أصابعه كأمثال العيون ، وفيه : فقلت كم كنتم ؟ قالوا : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . وفى صحيح مسلم

(١) الوضوء : (ينح الماء) : الماء الذى يتوضأ به . (٢) يوضو : أى بإزاء وضوء .

(٣) كما فى الأصول ، والحق فى الثمان رواية ثمانية عن أنس : « بإزاء فيه ماء ينمر أصابعه » ولا يكاد ينمر ، وهو أروخ .

(٤) الركوة : أى من يده يشرب فيه الماء .

في ذكر غزوة بواط^(١) ، قال جابر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جابر ناد الوضوء » وذكر الحديث بطوله : وأنه لم يحد إلا قطرة في عزلاء^(٢) تنجيب ، فأني به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه ، وتكلم بشيء لا أدري ما هو ، وقال : « ناد بجفنة الركب^(٣) » فأثبت بها فوضعتها بين يديه ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة ، وفرق أصابعه ، وصب جابر عليه ، وكان : « بسم الله » قال : فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ، ثم فارت الجفنة ، واستدارت حتى أمتلأت ، وأمر الناس بالاستغناء فأستقوا حتى رَوُوا ، فقلت : هل بقي أحده^(٤) حاجة ؟ فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي مלאى ، هذا مختصر ما رَوَى من تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم .

١١٤
١٦

وأما تفجيرها وأنواعها وتكثيره ببركته ودعائه

صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ما رواه مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ ، عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك ، وأنهم وردوا العين ، وهي تبض^(٥) بشيء من ماء مثل الشراك ، فغرفوا من العين بأيديهم حتى أجمع في شيء ، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

- (١) بواط : جبال جهة يارب يقع على أربعة برد من المدينة ، هذه الغزوة أعرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لغير قرين . (٢) المزلاء : قم المزادة ، والشجب : السقاء الذي قد أخلق ويل وصار لنا . (٣) غمزه : عصره وحركه ، أو وضع يده عليه وركبه بها . (٤) جفنة : كقصة وزنا ومعنى وهو مجاز ، أى الذى يطعمهم ويشبههم ، أو مجاز بالخذف ، أى يا صاحب جفنة الركب ، وفي النهاية : « ناد يا جفنة » الركب . (٥) فقلت : أى قال جابر ، وهل نافية أى ما بقي ؛ لهما قال : فرفع رسول الله يده . ويجوز أن تكون استفهامية . (٦) العين : عين تبوك ، وتبض : أى تقطر وتسيل . (٧) الشراك بالكسر : سائر النيل شبه به لفضفه وقلة جريه .

فيه وجهه وبديه، وأعاده فيها بقرت بماء كثير فاستقى الناس . وفي حديث ابن
 إسحق : فأحرق^(١) من الماء ماله حسن كس الصواعق، ثم قال : «يوشك يا معاذ
 إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد هُلِيَّ جنانا» . ومنه قصة الحديبية، وقد
 تقدم ذكرها في الغزوات . ومن ذلك خبر صاحبة المزدتين ، وهو مما روى عن
 عمران بن حصين، قال : أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض
 أسفارهم ، فوجه رجلين من أصحابه ، وأعلمهما أنهما يحدان امرأة بمكان كذا ،
 معها بئر عليه مَرَدَاتَان ، الحديث . فوجداها وأتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم ،
 فجعل في إياه من مَرَدَاتِهَا ، وقال فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم أعاد الماء
 في المزدتين ، ثم فُتِحَت عَرِّيهما ، وأمر الناس فَلَاحُوا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا
 إلا ملأوه ، قال عمران : ويخيل لي أنهما لم تزدادا إلا استلاء ، ثم أمر بجمع للراءة
 من الأزداد حتى ملأ ثوبها ، وقال : «أذهبى فإننا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن
 الله سقانا» . وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
 رديفه يذى المجاز : عطشت وليس عندي ماء ، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
 وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال : «أشرب» . وعن سلمة بن الأكوع ،
 قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : «هل من وضوء ؟» فجاء رجل بإداوة فيها نطفة^(٢)
 ١٥

(١) احرق : أحجر .

(٢) وذلك أنه صلى الله عليه وسلم نزل بأقصى الحديبية على قدمها قليل ماء . يأخذ الناس قليلا قليلا
 فلم يأت الناس أن نزوه ، فشكروا إلى رسول الله الطش ، فأتبع سبعا من كذاته ثم أمرهم أن يحموه
 فيه ، فما زال يفرق بالماء حتى جلدوا عنه . وفي هذه القصة روايات مختلفة فتراجع في مقامها .

(٣) القصة بنماها وما فيها من الاختلاف في ج ٥ ص ١٩٦ شرح المواهب . وفي صحيح البخاري
 في علامات النبوة . (٤) إداوة (تكسر الهزة) : إنا صفر من جده نخذ لهاء كالزيادة ونحوها .

(٥) نصف : قليل من الماء .

فأفرغها في قدح فترضاً فاكلنا، ^(١) نُدَغِفَقِه دَغَفَقَة أربع عشرة مائة . وفي حديث غزوة تبوك، وما أصاب الناس من العطش، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أرسل تحابة فأمطوت حتى أرتوى الناس، وأختلوا حاجتهم من الماء، وقد تقدم ذكره . ومن طريق آخر في هذه القصة عن عمر: وذكر ما أصابهم من العطش في جيش العسرة، حتى إن الرجل لينجر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء، فرقع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فانسكبت فلأروا ما دمهم من آتية، ولم يجاوز السكر. والحديث في هذا الباب كثير .

وأما تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم

- ١٠ فقد روينا من ذلك أحاديث كثيرة بأسانيد صحيحة متصلة، رأينا حذفها هاهنا اختصاراً لا لشهرها وانتشارها، منها ما رويناه عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطراً وشق شعير، لما زال يأكل منه وأمرأته وضيئه حتى كآله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه وقلم بكم». ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور، وإطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده - أي إجله - فأمر بها ففتت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول . وحديث جابر - رضي الله عنه - في إطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير، وعُتْق، قال جابر: فأقسم بالله لا أكلوا حتى تركوه وأنحرفوا، وإن

١١٥
١٦

(١) أو دمن أربع عشرة مائة، والجيفة: السب الشديد، يقال: فلان في ضم دغق أي واسع .
(٢) قالت اليد: غبت وظهر فيها حجاب، من قولهم: فلان كذا إذا تباله وأبعد . (شرح الشفا
(٣) عتق: أبقى المملوك يتم لهامة . (٤) انحرفوا: أي مالوا عن الطعام . (٢٩: ٢)

بُرْمَتَا تَنْفُطَ كَأَهِي ، وَإِنْ عَجِبْنَا لِيُخْبِرَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْقِي
 فِي الْعَبِينِ وَالْبُتْرَةِ وَبَارَكَ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ : أَنَّهُ صَنَعَ لِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَإِي بَكَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الطَّعَامِ زَهَاءً مَا يَكْفِيهِمَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ
 اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « آدَعُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَشْرَافِ الْأَنْصَارِ » فَدَعَاهُمْ فَآكَلُوا حَتَّى
 تَرَكَوهُ ، ثُمَّ قَالَ : « آدَعُ سِتِينَ » فَكَانَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : « آدَعُ سَبْعِينَ »
 فَآكَلُوا حَتَّى تَرَكَوْا ، وَمَا خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ حَتَّى اسْلَمَ وَبَايَعَ ، قَالَ أَبُو أَيُّوبَ : فَآكَلَ
 مِنْ طَعَامِي مِائَةً وَثَمَانُونَ رَجُلًا . وَعَنْ سُمَيْرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَصْعَةٍ فِيهَا لَحْمٌ فَتَمَاقَبَوْا مِنْ غَدَاةٍ حَتَّى اللَّيْلِ يَقُومُ قَوْمٌ وَيَقْعُدُ آخَرُونَ .
 وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَعَ النَّبِيَّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً ، وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ : نُجْنُ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ ، وَصُنِيتَ
 شِبَاةُ قُشْوَى سَوَادٍ بَطْنُهَا ، قَالَ : وَأَيُّمُ اللَّهِ مَا مِنَ الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إِلَّا وَقَدْ حُرِّلَ حَرَّةً
 مِنْ سَوَادٍ بَطْنُهَا ، ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا قَصْعَتَانِ فَآكَلْنَا أَجْمَعُونَ ، وَفَضَلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ لَحْمُهُ
 عَلَى الْبَعِيرِ . وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَذَكَرُوا تَحْمَصَةَ أَصَابَتِ النَّاسَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ
 مَغَازِيهِ ، فَدَعَا بَقِيَّةَ الْأَزْوَادِ ، بِقَاءِ الرَّجُلِ بِالْحَتِيَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَرَّقَ ذَلِكَ ، وَأَعْلَاهُمْ
 الَّذِي أَتَى بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ، فَجَعَلَهُ عَلَى نَظْعٍ ، قَالَ سَلَمَةُ : فَحَزَرْتُهُ كَرِيضَةَ الْبَعِيرِ ،
 ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعِائِلُهُ إِلَّا مَلَأُوهُ وَبَقِيَ مِنْهُ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَدْعُوهُ أَهْلَ الْعُقَّةِ
 فَتَبِعْتَهُمْ حَتَّى جَمَعْتَهُمْ ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ فَآكَلْنَا مَا شِئْنَا وَفَرَعْنَا ، وَهِيَ بِمِثْلِهَا

(١) نَطْل : تَتْل . (٢) زَهَاء : حَقْدَار . (٣) سَوَادٍ بَطْنُهَا : أَيْ الْكَبِدِ .

(٤) رِبْضَةُ الْبَعِيرِ ، الْقِي فِي النَّهَايَةِ : كَرِبْضَةِ الْمَرْءِ : أَيْ مَقْدَارِ جَسَدِهِ إِذَا بَرَكَتْ .

- حين وضعت ، إلا أن فيها أثر الأصابع . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين ، منهم قوم يأكلون الجذمة ويشربون الفرق^(١) فصنع لهم مِدا من طعام ، فأكلوا حتى شعروا وبقي كما هو ، ثم دعا بعض فشريوا حتى رَووا وبقي كأنه لم يشرب . وقال أنس ابن مالك : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما آتاني بزنب أمره أن يدعوه قوما سَمَّاهم ، وكل من لقيت حتى أمتلأ البيت والجُرة ، وقدم إليهم تورا^(٢) فيه قدر مَد من تمر جِعل حِيسا ، فوضعه قدامه وخمس ثلاث أصابعه ، وجعل القوم يتفقدون ويخرجون ، وبقي التمر نحو مما كان . وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين .
- وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها : أن القوم كانوا زهاء ثلثائة ، وأنهم أكلوا حتى شعروا ، وقال لي : « ارفع » فلا أدري حين وضعتُ كانت أكثر أم حين رَفَعْتُ . وفي حديث جعفر بن محمد عن آلِه ، عن علي رضي الله عنهم أن فاطمة رضي الله عنها طبخت قِدرا لِقَدائِها ، ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لينفذي معها ، فأمرها فنَرَفَتْ منها بلِيع نِساءه صَحْفَةً صَحْفَةً ، ثم له عليه السلام ولعلِّي ، ثم لها ، ثم رفعت القدر ، وإنها لتفيض ، قالت : فأكلنا منها ما شاء الله .
- ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعائة راكب من أحمس ، فقال : يا رسول الله ، ما هي إلا أضْوَع ، قال : « آنهب » فذهب فزودهم منه ، وكان قدر القِصِيل الزابض من التمر وبقي بحاله .

(١) الفرق بفتحين : مِكْال مع ستة عشر رطلا على خلاف فيما يبيع . (انظر النهاية) .

(٢) الس (بالضم) : القندح الكبير يروى الثلاثة والأربعة .

(٣) التور : إناء يشرب فيه من صغر أو حجارة وقد يتروأ منه .

(٤) الحيس : خليط من تمر وسمن وأُفط ، وهو في شرح المواهب كذلك عن الصبحيين .

ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في دين أبيه ، وقد كان يَدُلُّ لِرَمَاءِ أبيه أصل ماله فلم يقبلوه ، ولم يكن في عمرها سنين كَفَافٌ ذَيْنَهْم ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بِجَعْلِهَا بِأَدْرِ فِي أَصُولِهَا ^(١) ، ثم جاءه فُشِي فِيهَا ودعا ، فأَوْقَى جَابِرُ غُرْمَاءَ أَبِيهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَفَضِلٌ مِثْلُ مَا كَانُوا يَحُدُّونَ كُلَّ سَنَةٍ . وفي رواية : مثل ما أعطاهم . قال : وكان الغرماء يهوداً فسجوا من ذلك . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أصاب الناس تَحَمُّصَةٌ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « هل من شيء ؟ » قلت : نعم ، شيء من القُرْفِ الْمَزُودِ ، قال : « فأتني به » فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَأَدْخَلْتُ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قُبْضَةً فَبَسَطَهَا ، ودعا بالبركة ، ثم قال : « أدع لي عشرة » فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثم عشرة كذلك ، حتى أظلم الجيش كلهم وشبعوا ، قال : « خذ ما جئت به وأدخل يدك وأبيض منه ولا تُكَبِّه » فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وَأَطْعَمْتُ مِنْهُ حَيَاةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، لِي أَنْ قَتَلَ عُمَانٌ فَأَتَتْهُبُ مِنِّي فَذَهَبَ . وفي رواية : فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله . وذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك ، وأن التمر كان بضع عشرة ثمرة . ومنه أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين أصابه الجوع ، فأستبمه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قَدَحٍ قد أهدى إليه ، وأمره أن يدعو أهل الصُّفَّةِ ، قال فقلت : ما هذا اللبن فيهم ! كنت أحتق أن أصيب منه شربة أهوى بها ، فدعوتهم ، وذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم له أن يسقيهم ، قال : فطعنت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يأخذ الآخر حتى يروى جميعهم ، فأخذ النبي

١١٦
١٦

(١) ياد (جمع يد) : موضع تخفيف التمر والبر ونحوه لينس من يده . والمراد أنه كثره

في حديقة نخله . (٢) أطعمت به : أي أهل من أردت إطعامه .

(٣) تسبب به لغة اللبن ، وأنه لا يكتفهم .

صلى الله عليه وسلم القَدَح وقال : « بقيتُ أنا وأنت أتعند فأشرب » فشربت ثم قال : « أشرب » وما زال يقولها وأشرب حتى قلت : لا واللهِ بئسك بالحق ما أجد له مُسَلَكاً ، فأخذ القَدَح فحمد الله وسقى وشرب القَضَلَة ، صلى الله عليه وسلم .

وأما كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة

وأقيادها إليه وإجابتها لدعوته صلى الله عليه وسلم

- فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال :
 كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي ، فقال : « يا أعرابي أين تريد ؟ » قال : إلى أهل ، قال : « هل لك إلى خير ؟ » قال : وما هو ؟ قال :
 « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله » قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة السَّمرَة ^(١) وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تحضُّ الأرض حتى قامت بين يدي ، فأستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعت إلى مكانها . وعن بُريدة قال : سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له : « قل لتلك الشجرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يدعوك » قال : قالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ، ثم جاءت تحضُّ الأرض ، تجزُّ عروقها مغيرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، قال الأعرابي : مرها فترجع إلى منبتها فاستوت ، فقال الأعرابي : إني نرى أمجد لك ، قال : « لو أمرتُ أحدا

(١) السَّمرَة (فتح السين وضم الميم) : شجرة عظيمة ذات شوك من الطلح ، وأشار إليها أقرباها .

(٢) تحضُّ الأرض : تنقها .

(٣) مغيرة : مسرة في شيئا من أغار ، ويرى : مغيرة ياء مشددة مكسورة ، اسم قاع ، يقال :

أن يسجد لأحد لامرأت المرأة أن تسجد لزوجها ، قال : فأذن لي أقبل يديك ورجليك ، فأذن له .

ومن ذلك ما روى في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله قال : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فلم ير شيئا يستتر به ، فلذا بشجرين شاطئ الوادي ، فاطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحدهما فآخذ بنصن من غصنها فقال : «أعادي مل» بإذن الله ، فأقادت معه كالبير المشوش الذي يصانع قائمه . وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك ، حتى إذا كان بالمتصف بينهما قال : «والثما عل» بإذن الله ، فالتأمت . وفي رواية أخرى ، قال : « يا جابر قل لمنه الشجرة يقول لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحق بصاحبك حتى أجلس خفكاه ففعلت فوجست حتى لحقت بصاحبها ، فجلس خلفهما ، فخرجت أحضر ، وجلست أحييت نفسي ، فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقول والشجرتان قد اقترفتا ، ففادت كل واحدة منهما مل ساق ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقة فقال برأسه - هكذا - بينا وشمالا .

وروى أسامة بن زيد نحوه ، قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض منازي : «هل ؟» يعني مكانا لحاجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت :

(١) المشوش : الذي وضع في آفه غشاش يكثر الحجة عند لقاء بسورة .

(٢) المتصف : أي حل في وسط المكان . (٣) أحضر : أسرع في العبور .

(٤) قبل خبر رسول الله به « قبل » بالنصب على الخالية من قدر ، أي جاء قبله ، وأجفة خير المبتدأ .

(٥) قال هنا يعني أشار ، وأشار الزاوي برأسه ، كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشجرتين بينا وشمالا .

(٦) حل : كسقطهم حذف المنتظم عن العلم به أو استحيان ذكره . والمعنى حل ترى مكانا لهما بغضا ، الحاجة (شرح الشفا للكتاب ٣ : ٢٧ طبع الآسنة) .

- ابن الوادى ما فيه موضع بالناس^(١)، فقال : « هل ترى من نخل أو نخجارة ؟ »
قلت : أرى نخلات متقاربات ، فقال : « أنطلق وقل لمن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للنخجارة مثل ذلك » فقلت ذلك لمن ، فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن ، والنخجارة يتماقدن حتى صرن كأنها خلفهن ، فلما قضى حاجته قال لى :
« قل لمن يفترقن » فوالذى نفسى بيده لرايتن والنخجارة يفترقن حتى صرن إلى مواضعهن . وعرب ابن مسعود مثله فى غزاة حنين . وعن يعلى بن مرة — وهو ابن سبابة^(٢) — وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة — أو سمرة — جاءت فاطمات به ، ثم رجعت إلى منتهىها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنها آسأذنت أن تسلم على » . وفى حديث ابن مسعود : آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالحن ليلة أسقوا له شجرة . وذكر أبو بكر بن قورك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار فى غزوة الطائف ليلا وهو وسن^(٣) ، فأعرضته سدرة فأفترجت له نصفين ، حتى جاز بينهما ، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا ، وهى هناك معروفة . وقد روى فى مثل ذلك أحاديث كثيرة .
- ومن ذلك قصة حنين الجذع ، والخبر بذلك مشهور منتشر خرجته أهل الصحيح ، ورواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، قال جابر بن عبد الله : كان المسجد مستقفا على جذوع نخل ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم على جذع منها ، فلما صبح له الخبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار ، وفى رواية أنس :

١١٧
١٦

(٢) سبابة أمه .

(١) بالناس : أى بسبب الناس .

(٣) آذنت (بالآلة) : بمعنى أعطت ، وقاطع شجرة الآل . (٤) الوسن : الناس .

(٥) العشار : بكسر الهمزة : الفوق الخواهل التى يلفت حشرة أدهر لحملها ، جمع عشار ، بضم الهمزة .

حتى أرتج المسجد بمجواره . وفي رواية سهل بن سعد : وكثر بكاء الناس لما رأوا به . وفي رواية المطلب بن أبي وداعة : حتى تصدع وأنشق ، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت . وزاد غيره : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن هذا بكى لما فقد من الذكر » . وزاد غيره : « والذي نفسي بيده لو لم أترمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله » صلى الله عليه وسلم ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر . وفي حديث أبي بن كعب : فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه ، فلما دُيِم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وماد رفاتا . وذكر الإسرائيليين : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه بغداة يخرق الأرض فالتزمه ، ثم أمره فعاد إلى مكانه . وفي حديث بريدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه ، تنبت لك عُروُك ، ويكتمل خلقك ويحدث لك خوص وثمره ، وإن شئت أغرسك في الجنة فإيا كل أولياء الله من ثمرك » ، ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال : بل تفرسني في الجنة فإيا كل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه . فسمعه من يليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قد فعلت — ثم قل — أخار دار البقاء على دار الفناء » .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نطق الجمادات

كتسبيح الطعام في جوفه ، وتسبيح الحصى في كتفه وكف من صبه في كتفه من أصحابه ، وسلام الجبال والأحجار والأشجار عليه ، وسجودها له ، وغير ذلك مما يتحقق به على ما نشرحه إن شاء الله تعالى .

(١) في شرح المواهب : لجواره ، وهو بمعنى الأول ؛ أي صياحه . (٢) هو أبو بسل في مسنده ، والذي في شرح المواهب عنه : « والذي نفس محمد بيده » . (٣) أترمه : اعتنقه وأضمه . (٤) أي تخلص الجذع من على النبي صلى الله عليه وسلم وهو القريب منه .

- فمن ذلك ما روته بإسناد متصل عن البخاري بسنده، عن ثقة ^(١) [عن] عبد الله قال : لقد كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل ، وفي غير هذه الرواية عن عبد الله ابن مسعود قال : كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ، ونحن نسمع تسيحه . وقال أنس بن مالك : أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاً من حصى فصبّح في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسييح ، ثم صبّح في يد أبي بكر فصبّح ، ثم في أيدينا فما صبّح . وروى أبو ذرّمة ، وذكر أن النبي صبّح في كفّ عمر وعثمان . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج إلى بعض نواحيها لما استقبله خبر ولا جبل إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ه إلى لأمرهم حجرا بمكة كان يسلم علىه قيل : إنه الحجر الأسود . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما استقبلني جبريل بالرسالة جئت لا أمر بحجر ولا خبر إلا قال السلام عليك يا رسول الله » . وعن جابر بن عبد الله قال : لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا خبر إلا جعد له . وفي حديث العباس بن عبد المطلب إذ أشعل ^(٢) عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنه بملائكة فأمنت أنسكة ^(٣) البساب وحواط البيت آمين آمين . وعن جعفر ابن محمد عن أبيه قال : مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وحب ، فأكل منه صلى الله عليه وسلم فصبّح . وعن أنس رضي الله عنه قال : صد

١١٨
١٦

(١) في الأصول « ابن » والتصويب من الثقات ، وعبد الله هو ابن سحره .

(٢) أشعل عليه : أي ضمه ، والضمير للعباس رضي الله تعالى عنه .

(٣) كما في الأصول ، والحديث في الثقات : « وفي حديث العباس إذ أشعل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى بنه بملائكة فدعا لهم بالسر من النار كثره لإياهم بملائكة فأمنت ... الخ » والأنسكة : حبة الباب التي يرمط عليها .

الذي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدًا فرَجَف بهم فقال: «أثبت أحدٌ،^(١) فإنما عليك نبيٌّ وصديق وشهيدان»، ومثله عن أبي هريرة في حراء، وزاد فيه: ومعه عليٌّ وطلحة والزبير، وقال: «إنما عليك نبيٌّ أو صديق أو شهيد»، والخبر في حراء أيضًا عن عثمان قال: ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم، وزاد عبد الرحمن وسعداء، قال: ونسيت الاثنين. وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال له تَبِيرُ: أهبط يا رسول الله، فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله، فقال حراء: إلى يا رسول الله. وقد تقدم ذكر خبر الأصنام، وسقوطها عند ما أشار إليها بالقضيب، حين فتح الله تعالى مكة عليه، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أبدا داما.

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم
كلام الحيوانات وسكونها وثباتها إذا رآته، وكقصة الداجن، وكلام القُتُب^(٢) والدُّنُب، والطائر والظبية، وسجود النعم والبعر، وخبر سفينة مولاة مع الأسد، وخبر العنز، وغير ذلك مما نوره إن شاء الله تعالى.

فإن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عندنا داجنٌ، فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه، فلم يحن ولم يذهب، فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب.

ومنه ما روى عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في تخفيل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال: من هذا؟ قالوا: نبيٌّ

(١) حراء: جبل بمكة كان يتجشأ صلى الله عليه وسلم في غار فيه.

(٢) أرها بمعنى الراوثة تشبهاً. (٣) تَبِير: جبل على بين القناب من ملى مكة.

(٤) الداجن: الحيوان الذي يألف البيوت، من دجن بمعنى أقام كالطير والشاء.

- الله ، فقال : والآلات والمُزَي لا آمنن بك أو يؤمن هذا الضَّب . وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا ضَبُّ » فأجابه بلسان مُبين يسمعه القوم جميعا : تَيْيَك وسَعْدُكَ يا زَيْن من وَاَقِ القيامة ، قال : « من تعبد ؟ » قال : الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمة ، وفي النار عقابه ، قال : « فن أنا » ؟ قال : رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، وقد أطلع من صدقك ، وخاب من كذبك . فأسلم الأعرابي .

- ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري قال : بينما راع يرعى غنما له ، عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه ، فأقنى الذئب وقال للراعي : ألا تتقى الله ، حُلَّتْ بيني وبين رزق ! قال الراعي : العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ رسول الله بين الحزتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق ، فأقنى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثم حدثهم » ؟ ثم قال : « صدق » . وروى حديث الذئب عن أبي هريرة . وفي بعض الطرق عنه قال الذئب : أنت أعجب ! واقفا على غنمك ، وترك نيا لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه عند قَدَرَا ، قد فُتحت له أبواب الجنة ، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله ، قال الراعي : من لي بفنسي ؟ قال الذئب : أنا أراها حتى ترجع ، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى ، وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « عد إلى غنمك لتجدها بوقرها » فوجدتها كذلك ، وذبح للذئب شاة منها .

٢٠ (١) بنصب يؤمن ، أى إلا أن يؤمن . (٢) في نسخة من الشفا قاضي حاض : « من سبق » .

(٣) وفرها : بناتها وكالها لم يقص منها شيء ؟ من يقول : أرض وفرة لم يربح نيتها .

وروى أن أنبان بن أوس هو صاحب القصة ومكلم الذئب . وروى أيضا أن صاحب القصة سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وإنما سبب إسلامه . وحكى أبو عمرو بن عبد البر في ترجمة رافع بن عُميرة الطائي أنه كلبه الذئب ، وهو في ضائق له يراها ، فدعاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجق به . قال : وزعموا أن رافع بن عُميرة قال في كلام الذئب إياه .

رَعَيْتُ الضَّأْنَ أَجْمِئًا بِكَلْبِي * مِنَ الضُّعِيفِ الْحَفِيِّ وَكُلِّ ذَيْبٍ ^(١)
فَلَمَّا أَنَّ سَمِعْتُ الذَّئْبَ نَادَى * يَبْشُرُنِي بِأَحْمَدَ مِنْ قَرِيبٍ
مَعَيْتُ إِلَيْهِ فَدَثُمْتُ نَوْبِي * عَلَى السَّاقَتَيْنِ فَاصْدَةَ الزَّكِيْبِ
فَأَنْفَيْتُ النَّسِيَّ بِقَوْلٍ قَوْلًا * صَدُوقًا لَيْسَ بِالْقَوْلِ الْكَذُّوبِ
يُبْشِرُنِي بِبَيْدِنِ الْحَسَقِ حَتَّى * تَبَيَّنَتِ النَّزِيرَةُ لِلْمُنْدِبِ ^(٢)
وَأَبْصَرْتُ الضَّيَاءَ يُضِيءُ حَوْلِي * أَمَا مَيَّ إِنْ سَعَيْتُ وَمِنْ جَنْوِي
فِي آيَاتٍ مُتَر .

وروى ابن وهب : أن مثل هذه القصة وقع لأبي سفيان بن حرب ، وصَفَوَانُ ابن أمية مع ذئب وجده قد أخذ ظلياً ، فدخل القلبي الحرم فَأَنصَرَفَ الذئب فمَجِبًا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدهوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار . فقال أبو سفيان : واللآلئ والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتركنا خلوقاً ^(٣) . وقد روى أيضا مثل هذا الخبر ، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه .

(١) الحفي ، وفي نسخة أ : « الحفي » والحفي بالحاء المهملة : المبالغ في الطلب .

(٢) المنيب : الراجع إلى الله .

(٣) الخلوفا (بضم المعجمة واللام) : هو مصدر أو جمع خالف ، والمراد تركها خالية من أهلها .
بأن يسلموا جميعاً ويرتحلوا إليه صلى الله عليه وسلم . (الشفا) . وبارة الأصل : « لتركنا » ،
والضمير لك .

وعن عباس بن مرداس السلمي أنه لما تعجب من كلام صفه ضمير ، وإنشاده الشعر الذي ذكرناه ، فإذا طائر سقط ، فقال : يا عباس ، أنجب من كلام ضمير ، ولا تعجب من نفسك ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام ، وأنت جالس !

- وعن أنس رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار حائط أنصاري ، وفي الحائط غم ، فسجدت له فقال أبو بكر : نحن أحق بالسجود لك منها ... الحديث . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا بقاء بيتر فسجد له ، وذكره مثله ، ومثله في الجبل عن ثعلبة بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ويثقل بن مرة ، وعبد الله بن جعفر قال : وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شدة عليه الجبل ، فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه ، فوضع يده في الأرض وبرك بين يديه فخطمته ، وقال : « ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس » . وفي حديث آخر : أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه . وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : « إنه أشدكم كثرة العمل وقلة العلف » . وفي رواية : « إنه شكوا إلى أنكم أردتم ذبحه بعد أن استمتموه في شاق المصالح من صفه » فقالوا : نعم . وقد روى في قصة الضبياء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعرضها له بنفسها ، ومبادرة العشب إليها في الزرع ، وتجنب الوحوش عنها ، وندائهم لها أنك للمحمد ، وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت . ذكره الإسفراني . وروى ابن وهب : أن حمام مكة أظلت

(١) حائط : المراد به هذا البستان .

(٢) قال : أي كل منهم ، أرمع الله بن جعفر .

النبي صلى الله عليه وسلم يوم نصحا، فدعا لها بالبركة . وقد ذكرنا قصة الفار
وغير الحامتين والتكبوت .

ومن عبد الله بن قُوط قال : قُرِبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدتات
خمسة أو ست أو سبع ليحترها يوم عيد، فَأَزْدَقْنِ^(١) إليه بِأَيْتِنِ يَبْدَأُ . ومن أم سلمة
قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فتدعه ظلية : يا رسول الله، قال :
« ما حاجتك » ؟ قالت : صَادَنِي هَذَا الْأَمْرَابِي وَلِي يَشْتَقَانِي فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ ،
فَاطْلُقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَرْضِيَهُمَا وَأَرْجِعَ ، قال : « وتضعين » ؟ قالت : نعم ،
فَاطْلُقْنِي فَذَهَبْتُ وَرَجَعْتُ فَأَوْتَقَهَا ، فَأَتَبَهُ الْأَمْرَابِي . فقال : يا رسول الله، ألك
حاجة ؟ قال : « تُطْلِقُ هَذِهِ الظِّلَّةَ » فَاطْلُقَهَا ، فَرَجَعْتُ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ وَقَتُولُ
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

١٠

ومنه ما روى من تفسير الأسد لسفينة

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

إذ وجهه إلى معاذ باليمن ، فلقى الأسد ففرقه أنه مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسه كتابه ، فهمهم وتقى من الطريق ، وذكر في منصرفه مثل ذلك .
وفي رواية أخرى عنه : أن سفينة تكسرت به ، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد ، قال
نقلت : أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجل يَتَعَرَّفُ بِمَنِيكِهِ حَتَّى أَقَامَنِي
عَلِ الطَّرِيقِ . وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بأذن شاة تقوم من عبد القيس
بين إصبعيه ثم خلاها ، فصار لها يميناً ، وفي ذلك الأمر فيها وفي نفسها . وقد
روى عن إبراهيم بن حماد بسنده كلام الحمار الذي أصابه بغيره ، وقال له :

- [ما أمرك قال] : أسمى يزيد بن شهاب ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يَمُورًا^(١) وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ، تَرَدَّى في بئر جَزَعًا وحُزْنًا فَمَات . وخبر الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه . وخبر العز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره ، وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زُهَاء ثَلَاثَةَ ، فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرَوَى الجُنْد ، ثم قال لرائع : « املكها وما أراك » فربطها فوجدتها قد أنطلقت^(٢) . رواه ابن قانع وغيره ، وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها » . وقال عليه السلام لفرسه ، وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره : « لا تَبْرَحْ بَارِكَ اللهُ فِيكَ حتى تفرغ من صلاتنا » وجعله قِيلَتَه^(٣) فاحرك عَضْوًا حتى تفرغ من صلاته صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما روى من كلام الأموات والأطفال وشهادتهم له بالنبوة .

- فمن ذلك ما روى عن فهد بن عطية^(٤) : أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي قد سَبَّ لم يتكلم قط ، فقال له : « من أنا ؟ » فقال : رسول الله . وعن مُعْرِض بن مُعَيْقِب قال : رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجايب ، جيء

(١) الزيادة من الشفا للقاضي عياض .

(٢) املكها : أى اتخذه ملكا لك لأنها وجدت بأرض العدو ، ويحتمل أن يكون معناه : شدّها وأوثقها من ملاك الأعر ، أو من ملك السجين ونحوه . وما أراك : أى لا أظنك تملكها أو تحفظها .

(٣) جعله قِيلَتَه : أى جعله في جهة قِيلَتَه ، مانعا وساترا لمن يمر بين يديه صلى الله عليه وسلم .

(٤) فهد (بهاء وهاء ودال) : قال في شرح المواهب : ليس في الصلاة من يسمى بذلك .

وفي البيهقي : شمر بن حلية الأسدي من تابع التابعين .

بَصِيٍّ يَوْمٌ وُلِدَ ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، وَهُوَ حَدِيثُ مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ ، وَيَعْرِفُ بِحَدِيثِ شَاصُونَةَ أَسْمَ رَاوِيَةٍ ، وَفِيهِ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقْتَ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ » ثُمَّ إِنْ الْغُلَامُ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَهَا حَتَّى شَبَّ ، فَكَانَ يُسَمَّى مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْقَدَمَةُ بِكَ : فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ .

٥. وَعَنْ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ طَرَحَ بُيْتَهُ لَهُ فِي وَادِي كَذَا ، فَأَصْطَقَ مَعَهُ إِلَى الْوَادِي وَنَادَاهَا بِأَسْمَائِهَا « يَا فُلَانَةُ أَحْبَبِي بِإِذْنِ اللَّهِ » فَخَرَجَتْ وَهِيَ تَقُولُ : لَيْكَ وَسَعْدُكَ ، فَقَالَ لَهَا : « إِنْ أَبَوَيْكَ قَدْ أَسْلَمَا فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أَرُدَّكَ عَلَيْهِمَا » قَالَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِمَا ، وَجَدْتُ اللَّهَ خَيْرًا لِي مِنْهُمَا .

١٠. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ شَابًا مِنَ الْأَنْصَارِ تُوُفِّيَ وَلَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ عَمِيَاءُ قَالَ : فَسَجَّيْنَاهُ وَعَمَّرَيْنَاهَا فَقَالَتْ : مَاتَ أَبْنَى ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَتْ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هَاجَرْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى نَيْكَ رَجَاءً أَنْ تَعِينَنِي عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ ، فَلَا تُجْلِنَنَّ عَلَيَّ هَذِهِ الْمَصْرِيَّةَ ، قَالَ : فَمَا بَرَحْنَا أَنْ كَشَفَ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِهِ فَطَعِمْنَا . وَرَوَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : كُنْتُ فِيمَنْ دُفِنَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ — وَكَانَ قَتَلَ بِالْيَمَامَةِ — فَسَمِعْتُهُ حِينَ أُدْخِلْنَاهُ الْقَبْرَ يَقُولُ :

١٥. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، أَبِرَ بَكْرَ الصَّدِيقِ ، عَمْرَ الشَّهِيدِ ، وَعُثْمَانَ الْبَرَّ الرَّحِيمَ ، فَنَظَرْنَا ، فَوَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ . وَذَكَرَ عَنِ النَّهْجَانِ بْنِ بَشِيرٍ : أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَارِجَةَ نَعَرَ مَيِّتًا فِي بَعْضِ أَرْفَافِ

(١) فِي الْأَسْوَدِ « شَاصُونَةُ » وَالْمَوْصُوبُ عَنْ الشُّفَا ٣ : ١٠٥ .

(٢) أَيْ لَا تَكْلَفْنِي حُلَاهَا ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « لَا تَحْمِلُوا مَآثِقَهُنَّ لَكُنَّ » ؛ لِأَنَّ التَّكَلُّفَ كَالْحُلِّ الْقَتْلِ .

(٣) أَيْ قَوْلَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ . ٢٠

(٤) أَيْ فِي أَسَدِ النَّبَاةِ : « أَنَّهُ أَغْنَى عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ فَظَنُّوه مَيِّتًا فَدَجَّوْا عَلَيْهِ ثَوْبَهُ ، ثُمَّ رَاجَعَهُ ،

فَقَصَهُ بِكَلَامٍ . فَخُفِّضَ عَنْهُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثُمَّ مَاتَ » .

المدينة، فرجع ونُحِّي إِذْ سَمِعُوهُ بَيْنَ الْعِشَاءِ يَصْرُخُنْ حَوْلَهُ يَقُولُ : اُنْصَتُوا . اُنْصَتُوا ، خَشِرَ عَنْ وَجْهِهِ ، قَالَ : عَمِدَ رَسُولُ اللَّهِ ، النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكَلْبِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ صَدُقَ ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، ثُمَّ طَدَمْنَا . وَمِنْ ذَلِكَ قِصَّةُ الْقُرَاعِ وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَلَانَهَا أَخْبَرْتَنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ . وَقَدْ تَحَنَّنَ خَيْرَ الْقُرَاعِ . وَاللَّهُ مُتَّبِعِي الْمُتَّقِينَ وَرَبِّهِمْ .

وَمِنْ مَجَازَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاءُ الْمَرْضَى وَذَوَى الْمَاهِيَاتِ ، كَرَدِّ مَيْتَةٍ قَتْلَةٍ ، وَكُشْفِ بَصَرِ الضَّرِيرِ ، وَنَقْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جِرَاحَاتِ نَجْرَاتٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا نَشْرَحُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

- ١٠ . أَمَّا مَيْتَةُ قَتْلَةٍ بَيْنَ النَّهْلِ فَقَدْ رَوَيْنَا بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ :
- أَنَّ قَتْلَةً بَيْنَ النَّهْلِ أَصِيبَتْ مِنْهُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ أَحْسَنَ حَيَّةٍ . وَذَكَرَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدَنِيِّ قَالَ : أَوْفَدَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ ، بِدِيَوَانَ الْمَدِينَةِ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ قَتْلَةٍ بَيْنَ النَّهْلِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قَالَ :
- أَنَا ابْنُ الْقَتْلِ سَأَلْتُ عَلَى انْتِلَافٍ عَيْنَهُ . • فَرَدَّتْ بِكَفِّ الْمَصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ (١)
- فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا . • فَيُحَسِّنُ مَا عَيْنُهَا وَيُحَسِّنُ مَا رَدَّ (٢)
- فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

تِلْكَ الْكَامِرَاتُ لَا قَبِيْلَانِ مِنْ لَبِيبٍ • شَيْئًا بِمَاءٍ فَسَادًا بَسَدُ آبَوَالَا (٣)

(١) يَرَوِي أَبُو نَافِعٍ الْقَتْلِي ... أَخْبَرَهُ . (٢) يَرَوِي : وَيُحَسِّنُ مَا عَيْنُهَا ، وَدُرَايَةُ الْأَصْلِ هِيَ دُرَايَةُ الْأَصْحَى وَيُحَسِّنُ مَا عَيْنُهَا ، وَهُوَ تَكَرُّارُ الْفَاعِلِ ، لِإِخْلَافِهِمَا تَعْرِيفًا وَتَشْكِيرًا .

(٣) أَلَيْتَ لَأَمِيَّةَ بِنْتُ أَبِي الْفَتْحِ ، وَتَقَالُ بِهَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَنَعْبَانُ تَنْبِيْةٌ قَبْ : الْقَدَحُ الضَّمُّ ، أَوْ الصَّبْرُ الْقِي يَرَوِي الرَّجُلُ ، شَيْئًا : خَلْفًا .

حكاه ابن عبد البر . وروى اللذان عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال : يا رسول الله ، أدع الله أن يكشف لي عن بصري . قال : ^(١) « فأنطلق فتوضأ ثم صل ركعتين . ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة ياخذني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في » قال : فرجع وقد كشف الله عن بصره .

وروى أن ابن ملاءب الأيسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بيده حثوة من الأرض فنقل عليها ، ثم أعطاه رسول الله ، فأخذها متعجبا — يرى أنه قد هزئ به — فأناه بها وهو على شفا فشر بها فشفاه الله . وذكر العقيل ^(٢) عن حبيب بن فديك — ويقال فؤيك ^(٣) — أن أباه أبيضت عيناه ، فكان لا يبهر بهما شيئا ، ففقت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر ، فرايته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين .

وأثنه امرأة من ختم معها صبي به بلاء ^(٤) لا يتكلم ، فأثى بماء فضمم فاه وغسل يديه ثم أعطاه إياه وأمرها بسقيه ومسحه به ، فبرأ الغلام ، وعقل عقلا ، ففضل عقول الناس . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة بآبن لها به جنون ^(٥) ، فصح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ففتح نعمة فخرج

(١) أي قال النبي صلى الله عليه وسلم . (٢) وروى : « بنيك » .

(٣) ابن ملاءب الأيسنة ، كذا في الأصول والشفاء ، والحق في الإجابة ابن أخ ملاءب الأيسنة وأن الذي أرسله إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عكة صل ، وكان به وجع بطن ، فشفاه نفرا ، وهذا هو المشهور في القصة . وملاءب الأيسنة هو أبو البراء عامر بن مالك الكلابي ، والصحيح أنه لم يعلم .

(٤) قوله : « فشرها » يدل على أن المرسل إليه هو مشروب كما في الإجابة وأسد الناقة .

(٥) ويقال : « فريك » بالراء .

(٦) البلاء : مدم القدرة على الكلام أو القبول وعدم الفعل للكلام .

(٧) نع : فاء ، والفة المرة الواحدة ، والجرو الكلب الصغير ، وفي المصباح : والصغير من كل شيء .

من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي . وكانت في كَفِّ شُرْحَيْهِ الجُحْفَى سَلَمَةً ،
تمتعه القبض على السيف وعنان الدابة ، فشكاهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
فما زال يقطعنها بكفِّه حتى رفعها ولم يبق لها أثر . وسألته جارية طعاما وهو
يأكل ، فناولها من بين يديه ، وكانت قليلة الحياء ، فقالت : إنما أريد من
الذي في فيك ، فناولها ما في فيه ، ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه ، فلما استقر في جوفها
ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها .

وأما الجراحات التي تَقَلَّ عليها فبرأت فكثير

منا أنه صلى الله عليه وسلم بصق على أثرهم في وجه أبي قتادة ، في يوم ذى
قرد^(١) ، قال : فما ضرب على ، ولا قَاح^(٢) . ومنها أن كُتُبُوم بن الحُصَيْن ومي يوم أُحُد
في نحره ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرا ، وتَقَلَّ على شَجَةِ عبد الله
أبن أنيس فلم يُجِدْ . وتَقَلَّ في رجل زيد بن مُعَاذ حين أصابها السيف إلى الكعب
حين قتل أبن الأشرف فبرت ، وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق ، إذ أكرمته
فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه . وقطع أبو جهل يد معوذ بن عَفْرَاء في يوم بدر ،
بخطمه يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحبها فطصقت . رواه
أبن وهب ، ومن روايته : أن خبيب بن يساف^(٣) أصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مَالَ شِقُّهُ ، فردّه رسول الله صلى الله عليه

(١) ذو قرد : موضع قرب المدينة أغاروا فيه على قحاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاهم .

(٢) ما ضرب : أي ما ألحق الجرح ، ولا قاح : أي ولا تقيح .

(٣) لم تجد : أي لم تصب بمدة وقيع .

(٤) عفرأ : أمه ، وهو معوذ بن الحارث بن رفاعه .

(٥) خبيب : قال في أسد النابة : إنما هو بالمعجمة وضعا ، ويروي : حبيب بن إساف .

وسلم ، وثقت عليه حتى صح . وثقت على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت . وثقت في عيني علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر وكان رسدا فأصبح بارئا . وأشتكى علي مرة بفعل يدهو ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أشفه أو عافه ^(١) » ثم ضربه برجله فما أشتكى ذلك الوجع بعد ذلك .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم لإجابة دعائه

١٢٢
١٦

وهذا فصل متسع جدًا ، نذكر منه ما أشتهر وأنتشر ، وتواترت به الأخبار وتداولته الرواة ، وقسله أصحاب السير ، ولا شك ولا خلاف بين أحد من الأمة في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عن حذيفة أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده . روى عن أنس بن مالك قال : قالت أمي يا رسول الله ، خادمك أنس أدع الله له ، قال : « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيت » قال أنس : فوافه إن مالى لكبير ، وإن ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة ، وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ، ولقد دفنت يدي هاتين مائة من ولدى ، لا أقول سقطا ولا ولد ولدي . ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ، قال عبد الرحمن : فلورفعت حجرا الرجوت أن أصيب تحت ذعبا ، ولما مات حضر الذهب من تركته بالقوس حتى جملت فيه الأيدي ^(٢) ، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا ، وكفى أربعا ، وقيل : مائة ألف ، وقيل : بل صولحت إحداهن — لأنه طلقها في مرضه — على نيف وثمانين ألفا ، وأوصى بثمانين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته . ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فقال الخلافة . ولسمعت ابن أبي وقاص أن

(١) أرمائه : شك من الزاوي .

(٢) الجمل : تقييد يكون في اليد من كثرة العمل .

- يحيب الله دعوته ، فما دعا على أحد إلا استجيب له . ودعا أن يسزاهه الإسلام
بعمراً أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضى الله عنه ؛ قال ابن مسعود : ما زلنا
أعزة منذ أسلم عمر . وقال لأبي قتادة : « أطلع وجهك ، اللهم بارك له في شعره
وبشره » ^(١) مات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة . وقال للأنبىة :
« لا يَفْضِضُ اللهُ فاك » ^(٢) قال : فما سقطت له سن ، وكان ، أحسن الناس تفوا ،
إذا سقطت له سن نبتت له أخرى ، وعاش عشرين ومائة سنة ؛ وقيل : أكثر .
ودعا لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : « اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل »
فسمى بشد الخبر وترجمان القرآن . ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفة يمينه ؛
فما أشتى شيئا إلا ربح فيه . ودعا للمقداد بالبركة ؛ فكان عنده غرائب من المال .
١٠ ودعا كذلك لعروة بن أبي الجهمد ، قال : فلقد كنت أقوم بالكساة ^(٣) فما أرجع حتى
أربع أربعين ألفا . ودعا لعلى أن يكتفى الحز والقر ، فكان يلبس في الشتاء ثياب
الصيف ، وفي الصيف ثياب الشتاء ، ولا يصديه حر ولا برد . ودعا على مضر
فأصبحوا حتى استعطفتهم قريش فدعا لهم فسقوا . وتقدم خبره في دعائه في الاستسقاء
والاستضعاء . ودعا على كسرى أن يمزق ملكه فلم يبق له باقية ، ولم تعد لفارس
مملكة . وقال لرجل رآه يأكل بشماله : « كل يمينك » قال : لا أستطيع ، فقال :
١٥ « لا أستطعت » ^(٤) فلم يرضها إلى فيه بعد . وقال في حبة بن أبي لمب : « اللهم سلط
(١) البشر : ظاهر الجهد واليد ، والمراد الدعاء له بأن يبقى معمر على أحسن تقوم ، كالملاجم
أعضاءه . (٢) لا يفضض : لا يسقط الله أسنانه ، من فضه إذا كرهه .
(٣) النسر : القم . (٤) الترجمان : الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة ، ضمير ابن
٢٠ عباس كلام الله قبل لما نيه إلى فهم الناس . (٥) أى في بيته وشرائه ، وعرض الممين لأن
الأخذ والعطاء بها . (٦) الكساة : سوق مشهورة بالكوفة . (٧) الاستضعاء :
بروز الأرض للشمس ، وظهورها بدم النبات فيها . (٨) إنما دعا على الله طبعه وسلم عليه
لأنه كان متعنا إذ كان مستطاعا الأكل يمينه ، ولم يرضها لأنها شلت ، وهذا كذلك الذي غلبت عليه
منه فقال له : إنها برصاء ولم يكن يا برص فلما ذهب إليها وجدها قد برصت .

عليه كلبا من كلابك » فأكله الأسد كما تقدم . ودعا على ^(١)مُحَلَّم بن جَنَامَة ، مات
لَسَجَ فلفظته الأرض ثم وُورِي فلفظت ، فأنقوه في صُدَيْن وَرَحُوا عليه بالحجارة ،
وَالصَّدْ جانب الوادي . ودعوته صلى الله عليه وسلم كَثِيرَة عليه أَفْضَل
الصَّلَاة والسلام .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انقلاب الأعيان

فيا اسمه أو بأشبهه ؛ كسيف عَكَاشَة بن عَجِيص ، وصبيد الله بن جَحْش ، وغير
ذلك . وكان من خبر عَكَاشَة أن سيفه أنكسر يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يَنْجَل حَطِيب ، وقال : « أَضْرِبْ بِهِ » فماد في يده سيفاً صارماً طويلاً
أبيض شديد المِثْن ، فقاتل به ، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد
في قتال أهل الردة ، وكان هذا السيف يسمى المَوْن . ودفع لعبد الله بن جَحْش
— وقد ذهب سيفه يوم أُحُد — صِيبَ نَخْلٍ فَرَجَعَ في يده سيفاً . ومن ذلك
أنه صلى الله عليه وسلم مرَّ على مَاءٍ فَسَالَ عَنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ أَسْمُهُ يَسَّانُ وَمَاؤُهُ مَلَحٌ ،
فَقَالَ : « بَلْ هُوَ بَعْمَانُ وَمَاؤُهُ طَيِّبٌ » فكان كذلك . ومنه أنه صلى الله عليه
وسلم أعطى قَتَادَةَ بن النعمان — وكان قد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة —
حُرْجُونًا ، وقال : « أَنْطَلِقْ بِهِ فَإِنَّهُ سَيُفِيءُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْرًا ، وَمِنْ خَلْفِكَ
عَشْرًا ، فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرَى سَوَادًا فَأَضْرِبْ بِهِ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ »

(١) الرض : وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء .

(٢) الجندل : حود غليظ أو أصل من أصول الشجرة ، والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه
حرجونا فماد في يده سيفاً .

(٣) السيب : جرادة النخل لا غوص عليها . وفي رواية : كان حرجون نخلة .

(٤) هو الذي مر به النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ذي قرد .

(٥) أي مقداره عشرين .

فانطلق فأضاء له المُرْجُون ، ووجد السواد فصتربه حتى نرج . ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم زود أصحابه سقاء من ماء بعد أن أَوْكَّاه ودعا فيه ، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا لخلوه فإذا به لبن طيب وفي فيه زبدة . رواه حماد بن سَلَمَةَ .

ومما يلتحق بهذا الفصل

- أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسا لأبي طلحة ، كان يقطف^(١) أو يبه قطاف^(٢) ، فلما رجع قال : وجدنا فرسك بجرا ، فكان بعد لا يمارى . ونخس^(٣) جمل جابر بن عبد الله ، وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه ، وقد تقدم خبره . وخقق فرس جعيل الأشجعي بحقيقة^(٤) معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا ، وباع من بطنها بأثنى عشر ألفا . وركب صلى الله عليه وسلم حمارا قطفوا لسعد بن عباد فرده هملجا لا يسأير^(٥) . ومن ذلك بركة يد: صلى الله عليه وسلم فيما لمسه كقصبة سلمان في ثيابه ، وما غرس له صلى الله عليه وسلم من اللوى^(٦) فاطمعت كلها من عامها ، والذهب الذي أعطاه ، وقد تقدم ذكر ذلك في إسلام سلمان . ومنه أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ وبرك فات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب . وكذلك السائب ابن يزيد ، ومثلوك^(٧) ، وكان يوجد لُتَيْبَةُ بْنُ فَرَّقْدٍ طيب يغلب طيب نسائه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره . ومسح على

(١) يقطف : يعطى في السير .

(٢) النخس : الطعن في جنبه أو نحوه يهود أروما يشبه .

(٣) انخقق : الضرب ، والحقيقة : البرة ، وقيل إنها عصا ، وبرك عليه : دعا له بالبركة .

(٤) الهملجة : حسن سير الدابة في سرعة .

(٥) اللوى : صغار النخل وأحدثها ودية ، وأطمعت : أثمرت .

(٦) مثلوك : هو أروسيان القزاري ، قال : قدمت على رسول الله مع موال ففسح جل راسي ودعا لي بالبركة ، فكان موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود وساثر شمرة أبيض . (أسد الغابة) .

رأس قيس بن زيد الجذامي، ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة. وزأسه أبيض، وموضع كَفَّ النبي صلى الله عليه وسلم وما حُرَّتْ يَدُهُ عليه من شعره أسود، فكان يُدعى الأغر. وروى مثل ذلك لعمر بن تَلْبَةَ الجُهَنِي. ومسح وجهه آخر فزال على وجهه نور. ومسح وجه قتادة بن ملحان، فكان لوجهه بريق، حتى كان ينظر فيه كما ينظر في المرأة. ونضج في وجه زينب بنت أُمِّ سلمة نَضْجَةً من ماء، فما نعرف كان في وجه امرأة من الجبال ما بها. ومسح على رأس صبي به عاهة فبرا وأستوى شعره، وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبروا. وأناه رجل به أُذْرَةٌ فَأَمَرَهُ أَنْ يَنْضَحَهَا بِمَاءٍ مِنْ عَيْنِ نَحْجٍ فِيهَا ففعل فبرا. وعن طاوس: لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مَسٌّ فَصَكَ في صدره إلا ذهب. والمس: الجنون. ونَحْجٌ في دُلُوبٍ بَرْمٌ صَبَّ فِيهَا فَفَاحَ مِنْهَا رِيحُ الْمَسِّ. وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره أن يسط ثوبه، وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل. فأنسى شيئا بعد. ومن فَلَكَ دُورُ الشَّيْءِ الْحَوَائِلُ بِاللَّيْلِ الْكَثِيرِ كَقَصَّةِ شاة أُمِّ مَعْبُدٍ، وَأَعْتَرَمَاوِيَةَ بْنَ ثَوْرٍ، وشاة أُنْسٍ، وَغَمَّ حَلِيمَةَ، وشَارِقَهَا، وشاة عبد الله بن مسعود، وشاة الْمُقَدَّادِ، والله أعلم.

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما أخبر به من الغيوب، وما يكون قبل وقوعه، فكان كما أخبر به صلى الله عليه وسلم، وروى عن حُذَيْفَةَ قَالَ: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما، فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ، قد علمه أصحابي هؤلاء،

- (١) الأمرة: انتفاخ في الخصبين مروف. (٢) نج فيها: قتل ريقه فيها.
(٣) الحوائل (جمع حائل): وهي التي لم تحمل مطلقا. (٤) شاورها: التاورف النافذة المنة.
(٥) إلا حدثه: أي إلا حدثنا به، وفي نسخة من النفا: «إلا حدث به».

وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكّر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ،
ثم إذا رآه عرفه ، ثم قال حذيفة : ما أدري أنسى أم تناسوه ، والله ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا ، يبلغ من معه
ثلاثة فصاعدا إلا قد سَمَاءَ لنا باسمه وأسم أبيه وقيلته . وقال أبو ذر : لقد تركنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه ^(١) .
وما أخبر به صلى الله عليه وسلم مما يكون فكان ، ما أخرج به أهل الصحيح والأئمة ،
مما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من الظهور على أعدائه ، وفتح مكة
وبيت المقدس واليمن والشام والعراق ، وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة
إلى مكة لا تخاف إلا الله ، وأن المدينة مستغزى ، ^(٢) وتفتح خيبر على يدى علي في غد
يومه ، وما يفتح الله على أمته من الدنيا ، وما يؤتون من زهرتها ، ^(٣) وقسمتهم كنوز
كسرى وميصر ، وما يحدث بينهم من الفتن ^(٤) والاختلاف والأهواء ، وسلوك
سبيل من قبلهم وأتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة ، وأنه
سكون لم أَمَاط ، ^(٥) ويفدو أحدهم في حلة وروح في أخرى ، وتوضع بين يديه
صحفة وترفع أخرى ، ^(٦) ويسترون بيوتهم كما تُستر الكعبة ، ثم قال آخر الحديث :
« وأتم اليوم خير منكم يومئذ » وأنهم إذا مشوا المطيطاء ، ^(٧) وخدمتهم بنات

١٢٤
١٦

(١) أي ذكرنا من طيرناه طبا يتلق به ، فكيف غيره مما جئنا في الأرض .

(٢) تظعن : تسافر . (٣) يشير إلى وقعة الحرة ، أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ هـ .

(٤) زهرة الدنيا : حسنا وبيوتها وكثرة خيرها .

(٥) الفتن . الابتتان . وفي نسخة ١ : « الفتن » .

(٦) أَمَاط جمع نط : وهو ضرب من البسط له نعل وقب .

(٧) الصحفة : القصعة ، أي تعدد أصناف ما لهم .

(٨) المطيطاء : مشية الخبث ودم الدين .

فارس والروم ، ردّ الله بأسهم بينهم ، وسلط شرارهم على خيارهم ، وما أخبر به صلى الله عليه وسلم من قتالهم التُّرك والخَزَر والروم ، وذهاب كَثَرى وفارس ، حتى لا كسرى ولا فارس بعده ، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده ، وأن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر ، وأخبر بذهاب الأُمُل فالأُمُل من الناس ، وقَتَّارُب الزمان ، وقَبْض العلم ، وظهور الفِتنَ والمُهرَج ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « زُويَت لى الأرض فَأُريْتُ مشارقها ومغاربها ، وسيلغ ملك أمتى ما زُوي لى منها » فكانت كذلك ، أُمُدت فى المِشارِق والمِغارب ، ما بين أرض الهند أقصى المِشرق إلى بِحَر طَنْجَة حيث لا عِمارة وواه ، ولم تَمُتْ فى الجَنُوب والشَمال مثل ذلك . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ويل للعرب من شرِّ قد أقترب » . وقوله : « لا يزال أهل القُرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » ذهب ابن المدينى إلى أنهم العرب ، لأنهم المَحْتَصُونَ بالسُّبى بالقُرب وهو الذَّلُو ، وقيل : بل هم أهل المغرب ، ومن رواية أبى أُمَامَة : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتهم أمر الله وهم كذلك » قيل : يا رسول الله وأين هم ؟ قال : « بيت المقدس » . وأخبر صلى الله عليه وسلم بملك بنى أمية ، وولاية معاوية ، ووصاه ، واتخاذ بنى أمية مال الله دُولاً .

وأخبر بِمُجْرُوح ولد العباس بالرايات السود ، وملكهم أضعاف ما ملكوا ، وأخبر بِقَتْلِ عَلى رضى الله عنه ، وأن أشقاها الذى يُخَضِب هذه من هذه ؛ أى لِحِيته من رأسه . وقال : يُقَتَّل عُثْمَان وهو يقرأ المصحف ، وأن الله عسى أن

(١) زُويَت : جمعت ؛ أى جمعت لى الأطراف الأرض فأراني الله مشارقها ومغاربها ، يروى :

« فرأيت » . (٢) طنجة : الميناء المشهور بالمغرب على المحيط .

(٣) دولا (جمع دولة) : وهو ما يتداول من المال ، فيكون تقوم دون قوم .

- لبسه قميصاً، وأنهم يريدون خلعه، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ﴾. ^(١) وإن الفتن لا تظهر ما يليه عمر حياً، وأخبر بخاربة الزبير لعل، ونُبأح كلاب الحوَّاب ^(٢) على بعض أزواجه، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة، وتجبو بعد ما كادت، وأن عمَّاراً تقتله الفئة الباغية، وقال لعبد الله بن الزبير: «ويل للناس منك، وويل لك من الناس» وقال في قزمان، وقد أبلى بلاء حسناً مع المسلمين: «إنه من أهل النار» فقتل نفسه. وقال صلى الله عليه وسلم: «يكون في تقيف كذاب وسير» فكان الكذاب المختار بن أبي عبيد، والمير الجراح بن يوسف. وأخبر بالردة، وأن الخلافة بعده ثلاثون، ثم ملكاً، وقال: «إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم يكون ملكاً عضوضاً، ثم يكون حنواً وجبروتاً وفساداً في الأمة» فكان كل ذلك كما أخبر. وأخبر أن سيكون في أمته ثلاثون كذاباً فيهم أربع نسوة، وفي حديث آخر: «ثلاثون دجالاً كذاباً آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله». وقال صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن يكثر فيكم السجم يأكلون فيكم» ^(٣) ويضربون رقابكم» فكان كذلك. وقال: «لا تقوم الساعة حتى يسوق للناس بمصاه رجل من حطَّان» ^(٤). وقال: «هلك أمتي على يدى أغيلة من قريش» قال أبو هريرة راوى الحديث: لو شئت سميتهم لكم،

(١) آية ١٣٧ سورة البقرة. (٢) الحوَّاب: ما في طريق البصرة نجت كلابها أم المؤمنين

عائشة رضي الله عنها حين ذهبت إلى البصرة في ولعة الجمل. (٣) قزمان: هو ابن الحارث الببسي

الناثق. (٤) كان كذاباً لأنه ادعى النبوة بالكوفة، وسير: هناك يسرق في القتل بنجر حتى.

(٥) عضوضاً: أى يصيب الرمية فيه صف وظلم كأنهم يعضون فيه عضاً، وفي رواية: «ثم يكون

ملوك عضوض» : جمع عض بالكسر وهو الخيل الفرس. (النهاية لابن الأثير).

(٦) في النفا: «أفياكم» بفتح الفاء، واحدة في: «والقى»: النتيجة.

(٧) أى من حرب اليمن، وحطَّان أبو اليمن.

بنو فلان وبنو فلان . وأخبر بظهور القسدية والرافضة ، وسب آخر هذه الأمة
أولها . وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم ، والفتن الذي فيها ، وأن سيامهم التحليق ^(١) .
وقال : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤمنون ويتنزون ولا يقنون » . وقال : « لا يأتي
زمان إلا والذي بعده شر منه » . وأخبر صلى الله عليه وسلم بالمؤمن الذي يكون بعد
فتح المقدس . وما وعد من سكنى البصرة ، وأن أمته يفتنون في البحر كالمالك على
الأسرة ، فكان في زمن يزيد بن معاوية . وقال : « إن الدين لو كان متوطا
بالثريا لثله رجال من أبناء فارس » . وقال صلى الله عليه وسلم في الحسن بن علي
رضي الله عنهما : « إن أجي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين » . وأخبر بقتل
الحسين بالطف ^(٢) ، وأخرج بيده تربة ، وقال : فيها مضجعه . وقال في زيد بن
صوحان : يسبقه عضوته إلى الجنة ، فقُطعت يده في الجهاد . وقال لسرافقة :
« كيف بك إذا لمست سوارى كسرى » فلما أتى بهما لعمركم إياه ، وقال :
الحمد لله الذي سلها كسرى وألهمها سرافقة . وقال : « تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والفرات تهبي إليها خزائن الأرض يُخسف بها » . فبليت بغداد .
وقال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل طائفتان دعواهما واحدة » . وقال لعمركم
في سُميل بن عمرو : « حصى أن يقوم مقام يسرك يا عمر » فقام بمكة مقام أبي بكر
يوم إنهم موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخطب بنحو خطبته ، وتجت الناس

(١) التفتيح : الناس التحلق . (٢) سيام : ملائمتهم ، ومطابق قول : حلق الراس ،
وقيل غير ذلك . (٣) الرومان : المثلث الكبير ، وكان ذلك في خلافة عمر بقرية حمص من
قرى بيت المقدس ، نزل بها حكمة ، وهو أول طاعون وقع في الإسلام سنة ١٦ هـ

(٤) منوطا : حقا ، والحديث المشهور في هذا « لو تلقى الدين بالثريا » ويرى « لو تلقى العلم » .
(٥) الطف : موضع قرب الكوفة . (٦) قطربل : قرية بال عراق . والفرات : نهر العراق أيضا .

- وَقَوَى بِصَاحِبِهِمْ ، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ وَجْهِهِ إِلَى أُكَيْدَرٍ : « إِنَّكَ سَجْدَ يَصِيدُ الْبَقَرِ »
 فَكَانَ كَذَلِكَ . وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبْرُهُ . وَأَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوُقُوعِ لَحْنِ تَرْقُبِ
 وَقَرْعِهَا ؛ كَقَوْلِهِ : « عَمْرَانُ بَيْتُ الْمَقْدَسِ خَرَابٌ يَثْرِبُ ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ خُرُوجُ
 الْمَلْحَمَةِ ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتَحُ الْقُسْطَ طَيْفِيَّةٌ » . وَأَخْبَرَ بِغَيْبِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى
 وَقَفَتْ فِي حَبَاتِهِ فِي أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ ، وَأَخْبَرَهَا حَالِ وَقُوعِهَا كَوْنُ التَّجَاشِي ، وَقَتْلُ
 أَسْرَاءِ مُؤْتَاهٍ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِنْ مَعْجَزَاتِهِ عَصَمَةُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ

وَكِفَايَتِهِ إِيَّاهُ مَعَ كَثْرَةِ أَعْدَائِهِ وَتَحْزِينِهِمْ وَأَجْتِمَاعِهِمْ عَلَى إِذَاهُ

- قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاللَّهُ يَصْمُكُ مِنَ النَّاسِ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَصْبِرْ
 لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ . وَقَالَ : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . وَقَالَ :
 ﴿ إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ . وَقَالَ
 تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
 وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ . رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ :
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَاللَّهُ يَصْمُكُ
 مِنَ النَّاسِ ﴾ فَانْخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ ، فَقَالَ لَهُمْ :
 « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ » . وَقِيلَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخَافُ قَرِيضًا ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ اسْتَأْنَقَى ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ شَاءَ
 فَلْيُخَذَلْنِي » . وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ عَصَمَةِ اللَّهِ لَهُ وَكِفَايَتِهِ قَصَصًا دُعُورًا وَغُورًا ، وَخَبَرُ

(٢) آية ٤٨ سورة الطور .

(١) آية ٦٧ سورة المائدة .

(٤) آية ٩٥ — ٩٦ سورة الحجر .

(٣) آية ٣٦ سورة الزمر .

(٥) آية ٣٠ سورة الأهل .

حالة الخطب ، وأخذ الله تعالى على بصرها حين أرادته بالفهر ، وخبر أبى جهل حين أرادته بالجهر ، وغير ذلك .

وها نحن نورد في هذا الموضع من ذلك خلاف ما قدمناه ؛ فمن ذلك ما روى عن الحكم بن العاص أنه قال : تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه يقي بتهامة أحد ، فوقعنا مقشبا علينا ، فإفقتنا حتى قضى صلاحه ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا ليلة أخرى ، فخرجنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه . وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تواعدنا أنا وأبوجهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بغضا مقله فسمعنا له ، فأفتح وقال : ((الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ)) إلى : ((قَبْلَ تَرَى لَمْ مِنْ بَاقِيَةٍ)) فضرِب أبو جهم على عَصُد عمر وقال : آتَيْتُ ، ونزاهارين ، فكانت من مقدّمات إسلام عمر . ومن ذلك خروجه صلى الله عليه وسلم على قريش حين اجتمعوا لقتله ، فأخذ الله على أبصارهم حتى ذرأ التراب على رؤوسهم وخلص منهم . وقصة الغار ، وأخذ الله على أبصارهم ، وخبر مُرافقة بن مالك بن جُعشم ، وقد تقدّم ذكر ذلك . وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حين هاجرا ، فخرج يَسْتَدْ لِيْلِم قَرِيْشًا بِشَانِهِمَا ، فلما دخل مكة ضُرب على قلبه لما يدرى ما يصنع ، وأُتِيَ ما خرج له حتى رجع إلى موضعه . وذكر السمرقندي : أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله ، فطمس الله بصره فلم

١٢٦
١٦

(١) النهر : الجهر قد ما يلا الكف . (٢) في شرح التفتا لتهاب : « ليله منصوب على الظرفية منون ، وتنبأ منصوب على أنه مفعول له أو بزعم الخافض ؛ أى على قتله أو لقتله ، أو بقدره أى وأخبرنا قتله » . (٣) آية ١ — ٨ سورة الحاقة . (٤) ذرا : ثرة . (٥) يشق : يسرع في شيء .

يراني صلى الله عليه وسلم وسمع قوله ، فرجع إلى أصحابه ولم يرم حتى نادوه ، وذكر
آية فيه وفي أبي جهل نزلت : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَيَهِيمُونَ عَلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ
مَقْمُحُونَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(١) .

وقد روي عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشا : لن رأى محمداً - صلى الله
عليه وسلم - يصلُّ لبطانة رقبته ، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل ،
فلما قرب منه ولَّى حارباً فأكسأ على عنقه متفياً يديه ، فشن فقال : لما دنوت
منه أشرفت على جنتك علوه نارا كدت أهوى فيه ، وأبصرت هؤلاء عظيماً ، وخفقت
أجنحة قد ملأت الأرض . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك الملائكة لودنا
لاختطفته عضواً عضواً » ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْمَىٰ ﴾^(٢) إلى آخر السورة . وقد ذكرنا أيضاً قصة شيبة بن عثمان بن أبي طلحة
في غزوة حنين . ومن فضالة بن عمرو قال : أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت ، فلما دنوت منه قال : « أفضالة ؟ » قلت : نعم ،
قل : « ما كنت تخشى به نفسك ؟ » قلت : لا شيء ، فصيحك وأستغفر لي ووضع
يده على صدري فسكن قلبي ، فوافقه ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إلىَّ منه .
ومنه خبر طاهر بن الطفيل ، وأزبد بن قيس ، وقد تقدم ذكر قصتهما^(٣) .

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ما جمعه الله تعالى له من المعارف
والعلوم ، وخصه به من الأطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، ومعرفة
بأسور الشرائع وغير ذلك ، كإعلامه صلى الله عليه وسلم على أخبار من
سلف من الأمم ، وقصص الأنبياء والرسل ، وأخبار الجبابرة والقرون

(١) آية ٩ سورة يس . (٢) آية ٦ سورة الفلق .

(٣) راجع من ٥١ من هذا الجزء .

المأخضة ، وحفظ شرائعهم ، وسرد أنبأهم ، وأيام الله فيهم ، ومعارضة كل فرقة من أهل الكتاب بما في كتبهم ، وإعلامهم بأسرارها ومخبات علومها ، وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره ، وأحوائه صلى الله عليه وسلم على لغات المرب وغريب الفاظها ، والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ، ومعاني أشعارها ، وما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم ، وما علمه من ضروب العلوم وفنون المعارف ، كالطب والعبارة والقراءات والحساب والأنساب وغير ذلك ، مما جعل أهل هذه العلوم كلامه صلى الله عليه وسلم فيسا قدوة وحجة وأصولا يرجعون إليها في علومهم ، كقوله عليه السلام : « الرؤيا لأقول عابروها على رجل طائر » وقوله : « الرؤيا ثلاث ، رؤيا حق ، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ، ورؤيا تحزين من الشيطان » . وقوله : « إذا تقارب الزمان لم تذكر رؤيا المؤمن تكذب » . وقوله : « أصل كل داء البردة » وقوله : « المدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة » وقوله : « خير ما تدأويتم به السُّخوط ، والدُّود ، والجمجمة ، والمشى »^(٥) وخير الجمجمة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين ، وفي العود الهندى سبعة أشقية » وقوله : « ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه » . وقوله لكتابه : « ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لأملى » . وقد وردت آثار بمعرفته حروف

- (١) العبارة : تمير الرؤيا . (٢) البردة : النخلة وقيل الطعام بل المدة ، سميت بذلك لأنها تزيد المدة فلا تسترئ الطعام . (٣) السوط بالفتح : ما يجبل من الماء في الأنف . (٤) الدود بالفتح : ما يسقاه المريض في أحد شق القم ، ولهذا انتم جانيه . (٥) المشى : الداء المسهل سمي بذلك لأنه يحل شارب على المشى والرد إلى الخلاء . (٦) العود الهندى : قيل هو القسط البعري ، وقيل هو العود الذى يتجر به ، قال في النهاية : القسط عقار (باله) : معروف في الأدوية طيب الريح ، والحديث يروى : « عليكم بهذا العود الهندى فإنه فيه سبعة أشقية » الحديث .

- الخط، وحسن تصويرها، كقوله : « لا تَمْتُوا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » رواه
 ابن شعبان عن طريق ابن عباس، وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية
 أنه كان يكتب بين يديه - صلى الله عليه وسلم - فقال له : « أَلَيْسَ الْقَوْلُ ، وَحَرْفُ الْقَلَمِ ،
 وَأَقَمُّ الْبَاءِ ، وَفَرَّقَ السَّيْنِ ، وَلَا تُنَوِّرُ الْمِمْ ، وَحَسَّنَ اللَّهُ ، وَمُدَّ الرَّحْمَنَ ، وَجَوَّدَ الرَّحِيمَ »
 وإن لم تصح الرواية أنه صلى الله عليه وسلم كتب، فلا يبعد أن يكون قد رُزِقَ
 علم الخط، ومنع الكتابة والقراءة . وكذلك حفظه صلى الله عليه وسلم لكثير من
 لغات الأمم، كقوله صلى الله عليه وسلم : « سَنَةُ سَنَةٍ » وهي حسنة بالحِشْيَةِ ،
 وقوله : « يَكْثُرُ الْحَرْجُ » وهو القتل بها، وقوله في حديث أبي هريرة : « أَشْكَنْتُ^(١)
 دَرْدَمَ » أى وجع البطن بالفارسية، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا من دارس العلوم،
 ومارس الكتب، وداوم المطالعة، وعكف على الاشتغال . وكان صلى الله عليه وسلم
 وسلم بخلاف ذلك لا يقرأ ولا يكتب؛ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله عز وجل :
 « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينُكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ^(٢) »
 وفي هذا أكبر آية، وأعظم دلالة، وأبين حجة، وأبهر معجزة له صلى الله عليه وسلم .

$$\frac{127}{16}$$

وقد رأينا ان نختم هذه الفصول بذكر

القصيدة التي أبتسمت نُقُورُها بوصف معجزاته ، وَتَحَلَّتْ نُحُورُها بجواهر
 صفاته ، وَرَفَلَتْ فِي حُلِّ الْقَنَازِرِ مِنْ بَاهِرِ آيَاتِهِ ، وَصَحِبَتْ ذُبُولُ الْاِفْتِخَارِ بِإِشَارَاتِ
 إِلَى غُرُورَاتِهِ ، وَطَاحَ أَرْجُهَا فَانْجَمِلَ الْمِسْكُ الْقَدَارِيُّ، وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا عَلَى النَّبِيرِ^(١)

(١) ألقى الدعاء : أجل لما لفة رضى سورة تجمل في الدعاء لثوق بالمداد .

(٢) لا تنور الميم : لا تظلمها . (٣) الرواية كما في النهاية : أليس أم خاله انميصه ،

بجمل يقول : « يا أم خاله سأسأ » ثم قال : وتخفف نونها وتزداد .

(٤) اشكتب : يزداد فيها هاء فيقال : اشكتبه . (٥) آية ٤٨ سورة التنبؤ .

(٦) الدار : نسبة إلى دارين ، فرقة بالبحرين ينسب إليها المسك .

فما ظنك بالدراري، وهي قصيدة الشيخ الإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن زكريا الشَّراطيسي^(١) رحمه الله تعالى، وإنما أقصرنا عليها وصرفنا الرغبة دون غيرها إليها لأشتملها على جل من أخباره السنية، ونكت من آثاره التي هي بكل خير ملية، وهي :

- الحمد لله منّا باعث الرسل • هدَى بأحمد منّا أخذ السبل^(٢)
خير البرية من بدو ومن حَقير • وأكرم الخلق من حاف ومشميل^(٣)
توراة موسى أتت عنه فصلتها • إنجيل عيسى بحق غير مُقتل^(٤)
أخبار أحياء أهل الكتب قدوردت • عما راوا ورووا في الأعصر الأول^(٥)
ضامت لمولده الآفاق وأنصلت • بشري الموائف في الإشراف والطفل^(٦)
وصرح كسرى تداعى من قواعده • وأقاص منكير الأرجاء ذا ميل^(٧)
وإزاريس لم تؤقد وما تحيدت • مُد ألف عام ونهر القوم لم يبل
خزرت لمبعثه الأوثان وأنبعث • ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل^(٨)
ومنتطق الذئب بالتصديق معجزة • مع الذراع ونطق العير والجمل
وفي دعاك بالأشجار حين أتت • تسمى بأمرِك في أغصانها الدليل
وقلت عودي فمادت في منابتها • تلك العروق بإذن الله لم تميل

(١) الشَّراطيسي : نسبة إلى شَرطاسية من بلاد الجريد بتونس - (شرح القصيدة لأبي شامة) .

(٢) من بكسر الميم : جار ومجرور متعلق بـ « باعث » ، ومنّا : تخضلاً وإحساناً ، أحد السبل : الإسلام .

(٣) يريد بالحاف والمتل جميع الخلق .

(٤) في نسخة (١) « يقول غير مقتل » .

(٥) الطول : الشئ . (٦) أقاص : آثار ، ويرى : « أقاص » بالصاد المهملة . الأرجاء :

النواحي ، ميل جنب الهاء : ما كان في أصل الخلقة كميل الشئ ، وبالكون : ما كان في الحادث .

(٧) العير : الحمار .

- والسرح بالشام لما جئها بجهد • ثم الذوائب في أغصانها الخفضل^(١)
والجذع حتى لأن فارقه أسفا • حين تكل تجبها لوعة التكل^(٢)
ما صبر من صار من حين على أثر • وحال من حال من حال إلى حطيل^(٣)
حي فات سكونا ثم مات لدن • حي حيننا فاضى غاية المشل^(٤)
والثقل سحت الكف منك على • جهد المزال بأوصال لما حقل^(٥)
سحت ودرت بشكر الضرع حافلة • فروت الركب بعد التهل بالهل^(٦)
وآية الغار إذ وقيت في حجب • عن كل رجس لرجس الكهر متعيل^(٧)
وقال صاحبك الصديق كيف بنا • ونحن منهم بمرأى الناظر السيل
قلت لا تمزن إن الله تالسا • وكنت في حجب سترته منسدل
حت لديق حام الوحش جائمة • كذا لكل غوى القلب محبيل^(٨)
والسكوت أجادت حوك حلها • لما تحل خلال النزع من خلل
قالوا: وجادت إليه سرحة سرت • وجه النبي بأغصان لها هديل^(٩)

(١) السرح : الشجر العظيم ، ثم الذوائب : مرتضات الأنصاف التي في أطرافها ، الخفضل : بالغضاد الحسية : الناعمة ، ويرى بالصاد : أى تفضل الثمر في الثغافها واسترسالها .

- (٢) التكل : التي قدت ولدها ، تجبها : أجزتها ، لوعة : حقة ، التكل : الحزن .
(٣) حتى هذا البيت : كيف صبر الجذع بعد أن انتقل من مشاهدة رسول الله إلى عدمها نصار بالحزن في حال موته ، بعد أن كان موه بالسكون في حال حياته وهذا محجب . (٤) حقل : بأصبة .
(٥) سحت : صبت صبا غافيا ، ودرت ، هكذا في الأصول ، والحق في التشرح لأبي شامة : سحت بكرة شكرى الضرع ، وقال : المعنى : بكرة شاة شكرى الضرع أى سعة الضرع - حافلة : ترك حلها حتى احتل الضرع ، قبل : تقرب الأبدل ، والهل : الترب الخافى .
(٦) سحت : سعة ، أى سعت رجس الكفر .
(٧) حت : هوت وأحضرت . وجائمة : مأثرة الكنان لأتة به بحرهم الطامير كبروك الإبل ، ولايد : اكتماع ، وغنيل : غنل الغنل . (٨) عدل : عدلية .

وفي سُرافة آيات مُيَنِّسَة • إذْ سَاخَتْ الْجُفَى وَحَلَّ بِلَا وَحَلَّ^(١)
عَرَجَتْ عَتَقَتْ السَّيْعَ الطَّبَاقِ إِلَى • مَقَامَ زُنَى كَرِيمٍ قَتَّ فِيهِ عِلَّ^(٢)
عَنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مَبْعُطَ وَلَمْ • تَسْتَكِلَ اللَّيْلَ بَيْنَ الْمَتَرِ وَالْفَقْلِ^(٣)
دَعَوَتْ لَخْلُوعِ عَامِ الْحَمَلِ مَبْتَلَا • أَفَدَيْكَ بِالْخَلْقِ مِنْ دَاعٍ وَمُبْتَلَا^(٤)
صَعِدَتْ كَفَيْكَ إِذْ كَفَّ النَّهْمُ فَمَا • صَوَّتَ إِلَّا بِصَوْبِ الْوَاكِفِ الْهَمَلِ^(٥)
أَرَاكَ بِالْأَرْضِ نَجْمًا صَوَّبَ رَيْقَهُ • لَحَلَّ بِالْأَرْضِ نَسْجًا رَاتِقَ الْحَمَلِ^(٦)
زُهِرَ مِنَ النُّورِ حَلَّتْ رَوْضَ أَرْضِهِمْ • زَهَرًا مِنَ النُّورِ ضَافٍ لِنَهْثِ مَكْتَمَلِ^(٧)
مِنْ كُلِّ عُصْنٍ نَضِيرٍ مُورِقٍ خَضِيرٍ • وَكُلِّ نَوْرٍ نَضِيرٍ مُوَسِّقٍ خَضِيرِ^(٨)
نَحْيَةً أَحْيَيْتَ الْأَحْيَاءَ مِنْ مُضِيرٍ • بَعْدَ الْمَضَرَّةِ تَرَوَى السَّبِيلَ بِالسَّبِيلِ^(٩)
دَامَتْ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعًا فَيُرْمَقِلِيَّةً • لَوْلَا دَعَاؤُكَ بِالْإِقْلَاحِ لَمْ تَزَلْ

١٢٨
١٦

(١) سُرافة : هراء ما كان دليل المشركين في انحصار أثر رسول الله حين هاجر ، ثم أسلم بعد حين ، سأخت : دخلت وغابت قوائمه ، المجرء : أنق للليل ، برد من الماء لأنه من الأوصاف الخاصة ، الوحل : الطين الرقيق . (٢) الطباق : السوات ، لأنها متطابقة ، أو بعضها فوق بعض ، زلقى كقربى وزنا وسقى ، وحل : من العلوت كأن تقام . (٣) قاب : قدر ، أو أدنى : أغرب ، المر : الذهاب ، الفقل : الرجوع . (٤) الحمل : القسط ، المبتل : المتضرع . (٥) صعدت بالتشديد : رفعت ، كف : امتنع ، أو ضم للكاف : مع ، وهو صوب : التازل ، الواكف : القاطر ، والهمل : المتكسب . (٦) النسيج : الانسحاق ، الرقى : من كل شيء أفضله : حل : نزل ، وفي الأصول : حل بالأرض ولمسه بالروض كما يستفاد من شرح أبي شامة ، نسجا : نسجا ، راتق : متجيب ، الحلق جمع حلق : يريد نباتات الخلفه القبولان . (٧) زهر : يضيئ مشقة جمع أزم ، من النور : أي النور ، والنور الخلق : زهر النبات ، وسطت : من السطية . (٨) نضير : نام حسن ، والنضيد : القراكب ، الرقيق : المسجب ، غسل : الغدى المبتل ، أو الغسل : العام . (٩) السبل الأول : الطرق ، والسبل الثانية : الطرق .

- (١) وَيَوْمَ زَوَّرَكَ بِالزُّورِ إِذْ صَدَرُوا • مِنْ يَمْنٍ كَفَّكَ عَنْ النُّجُوبَةِ مِثْلُ (١)
وَالْمَاءِ يَنْبَعُ جَوْدًا مِنْ أُنْأَمِلُهَا • وَسَطَ الْإِنَاءِ بِلَا تَهَيُّ وَلَا وَشَلٍ (٢)
حَتَّى تَوْضَا مِنْهُ الْقَوْمَ وَأَغْرَقُوا • وَهُمْ ثَلَاثَ مِائِينَ جَمْعٌ مُخْفَلٍ
أَشْبَعَتْ بِالصَّاعِ أَلْفَا مَرْمِلَيْنِ كَمَا • رَوَيْتَ أَلْفَاوَنَصْفَ الْأَلْفِ مِنْ سَمَلٍ (٣)
• وَعَادَ مَا شَبِعَ الْأَلْفُ الْخِيَابُ بِهِ • كَمَا بَدَّوْا فِيهِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَمَلْ
أَعْجَزَتْ بِالْوَحْيِ أَصْحَابُ الْبَلَاغَةِ فِي • عَصْرِ الْيَانِ فَضَلَّتْ أَوْجُهُ الْحَيْلِ
سَأَلْتَهُمْ سُورَةَ فِي مِثْلِ حِكْمَتِهِ • فَتَلَّاهُمْ عَنْهُ حِينَ الْعَجِزِ حِينَ تَلَّى (٤)
وَرَامَ رِجْسٌ كَلُوبٌ أَنْ يَمَارِضَهُ • إِبْرِي نَحْيَ فَلَمْ يُحْسِنْ وَلَمْ يَطْلِ (٥)
مُنْجٍ بِرِيكِكَ الْإِنْفِكَ مَلْتِيسَ • مُلْبِجٍ بَزْرَى الزُّورِ وَالْخَطْلِ (٦)
يَمِجُّ أَوَّلَ حَرَفٍ مِنْهُ سَامِعُهُ • وَبَعَثَرِيهِ سَكَلَالِ الْعَجِزِ وَالْمَلِ (٧)
كَأَنَّهُ مَنَاطِقُ الْوَرَاهِ شَذَبَهُ • لَيْسَ مِنَ الْخَلِيلِ أَوْ مَسٍّ مِنَ الْخَلِيلِ (٨)
أَمَرْتُ الْبِسْرُ وَأَغْوَزْتُ لِمَجَّتِهِ • فِيهَا وَأَعْمَى بِصَبْرِ الْعَيْنِ بِالنَّفْلِ (٩)

- (١) الزور : الزائر؛ ويستعمل هذا اللفظ في الواحد و غيره بلفظ واحد، أى يوم جالك الزائر
بالزوراء : موضع بالمدينة ؛ وهو المكان الذى ينبع فيه الماء من بين أحاجيه صلى الله عليه وسلم فوضاً
جميع أصحابه ، وصدرنا بعد الزوراء ، واليمين : البركة . (٢) الضمير فى أنأملها ليد الشريعة ،
والوشل : القليل من الماء . (٣) السدل : القليل من الماء ، يبقى فى أسفل الإناء .
(٤) تلهم : صرحهم ، والحسين بالفتح : الهلاك . (٥) الرجس : القدر ، وهو مسيلة
الكذاب ، الذى : المبرز والافتقار عند الكلام ، وعند القصاصة ، والنفى : الضلال ، ويطل : من طال
امتد ، أبداً استظهر على القرآن ، أو : يطل من أطال أى يطال . (٦) منج : مضطرب فاسد ،
ملبج : متردد فى الكلام غير مفصّح ، الزرى : الحقيقير ، والزور : الكذب ، والخلل : المتكلم
الفاش المضطرب . (٧) يمج : يطرحه ويهينه . (٨) الوراه : المرأة الحفقاء تنكلم
بلا يجهنم ، شذبه : فرقه وقطعه ، الخليل بسكون الباء : الفساد ، والخليل فتح الباء : الجنون .
(٩) أمرت : سارت ذات مرارة بعد الندوة ، وغار مؤنث بجهته .

- وَأَيْسَ الضَّرْعَ مِنْهُ شُؤْمٌ رَاحَتَهُ * من بعد إرساله بالرَّسْلِ مُتَهَمِلٌ^(١)
 بَرَّتْ مِنْ دِينٍ قَوْمٌ لَا قِيَامَ لَهُمْ * عَقُومٌ مِنْ وَثَاقِ النَّيِّ فِي غَالِلِ^(٢)
 يَسْتَحِيرُونَ خَيْفَ الْغَيْبِ مِنْ حَجَرٍ * صَلْدٍ وَرَجُوحٍ غَوَتْ النُّعْمُ مِنْ هَيْلِ^(٣)
 نَالُوا أَدَى مَنِكَ - أَوْلَا حِلْمٌ خَالِقِهِمْ * وَحِجَّةُ اللَّهِ بِالْإِنْدَارِ لَمْ تُسَلِّ^(٤)
 وَأَسْتَضَمُّوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ فَاصْطَبَرُوا * لِكُلِّ مُعْضِلٍ خَطِيبٌ فَدَجَّ جَدَلِ^(٥)
 لَا يَلُاقِي بِلَالٌ بِلَاءً مِنْ أُمِّةٍ قَدْ * أَحَلَّهُ الصَّبْرُ فِيهِ أَكْرَمَ التَّزَلُّ^(٦)
 إِذَا جَاهَدُوهُ بِضَيْكِ الضَّيْكَ وَهُوَ عَلَى * شِدَائِدِ الْأَزْلِ ثَبَتَ الْأَزْرُ لَمْ يَزَلِ^(٧)
 أَقْوَمَ بَطْطًا رِضَاءِ الْبَطَاحِ وَقَدْ * عَالُوا عَلَيْهِ مُحْضُورًا حِمَّةَ الْفَتْلِ^(٨)
 فَوَحَّدَ اللَّهُ إِخْلَاصًا وَقَدْ ظَهَرَتْ * بَظْهِرِهِ كُنُودُ الْطَّلِّ فِي الطَّلَالِ^(٩)
 إِنْ قَدْ ظَهَرَ وَلِيَ اللَّهُ مِنْ دُبُرٍ * قَدْ قَدْ قَلْبُ عَدُوِّ اللَّهِ مِنْ قُبُلِ^(١٠)
 قَرَّتْ فِي قَيْسٍ لَمْ تَرْضَ أَنْفُسُهُمْ * إِذَا نَافَرُوا الرَّجْسَ إِلَّا الْقُدْسَ مِنْ نَفْلِ^(١١)

- (١) استؤم : قبيض الين؛ والزاحة : الكف . الرسل بالكسر : الذين ، المتحمل : الفائض .
 (٢) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه ، والغالل جمع غلة : خربة يشد بها فم الإبريق ، وفي شرح
 أبي شامة : في عقل جمع عقال : وهو الجبل الذي يسفل به البعير . (٣) هيل : أعظم
 أصنام قريش في الكعبة . (٤) في شرح أبي شامة : « حجة الله بالإعجاز » .
 (٥) معضل : شديد ، فادح : يقال أمر فادح إذا أهله وبهذه وبغيره . الجلال : العظيم .
 (٦) أجهدوه : حملوه فوق طاقته من العذاب ، والضئك : الضيق ، وفي التلويح : بضك الأمر
 وهو الصواب ، والأزل : الحسير ، والتضييق ، والأزور : القوة ، والثبت : ثابت القلب . وفي الأصول
 « شدائد الأزر جيت الأزل » وهو خطأ ، والتصويب من شرح أبي شامة . (٧) بطما : مطلوحا ،
 الرضا : الأرض الشديدة الحرارة بالشمس ، والبطاح : الأودية ، عالوا : أعلا ، حمة : كثيرة .
 (٨) التندوب : الآثار ، الطلل : الحار الخفيف ، والمعلل : ما تنخص من آثار الله يار على وجه الأرض .
 (٩) التندوب : الآثار ، الطلل : الحار الخفيف ، والمعلل : ما تنخص من آثار الله يار على وجه الأرض .
 (١٠) قد : قطع بالتعذيب . (١١) نافروا الرجس : جاتوا الأوثان والشرك ، القدس : الجنة ،
 البجة : الضل : التهمة .

- بِأَنْفُسٍ يُدَّتْ فِي الْخُلْدِ إِذْ بَدَّتْ • عَنْ صِدْقٍ بَدَلٍ بِيَدٍ أَكْرَمَ الْبَدَلِ
 قَالُوا: عِدْ قَدْ حَلَّتْ كَأَيْسُهُ • كَلَّاسِدَ تَزَارُ فِي أَنْبَاهِا الْمَصِلِ^(١)
 فَوَيْلَ مَكَّةَ مِنْ آثَارِ وَطَانِهِ • وَوَيْلَ أُمِّ قَرْيَيشٍ مِنْ جَوَى الْهَبْلِ^(٢)
 بَحْدَتْ عَفَا يَفْضُلُ الْعَفْوِ مِنْكَ وَلَمْ • تُنَلِّمْ وَلَا بِالسِّمِ الْيَوْمَ وَالْمَذَلِ
 أَضْرَبْتَ بِالصَّفْحِ مَنَاعًا طَوَائِلِهِمْ • طَوَّلَا أَطَالَ مَقِيلَ الْقَوْمِ فِي الْمَقَلِ^(٣)
 رَحِمْتَ وَاشِيعَ أَرْحَامَ أُنَيْحَ لَهَا • نَحْتِ الْوَشِيحِ تَسْبِيحَ الرُّوعِ وَالْوَجَلِ^(٤)
 عَاذُوا بِظِلِّ كَرِيمِ الْعَفْوِ ذِي لَطِيفٍ • مُبَارِكِ الْوَجْهِ بِالنُّوفِيقِ مُشْتَمِلِ^(٥)
 أَحْسِبْ بِخَيْلٍ مِنَ التَّكْوِينِ قَدْ جُنَيْتَ • لِحَانٍ عَنْ جَنَابِ الْحَقِّ مُعْتَمِلِ^(٦)
 أَعْمَيْتَ جَيْشًا يَكْفُفُ مِنْ حَقِيٍّ يَفْتَنُوا • وَعُطِّلُوا عَنْ حَرَكَ النُّقْلِ بِالنُّقْلِ^(٧)
 وَدَعَا بِنَفْسٍ الْبَيْتِ صَادِقَةً • غَدَا أُمَيْةٌ مِنْهَا شَرٌّ مُتَعَسِّرِينَ^(٨)

- (١) الكتاب جمع كناية : طائفة من الجند ، نزار : نصيح في غضب ، العمل : الشددة .
 (٢) المجرى : الحزن . الهبل : التكل . (٣) الصفح : الإعراض ، صفحا : جانباً ،
 طوائلهم جمع طائلة : العداوة ، طولاً : مآ وتفضلاً ، المقيل : النوم في الغالة ، وهي وقت الهجرة ،
 المقل جمع مقلعة : الحدة ، والمراد العين ، أى صفحك متعهم راحة النوم .
 (٤) وانح أرحام : الرحم المشددة ، أنيح : تيبأ ، الوشيح : اشتباك للقدارية ، التشيع : النصبة
 بالكاف . في الحق من غير انخاض ، الروح : الفزع ، الوجبل : الخوف . (٥) عاذوا : انعتوا
 واعتصموا ، لطف : رفق ، مبارك الوجه : أى ثبت فيه غير الإخفى ، وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام .
 (٦) هكذا ترتيب الأبيات في الأصول ، وهذا البيت بعد قوله : يرض من العون ... في ترتيب
 أبي شامة بل قوله : من كل مهتم ... ورتيب أبي شامة هو المناسب . من التكوين : ذكر بر الله ها ،
 جنبت : قيدت ، الحباب : الغمام ، المعنى : قيدت هذه الخليل لراحة أهل الكفر المعتزلين عن .
 (٧) جتا : فعد على ركبته ، والقل بالتحريك : الهجرة ، أى واهم عليه السلام بمضى منزل ناهم
 هجرة صلت حركتهم . (٨) فناء البيت : السعة التى أمامه ، والمراد البيت الحرام ، انخرل :
 انقطع ، أمية : هو أمية ابن خلف الحمير .

- خادرت جهول أبى جهول بجهولة • وشاب شيبة قبل الموت من وجل^(١)
وعبسة الشر لم يمتب قطعفه • ملك العواطف قبل القوت في مهل^(٢)
وعقبه النمر عقبه ليشقوته • قد ظل من غمرات النوى في ظل^(٣)
وكل أنوس ماني القلب متقلب • جعلته بقلب البئر كالبحر^(٤)
وجارم بمشار القمع مشغل • بجاحم من أوار النار مشغل^(٥)
عقدت يلزى في عطف مقلع • طوق الحماة باق غير متقل^(٦)
أسمى خليل صغار بد تحوته • بالأمس في خيلاء الخيل والحول^(٧)
دارم يديم زفيرا في جواحه • جئح من الشك لم يمتع ولم يمل^(٨)
يُقاد في القيد خنقا مشربا حقا • يمشى به الذعر مشى الشارب الثيل^(٩)

- (١) خادرت : تركت ، مبهمة : أمر حله على الجهول .
(٢) في الشرع « قبل الحين » : وهو الملاك ، ومهل : رفق .
(٣) النمر : الجاهل الذي لم يهرب الأمور ، غمرات : شدائد ، النوى : الضلال ، ظل : جمع ظلة .
(٤) الشرس : النظر بؤثر العين في تكبر وغفط وحقد ، أودع الرأس تكبرا ، الباقى : الذى بلغ
الغاية في الفسوة ، المقلب : المنصرف ، أى من الحق ، القلب : البئر ، والإخافة لليان ، الجمل كسر د :
دوية سوداء تكون في المواضع الندية • (٥) جارم : جالس على ركبتيه ، القمع : القبار ،
الجامح : الجرح الشديد الاشتغال ، الأوار : القلب ، وفي الشرع : « أوار النكل » .
(٦) الخوى : القتل والقضيعة ، خلفا الإنسان : جانباه من لدن رأسه إلى دركه • ويقدم :
الذى يقتضون : طرق الحماة : ما استدار بينهما ، أى طوقا كلوك الحماة .
(٧) الخليل : السديق ، الصنار : القتل والخوان ، النخوة : العظمة والتكبر ، التلايد : الكبر
والإيجاب ، الخول : الخدم والحشم • (٨) دام : دائما أى جريم يميل دمه • يديم : من
الدوام ، والزفير : نفس الصعداء ، والبلوايح : الأخلاص ، وابفتح : الفتلة ، لم يمتع : لم يمل .
(٩) القيد : السير ، خنقا : غنونا مشربا : أدخل فيه حتى خالطه ، الحق : النيط ، الذعر :
الفرع ، التمل : السكران ، أى يتأيل في مشيه خوفا .

أوصالُهُ من حَلِيلِ النُّسَلِ في غَلَلٍ • وقلبه من غَلِيلِ النُّسَلِ في غَلَلِ^(١)
يَقْلُ يَحْجِلُ ساجِي الطرفِ خافِضَهُ • يَمْسِكَةُ الجَلَلِ لا من مَسْكَةِ الجَلَلِ^(٢)
أزَحَتْ بالسيفِ ظَهْرَ الأرضِ من غَيْرِ • أزَحَتْ بالصدقِ منهم كاذِبَ اللُّلِ^(٣)
تَرَكْتَ بالكُفْرِ صَدَمًا غيرَ مُتَمِّمٍ • وآبَ منك بَقْرَجٍ غيرَ مُتَمَدِّلِ^(٤)
وأَقَلَّتِ السَّيْفُ منهم كُلَّ ذِي أَسَفٍ • على الجِثَامِ حَمَاءَ آجِلِ الأَجَلِ^(٥)
قد أَعْقَنَتْ عِناقَ الخَلِيلِ وهو يرى • به إلى رِقَى مَوْتِ رِقَةِ النُّزُلِ^(٦)
فَكَمْ يَمْكَةُ من بَالِكٍ وباصِيَةٍ • بَقِيضِ تَحْجِلٍ من الأَمَاقِ مُنْجِلِ^(٧)
وكَاسِفِ البَالِ بِأَيِّ الصَّبْرِ جَدَّتْ لَهُ • يَوَائِلُ من وَبَائِلِ الحُسْرَى مُتَّصِلِ^(٨)
فَوَادِهِ من سَمِيرِ الفَيْظِ في غَلَلٍ • وعَيْنِهِ من غَزِيرِ الدَّمْعِ في غَلَلِ^(٩)

(١) أوصاله : أعضاؤه ومفاصله ، النسل : القيد ، النمل جمع علة : المرض ، والنسل بالكسر :

الحقد ، وظليه حرارة والتباهي . اللل : جمع غلة وهي مثل الدليل .

(٢) يحجل : يقفز في الجبل وهو القيد ، ساجي : ساجي ، الطرف : العين ، المسكة : الإسك . الجبل : الجبال ، وهي قباب العروس تزين بالسور الواحد جملة ؛ يقول : إنما سجا طرفه من ذلة الأسر ، لا كما تسجو لحاظ النساء من لزوم الجباب ، وإسما كهن في الجبال .

(٣) أزحت : أزلت وأذهبت ، اللل : الأعداء . (٤) بالكفر : في الكفر أو في أهله ،

صدما : شقا ، ملثم : مجتمع ، آب : رجع ، والقرح : الجرح ، والاندمال : الرد .

(٥) أمات السيف حلهم السيف على الحرب ، الأسف : الحزن ، الخمام : الموت ، حماء :

منه ، الأجل : الخائر ، الأجل : أمد العمر . (٦) أعقته : أنجته ، عناق الخليل :

جنادها ، الرق : البودية ، والرقة : القناعة ، وتزلزل : مداعة النساء وعازمتين .

(٧) السجل : الدول المنظمة المسلوطة ماء ، الأماق : أطراف الأعيان التي يخرج منها الدمع ،

منسجل : منسب . (٨) كاسف البال : ختم الحال سيئها ، على الصبر : فني ، الوائل :

الشديد الاصاب ، وبال انزى : مضرة وأذاه وظفه ، وانلزي : الهلاك . وفي الجود تهكم :

كقوله تعالى : « فيشرهم بذاب أليم » . (٩) الفؤاد : القلب ، السمر : الاشتغال ،

الفيظ : الغضب ، اللل بالضم جمع غلة : الحرارة في الصدر من الحزن أو العطش ، والبال بالفتح :

الماء بين الشجر ، والماء الذي ليس له جرى .

- قد أسمرت منه صدرا غير مُصْطَرٍ * وَحَمَلَتْ مِنْهُ قَلْبًا غَيْرَ مُحْتَمِلٍ ^(١)
 وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ أُنْشِرَتْ فِي أُمِّمٍ * يَضِيقُ عَنْهَا فِجَاجُ الْوَصْرِ وَالْمَهْلِ ^(٢)
 خَوَافِقُ ضَاقَ دَرْعُ الْخَافِقَيْنِ بِهَا * فِي قَاتِمٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ ^(٣)
 وَجَحَلْ قَذْفُ الْأَرْجَاءِ ذِي لَحْيٍ * عَرَمَرَمَ كُرْهَاءُ اللَّيْلِ مُسْبِلِ ^(٤)
 وَأَنْتَ - صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ - تَقْدُمُهُمْ * فِي بَرٍّ إِشْرَاقِي نَوْرٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ ^(٥)
 يُنِيرُ فَوْقَ أَغْرِ الْوَجْهِ مُتَجَبِّ * مَتَوَجَّجٌ بِمِيزَرِ النَّصِيرِ مُقْتَبِلِ ^(٦)
 تَسْمُو أَمَامَ جَنُودِ اللَّهِ مَرْتَدِيَا * ثَوْبَ الْوَقَارِ لِأَمْرِ اللَّهِ مُمْتَثِلِ ^(٧)
 خَشِمَتْ تَحْتَ لَوَاءِ الْعَزِيزِينَ سِمَتٌ * بِكَ الْمَهَابَةُ فِئْلُ الْخَاضِعِ الْوَجِلِ ^(٨)
 وَقَدْ تَبَاشَرَ أَمْلَاكُ الْمَاءِ بِمَا * مُلْكَتْ إِذْ نَلَتْ مِنْهُ غَايَةُ الْأَمَلِ ^(٩)
 وَالْأَرْضُ تَرْجُفُ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ فَرَقٍ * وَالْجَوُّ يَزْهَرُ إِشْرَاقًا مِنَ الْجَدَلِ ^(١٠)
 وَالْخَيْلُ تَحْتَالُ مَيْلًا فِي اعْتِبَارِهَا * وَالْيَبْسُ تَنْتَالُ وَهِيَ مِنْ نَحْوِ الْجَدَلِ ^(١١)

- (١) في رواية : أشمرت بالمسجة . (٢) في الشرح : أشرفت ، وفي الأصول : أشرقت ،
 العجاج : الطرق الواسعة بين الجبال ، وفي الشرح الوعت ، وهو المكان الذي تنوص فيه الأقدام ،
 والسهل يفتح الماء للضرورة . (٣) خوافق : أي ألوية وينسود ، بالكسر يدل من الأمم
 في البيت السابق ، أو بالتم ، وفي الأصول : خوافر ، قال الشاعر : تصحيف لأنه أراد المهانة ،
 والخافقان : أقفا الشرق والغرب : أي ضاق وهما بها ، القاتم : المنير الأسود .
 (٤) الجفل : الجيش العظيم ، قذف : متباعد ، الأرجاء : النواص ، الحب : اشتباك الأصوات ،
 عرمرم : كثير ، زهاء : قدر ، في الشرح : « السيل مسجل » . (٥) الهو : البناء
 المقدم أمام البيوت . (٦) الأغر : الأبيض المنير ، المتجب : المنير .
 (٧) في الشرح : « بها العز » : وهو حسه وجماله ، سمت : طفت . في نسخة : « الخائف الوجيل » .
 (٨) ترجف : تضطرب ، ازهر : خفة الطرب ، والفرق : الفزع ، والجفل : الفزع والسرود .
 (٩) تحال : تتهتئ ، اليبس : الإبل ، كحال : تنصب من كل جهة ، الزهو : ضرب من السحر ،
 الجدل جمع جدل : الزيام ، في شرح أبي شامة : « زهوا » بدل « ميلا » .

١٣٠
١٦

- لولا الذى خَطَّتِ الأقلام من قَدْرِ • وسابق من قَضَاءِ غيرِ ذى حَوْلِ
أَهْلَ ثَلَاثٍ بِالتَّهْلِيلِ من طَرَبِ • وذابَ يَذُبُّ تَكْثِيرًا من الذَّبَلِ^(١)
الملكَ لله هذا عِزٌّ من حُجْدَتِ • له النِّبْوةُ فوق العَرِشِ فى الأَزَلِ^(٢)
شَبَّتْ صَدْعُ قَرِيشٍ عِدْمًا قَدَفَتْ • بهم شُعُوبُ شِعَابِ السَّهْلِ وَالْقَلِ^(٣)
مِنْ كُلِّ مَهْتَمِرٍ لله مَهْتَمِرِ • بالسِّيفِ مُخْتَمِرٍ بِالرَّيْحِ مَعْتَمِلِ^(٤)
يَمْشِي إِلَى الْمَوْتِ عَلَى الْكَبِ مَعْتَمِلًا • أَطَى الْكُتُوبِ كَثَى الْكَأَبِ الْفَضْلِ^(٥)
قَدْ قَاتَلُوا دُونَكَ الْأَقْيَالِ عَنْ جَلَدِ • وَجَادُوا بِجِلَاءِ الْبَيْضِ وَالْجَدَلِ^(٦)
وَصَلَتْهُمْ وَقَطَعَتْ الْأَقْرَبِينَ مَعًا • فى الله لَوْلَاهُ لَمْ تَقْطَعْ وَلَمْ تَصِلْ
وَجَاءَ جَبْرِيلُ فى جُنْدٍ لَمْ عُدْ • لَمْ يَنْبِغْهَا أَكْفُ الْخَلْقِ بِالْعَمَلِ
بَيْضٌ مِنَ الْقَوْنِ لَمْ تُسْتَلْ مِنْ عُجْدِ • خَيْلٌ مِنَ الْكَوْنِ لَمْ تُسَقَّ فى طِيلِ^(٧)

- (١) ثَلَاثٌ يَذُبُّ جِلَانِ، وَالْقَبْلِ : الرِّيحُ الذَّوَالِ، فى الشَّرْحِ : « ذَابَ يَذُبُّ تَهْلِيلًا ...
فَالْتَهْلِيلُ أَزَلًا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَثَانِيًا : الْجَبِينُ وَالْقَضْعُ . (٢) شَبَّتْ : جَعَتْ ، وَهُوَ مِنَ
الْأَضْدَادِ الصَّدْعِ : الشَّقْ ، شُعُوبٌ : مِنْ أَسْمَاءِ الْمَوْتِ ، الْقَلِ : أَمَالُ الْجِلَالِ .
(٣) هَذَا الْهَيْتُ وَالْحِمَةُ الْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهُ الْمُنَاسِبُ كَمَا فى شَرْحِ آيِ شَامَةَ أَنْ تَكُونَ قَبْلَ قَوْلِهِ :
بِأَقْسَى عِلَّتْ فى التَّلَافُظِ إِذْ بَذَلَتْ • عَنْ صَدَقِ بَذَلٌ يَبْدُو أَكْرَمَ الدَّلِ
وَمَهْتَمِرٌ : أَيْ كَامِرٌ لِأَقْرَبَانِ ، فى شَرْحِ آيِ شَامَةَ : « بِالْبَيْضِ مَخْتَصِرٌ بِالسَّرِّ مَعْتَمِلٌ » أَخْصَرَ الشَّيْءُ :
مَسَكَ يَدَهُ كَأَنَّمَا يَمْسُ خَصْرَهُ ، وَالسَّرُّ : الرِّيحُ ، الْمُتَقَلُّ : الْقَتْلُ يَجْعَلُ رِجْعًا بَيْنَ سَاهٍ وَرَكَابِهِ .
(٤) عَلَى الْكَبِ : وَصَفَ بِالشَّرَفِ وَالْفَقْرِ ، أَطَى الْكُتُوبِ : أَمْرُ الرِّيحِ ، أَوِ الْكُتُوبِ الْقَضَائِ
وَالْكَأَبِ : الْبُيَّارَةُ الْفَاعِدُ ، الْفَضْلُ : الْمَخْضَةُ فى ثَوْبٍ وَاحِدٍ مِنْ شَرَفِ قَنَاقِ ، وَفَوَاجِهِ أَنْ الْفَضْلُ
هَذَا وَصَفَ لِمَنْ الْكَأَبِ لَا هَا . (٥) الْأَقْيَالُ : الْقَوْنُ ، وَفى رِوَايَةِ « الْأَقَالِ » : الْأَعْدَاءُ ،
وَعَلِيًّا الشَّرْحُ : الْجَلَّةُ : الْعَبِيرُ ، الْجِلَادُ : الْخَضَارَةُ ، وَفى الشَّرْحِ « جَادَلُوا » خَاصَرُوا • بِجِلَاءِ الْبَيْضِ :
كَذَا فى الْأَسْوَدِ ، وَفى الشَّرْحِ بِجِلَاءِ الْبَيْضِ : أَيْ جَمْرًا بَيْنَ جَنَّةِ الْبَاسَانِ ، وَالْمُنَازَعَةُ بِالسَّرِّفِ .
(٦) بَيْضٌ : سَيَوفٌ ، مِنَ الْقَوْنِ : مِنْ مَوْنِ اللَّهِ ، الْكَوْنُ : قَوْلُهُ سَبَاحَةً : كَيْ فَكَاتٍ ، لَمْ تُسَقَّ :
لَمْ تَرْتَجْ ، فى طِيلِ : فى حِلٍّ ، سَمِي بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاجَةَ تَطْوُلُ فِيهِ وَتَتَّحِدُ فى الرَّمْيِ .

أزكى البرية أخلاقاً وأظهرها • وأكثر الناس صفها عن ذوى الزلل
 زان الخسوع وقاراً منه في خفير • أرق من خفير العسراء في الكليل^(١)
 وطفت في البيت محبوراً وطاف به • من كان عنه قيل الفتح في شغل
 والكفر في ظلمات الرجس مرتكس • ثاو بمثلة البهوت من زحل^(٢)
 حيزت بالأدين أقطار الجحاز معاً • وميت بالخوف عن خيف وعن ليل^(٣)
 وحل آمن ويمن منك في يمن • لما أجابت إلى الإيمان في عجل
 وأصبح الدين قد حفت جوانبه • بيمزة النصير وأستعمل على المليل^(٤)
 قد طاع متعريف منهم لمعريف • وأقناد منعيل منهم لمعيل
 أحبب محلة أهل الحق في الخليل • وعمر دولته الفراء في الدول^(٥)
 أم البهامة يوم منه مصطلم • وحل بانثام شؤم غير مرتيل
 تمرقت منه أعراق العسراق ولم • يترك من الترك عظام غير منتيل^(٦)

١٠

(١) خفر : حياء ، الكليل جمع كلة : ألتر الزين يحاط كاليت يتوق فيه من البوض .

(٢) الررس : القدر ، وفي نسخة الشرح : « الخزي » ، الررس : قلب النى . على رأسه ورد أوله على آخره ، ثاو : مقيم ، البهوت : الحوت الذى يزعمون أنه يحمل النور الحامل للأرض ، وزحل : أهل النجوم السيارة ، يريد أن الكفر في غاية الغفل .

١

(٣) حيزت : منعت ، وميت : نحيب وأذعيت ، وانثيف : منى ، وغيف بنى كاة الذى نزل فيه النبي صلى الله عليه وسلم عام جه ، وفي نسخة به « حيف » بدل « خوف » والحيف الجور والظلم ، والحرف أحسن ، ولعل : موضع بين مكة والمدينة ، وتكبير انثيف مع عليه الضرورة .

(٤) في الشرح : « واستول على المال » .

(٥) أم : قصد ، مصطلم : متأصل بالخلاك ، يشير إلى القضاء على مسيلة الكذاب وقومه . والشؤم : قبح الجن ، أى لازما الشؤم حتى تفنى على عالمها ، ومعها الإسلام .

٢

(٦) تمرقت : أخذ ما عليها من الدم ، الأعراق جمع هرق بالفتح : الظلم ، وهذا مثل ، إشارة إلى امتناع الإسلام لكنوزها وعالمها ، مقتل : مستخرج ، من اتظت البئر إذا استخرجت رايها .

- لم يسبق للفارس لبث غير مقتّيس • ولا من الحُشّ جيش غير مُتجِلِّ^(١)
 ولا من الصّين صَوٌّ غير مُبتَل • ولا من الروم مرمر غير مُتصل^(٢)
 ولا من الثوب يَحم غير مُتجِذم • ولا من الرّيح جدل غير مُتجِل^(٣)
 ونيل بالسيف سيف النّيل واتصلت • دعوى الجنود فكلّ بالجلاد صلي^(٤)
 وصلّ بالغرب غربُ السيف إذ شرفت • بالشرق قبل صدور البيض والأصل^(٥)
 وعاد كل عدوّ عَرّ جانبيه • قد عاذ منك يَبدل منه مُبتَل^(٦)
 يذيق الله والإيمان مُتّصل • أو من شباّ التّصل بالأموال مُتّصل^(٧)
 يا صفوة الله قد صافيتُ فيك صفا • صفو الوداد بلا شوب ولا دخل^(٨)
 ألت أكرم من يمضى ملّ قديم • من البرية فوق السمل والجبل
 وأزلف الحائي عند الله منزلة • إذ قيل في مشهد الأَشهاد والرّسل
 قم يا محمد فاشفع في العباد وقُل • تُسمع وسلّ تعطّ وأشفع عائد وسل
 والكور الحوض يروى النّاس من ظمأ • برّح وينقّع منه لا عيج الغلّ^(٩)

- (١) النجل : انهمز • (٢) مبتدل : عمن ، ومتصل : مرتعى ، قال : تاعلوا تراوا بالنبال .
 (٣) الجذم : الأصل ، منجذم : منقطع ، والجذل بمجمة : الأصل أيضا ، منجلد : منقطع .
 (٤) سيف : شامل . النيل : نهر مصر ، والجلاد : الخضارية ، وأشار إلى أن الأبطال إلى
 ذكرها هتعت بالسيف ومهما الإسلام . (٥) التّسرب : المغرب ، غرب السيف : حده ،
 شرفت : ضمت ، البيض : السيف ، الأصل : الرّاح ، يريد أن المسلمين لما غرغروا من فتح بلاد
 الشرق ورويت منها سيوفهم ورماحهم حتى شرفت بدماء أهل الشرك تصدرا نحو المغرب فتحملوا بلادهم .
 (٦) عاد : صار ، وباذ : تموّذ واستبحار . (٧) الدمة : الأمان ، أى ما بذله لنجاة
 من القتل إما إيمان بالله وإما جزية ، وشباّ التّصل : حده وطرفه ، والتّصل : السيف .
 (٨) صافيت فيك : في زائدة ، أى صافيتك ، صفا بالله : قصره لقصودة ، والشوب : الخلط
 والدخل : الدغل والفساد . (٩) برّح : شديد ، ينقّع : يسكن ، لا عيج : شدة الحرارة ،
 الغلّ جمع غلة : شدة العطش .

أصغى من التلج إشرافاً مذاقته • أحلى من اللبن المضروب بالعمل
تَحْتَلُّكَ الْوَدَّ عَلَى إِذْ تَحْتَلُّكَ • أَحَبِّي بِفَضْلِكَ مِنْهُ أَفْضَلَ التَّعَلُّ
فَمَا لِحَلْدِي بِنَضْجِ النَّارِ مِنْ جَلْدٍ • وَلَا لِقَلْبِي بِهَوْلِ الْحَمِيرِ مِنْ قَبْلِ
يَا خَالِقِ الْخَلْقِ لَا تُخْلِقْ بِمَا أَجْرَمْتُ • يَدَايَ وَجْهِي مِنْ حُوبٍ وَمِنْ زَلَالٍ
وَأَحَبُّ وَصَلٍ وَوَصِلْ كُلَّ صَالِحَةٍ • عَلَى صَفِيكَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْأَصْلِ

صلى الله عليه وسلم

وقد آن أن نأخذ في ذكر أخبار وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونبدأ
من ذلك بما أنزل عليه عند اقتراب أجله، ثم نذكر ابتداء وجهه والحوادث التي
اتفقت في أثناء مرضه إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم.

ذكر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند اقتراب أجله، وما كان يقوله مما استدل به على اقترابه

كان مما استدل به على اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزول
سورة الفتح، ونتائج الوحي، وتكرار عرض القرآن على جبريل، واستغفار رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأهل البيت والشهداء. روى عن عبد الله بن عباس رضي
الله عنهما: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عن قول الله عز وجل: ﴿إِذَا
جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ • وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ فقال بعض
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله
وفتح علينا. وقال بعضهم: فتح المدائن والقصور. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً،
قال عمر: كذلك تقول يا بن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو

(١) محل: أعلى، والنحلة العطية، جاء: أعلاه، في الشرح: «أحبى بحبك».

(٢) خلق: بلى. الحوب: القرب. (٣) آية ١، سورة النصر.

- أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمه له ، قال : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)
وذلك علامة أجلك (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) فقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه : ما أعلم منها إلا ما تقول . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما صلى
النبي صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)
إلا يقول فيها : « سبحانك ربنا وبمحمدك اللهم أغفر لي » . وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) دأب من الله ووداع من الدنيا .
وعنه رضي الله عنه قال : لما نزلت (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاطمة فقال : « إنه نُيِّبْتُ إلى نفسي » قالت : فبكيتُ ،
فقال : « لا تبكي فإنك أول أهل بي لحوقا » فضحك . وروى محمد بن سعد
بسند إلى أنس بن مالك : أن الله تبارك وتعالى تابع الوحي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفي ، وأكثر ما كان الوحي في يوم توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وروى ابن سعد أيضا بسند إلى عكرمة قال قال العباس :
لأعلمن بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، فقال له : يا رسول الله ، لو أخذت
عشرنا فلان الناس قد آذوك ، قال : « والله لا أزال بين ظهرانيهم ينازعوني ردائي
ويعصيني غيرهم حتى يكون الله يرعيني منهم » قال العباس : فصرفنا أن بقاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا قليل . وعن عائشة بن الأسقع قال : خرج طينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أترعمون أني من آخركم وفاة ، ألا وإني من
أولكم وفاة ، وتبعوني أفنادا يهلك بعضهم بعضا » . وعن أبي صالح قال : كان جبريل
يمرض القرآن كل سنة مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان العام الذي

قُبِضَ فِيهِ جُرْحُهُ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَفَّفُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الشَّرَّ الْأَوَائِرِ ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي قُبِضَ فِيهَا أَتَكَفَّفَ عَشْرِينَ يَوْمًا .
وَمِنْ عَائِشَةَ وَأَبْنِ جَبَاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ .

ذَكَرَ اسْتِغْفَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَأَهْلِ بَيْعِ الْفَرْقَدِ^(١) وَالشُّهَدَاءِ ، وَمَا رَوَى مِنْ تَحْيِيرِهِ بَيْنَ الْبَقَاءِ
وَلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَخْيَارِهِ لِقَاءَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ

رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَمْ يَلَسْ ثِيَابَهُ ثُمَّ خَرَجَ ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي بَرِيرَةَ فَتَبِعَتْهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْبَيْعَ
وَقَفَ فِي أَدْنَاهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَخْفَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ فَسَبَقَتْهُ بَرِيرَةُ فَأَخْبَرَتْنِي فَلَمْ أَذْكُرْ لَهُ
شَيْئًا حَتَّى أَصْبَحَ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : « إِنِّي بُمِثْتُ لِأَهْلِ الْبَيْعِ لِأَصِلَ
طَلِيمٌ » . وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَتَقَدَّسَتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ
فَتَبِعَتْهُ فَإِذَا هُوَ بِالْبَيْعِ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارُ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ أَمْتُ لَنَا قُرُوطٌ^(٢) ، وَإِنَّا بِكُمْ
لَآحِقُونَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ وَلَا تَقْتُلْنَا بِمَدْمِهِمْ » قَالَتْ : ثُمَّ التَفْتُ إِلَى فَقَالَ :
« وَبِئْهَا لَوْ تَسْتَطِيعُ مَا قُلْتُ » . وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : وَتَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَضْجَعِهِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ، فَقُلْتُ : إِلَى أَيْنَ أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَمَرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَيْعِ » قَالَتْ : فَخَرَجَ وَخَرَجَ
مَعَهُ مَوْلَاهُ أَبُو رَافِعٍ ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يَحْتَسِبُ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَمْ طَوِيلًا ثُمَّ أَنْصَرَفَ ، وَجَمَلُ يَقُولُ : « يَا أَبَا رَافِعٍ إِنِّي خُيِّرْتُ بَيْنَ خَزَائِنِ

١٣٢
١٦

(١) الْبَيْعُ فِي الْأَصْلِ : الْمَكَانُ الْمُبْتَاعُ الَّذِي فِيهِ شَجَرٌ ، وَالْفَرْقَدُ : شَجَرٌ حُلِيمٌ كَانَ يَنْبْتُ فِي الْمَكَانِ
الَّذِي فِيهِ بَيْعَةُ الْمُؤَدَّةِ فَزَالَتْ نَسَبُهُ .
(٢) الْفَرْطُ فِي الْأَصْلِ : مَقْدَمُ الْقَوْمِ لِمَرَدَدِهِمْ الْمَاءَ وَيَجِيءُ لَمْ وَسَامَهُ .

- الدنيا والخلد ثم الجنة، وبين لقاء ربي والجنة فأخبرت لقاء ربي . وعن أبي مؤيَّبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل : « يا أبا مؤيَّبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فأطلق معي » فخرج وخرجت معه حتى جاء البقيع فاستغفر لأهل طويلاً، ثم قال : « ليهشكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يُبْع بعضها بعضاً، يُبْع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى » ثم أقبل على فقال : « يا أبا مؤيَّبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، تخبرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة » فقلت : بأبي أنت وأمي، نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فقال : « لا والله يا أبا مؤيَّبة لقد أخبرت لقاء ربي والجنة » ثم استغفر لأهل البقيع وأنصرف . والجمع بين هذه الأحاديث كلها غير متنافٍ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما استغفر لأهل البقيع ليالي، ويؤيد هذا ويضدُّه ما رواه عطاء بن يسار عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنا وإياكم ما توعدون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، اللهم أغفر لأهل بقيع الفرقة » . وعن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى قبيل له : ١٠ أذهب فصلَّ على أهل البقيع، ففعل ذلك ثم رجع فرقد، فقيل له أذهب فصلَّ على الشهداء، فذهب إلى أحد فصلَّ على قتلى أحد، فرجع معصوب الرأس، فكان بدو الوجد الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم .

- وعن عتبة بن عامر الجهني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال : « إني بين أيديكم قرط وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامى هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » . ٢٠

ذكر ابتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأسقذانه نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها .

كان ابتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الأربعاء ، قيل : لإحدى عشرة بقية من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة . وقيل : لليلة بقيت من صفر .

• روى عن ابن شهاب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود — دخل

حديث أحدهما في حديث الآخر — عن عائشة رضي الله عنها قالت : بدأ رسول

الله صلى الله عليه وسلم شكوه الذي توفى فيه وهو في بيت مميونة ، فخرج في يومه ذلك

حتى دخل علي^١ ، قال ابن مسعود عنها : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع

فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي ، وأنا أقول : وأراساه ، فقال : « بل أنا يا عائشة

وأراساه » قالت ثم قال : « وما ضرك لو مت قبل فقمْتُ عليك وكففتك وصليتُ ١٠

عليك ودفنتك » قالت قلت : والله لكأنني بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي

فأعرست فيه ببعض تسائك . قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وتنأى به وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به وهو في بيت مميونة ،

فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له ، قالت : فخرج يمشي بين

رجلين من أهله ، أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر ، عاصب رأسه محط ١٥

قدماء حتى دخل بيتي ، قال عبيد الله : فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عباس

فقال : هل تدري من الرجل الآخر؟ قال قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب

قالت عائشة : ثم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال :

(١) تنأى به ، تنأى .

٢٠ (٢) استعز به : اشتد به المرض ، وأعرض على الموت .

(٣) غير : أغمر طيه .

« هَرَبُوا عَلَيَّ مِنْ سِجِّ قَرَبٍ مِنْ آبَائِي شَقِيٌّ » وفي رواية: « لَمْ تُحَلَّلْ أَوْ كَيْتَنَ لَعْلٍ »^(١)
 أعهد إلى الناس » قالت : فأجلسناه في مُحَضَّبٍ لِحَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، ثُمَّ طَلَفْنَا
 نَصَبَ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَرَبِ حَتَّى جَمَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِبَيْدِهِ أَنَّ قَدْ فُتِلَتْ ، ثُمَّ نَجَّجَ
 إِلَى النَّاسِ وَصَلَى بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

١٣٣
١٦

ذكر خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما أمر به من سد الأبواب التي تسرع إلى مسجده إلا باب أبي بكر الصديق
 ووصيته بالانصار

روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : خطب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال : « إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عِبَادَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَأَخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدَ
 مَا عِنْدَ اللَّهِ » فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ أَنْ يَكُونَ
 ١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا عن عبدٍ خَيْرٌ فَأَخْتَارَ ؟ قال : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا بِهِ ، قال فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : « يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَالِهِ
 أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا كَانَ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ
 ١٥ وَمُودَتُهُ ، لَا يَبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » . وعن قُتَيْبَةَ بْنِ سَعِيدٍ
 عَنِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ
 أَعْظَمَ النَّاسِ عَلَيَّ مَنْ فِي مَحَبَّتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَغْلَقُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّارِعَةَ
 كُلَّهَا فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » قال قُتَيْبَةُ : قَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ معاوية
 ابن صالح ، فقال ناس : أَغْلَقَ أَبْوَابَنَا وَتَرَكَ بَابَ خَلِيلِهِ ، فقال رسول الله صلى الله

(١) وأوكيتنا جمع وكأ : وباطنهم الفرج . (٢) المحضَّب : إزاء فصل فيه أبواب . ٢٠

عليه وسلم : « قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر ، وإني أرى على باب أبي بكر نورا ، وأرى على أبوابكم ظلمة » رواه محمد بن سعد في طبقاته الكبرى . وروى بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصبا رأسه في خرقه ، فقع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إنه ليس أحد أن علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي حنيفة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لآخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سئدوا عنى كل خوذة في هذا المسجد غير خوذة أبي بكر » وعن أبي الحويرث قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبواب تُسد إلا باب أبي بكر ، قال عمر : يا رسول الله ، دعني أفتح كوة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا » . وعن أبي البدر بن عاصم بن هدى ، قال قال العباس بن عبد المطلب : يا رسول الله ، ما بالك فتحت أبواب رجال إلى المسجد ، وما لك سدت أبواب رجال ؟ فقال : « يا عباس ، ما فتحت عن أمرى ولا سدت عن أمرى » قالت عائشة رضي الله عنها في حديثها : وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصار ، فقال : « يا معشر المهاجرين ، إنكم أصبحتم تزيدون والآنصار لا تريد على هيلتها [التي هي عليها ^(١) اليوم ، هم عيتي التي أوتيت إليها ، أكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » . ومن رواية : « أحفظوني فيهم ؛ أقبِلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم » .

(١) الزيادة من ابن سعد ج ٢ ق ٤٢٢ وقد أ « هيتهم » .

(٢) عتيق : أى خاصتى وأهل سرى ؛ أراد أنهم بطائنه وموضع أمانته والذين يمتد عليهم

ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق

رضي الله عنه ، وفيه

- رُوي عن أبي أمامة، عن كعب بن مالك قال: إنَّ أحدَ عهدي بنبيكم صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس، فسمعتُه [يقول] ^(١) وَيُحَرِّكُ كَفَّهُ «إنه لم يكن نبيَّ قبل إلا وقد كان له من أمته خليل، ألا وإنا خليلي أبو بكر، إن الله آتخذني خليلاً كما آتخذ إبراهيم خليلاً». وعن أبي مُلَيْكَةَ قال قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه: «أدعوا إلى أبي بكر» فقالت عائشة: إن أبي بكر رجل يشبه البكاء، ولكن إن شئت دعونا لك ابن الخطاب، قال: «أدعوا إلى أبي بكر» قالت: إن أبي بكر يرقى، ولكن إن شئت دعونا لك ابن الخطاب، فقال: «إنك صواحب يوسف، أدعوا إلى أبي بكر وأبنته، فليكتب أن يطعم في أمر أبي بكر طامع أو يمتن ^(٢) متن» ثم قال: «يا أيُّ الله ذلك والمؤمنون، يا أيُّ الله ذلك والمؤمنون» قالت عائشة: فأيُّ الله ذلك والمؤمنون، فأيُّ الله ذلك والمؤمنون. وروى محمد بن سعد بسنده إلى صُرَّة، وعبيد الله بن عبد الله بن حُتَيْب بن مسعود، والقاسم بن محمد، كلهم يحدث عن عائشة رضي الله عنها — دخل حديث بعضهم في حديث بعض — قالت: بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت مَيْمُونَةَ فدخل عليّ وأنا أقول: وإراساه، فقال: «لو كان ذلك وأنا حيٌّ فاستغفر لك وأدعوك وأكفئك وأدفعك» فقلت: وانكلاه، فوافقه إنك لتحبّ موتي، ولو كان ذلك لظلت يومك مُعَرَّماً ببعض

١٣٤
١٦

(١) الزيادة من ابن سعد ج ٢ ق ٢: ٢٤٠

(٢) في شرح المراهب: هو عبد الرحمن.

(٣) في شرح المراهب: «ما عهد أن يقول القائلون».

(٤) أي أن تكون الخلافة قتلان أو قوم غير أبي بكر.

(٥) عبارة اللغات: «بدئ رسول الله في وجهه في بيت ميمونة... الخ».

أزواجك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بل أنا وأرأساه لقد هممت —
 أو أردت — أن أرسل إلى أبيك وإلى أخيك فأفضي أمرى ، وأعهد عهدي ، فلا
 يطمع في الأمر ، طامع ولا يقول القائلون : أو يتقى المتنون . » وقال بعضهم في حديثه :
 « وبأبي الله إلا أبا بكر » . وعن محمد بن جبير قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم يذكره في الشيء ، فقال : إن جئت فلم أجدك ؟ قال : « فات أبا بكر » .
 وعن عاصم بن عمرو بن قتادة ، قال : أتباع النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا من
 رجل إلى أجل فقال : يا رسول الله ، إن جئت فلم أجدك ؟ يعني بسد الموت ،
 قال : « فات أبا بكر » ، قال : فإن جئت فلم أجد أبا بكر ، بعد الموت ؟ قال : « فات
 عمر » ، قال : فإن جئت فلم أجد عمر ؟ قال : « إن أستطعت أن تموت إذا
 مات عمر فمت » .

ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي

بالناس في مرضه ، وخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كلم به الناس ، وكـ
 صلى أبو بكر بالناس صلاة ، وما روى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آثم
 بأبي بكر رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
 بلال يؤذنه بالصلاة فقال : « مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس » فقلت : يا رسول الله ،
 إن أبا بكر رجل أسيف ، وأنه متى ما يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت
 عمر ، فقال : « مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس » فقلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر
 رجل أسيف ، وأنه متى يقوم مقامك لا يُسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، فقال :
 « إنك لن لأتين صواحب يوسف ، مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس » فلما دخل أبو بكر

- في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خِفة فقام يهادى بين رجلين ، ورجلاه تَحُطَّان في الأرض حتى دخل المسجد ، فلما سمع أبو بكر حِسَّهُ ذهب أبو بكر يتَأَخَّر ، فَأَوَّماً إِلَيْهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بغاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي قائماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعداً ؛ يقتدى أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر . رواه البخاري في صحيحه . وروى محمد ابن سعد بسنده عن عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ نَحْوَهُ . وقال : فلما فرغوا من الصلاة قال أبو بكر : أي رسول الله ، أراك أصبحت بعد الله صالحاً ، وهذا يوم أبنته خَارِجَةٌ — امرأة لأبي بكر من الأنصار — فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُصَلَّاهُ أو إلى جنب المنبر ، فحَذَّرَ الناسَ الْفِتَنَ ،
- ثم نادى بأعلى صوته ، حتى إن صوته يخرج من باب المسجد ، فقال : « إني وإهـ لا يُسَبِّحُ النَّاسُ عَلَيَّ بَشِيءٌ ؛ لَا أُحِلُّ إِلَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَلَا أُحَرِّمُ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ » ثم قال : « يا فاطمة بنت عبد محمد ويا صفية عمة رسول الله أعمالنا عند الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً » ثم قام من مجلسه ذلك ،
- فأُتِيَ آنَتَصَفَ النَّهَارِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وعن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بني عبد مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا عَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ، سَأَلُونِي مَا شِئْتُ » . وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : دخلت على عائشة فقلت لها حدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أَصَلَّى النَّاسُ ؟ » فقلت :

(١) يهادى بين رجلين : أى يمشى بينهما مضمداً عليهما من ضعفه وتمايله .

لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال : « ضموا لي ماء في المِغْضَبِ » قالت :
فعلنا فأقبل ثم ذهب ليَتَوَضَّأُ^(١) عليه ثم أتاق، فقال : « أَصَلَّ النَّاسُ ؟ » فقلت :
لا، هم ينتظرونك ، فقال : « ضموا لي ماء في المِغْضَبِ » قالت : فعلنا فنذهب
فأقبل فقال : « أَصَلَّ النَّاسُ » ؟ قلت : لا ، هم ينتظرونك ، والناس عكوف
في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة ، قالت :
فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصل بالناس ، فأتاه الرسول
فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصل بالناس ، فقال أبو بكر
— وكان رجلا رقيقا — : يا عمر، صل بالناس ، فقال له عمر : أنت أحق بذلك ،
فصلى أبو بكر تلك الأيام . ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه خِفةً فخرج
بين رجلين أحدهما العباس ، فصل الظهر وأبو بكر يصل بالناس ، قالت : فلما رآه
أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأوما إليه النبي صلى الله عليه وسلم ألا يتأخر ، وقال لها :
« أجلساني إلى جنبه » فأجلساه إلى جنب أبي بكر فجعل أبو بكر يصل ، وهو قائم
بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر ، والنبي صلى الله
عليه وسلم قاعد ، قال عُبَيْدُ اللَّهِ : فدخلت على عبيد الله بن عباس فقلت له :
ألا أعرض عليك ما حدثتني به عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : هات ، فرضتُ [حديثها]^(٢) عليه فما أنكرته شيئا غير أنه قال : سمعت لك
الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا ، قال : هو علي بن أبي طالب .

وروى محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن عبيد الرحمن بن عبد العزيز ،
وعبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غزيرة عن محمد بن إبراهيم قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو مريض لأبي بكر : « صل بالناس » فوجد رسول الله صلى الله

- عليه وسلم خفة نخرج وأبو بكر يصلي بالناس، فلم يشعر حتى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بين كتفيه، فنكص أبو بكر، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه، فصلى أبو بكر وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته، فلما أنصرف قال: «لم يقبض نبي قط حتى يؤتمه رجل من أمته». وروى نحوه عن أبي معشر، عن محمد بن قيس. وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في وجهه إذا خف عنه ما يعيد نرج فصل بالناس، وإذا وجد ثقله قال: «مروا الناس فليصلوا» فصل بهم ابن أبي خافة يوماً الصبح فصل ركعة، ثم نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بفلس إلى جنبه فأتهم بأبي بكر، فلما قضى أبو بكر الصلاة أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فاتهم. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مرضه بصلاة أبي بكر ركعة من الصبح ثم قضى الركعة الباقية. قال الواقدي: ورأيت هذا الثبوت عند أصحابنا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر. وروى محمد بن سعد بسنده إلى عبد الله بن زعنة بن الأسود قال: «حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه، بغاه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مروا الناس فليصلوا» قال عبد الله: فخرجت فلقيت ناساً لا أكلمهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبع من وراءه، وكان أبو بكر غائباً فقلت له: صل بالناس يا عمر، فقام عمر في المقام وكان عمر رجلاً مجبوراً، فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، فأخرج رأسه حتى أطلمه للناس من حجرته، فقال: «لا، لا، لا، لا، لا يصل بهم ابن أبي خافة» قال: يقول ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتضياً، قال: فأنصرف عمر فقال لعبد الله بن زعنة: يا ابن أخي أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تأمرني؟ قال فقلت: لا، ولكني لما رأيته لم أبع من وراءك، فقال عمر: ما كنت أظن حين أمرتني

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس .
 فقال عبد الله : لما لم أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة . وعن عبد الله
 ابن عباس قال : حضرت الصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مروا أبا بكر
 يصلي بالناس » فلما قام أبو بكر مقام النبي صلى الله عليه وسلم أشد بكاءه وأفتن ،
 وأشد بكاءه من خلفه ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما حضرت الصلاة جاء
 المؤذن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قولوا للنبي صلى الله عليه وسلم يأمر
 رجلا يصلي بالناس ، فإن أبا بكر قد أفتن من البكاء والناس خلفه ، فقالت حفصة
 زوج النبي صلى الله عليه وسلم : مروا عمر يصلي بالناس حتى يرفع الله رسوله ،
 قل : فذهب إلى عمر فصلى بالناس ، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم تكبيره
 قال : « من هذا الذي أسمع تكبيره ؟ » فقال له أزواجه : عمر بن الخطاب ،
 وذكروا له ما قاله المؤذن ، وما قالت حفصة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « إنكن لصواحب يوسف ، قولوا لأبي بكر فليصلي بالناس » قال : فلو لم يستخلفه
 ما أطاع له الناس . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لم يزل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في وجهه إذا وجد خفة خرج ، وإذا نفل وجاءه المؤذن قال :
 « مروا أبا بكر يصلي بالناس » فخرج من عنده يوما الأمر بأمر الناس يصلون
 وآين أبي حنيفة غائب ، فصل عمر بن الخطاب بالناس فلما كبر قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : « لا ، لا ، آين آين أبي حنيفة ؟ » قال : فانتقضت الصفوف
 وأنصرف عمر ، قال : فلما برحنا حتى طلع آين أبي حنيفة وكانت بالفتح^(١)
 فتقدم فصل بالناس . وعن أنس بن مالك : أن أبا بكر - رضي الله عنهما - كان يصلي
 بهم في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه ، حتى إذا كان يوم الاثنين

وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إليها، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ونغم في الصلاة من الفرح . قال : وتكس أبو بكر على عقبيه ، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن آمنوا صلاتكم » قال : ثم دخل وأرعى الست، فتوفي من يومه صلى الله عليه وسلم . وقال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن عمر، قال سألت أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة : كم صلى أبو بكر بالناس ؟ قال : صلى بهم سبع عشرة صلاة، قلت : من حدثك ذلك ؟ قال قال : حدثني أيوب بن عبد الرحمن ابن صمصة، عن عباد بن تميم ، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : صلى بهم أبو بكر ذلك .

- ١٠ ذكر ما اتفق في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلاف ما ذكرناه ، من اللدود الذي لُذ به ، والكتاب الذي أراد أن يكتبه ،
والوصية التي أمر بها ، والدنانير التي قسمها ، والسواك الذي استن به صلى الله عليه وسلم .

- فاما اللدود^(١) الذي لُذ به صلى الله عليه وسلم وما قال فيه — روى عن أم سلمة
رضي الله عنها قالت : تخوفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الجنب وتقل^(٢)
١٥ فلددناه ، فوجد خشونة اللد فافاق ، فقال : « ما صنعتُم بي ؟ » قالوا : لددناك ،
قال : « بماذا ؟ » قلنا : باللود الهندى ، وشيء من ورس وقطرات زيت ، فقال :
« من أمركم بهذا ؟ » قالوا : أسماء بنت عميس ، قال : « هذا طِبُّ أصابته
بأرض الحيشة ، لا يبقى أحد في البيت إلا التدد إلا ما كان من عم رسول الله

(١) اللدود : ما يصفاه المريض في أحد شق القم .
(٢) ذات الجنب : علة صعبة ، وهي ورم حار يمرض الجباب المستعجن للأضلاع .

صلى الله عليه وسلم « معنى العباس ، ثم قال : « ما الذى كنتم تخافون على » ؟ قالوا : ذات الجنب ، قال : « ما كان الله ليلسطها على » . وفي رواية عن أم بشر بن البراء ، قال : « ما كان الله ليلسطها على رسوله ، إنها همزة من الشيطان ، ولكنها من الأكلة التى أكلتها أنا وأبوك ، هذا أو أن قطعت أيسرى » . ومن حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بفعل بعضهم يُلْدُ بعضا . وعن هشام قال : كانت أم سلمة وأسماء بنت عميس هما لذناه ، قال : فالتذت يومئذ ميمونة وهى صائمة ، فقسّم النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان منه عقوبة لهم .

وأما الكتاب الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع

فقد اختلفت الروايات فى هذا الحديث عن عبد الله بن عباس وغيره ، فن رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهم أنه قال : أشكى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخميس فجعل - معنى ابن عباس - يبكى ويقول : يوم الخميس وما يوم الخميس ، أشد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجهه فقال : « آيتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا » قال فقال بعض من كان عنده : إن نبي الله هجر ، قال فقبل له : ألا تأتيك بما طلبت ؟ قال : « أو بعد ماذا ؟ » فلم يدع به . ومن طريق آخر عن سليمان بن أبي مسلم عن سعيد بن جبيرة قال : فتنازعوا ولا يفتنى عند نبي تنازع . فقالوا : ما شأنه هجر ؟ استغيثوه ، فذهبوا

(١) الأهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . (٢) كذا فى الأصل ، وسند الحديث

فى ابن سعد : « من الزمى من أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام .

(٣) لا تضلوا : هونى ويزم يحذف النون لأنه يدل من جواب الأمر . ويرى : « لا تضلون »

و « لن تضلوا » . (٤) هجر : اختلف كلامه بسبب المرض .

(٥) فى الأصول : « سلطان » والمصوب من اللغات ، وتهذيب التهذيب . .

- يمدون عليه . قال : « دعوى فأذى أنا فيه خير مما تدعوني إليه » . قال : وأوصى بثلاث ، قال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » وسكت عن الثالثة ، فلا أدري قالها ففسدتها ، أو سكت عنها عمداً ؟ . ومن رواية طلحة بن مُصَرِّف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آيتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً » . قال فقالوا : إنما يهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذه الروايات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما . وروى عن عبيد الله بن عبد الله بن حُبة بن مسعود عن ابن عباس قال : لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده » فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسينا كتاب الله . فاختلف أهل البيت وأخضعوا ، فنهى عن قول : قَرَّبُوا يَكْتُبُ لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يقول ما قال عمر ؛ فلما كثر اللَّفْظُ والاختلاف وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قوموا عني » . قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : إن الرِّزِيَّةَ كُلَّ الرِّزِيَّةِ ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم . وعن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : « آيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً » . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من لقلادة وقلادة — من مدائن الروم — إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يموت حتى يفتحها ، ولو مات لا تنتظرونه كما أنتظرت بنو إسرائيل موسى ؟

١٣٧
١٦

فقلت زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ألا سمعون للنبي صلى الله عليه وسلم يهد إليكم ؟ فَنَطَرُوا فقال : « قوموا » فلما قاموا قبض النبي صلى الله عليه وسلم مكانه . وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما كان في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفى فيه ، دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمنته كتابا لا يضلون ولا يُضَلُّون ، فكان في البيت لَفْظٌ وكَلَامٌ ، وتكلم عمر بن الخطاب ، قال : فرفضه النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيننا وبين النساء حجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَضِلُّونِي بِسَجِّ قَرَبٍ وَأَتُونِي بِصَحِيفَةٍ وَدَوَاةٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بِهِ أَبَدًا » فقال النسوة : آتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاجته . قال عمر فقلت : آسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عَصْرَتُنَّ أعينكن ، وإذا مع أخذتن بمنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُنَّ خَيْرُ مَنْكُم » .

هذا ما وقفنا عليه من الروايات المسندة في هذا الحديث ، وقد تذعرت به طائفة من الروافض ، وتكلموا فيه وطعنوا على من لفظ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آمنت من الكتابة .

وقد تكلم القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله على هذا الحديث ، وذكر أقوال العلماء وما أبدوه من الاعتذار عن عمر رضي الله عنه فيما قال ، فقال رحمه الله تعالى ، قال أئمتنا في هذا الحديث : النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض ، وما يكون من عوارضها من شدة وجع وعشى ونحوه ، مما يطرأ على جسمه ، معصوم أن يكون منه من القول أشاء ذلك

١

١

٢٠

ما يطلع في معجزته ، ويُؤدّي إلى فساد في شريعته ، من هذيان أو اختلال في كلام ، وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث « هجر » إذ معناه هذى يقال : هجر هجرًا إذا الخس ، وأهجر تمديده هجر ، وإنما الأصح والأولى « أهجر » ؟ على طريق الإنكار على من قال لا نكتب ، قال : وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري ومحمد بن سلام عن ابن عيينة ، قال : وكذا ضبطه الأسيل بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق ، وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره ، قال : وقد نُحْمَل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستنهام ، والتقدير : أهجر ؟ أو أن يُحْمَل قول القائل : « هجر » أو « أهجر » دهشة من قائل ذلك وحيرة ، لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه ، وهول المقام الذي اختلف فيه عليه ، والأمر الذي هم بالكتاب فيه ، حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع ، لأنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر ، كما حملهم الإشفاق على حراسته ، والله تعالى يقول : ﴿ وَاللَّهُ بِصِصَتِكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ونحو هذا . وأما على رواية : « أهجر » ، وهى رواية أبي إسحاق السنملي في الصحيح ، في حديث ابن جبير ، عن ابن عباس من رواية قتيبة ، فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ، ومحاطبة لهم من بعضهم ، أى جثم بأخلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرًا ومنكرًا من القول ! والهجر بضم الهاء الفتحش في المنطق .

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، وكيف اختلفوا بعد أمره لم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب ، فقال بعضهم : أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من نذرها من إباحتها بقرائن ، فلمصل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم يكن منه عزيمة ، بل أمرٌ رده إلى اختيارهم ، وبعضهم

لم يفهم ذلك ، فقال : آسفهموه ، فلما أخطفوا كَفَّ عنه إذ لم تكن عَزَمَةً ،
ولما رآوه من صواب رأى عمر رضى الله عنه . ثم هؤلاء قالوا : ويكون استناع
عمر إقنا إشفافا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال ، وإما إملة
الكتاب ، وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال : إن النبي ^(١) أشتد به الوجع .
وقيل : خشى عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالخالفه ،
ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأورسمة الاجتهاد ، وحكم النظر ، وطلب
الصواب ، فيكون المصيب والمخطئ مأجورا ، وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس
الملة ، وأن الله تعالى قال : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم :
« أوصيكم بكتاب الله وعترتي » . وقول عمر : حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ، رَدُّ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ ،
لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قيل : إن عمر خشى تَطَلُّقَ المتأففين ،
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة ، وأن يقولوا في ذلك
الأقارب كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك . وقيل : إنه كان من النبي صلى الله عليه
وسلم على طريق المشورة والاختبار ، هل يتفقون على ذلك أم يختلفون ، فلما اختلفوا
تركه . وقالت طائفة أخرى : إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به ، بل اقتضاء منه بعض
أصحابه ، فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها ، وأستدل في مثل
هذه القضية بقول العباس لعل : انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا
كان الأمر فينا علينا ، وكرامة على هذا وقوله : « والله لا أفعل » الحديث .
وأستدل بقوله : « دعوني فإن الذي أنا فيه خير » أى الذى ^(٢) أنا فيه خير من إرسال

(١) يحصلون : يعمون . (٢) آية ٣ سورة المائدة .

(٣) زيادة لفظ « خير » في الحديث من كتاب الشافعي وليس بالأصول .

الأمر وترككم، وكتاب الله^(١). وأن تدعوني بما طلبتم. وذكر أن الذي طلب كتابه في أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك. هذا ما أورده في معنى هذا الحديث. والله تعالى أعلم.

وأما ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه

الذي مات فيه

فقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت « الصلاة، وما ملكت أيمانكم »، حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغ بها في صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه. وعن أم سلمة نحوه. وعن كعب بن مالك قال : أغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم أفاق، فقال : « الله الله فيما ملكت أيمانكم، ألا بسوا ظهورهم، وأشبها بطونهم، وألبسوا لهم القبول ». وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر عهده أوصى ألا يترك بأرض العرب دينان. وعن مالك بن أنس عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن عمر بن عبد العزيز قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب ». وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالرهاويين الذين هم من أهل الرها، قال : وأعطاهم من خيبر وجعل يقول : « ثلث بقيت لا أدع بمجزرة العرب دينين ». وعن علي بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم أنه قال : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهذليين وبالرهاويين

١٣٩
١٦

(١) كتاب الله : بالنسب فنقول له : أى صاحبين يكتب الله واتسك به، فإنه حبيب.

(٢) في الشفا : « كتابه أمر الخلافة... الخ ».

والتوسين خيرا . وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث وهو يقول : « أَلَا لَا يَمُوت أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ بِحَسْبِ اللَّهِ الْفَلَق » . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نعى لنا نبينا وحينئذ نفسه قبل موته بشهر ، أبى هو وأبى ونفخى له الفداء ، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمتنا عائشة وتشدد لنا فقال : « مرحبا بكم ، حياكم الله بالسلام ، رحمكم الله ، حفظكم الله ، ببركم الله ، رزقكم الله ، رفعكم الله ، فعمكم الله ، آداكم الله ، وقاكم الله ، أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم ، وأستخلفه عليكم ، وأحذركم الله إلى لكم منه نذير مبين أَلَا تَصَلُّوا عَلَى اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ مَلُوءًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْمَآبِئَةُ لِلْمُتَّقِينَ) » . وقال : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) قلنا : يا رسول الله متى أجلك ؟ قال : « دنا الفراق ، والمقلب إلى الله ، وإلى جنة المأوى ، وإلى سدة المشي ، وإلى الرقيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والمبش المحقق » قلنا : يا رسول الله من يفسلك ؟ قال : « رجال من أهل الأدنى فالأدنى » قلنا : يا رسول الله فقيم نكفئك ؟ قال : « وفي ثيابي هذه إن شتم أوفى ثياب مصر أو في حلة يمانية » قال قلنا : يا رسول الله ، من يصلي عليك ؟ وبكينا وبكى ، فقال : « مهلا ورحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا ، إذا أتم غلتموني وكفتموني فضموني على سريري هذا على شفة قبري في بيتي هذا ، ثم أخرجوا عني ساعة ، فإن أول من يصلي على حبيبي وخليي جبريل ثم ميكائيل ثم إسماعيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم ، ثم أدخلوا على قوفا قوفا ، فصلوا

(١) في آيز سدة : « حياكم » . (٢) آداكم الله : قزاكم وأعانكم على عدوكم .

(٣) آية ٨٣ سورة القصص . (٤) آية ٦٠ سورة الزمر .

(٥) الأدنى : الأقرب .

على وسلموا تسليماً، ولا تؤذوني بركية ولا بركة، وليبدأ بالصلاة على رجال من أهل ثم نسألوهم ثم أتم بعد، وأقروا السلام على من غاب من أصحابي، وأقروا السلام على من يتبعني على ديني من قومي إلى يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله، فمن يدخلك قبرك؟ قال: «أهل مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم».

وأما الدنانير التي قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم

في مرضه الذي مات فيه

- فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير فقسمها إلا ستة، فدفعت الستة إلى بعض نسائه، فلم يأخذها النوم حتى قال: «ما فعلت الستة؟» قالوا: دفعناها إلى فلانة، قال: «آيتوني بها» فقسم منها خمسة في خمسة أبيات من الأنصار، ثم قال: «أستنفقوا هذا الباقي» وقال: «الآن أسترح» فرقد. وعن المطلب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة، وهي مُسْتَدْتُهُ إلى صدرها: «يا عائشة ما فعلت تلك الذهب؟» قالت: هي عندي، قال: «فأنفقها» ثم غشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صدرها، فلما أفاق قال: «هل أنفقت تلك الذهب يا عائشة؟» قالت: لا والله يا رسول الله، قالت: فدعا بها فوضعها في كتفه، فعدّها فإذا هي ستة دنانير، فقال: «ما ظنُّ محمد بربه أن لولتي الله وهذه عنده!» فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم.

(١) في الطبقات والمواهب: «رجال أهل».

(٢) المشار إليه مقدراً أي تلك الدنانير الذهب.

وأما السَّوَّاءُ الَّذِي آسَنَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ مَوْتِهِ
فَقَدْ رَوَى عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَكْوَاهُ ، وَأَنَا مُسْتَدْتِهِ إِلَى صَدْرِي ، وَفِي يَدِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْضِمَهُ ، فَقَضِمْتُهُ ثُمَّ أَعْطَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ . وَمِنْ حَدِيثٍ آخَرَ عَنْهَا قَالَتْ : فَتَنَظَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ
وَهُوَ فِي يَدِهِ نَظْرًا عَرَفْتُ أَنَّهُ يَرِيدُهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَرِيدُ أَنْ أُعْطِيَكَ هَذَا
السَّوَّاءُ ؟ فَقَالَ : « نَعَمْ » فَأَخَذْتُهُ فَضَضْتُهُ حَتَّى لَبِثْتُهُ ثُمَّ أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ ، فَأَسَنَ بِهِ
كَأَنَّهُ مَا رَأَيْتُهُ آسَنَ بِسِوَاكٍ قَبْلَهُ ثُمَّ وَضَعَهُ ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : كَانَ مِنْ نِعْمَةِ
اللَّهِ عَلَيَّ وَحَسَنَ بِلَاغِهِ عِنْدِي ، أَنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ فِي بَيْتِي ،
وَفِي يَوْمِي وَيَوْمَ تَحْرِيٍّ وَتَحْرِيٍّ ^(١) ، وَجَمَعَ بَيْنَ رَيْقِي وَرَيْقِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ . فَقَالَ لَهَا
الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ : قَدْ عَرَفْنَا كُلَّ الَّذِي تَقُولِينَ ، فَكَيْفَ جَمَعَ بَيْنَ رَيْقِكَ وَرَيْقِهِ ؟
قَالَتْ : دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أُمِّ رُومَانَ أَخِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَمُودُهُ ، وَفِي يَدِهِ سِوَاكٌ رَطْبٌ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَلِّمًا بِالسَّوَّاءِ ،
فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْخَصُ بِصَرِّهِ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ،
أَقْضِمِ السَّوَّاءَ فَنَاولْنِي ، فَضَضْتُهُ ثُمَّ أَدْخَلْتُهُ فِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَتَسَوَّكَ بِهِ ، فَجَمَعَ بَيْنَ رَيْقِي وَرَيْقِهِ .

(١) الشجر الرقة؛ أي إته مات وهو مستند إلى صدرها وما يجاذى صحرها منه ، وقيل : الصحر ما لصق
بالحرقوم من أجل البطان ، وحكى القتيبي عن بعضهم أنه بالثين المحجمة والجيم ، وأنه سئل عن ذلك فتشبه
بمن أسابه وقدما عن صدره كأنه ينضم شيئا إليه ، أي إته مات وقد ضمت يديها إلى نحرها وصدرها ،
والشجر التشبيك وهو القفن أيضا ، والمفحوظ الأول . « النهاية » .

ذكر تخيير رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين الدنيا والآخرة عند الموت

- روى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت سمعت أنه لا يموت نبي حتى يُخَيَّرَ بين الدنيا والآخرة ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بئحة شديدة في مرضه ، فسمعه يقول : (**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**) ^(١) فظننت أنه خير . وعن المطلب بن عبد الله ، قال قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من نبي إلا يُقبض نفسه ثم تُردُّ إليه فيخير بين أن تُردَّ إليه إلى أن يلحق » .
- قالت : فكنت قد حفظت ذلك منه ، فإني لمُسْنِدُهُ إلى صدرى فنظرت إليه حتى مالت عنقه ، فقلت قد قضى وعرفت الذى قال ، فنظرت إليه حتى أرتفع ونظرت ، قالت : قلت إذا وافته لا تختارنا ، فقال : « مع الرقيق الأعلى في الجنة » (**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**) . وعن سعيد بن المسيب وغيره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه لم يُقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخَيَّر » . قالت عائشة : فلما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ، ثم أفاق فأغضض بصره إلى السقف رفيف البيت ، ثم قال : « اللهم الرقيق الأعلى » . قالت : قلت الآن لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا وهو صحيح ، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن أبي بردة بن أبي موسى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسندته عائشة إلى صدرها فأفاق ، وهى تدعوه بالشفاء فقال : « لا ، بل أسأل الله الرقيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل » .

(١) آية ٦٩ سورة النساء . (٢) نزل برسول الله : أى الموت .

ذكر ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عند

نزول الموت به

روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : لما نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت دعا بقدح من ماء فجعل يمسح به وجهه ، ويقول : « اللهم أعني على سكرات الموت » وجعل يقول : « أذن مني يا جبريل ، أذن مني يا جبريل ، أذن مني يا جبريل » . وعن عبدالله بن عباس وعائشة رضى الله عنهم قالا : لما نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم طلق ياقب^(١) حبيسته على وجهه ، فإذا أغتم بها ألقاها عن وجهه ويقول : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى عن محمد بن جعفر عن أبيه قال : لما بقي من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال : يا أجد ، إن الله أرسلني إليك إكراما لك ، وتفضيلا لك ، وخاصة لك ، يمالك عما هو أعلم به منك ، يقول لك : كيف تجحدك ؟ قال : « أجدني يا جبريل مغموما ، وأجدني يا جبريل مكروبا » فلما كان في اليوم الثاني حبط إليه جبريل فقال له مثل ذلك ، وأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أجابه به بالأسس ، فلما كان اليوم الثالث نزل إليه جبريل ، وحبط معه ملك الموت ، ونزل معه ملك يقال له إسحيل ، يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف ملك ، ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك ، فسبقهم جبريل ، فقال : يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك إكراما لك ، وتفضيلا لك ، وخاصة لك ، يمالك عما هو أعلم به منك ، يقول لك : كيف

- تجديك؟ قال : « أجدي يا جبريل مضموما ، وأجدي يا جبريل مكروبا » ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل : يا أحمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك ، ولم يستأذن على آدمي كان قبلك ، ولا يستأذن على آدمي بعدك ، قال : « أئذن له » فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ، يا أحمد ، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما أمرني به ، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها ، وإن أمرتني أن أتركها تركتها ، قال : « وتفعل يا ملك الموت ؟ » قال : بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني ، فقال جبريل : يا أحمد ، إن الله قد اشتاق إليك ، قال : « فأمض يا ملك الموت لما أمرت به » قال جبريل : السلام عليك يا رسول الله ، هذا آخر موطن الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءت التعزية بسمعون الصوت والحسن ، ولا يرون الشخص : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » إن الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل ما فات ، فبأهله تفتقوا ، وإياه فأرجوا ، إنما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

- وكانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الأحاديث الصحيحة في هجر عائشة وبين قعنها ونعمرها . وقد قيل : إنه توفى في هجر علي ، والصحيح الأول . وذلك في يوم الاثنين حين أشتد الضحى ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وقيل : للثنتين خلتا منه . ولما مات صلى الله عليه وسلم يحيى شوب حبرة ، كما روى عن عائشة وأبي هريرة رضى الله عنهما ، ودخل أبو بكر رضى الله عنه على

(١) في جـ « است » وما معنى تفتى ، والمراد : أرفع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بأبي وأمي ما أطيب تحياك ومآذك . وفي لفظ : طبت حيا وميتا . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو بكر فدخل عليه فرفقت الحجاب ، فكشف الثوب عن وجهه ، فاسترجع فقال : مات والله رسول الله ، ثم تحول من قبل رأسه فقال : وإنياء ، ثم حذر فيه فقبل وجهه ثم رفع رأسه ، فقال : واخيلاه ، ثم حذر فيه فقبل جبهته ثم رفع رأسه ، فقال : وأصفياء ، ثم حذر فيه فقبل جبهته ، ثم محجأ بالثوب ثم خرج . وعن عبد الرحمن بن عوف : أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسبخ حتى نزل ، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتبعم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى يردد حيرة فكشف عن وجهه ثم أكتب عليه يقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت ، والله لا يجمع الله عليك مؤتتين أبدا ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد ميتها .

ذكر ما تكلم به الناس حين شكوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخطبة أبي بكر رضى الله عنه

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى الناس فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه في المسجد خطيبا فقال : لا اسمعن أحدا يقول إن محمدا قد مات ، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ابن عمران . فلبث عن قومه أربعين ليلة ، وإني والله لأرجو أن تقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات . وعن عكرمة قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى ، قال : وقام عمر خطيبا فوجد

(١) السبخ بضم السين والنون ، وقيل : يسكون النون : موضع بوالى المدينة فيه منزل بنى الحارث ابن الخزرج . (٢) تبعم : قصد .

المنافقين ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمِث ، ولكن إنما هُرج بروحه كما هُرج روح موسى ، لا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيدى أقوام والسقم ، قال : فما زال عمر يتكلم حتى أزيد شدقه ، فقال العباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأسن^(١) كما يأسن البشر ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات فأدفتوا صاحبكم ، أُميت أحدكم إمامة وبُيِّتته إمامتين ؟ هو أكرم على الله من ذلك ، فإن كان كما تقولون فليس على الله بمنزلة يمت عنه التراب فيخرجه إن شاء الله ، ما مات حتى ترك السيل نهجا ونحضا ، أحل الحلال ، وحرم الحرم ، ونكح وطلق ، وحارب وسالم ، وما كان راعى غم يتبع بها أصحابها وموس الجبال ، يخط عليها المضاة^(٢) ويحيطه ويمدح حوضها بيده ، بأنصب ولا أزاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيكم ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأذن عمر والمغيرة بن شعبة فدخلنا عليه فكشفا النوب عن وجهه فقال عمر : أغشيا ؟ ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ثم قاما فلما آتيا إلى الباب ، قال المغيرة : يا عمر ، مات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : كذبت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكلك رجل محسوك^(٣) فتنة ، ولن يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يُغنى المنافقين ، ثم جاء أبو بكر وعمر فيخطب الناس فقال له أبو بكر : أسكت ، فسكت ، فصمد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)^(٤) ثم قرأ : (وَمَا نَعْبُدُ إِلَّا رَسُولَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَنْ مَاتَ أَوْ قِيلَ أَقْلَبْتُمْ عَلَى

(١) يأسن : يثبور . (٢) في اللغات : « المضاة » .

(٣) « محسوك » بالسين المهملة رواية ابن الأثير يقول عمر بن الخطاب ومعهك على وكوفيها .

وفي الأصول والبلغات « محسوك » بالثين المعجمة . (٤) آية ٣٠ سورة الزمر .

أَعْتَابُكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ^(١) ثم قال :
 من كان يبعد عدا فإن عدا قد مات ، ومن كان يبعد الله فإن الله حتى لا يموت .
 فقال عمر : هذا في كتاب الله ؟ قال : نعم ، قال : أيها الناس ، هذا أبو بكر وذو شية
 المسلمين فبايؤوه فبايئه الناس . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : دخل أبو بكر
 المسجد وعمر بن الخطاب يكلم الناس ، فضى حتى دخل بيت النبي صلى الله عليه
 وسلم الذى ترقى فيه ، وهو بيت عائشة ، وكشف عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم
 برد جبة ، كان مسجى به فنظر إلى وجهه ثم أكب عليه فقبله ، فقال : بأبى أنت ،
 والله لا يجمع الله عليك موتتين ، لقد مت الموتة التى لا تموت بعدها ، ثم خرج أبو بكر
 إلى الناس ، وعمر يكلمهم فقال : أجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فكلمه
 أبو بكر مرتين أو ثلاثا ، فلما أبى عمر أن يجلس قام أبو بكر تشهد ، فأقبل الناس
 إليه وتركوا عمر ، فلما قضى أبو بكر تشهده قال : أما بعد ، فمن كان منكم يبعد عدا
 فإن عدا قد مات ، ومن كان منكم يبعد الله فإن الله حتى لا يموت ، قال الله تبارك
 وتعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَفَلَنْ يَنْقَلِبُ
 عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » .
 قال : فلما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت النبي صلى الله عليه وسلم ،
 وتلقاها الناس من أبى بكر حين تلاها أو كثير منهم ، حتى قال قائل من الناس :
 والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر . فزعم سعيد
 ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قال : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يسألونها
 فقبرت وأنا قائم حتى خربت إلى الأرض ، وأيقنت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد

(١) آية ١٤٤ سورة آل عمران .

(٢) المنقر (بفتحين) : أن تسل الرجل قوائمك إلى الخلف ، فلا يقدر أن يمشى من العرق والدمع .

- مات . وعن الحسن قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم أصحابه فقالوا : تربصوا بنيكم صلى الله عليه وسلم لعله يخرج به ، قال : فتربصوا به حتى ربأ بطنه ، فقال أبو بكر : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضى الله عنه أنه لما شك في موت النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : قد مات ، وقال بعضهم : لم يمت ، وضمت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه ، وقالت : قد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد رُفِعَ الخاتم من بين كتفيه . وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنكر من الكلام لما رآه من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتكلم إلا بعد الفسد ، وأقعد آخرون ، منهم علي بن أبي طالب ، ولم يكن فيهم أنيت من أبي بكر والعباس رضى الله عنهما ، قالوا : وعزى الناس بعضهم بعضاً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر ذلك للناس قبل موته ، كما روى عن سهل بن سعد ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيعزى الناس بعضهم بعضاً من بعدى التزوية بي » فكان الناس يقولون ما هذا ؟ فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الناس بعضهم بعضاً يعزى بعضهم بعضاً برسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٤٣
١٦

ذكر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن غسله ، وتكفيفه وحنوطه

رؤى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكروا غسله سمعوا من باب الحجر : لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر ، ثم سمعوا صوتا بعده : أغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الحضر ، وعزاهم فقال : إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودرثا من كل فائت ، فبأيه فقتلوا وإياه فآرجوا ، فإن المصاب من

- حريم الثواب . وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف الذين ينسلونه ، فسمعوا قائلا لا يدرون من هو ، يقول : أغسلوا نبيكم وعليه قيصة ، ففضل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيصة . وعن عباد بن عبد الله عن عائشة قالت : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساءه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض اختلف أصحابه في غسله ، فقال بعضهم : أغسلوه وعليه ثيابه ، فبينما هم كذلك إذ أخذتهم نساء ، فوقع لحي كل إنسان منهم على صدره ، فقال قائل منهم لا يُدرى من هو : أغسلوه وعليه ثيابه ، قالوا : وكان الذي تولى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، والفضل بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وكان علي بنسبه ويقول : بأبي أنت وأمي ، طُبْتُ مَيِّتًا وَحَيًّا . وقيل : كان علي بنسبه النبي صلى الله عليه وسلم والفضل وأسامة يجيبانه ، وقيل : غسل والعباس قاعد والفضل مُحْتَضِنُهُ ، وعلي بنسبه ، وأسامة يختلف ، وقيل : ولَّى غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ينسبه أحد غَيْرِي ، فإنه « لا يرى أحد عورتي إلا طُمِست عيناه » . قال علي : فكان الفضل وأسامة يتناولاني الماء من وراء الستر ، وهما معصوبَا العين . قال علي : فلما تناولت عضواً إلا كأنما يقبله مئى ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله . وقيل : كان معهم شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن سعيد بن المسيب قال : غسل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكفته أربعةً علي والعباس والفضل وشُقران ، وقيل : لم يحضره العباس ، بل كان بالباب ،

- وقال : لم يعنى أن أحضر غسله إلا أنى كنت أراه يستحى أن أراه حاسرا . وقيل :
 حضره عقيل بن أبى طالب ، وأوس بن خولى ، وفلك أن أوس بن خولى قال :
 يا على ، أتشدك الله في حفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له على : أدخل ،
 فدخل بغاس ، وقيل : إنما دخل لأن الأنصار قالت : نناشدكم الله في نصيبنا من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدخلوا رجلا منهم يقال له أوس بن خولى يحمل
 جرة بإحدى يديه . والذي أثبتة الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الديلمى
 رحمه الله في مختصر السيرة قال : تولى غسله على والعباس والفضل وقم أبنا العباس
 وأسامة بن زيد وشقران موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وحضره أوس
 ابن خولى الأنصارى . وعن على رضى الله عنه قال : لما أخذنا في جهاز رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أغلقنا الباب دون الناس جميعا ، فنادت الأنصار نحن
 ١٠ أخواله ، ومكاننا من الإسلام مكاننا ، وادت قريش نحن عصيته ، فصاح
 أبو بكر : يا معشر المسلمين ، كل قوم أحق بمنازتهم من ذيرهم ، فشدتكم الله فإنكم
 إن دخلتم آخرتهم عنه ، والله لا يدخل عليه أحد إلا من دعى . وعن أبى جعفر
 محمد بن على قال : غسل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسدر ،
 ١٥ وغسل في قبص ، وغسل من بريقا لها القوس لسعد بن خيثمة بقاء ، وكان
 يشرب منها وولى [غسل] سفته على ، والعباس يصب الماء ، والفضل يحضنه
 يقول : أرخني أرخني ، قطعت وتبني ! إلى أجد شيئا يتزل على مرتين . وعن عبد الله
 ابن الحارث : أن عليا غسله ، يدخل يده تحت القميص ، والفضل يمسك الثوب
 عنه ، والأنصار يبتل الماء وعلى يد على خرقة تدخل يده وعليه القميص . وعن
 ٢٠ عبد الله بن جعفر الزهرى عن عبد الواحد بن أبى عون ، قال قال رسول الله صلى

١٤٤
١٦

الله عليه وسلم لم يُلِّقْ في مرضه الذي توفى فيه : « أغسلني يا علي إذا مت » فقال :
 يا رسول الله ، ما غسلت ميتا قط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك ستبأ ،
 أو يُسَّر » قال علي : ففسلته فما أخذ عضوا إلا تبعني ، والفضل أخذ مُحْضَنِهِ يقول :
 أنجل يا علي - أنقطع ظهري . وعن سعيد بن المسيب قال : التمس علي من النبي صلى
 الله عليه وسلم عند غسله ما يُلْتَمَس من الميت فلم يجد شيئا ، فقال : بأبي أنت
 وأُمِّي ؛ طُيِّبْت حيا وميتا . هذا ما تلخصناه في غسله صلى الله عليه وسلم مما أورده
 محمد بن سعد في طبقاته على سبيل الاختصار وحذف الأسانيد . والله أعلم .

وأما تكفينه صلى الله عليه وسلم

فقد اختلف فيه ؛ فقيل : كُفِّنَ في ثلاثة أنواب بيض كُرْسُف ^(١) ، وقيل :
 في ثلاثة أنواب أحدها جَبَرَة ، وقيل : في رِبَاطَتَيْن ^(٢) وَرُدَّ نَجْرَانِي ^(٣) . وقيل : في ثلاثة
 أنواب بُرُود يمانية غِلَاطٌ إزارٌ وَرِدَاءٌ وَلِفَافَةٌ . وقيل : في حُلَّة حمراء وقِبْطِيَّة ^(٤) .
 وقيل : في حُلَّة يمانية وقبيص . وقيل : في حُلَّة جَبَرَة وقبيص . وقيل : في سبعة
 أنواب . والذي ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كُفِّنَ في ثلاثة أنواب
 بيض مُحْوَلَةٌ من ثياب مُحْوَل - بلدة باليمن - ليس فيها قبيص ولا عمامة ،
 بل لفائف من غير خياطة . وَحُطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في حُوطِه
 المِسْك ، وأُتِيَ منه علي بن أبي طالب رضى الله عنه شيئا أَذْخَرَه لحنوطه إذا مات .

(١) الكرشف : التطن .

(٢) الرِبَاطَة : كل ملادة ليست بلقفتين ، وقيل : كل ثوب رفيع لين .

(٣) نجران : موضع معروف بين الحجاز واليمن .

(٤) قِبْطِيَّة : ثوب من ثياب مصر رفيع أبيض . وفي الطبقات : « وقبْطِيَّة » .

ذكر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

- رُوى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: أول من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ، وبنو هاشم ، ثم خرجوا ، ثم دخل المهاجرون والأنصار ، ثم الناس رَفَقًا رَفَقًا^(١) ، فلما آقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفا ، ثم النساء ، وقيل : النساء والصبيان . وذكر البيهقي عن الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: وجدت هذا في صحيفة بخط أبي ، فيها : لما كُفّن رسول الله صلى الله عليه وسلم وُضِعَ على سريره ، دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت ، فسلموا كما سلم أبو بكر [وعمر] وصَفُّوا صُفُوفًا لا يؤتمهم عليه أحد ، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول حيّال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل إليه ، ونصح لأمرته ، وجاهد في سبيل الله حتى أعزّه الله به دينه ، وتمّت كلماته ، فأوَمِنَ به وحده لا شريك له ، فاجتمعنا يا أئمتنا من يَتَّبِعُ القول الذي أنزل معه ، وأجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه بنا فإنه كان بالمؤمنين رموزًا رحيمًا ، لا يفتنى بالإيمان بدلًا ، ولا تشتري به ثمنًا أبدًا . فيقول الناس آمين آمين ، ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صلّوا عليه : الرجال والنساء ثم الصبيان . وعن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن علي رضى الله عنهم قال: لما وُضِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على السرير قال علي : لا يؤتم أحدٌ ، هو إمامكم حيًّا وميتًا ، فكان يدخل الناس رَسَلًا

(١) رَفَقًا : جماعات .

(٢) الزيادة من الطبقات .

(٣) في « نزهة » وفي الطبقات « حتى يعرفنا ونعرفه » .

رَسَلًا ، فَيَصَلُّونَ عَلَيْهِ صَفًّا صَفًّا ، لَيْسَ لِمِ إِمَامٍ وَيُكَبِّرُونَ ، وَعَلَى قَائِمٍ يَحْيِيَالِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : سَلَامٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، اللَّهُمَّ
إِنَّا نَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَنُصِّحَ لِأَمْتِهِ ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أَعَزَّ اللَّهُ
دِينَهُ وَنَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، اللَّهُمَّ فَاجْعَلْنَا مِنْ يَتَبِعِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ، وَثَبَّتْنَا بِعَهْدِهِ وَاجْمَعْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُ . يَقُولُ النَّاسُ : آمِينَ ، آمِينَ . وَقَدْ قِيلَ فِي سَبَبِ صَلَاةِ النَّاسِ عَلَيْهِ أَفْذَأُذَا :
إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِيَكُونَ كُلُّ مِنْهُمْ فِي الصَّلَاةِ أَصْلًا لَا تَأْبَاهَا لِأَحَدٍ . وَقِيلَ : لِيَطُولَ
وَقْتُ الصَّلَاةِ فَيُلْحِقَ مَنْ يَأْتِي مِنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ .

ذَكَرَ قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَحْدَهُ

وَمَا فُرْشَ تَحْتَهُ وَمَنْ قَرَشَهُ ، وَمَنْ دَخَلَ قَبْرَهُ ، وَوَقْتُ دَفْنِهِ ، وَمُدَّةُ حَيَاتِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رُوي أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ اخْتَلَفُوا فِي مَكَانِ
دَفْنِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَدْفِنُهُ فِي مُصَلَّاهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عِنْدَ الْمَنْبَرِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
أَدْفِنُوهُ مَعَ أَصْحَابِهِ بِالْبَقِيعِ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي
تَوَقَّى فِيهِ » . وَقِيلَ : قَالَ « مَا مَاتَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » فَرَفَعَ فِرَاشَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تَوَقَّى عَلَيْهِ وَحَفَرَهُ تَحْتَهُ ، وَذَلِكَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ
أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَيْلَحْدَ لَهُ أَمْ لَا ؟ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ حَقَّارَانِ
أَحَدُهُمَا يُلْحِدُ وَهُوَ أَبُو طَلْحَةَ ، وَالْآخَرُ لَا يُلْحِدُ وَهُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ . فَاتَّفَقُوا
عَلَى أَنْ مِنْ جَاءَ مِنْهُمَا أَوَّلًا عَمِلَ عَمَلَهُ ، بِخِافَةِ الَّذِي يُلْحِدُ فَلَحْدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) رَسَلَا رَسَلَا : أَيُّ فَرَقَا ، وَرَوَى : أَرْسَلَا : أَيُّ أَنْفَرَا .

(٢) فِي أ : « عَمِلَ عَلَيْهِ » .

- عليه وسلم . وروى مكروة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أرادوا أن يغفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان بالمدينة رجلان : أبو عبيدة ابن الجراح يَصْرَحُ حَقْرَ أَهْلِ مَكَّةَ ، وأبو طلحة الأنصاريّ هو الذى يَغْفِرُ لأهل المدينة ، وكان يُلْعَدُ . فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما : أذهب إلى أبي عبيدة ، وقال للآخر : أذهب إلى أبي طلحة ، وقال : اللهم نزل رسولك ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة بجاء به فلَعَدَ له . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتحد لنا والشقّ لغيرنا » . وقيل قال : « والشقّ لأهل الكتاب » .
- قيل : وكان صلى الله عليه وسلم يرى الحمد فيعجبها فألحد له ، وأطبق له تسع لَبَنَاتٍ وُقُشَ تحتَه في قبره قِطِيفَةٌ حمراء كان يُنْعَلُ بها صلى الله عليه وسلم نزل بها شُقْران .
- وأما من نزل قبره صلى الله عليه وسلم فالعباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل وقُمَ ابنُ العباس ، وشُقْران مولاه ، وقيل : أدخلوا معهم عبد الرحمن ابن عوف ، قيل : وعِيقِل وأسامة بن زيد ، وصالِح ، وأوس بن خَوْلِيٍّ . والذى صححه الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله : العباس وعليُّ والفضل وقُمَ وشُقْران . وزعم المغيرة بن شعبة أنه نزل قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره . روى عن الشعبي قال : كان المغيرة يَحْدِثُنا ها هنا ، يعنى [بالكوفة] قال : [أنا] آخر الناس عهدا بالنبي صلى الله عليه وسلم لما دُفِنَ وخُرجَ عُلٌّ من القبر أَلْقَيْتُ خَاتَمِي فَقُلْتُ : يا أبا الحسن خاتَمِي ، قال : أنزل نَعْدَ خاتمك ، فزَلْتُ فأَخَذْتُ خَاتَمِي ، ووضعت يدي على اللّين ثم نرجعت . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : لما وُضِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٠ (١) صالح : هو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يعرف بشُقْران .

(٢) الزيادة من الطبعات به ٢ ق ٢ : ٧٧ .

وسلم في لحده، ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في القبر، ثم قال: خاتمي، خاتمي! فقالوا: أدخل نخذه، فدخل ثم قال: أهيلوا علي التراب، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف ساقيه نخرج، فلما سوي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أخرجوا^(١) عني حتى أغلق الباب، فإني أحدثكم عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لعمرى إن كنت أردتها لقد أصبتها. وأنكر على بن عبد الله بن عباس هذا، وقال: كان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بن عباس، كان أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعد. والله أعلم.

وأما وقت دفنه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه

فقيل: دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء، وقيل: يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس. والله أعلم. وسُمِّ قَبْرُهُ وَرُشَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ. وكانت مدة مرضه اثني عشر يوما. وقيل: أربعة عشر يوما. وكان مرضه بالصداع صلى الله عليه وسلم.

وأما سنُّه صلى الله عليه وسلم

ومدة مقامه بالمدينة من حين هجرته إلى يوم وفاته صلى الله عليه وسلم فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وقد بلغ من السن ثلاثا وستين سنة، وقيل: نحسا وستين، وقيل: ستين. وروى محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن القاسم، قال حدثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة في السنة التي قبض فيها: «إن جبريل كان يمرض علي»

(١) لفظ «عني» ليس في ج ولا الطبقات.

(٢) سم: جعل له مقام أي رفع عن الأرض.

رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا نورث، ما تركنا صدقة^(١) »
 إنما يأكل آلُ عهد في هذا المال، وإني والله لا أُغَيِّرُ شيئاً من صدقات رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 ولأعْمانَ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبى أبو بكر أن يَدْفَع
 إلى فاطمة منها شيئاً، فَوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر، فهِجَرَتْهُ ولم تكلِّمْهُ حتى
 توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر. وعن أبي جعفر^(١)
 قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب
 يطلب ميراثه، وجاء بهما علي بن أبي طالب، فقال أبو بكر: قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « لا نورث، ما تركنا صدقة^(٢) » وما كان النبي يقول فعل^(٣)، فقال
 علي: « وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ^(٤) » وقال زكريا: « يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ^(٥) »
 قال أبو بكر: هو هذا، والله تعلم مثل ما أعلم. فقال علي: هذا كتاب الله ينطق،
 فسكتوا وأنصرفوا. وعن زيد بن أسلم عن أبيه، قال سمعت عمر بن الخطاب
 يقول: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بويج لأبي بكر
 في ذلك اليوم، فلما كان من النداء جاءت فاطمة إلى أبي بكر - رضي الله عنهما -
 معها علي رضي الله عنه فقالت: ميراثي من رسول الله أبي، صلى الله عليه
 وسلم، فقال أبو بكر: أمن الرِّثَّةِ أو من المُقَدِّ؟ قالت: فَدَكَ وَخَيْرِ وصدقاته
 بالمدينة أرثها كما تركت بناتك إذا مت، فقال أبو بكر: أبوك والله خير مني، وأنت
 والله خير من بناتي، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا نورث، ما تركنا

١٤٧
١٦

(١) كذا في الأصول؛ وفي الطبقات « جعفر » . (٢) آية ١٦ سورة النحل .

(٣) آية ٥ سورة مريم . (٤) الرِّثَّة: الرديء من متاع البيت .

(٥) المقد (جمع عقدة) : الأرض الكثيرة العقول .

- صدقة .» يعنى هذه الأموال القائمة ، فتعلمين أن أباك أعطاكها ؟ فوافته لئن قلت نعم لأقبل قولك ولأصدقك . قالت : جاءنى أم أمين فأخبرتني أنه أعطانى فقلت . قال : فسمعتي يقول هي لك ؟ فإذا قلت قد سمعته فهي لك ، فانا أصدقك وأقبل قولك . قالت : قد أخبرتك ما عندي . وعن عمرو بن الحارث حتن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى ميمونة قال : وافقه ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا ديناراً ، ولا عبداً ولا أمة ، ولا شيئاً إلا بخلته البيضاء وسلاحه ، وأرضاً تركها صدقة . وعن زريق بن حبيش : أن إنساناً سأل عائشة رضى الله عنها عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسألين ؟ لا أبالك ! توقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع ديناراً ولا درهما ، ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بيراً . وعن ابن عباس نحوه ، قال : وترك درعه رهناً عند يهودى بثلاثين صاعاً من شعير . وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم ترك يوم مات ثوبى حبرة وإزاراً عثمانياً ، وثوبين محماريين ، وقيصاً محماريّاً ، وجبة يمنية ، ونجيصاً وكساء أبيض ، وقلانس صفاراً لأطنة ثلاثاً أو أربعاً ، وإزاراً طوله خمسة أشبار ، وملحفة مؤرسة . صلى الله عليه وسلم . هذا الذى أورده الشيخ محب الدين الطبري في مختصر البيرة .

١٥

ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله من الحزن على فقده ، ونبهة مما رتوه به صلى الله عليه وسلم روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما نفل النبي صلى الله عليه وسلم جمل يتفشاه الكرب ، فقالت فاطمة : واكرب أبنا ، فقال لها صلى الله عليه وسلم :

٢٠

(١) في نسخة ١ : حايا وهو تصفيف .

(٢) اللطخ : اللامعة ، أى ملونة بالراس .

« ليس على أهلك كرب بعد اليوم » . فلما مات صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة :
يا ابتاه أجاب رباً دعاه ، يا ابتاه جنة الفردوس مأواه ، يا ابتاه إلى جبريل ينهاه ،
يا ابتاه من ربه ما أدناه ! قال : فلما دفن قالت فاطمة : يا أنس أطابت أنفسكم
أن تحنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتراب ؟ . وعن عكرمة قال : لما
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت أم أيمن ، فقيل لها أتبكين على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : أما والله ما أبكي عليه ألا أكون أعلم أنه ذهب
إلى ما هو خير له من الدنيا ، ولكن أبكي على خبر السماء أنقطع . وعن عبد الرحمن
ابن سعد بن يربوع قال : جاء علي بن أبي طالب يوماً متقنماً متحازناً ، فقال أبو بكر :
أراك متحازناً ، فقال علي : إنه عناي ما لم يتيك ، قال يقول أبو بكر : اسمعوا
ما يقول ! أنشدكم الله أترون أحداً كان أحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
منى ؟ . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت عثمان بن عفان يقول :
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم
يؤسوس . وعن القاسم بن محمد : أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يسودونه ، فقال : إنما كنت أريدكم لأنظروا
بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنما إذ قبض الله نبيه فسايرني أن ما بهما
بظلي من غيباء تباله^(٢) . وأما عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فإنها لازمت قبره
صلى الله عليه وسلم .

ورق رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه وعلمته رضي الله عنهم
فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

(١) في الأصول : « ما يسوق » وما أبتناه من اللبقات .

(٢) تباله : موضع بالين خصب .

بَاعِينَ فَأَبْكِي وَلَا تَسْأَمِي • وَحَقُّ الْبُكَاءِ عَلَى السَّيِّدِ
 عَلَى خَيْرِ خَنِيْفٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ ^(١) • أَمْسَى بُقِيْبٌ فِي الْمُلْعَدِ
 فَصَلِّ الْمَلِيْكَ وَلِيَّ الْعِبَادِ • وَرَبُّ السِّلَاحِ عَلَى أَحْمَدِ
 فَكَيْفَ الْحَيَاةُ لِفَقْدِ الْحَبِيْبِ • وَزَيْنُ الْمَعَايِرِ فِي الْمَشْهَدِ
 فَلَبِثَ الْمَمَاتَ لَنَا كُلَّنَا • وَكُنَّا جَمِيعًا مَعَ الْمُهْتَدِي

١٤٨
١٦

وقال أيضا رضوان الله عليه :

لَمَّا رَأَيْتُ نَيْتًا مُتَجَدِّلاً • ضَاقَتْ عَلَى بَعْضِيْنَ الدُّوْرُ
 وَأَرْتَمْتُ رَوْعَةً مُسْتَهَامٍ وَآلِهِ • وَالْعَظْمُ مَعِي وَإِيْنٌ مَكْشُورٌ ^(٢)
 أَصْبَحْتُ وَبِحْكَ إِنْ حَبَكَ قَدَوْتِي • وَبَقِيْتُ مَفْرُودًا وَأَنْتَ حَسِيْرٌ ^(٣)
 بِأَلْبَتِيْ مِنْ قَبْلِ مَهْلَكٍ صَاحِبِي • غُيِبْتُ فِي جَدَثٍ عَلَى مَحْضُورٍ ^(٤)
 فَلْتَحَدَّثْنِي بِدَائِعِ مِنْ بَدِيهِ • تَعَايَنَ بَيْنَ جَوَائِحِ وَصُدُورٍ

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

أِرْقَتْ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ • وَيَلُ أَمَى الْمَصِيْبَةِ فِيهِ طُولُ ^(٥)
 وَأَسْمَعُنِي الْبُكَاءُ وَذَاكَ فَيَا • أَصِيبَ الْمَسَامُونَ بِهِ قَلِيلُ
 لَقَدْ فَطَمْتُ مَصِيْبَتَنَا وَجَلَّتْ • عَشِيَّةٌ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
 وَاصْخَرْتُ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَّاهَا • نَكَادُ بَنَى جَوَانِبَهَا تَيْمِلُ
 فَقَدْ نَا الْوَحْيَ وَالْتَزِيلَ فِينَا • يَرْوَحُ بِهِ وَيَفْدُو جِبْرَيْلُ

(١) ختدف : ولد إلياس بن مضر ، أحد أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الروعة : المفزعة ، المستهام : الذي أسفه المم ، الرواة : القامب عقه حزنا ، والومن :

الضنف • الحب بالكسر : المحبوب ، والحسير : الخلف .

(٤) الجدث : القبر . (٥) في نسخة أ العبابة .

وذلك أحق ما سالت عليه • هوس الناس أركبت تيل
 نبي كان يخلو الشك منها ^(١) • بما يؤسى إليه وما يقول
 ويهدينا فلا نخشى ضللا • علينا والرسول لنا دليل
 العظيم إن جرمت فذلك عذر • وإن لم تجزعي ذاك السيل
 فحذر أيك سيد كل قبر • وفيه سيد الناس الرسول
 وحفظه الله بن أنيس :

تلكم لي وأعتري القوارع • وخطب جبل لليلة جامع
 ضعة متى الساعى إلينا عدا • وتلك التي تستك منها المصاع
 فلو رد ميتا قتل نسي قتلها • ولكنه لا بدفع الموت دافع
 فآليت لا آسى على حلك هالك • من الناس ما أوفى قيير وفارح
 وليكنى بك عليه ومُتبع • مُصيبتُه إني إلى الله راجع
 وقد قبض الله الدين قبله • وعاد أصيبت بالرزى والتبايع ^(٢)
 لياليت شعري من يقوم بأمرنا • وهل في قريش من إمام يبايع ^(٣)
 ثلاثة وعط من قريش مُم مُم • أزمة هذا الأمر والله صانع ^(٤)
 على أو الصديق أو عمره • وليس لها بعد الثلاثة رابع
 ثلاث قال منا قاتل غير هذه • أيتنا وقلنا الله رايه وسامع
 في القريش قلدوا الأمر بعضهم • فإن صحيح القول للناس نافع ^(٥)
 ولا تبطئوا عنها فواقا فانها • إذا قطعت لم تُمن فيها المطامع

(١) الضمير يعود على القوس ؛ وفي المواهب « ما »

(٢) التبايع ؛ طوك الذين جمع تبع • (٣) أزمة ؛ جمع زمام

(٤) فواق ؛ من الزمن مقدار ما بين الحلقين

وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

أَلَيْتُ حِلْفَةً بَرَّغِيرِذَى دَخَلَ • مَنَى إِلَيْسَةَ حَقٌّ غَيْرَ إِفْتَادِ^(١)
 نَاقَهُ مَا حَمَلَتْ أَثْنَى وَلَا وَضَعَتْ • يَنْسَلُ النَّبِيُّ نَجَى الرَّحْمَةِ الْهَادِي
 وَلَا مَتَى قَوْقُ ظَهَرَ الْأَرْضَ مِنْ أَحَدٍ • أَوْفَى يَنْسَةَ جَارٍ أَوْ بِمَعَادِ
 مِنْ الْقَدَى كَانَ نُورًا يُسْتَبَاهُ بِهِ • مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا حَرَمٍ وَإِرْشَادِ
 مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأَتَى سَلَفُوا • وَأَبْدَلَ النَّاسِ لِلْعُرُوفِ الْخِصَامِي^(٢)
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ • جَارٍ فَاصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُقَرَّدِ الْصَادِي^(٣)
 أَمْسَى إِصَاؤُكَ عَطَلَنَ الْيُوتَ فَمَا • يَضْرِبُنْ خَلْفَ قَفَا سِرٍّ بِأَوْنَادِ
 مِثْلَ الرُّوَاهِبِ يَلْبَسُنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ • أَقْبَنَ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النِّعْمَةِ الْبَادِي^(٤)

وقال أيضا :

مَا يَأْلُ عَنْكَ لَا تَنَامَ كَأَنَّمَا • كَلَّمْتُ مَا قَبِهَا بِكُمْلِ الْأَرَمِيدِ
 بَرَزَا عَلَى الْمَهْدَى أَصْبَحَ ثَاوِيًا • يَا خَيْرَ مَنْ وَطِنَ الْحَصَى لَا تَبْعِدِ
 يَا وَجْهَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ • بَعْدَ الْمَغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمُحْعَدِ^(٥)
 جَنِي قَبِيكَ التُّرْبَ لَهْنِي لَيْتَنِي • غِيَّبْتُ قَبْلَكَ فِي قَبِيحِ التُّرُقُودِ
 يَا يَكْرَ أَيْسَةَ الْمُبَارَكِ ذِكْرُهُ • وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بَعْدَ الْأَسْعَدِ^(٦)
 نُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا • مِنْ يَهْدِ النُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي

(١) دخل : خديعة ومكر - إفتاد : كذب .

(٢) الجادى : طالب الجلودى وهى البطية .

(٣) الهادى : من الصدى وهو الطائر الشديد .

(٤) الجادى : أى الظاهر ، نمت البؤس .

(٥) فى ديوان حسان : وجهى قبك ، وبقبح الترقد : مقبرة الدنج .

(٦) محصنة : حفرة ، وسد السور : منزلة من منازل القصر والمراد اليمن والبركة .

أَقِيمُ بِعَدِكَ بِالْمَدِينَةِ يَتَمُّ • بِالْهَفِّ نَفْسِي لَيْتَنِي لَمْ أُولَدْ
 بِأَبِي وَأُمِّي مِنْ تَهْدُتْ وَفَاتِهِ • فِي يَوْمِ الْاَكْسِينِ الَّتِي الْمَهْدِي
 وَظَلَيْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مَبْلَدًا ^(١) • يَا لَيْتَنِي صُبَّتُ مِمَّ الْأَسْوَدِ ^(٢)
 أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا • فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ فِي غَدِ
 فَتَقُومَ سَاعَتُنَا فَتَأْتِي سَيِّدًا • عَحْضًا مُضَارِبُهُ كَرِيمَ الْمُحْسِنِ ^(٣)
 يَا رَبِّ فَأَجْمَعْنَا مَعًا وَنَيْنَا • فِي جَنَّةِ تَقَى عِيُونِ الْحَسَنِ ^(٤)
 فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ فَأَكْتُبْنَا لَنَا • يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعَلَا وَالسُّؤْدِ
 وَانْهَ أَتَمَّعَ مَا حَيَّيْتُ بِهَالِكِ • إِلَّا بَكَكْتُ عَلَى النَّسِيِّ عَمَدِ
 ضَافَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَاصْبَحُوا • سُودًا وَجُوهُهُمْ كَلَوْنِ الْإِسْمَدِ
 وَلَقَدْ وَلَدَتْهُ وَفِينَا قَبْرُهُ • وَفُضُولُ نَعْمَتِهِ بِنَا لَمْ يُحْسَدِ ^(٥)
 وَانْهَ أَهْدَاهُ لَنَا وَهَدَى بِهِ • أَنْصَارَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مَشِيدِ
 صَلَّى الْإِلَهُ وَمَنْ يَحْفُ بِعَرِيشِهِ • وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ
 وَوَقَفَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ :
 مَا ضَرَّ مَنْ قَدْ شَمَّ رُبَّةَ أَحْمَدِ • إِلَّا يَنْتَمِ مَدَى الزَّمَانِ غَوَايَا ^(٦)
 صُبَّتْ عَلَى مَصَائِبَ لَوْ أَنَّهَا • صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا
 وَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

أَغْبَرَ أَفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّزَتْ • شَمْسُ النَّهَارِ وَتَغْلَمُ الْعَصْرَاتِ

(١) مَبْلَدًا : مَتَعِيرًا مَطْلُوعًا ، وَهَذَا التَّجْدِيدُ . (٢) الْأَسْوَدُ : الْحَيَّةُ الْعُظْمَى .

(٣) الْحَضُّ : الْخَالَصُ ، وَمُضَارِبُهُ : أَصْلُهُ وَفَرْعُهُ وَأَبْرُهُ وَشَرَفُهُ ، وَفِي دِيْوَانِهِ : شَرَفَاتُهُ وَهِيَ الْجَبَابُ ،

وَالْمَحْدُ : الْأَصْلُ . (٤) تَقَى : خَلَعَ ، وَفِي الدِّيْوَانِ : تَقَى : أَيْ نَصَرَ .

(٥) يَرِيدُ لَا أَسْمَعَ . (٦) «لَا يُحْسَدُ» فِي الْأَصُولِ ، وَفِي الدِّيْوَانِ : لَمْ يُحْسَدِ .

(٧) الْغَوَايَا جَمْعُ غَالِيَةٍ ، وَهِيَ أَخْلَاطُ مِنَ الْغَلَبِ .

وَالْأَرْضُ مِنْ بَيْدِ النَّبِيِّ نَجِيَّةٌ • أَسَفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرِّحَاقِ
فَلَتَبْكِيهِ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرَبَهَا • وَلَتَبْكِيهِ مَضْرُوكِلَ يَمَانِي
وَلِيَبْكِيهِ الطُّغُودُ الْمُعْظَمُ جَوْهَ • وَلَيَتُّ ذُو الْأَسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ^(١)
بِاخْتَامِ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ صَنُوهُ • صَلَّى طَلَبُكَ مُعْتَلِّ الْفُرْقَانِ^(٢)
فَنَسِيَ قَدَاؤَكَ مَا لِرَأْسِكَ مَانِلًا • مَا وَسَدُوكَ وَسَادَةُ الْوَسْنَانِ

وقالت صفية بنت جندب المطلب :

أَفَاطِلُمُ بَكَى وَلَا تَسَامَى • بَصْنِيكَ مَا طَلَعَ الْكَوْكَبُ^(٣)
هُوَ الْمَرْءُ يُبْكِي وَحُقَّ الْبُكَاءُ • عَلَى الْمَاجِدِ السَّيِّدِ الْعَلِيِّ^(٤)
فَاَوْحَشَتِ الْأَرْضُ مِنْ قَعْدِهِ • وَأَيُّ الْبَرِيَّةِ لَا يُنْعَكِبُ
فَالِي بِسَدِّكَ حَتَّى الْمَنَاءِ • تِلْكَ إِلَّا الْجُحَى الدَّاخِلُ الْمُنْصَبِ^(٥)
فَبَكَى الرُّسُولَ وَحَقَّتْ لَهُ • شُهُودُ الْمَدِينَةِ وَالنَّبِيِّ
لَتَبْكِيكَ تَمْطِئًا مَضْرُودًا • إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تُحْجَبُ^(٦)
لَيْبِكَ شَيْخُ أَبُو وَلَدَةٍ • يَطُوفُ بِمَقْوَمِهِ أَتْمَبُ^(٧)
وَيَبْكِيكَ وَكَبُّ إِذَا أَوْمَلُوا • فَلَمْ يُلَفَّ مَا طَلَبَ الطَّلَبُ^(٨)
وَتَبَكَى الْأَبَاطِحُ مِنْ قَعْدِهِ • وَتَبْكِيهِ مَكَّةُ وَالْأَخْشَبُ^(٩)
فَنَسِيَ بِأَلَاكَ لَا تَلْمِيعِينَ • وَحُقَّ لِلْمَعِيكِ يَسْتَكِبُ

(١) الطُّغُودُ : الجبل ، والجَزْهَاتُ : الأودية . (٢) السُّورَةُ : التِّلْ .

(٣) فِي « د » فَمَحَكُ ... » (٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ فِي الْبَيِّنَاتِ : « هُوَ الْمَاجِدُ ... » .

(٥) الْجُحَى : الْحِزْنُ ، الْمُنْصَبُ : الْحَبْ . (٦) الشُّطَاءُ : الْمَجُوزُ الْمِجَنَّةُ الشَّعْرُ ،

الْمَضْرُودَةُ الَّتِي أُصِيبَتْ بِالضَّرَرِ . (٧) الْوَلَدَةُ بِكَسْرِ الْوَاوِ : الْأَوْلَادُ ، وَالْمَقْوَمَةُ : السَّاحَةُ ،

وَالْأَخْشَبُ : الْمُهَيَّبُ وَالْمَقْفَرُ . (٨) أَوْمَلُوا : قَدَّرَادَمَ . (٩) الْأَخْشَبُ : جَبَلُ

شَرْفٍ عَلَى مَكَّةَ ، وَهِيَ أَخْشَبَانُ : أَبِي قَيْسٍ وَالْأَحْمَرُ طَيْفَانُ بِمَكَّةَ .

وقالت صفية أيضا :

عين جودى بدّمة تسكاب • للنسي المنطهر الأواب
عين من تندين بدني • خصه الله ربنا باليكاب
فأضحى خاتم زعفران رحيم • صادق القيل طيب الأواب
شفيق ناصح شفيق مليا • رحمة من إلهنا الوهاب
رحمة الله والسلام طيه • وجزاء المليك حسن التواب

وقالت أروى بنت عبد المطلب :

ألا يا عين ويحك أسعديني • بدّمتك ما بقيت وطاوعيني
ألا يا عين ويحك وأسألك • على نور البلاد وأسعديني
فإن مدّلتك عاذلة فقول • علام وفيك تمّذي لي^(١)
على نور البلاد معا جيمًا • رسول الله أحمد فأتركني
فلا تقصري بالسؤال عني • فلو لي ما بدّلك أو دعي لي
لأمر هدني وأذلّ رخصني • وشيب بعد جدتها قرؤني

وقالت عائكة بنت عبد المطلب :

يا عين جودى ما بقيت بمجة • تحب على خير البرية أحمد^(٢)
يا عين فأحفل ومني وأتمحي • فأبكي على نور البلاد محمد
أنى لك الوبلات مثل عمد • فى كلّ نائبة تنوب ومشهد
فأبكي المبارك والموقى ذا النقي • حامي الحقيقة ذا الرئاد المرشد
من ذا يبك عن المخل غله • بعد المنيب فى الضريح المجد

(١) العاذلة : الالفة .

(٢) أسعى : جودى . فى الطبقات : وأجسى : من جهم الدم إذا سال .

أَمْ مِنْ لِكُلِّ مُدَقِّعٍ ذِي حَاجَةٍ • وَسُلسَلٍ يَتَكَوَّهُ الْحَدِيدُ مُقَيَّدٌ^(١)
أَمْ مِنْ لَوْحِي أَفَّهَ يَزِيلُ بَيْنَنَا • فِي كُلِّ مُنْمَى لَيْلَةٍ أَوْ فِي غَدٍ
فَعَلَيْكَ رَحْمَةٌ وَبِنَا وَسَلَامُهُ • بِإِذَالَةِ الْوَاضِلِ وَالنَّدَى وَالسُّودِ

وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَخْتُ مُطْعَمٍ :

أَشَابَ ذَوَانِي وَأَذَابَ رُكْنِي • بِكُفْرِكَ فَاطِمَةُ الْمَيْتِ الْفَقِيدَا^(٢)
فَاعْلَيْتِ الْمَطَاءَ فَلَمْ تُكْذَرْ • وَأَخْدَمْتَ الْوَلَاءَ وَالْيَمِيدَا^(٣)
وَكُنْتَ مَلَاذِنًا فِي كُلِّ زَرْبٍ • إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ بِرُودَا^(٤)
وَإِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ رَكِبِ الْمَطَايَا • وَأَكْرَمُهُمْ إِذَا نُسِبُوا جُدُودَا
رَسُولُ اللَّهِ فَارْقَنَا وَنَحْنَا • تُرَبِّحُ لَنَا يَكُونُ لَنَا خُلُودَا
أَفَاطِمُ فَاصْبِرِي فَقَدْ أَصَابَتْ • رَزِيئَتِكَ التَّهَانِمُ^(٥) وَالنَّجُودَا
وَأَهْلُ الْبَرِّ وَالْأَنْجَارِ طُرَا • فَلَمْ تُخْطِئْ مَصِيبَتُهُ وَحِيدَا
وَكَانَ الْخَسِيرُ يُصْبِحُ فِي ذُرَاهُ • سَمِعِدَ الْجَدِّ قَدْ وَلَدَ السُّعُودَا^(٦)

ورثاه صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء مما لو استقصينا ذلك لطال، وأتسع فيه
البحال، ومرأته صلى الله عليه وسلم ومدامحه كثيرة تزداد في كل عصر، وتتضاعف
في كل دهر، صلى الله عليه وسلم تسلياً كثيراً دائماً أبداً .

(١) المدقع : الفقير القليل .

(٢) القوالب (جمع ذؤابة) : شم النامية ، والركن : الجانب الأخرى

(٣) الولاء : المواري .

(٤) الركب : الطريق الضيق ، والمراد الشدة . وقفا : « كرب » .

(٥) التهانم : المنخفضات من الأرض ، والنجود : المرتضعات ، أي جمع البلاد .

(٦) ذراه : أعلاه ، والجد : الخط .

[صورة ما هو مكتوب بآخر هذا الجزء بنسخة ١]

كل الجزء السادس عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري
رحمه الله تعالى .

وكان الفراغ منه في يوم الاثنين المبارك تاسع جمادى الأولى سنة سبع وستين
وتسعمائة، على يد كاتبه أقر الخلق إلى رحمة ربه نور الدين بن شرف البدين العامل،
غفر الله له ولوالديه، ولئن قرأ له ولم ~~الفتحة~~ أمين .

[صورة ما هو مكتوب في آخر هذا الجزء

أيضا بنسخة ج]

كل الجزء السادس عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه
فقير رحمة ربه : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد السلام البكري النيمي القرشي
المعروف بالنويري غفر الله عنهم .

ووافق الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك لأربع بقين من شهر رمضان
المعظم عام اثنين وعشرين وسبعمائة، أحسن الله تقضيها، بالقاهرة المعزية عمرها
الله تعالى .

يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء السابع عشر الباب الثاني من القسم
الخامس من الفن الخامس في أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين .
والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وحسينا الله ونعم الوكيل .



• آممنا بمون الله تعالى تحقيق الجزء الثامن عشر من تطلب « نهاية الأرب
في فنون الأدب » من تجزئة طبعة الدار ، في يوم السبت ١٤ من ربيع الثاني
سنة ١٣٧٤ هـ (١١ من ديسمبر سنة ١٩٥٤ م) .

- يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء التاسع عشر، وأوله : « الباب الثاني من القسم
الخامس في أخبار الخلفاء الراشدين » ما

إبراهيم لطيفيش
المصحح بالقسم الأدبي

محمد محمد حسين
المصحح بالقسم الأدبي

فهرس المراجع

شرح أبي شامة على القصيدة الشتراطية خطوط رقم ٢٤٧

أدب دار الكتب - رقم ١٦١١٦ ز

سيرة ابن هشام ، جوتقن ١٨٥٨ م ، والمطبع بمصر

١٣٥٥

شرح بانت سعاد لابن هشام ، يولاق سنة ١٢٩٠

شرح البخاري لقسطنطين ، يولاق ١٢٩٣

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، دار الكتب ١٣٦٢

شرح ديوان كعب ، دار الكتب ١٣٦٩ م

شرح ديوان ليد بمداية الطوسي ، فيثا ١٨٨٠ م

شرح السيرة النبوية لأبي ذر ، المنشى ، مطبعة اقتصادية

١٣٢٩

شرح الشفا لشهاب الخفافى ، الأمانة ١٢٦٧

شرح قصيدة الأضنى الدالية خطوط رقم ١٧٣٦ أدب دار

الكتب

شرح المواب للزرقانى ، المطبعة الأميرية يولاق ١٢٧٨

الشفا لقاضى حاض ، الأمانة ١٢٩٠

صحيح البخارى ، المطبعة الأميرية ١٢٩٦

صحيح الترمذى ، يولاق ١٢٩٢

صحيح ابن ماجه ، مصر ١٣١٣

صحيح مسلم ، يولاق ١٢٩٠ والأمانة ١٣٣١

ألفيات الكبرى لحد بن سعد ، لين ١٣٢٢

هذه الجمان ، فى تاريخ أهل الزمان نسخة مصورة بدار الكتب

رقم ٢٧١ م

أسباب النزول الواحدى ، حنية ١٣١٥

الاحتساب لأبي عمر بن عبد البر ، حيدرآباد ١٣١٨

أمد القاية فى معرفة الصحابة لابن الأثير ، الروحة سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لابن دريد ، جوتقن ١٨٥٤ م

الإمامية فى تميز الصحابة لابن جر ، السعادة والشرفية

سنة ١٢٢٣

الأصنام لابن الكلبي دار الكتب ١٣٤٣

البداية والنهاية لابن كثير ، السعادة ١٣٤٨

تاريخ الطبرى ، لندن ١٨٨٩ م

تصحيح الخطوط ، رقم ١٢٤٦ تصحيح

تهذيب التهذيب لابن جر السلفانى ، حيدرآباد ١٣٢٧

الملاح لأحكام القرآن تفسير القرطبي ، دار الكتب المصرية

الملاح لغيره لغيره ، يولاق سنة ١٢٨٦

دلائل النبوة لغيره خطوط ، رقم ٢١٢ حديث

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني ، حيدرآباد

١٣٢٠

ديوان الأبيون ، يولاق ١٢٩٧ م

ديوان حسان بن ثابت الأصمعي ، الزحانية ١٣٤٧

ديوان ليد بن ربيعة ، لين ١٨٩١ م - وخطوط دار

الكتب ٥٤٧ أدب

الروض الأضنى لأبي القاسم السيل ، المجلد ١٣٢٢

من السنان ، المجلد ٢٣١٢

السيرة الحلبية ، يولاق ١٣٩٤

المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني ، الم
مصر ١٣٢٤ .

المقتضب من كتاب جهرة النسب لياقوت الحموي - مظهر
بدار الكتب رقم ٢٧٨٥ تاريخ .

الموطأ في الحديث للإمام مالك بن أنس ، السعادة ١٣٣١
النباية في غريب الحديث لابن الأثير ، مصر ١٣١١

الكتاب لسيدويه ، بولاق ١٣١٦

لباب القول ، في أسباب النزول للسيوطي ، الحلبي ١٣٠٢

مجمع الأمثال لبيداني ، بولاق ١٢٨٤

المعارف لابن خزيمة ، جوتقين - ١٨٥٠ م .

معجم البلدان لياقوت الحموي ، ليزنج ١٨٦٨ م .

منه الميب لابن هشام ، الحلبي سنة ١٣٠٢

الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	س	س
وإِنَّا	وَأَنَا	١١	٣٣
ولم نشرها	ولم نسرهما	١٢	٣٧
وإنه	وأنه	٣٤٢	٤٤
لَقِيتَ اللَّهَ أَوْ لَقِيتُ	لَقِيتَ اللَّهَ أَوْ لَقِيتُ	٣	٤٦
الأحرَم	الأَحْزَم	١٣	٤٩
النَّبِي	النَّبِيَّ	١٠	٦٧
ابن عكابة	ابن عتابه	١٣	٦٨
أَرَعِدْتُ	أَرَعِدْتُ	٤	٧٤
قَرَدَة	فَرَدَه	٣	٧٧
أَخُو بَنِي بَنِي عَمْرُو	وَأَخُو بَنِي بَنِي عَمْرُو	٢١	٩٠
مَقْصُوصَا	مَقْصُوصَا	٢٠	١٠١
أَشْهَدُ	أَشْهَدُ	٩	١٠٣
الْفَجَّ	الْفَجَّ	١٤	١١٠
التَّابِيعَة	التَّابِيعَة	١٢	١١٣
أَبُو حَارِثَةَ بْنِ عُلْقَمَةَ	أَبُو حَارِثَةَ ابْنِ عُلْقَمَةَ	١٦	١٢١
أَبُو حَارِثَةَ بْنِ عُلْقَمَةَ	أَبُو حَارِثَةَ ابْنِ عُلْقَمَةَ	٥	١٢٢

خطأ	ص	ص	خطأ
أنه ابن الله	٩	١٢٤	أنه ابن الله
بخطه	١٥	١٣٨	بخطه
الحن	١	١٤٢	الحن
مختصر الدلائل	١٣	١٤٤	مختصر الدلائل
قراضا	٣	١٥١	قراضا
بجياض	٩	١٥٢	بجياض
البيت	٦	١٥٤	البيت
النوع الذي	٣	١٥٧	النوع الذي
دحية	٣	١٦١	دحية
الاستيعاب	١٨	١٧١	الاستيعاب
حتى قتل	١٨	١٧٣	حتى قتل
تقرب	٥	١٨٢	تقرب
حُذِيمة	١٠	١٨٢	حُذِيمة
حُرقة	٦	١٩٨	حُرقة
الخلق	٥	٢٣٨	الخلق
طيبا	٩	٢٤٢	طيبا
ولا يؤمن	١	٢٥٨	ولا يؤمن
الآ	٧	٢٥٨	الآ
رؤوف	٩	٢٥٩	رؤوف
المدح	١٥	٣٢٠	المدح

الصواب

إنه ابن الله

بخطه

الحن

دلائل النبوة لأبن نعيم

قراضا

لجياض

البيت

القوم الذين

دحية

الاستيعاب

حين قتل

تقرب

جذيمة

حرقه

الخلق

طيبا

ولا يؤمن

الآ

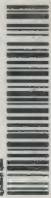
رؤوف

المدح

ص	م	خطا	صواب
۳۳۵	۱۲	علی ماء	علی ماء
۳۴۱	۱۴	قَطْرُ بِل	قَطْرُ بِل
۳۴۸	۹	لا تحزن إن	لا تحزن ان
۳۵۸	۳	منجده	منجدم
۳۵۸	۳	چندل	چندل

مطالعہ کوستا اسوامس و شرکاؤ
و شایع وقت پمپلسی الطامرنہ بنام
شعبہ ۹۰۰۱۸ ص ۱۱۶۱

Bibliotheca Alexandrina



0382566